عبدالله الطيب

المروضه

إلى فقههم أشعار العرب وصناعتهم

في الأغراض والأساليب

الجزء الرابع (القسم الثاني)
الإهداء

إلى جميع من أهانوا على خلق هذا الكتاب، بما تولوه من إرشادي وتعليمي ونقيدي، أُولهم أبي رحمه الله.

عبدالله الطيب
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

محمد الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى جل من قائل في كتابه المحكم العزيز: "إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون".

وأما حفظه كتب الله عز وجل في عرفان العرب وعلى مدار جزءة أساسية، وكان من كبار علماء اللغة والنحو والأدب حفظة كتب الله الخلفاء، وكانوا نظموا الأساطير كأبي عمرو بن العلاء والكسائي وقالوا فقد ذكروا أن كان نجيب المدينة على زمنه وهو تلميذ نافع والأصم، وكان من رواة قراءة نافع، والقراء وأبي عبيدة ومكانه في معان القرآن ومجاز تفسير غير خاف. وكان الطبري محمد بن جرير مقدماً في النحو والعربية وهو من حفظة الكتب العزية قراءة وتفصيل. وكان ابن جني صاحب الخصائص وزاوية أبي الطيب هو أيضاً صاحب المكسور الذي إنه هو حاشية وشرح موجز جيد وتعليم على كتاب السبعة لابن ماجد، والمؤثرون في هذا الباب أكثر من أثر

ولأمر ما كثر استشهاد أهل التفسير بالشعر الصحيح من لدن ابن عباس رضي الله عنها إلى زمن أبي عبيدة والقراء ومن بعدها. من ذلك أن الشعر الصحيح الجزل في روح البيان العربي، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين. وقال تعالى: "إنا ننزله قراءة عربية لعلكم تعلقوه (يوسف) وقال تعالى: "إنا جعلنا قراءتنا عربية لعلكم تعلقوه (الزخرف) وقال تعالى: "نزل به الروح الأمين، على قلب لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين" (الشعراء).

وبعض أهل السلف ورأوا زعم أن من ألفاظ القرآن ما ليس بعربي وهذا هو الضلال المبين. ولو سلمنا جدلاً أن اتمنى استفرق من ألفاظ القرآن لسن عربس فبذا عسى أن يستخرج من ذلك مستنتج أروع كلمة اللون في شعر الأعشى يغعله فارسياً، وذلك حيث قال:

بالون يضرب لي بيز الإصبع

أو حياء كلمة الكرد في قول الفردخ

وكننا إذا الجبه زهر خدها ضربناه فوق الأظين على الكرد

أي العنق يجعل شعر الفردخ غير عربي؟
أعم لا يزيد أحاداً في بلاغة الكلم البلغ أن يجأ فيها بكلمة ذات دلالة واضحة في لغة أخرى لكي تنتقل بعض الوان تلك الدلالة إلى السياق الذي هي فيه؟

ذلك واضح سلاغ في كل اللغات إلى الآن.

على أنه ينبغي أن نذكر أن مكة كانت ملتقى تجارة العالم كما آتى فكم من كلمة صهرها ألسن العرب فيها فصارت عربية - هذا على تجي مسلم أن العرب استعارت أمثال قنطار ودنبلا للتدبير به تجارتها، وقوله تعالى: "والقانياط المقطورة من الذهب والفضة"، بالله العظيم.

على أن العربية لغة قديمة الأصول والروم والفرس واليونان كل أولئك أحدث بعدها في الوجود الحضاري من العرب - عادهم وسبهم وقطرانهم وأمهمهم وطلسمهم وجميعهم ولائهم بالعبر وسبباً ولياً والأقدامين.

قال أبو عبيد الله (وقد ذكروا أنه كان شعبياً وامهوه بهذة الخوارج وهلم جرا).

قال في أوائل كتابه بعد البسملة: قالوا إن أنزل القرآن لبسان عربي مبين، وصداق ذلك في آية من القرآن وفلا أخرى: "فما أرسلنا من رسول إلا بلسان قريب"، فلم يحتل السلف ولا الذين أدركون وجبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا ألسن فاستنفوا بعملهم به عن المسألة عن معانيه، وعا فيهما في كلام العرب مثله من الوجه والختصر. وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجه الأعراب ومن الحرف والمعاني. وقال رئيس الله في فصل تال: "نزل القرآن لبسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن "طه" بالبتيمة فقد أكرم، وإن لم يعلم ما هو فهو افتتاح كلام وهو اسم للسرة وشعار لها، وقد يوافق اللحظ ويقاربه معناه واحد وأحدها بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها. فمن ذلك الاستمر بالعربية وهو الغليظ من الديناء والفرنس وهو بالفارسية استمر وكوز وهو بالعربية جوز وأشباه هذا كثير. ومن زعم أن "حجازة من سجيل" بالفارسية فقد أعظم، ومن قال إنه من كل، إنها السجل الشديد.

(11) مقدمة محققة لشاعر القرآن الاستاذ محمد فؤاد سكين. قال تحت عنوان ملجم في مقدمته صفحة 10 (الطبعية الثالثة سنة 1401 هـ = 1981 م بروت)، تدل كثافة كلمته على أن بعضاً بعضاً كان من الخوارج وإن كان كتب ذلك ولا يعلمنه إلا قلت فقد قالوا فيه بالفطن، ثم يقول الاستاذ سكين (ص 11) رمزية أبو جمعاء إلى ملجم الخوارج تارة إلى القول بالقدام رهوة أخرى تكشف عن صلة بمعاصي وتدل عليه ما يكتبني بهن إلى القول كان من علية العربية.

واعتمد على ما قاله جامع من كبار علماء أهل السنة كأحمد بن جبر وعبد بن عبداح رحمهم الله أجمعين.
وقد اهتم جار الله محمود بن عمر الزهري بأمر البلاغة العربية عامة، وبلاقة القرآن خاصة، ومهد تفسيره الجليل بعمل معجمه البلاغي النادر المعنى بالأساس. أسس البلاغة، ما يدل على أن هذا مهد له تفسيره لقولة تعلاه "إني لأجد ريح يوسف لا تندومن" فقد قال إن المرأة لا يقال لها مفيدة لأنها لم يكن لها عقل وهي شابة وهذا الوجه بعينه جاء في عبارة "الأساس" وله "الفقه" مما مهد به أيضاً. وقد ألف تفسيره وهو جاور ببككة. وقد اعتمد على ابن جرير. إلا أن مذهبه في بيان البلاغة القرآنية كان قد انفرد به، واستشهده بالشعر غزير. وكان ما ذهب إليه الاستشهاد بشعر حبيب وأبي الطيب، يجعل ماقولاته بمثل ما يرويه. وما سواع له ذلك إذا ما أحسه بجودة ذوقه من تمكنها من جذب القول. وما كل علامة راوية بمستطع جعل الكلام إن رام قوله. ماعدا الزهري أن استاهم بما أورد من شعر فحول المحدثين إذ لم يكن خافياً عليه أن لا يصح الاستشهاد بكلامهم على شيء من نحو أو صف أو لغة. وقد سلك مسلك الزهري رحمه الله جامة منهم مثلا صاحب "مني الليث" ومن الأوائل من تشدد أحيانا فكر الاستشهاد بين ما شكل في فصاحته كذالك الذي ذكره أبو الفرج من طعن يونس في ابن قيس الروميات مثلاً.

علم الأوائل كله كان مصارع على صحة الرواية عن مشافهة. وكان الحديث أدق العلوم رواية وأعوجها طريقة فيها. وكان سيبويه شيخ النحاة رحمه الله قد طلب الحديث أول الأمر. ثم لما خاتم حمد بن سلامة في حديث "ليس أبا الدرباء" عدل إلى درس النحو. فلم يكن ليسه في مسائل النحو بما لم يكن على معرفة حقه بوجه صحية روايته من علوم الحديث. وقد عدل عن متابعتها كما ذكر. وقد كان لما القرآن على حفظه ورواته وذكر اسباعهم في كتابه. وقد روى الأشعرين وسمع مشافهة من العرب. فعلى هذا الذي كان يعلمه ويعمله علائه. وقد كان عاصم بن أبي النجود، أحد شيوخ أبي عمرو [وهو شيخ سبويه] حجة في القرآن جلس يعلمه بالكوفة أربعين سنة بعد أبي عبد الرحمن السلمي وهذا جلس من قبل يعلمه أبو أبي بكر. وعن الصحابة الأئمة أيضًا وذكرنا أنه لم يذكره الوقفة كان برد قوله تعالى "ثم ردوا إلى الله مؤلفهم الحق، يحقق للفائف تحقيقا حتى قصص الله روجه. مع هذا لم يكن عاصم بحجة عند أهل الحديث مع إجماعهم على قرآنه وصلحه وعلمته فتأمل. ليس الأمر أن الحديث كان يروي بالعقول، فذلك لم يستشهد به النحويون كلاً. كان من رواية الحديث رجالهم من جبل من يستشهد بكلامه براهين. كالشيخ الذين عثهم أحد الإمام مالك. وقد قبل ذلك في مالك نفسه وزعموا أن دجاجة جمع
دجال لم يعرفه أهل اللغة إلا منه في خبر يذكرونه له فيا بيته وبين ابن اسحاقي، وابن اسحاقي ممن وثقه سلمان والبخاري، ففعل هذا الخبر ألا يصح والله تعالى أعلم، إنها ذكرى استفاء للحجة في ذكرى من فصاحه أهل رواية الحديث الأولين الذين عنهم أخذ أمرا جره وتدوبه ومعرفة صحيح من ضعيفه.

وما أرى إلا أن سيبويه رحمه الله كان يعلم أحاديث كثيرة، ولكن تخرج إن يستشهد بها لم يجوز عليه مشاهدها، وكان في القوام دقة في التحصيل، ومراقبة لله فيه، وحرص على تجريد ما يقولون عليه من عمل.

وهذا يسيبيه من أخذه الكتاب عن سعيد بن مسعود وكان صدقا.

يقول: "ما قدمنا أن معرفة العربية والذوق جزالة أساليبها ما حافظه الله به كتابه. وقد وعد وuously الحق أنه حافظه. والقصيدة المحكمة هي النافحة الأول لعرفان العربية وأهدى المسالك إلى الذوق جزالة أساليبها. من أهل هذا ما استنكر الزهري، بشر أبي تمام وأبي الطيب وهو في معرض الإرشاد إلى نكت بلاغة القرآن. وقد تعلم قوله أن المعري إنها برى لقول الله تعالى: إليها تمر بشر كالقصر 4 حيث قال هو:

جراء سلطة الذوات في الدجي، تسرمي بكل شارة كطيراف..."

والقامة على فضله، بين يدي القصيدة جارية تقدمها.

والله، وهو أعلم بمراده ودقائق حكمته. أن تزول القصيدة المحكمة ومكانها فيها وعده من حفظ كتابه مكنانها، ولا سيما حين جعلت تخت بدار الإسلام الغوازل، وأشعرت الصليبية إليها الأسئلة من رومها وروسها وفرضتها وصقلتها وبلغها وأصناف من عدهم أبو الطيب في شعره كقوله:

وكيف ترجى الروم والروس هدمها
وقوله: "يجمع الروم والصقلا ولبـ
وبقوا عليهم به في القنف الصمـ"

وتدات النتار إليها سهامها، وخف عليها كل الخوف من الاجتياح.

في معركة بغداد سنة 256 هـ وهي التي كانت القاضية على دولة بني العباس، سقط بقريته صرصر وهي من سواح بغداد شهدها مقبلا غير مدبر على ما كان من ضرة.

٨٨٩
وها أعفاء الله به من مباشرة القتال، الإمام يحيى الصصري (1)، رحمه الله، وجعل الجنة متقبلة ومثواه - وهو الذي يقول:

"هل عندك اليوم للمشتاق تنويل
ذى الوجه إن كان يشفي الصب تعليل
أم حبلها بعد طول القطع موصول
وربعها الرحب بالأجباب مأهول
دنيا تصرم حين وهى مطلول
من المواهب أسال رعاباً-
سلع رواحل تحتوه الأرجل
يسأمن من دأب قود مراقباً-
كروم كرمائم لا رعابل أي مزق ينظر فيه ال قول كعب:
مشقق عن تراقيها رعاباً-
تفرى اللبن بكفها ومدرعها
والابرجل بنظار ال قول له:-
ولا تمشي بواديه الأرجل
منه تظل سباع الجو ضامرة

وقوله مضارب بالضاد المعجمة من التفسير وهو الفوة والقرى الظهر وتأمل جودة رنين قوله "كرامات" مع سبق راء القرى من قبل وبجيء "مراقب" من بعد وهي جمع مرقال والإيرقال ضرب من العدو وبه سمى هاشم بن عبة المرقال إذ كان يرقل بالرابية في صفين

 وهو يرتجز

قد عالج الحليا حتى ملاء
لا بمكان يقل أو يغفلاء

أعـوـور يغـيـي أحـلـه علاء
بتهم بيذى الكعـوب تلاء
وقال النابغة في البائعة:
إذ استنوا عنهم في الحرب أوقالوا
مـراهـيل أي مسرعـات
بالنقي أعظمها والدر حالية

(1) أبو زكريا يحيى بن يوسف الصصري - ذكر صروص باقوت في البلدان أنها من سواح بغداد.
هكذا في طباعة المجموعة وأحدهم خطأ وقد فسره الشرح بأن النقي هو المخ والدر الحليب وأغلبها ضبطه ضبط اسم التفضيل بفتح الظاء بعد عين ساكنة وهذا كله لا يستقيم إذ لا معنى لأن تكون حالة بالحليب عظيماً، ثم معاطف لأنها جمع لا تصلح خبراً لأعظمها إلا على أن نور أن "أعظمها" عدهد أكثر من واحدة أو تقدمه مبتدأ الوجه عندي أن البيت صوابه هكذا إن شاء الله.

بالنقي أعظمها والدو حالية ومن كلال ومن هزل معاطف فالحزل مقابل النقي وهو المخ وكون أعظمها بمسم الظاء أي عظامها فيها النقي دلالة على أنه لا هزل بها. والكلال مقابل الدو وهو الفقر والصحراء وإذا كان الدو لها حالياً مع مخ عظامها دق ذلك على مواصلتها للسير وهي قدرة عليها غير ذات كلال، فهي عاطفة من الكلال ومن الهزل.

خوصها أرب تخت الدهب وإذا أشارت المجرد وضم القسم الغليل القصور الأسد، وكانت في طريق الحج السبع والمخاوف، فانظر كيف كان حرص المسلمين على أداء شعائرهم فكيف أساء المعري حيث قال ما قال:

تحكين نفث نعماً راعهن ضحى بلبنن صم الحصى لبزا ومدرجه زعتر وبيضرون والصورون منتقل خط عليه فمفتقوط ومشكول

كلا هذين البيتين فيها تعرف من ناسخ - تعرف كثير ولعل الصواب هكذا إذ هو أشبه بالمعنى والرسم يحمله كالذي مرب من "الدو" لما بين التراو والراء من شبه:

يحكين نفث نعماً راعهن ضحى ينبذن صم الحصى نذا ومدرجه ذعتر وبيضرون والصورون منتقل خط عليه فمفتقوط ومشكول

ذلك بأن النفاذ نائله البل إلى القطع والنفر يشاكله الدهر ويناسبه واللبن باللام بعيدة لأن الحصى لا يلبز ولكن ينبذ أي يقفف ويرمي به
إذا الحدأة سلم عرضها فقلها على النهج ودوام السير تغييل
تحين شوقها وأنى لا تحين إلى
هذي الرسائل النجيات المرسلة
فهذه المقدمة التي مرت ليست من قرى صناعة القامات والبديع وأوصاف الشموخ
وضروب العبث بالمحسنات واللعب النظيف والمعنوبي، هنالك أنفاس فحول من الشعر
شبهية بأنفاس فحول صدر الإسلام والحداثين المشهور لهم بالتقدم، وكالقدماء لا يجد
الشاعر عرسا في الاستهلال بالديار والنسب، إذ الديار التي تبعت قلبها ذكرها هو
الكعبة الشريفة والمشاعر والعرف ومنى ورباع مكة القداسات والقرب الزكي والروضة
والمسجد والحرم وأحد والبقيع وقبا ومشاهد دار الهجرة العظام.

تأمل هذا التعبير النبيل الجزل:
هل ربة الستر بعد ذاتي دانية
أم حلبها بعد طول القطع موصول
وهل تجد بعين الاراك لنفس
والمشاهد قوله من المواهب أسال رعاب
فالأسال الرعاب من صفة الثواب،
والأسال أيضا بقاياء الماء في الركاب، وكلا هذه الظلام من المعاني مرادة هتنا

قال المعرفي:
جلبت من الشامين أطيب جرعة
وأنزيرا والقوم بالفقر ضلال
هريقت لما أهديت في الكثر أمثال

يصف قبلته أنها أطيب جرعة على قلتها حتى إنها لا تنزد على ما تبقى في أطبار
الزجاجة بعد أن يراق ما فيها
فإن زعموا أن الهجر استشفهم
إليهما فهموا في المزايدة أسال

أي بقاياء، وما أرى إلا أن الصرصري رحب الله يشتر الأ ما ذكره أو الولاء هنوا من
معنى المواهب، وكان لأولى الضرر خاصة بأبي الولاء فرط فعل وإن اختفت مذاهبهم

-11-
لاพบهم في باب التعمق في اللغة وأدابها، فهذا الذي صنعه الصرصري من خفي التحضرين وبارعه.
وجل أن الصرصري رحمه الله يجازي "بانت سعاد" وتنصي بصورة بضوء قوافها ومعانيها، غير أن مجاراة الصرصري لـ "بانت سعاد" هنأ ومجاراة غيره من مداد الرسول صلى الله عليه وسلم لها، كالوصفي في لامته:

إلى متى أنت باللذات مشغول
وابن جابر الأندلسي في لامته:
بانت سعاد فعقد الصبر محلول
والدمع في صفحات الخدي مبذول

وجموعة غيهم أورد من نظمهم في مجاراتها صاحب المجموعة النبهانية رحمه الله - وفيهم الزغشري صاحب الكشاف والفيروز - بادي صاحب القاموس - كل ذلك أريد به أول من كل شيء الترك، وذلك أن كعب بن زهير رحمه الله نال بها عفوا وفائدة ودكرها حيدا وقد ضاحي في الجودة مذهب أبيه مع ما له من حرارة أنفس الشباب - على أن أبا كا يعلم الفارئ الكريم أصلحه الله، شديد الأسر، قوي الروح، متين الأفاس.
ولقد أحسن الإمام يحيى الصرصري إذ يقول في أخريات لامته
باسيدي الناس في الدنيا وسيدهم يوم القيامة منك الخير مأمون
بريتك قصدنا حسن مدخلك في
رؤوس أبياتك الحسن أكمل

رؤوس الأبيات عن بنا الروى، كما يقال للضرورة رؤوس الآية، وجعل القوافي كالأنكاذ لمقاطع الأبيات هنا، لكان هذا الفري في مدعاء كعب، وقد قفل هذا المعنى ووضحه في ما بعد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
أبلغ المضاهاة أين الطول والطويل
فمن يفضل يوما فهو مفضل

نظمتها وزن من قد قال مبتعدا بتركًا باتباعي ما نحنا ولم لقد علا كعب كل متدع

- 12 -
لعلها "فمن يفاضله" ومن جاذبة ويجوز ما هينا على معنى والذي "يفاضل" فهو مفضول وما أشبه أن تكون هادء الضمير قد غفل عنها في الطبع والتصحيح أو أخطاء النايس وذل ذلك أن الرئة بها أقوى وأشبه بنغم الصرير القحل:

فمن يفاضله بـُوما فهو مفضول وبـُردة قفرة عنها السرابيل وقيل إنك معدوّ ومضـّول

لقد علا كعب كعب كل متدح سبقا وفضلا وإنشادا مشاعفة لكنه إن ي بك التـُنـبّوف قصر بي

يشير الى قول كعب: "وقيل إنك مسوب ومـسول"

أقول للـّواضع الـّمـهـدي نصيحته أقصر في شاّفع في الحشر مقبول
عمـّد يـنبرويـث بـُمـِرحة وجاهه النـّـغر للراجين مبذـّل
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسبباً
وطلقت القاريء الكريم إلى قوله: "سبقا وفضلا وإنشادا مشاعفة" ثم ذكر الـّردة فكل
هذا شاهد كما ترى بمعنى الـّتــرـك.

وقد نهج الـّبوـصيري نهج الـّصرير في الإقرار لـكـعب بن زهير بالسبق المطلق لأن كلامه عري جزـال أصـيـل - غير أنه أعطى نفسه فضيلة المشابهة له في أمرين، أولاً مدح الرسول صلى الله عليه وأله وسلم خالصاً فيه وثانياً رجاء العفو عند الله سبحانه وتعالى بتاعه عليه الصلاة والسلام، وذلك أن كـعبا قد استحق القتل قبل أن يتقدم بمدخته هذه
فقال بها العفو والرضى والجازئة: قال:
هـاـحـلة بـخـلاـل منك قد رـمـيـت
جاءت بـحـيـة وتـصـديقـي إليك فإـي كـأ حـب كـعب وتصديقـه كـانـا غـيـر مـشـوبيـن وـلا مـدخـولين إذ وـفـد معتذرـا وـفي النـاس
من يهمه بذلك ماً بـعد عليـه قـوله:

أـبـيـت أن رـسول الله أوعـدـي
والفو عند رسـول الله مأمـول
فـقد أـبـيـت رـسول الله معتذرًا
فـرـان فيـها مـواـعظـة وتـفـصـيل
أذنـب وقـد كـثرـت في الأـقاـواـيل
كـذاـك أـنـا حـيـي مـشـوبيـن وتـصـديقـي غـيـر مـدخـول وـما سـلكت مـسلك كـعب في الـروي
والبحر وأنا أبغي انتقال كـلامة أـنـزين به. أو مـبارة أـباهي بـذـلك وـلـكـني وـجدـته

- 13 -
غفرت له وحققت دمه ففاز بمكانة الصاحب فهو لب ذلك قدرة وحسين شافعاً أنى
أرمى إلى غرض كفر حره وهو صدقالمدح فيك والتلاس العفو من الله يباهك:
هنا حلآ بخلال منك قد ربطت مسابقتا لعبة تغليل
جناة ببحي وتصديقية البك وما
البها الخوارث من وتلفها والمناويل
ألبستها منك حسنة فاذاها شفا
ففع النذاء إلى ألبستها أجواء وأشبه بمعنعي البيت إذ هذك الخوارث والمناويل (جمع منوال)
التي تم بها نسج القصيد وقعد ليست حسنا من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم
فالتية هي التي أكسب خوارثه وملكته الشرف الذي ازدهارها فاذاها بـ هذا المعنى
ينظر إلى قول الصرصري

حيث فيك قصيدة حسن مدحك في
رؤوس أبياتها الحسن أكيل
والتشاب في أن مدحه صلى الله عليه وسلم هو المستمد منه الحسن ثم يقول البوصيري،
وهذا يقوم به معنى صدق حبه:
لم اتحلها ولم أغصب معانيها
وغير مدقح مغصوب ومنحون
وأما على قول كعب أن توازنته فثرها وزن الصدر المشاكل
أي الثلاثال وزن بعينه ولبست موازنته لقدر من الدور بجاعلته مثابلا له في القيمة
والحسن - وقد فسر مراده من بعد أن تقشير عن كعب ليس في صدق المدح وجودته
ولكن عند كعب من الجزالة والفصاحة والأصالة في ذلك ما ليس عنده:
وهل تعادل حسنة ومنطقها
وليس المولد مهما يسم قدره في هذا المدى يتل مبلغ العرب.
وما غاب عن الإمام شرف الدين فضل كعب بالصحة والمشاعفة والإنشاد، فهذا على
أنه ضمه معنى عروبه الأصيلة وأنه نال العفو بها قال من رسول الله صلى الله عليه
و وسلم علقنا مباشرة عن لقاء، قد ذكره صريحا من بعد، ولم يفصل فيه تصيش الصرصري
لما أعفيه به هذا بوضوحه في عن كل مزيد - رحمة الله الرحمن الراحم
ثم يقول البوصيري:

وحيت كنا معا نرمي إلى غرض
فحذا ناضل منا ومنضول
الناضل كعب وهو المنضول كا تقدم من قوله:
إن أقف آتي كريرة إلى الغدالة بها
على طريق نجاح منك مدخل
لم أعلمنه لـه ذنبًا وصنت دما
رجال ذقان ذنب موجب تلقى
و ليس غريب ك مـول أومـه
و ل فـؤاد عـب ليس يتعهـ
فهذا شاهد قولنا إنه ذكر فضل كعب باللقاء صريحا
من تجوب رسول الله نحوك بي
تلك الجبال نجيات مراسيل
أمامته وبدى بالفُووز ظافرة
وأما قوله ربه الله لم اتحلها فما رح به على اختلاف الوجه الذي سلكه في مفرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجه قصيدة كعب وإنه تشاها في حسن الثناء عليه
وقد جعل البصيري مكان النسب في
أول قصيدةه طلب سبيل التوبة والاعتراف بالتقدم على ما فتر فيه:
فذكر العزم إن الموت صباره
وأطلع حبال الأماني التي اتصلت
فإنها جبلها بالزرع موصول
هذا كقول كعب 5 الأمان والأحلام تضليل
ومما على غير إثم منك تخصب
ورحبه تعمر دارا لتقابلا لها
وجه النذير فشمل لالمبر بلال
فمل شيمه من فعل تشان به
ل تنكره في الفودين قد طلعت
والشري والإكيل كلاهما كما تعلم من نجوم الساء ثم أخذ البصيري في طريق هو
خرجته ونزا إلى ذلك أوربة إن شاء الله تعالى.
وقال ابن جابر الأندلسي الضرير:
وقد أثبت بضعف ما أتاك به
هذا يقتدي فيه ببحي الصريري
-10-
فإن قلب ونالتي مراحتم قد لكي لم يبق لي من بعدها سول
وإن كعبا علينا إذ غدا سبيلا
ولبرهان الدين القياطي رحمه الله (توفي سنة 781 هـ) لامنة كعبية الروي نظمها نظم
علاء الفقة سنة 714 هـ يقضي بها حق ما علمه الله به جهد منه يلتمس به الإجر
ويكون فيه زكاة له، أولاً:

جريح الجفون بذف الدم تعديل
والحب شاهده المجروح مقبول
تأمل الجرح والتعديل - هاتان عبارتان من اصطلاح أهل الحديث. ثم القذف والقاذف
لا تقبل شهادته لكن الجفون إذا قذف فتدمج في قذفه حتى صارت بيكي دما
فذلك لها تعديل - وأخبار هذا الجهاد الفقيدي الوقيري بعد أبيات زدن على ماذة ما
بدل على أن الشيخ الصالح لم يكن شعر له فنا ولكنها اقتحم طريقه يرجم به نفسه
صلاحا بمديح رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال:

يا سيد الرسل قد قدمت من كليمي
مدح نعاني من ذكرك مصقول
صرير لفظي لأنفاظ الورى ملكا
نترجه بالذكر الزمر تكليل
لا يريد هنا افتحارا على الشعراء بأن لفظه كملك بين أنفاظهم فالمجتيم رحمه الله أقر
نفسا وأكرم تواضعا من ذلك. يقول كلهما لفظي أن يصير ملكا على هذه الأنفاظ التي
تستخدمها الناس فيها نظمها تlatin انا على أني لا نائم من لؤلؤ النجوم الزهر - بضم الزاي وسكون
هاء - وأخذ المعنى من قول الآخر:

ليت الكواكب تدورن في أنظمةك
عقود مدح فيها أرضي لكم كلما
إن كان أخذه.

بكم هديت سبيلا للمديح لكم
أمي امرؤ القيس عنه وهو ضليل
أي ضل عنة امرؤ القيس بشر قاله في الباطل وهم به لواء الشعراء إلى النار - قالوا
وكان أكثر من وأد البنات خوفا من العار إذ كان محارباً محارباً فعل هذا هو سبب ترديه
في النار والله أعلم وعل هذا من شناع صنيعه يصبح أن البيتين:

ف قد اختلس الطعنة لا بديماً لما نصل
كحب الدفن الوراء رعت وتي تستفي
له لا لأمرئ القيس الكندي الآخر - (ابن عباس) لما فيها من الدلالة الحفية أن هذه
الدفن هي المؤودة.

- ١٦ -
فقد قدمت بأبيات عن سبب
السبح والعكيم والإبرام من نعوت الحبال لا من قومه عكمة النفق والإبرام
فهذا من استعمالات عصرنا
لولاك يا دا البيرو البسيط نذئد
من المعارف في البحر العسير تفعيل
وكأنه رحمة الله كان يترنم بكل بيت ويطمعه ويناظر ذلك تفعيل
والقول ما قاله كعب وان حسنت
في جنب مدحته الغراء مفضول
أذين بردته العلية تذيل
وأن فراق حسن النسيج منه على
رحمة الله وأثابه خيراً
وقال شمس الدين النواحي من رجال المادة التاسعة (توفي ٨٥٩هـ) وشعره متوسط
يذكر كعباً في أخباره كلامه:
قدمته بين يدي نجواي من كليم
لامية راق معنى مدحها و لها
فحرها وقتهاها اذائنا انتظمت
في بعض أوصاف خير الخلق قد قصته
هذا من أتباع الصرصري
لم أعارض بقولي من تقدمي
لا يعني أنها عذبت فيما حد بذلك نفسه، ولكن على معنى على تقدير التسليم بأنها
عذبت منها الأقويل
سببة وبختر الخلق تفضيل
كعب له في مديح المصطفى قدم
عيني بلقهانه وإنشاده أمامه ومشافقته له صلى الله عليه وسلم.
فروحها بنده كفيفه مطلول
عند ملح له بالذل تكيل
نابه في ديار الخلد تأهيل
بانت سعاداً فقلبه اليوم متبول
إن لم أفزع بقيه في متبعتى

- ١٧ -
ولأنريد بعد أن نستقصي ذكر كعب في ما جُورِّت به لامثة المباركة. غير أنه عسي ألا نغفل في هذا الباب - باب محاور الفقهاء ومشاآريع اللغة لكعب رضي الله عنه - عن لاميات الزخري وآبي حيان الأندلسى وصاحب القاموس محمد الدين الفيروز ابادى. وثلاثتهم لم يشروا إلى كعب اكتفاء بظهور ذلك من ركونهم بجره ورواه أما الزخري فمطلع كلمته:

أضواء لي بالندوى والقلب متبول
نجدي برق بنار الحب موصول
ولم يسلم في أثأرة رحمه الله من جهد عمل واستقام له الروى في آخرها، لإفصاحه عنها تضمه فؤاده من حماسة وغضب للحق. قال:

يراجي الشفاءة يوم الخطر مأمون
والهى وفتي لا حل ذمته
و لدنا متحك عصا وهو مدخول
ولاشتك دخاكم منا مشحمة

فقد تعلم بعض الناس ما ترى.
ثم مضى غضب على سبيل التعريض وشكو الخصوم إلى الرسل صلى الله عليه وسلم:

مامست الكأس بيمناه ولاصمنا
والعرض رابط بالعوان
وقوله والعرض رابط يبان عبارة فصيحة ومعها صدق يصل إلى القلب ينبله عن حال
نفسه في العفاف.
ثم يقول:

 وإن بل العمل السخري آونة
فبينا القلب المرضي معمول
وعجيب من يأنام الشفاءة أن يعترف بهذا الاعتراض الذي تجالسه أرواح اعتراز عنا بقدر منه من الذنوب. ولن يعف أن يضمن قوله هذا نعى من الإشارة إلى قوله تعالى: "واخبرون اعترون بما شكلوا عملا صالحا وآخر سيئا على الله أن يعفو عليهم إن الله غفور رحيم" [البقرة] وقاله تعالى: "إن الخسات يذهبن السباقات ذلك
ذكري للذائرين" [هود].
ومكان الاعتزاز أنه جعل ذلك له حقاً. وكان أشبه به هو سبيله من التعبد بالمديح النبوي أن لو غلب التواصل والتسليم لله، وللتعويل كل التعويل على تأميل النجاة من طريق الشفاء، لا من طريق أن ما عمله من مسخوت سيبخره أن ذلك قد وقع منه بنيا العمل المرضي معمول. وإنما يذهب العمل المرضي بالعمل المخضوع إلى يحبب القبول من الله تعالى وصحب هذا العفو. وعلل قوله "المرضى" يحتل شيئاً من الدلالة على القبول والله تعالى أعلم.

وطاء أعقاب قوم ما لهم عمل في نصرة الدين والإسلام مجهول، هم ضالون للتفكير قارعةً. وألسن كله بإلزاز شغول عن يدها المعتزلة أنهم أهل فكر في خلق السماوات والأرض. وأنهم أهل ذكر بما أنقولوا من أباب علوم الكلام. وأصل هذه المعاني من الجائز أن المعتزلة كانوا هم الحارسين للدين الديانين عنه بما انتظروا دونهم من سمو حجة الكلام.

موحدون إلاها أنت سفته مصدقون فبلغتهم غول

يشير إلى مقالة المعتزلة أنهم أهل العدل والتوحيد. وقوله "أنت سفته" رجع فيه إلى خاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وابن ماجه في هذا الاتباع من إدالة التوحيدية خالصة حب لنبي الله عليه وسلم. وله في ذلك صوت بالصدق الصاحب جهير، جهارة جانب الخطابة والمقلة العقلية أقوى فيها من جانب الحرارة الشعرية. وقوله: "فلا غالبهم غول" من قول عده بن الطيب:

أن التي ضربت بينها مهاجرة

بکوفة الجند غالب ودها غول

ولا يصلح "غالبهم غول" في الموضوع الذي وضعها فيه الزمخشري كصلاح "غالت ودها غول" ههنا على ما احتال به الزمخشري من مذهب الدعاء وما عناه من الإشارة والتضمن.

أم لا يكفو رحم الله في جبينه بقوله: "فلا غالبهم غول" - بما فه في دعاء وإشارة وتضمن - ههنا من نوع اعتزاز عن هذا الاعتزاز بالاعتزاز والاقتراب عن الفرقة القائلة به؟ وكأنه هنا يلفت من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والقرب إليه، إلى هذا الاعتزاز ذي الاعتزاز والاقتراب معاً، ذي المظهر المتاحي بالاعتزاز لسائر من حوله من أهل السنة المتراجع، أو المراجع عن التحدي بهذا الدعاء:

فلا غالبهم غول.
في نفس الوقت.

هل كان الزمخشري معتزاً حقاً أم هذا الاعتراف حلة جعلها مظهرًا لقوة شخصيته وحرية فكره وأعتادته بخلواته سببها وجاهزية لغة العرب ونفوذ البيان المقدمين؟ إن زال عن رمي أغراض الهدى فرق تلهو مضللة قالت هم زولوا هل عنى أهل السنة؟ استبعد ذلك. وأشبه أن يكون عن أعداء الذين تسبوا في أخذ سبيل الهجرة. وقد ضمن هناف قافته من قول كعب: في فتية من قرشين قال قائلهم بيطن مكانها ما أسلموا زولوا.

إلا أنه قد انحرف بالتحريم شيئاً عن وجهه، إذ قال أبو القولة زولوا في بئه في الفرقة المضللة عند كعب هم أهل الهدى فقوس قومي بالتقؤى - وترأى وهمهم باتباع الحق منصور.

وفي هذين البيتين اللذين جعلها خاتمة القصيدة، على جودة معناها وملاءمتها لأن يكون من باب حسن المقطع، تعب تكلف في الصياغة. يشهد بذلك أنه احتاج إلى وصف الفرق وهي في آخر صدر البيت: إن زال عن رمي أغراض الهدى فرق بجملتين أولاً وصف ثالث هو الحال مضللة - والجملة الثانية قالت هم زولوا غير واضحة ملاءمة الصياغة ما قبلها. وكان أصل المعنى: إن زال عن رمي أغراض الهدى فرق قالت هم زولوا فإنهم لم يزولوا عن ذلك لأن أقواسهم موترة بالتقوى ولا نصول من اتباع الحق ثم جاءت الجملة تلهو مضللة معتزرة. وهو مذهب خطاب مستقيم في جدل الكلام، ولكنه ذو تعسف وتكلف في طريق الشعر.

لا يجب أن الزمخشري بعيد كل البعد عن النتيجة. إلا أن يكون قد أخذ من مظهر الاعتراف سترا لبعض التشيع: بعض يسر، ربما - لا كا صنع ابن أبي الحديد من بعد إذ يزعم أنه من أهل العدل والتّوحيده وهو محجب في بحبوهة من الرفض.

أبو العلاء ذو النتقية والتهيبيب أشعر شاعراً بعدد بعدد من الزمخشري، مع قوة الشبه بينهما في علم العربية واللغة وفهم أسرار البيان. وزمان ما بين الرجلين غير جد بعيد. وفعل القارئ الكريم دكراً هتاناً في هذا الموضع ما كنت قلناه من أن قضية الصدق في الشعر - أو قبل الصدق الشعرى - من أعرض القضايا وأعوضها من يرمى لها شرحاً وتوضيحًا. لا يكفي في وصف الصدق الشعرى أن يقال إنه خاص وطرح تهيب غرف من تجارب النفس.
لا بد من ذلك من طرب وترنيم إيقاع وذهول عن هذه النفس التي بها الصدق ولها طرح التهيب ومن هنا الاعتقاد. من هذا كله عند المجرى ذي النقيادة والدهاء والمراوغة قدر عظيم هو الذي به تفوقه شاعرا ومراهبه للفحول. وفي مثل قوله:

فَحْلَا إِسَارِي قَدْ أَضِرْ بِالرَّبِطَ
فَإِن تُقِيَّاهَا فَالجَزَاء هُوَ الشَّرْطُ
وَفِي مِثْلِ قُوْلِهِ
تِمْيَثِي كِيْفَ أَطْمَأْنُتُ بِالحَالَ
رَزِّيَّ الْأَمْسَى لَا أَيْسَ وَلَا مَالُ
كَفَى حَزْنًا بِنَ مُسْتَ وَإِقْمَالَ
مَقْلَدٌ مَّسْنَ الأُهْلِينَ بِسَرَّ وأَسْرَة

من صدق الشاعرية (تُرْنَّمُها وَطَرَبْ تِبْيِها وَعَرْفَّهَا مِنْ تَجَارِبِها وَذَهْوَهَا) ما ليس شيء مثل شيء منه عن الزعجشي رجح الله. شعر الزعجشي رجح الله شعر العلماء والمعرى شاعر
أولاً على بحور العلم وبين العلماء.

هذا: وكان أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي نزل مصر (توفي 184 هـ) من القرن كالزغششي من قبل أنهم أتى إليهم خلافة سهيبه وعلم كتابه. وكان صاحب تفسير ذا بسط فيه وهو البحر المحيط. وفيه من النحو مسائل وأقوال. وكثر من معاصرينا به شغف وأصحاب رسائل الجامعات الآن عليه أن حكوه. وجامع البيان أميلاً بغرائب مسائل النحو من البحر المحيط لما عند ابن جرير من قوة ميل إلى طريقة الكوفة، ولمذعاق أقوال ناحية البصرة، الخليل والأخفشي وسبيذه وأصحابهم انظر مثلا وفاته عند الآية: "قل أرأيتكم إن أنتمم عذاب الله أو أنتمم السعادة أية الألمام" فإن له فيما تفصيلا أكثر ما في معاني الفراء، جاء فيه بمقابلات من سهيبه ومن أبي زيد الأنصاري وغيرهم. وما خلا أبو حيان رحمة الله من بعض غلفات سجادة العلماء، كيا في تفسير قوله تعالى من سورة: "والخشي" ، "ووجدك فلدى" إذ زعم أنه" تفسير (وجدك فلدى) قد أبهز ثم إنه غزا فرأى في الناحية قائلًا يقول له إنا على تزيد حذف مضاف أي وجد رهط ضالا، فصحا كتب ذلك على النار أو كما قال. وله قصيدة طويلة يذكر فيها علمه بسيبيه ويبتغى بعض معاصره من أجل مصر. وقد كان له باندلسيه اعتزاز ك أندلس تغر جهاد، فمن شرق منها يريد الحج كان بذلك جامعاً بين الغزو وأداء الفرضية فсталك فضيلتان يزيد بها على أكثر

- 31 -
قصّاد البيت من أهل المشرق. قال في اللامية التي جارى بها كعب رضي الله عنه:

وإذ قضيت غزّة فأتنيف عمّالاً
والطرف أدّهم بالأشطان مغول
وأصل سراك بسري يا ابن أندلس

يعني السفينة - ينظر بعض النظر إلى قول أبي الطيب: "يصف سفن سيف الدولة"

دهم فوارسها ركاب أبنائها
مكدودة وبقوم غيرها الألم

وأصل دهم أبي الطيب من دهاء علقمة التي حاركها بالقتب مخزوم.

ثم يقول في نعت سفينته التي هي طرف أي حسان أدّهم مغول الأشطان أي الخبراء:

قلت الريح منّه أبيض يقق
بعلو خضارة منه شامخ جليل
سام طفاف وهو بالنكبة محمل
أحب أن الصواب "سام طفاف" بالفأء أخت القاف لا الغني المعجمة أخت العين

المهلمة - حتى يقول من بعد:

فصاروا البند بعد اليم وابتدروا
مازلت الموت تعالى وهو غفضة
فكر الناس إعظاماً لرهم
وصافحوا البند بعد اليم وابتدروا

ثم يقول:

بسوقهم طرب نحو الحجاز فهم
دوز ارتياح على أكوارها ميل
خوض عيونهم غرّهم مهابهم
شعث رؤوسهم ببس شفاههم

لأي حيان كا المزهري شخصية قوية. غير أنه دون الزهري حدة ذكاء ووقفة حاسمة
صدق ألا أن عينه شوكة طرب ليست نشوة طرب وحدة بالغة مبلغ إيجاد رات حات
الشعر ههنا أيضاً أمر فيه استعفاء على الشرح والتوضيح كأمر الصدق الشعري.

هذا وأول قصيدة أبي حيان فيه نظر إلى أول كلمة ابن زريق:

ألا تعلّميه فإن العذال يولعه
وهو قوله:

قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

والأصل فما ذو الحب معدول

- ٢٢ -
وكانت عينية ابن زريق كنتا نظمت بالأندلس (1) وقول أبي حيان: "فما ذو الحب معقول" ضعيف جداً. إذ أكثر ما يعذب أهل الحب... والله في الوضيحي إذ يقول: مني كله وكنا أنسفت لم تلم وقول ابن زريق "فإن العذل يولع" تتمة حسنة لما بدأ يه. وهاي عجب من عينيه، وكلها معجب، مقالته هذه الحزينة جداً في ألوها:

من حيث قدرت أن العذل ينعومن عنده فهو مضن Tween لذإه، فضلة بخطبة بين أضلاءه من النوبي كي يوم ما بروه عمزم إلى سفاح بالرغم بزعمه للزق ستعا ولكن ليس يجعله موكل بفضاء الله يذرعه رققا ولا دعاء الإنسان تقدعه لم يخلق الله خلقهما يضيعه مسترقة ومدى الغايات يقنعه بغي ألا إن بغي المره يصرعه عفوا ويمنعه من حيث يطمعه بالكثير من تلك الأثار مطلعه.

وكان موضع ذكر هذه الآيات في مكان ما تقدمن أو مكان أنسبي ما يلي وعسي أن يكون موقعها هينا بين أشعار هؤلاء العلماء، قبل أن نصير إلى حاصل شعر الديح النبوي عند مجديه، مما يستراح إليه، عملا بعده أمير الأدباء وشيخ أهل التأليف أبي عثمان رحمه الله.

(1) وإننا نظمت بينها وألقت بها أساطرة أندلسية وأخشابها في طبقات السلكي بسند قوي.
هذا وعلى ما كان بين الزمخشري وأبي حيان من شبه، كان بينهما نوع من تنافر، كان أبا حيان، وزمانه متأخر عن زمان الزمخشري بستين ومائة سنة، كان يغادر من سمعة هذا وما أخرج من منزلة في مراتب أهل اللغة والتفسير وال نحو. وقد تبَّعه في مواضع مأكول به كتَّابه قراء أبي عمرو بإدامة الراوي في الكلام، وهُدفته أبا شبَّع السوسي في مقابلة حيث أذغم الفضاد في الشيت في آية النور، وما أذا الزمخشري الذي صنع مذاهب القدماء. وقدن القراءات عند ابن جرير كثير لا يرى بأساً في أن يصرف بأسلوبه ما يستحسن منها وكراهية ما لا يستحسن. وغلب على المتأخرين اتباع سبعة ابن مجهد والثلاثة المكمل العشرة، وأبي حيان تسليم ربع في هذا الباب. ونعده رحم الله من بركة أهل السنة والجماعة تواضعهم، اختلاف ذلك ما علائع اللغة والنحو من شرارة تباه أحياناً كثيراً من العجب. ثم كانت ألي أبي حيان جهات شاعر ربياً خرجت به من طريق التعب بالمدح النبوي إلى المألوف من أساليب الشعراء في الوصف والنسب - قال مثلاً في أوائل القصيدة:

لا تعذلها في ذو الحب معذول 
فما أني الصب إلا وهو مقتول 
فحَّم لها جمل منتون وتصليل 
والغفر جوهرة والى مصعل 
والخصر مختلط والمتن مجدول 
درماء تنشر في الساق الخلاخيل 
يشقين آباؤها الصيد البهالي.

ثم يقول بعد أن استمر به الغزل شوَّطا: رحم الله:

فعد عن ذكر لبني إذ ذكر كها 
على التنْسَي لتعْذَي بِوَعْلي 
ولعل الغزل الذي مر مناسب لما صار إليه بعد من ذكر الجهاد - ثم هو مناسب لما كان.

عليه آخر الأندلس من قتال الكفراء المستمر:

فَقَس حَيْزَمَ هَذَا الليلِ مَتِنِّيْاً 
أَقَبَ أَقَوْدُ يُعِزُّ لِلْمُوَجَّهِ لَهُ 
حَفْرُ حَوَافِه مُعَمْ قوَائِمْهِ

٢٤٠
أما صاحب القاموس جمع الدين الفيروز آبادي (1) فقد كان من معرفة غريب اللغة لدى ذروة شاهقة إلا أنه كان عظيم اللغة بما يقول كثير التعبّق للجوهري وقد همّ لبندق صاحب الصلاح فهجًا، والعلماء جمّعون على تقديم الصلاح على سائر ما صنف بعدد من المراجع، والقاموس من أنفس المراجع وأخصرها وأوضحها وأكثرها فوائد.

وُلِدَتُم، من شواهد عظيم ثقة الفيروز آبادي بما يقول مقذّمته التي يقول في تعميدها«الحمد لله منطق البلغاء باللغة في البدو ومودع اللسان ألسن السنّ هوادي وخصوصاً عروق القيصوم وغمض القصيم بما لم ينله البهر والجادي»، ثم بعد سجوعه إنها هن كفوف للاستفهام رويًا واحداً قال في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بايعت النبي الهادي، فحماً باللسان الصداق كل مضادي»، مفحاً لا تشهبه الهدنة والكتة والضوادي، محمد خير من حضر النوادي وأفصح من ركب الحوادي (2)، وأبلغ من حلب العوادي (3)، سبنت دوحة رسالته فظهرت على شورك الكوادي (4) واستنادت رياض نبوته ففيت في المسأة الليث العوادي صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الدأدي الإله، فما قاله في نسب القصيدة وأولها:

هل حيل عزة بعد بين موصل
أو بارق الوصل بين البين مأمون
هذا كمطلع كلمة عبدة بن الطبيب
هل حيل خويرة بعد الهجرة موصول
أم أنت عنها بعد القدر مشغول
وكانه يوهم بمجاراتها دون لامع كعب ووجه منها بقوله:
والمره ساع لأمر ليس بذكره
وعيش شح وإشفاق وتأمل
ولكنه اقتنى بكعب ولا ريب - إذ جاء له:
إن الصبابا بعد الشيب تضليل

(1) ولد في قرية سنة 729 هـ في ربيع الثاني وتوفي باليمن في 20 م من ذو الحجة سنة 816 هـ.
(2) مضادي، مخالف.
(3) الحوادي: الإبل من خد السبيل يُحَدَّث.
(4) العوادي: الإبل.
(5) الكوادي: هو الكديك، أي الأراضي الصليبة. عيبي: أعجزت وأعتي. الدأدي: الليالي المظلمة وهي ليالٍ آخر الشهر وحكذاً فسرها صاحب القاموس في باب الحيرة مفردها داء وعذبة، ودُوِّدَت بثلثي الدلال الأول وفيه الثانية أو

-25-
فهذا من كلام كعب، وله:

والأمر من ربه لا شك مفعول

وهو من كلام كعب - وقال:

وقال حيـهـلا قـد رام جاـبـرـك

سَوْرَاهُ فِسَبَوا إِلَيْهِ يَا عِيـاـهـيـل

وأيٌ في حديث هنا في كلام مجد الدين رحمه

الله عن شاة جابر رضي الله عنه

وقوله: إلا وفيها حصاة منه زهلول من قول كعب: أقراب زهليك! وهذا باب يطول

فما قاله في نسب القصيدة وأغرب:

وليلةً بِذَا حَزْنٍ وَذَا قِلْقٍ

وخارم النفس مبتداد زمرتها

أَمَا وَعَيْني فِي الْحَجَّارَان تَسْلَفـهَا

قد حرفتها بِفَسَأَلَت طَفْلَة كَمِثْلٍ

رَقْرَاقَة بِفَضْسَاء حُوَارَاء هِيِّلَةٌ

شَبَاهِ لَيَاء مَشْوَاهِ ابْراَغِيل

شِنِيَاءٌ قَرْنْوَاء بَيْنَ الْغَيْبَ عَطْبَةٌ

مَهْرُكَةٌ وَشَنَايَةَ مَعَاسِيلٌ

وَالْطَرْفِ ذَوَّ دِعْجَ وَالْغَنِّر مَعَسِسُ

(1) حَفْلَتَهَا (النَّمَا) بِالدَّمِ

(2) الْعِضْلَة النَّفَس كَثْب في القاموس، وينبغي أن يكون عن بِهِ جَسِيمَةُ كَأنَّهَا نَفْسَ، وَبِالْبَرَاغَل قَرْى الْمَرْفَع، وَاحِدَهَا بِرْغِيل بِكَسَمِ الْبَيَاءَ.

(3) عَطَا أَيِّ عَطَا بِتَشِيدِ الطَّاء المُفَهْمَة أَيُّ طَوْبَةٌ، وَهَبَّتَهَا بِتَشِيدِ التَّنْوَى أَيَّ ذِكَرَ كَسَلِّ.
وللوجه ذو كلب والترف ذو فلج
والمخاف في زعج والقلب في دم.

(1) العقرة القلي قابض في العراق.
(2) الخاطيري في بناء أبي الزعاب.
(3) البشرا ليلي كأنه مخلد وتخليل.

هكذا تأمل أصلحك الله.

ولصاحب القاموس بلغ بذكر ما له معان من الإحساس - ذلك جلي في القاموس قلت
كلمة تخلو مثت إليه كل الخلو.
وكان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:
وأبلغ وجهه هلقام له شمم
وأدع الجين ممهدان بها الميل
الميل المرود. الهلقام الأسد. والإغبار في الهلقام كما ترى. أبائات الدح على الجملة أقل
إغراباً ما قبلها وتلهم فيها من أسباء النبي صلى الله عليه وسلم عدداً. وأسلوب
القصيدة شعر علاء. وسط. فوجه الله وطياته.

هكذا.

واعلم أيها الفاروق الكريم أصلحك الله أن نقادنا أحلموا باب المديح النبوي وقسطتهم
لأطوار الشعر العربي بعد زمان صدر الإسلام هكذا:
(1) العصر العباسي الأول
(2) العصر العباسي الثاني
(3) العصر العباسي الثالث
(4) عصر الإنحطاط
(5) الهضة
(6) العصر الحديث

(1) خلا في دم أرادة تغييراً صوابه رهج والخليج هنا مقارب لمعنى النجف. مرتول مدهون.
(2) العقرة القلي قابض في العراق في القاموس من لا يستقيم على رشده ويميل جمله هنا عليه وهو بعد وأراه عروا من
عرقة أي أصل عروق القلب: عروق القلي.
(3) الخاطيري في بناء أبي الزعاب، الذبيح في السباع الجاهزة: وأرداد عقارب الصدف إذا ول馘ت تلعد والعرق تلمع. وتلحم هذا جائز ف قد
سموا القدم حافراً في ضرورة الشعر والخليطية سواد القلب، ذكرها المغربي في أول رسالة التغفر.
ولا يخفى أن هذه القسمة تضمن عنصرًا من الرغبة المريضة أن ينتسب الناس إلى أوروبا وحضارتها وأن يكونوا امتدادًا منها وجزءًا لا يتجزأ. الأوربيون يرغبون عصورهم م
هكذا:
(1) العصر الكلاسيكي وينتهي بسقوط روما سنة 476 م
(2) العصر المظلم من 476 م إلى القرن التاسع الميلادي
(3) العصر الأوسط من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي
(4) النهضة القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي
(5) العصر الحديث، القرن السادس عشر الميلادي
فالحافظ بيت الشعراء وهو الذهبي:
فنشهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكارم ففحـ
أو معناء، شهروا سقوط بغداد سنة 656 هـ (1258 م) بسقوط روما. ثم ران الظلما، ثم جاءت النهضة. ثم هانحن أولاء في العصر الحديث.
والتأريخ الإسلامي والعبري. عزباهان هذه التصنيفة الخاطئة لعصورنا.
لقد كان أخذ التنار بغداد وأخبارها كارثة.
ولكنه قد قامت بعد بغداد دول إسلامية قويات. وامتدت رقعة الإسلام. وينغ فيها العلماء والأدباء. ما بين التاج محل ولا مرصد سمرقندي إلا بعد سقوط بغداد. وازدهر الإسلام. وتبنتها في القرن التاسع والعشرين الهجري. وازدهرت بلاد المغرب بالمعمار والعلوم وضرب ما ينسب إلى الحضارة. وتنسب الحضارة إليه من القرن الخامس إلى أن تغلبت أوروبية. بدقة الاستعمار في القرن الماضي الميلادي. وانثر الإسلام في بلاد جاوة والمصرين وقع العثمانين أنواب فتى بصلاصل الحديد.
وفي هذا العصر الذي يقال له عصر الانحطاط برس السبطي وابن حجر وابن تيمية وابن القيم وابن الخطيب وابن خلدون وهذا بعد باب واسع.
وفي الشعر كان في هذه الفترة شعراء المديح النبوي المغلوقون. وهؤلاء أهلهم المستشرقون عمدا وهم في ذلك معذورون. من بلوغ مستشرقا. ألا يذكر لنا يقول:
جَرَّاء السبخ من الإله رسولًا فأقبل العباساتين عقـولا
قوم رأوا شربا كرما فادعـوا من جهلهم لله فيه حلالا
ولكن المسلمين غير معذورين إذ أجملوا درس هذا الشعر. ونحن هنا إذا نريد أن ننه
على مكانه. ثم هو جزء جوهري من تأريخ الشعر العربي، إجماله خطأ في باب الدرس.
أطوار المدح النبوية وبعض أرما:ـ

أطوار المدح النبوية على وجه التقرب لا الحصر أربعة، طور الدعوة، طور السياسة، طور التعبد المهد، طور النضج الذي جعلها سيدة القصيد بعد أن ذهب بها قصيدة المدح وما يبت إليها.

أما طور الدعوة فقد كانت قصيدة المدح النبوي فيه جزء لا يتجزأ من الشعر العربي آنذاً ومن أقدم ما وصلنا من قصيد الدعوة ما نسب إلى أبي طالب عم رسول الله صل الله عليه وسلم. وأشهر ذلك جمعه القصيدة اللامية التي يقول فيها:ـ

كذبت وبيت الله نبيًا محمدًا
وقصى دونه ونضلاً
وأنزل عن ابنائنا والخلائل (1)

ومنها وهو بيت مشهور:

وأيضاً يستنفغ العالم بوجه
ثعال ابن عامي عصمة للأرامل

مقال ابن هشام إن أهل العلم ينكرونها له لا يخفى بها كلهما ولكن أكثرها إذ هي ذات طول. ولا بد لذاك من أصل وقد رواه ابن اسحاق عن مصادر روايته وابن اسحاق وثقه الشيخان. والذين روى عنهم ابن اسحاق عن جبل العرب الخليل ومن أخذوا عنه صحيحه ومنحوله يستدل به بلا ريب.

ومن شعراء العرب من لم يسلم ومدح رسول الله صل الله عليه وسلم الأعشى الكبير، وكلمه مشهورة:

ألم تغمض عيناك ليلة أرما:ـ

وأدخله بها أبو العلاء فردوس رسالة الغفران.

ووفد على رسول الله صل الله عليه وسلم بالشعة والزمام جامعة. ومن كان مع المشركين يهجو المسلمين ثم أسلم وسلم إسلامه ومدح الرسول صل الله عليه وسلم جامعة كأبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبير وكمبر بن زهير صاحب اللامية الغراء.

(1) أولاً فيها ذكرها:

هيل مـا أذن لأولـ عـذأـل
بـانـؤه في حن ولا عـددـ بـأطل.
وأوردنا البغدادي مشروحة فالة (طبعة بولاق) 1442 واعتمد على شرح السهيل في الروض الألف.
أما الأنصار فمع ما قدمه من أن شعرهم جزء لا يتجزأ من شعر العرب في أول الإسلام، فإنه كان مختلفا عن شعر الأيام والواقاع والمفاخرات بأنه كان ملتزمًا بالقرآن والدعوـة. كقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

إني تفسرت فلك الخبر أعـرفه
زاب النبي ومن يحرم شفعةـته
فثبت الله ما أنتـاك من حسن
وأنت لحسن رضي الله عنه:

نبي أنتـانـا بعدَ يأس وفترة
فأمسا مراجعة مستبـرة وهمادـاه
وأنـذرنا نارا وبصر جنـة
وأنت إله الخلق مبـكـر وفـهـلكـى
تعالى رضي الله عن قول من دعا

وقد اضطر شعراء قريش والمشاركون إلى مواجهة الدعوة بما يتقصون بها. وقد نهى الإسلام في أيام بدنه عن رواية أشعارهم، ثم لما ضرب الإسلام بجران تذوكر منها، من ذلك فإن مثلاً ما قول في رضاء قتل بدر (وقد مر الاستشهاد به أو بعضه وهو من الرواة المدونة بنوع من النسب):

قلت بالتـحيةـة أم بـكـر بـالسـلام
فحيوا أم بـكـر بـالسـلام
الآية أم بـكـر لا تـفـرى
وعـد أخي أبـيه وـكـان قرـما

فجعل شرب المدام رضي الله عن حـي وبدر فعل بالقوم الأفاعيل.

لا من مبلغ الرحمـن عنى
بأني تـالـك شـهر الصيـام
فإن صح هذا البيت له فقد جاء بالرحمة سحرةة ومغافرة، قال تعالى، وهم يكفرون بالرحمة قل هو ربي لا إلا هو عليه توكلت وإليه متاب وكان رمضان قد فرض.  

١٣٠
إذا ما النرأس زابل منكبه فقد شرع الأنس من الطعام
هذا على مذهبهم. قال تعالى: "وأقسموا بالله جهد أبيهم لا يبعث الله من بموت"
أبو عدنا عثمان بن سنحيا وكيف حياة أصادة وههام
هكذا رواية البخاري لبيت وكتبت أحسب أن رواية البيت ما في رسالة الغفران
أبو عدنا ابن كيبه، وأن أصحاب الحديث حوروا تأداها، وبعد التأمل أرى أن رواية
 أصحاب الحديث هي الصحيحة، وكانوا أهل دقة، وقد رووا من كلام المشركين
 ألقاها. ولم يكن اسم الرجل الذي نيزوا بمشابهة أقواله نينا عليه الصلاة والسلام كشبه
 ولكن أبو كيبه، لا يستطيع الوزن بابن أبي كيبه، فيكون الشاعر جاء به كيا رواة
 البخاري وكيا في السيرة. كان أبو كيبه في رواياته يعيد الشعر. وفي كتاب الله: "أما
 هو رب الشعراء - فشان مقال النبي صلى الله عليه وسلم إذ دعا قومه وقانون أبي
 كيبه. وقيل أبو كيبه كتب السعدى زوج حليمة، ويجوز، وهذا ليس ما ينبغي به
 أحد، وإشار أبي العلاء هذه الرواية ما ينبي ببعض ما كان يخامر به الله وعفا
 عنه، فقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسالة الغفران على لسان جبيه حيث
 قال:
فيا لبني بها من حسيب
فكل جبته بصل رديس (1)
أهرود لا يغفل حق الجليس
قدوس وحيا مثل قرع الطميس (2)
آمرولا يطلق شرب الكيس
يقبل فيها سؤلة من رئيس
مكية أقوت من بني البدريع
وكسرت اصناهما عناء
وقام في الصفو من هاشم
سمع بما أنزل من رب اله آدم
بجدل في الخمس ويشتد في
ويفرج المزاني ذا العصر لا
وقال حسان رضي الله عنه:

(1) كل جبت أي كل سنم المرودين أي يفقس
(2) أي مثل قرع النحاس
(3) الكيس: النبيذ، كان المعبدي يذكير بهذا عن أجاز شرب النبيذ.
عندنا في خيلنا إن لم ترها
ينبأعون الأئمة مصغيات
تظل جيادنا متمطرات
قالا لما دخلت خيل المسلمين مكة جعلت النساء تطمها بخمرين (جمع خمار
الفرد بكسر الحال وفتح اللحم ببعدها الفولاته بضمها) فكان هذا لما نظر فيه حسان
بعين البصيرة والكشف الهامزة التي منها هذه الأيوتى من جيد شعره مشهوره قال
رضي الله عنه:
إذا عرضنا على اعتمارنا
وألا فاصروا الجلاد بجمال
وجبريل رسول الله فاكبا
وقال الله في أرسلت عبدا
شهدت به فقوموا صدقوها
وقال الله في قدر سبت جندا
ألا أبلغ أبا سفيان عن
عنى أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهذا قبل إسلام أبي سفيان هذا
هجرة عمرو فأتت عنه
وعن الله في ذلك الجزاء
ويمكن أن يعتبر شعر الأنصار من حيث التزامه بدعو الله ودفاعه عنها مقدمة
وتتعدى لما أفحن فيه الشعراء من بعد من ضروب أساليب الشعر المدفوع عن مذاهب
الفرق والجناة وهم جرا
ثم أمر آخر كان شعر الأنصار به مختلفا عن أشعار الأيام والمفاخرات ولم تكن شعراء
الكثير قادرة على أن تجارهم فيه، وإن جارتهم في الدفاع عن قضائهما كنها، وهو التعبد،
وذلك لصدق إياهم الأنصار، واعتقادهم بحق أن ما يقوله تنصوهم به رسول الله صلى
الله عليه وسلم، مقربتهم إلى الله، وهو عبادة.
شعر الجواري الذي استقبل به الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:
نحن جنوار من بني الأنصار يباحذا محمد من جار.
مراد به العباد لا الله وهو إذ لا يخفى أن استقباله على الله عليه وسلم والإيذاج به عبادة. وكذلك قول النساء والصابان في استقباله بالنشيد: طلع البَرَّامَر علىنا
وجب الشكَّة علىنا
أتيتها المطاع
وقد سبقت الإشارة إلى وضوح معاني العباد في شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه نحو قوله:
لاهم أن الأجر أجر الآخرة
ولن تُصَرَّفوا ولا صلُينًا
نتابعوا خلقاً المخري في رسُوله
وقد حفظ له رجز بمؤته وبيده الرأية حتى استشهد:
أقسمت يا نفس لننزلني
إن أحب القيوم وشهدوا الرزنة
وكا قدمنا لم يكن شعراء المسلمون يستطعوا هذا المسالك، وإنما كانوا ينطقون بلسان الله من فريق، وهؤلاء كانوا أهل حمية لا دين. قال تعالى: "وما كان صلىهم عند البيت إلا مكاء وتغذية فذوقوا العذاب بما كنتم تكذبون [الأغفال]".
ألا ما كان من أمر أمية بن أبي الصليث الثعفي، وكان من قَرْنَاء، كفر قلبه وأمن لسانه. وشعره الذي يتدين به، من أجل ذلك، خال من حِرَاء انتفاس الإيابان الصادر عن القلب. ولعل آخر كلمة لهما روة من كلامه:
إن تغفر الله لكم تغفر جاً وأي عبّدت فلذا لا أتّـ
وإنا قلناه على حين لا تقبل توبةً، على الأرجح.
قال تعالى: "إنا نبأة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليها حكماً. ولست النوبة للذين يعملون السبائ حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعدنا لهم عذاباً ألياً".
وقال تعالى: "واتِلٌ عليهم نارًا الذي اشتباه يابانًا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغلوين. ولو شنتا لرفعتها بها ولكنه أخذ إلى الأرض واتبعه فلمكن كذلك، كمثل الكلب إن تحق عليه بلهث أو تركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذروا يابانًا فأقطع القصص لعلهم يفتكرون. سنة مثلاً على الذين كذروا يابانًا وأثنين كأنوا يظلمون". [الاعراف] فذكر أن هذه الآيات نزلت في أمر وقيل غير ذلك. فإن تكن في أمر الفن خبر قاطع في هلاكه وما كان قوله الذي قال إلا هؤلاء هم هؤلاء كلبه، كما يلهث الكلب، ونعوذ بالله من سوء المنقلب.

طروح السياسة

هذا هو الطور الثاني من أطوار الردة النبوية. وغالبًا، خلاف أن الطور الأول منه جانب سياسي - إذ أن جانب التعد والجهاد لإعلان كلمة الدين هو المعنى والمقصد الأول - وما سواء فرع منه، إذ لم تكن السياسة نفسها تنفذ إلا فرعًا من إقامة الدعوة - وهما يشهد بهذا مما مار من كلام حسان، رضي الله عنهم، في الهمزية وكلام ابن رواحة رضي الله عنه. ونحو قول كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم في سورة التوبة، رضي الله عنه:

فإذن تلقينا إلينا السلام تقبل وإن تابنا نجاهاهما وتصرعنا رأوفنا هو الرحم كان بنا رؤفًا ونجعلك لنا عضدا وريقا ولا يك أمرنا عضيفًا وطيع نبينا وتطيع ربيا.

وأختلف هذا الطور عما قبله كأنه في أن مذبح الراشد لله عليه وسلم، مسند به جانب نصر دعوة سياسية بعيداً؛ هي دعوة آل البيت وشييعهم الذين كنا برون أن الإمامة لا تكون في حي سواهم إلا غصبا إذ ألم الحق.

مدح الراشد لله عليه وسلم في شعر هؤلاء كان مذهبًا لسماحه به مذهب الاستناد بدعوته توسطون فيه به ليكسرهم الله على من غصوا على حقه، فهذا جانب ديني تبدي، وكان مذهبًا لي أيضًا مذهب استنهاض هم المسلمين لرعاية حقه ومن حقه أن يحفظو عهد الله إليهم في أله إذ قال سبحانه وتعالى: «قل لا أستلوكم عليه أجرا إلا المودة في الغني» - وأن يجاربوا من حاربهم - ولا يروا أحدًا صالحًا للإمامة غيرهم وهلم جرا، فكل هذا جوانب سياسية.

- 34 -
الكيميتي بن زيد الأسد يصاحب الهاشيميات أبرز من مدخ رسل الله صلى الله عليه وسلم عليه هذا الوجه السياسي. ولعل من رهاب حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكون مشهورًا له فمن سبقوه كأبي الأسود الدؤل وقد روى له قوله:

قيقُول الأرذلون بن قشیر
أحب محمدًا حبًا شديدة
فإذ يك جهيم رشدة أشد
ولست بمخطيء إن كان غياء

فقد شمل بحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب له لم يعقبه ولعل رضي الله عنه. ولم يكن حسان رضي الله عنه من عرف له شيع، وكان في حب لعثان أمير المؤمنين

رضى الله عنه، وقد رثاه بقوله المشهور:

ضحاوا بأشعار عنوان السجود به يقطع الليل تسبحًا وقٍرانًا

غير أنه في رثائه رسول الله صلى الله عليه وسلم تجد له أنفسه حزن شديد لعله مستمد من شعور الأنصار أنهم قد غلبتهم قريش على أمر رئاسة الدولة الإسلامية وسياستها بعد بيعة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه يوم السفينة وأنصار الناس عن سيد الخرج

سعد ابن عبادة رضي الله عنه قال رضي الله عنه:

ما بال عينك لانتنام كأنها
يا خير من وظي الحصى لابعد

المهدي هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا البيت من أقدم ما جاء فيه هذا اللفظ، وهو ليس في القرآن، ولكنه ورد في بعض الحديث

وجهي يفيق البدر لفسي ليتني
في بقع الغرق

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بقع الكهف
في بقع الدهر.

في بضع وفاته مبتعدًا وتلادة

تلتادًا يـلا ليتني لم أولـد
هذا الشعر شديد انتعاك العاطفة لتأمله. وحسان الذي يقول «يا ليتيني لم أولد» كان إذ قال هذا ابن سبعين سنة أو زاد عليها:

أقلم بعدك بالدمينية بينهم
في روحه من يموتنا أو في غد
محضا ضابئه كريم المحتد
ولدته محصنة بسعد الأسعد
من يد للنور المبارك يهتد
في جنية تنب عيون الحسد

فهذا تعرض بمن يكون حديث عهد بالإسلام وفي ضيمر الأنصار عداوة، وقد حف أهل الردة بالمدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بقليل فلما هدى الله إليه سيدنا أبا بكر من التشمر، ولكن الله سلم، وما النصر إلا عنده الله، إن الله عزيز حكيم.

باذا الجلاب وهذا العل والسعود
لا بكت على النبي محمـد
بعد المحب في سناء الموحد
سودا وروهم كل من الإثمد
وفق هم نعمته بنا لم تتحد
أنصاره في كل ساعه مشهد
وطيّبون على المبارك أحمد

هذه القصيدة من نفس شعر حسان وجيهه. والأمر على ما صار إليه أمر الأنصار
على كا ترى. وفي شرح هذ البلاحة شعر ساسي ذو لهجة شديدة منسوب إلى حسان
-تتناول رجال قريش ونسب بعضهم إلى نوع من حياء الجاهلية كقوله:
وعكرمة الشابي لنا ابن أبي جهل

وهذا الشعر منحوت. ونما يكون جرأً على انتقاله وانتقال أمثال ما في هذه المره (1)
من مستكن معاني السياسة مع ما هي مشتملة على من اللوعة والحزن العميق. روى
أبو عبيدة بيت يا وبح أنصار النبي إلخ هكذا:

(1) لا نعلم أن المريحة منحوتة. كلا، ولكن صحتها جرأت من يتحلها خذوا على نموذجها.
وقيل أفرطت بل قصيدت ولو إليك يا خير من تضمنت اللى
(أي العائرون بفتح العين المهملة واللياء)
لجه تفضيلة اللسانو ولون أنت المصفى المخصوص المذهب في الرأى
ولو كان لم يقل فيه على السلام إلا مثل قوله:

وبوركت قبر أنت فيه وبوركت وقذفت به على ملتهما ونائلا
فلو كان لم يمدح عليه السلام بهذه الأشعار التي لا تصلح في عامة العرب لما
كان ذلك بالمحومد، فكيف مع الذي حكنا قبل هذا؟! هه كلام الجاحظ.

فلت وماخيقي عن الجاحظ مراد الكعبة وهو القائل:

يا خياب هذـا والمشرورين أخـب
وطائفة قالوا مسنا ومذنب
فالكيمي لا يعني أنهم يعيون مدده المصطفي عليه السلام، ولكن حبه آل
البيت وغله في ذلك، وهو بعد القائل:

أهـوى عليـا أمير المؤمنين ولا
ولأقول وإن لم يعطيا فـدكـا
لىـه أعلم ماذا يضرـان بـه

فهذا الذي كان ينكر الناس على الكعبة لاحظه النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يمدح له، ومراده غير خاف، فالذي عاطبه به الجاحظ على هذا فإياها.
أما عليه عليه «لقد غيروا بما إلغ» أنه كا يمدح به الرجل الكريم من عامة العرب، فهو أيضا
في نظر، لأن الكعبة ما عدا أن اتبع حسان في مرضه الجيدة، حيث قال:

بلاد ثويا فيها الرشيدي المسدد
وبوركت يا ملك من صفح مسدد
عليه وقد غدار به ذلك أسد
عشبة عليه الفنر لا يسوـد
ودخلت منهم ظهور وأعضاد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبهم
بكلون من تطي السموات يومه
ولعل عدلته بسما رزية هالك
صل الله عليه وسلم.
والعجب لابن قتيبة قال: وهذة عندى قصة الكميت في مدحه بني أمية وأبل
طالب فإنه كان يتشبع وينحرف عن بني أمية بالرآئي وهوى وشعره في بني أمية أجد
منه في الطالبين.ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطعام وإيثار النفس لعلاج الدنيا
على أجل الآخرة! هذ.
وزعم ابن قتيبة أن الكميت شديد التكلف في الشعر كثير السرقة. ولو كان هذا
حقا ما كان شعره ليعجب لفرزدق في الخبر الذي روى، اللهم إن أن يكون الخبر
مكذوبها وهذا بعيد. وما يعجب لأمر من كلام ابن قتيبة أول شيء قوله أبل أبي طالب
وقوله في الطالبين والكميت نفسه يقول:
ياوحي أنصار النبي ونسله بعد الغيب في سواء الملحد
استشهد به في موضوعين أو ثلاثة من مجاز القرآن. ونسله ورهطه كناها روي
ومقارتانا المعنى إلا أن نسله أخص والمعلني ياويح أنصاره ورحي نسله أو رهطه ويوز
ياوحي أنصار نسله أو رهطه. وإن يكن أبو عبيدة قد كان كيا زعم بعضهم به ميل إلى
رأي الخوارج فرواية نسله أشبه إذ ذلك لانتجاوز فاطمة رضى الله عنها وكان باقاه بعد
الرسول صلى الله عليه وسلم قليلا. وما كان أبو عبده ليستشهد بهذا البيت في تفسير
القرآن ونسبة إلى حسان إلا وهو من ذلك على ثقة.
كان في أكثر الأنصار ميل إلى علي كرم الله وجهه وقد أصيب المسلمون على أيام
يزيد بن معاوية بوقت الحسين رضي الله عنه ووقعية الحورة. وقد جعل الكميت من
صلى ما بين الأنصار وأل البيت حجة يجادل بها - قال:
ورافقوا ورثناها أبانا وأمنا
ولكن مواريث ابن آمنة المذى
فنحن بنو الإسلام ندعى ونسحب
لقد شكلت فيها بكيل وأرحاب
وكان لن عبد القيس عضو مؤرب

٣٨
بالسياق النابض بالواقع وتحديداً عندكم سبيلاً وقعبلاً
وعلى أرضنا بادعائها وشفاعة
وولاية انها تبردها اذ اناس غيب
عليها بأطراف القناعات وتحتدها
فإن ذوي القربى أحق وأقرب

علم إن زمن البربر ونافعاً
وشاط على أسماعنا بادعائها
ولا فقيرولا غيروا تصرفوا
ولم يكن الأنصار عندها بمعزل
أوهما حيره أشر وأشبلوا
فإن هي لم تصلح تحقم سواهم

في هذه الآيات من البائعة طارمت ما شرقت إليها البيض بعضه البين لما نقدم
ذكره في أمر المزيج بين محلة صلى الله عليه وسلم وقضايا السياسة التي كانت تلزيم
عليها الفروع أئمة الدولة ونافع وسبيلاً وقعبلاً هؤلاء من زعماء الحوز وكنون
تقديم السلاطين للإمامية لباشرتها فكونه فرساً. وكان يقدم في الورش صل
الله عليه وسلم في قوله: «بص اجتمعت أسناه» لا يخفى. وهذا يشبه قول الآخر:

لبلحقيه بذى الحسب الصرم
إذا افتتحوا بقيس أو قيم

دعى القوام ينسر مددته
أي الإسلام لا أبل لإسماه

قال الجاحظ في كتابه الحيوان:
ومن النبي الدخا الذي لم أر قط أعجب منه قول الكمنية بن زيد وهو يمدح
النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان مدحه لبني أمية لجأ إلى يعيبه بذلك بعض بني
هاشم، ولو مدح به بعض بني هاشم لجاء أن يعيبه العامة أو لو مدح به عمر بن عبد
لجار أن يعيبه المختار، ولو مدح المهله جاز أن يعيبه أصحاب الأحلف - فأنا مدح
النبي صلى الله عليه وسلم فن هذا الذي يسوى ذلك حيث قال:

فاستنذب الشوق في فأديالاً والشعث
لى السماج الدي أحمده لا
عنده إلى غيره ولدأ رفع النَّـا
(هنا كا تاري شيء من التضمن)
بني هـاشم رهت النبي فإني يهم وله أرضي مـوارا وأغضب
فلم يقسمهم إلى طالبين وغير طالبين وقد ذكر سيدنا العباس "عم نبينا" صلى الله عليه وسلم فـ قد أسـاء ابن قتيبة في هذا التخصيص الذي الكميت بريء منه، ولا ريب، كان الكميت يدافع عن قضية آل البيت ويرى على كرم الله وجهه احق الصحابة بالخلافة فهذا قد مرت سادة بني العباس الخلفاء من بعد المنصور على إنكاره وحل من استطاعوا خلبه على القول بذلك فقالوا:

أني يكـون وليس ذلك بكـائن لبني البـانات ورائـة الأعـام
فصار شعر الكميت ولا سيما هاشماته مرغوبا عنه لديهم. فهل جاء ابن قتيبة بمقاله هذا مصانعة لأهل الدولة؟ والذي صنعه الجاهز قريب منه، والجاهز أقوى عذرا إذ كان من رجال الدولة أقرب.

وأما يزيد العجب عجبا أن ابن قتيبة حين استشهد بها قال هو إنه يستجد من شعر الكميت، لم يجيء بشيء ما قاله في بني أمية إلا قوله في هاشم:
مصيـب على الأـعود يوم ركوبه لما قال فيها غطى حين ينزل
وهو يذمه به من اللامية الهاشمية التي ذم فيها بني أمية فقال:

ولعل دمـاء المسلمين لــديهم
وجاء بأبيات من البائسة فقال ويستجد له قوله في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم:
لقد شركن فيـه بكيل وأرحب
وكان لعبد القيس عضو مؤرب
إذن فذوـو القربي أحق وأقرب
ونه يم تصلح لـي سـواهم
الهجرة. وكتاب الإمامة والسياسة إن كان حقًا من تأليف ابن قتيبة يشعر بعميل فيه إلى
علي كرم الله وجهه. ف يكون ما ذكره عن الكهية من باب النقد والله أعلم.
واستشهد على سورة الكميت بأبيات من راثته في بني أمية. وقد زعم أنفًا أنه كان
يجيد مدفعه، وأي جودة لما هو سورة بينة تأمل. وأنا الرأي الآخر.
كان الكهية شاعراً جيداً وهاشماً وبه في آل البيت من روائع شعره، وقد كان
اندكت به صريح ملك بني أمية. وقد قتل من أجلها وتذرع إلى ذلك بخصيته لمضر
وهجاته لقبائل اليمن في الكلمة النونية التي يقول فيها:

فأنا أعني بـذلكل أسفيكم
ولكي عنيت به الحذوينـا

وقد صرح بعض شعراء الشيعة بعد الكميت بجهة الصحابة، فعل هذا مثلاً
السيد الحميري فكان ذلك مما جعل الناس يتفرون من رواية شعره، إلا من كان له في
ذلك هو.

وقد حبيت الهاشمية الناس في الشعر الحزين الذي يذكر مقاتل أهل البيت وما
أصبرنا به من قبل طغيان بني أمية. فصار القول في ذلك كأنه طرف من مصدح رسول
الله صلى الله عليه وسلم.

كالذي أشتهر من أمر ذاكرة دعاء الحزاعي:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وجي مقفر العرصات
دبيار علي والحسين وعجفر
وجزة والسجود ذي القناتـات

قال عبدالله بن المعتز وهو صاحب القصيدة:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وجي مقفر العرصات

والذي هو أشهر من الشمس ولا حاجة بنا إلى تضمينها ولا تضمن شيء منها، وهو
صاحب الثلاثة الأخرى التي ألها:

طوقك طاشقة الملي ببیات
لا تظهرني جزأًا فأن بیات
في حب آل المصطفى ووصيـه

41
إن النشيد بحب آل محمد
فاحش القصيد بهم وغفرا، فيهم
واقطع لدانة من يزيد سواهم.
وهي أيضا طويلة مشهورة فتركتا إيرادها.

ولم يكن ابن المعتز تخلو من نصب ما ولم يسلم من طهوة وتمريض ما في ترجمته
لدلاء، وهو معذور إذ هجا أجداده. وزعم المعري أن دعية كان في تسنيمه كاذبا.
فالله أعلم أي ذلك كان.
وعلى طريق دعابة في الثانية سلك ابن الرومي في الجميلة:
أماك فانظر أي نهجك تنتج
وفيها معا أمل التربك والنفس السياسي، وتكن المعرى يزعم أنه كان كاذبا إذا قال
إنه عل مذهب غير من الشعراء وهذا أخف من مقاله في دعبل إذ قال: هل بحلفني
الشك في أن دعبل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع. [ص 420 رسالة
الغفران]

الطور الثالث
وهو طور التعبد المهيد. نعني بالمهيد أنه قد كان توطنأ لطور نضج القصيدة
النبيوية، وصار حينذاك الناس يعبد بها طريقا مهيرا.
ويدخل في مجال شعر التعبد أصناف كثيرة كلها يصح أن تعتبر من قبل التمهيد
لقصيدة الدمع النبوي الناضجة. منهن ما كان في الصدر الأول. وقد أورد صاحب
أسباب قريش شعرها كثيرا لعباد قريش، مما يشهد بأن أمر الروحانيات في شعر العرب
قديم.

وفي التقادف، ولع أن يجعلوا بداية الفكر العربي والإسلامي كله من عند القرن
الثالث، يحكون في هذا المستشرقين. وإنما أي المستشرقين من إصرارهم على أن يجعلوا
أمر تطور حضارة المسلمين شبيها بما كان من تأريخ النصارى، إذ مرت مائتان من
السنين قبل أن تلتقي أمر النصارى وأنجاهما على نهج واضح. فلزم أن يكون
أمر المسلمين وحضارتهم كذلك.
فمن هذين مثالا جاءت قصة التفرقة بين الزهد والتصوف والأوصاف المعنوية
واووصاف الحسية إلى آخر الباطل الذي يسرف فيه المرفون. ولما يطلب المسلم
معاني الروحانية وشهد أنوار الحق عبر وجل من الهند ومن اليونان ومن الفرس، وعنده

- 47 -
كتاب الله سبحانه وتعالى يقرأ فيه: "ولا جاء موسى ليقانتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراك ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراي في الجبل جعله دكا وخر موسى صفاً ويقرأ فيه: "إذا أخذ ربك منبني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألمت بربكم قالوا بل شهدنا وقرأ فيه: «سبحان الذي أسرى بعده» وقرأ فيه: "فوجد أبدا من عبادنا عائتيما رحمة من عندها وعلمناه من لنا علمًا. قال له موسى هل أبت عك على أن تعلمن ما علمت رشدا. قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصر على ما لم تتخ به خبرًا وقرأ فيه: "قال الذي عnde علم من الكتاب أنا عائتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فإنه راء مستقر عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونوء أشكر أم أفقر؟ وقرأ فيه: "إذا أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقرأ فيه: "ما كذب الفؤاد ما رأى. أقتراحونه على مايرواه. ولقد راء نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشي السدرة ما يغشي. ما زاغ البصر وما طغي. لقد رأي من متابه ربه الكبير... وقال تعالى: "هبستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا».

يدخلي في مجال التبع نهو قول الراجي:

الحمد لله الذي أعفاني وكل خير صالح أعطاني

رب المثاني الآي والقرآن

وقول الآخر:

حلفت بالسمع اللواتي طولت وبالمطواة التي قدثنت وبالموافق اللواتي قد سبت

وهذيهات أبى العنيفة على ما قيل فيه وذهبيات أبى نواس وأشعار أهيل العقائد

والتصوف كشع الخلاح وما يروي له:
بكل حي وصف وصف كل حي
وظاهراً باطناً تبدى
بكل شيء لك كل شيء
بكل جملة الكل لست غيري
إذا إلى
وقد فشلت أساليب أهل التصوف التي في أشعارهم وأدعيعهم حتى تطرف
باستيعالا الشعراء قبل زمان الخلافة وبعده وقد جاءت من أشعار المولدین في شعر أبي
نواس مثل قوله:
خلقتم لي اداً قبل طيتمه
فقَدْ دمتْ بخطوته القبل
وقد عاصر الجاحظ أبا نواس وذكر أنه أسن منه وقد ورد ذكر المتصوفة في كلامه
مرات.
و في شعر حبيب:
لا تسقني مسأة الملام فإني
صب قد استعبد ماء بكاثي
وتقدم الحديث في هذا وما بمجراء، وقد ذكرنا من قبل نار الأحية التي كانت
تشاهدها بصائر القلوب، قلوب العاشق من لدن امروء القيس إلى جبل إلي أبيات
عيد الله حيث ذكر حب عمة فقال:
تغلغَ حباه لم يبلغ شراب
ولا حباه ولم يبلغ سرور
وفي أبيات الخلافة الحبل.
 وأصاب المرء إذ لم يعد أن في أبيات الخلافة معنى
جديداً حقاً إذ الناس كأ قال قد عبدوا الحجر.
فهذا بلال ريب من عنصر تفهم حلول
الله فيه.
و يبلغ هذا الضرب مقال فرعون: "أنا ريك الأعلى".
و أكتفي أبو العلاء بوقدة عند صياغة الأبيات، قال: فلا بأس بنظماً في القوة
ولكن قوله "إلي" عاهة في الأبيات يعني "إلي" بكسر الياء، وأبو العلاء يقول أن هذه
قراءة حرة في: "هما اتم بعصره"، فانصرف شيء من ختام خفي من نقد الخلاف إلى
الطعن في قراءة من السبعة التي اختارها ابن مجاهد والقراءة كأ قال شيخ النحو في
كتابه في السنة، فهذا يجعلها بلا ريب ينتج بها لا عليها. أحسب أن لو كان أبو العتاهية على زهدته بشيء من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع إدمانه قرع باب الدينانية من طريق التذكير بالموت لكان ذلك دخلها من ذلك بركة وفؤد، و وسلم إذن من تهمة الزندقة التي اتهمها بها بعضهم، ذلك إذ رجح أنه زعده الموت دون البحث كأنها أمر في نفسه كفياً، وقد احترق أبو نواس في زهدته إذ يقول:

لا يتجلى الخبراء من خبردرما الا أمير ميقاتان راجح

جعل مكان المديح النبوي يقفي في النفس متصلاً بالعبادة مستقلاً عن السياسة والتنشيط. وَما قوام أن أساسه ودمعته حب النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر ذلك من أمر الكتاب والسنة قرب. قال تعالى: "قل إن كنت تحب الله فاتبعوني يجيبكم الله وبيفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم؛ والانباع لا يصح بلا حب، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطريق للمعرفة، والمعرفة لا تتم إلا بعون الله وتوافيقه، ورأس الحكمه مخافة الله، وافتحوا الله وياكلكم الله، ولا يعرف الإنسان نفسه إلا بالحكمه، فإذا عرفها أحبه الحب الذي يرضيه الله سبحانه وتعالى، فلست عليه شهواتها فصيرها هو عن سبيل الرشاد. و سبيل الرشاد السنة، ومن زعم أنه يتع السنه وليس في قلب حب النبي صلى الله عليه وسلم فهم غير صحيح الإيمان، لأن الابتعاب بلا عمبة هواء. فسأَل الله الهدية إنه سمع قريب مجيب، وما يشيد بأن أمر المديح النبوي قد قوي جداً وأن تعلق الناس به قد كان شديدًا على زمان أبي العتاهية وابن نواس مقال الجاحظ الذي أنكر به ما أنكر على الكريمة بن زيد حيث قال «فأنا مدح النبي صلى الله عليه وسلم فمن هذا الذي يسبه؟».

ويذكر أن أبي الطيب سُلّم لم يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أي ف ذلك فاعتذر بأنه قد جر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصر على أن يبلغه مدعه أو بشيء من هذا المعني، وقد رأيت في أحد دواوين أبي الطيب بيته له في مدحه صلى الله عليه وسلم أو الاعتدار عن ذلك، وندرك موضعهما من بعد.

وقال الشيخ يوسف البلحاني رحمه الله في مقدمة المجموعة النبهانية في المذاهب النبوية (طبعة بروت في الطبعة الأدبية سنة 1320ه) في مقدمته لها في الفصل الثاني (ص 17): «قلت بعض الأدباء إن سبب عدم مقدح البعض من مشاهير الشعراء كالتنبيء وأبي تمام والبحري للنبي صلى الله عليه وسلم إنها هو علمهم أنهم عاجزون...».
عا يليق به صلى الله عليه وسلم من مدح فتركوا مدخه أداه معه عليه الصلاة السلام

اهم أقول لا شك في عجزهم لا يليق به صلى الله عليه وسلم من مدح وعجز الناس كافه عن ذلك بل عجز الخلق أجمعين عن معرفة فضائل السيد المرسلين وكنه كفائر جيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه엘جة إله صلى الله عليه وسلم أن نحمده تعالى ونشكر ونتبن عليه مع عجزنا كمال العجز عليه عليه وسلم أن نحمده تعالى كي قال صلى الله عليه وسلم وهو سيد الخامدين والشاكرين والذين على الله تعالى لا أحسب شاء علية أنت كأثبت على نفسك. وكم مدح النبي صلى الله عليه وسلم نظرا ونيرا من أمة أمه من الصحابة فمن بعدهم سادات أجيال الواد منهم أكشر أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة بيا يليق به من ملك الأرض مثل النبي وأمثاله، ولكن السبب الصحيح الذي أراه لعدم مدحهم له صلى الله الصلاة السلام أن مدحه من جملة الطاعات والعبادات يحتاج لتوافق من الله تعالى للعبد حتى يتيسر له فعله، وؤلاء وأشياءهم لم يوفقوا هذه الطاعة العظيمة لعدم تأهلهم لها بسبب ما انتصروا به من أخلاق الشعراء من نحو ترغلهم في الكذب مبلغ العبارات في المدح إن رضوا والذمن إن غضبوا، فضلا عن تعديهم على أعراض الناس وقذفهم المحصات والتشيبي بمعين النساء والغلالان ونحو ذلك من السفاهات وكفى بذلك مانا لهم من مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ما لم يشروا إلى الظلم والثور ضدان فتى أن واحد لا يجتمع وكونهم من أكابر الشعراء لا يفضي تأهلهم لعبادة الله بمدى عهده وله وحبه الأكرم صلى الله عليه وسلم، فإن نرى كثيرا من الأغنياء لا يجرون ولا يركون ولا يتصدقون، ونرى بعكسهم كثيرا من الفقراء كما نرى كثيرا من الأقوياء لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون الليل، ونرى بعكسهم كثيرا من الضعفاء وما ذلك إلا بسبب توفيق الله تعالى للكثير من الفقراء والضعفاء، وعدم توفيقه للكثير من الأغنياء والأقوياء، فذلك يقال هذا يرحم النبي وأمثاله من الشعراء من هذا الخبر العظيم في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ويزفق كثير من العلماء والصالحين من بضاعتهم في الشعر قليلا لتوافق الله تعالى لهم. اه. الفصل الثامن (ص 19).

مقال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في جملته لا غبار عليه. غير أنه ربا صبح عليه الاستذكار في أشياء، سوي الذي سبق من زعموا أن المديح النبوي طور خلص
إليه خلواصاً أخر الأمر بعد أن خبت جذوة القصيدة المادحة وما أشبهها وما هو من سننها كقصيدة الفخر وشوكية الحال والمزايدي الحسان: من ذلك أن طاعة الله في غير عزائمه التي جاء بها الكتاب وهدته إليها السنة واتباع عليها أمر العبادة والعمل الصالح، باب واسع. وأن هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين ذكرهم، أبا تمام وأباد عبادة وأبا الطب، كانوا أهل جد على وجه العموم، وأمرهم في دينهم أعلم به خالقهم، ولعلهم فائزون برضاه. وقد خدموا بشعرهم رؤساء وأمراء من أهل الجهاد والذون عن حياض الإسلام. وروح الجهاد في بانة أبي تمام: السيف أصدق أبناء من الكتب.

جلياً لا تحتاج إلى دليل - وفيها يذكر وقعة عمورية:

أبيت جد بني الإسلام في سعد
والشركين ودار الشرك في صبيـب
وفيها ما في توكيد عن الجهاد:

لو كان بين صروف الفهد من رحم
معوصولة أو ذمام غي منقضب.
فبين أيام بـدر أقرب النسب.
والمدخ المستكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم هنا كما ترى
وقال في مدر الحليفة وما مدحه إلا بالجهاد هنا:

ولـو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منعفراً
لم تعـرـج على الأوتاد والطنب.
وقال في كلمة مدح لها عمر بن طرق فصرح في أثداء مدحه بـمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر أن له بهـ لو اقتدى بسته أسوة حسنة:

لك في رسول الله أعظم أسوة
أعطي المؤلفة القلوب رضاهم.
فقوله "أعظم أسوة" هو شاهدون همها.
وقال في راحة مقتل الأشخى:

هذا الرسول وكان صفوة ربه
مابين باد في الأئمـام وقـاري.
وقال في إحدى مدائنه:

سلام الله علیه وسلم خبر
علي ابن الهيثم الملك اللبـاب

وأرى أنه أخذ هذا الأسلوب في التسليم من طريقة الصلاة والسلام في المدح النبوي
وأن ذلك في النبويات المتعددة كان معرفة شائعة في زمانه. وعلى أن هذا المذهب له في
العربية أصول قديمة كما في قول الآخر "ألا فاسلمي ثم أسلمي ثم أسلم" ولكن
قوله عدة كما وعدد كما مذهب نبوي والله أعلم.

وقال البحترى:

إن لم يبلغك الحجيج فـلا رـمـوا في الجمـهـرـة وـلا سـقـوا في زـمـم

فهذا دعاء من قلب مسلم وقد سبق مـنـا القول أن نفس هذه الدياحة للبـحـترى مـا
اقتدي به مسـرح الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بعد وقـال:

ما بـزرت من الـصـففـوـف وكـروا

وإنها ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن المتوكل برز في برـد النبي صلى الله عليه

وسلم - وذلك قوله:

ويزرت في بـرد النبي مـذكـرا بـاللـه تـنـذر تـثـارة وتبـشر

فالفقد صدر البـحـترى هنـا إلى مـدح النبي صلى الله عليه وسلم ضمنا، كما تري، وإنها
جعل مدحه الخليفة فرعه من ذلك وطرفا وقال أبو الطيب في سيف الدولة:

فهـذـا الـذـي يرـضـى المكارم والرـبا

وقال:

هنـئي لضرب الـهـام وطـعنـم في العـدا وراجيك والإـسـلام أـنك سـلم

- 48 -
قال:
أرى المسلمين مع المشركين
قليل المرة كثير التعب
وكان البري بن أبي بكر وأب
وأنتم في جنب
كأنك وحدك وحذدتـ

وقال:
فنهنـا خالفهم سجداً
ولو لم تفت سجداً للصلب

وشعر الملتحي في الجهاد المقصود به رفع رابية الإسلام وإعلاء كلمة الشهادة كثير،
وصدق روحه فيه يشهد بأنه ما أراد به الدنيا - وذلك وإن لم يصر فيه بمدح النبي صلى الله عليه وسلم فقد صرح فيه بنصر دين الله، وذلك نصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فنأمل أن يدخله ذلك في زمرة من غزوة ونصروه. وإن يكن إساءة في بعض أمره، كلاً ما انتبه به من دعواته في صيام، وكفوله بمدح أحد الأشراف العلوين:

وأبلغ آيات التهامة أنـه أبووك وأبى مالك من مناقب

ما اضطرته إليه مذاهب المبالغة المفرطة، فقد أحسن في جهاده كل الإحسان:

مثلا قوله:

خلِّله المرج منصوحاً بصارخة 
له النباب مشهوداً بها الجمع

وهل تشهد الجميع إلا بإعلان النداء وفيه الشهادات النبات هما ركن الإسلام الأول؟

و بعد فقه الإنسان ما يقصده. وهؤلاء الثلاثة قد فرغوا بأنفسهم للشعر وأبلغ مقاله مستمد من صميم بيان العربية الذي يدرك به أمر معجزة بيان القرآن ولن كأن الذي

وقع لهم من الحكم والأمثال - وما منهم إلا خلق الله فضل بين.

وقد جاء أبو العلاء بقطعته نبوية في لزوماته أولاً:

دعـاكم إلى خير الأمور عمـد 
وليس العوالي في القنا كالسواقل
وأغلب الظن أن قومه كانوا يعجبون من أمره شاعراً يتحدث في ذم الدنيا ولا يمدح رسول الله عليه الصلاة والسلام - فقد مدحه في رسالته الغفراً وهنأ ونونته في سقط الزند:

عللاني فإن بيض الأمناني فنيت والظلام ليس بفاناني

فيها من روح المديح وإن كان جرى به على وجه من وجه الميل إلى التشيع وهو قوله:

أحد الخمسة الذين هم الأخر شر في كل منطق ومعاني

ومن أقدم مدائح العبادة راية الزغشري (توفي رحمه الله سنة 538 هـ) التي مطلعها:

قامت لتنعيم السير ماضي أن بها وؤمر عزمي باتم

شامت عقيدة عزمت فحيتها رعد وعيناه السحاب الماطر

وهي في جملتها من فصيح الكلام وفيها أبيات جياد وعواطف طيبة وصدق تجود معه المعاني.

والزغشري قد عزم على هجرة أوطانه إلى بيت الله الحرام لا لأداء الفرض وحده ولكن للمجاورة عند البيت الحرام بعد أداء الفرضة وزيارة القبر الشريف. بدأ الزغشري كلمته بحجة أعلن بها تحديه لطارع وفخور عليها بأنها إن تلك ظبيه فهو ليطير. ثم أمرها أن تصر. ثم خلي سبيلها غير مبالاً تقول عنه في شكواها. وما يلمع الزغشري من أن يكون ضمن مضاهمة هذه معنى الدنيا وزورته غير أنه رحمة الله ما كان يغفو من جانب خشى إلى النساء والرفيق بين ما أمر به مدى قبوله سبحة و تعالى:

وعاشوهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسق أن نكرها شيئاً وجعل الله فيه خيراً كثيراً من تعميق الزغشري لطارع، وينبغي أن نحملها معنى الدنيا، تحتي يتم عندنا إن شاء الله معنى إعراض وتشتيته:

حتى روياً لا تـُـيـِـــر لظبية وشامها لئيل العرين الزائر

سياكلها إن كان جائماً وإلا فإنه سيرف - ففعلك أن تلمح في المعنى هنا بعض الاضطراب

50-
أرخي قناعك يا فاضر وامسيح
عينيك صَابرة فإنَي صَابر
هذا البيت مثالاً على رقة، ومصدره قناعة "أرخي قناعك" فإذا إن تكن من يجل له
فكتشِفها قناعها أشيبه بحالة الطبيعة، فية يكون أمراً إياها بإغادفة القناع وار Hạ
إغادفة إلا أن وجهها وعينها أثرت فيه، فلذاً بهذا الأمر الذي ظاهره خشونة وباطنه
رقة. وإن تكن مورماً فهو زجر دفعته إليه رقة مستكن الحب، حب الأخت والأم
المحم، والعرب كانت ما تذكر بناها وما إلى ذلك في باب السفر كقول الراعي:

قالت خليدَة معيشًا ولي تكن
أهليADF إن أباك ضاف وساده
وقال الأشعى:
تقول إن بني حين جدد النحيل
أو نـاء سواء ومن قد يتم
واللغشي من أعم الناس كان بالعربية وبالشعر
لــو أشتهيت عبرات عينك بلجها وتــرضت دون فُـئي عـاـبر
أخذ هذا من رائحة وضاح اليمين، ولكنه أخذ جيد وجانب العاطفة فيه قوي
إلى لـذو جـد كـا جـبنتي
صلب وبعض الناس رخو فاتـر

وقع في الطبع خطأ إذا هو هناك فإنني لذو وجد كا جبنتي صلب، وهذا لا يستحق به
المعنى وإنها هو لذو جذو وهذا البيت كأنه أراد أن يستمر في معنى ليب العرين
ومضاء العزم، ولو كان تبه للأمر رحمه الله لكان قد تبين له أنه قد فوغ من المعنى كله
عند قوله "فُئي عابر" فإن زام زيادة بعد ذلك فإنها تحسن إن جاءت غنائية محضة، وهذا
باب فل من يحسن طرقة، بله أن يؤذن له مثلا قول البحтри:

إني وإن جـبنت بـعض بطـالى
ووـثوم الـياـشن أنـي مـقرـب
ليوقتي سحـر العـيون المـجلت
ويـثـوقتى ورد الحدود الأـهر
في البيت الأول تام معناء، ولكن الشاعر احتال عن النغمة يجعله شرطاً يحتاج إلى
جواب، ثم لا أنتم المعنى والغناء معا صرف شعرو إلى المدح إذ لم يبق في الذي كان
بصفة من زيادة ليستزيد، وقال أبو تمام:

- 51 -
إن كان مسعود سقي أطلالهم
سيل الشهود فلست من مسعود
فهذة نهاية تشعرك أنها آخر الكلام، ثم إذا بالشاعر يزيد معنى آخر يغني به ويترنف
ويفتين
رحلوا فكان بـ كـ ايا حولا بعدهم
ثم ارجعون وذاك حكم ليبد
فهو من ليب لا من مسعود، وعني به ذا الامة أو عنى به أخاه لقول ذئ الامة، كـ ما مر
بك أيها القارئ الكريم من قيل:
قد جمعت أخت بني عيسى
وهلكت منى ومن مسعود
رأيت غلامي سفـ ر بـ يـ اـ
يـ كـ يـ رعـ ان الليل ذا السـ ود
مثل أدع وليمج جديد
وقد جاء الزخشري بعد البيت الذي زعم فيه أنه صلب وبعض الناس رخو فائر بأبيات
وبسط هن قوله:
إن عن لل أمير فلي عن رفضه ناه وـ بالـ الـ قـ دـ ام وـ فيـه آمـ
وعني أمرة من الجد ولكن عبارته كما ترى عامة فلا تفيد الدلالة القاطعة على معنى الجد
الذي هو مراده إن شاء الله. هذا وبعض الأمور ما يجب على العاقل رفضه ولا يقدم عليه. قال تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) - استشهدنا بالآية
للدلالة على أن الأمر يقع على الشيء وعلى ضده ونقيضه.
إذا عزمت على تقـ ارم نهـفيـتي
أنمي العزيمة حـ دي المتناصر
أي الذي ينصر بعضا و في الفائبة كما ترى قلق
والجد شمسة من لـه عرـق إذا
عـ دت عـ روق ذوي المرائر طائر
قال الشارح الشبيبة والعرق أصل كل شيء والمراز جمع مربة وهي العزيمة
وأصلها الحبل المفتول والطائر المرتفع - انتهى قلت لا يظهر المعنى على هذا الوجه، وقد

52
ذكر الشارح رحمه الله أنه نقل القصيدة من درواته الخط (ج 2 - ص 131 - 135). هل يريد إذا استمر ذو المراذ في سيرهم إذا فن له عمر ق. بيطر؟ يجوز هذا الوجه على بعد ويكون يعني بالطيران هنا منتهي الغلو في السريحة وقد يصبح هذا التأويل ذكره المهرى من بعد وهو الجمل السريع النجيب، مسند إلى مهنة التي تنص إليها الإبل المهرية النجيب.

ما فضل المهرى إلا أنه بفضل في طي المراحل ماهر

ذهب هنا من مذاهب أهل البديع إلى حسن التحليل ثم بعد هذه الآيات التي كا قدمًا لم يزده بها كبير شيء على قوله يفتخر فإن لدو جد، رجع إلى حديث تضاور:

سيرى تضاور حيث شنت وحيدنِي إني إلى بطحاء مكة سائر تضاور اسم الخمساء. وما ذهب الزغشيري إليه ولكنني أحبب ذهبه إلى معنى تضاور سلمي بن ربيعة حيث يقول:

فلم جا وأهلك بالثلوي فالخيلة وكان في العيين حب قرنفل زعمت تضاور أنني إما أمت ترتب يدك وهل رأت لقومه رجلا إذا ما النائبات غشينة والآيات من مشهر الفخر وجيده وهي مما اختاره أبو تمام في الحياة فإليك نظر بار الله رحمه الله أما قوله: سيرى تضاور فقد جارى به قول الضبي "ترتب يدك" وكأنه أخذوه من قول الخطيئة:

سيرى أمام فإننا في أفكارين حمى والأكرين إذا ما ينسبون أبًا فجعل مكان أمامة تضاور وهي المجزرة في قول الضبي، وجعل مكان الحث في قوله سيرى معيز الزجر الذي في "ترتب يدك" وإن دعا عليها ومراده زجوها لا أن تصب عليها لعنها ما.

- 53 -
فاختيار قاضى لم تقبل عليه القافية بل فيها أرى من أجله جعلت القافية هكذا إذ قد تقصص الزمخشري رحمه الله شيئاً من نفس هذه الكلمة المختارة
سيري قاضى حيث شنت وحادثي إلإ إلى بطحاء مكة سائر
ضبط في المجموعة بفتح هيئة أن على هذا حديثها وأوجره القوى وهو المقصد إن شاء الله الإكس وأذى أنشئ وحادثي الناس أن يفاحتك إلإ إلى سائر إلى بطحاء
مكة، هذا عزمي وأنا به صارح. يذكر على أن هذا كلام مستنفي تعلق ما بعده به:

للكبسة البيت الحرام مغوار
يشكو جرائر بعددهم جرائر
لكنها مثل الجبال كجتائر

حتى أنغى وبين أطيار فتى
تمعود بالركن يدعو ربه
يشكو جرائر لا يكثرها الخصى

ظاهر الشكوى أنه يشكر جرائر جرحها عليه غيره، إذ لم يعين أنه صاحبها. ثم كأنه في البيت التالي ليت الركن يلوم نفسه ببقاء الإيام بجوار كون الجرائر من غيره، والذي يشعر بلوم نفسه قوله لا يكثرها الخصى لكنها مثل الجبال - فكان هذا تأمل منه نفسه.
وفي بعض نفس انكساره. يقوى هذا الوجه الذي نذهب إليه قوله من بعد:
والله أكبر رجة والله أكثرة ثوابته وهو الكليم القادر
وأحق ما يشكوه ابن ذي بين
فقد بهذا أنه قد عى نفسه وإن كان قد بدأ يا بيوهم شكوذ ذات عموم
فنص collider بفضله وطويله يكسو لباس البر من هو فاجر

بلاحظ على صياغة الزمخشري الصحة وقصص الفصاحة ولكنه بالتزامه ذلك ريا جاه بالكلام جاها غير عذب الزين - قوله "لا يكثرها الخصى لكنها مثل الجبال" فيه تعب صياغة وتكالفها لأنه ما شبه الذنب في الكلمة بالخصى باللغ فكر هذا الخصى فجعله جبالاً لأن الذنب كبار وكيبار هنا معنى الكبار الذي في الجبال لا معنى الكبار الذي يجعل صاحبه في منزلة بين المنزلتين على رأي المعجزة، فكان قوله حمى كبار أو كبار مثل الجبال يحتس عهان أن تظن كبار من نوع الصفاحات اللواتي هن من كبار الإثم.
وقوله يكسو لباس البر من هو فاجر فالتافه ضد البر بفتح البياء فمن ليس لباس البر
بكسرب البياء فهو بفتحها. هذا أيضاً عمل وتعب. قوله: وأحق من يشكو إليه
gافر الإثم إن أراد بالغاير المولى سباحته وتعال وهذا من أسباته لقوله تعالى: "غافر الذنوب"
وقابل التوبة فهو لا ي بالنسبة، وإن أراد أحق من يشكو إليه من يغفر ذبائه ففهي نظر.
والعرب يقول: أمر ميقاتك لا أمر مضحكك.والذي يصح به المُنِي ويستقيم أن يبّرد بالغافر الله عز وجل، وإيام قصد عموم المهن يدخل في سِنْغ صياغة هذا البيت نوعًا من ضعف

يَامِن يسافر في البلدان متقناً إلى البلد الحرام مسافر

عجز البيت حسن لأنه تفنَّت تلك المشاكل الذي سبق له إلى بحث مكة سائدة ولكن الصدر ضعيف، أنا أتمنى أن تدعوني خارج عن السياق، إذ السياق يقتضي أن يكون بناءً مقاساً وما يشبهه مناصرًا، فقد ترك زوجته ليتزوج غيرها وهذا تمشيط. ويمكن أن يعذر له بما تقدم ذكره من أن مقاس رمز للدنيا وزهرتها وطلب مناعتها الفاني، فقوله:

يَامِن يسافر في البلدان متقناً

كان يقول له: فيا من غره تماشياً أي الدنيا فخرج بطرف في الأفكار يرتدي المالي والجاه.

إن هاجر الإنسان عن أوطانه فالله أولى من إليه يجاجر
وجارة الأبّارر تلك ومن يَبِّح
تَأله ما البيع الريح سوي الذي
نظام هذه الأبيات مستقيم، إلا أنها قليلة الرؤية وذلك أنها لم تعد أن نظمت بعض
معاني أي الكتاب كقوله تعالى: فاستشرنا ببعض الذي بايعهم به وذلك هو الفوز
العظيم ونظام معاني الآية مزلة، والخاق من يقتضي قصد الاستجابة
والأكشية، إذ أن الصباح لابيض في الشمس، وبلاغة القران ضوء شمسها غامرة
باهية، ولا ترى أن الز despre معنى الاختبار، فسكل يا سلكا من نظم المعاني
القرآنية سلكا يجعل شعرا تعليمي المعدن، كذلك يكسبه من الجفاف ويذهب بعض
الروائق. ثم يقول زوجه الله، يحكو الذين، بانكشارة عابيد، على أن اكتسارة فيها
جانب من شدة نفس العالم اللغوي التي لا تفارق الزختري رحمه الله:

فزرت هذا العمر غير بقية
فلعلني لك يا بقية عامل
وعهدهمتي في كل شئ أولا
فلعلني في بعض خير آخر
في طاعتك الجبار أبذر طاقتي
فلعلني فيه أكره جابر
تأمل الطبق في كل بيت - ولكنه سهل سافر، ونفس شاعر يتنظم هذه الأبيات فيه
رموع من أدب وصدق في حضرة المولى سهبانه عز وجل:

أو روح بين وفود مكة وافداً
أو إذا صدرنا فاً أنا صادراً
هذا كأن يخاطب به نفسه، ولذلك حسن شيئاً موقع العزم والجذور به، إذ لو كان مراده خاطبة غيره لكان لزمه الاحتضار بذكر الأمل والشمسية، وقد جاء بهذا المعنى فيها بعد، فدل بذلك أنه هنالك إياه يخاطب نفسه. غير أنه قبل أن يصل إلى موضع ذلك أطلت في نفس قولي: "فأنا صادـر" أنه يريد به المجاورة، وعد سبق أن قال ذلك، وهذا كـا لا يخفي مذهب نظره بناذه في طريقة الشعر إلى ما وسموه بالإخلاص. غير أن في أطلاب الزمخشري الذي أطيبه نغمة حزنة خفية، كأنه يعزي نفسه على فراق تضاو، هذه التي تحمل الكتابة عن الوطن وزهرة الدنيا جميعاً.

فيناء بيت اللـله أضرغ قبـي.
معنى: حتى أحل به، والعبارة فصيحه في مذهب العربية ولا ريب أن الزمخشري تعدها ألف الف، بمعنى الحاضر وزمزم لا يطيعي إخوته وعدائـه.

عن بالحطم البيـت كله
ضـيفاً مولى لا يخـب بضيفـه.
ويـربا أقصى مـأتمى الـباثر
حسن جوار اللـه حكي وحـده.
عن كل مخـبرة يعد الفاـحـر.
لا يخفي أن هنالك تطويلاً ونفساً خطابياً ما عدا به تكزير الفكرة التي تقدمت، ومع أن هذا التوكيد يخاطب به نفسه قد عدا به الاعتدال المؤثر حقاً.

وقـيم ثم وثم تدفن أعظمي
ولسوف بعثني هذا الحاـشر.
هـذا ما عجل به الزمخشري في ظلله توكيد المعنى، معنى الجوار الذي بدأ به، فغفل عن حيث لم يشعر - أم قد شعر - من قوله تعالى: "و ما تدري نفس ماذا تكتب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" وهي ما لا يغفل عنه، فكان قد تذكر وتتب، فمن أهل ذلك قال من بعد ذلك مباشرة:

يـاليت شعـري والحوادث جمة
والغيب فـيه للحكيم سرائر.
هـذا كـا ترى كالاستدراك والذكر.
ورأـما عزم العـبد حكم قـاهر.
هل في قضاء الله أصـادم
والنظر إلى الكعبة عبادة.
 Между به وعليه دمعي قاطر.
فـنـقبل الحجر المسح ملصقاً.
وإنها يقبل الناس الحجر اقتصاداً سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي وضعه في موضعه بعد أن أودعت قبائل قريش أن تقتتل حرصاً على ألا تنفرد واحدة منها بشرف وضعه. فكفاهم الله ذلك بمحمد الأمين، إرهاصاً ما أعدته له من وجهه وإكرامه بأن يكون خاتم الأنباء المسلمين الداعين إلى توحيد الله لا يشرك به شيئاً. "إليه أدعو وإليه مثاب" صلى الله عليه وسلم تسلية وعلى آله وصحبه.

ثم أخذ الزهري يصف نفسه حاجاً قائماً بما يقوم به الحاج.

في ذلك البيت الطهير طائف في شهر رمضان شعب حسن فمباشره للسعيف مباين الصفا والمروة والمعبد المجيد مبادر التعبير مستقيم غير أن في نظام البيت عناء ووقت روعق في الدنيا الجنا - كأنها إلى تخشين النظام التعليمي أقرب. ويعتبر لذلك بما يخطره من أرباب التعبير.

فمراجع نفثر الحاجج إلى منى، فإن منى قبل المعرف نافر.

أي نافر إلى منى قبل يوم عرفة والمعرف بضم الميم وفتح الراء مشددة

فمembali الله في ملكوتين أهل السموات العلي وفخائر حتى إذا دكلا بسراح فترب في جمع فاهماً إلى المحب نافر

جعا: أي مزلفة. طارق، أي: بلال ليدرك الله عند المشاعر الحرام ويجمع فيها بين المغرب والعشاء جمع تأخر. ذلك برح بكر الباب وراح جمع راحة وفيه قولان ذكرها:

الطبري: عند تفسير أياء الإسراء فمن قال غريب، قال إن الأمور بفضلها المغرة ومن قال ماله عن الزوال قال إن الأمور بها صلاة الظاهر ورحيل الطبري قول الأول ويعليها:قيل وبراح بوزن قطم قبل اسم الشمس وراح بكر الباب من سمع العينين لمعرفة الزوال أو المغيب يذكره المرء عينه لACHINE الشعاع والذي هنا برح يفتح الباب إذ ليس في الحائط نوين وأشدو راح، الذكر الطبري والقرطي وصحاب المجاز جميعاً.

هذا مقام قمدي رباح ذيب حتى دكلا بسراح

واية الإسراء هي: "أقم الصلاة لملوك الشمس إلى غضب الليل وفرسان الفجر إن فرسان الفجر كان مشهوداً.

والوقوف بعرفة الواجد الذي الإخلال به فيه الدعم ما بين الزوال إلى الليل ولا يجزؤي الوقوف قبل الزوال - هذا في مذهب مالك، أعني كونه واجباً، والوقوف الذي هو أحد أركان الحج التي لا حج للمهر بدونها هو عند مالك ما يكون في جزء من الليل فإن نفر قبل الغروب فلا حجة له، وعند غيره يفرزون الوقوف بعد الزوال.
وقوله "بهم يباهي"، أخذته من الحديث ومعنى المباهة جلي أي برى الله الملكة حجاج بينه شعثا غرا وهو بذلك أبى منهم، إذ لا يخفى أن الملكة لا يbahون الله عز وجل إذ هم عبيد، يخافون رهم من فوقيهم وفelowون ما يمورون. ويفاخر اضطرت الزعغرى إليها القافية ويمكن تأويلها على قريب من نفسه المعنى في عسر.

فمجمهر فمحلق أوحـال ناحر
و في الجنس "نحر - ناحر" عمل كعمل المعرى وجد عبىاء وكان المسلمون إلى زمن قريب يطورون الحق على ترك الشعر سببًا كيا يفعل الناس اليوم، وإنهاسبب الناس شعرهم بتكليب الأطراف، ثم إذا بعضهم يفتون ويفنط إلى أن ذلك كان من عمل العرب.

وكان بدو البحجة عندنا ولايزال ذلك دأبه يتركون شعرهم ينمو على الرؤوس ويستوى

الدهن.

وقال ابن الطبري يصف شعره:

فهلك مدرى العاج في مدنية إذا لم تخرج مات غا صوابها
والصواب صغار القبل (1).

وكان ثور أخوه قد عاقبه بحلق رأسه إذ تعدى مرازا على إبله فنحر منها فقال في هذه الكلمة:

فأصبح رأسى كالصخيرة أشرفت
عليها عقات ثم طارت عقابا

وقال الشنفري:

أفـعـاعـه في رمضانـه تتمهل
ولاستر إلا الأخمـيـن المعـَبـل
لبائد من أطرافه ما ترجل
لـه عبس عـاف من الغسل مـخل

نحـر الـنـهار أـولا

وحلق الرأس الذي كان يفعله الرجال في أكثر بلاد إفريقية تركا بعمل الحج بالنسبة إلى حال أن أكثرهم أصب ودخل في حاصل النظافة، ومن سبب عملها كانت عليه عادة العرب في غير الحج وجاءته به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أفع فوجه الصواب والبركة في مقصده إليه ظاهر و مثل هذا لأربع ينمز بالنظافة التي سن الشرع

(1) راجع التلاسة عزاء بين الشعراء للمؤلف من 135 - 137

۵۸ -
وإنها الأمثال بالنبات، وفي خبر الحديثية ما يشعر بتفيض الالق على التقشير في العمر.
ثم جعل الله سبحانه وتعالى لها فضيلة في قوله تعالى: "لندخن المسجد الحرام إن شاء الله أمنين محققين رؤوسكم ومقرصين لا يخفون (الفتح).
وقال الزمخشري من بعد أخذ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم جاعلا الزيارة نثمة لما كان من أداء الفريضة، وإن الحجاج حين يقصد المدينة يقف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هاجر، وبعض أهل الفضل والعزم الصحيح بتعودن سلوك طريق الهجرة يتبكون بذلك:
ومن تقدم قتود رحي ضامرا يفقو به نحو المديناء ضامرا
عنى بالضامير الأول نفسه، وبالضامير الثاني عيبه
مضايق على الظلاء مطبها إلى بيد أضاء به السراج الزاهر
هبي إلى قبر النبي محتار
أما يبيو في قطرات (سورة Abraham) فأخيلة...
وكان ينبغي أن يلمس غم البيت يغبر قوله: كا لفظ الظليم النافر، إذ كان غير تام الملاءمة لما سيق، لأن الهوى تناظفة حركة التفاؤل.
للـهـ ميت بالدـينية قبر قصر مشيد والقصور مقابر
النابض من المعنى ظاهر ولكن الأداء قاصر، إذ من القبور ما بني كالقصور كتاج
وكل مراده أنه قصر في القلوب والأرواح معمور بالحجة النابعة من صدى التقوى والإيان، ولا معنى للموازنة من بعد إذ شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك.
ويأتي الزمخشري رحه الله إلا أن يتحم بعض ما كان يشعر به من تمر من لم يكن عنهم ذا رضا.
للـهـ ميت كل حي لم يكن بهذا حيا فهو عظم نائر
هذا البيت بحمد الله جيد ومعانيه من القرآن قوله تعالى: "أوَّمَئِنَّ كَانُ مِنُّا فَأَحِبَّبْنَا (الانعام) وقوله تعالى: "إذا كنا عظاما نخرة" [الناعمة] وقرأ الكسائي ناخرة" وقال الطبري إنا أعجب القراءتين إليه، وكان الزمخشري رحه الله كثر الابتعاد للطبري في تفسيره جزاه الله عن هذا العمل الحميد خيرا.
ثم أخذ الزمخشري بعد هذا البيت الجميل في ذكر معنى قريب من نفسه، وذلك أنه كان يرجف فلا يقدر على الغزو وكان ذلك زمان جهد لإبراز الصليبيين أنيابا...
عصلا، أخذوا بها بيت المقدس، فإن الله علّه كل شيء قدير.
إن لم أتلقّبه ولم يكن مني لّه بناءً رحيمي أو لسان ناصر، يعني إن لم يكن من أجل ذلك الزمان فأسعد ببذل رؤيته كي سعد الصحابة.
الأجرا، فأجاهدكم جاهدوا بالسان والسان.
فأننا النصور لـّوحيه بدلائل ووجيه اليقين بهن أبلغ زاهد.
ثم من هنأ رجع إلى أمر نفسه وترك ما كان فيه من المديح، وهذا أشبه بمذهب القصيدة، إذ كلا مبنى على ما عزم عليه من هجرة الأوطان والمجاوية بالبيت الحرام، عن أن هنأ التفاصيل على باب التعبدي المحسن الذي كان ينبغي أن يزوّه إلى نوع من مقارعة الخصوم. وقد اعتذر له في هذا بأنه قد استفاد من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نشوة واريخية وشجاعة فؤاد، وقد صدق في هذا الذي ذكره عن تفسيره وما هو ملحق بالتفسير من علوم اللغة والأدب، أساسه، ودائرته، ومفصله فكل أولك ذو فوائد.
جاءت إلى فهم التنزيل والسنة بسبب متي.
من يلقهن بفهمها فكانا في مسمية السوحي غض ناضر.
غض فيها إشارة إلى قول ابن مسعود رضي الله عنه.
ويز من أملى إذا جن النسجج، أملي كأ هـز الجنس الطائر.
النشة هنا ضعيف البنية غير متناسب مع ما قبله، وذلك أن الطير لا تزور إذا جن النسجج ولكنها تفعل ذلك عند اقتراب الصباح وإذا يذكر من الطير مع الليل اليوم وما أشبه ما يكره ان يشبه به الموه نفسه.
والجبن من سراء الليل، فأعجب لما روي من قول الآخر:
أتوا نارى فقلت منون ائتم فقلوا الجبن قلت عمرو صاحبا في أبيات، والراجح أن يكون هذا مصنوعًا، لان النور لا توقن مع الصباح والجن ليون، وإنها حذى هذا على قول الآخر.
وَنَارُ قَدْ حَضَتْ بِعِيدٍ، وَهَنَّـمَـاءُ أَكَالِهَا خَافِقَةُ أَنَّ تَنَمَّـا
سِرَاءَ الْجِنْ قَلِتْ عَمَّا ظَلَّـا مُـرَفِّـرَنُكَ قَالَوا
زَعْيُمُ نَحْـسُهُ الْإِنْسِ الْطَّعَـّـمَـا
وَقَلَتْ الْثِّلَـّــمُـهُ فْقُـّــالُ مِنْهُمْ
وَزَعْمُ أَحْلِ الْكِتَابِ فَيَـلْـوَا مِنْ كَتَابِهِمْ أَنَّ المَلَائِكَةَ أَكْلَتْ مِنْ العِجْلِ بَلِـدُهُما
أَرْسَلْتُهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ لِتَدْمِيرٍ قُومَ لَوْطٍ فَتَأْمَلُوا
قَالَ الرَّغْشِــرِـيُـوَـيْـكَ:
وَاللَّـهِ أَـكْرَمُ أَنَّ يَـسْرِيَ مِنْـرَدُوا
مِنْ حَـلَطَٰـي نَـعَـمُ عَـبْـدَ شَـاـكِرٍ
جَعَلَهَا حَـلِطَٰـي تَشْـيَـبُّهَا بِكَـسْـاءَ الحَـجِّ. يَـدْلُّكَ عَلَى ذِلَّكَ قَوْلُهُ "مِنْـرَدُـوا"، إِذَا الحَـجَّ يَـبْـنَـدُ جَمِّـيـعُ المِـخْـتَـرِ وَالْمَحْـيُّـطُ:
بَــاـرِبَ إِنِّـي أَسْتَـجِرُكَ فِي الْمَــيـْـلِ
نُـتْـثُ الرَّـجُــاءُ بِهَـــْـــَـــأَنْـتَ الْخَ~اَرُ
هَـُـكْـا أَسْتَـجِرُكَ فِي المَـطْـبَوْـعَةِ وَمَا أَرَى إِلَـى أَنَّهُ أَسْتَـجِرُكَ بِالْحَـجَّةِ المَـلْـعمَـجَـةِ أَيْ أَنَا
أَسْتَـجِرُكَ وَأَنْتَ سِبْحَانَكَ عَـتْـتِي.
وَإِلَـيْكَ أَرْـغُبُ فِي الْهَـوْـضِ بِحَـمْـيٍّ
حَـتَّـى أَنِّي بِبَـجِيـعِ مَا أَنْـسَـانَ إِـذْـاَرُ
وَهَـذَا مُـقَـطَـعُ حَـسَنٌ لِلْقَـصِـيَـدَةِ، وَمَـقَطِعُهُ عَـلَى قَوْلِهِ مِنْ قَالُ إِنَّ المَـقَاطِعَ هِيَ أَوَاَخَرَ
الْأَـبَايَّ، أَيْضًا حَـسِنُ.
وَقَرْبِ مِنْ زَمْـاَـنِ الرَّغْشِـشْـرِـيِّ، سَابِعَ لَهُ إِذْـهُ مِـنْ رَجَالَاتِ أَخْرَجَاتِ أَلْـيَـرَـيِّ الصَـعِيرُ (تُوَّـيْـفِ سَنَةٍ 650هـ)، اللَّـوَـيْـرِيُّ السَـفِـعِيُّ، نَـسِبٌ وَكَانَ يَـقُولُ فِي نَـسِبِهِ
الْمَـعاوِيَـيّةَ نَـسِبَةَ مَـعَاوِيَةَ رَـحِمَةَ اللَّـهِ، وَلِهُ فِي الْمَـجْـمَـوَّةِ النَـبِيَـيْـةِ قَـصِـيَـدَةٌ جَـاَرِيَّةُ بِهَا "بَـاـتَـتَ
سَـعَادَ"، نُوَـحَٰـيَّةُ عَـمَّهُ فِي الْقَـاَفِظَةِ ضَخَمٌّ، وَلَمْ يُنْـفِـضْنَ مِـنْ أَنْفُسِهِمْ إِذْـنَـبَ النَـبِيِّ
صِـلَ اللَّـهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَرْشِيْا لِبَدْـخُلٍ بِذَلِكَ بِنَـوَى أَمَيَّةٍ وَأَجْـدَادَهُمْ فِي حِيْزِهَا هِـذِـهَ الصَـرْفِ;
وَلَا رِبْ أَنْهُمْ كَانُوا فِي قَرْشِيْ ابْـعَـسِيْبٍ، إِلَّا أَنْهُمْ لَمْ يَـكُونُوا مِـنْ أَهْـلِ الْبَيْـتِ، إِلَّا أَم.
حَـيْبَـةٌ رَضُّ اللَّـهِ عَنْهَا وَمَا كَانَ لَـعْـاواذًةَ رَـحِمَةَ اللَّـهِ مِـنْ جَـهَـةِ الصَـهَـرِ، وَقَدْ رَمٌّ يَـزِـدُ أَنْ يَـعْتَذِرُ
عَـنْ قَـتِلَ الْحَـسَبِيْنِ صَـلَوَاتِ اللَّـهِ عَلَـيْهِ وَلَا عَـذِرُ لَهُ حِيْـثُ قَالَ:
بِـيَنِي وِـبَـيْـنِ حَـسَبِيْنِ اللَّـهِ وَالرَّـحُـمُ.
ولم يرع لا الرحمة ولا الله سبحانه عز وجل فقصمت عتقه وهو في أوج ما كان يظن لنفسه من نصر وأول كلمة الأبودري:

خاض الدهر ورواق النيل مسجد
أضمنه وضعيقي صارم خندم
وصدق من نعت الأبودري بأنه صاحب الفاظ لا معان فأول هذا البيت من أبي الطيب وأوله من أمري القيس.

ومن غزه بعد أن ذكر السير وإنا جاء بالغزول بعد السير لجعله المحبوبة ذكري وطيب.

واعتاده من سليمتي وهي نائية
ربا العظام ظماي الخصر لا قصر
فالوجه ابلج واللبان واضحة
كأنها رقيقها والفجر مبتسم

لكذا سأنيه كعب، قال النبي في مقدمة جموعته (1) "ووالذي عليه الأكثرون أن التشييف بمعنى غير من يجل له من رجوة أو جارية، وبخير معين، جائز لأن المصوصد منه تحسين الشعر وتريقه على عادة الشعراء، وساعه جائز أيضاً أن لم يفتح به سامعه
بان يهجه إلى المصاية أو يبتهقه على من محرم تمنعه به، هذا في مطلق الغزول، وهو في المدائح النبوية غير مستحسن مطلقاً، لأن الغزول ولو في غير معين، المشتمل على وصف الخسود والقدود والارتداف وما أشبه ذلك من أوصاف النساء واللقاء التي من هذا القبيل، وما يجري للذرع مع والمعشر في المفاصل والتوترات هو لما يأتي ذكره السذوق السليم، والطبع المستقيم، في مقدمة قصيدة بدمجها أحد العلاة العاملين، والأولاء العارفين، فضلاً عن سيد الأنبياء والرسل، وصفه خلق الله أجمعين، صلى الله عليه وسلم أما قصيدة "بانت سعاد" التي أتخذها دليلاً بعض من ساك هذا السلك واستحسنه وهو في نفسه غير حسن فهي لا تصح دليلاً لذلك لأن ناظمها كعب بن زهرة رضي الله عنه كان قبل اسلامه شاعراً جاهلياً فظفها على طريقتهم قبل أن يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسلم عليه يديه ويعرف أداب الإسلام، وما ينبغي أن يخاطب به سيد الأنام عليه الصلاة وسلم وأقران النبي صلى الله عليه وسلم له وله ذكره لذلك لعله هذا السبب وقرب عهدهم بالجابهية وعوائدها
مع علمه صلى الله عليه وسلم أنهم لم يقصدوا بقلمهم معيناً، وإنما هو شيء جرى على

(1) مقدمة النبي - الفصل الخامس.  ٦٢
قاعدتهم فلا يترتب عليه م gözور ، وحيننف لا حاجة الى الجواب بان سعاد هي زوجته ابنته عمه وقد طالت غبته عنها ، لأن تشببيب الرجل بزوجه وان كان جذاز الا أنه غل بالمرأة كأ هو ظاهر وقلبه في الزواج رى عن بعض الفقهاء ، ولو صدرت منه هذه القصيدة بعد إسلامه واجتاه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته احكام الدين وأدب المسلمين ؛ وزو ر كمال الأدب في خطاب سيد المسلمين صلى الله عليه وعلى أله وصحبه أجمعين ، لربما كانت تصلح أن تكون دليلاً م سلكوا هذا المسلك ويدل على ما قلت انه رضي الله عنه لم يحصل منه مثل هذا التشبيب بعد إسلامه ولا من أحد من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم في مقامه شعر مداحوه النبي صلى الله عليه وسلم إلا مع قرب عهدهم بالجاهلية وعوايدها ، أما بعد ذلك فلم يرو عن أحد منهم شيء من هذا القبيل. ونكلون ذلك وهم أقوى الناس عقولاً واعظم الناس ادباً مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال الشاعر بالله تعالى : (يا أبا الذين علموا إذا ناجيت الرسول فقد تفرشين بني بني نجواكم صدقة ) أنزؤم بعد ان سمعوا هذا يضعون سفاهات الغزل بالنفس وأوصافهم المتهجة موضع الصدقة في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حاشاهم ثم حاشاهم ، ونحن مع ما بينا وبينهم من الفرق العظيم في كل وصف جميل عقل وشرعا ، ندرك بالبداية عند استحسان ذلك 1. 

فقد حذف الغزل من همزية حسان وأثبت نعت الخمر فلم يكون من غزله إلا بقوله :

(لفل قلبي منه شفاء
كيف منزواجها عم وهم
في لطب السراح الفسحة
إذا ما الأشراف يذكرون بومة)

ولا يمكن أن يزعم حسان أنه قال هذه القصيدة وهو حديث عهد بإسلام فقد قيلت في فتح مكة ومسلمو المدينة قد أسلم منهم العدد الصحيح على يد اولئك الأنصار من أهل البيعة الأول كأسعد بن زرارة رضي الله عنه.

وحسان في مجمع بدر جزء منه قوله :

(ربت على قطن أجمل كأنه فضلا إذا قعدت ملكة رخام
فهذا من نعت الجسم لا يفي ، في الأيدي اليمنية قول حسان رضي الله عنه:
كان سبكي من بيت رأس يكون مزاجه عسل وماء)
على أنيبّابها أو طعم غض ينكس كواكب ومال بها الغطاء
فيه إذا مال الليل قلت فإن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع هذه الأبيات عن حسان رضي الله عنه فليس بصفة أن نحرم تعبها، إلا أن يكون الشيخ يوسف رحمه الله قد بيت عنده أنه لم يسمعها في مسجد الصلوة والسلام. وأسأل رحمه الله إن كان حذفها ليقوم بذلك حجته المقدمة: ولم يقرأ الهمزية في نسخة ليست هذه الأبيات فيها، قال المغرى في رسالة الغفوان يخاطب حسان رضي الله عنه على لسان ابن القارئ: «وياك، أما استحبيت أن تذكر مثل هذا في مدحتك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كل آياتية في نقلها في فما رحمة من الله لنت وله كنت فظا غليض القلب لانقضيوا من حولك».

وتذكر النهائي عن ابن حجة في الفصل الرابع من مقدمته عن أن مهد بأنه يستحسن من يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أن يتشبب بذكر الديار الجحازية ومعالمها علกาย.

قال العلامة تقي الدين بن حجة في خزانة الأدب في شرح البيت الأول من بديعه، وهذا فائدة هو أن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يعنى على الناظم أن يجتمع فيه ويتذوب ويتضيأ ويتشب مطربا بذكر سلم وملاء وصف العقيق والذيب والغوير.

ولعل وأكثرا حاج ويبتر محاسن المرد والغزل في نقل الرف ورقة الخصر وبياض الساق وحمراء الحذاء وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الأدب.

عابرا الأبا الطيب لقوله:

إنه على شغفي بها في خرها لأخف عيا في سراويلاتها
فقبل ما معناه أي عفاف هذا الذي يذكر السراويلات؟ ولقد أعجب من هذين الفاضلين إذ ينهيان عن ذكر الخذود والقود والأرذا ولاقللو كلامهما عن بعض الأنس إلى ذكر ذلك، ولايسابأ ابن حجة إذ لم يتك بيدع شيئا من صفة ما يشتهي وتأمل قوله «وبياض الساق وحمرة الخند».

وقلفر من ذلك، وفق له ذلك قول الباعونية: «ويتضع في غزل المديح النبوي أن يجتمع فيه ويتشب بذكر الجهات الجحازية من سلم وقامة والبيان والعلم وذي سلم وما في معناها ويبتر ذكر الغزل في الرف والقد والخند ونحو ذلك فإن سلوك هذا

(1) راجع كتاب التباجة عزاء ص. 228 وهمام خزانة الأدب لابن حجة طبعة مصر 1324 هـ.

التحرير: ص. 312.
الطريق في المدح النيوي مشعر بقلب الأدب، وحسب العاقل قول الله تعالى: "ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه".

على أن الشيخ يوسف النهائي رحمه الله كان قد رجع عما قطع به من أن الغزل في المدائع النيوية على الوجه الذي نصه، سوء أدب إذ قال في الفصل السادس: "لكن عزمت أن لا أضع في هذه المجموعة شيئاً من الفساد التي وقع التشبيه فيها بوصف الولدان والنساء الحسان لتلا أكون شريكاً لناشئيها فيها يلبقهم من الملام يغزلم بذاكر في مقدمة مديح النبي عليه الصلاة والسلام ثم رأيت ذلك في كثير من خارج الفساد فلم تبقي نفسى بحثان المجموعة من ذلك الدكر النظري، وحريص أولئك الأفضل من هذا القسم الكريم والفضل العظيم بإدخاله هنا في جملة مداح هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم. ولن أبديها رحمهم الله وعفوا عنهم من تلك الجهلة بعض الإساءة، فقد أحشوا من جهة مديحهم لنبي صلى الله عليه وسلم كل الإحسان. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أنب السيدة الحسنة تمحية". وفي حيث آخر: "رغم من أنتي الخطأ والنبيان. ولا ينمو أمرهم من إحدى هذين.

وعلى كل حال فقد قاموا بأعظم الحسنين، مع أن مقاصدهم في تغزيم تلك الحبيبة وذلك المحبوب لا يشترط عليها إلا علام الحبيبة. بل الظاهر المعنين أن ليس مرادهم ما ينفلت للأفهام من ذلك الكلام. ومع أنه نعلم أن تغلب الشعراء منذ عهد الجاهلية إلى الآن هي جارية هذا المجرد بدون أن تتاعب من أحد من أهل هذه الصنعة بل يعدون ذلك من مصالحها وإيها جاءها العين الذي شرحناه من جهة رعاية الأدب اللازم مع النبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك جاءت على القياس ولم يكن فيها بأسب وقد غلب عليها رعاية الصنعة الشعرية فأجروا على قاعدتها بدون سوء قصد ولا فساد.

وعلى ذلك رجعت عن عزمي الأول وأدختيها في هذه المجموعة كغيرها راجياً من الله تعالى ثم من النبي صلى الله عليه وسلم العفو عنهم والقبول مبني ومثلهم ان الحسنات يذهبن السيات وإيها الأعمال بالنيات. 1. 1.

قلت قولاً بعد أبيات الأبيدي الأربعة فهذا منهج كعب ربي أعبى عن الإطالة، غير أن كلام الشيخ يوسف النهائي رحمه الله في غاية الأمهية، لما فيه من تقرير قوة الصلة بين القصيدة القديمة وهذه النيوية التي خلفتاه، ولا ينفي ما في الرجوع الذي رجعه من ساحة النفس ومن استشعار بركة الأدب الذي من أجله صم مجموعته النفيسة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم...
هذا:

ونقف بسيراً عند قول الأبووردي رحمة الله عليه:

كأنها ريقها والفجر مبسم
فيها أظنه بصفو الراهم معلول
فقوله والفجر مبسم يشير إليه المعنى الذي يكره الشراء من ذكر طيب رائحة الفم
بعد الرقاد عند الفجر والغالب أن تغير رائحة الفم انتهى - قال البشري - يصف ثغر
رابعه:

أبيض اللون لذذا طعمه طيب الريق إذ الريح خدع
قال الشارح (1) يقال خدع ريقه إذ تغير
وقوله فيها أظنه احترس به من ناقةدي الغزل وفيه نظر إلى دفاع المعري عن حسان في
رسالة الغفران وسأتم يعدث عن غزله فقال:
صدته ووقتمنى شبيه في أري
ولحأل دون نسيبي بالدمي مدح
أزيرها قرشيها في أسرتها
ومن راحتهم الخير مامتول
هنا مع مجاورة كعب وعماكاه (ننظر إلى النور يستضاء به) أو لسيف يستضا به ولي
والعفو عند رسول الله مأمون، مع هذا نظر شديد إلى الكميت وأخذ منه.
قوله: وقريش شبيه، من قول الكميت: ولا لعباً من وذة الشيب يلعب
وقوله: فا أريي صهباء صرف ولا غيداء عطبول;
من كليات الكميت: طرط وشوقًا - ولا لعباً - ولم يلهي دار إلغ
وقول الأبووردي: أزيرها قرشيها إلغ
من قول الكميت:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي:
بني هاشمات رهط النبي فإنى
خير بني حذاء والخير يطلب
هم ولهم أرضي مأرلا وأغضب
فجعل الأبووردي قرشيما مكان قول الكميت بني هاشم، فذا ما قدمناه من معنى
أموره.

على أنه رحمه الله قد سار في سائر المدحة على منهج منى، بأن القصيدة النبوية على
زمانه قد اثنت على منهج واضح: النسيب الرمزى أو ما بجرا، وقد استغني عنه،
التخلص إلى مدحه صلى الله عليه وسلم، الاحترام بالصلاة عليه وذكر أصحابه.

(1) شرح الأبارى الكبير ص 383.

- 66 -
قال الأيوبيدي:

يا خاتم الرسل إن لم تخش بادرتي
والنصر باليد مني واللسان معا
وكل صحبك أحسوا فلهدي معهم
هذا من الحديث: أصحاب كالتجمع بأهم اقتديتهم اهتمت. ثم خلص إلى الخلفاء الأربعة ومنى معه أهل السنة أنهم خير الصحابة أو كذا قال للقاني في الجوهيرة:

وخيرهم من ول الخلافة، وأمرهم في الفضل كأخلافة

ثم خصص الشيخين بجمعهما معا ومفهوم ضمنًا أن أيا بكر رضي الله عنه هو المقدم، وأحسب أن سبب هذا التخصيص أراد به الطعن في الرؤفض على وجه من التعرض:

وأقنعني بضجعك اقتضاء أني كلاهما دم عن عادات مطلول

وهل عننا يقوله في أني أئتي أم كان أبو ذا موقف في هذا الاقتضاء عرف به، فأراد الأيوبيدي أن يدل على مكان قدم هذا الاعتقاد عندهم؟

ومن كلاهم جودا والشجاعة لله على كاهل العلماء عمولة

وأين مثل على في سائرلافته بماً من يردده فهو مقتول

أي من مثل على في الشجاعة وخصوص الملوك التي يخف فيها الملوك وواردها مقتول، الكلمة بلا شك مازق ميم وألف بهمزة وزاي وميم لا ألف بلا همزة وذال معجمة، فهذه لا معنى لها. وينظر الأيوبيدي إلى قول أبي تمام:

والحرب قائمة في مازق لحج تجنب الكية به صفرا على الربك

وفي عباره الأيوبيدي على قوة تبدو في صناعة لفظه قصور عن أداء المعنى على تمامه.

أخر القصة:

إني لأُعِنُذ من لصفهم مقاوة والنساء صنفعان معذور ومعذول

فمن أبينهم نَال النجاة بهم، ولمعنى همجرد مسؤول

وأني المارد حسن إلا أن اللظة مقص عنة، إذ القسمة في كلا البيتين غير صحيحة إذ ليس الناس صنفين: معذور ومعذول ولكن معذور وغير معذول فيدل في (غير المعذول) من هو ملزم ومن هو ليس بحاجة أن يذكر إذ لم يقع منه ما يوجب ذلك، (على أن أكثر ما يستعمل (غير المعذور) للدلالة على اللوم ولكن قصدنا إلى معنى القسمة المنطقة الصحيحة.) وهذا أظهر في معذور وغير معذول إذ يدخل في (غير المعذول) من كان معذورا ومن لم تكن به حاجة لأن يذكر أو نحو ذلك

ما يشعر بسبق خطأ أو ذنب.
وقوله فالسيف مسلول لا يقابل (نال النجاة بهم) لأن السيف قد يسل ولا يقع، والمعنى الصحيح أن من أحياتهم نال النجاة بهم ومن أبي حبهم لم ينل النجاة وكان مصيره الهاك.

ورحم الله الأبيوردي فقد راح يا صنع سبيل الشرواب، وإنها الأعمال بالنبات، وهو يعد من أقدم كبار الشعراء في زمانه، نظم قصيدة خالصة في مهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومهد أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

والتي ما ذهبنا إليه من مدة الأبيوردي قد سار بها على نهج قد استقامت عليه بنية القصيدة النبوية ما صنعها المعرى، وهو أسبق من الأبيوردي في القطعة اللزومية

وليس العقول في الدنيا كالسواقي،
وشهب السدجى من طالعتين وأقل،
أخبر ضعف من ضعف له ونواقيل،
وعاقب في قذف النساء الغواقل.

وجهم خرجت أبوباب شرها,
يجرون أشياب الملل جسر أوليس,
فصب عليه الله ما ذه شماغ.

لقد أخان الأسود جميل
عذبكم على تضعيم من خلق الضحا،
وأخطؤكم ما ليس يعجز حلله.
وعد في تظاهر جسم ومليمس.

وعم خرجت أبوباب شرها,
يجرون أشياب الملل جسر أوليس,
فصب عليه الله ما ذه شماغ.

هذا البيت الأخير من صميم أسلوب القصيدة النبوية. وما قبله سار به أبو العلاء على مذهب الخطباء الوعاظ إذا لم يقل قوله دعوكم ودعاكم وألزمكم من أطاء; وكان أدخل في الدعه لو قال: دعاكم، جدناء، أذنابًا. فلم يبد كأنه قصد إلى أن يخرج نفسه. والوجه ما قدمنا أنه ذهب مذهب الخطباء الوعاظ، وكنذبه أبي العلاءة في نحو:

لكم كيبرت ناصية ذهاب
فكلكم يبرت له خراب.

ولكن أبا العلاءة كان ندبيا دهاء يعرف كيف يتألق إلى القبول لدى نفوس ملوكه الذين يعظمهم... فسأمع وما تكر الخطب إلى ضمير المتكلمين الجماعة ثم إلى ضمير المتكلم الواحد:

نصب كيبرت ناصية ذهاب
فكلكم كيبرت له خراب.

ألا يا موت لم أرك بكذا
كأنك قصد همجت على مشيبي.
وسا ديني ما لا أراني أسومك منزلا إلا ندبى
وعلى كثرة ما بدأ بالله وسبحان الله لا تجد أبا العناية يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أو يصل عليه بعد أن بدأ بالحمدلة
قصيدة ذات الأمثال بدأها بالحمد فبلغ به تسع أبيات فيها بلغنا منها:

الحمد لله على تقديره
الحمد لله بحسن صنعه
يخير العباد وإن لم يشكره
خوف من يجهل من عاقبه
وأنجد الحجة بالإرسال
نصعم الله فخير عاصم
فضلنا بالعقل والتدبير
يا خير من يدعى لدى الشهداء
أنت إلى وبيك التحقيق

ثم يجيء بعد:

ما أكثر القوته لم يموت
فصل ما في الأرض لايغنيك
من عرف الله رجاء وخفافنا
ولو صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحمدلة لكان ذلك لكلاه زينا.
وقوله وإن لم يشكره مذهب في العربية جيد، أي لم يشكره بسكون الراية وضم الهاء ثم
نقل ضمة الهاء إلى الراية ومن شواهد سبويه:

عجبت والدهر كثر عجبه
من عنزي سبني لم أضر به

وقوله:

فضلنا بالعقل والتدبير
وعلم ما يأتي من الأمور
عجبه في نظر، إذ المعنى مقبول إن أراد به التفكير في العواقب وليس التفكير في العواقب
علي بالغيب وإن اتفق فيه الحدس الصائب أحيانا، إذا لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه
وتعالى.
فهذا موضع مأخوذ على قول أبي العتاهية:
وعلم ما يأتي من الأمور
ووضع آخر قوله:
وأنجد الحجة بالإرسال عليهم في الأزمن الخولية
كان عليه أن يتع ذلك ما من الله في خلقه أجمعين وعليهما نحن مسلمين
 خاصة من إتمام نعمته بإرساله بعد تلك الأزمن الخولية سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم
تسبيراً.

هذا ومن قدمة المدح وأفضله وقوي ما قدمناه ذكره للعلامة الشقراطي سماحة أوردها
النهائي في ص 138 في قافية اللام (المجلد الثالث) وهي من ماتحة وخصمة وثلاثين بيتاً

رصينة السبك صريح درجة في المدح النبوية عميقة الفهم للسيرة، كثير البديع
والشقراطي المغربي من رجال الخامس الهجري توفي سنة 1946.

وقد أورد هذه
اللامة أيضًا صاحب النهاج الواضح في آخره ومطلعها:

الحمد لله من أرثه الرسول
وأكرمه الخلق من حاف ومنتعل
إنجيل عيسى بحق غير مفاعل

وقد أفادنا ماذده الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد في أمر البشرة ومن أوسعهم
وأجودهم قولاً في ذلك الإمام البصيري رحمه الله.

أخبر أخبار أهل الكتاب قعد وردت
بنا رأوا ورواوا في الأعصر الأول
ثم ذكر خبر المولد النبوي والمفعزل ثم ذكر العرج فيما قال فيه:
عرفت تخرق السبع الطبقات
وفي القافية هنا جهد ما وقل مثل ذلك في هذه القصيدة
وأما قال في قتل بدر:
غادرت جهل أبى جهل بمجلهة
وشاب شبيبة قبل الموت من وجل

(1) النهاج الواضح في تحققي كرامات أبي محمد صالح أفنى أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد صالح بن
نصار المأجور المغربي طبع مصر 1354 هـ - 1935 م.
لأنه لقى حمزة أسد الله وسيد الشهداء رضي الله عنه
وعتبة الشرك لم يعتب فتعطفيه
وعقبة الغمر عقبه لشقوته
وأي عقبة بن أبي معيط ووصفه بالغ جيد بالغ والغمر الذي لا تجري له ومن أهل الطييش لذلك. 
وأخير القصيدة قوله:
وصل رب وواصل كل صلاحه
عليه صل صلاة لا اقطاع لها
واحتفظ على القلب منى حسن خلقه
فهو أبو عبد الله بن علي أبي زكريا الشقراطي المغربي رحمه الله.

يدخل في باب طور التمهد الذي صارت بعده مدة الرسول صلى الله عليه وسلم هي القصيدة الحقة وسماحه صلى الله عليه وسلم هو الشاعر الحق ما جعل بعض مداه على الصلاة والسلام يبندون فيهم البديع. مع العلم بأن افتتانهم هذا قد جاء بعد أن قطع البديع أشواط من فرط التكلف والتصنيع نجد لديهم من الأزيجة إليما يتبندون فيما يذكرون بنشوة البديعين الأوائل. ولا ريب أن مرد ذلك إلى روح التعب وساحة النفس فيه ببذل الجهاد الناصحة للأجر.

فمن ذلك صنعي الوزير أبي زيد الفائزي الأندلسي من رجال أواصر القرن السابع الهجري صاحب العشرينيات، وهي قصائد من عشرين بيتا كل منها، نظمها على حروف المعمجم، يبدأ البيت بالحرف ويختتم به، فهو مطلع البيت ومقطعه مثلا من الكلمة التي اختارها له التهاني في المجموعة:

سلم وكرف الروض أجلسه الود
وفي الختم مع المزيادة في الطرس
عليم بالاخت حفظ بلا درس
كريم السياجا طاهر الجسم والنفس
وجد سبق التطهير للقلب في الخس

- 71 -
بمعنى خير شق الصدر كأ في حديث المراجع وحديث أيامه صلى الله عليه وسلم

عند حليمة السعيدة

سأري نحو مولى وجبيل صاحب فناهيك من قدسيين في حضرة القدس وذكر النبي في مقدمته هذه القصيدة أنه مغزازى أنشأ ديوانه سنة 204 هـ. وحدث به في الحرم المكي سنة 224 هـ فذلك قبل سقوط بغداد كا ترى.

قال النبي في مقدمته في الفصل السابع: "أعلم أن مداخ النبي صلى الله عليه وسلم في كل عمر ومصر كثيرون لا يحبسهم عد، ولا يعيبهم حد ولو جمعت مدائع أهل عمر واحد منهم لبلغت عدة جلبدات، وكثير منهم نظموا في ذلك دواوين على أنوان مختلفة وبعضهم النظم في شعره أمرا لا تلزم كلاوتوو والطارقى والغزازى ومن تبعهم كالشهداء أحمد المتنى الشامي فقد نظموها عشرات وعشرينات على حروف المعجم والنزموا أن يكون أول حرف في كل بيت كحرف القافية وبعضهم جعل جميع القصيدة حروفًا مهلمة والبعض جعلها على عدة قواف وغير ذلك من تنينات الشعراء.

فجاءت قصائدهم في الغالب غير سالفة من وصمة التكلف، 1 هـ.

والوجب في كتابات الأبيات في النصف الثاني منه وأطفال وفتحته لعله سنة 222 هـ (الذي في وطبته المطبوعة بالدار البيضاء 226 هـ وأغلب الأظن أن هذا مارد لتقرأ المتن في جهة اليمين) وفي المجموعة النهائية أنه أكمل نظم وترابه بالأندلس سنة 252 هـ واعملها تهذيباً بمصر سنة 221 هـ وإذ أزمني الترتيبات لأنه زاد على عدد الغزازى وأما فهو جعل كل قصيدة من واحد وعشرين بيتا، وبهذا التوزيع سمي البوئي وهو بعده سليمان بوزعيت. وقد أورد النبي وترابه كلها في مجموعته مع ما فيها من ظاء والشين وغيره في القوافي قال:

"قال وقد ظهر لي الآن أن أذكرها جميعها لقوله في خطبتها أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراكة منها وهي في هذه الشريفة ومعه جمعة من أصحابه عرف منهم أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال فأنا قام إلى ضاحكما مستبشراً إل اغ ما قاله في ثمن الجزء الأول من المجموعة. وهي تسع وعشرون قصيدة جعل فيها لم الآلف فانية، وكان حقه أن يجعلها مقصورة وقد تنبه الشيخ النبي لهذا، وله بعد وجه إذ مارده إظهار مكان الآلف التي ليست مبهمة ولو كان قد جعلها ألفاً مقصورة لسلمت من أن يلتبس أمرها باللاميات وهي التي أولاها;" (1)

(1) طيحة دار الفكر، الدار البيضاء غير مورخة ص. 31.
لا أحد فضل لا يعٓض ولا يحيى
لأعظم رسل الله ﷺ قدرا ومنزلًا
ومن أشهر الورثيات ما كان ينشده المداح عندنا إلى زمان غير جد بعيد منيته
التي أولها(1).

سلام الله لأحمد انشارة
وكيف جلؤه في السماه على الكرسي
وهم زال حتى باشر العرش بالمس
فأكرم بالإجابة في حضرة القديس
وخصوص من الرحمن مندلزل بالأنس
فساء على الأملاك وإنقل وإنس
ومن بعد خمس الصلاة إلى الخمس
فوالله ما تحصى يحفظ ولا درس
وفي كتاب أظهر الرياض في أخبار عياض للمقري رحمه الله كليات عدد ملتزم
فيها ما لا يلزم على طريقة المغري، نظم في التبرك بمثال نعله عليه الصلاة و السلام،
وكان شكل المثال ربا رسم وترك به على نحو من كتابة التهاني والموعظات.

ومن أقرب المهمات من المنظومات عهدًا:

ألا واصل الله السلام المرددا
من نظم العلامة الفاهاشم الفلاسي من رجال النصف الأول من القرن المنصرم
(الهجري) وشطرها الشيخ ولد الشيخ الطاهر المجذوب رحمهم الله أجمعين فصار
المطلع الشطر:

ألا واصل الله السلام المرددا
لأكرم رسل الله ﷺ طرا وأسعدا

وقد خلص اسلوب النظم على حروف المعجم من الفصيحة إلى الدارجة فاقتدى
بديعوها بمشابه منه، مثل كلمة المادرج:

باختصار لتصو من نينـا
كونه علينا أشق من أبينا

(1) نفسه ص 37 واعتدنا على النبهانية الجزء الثاني ص 262.
بالألف ابن ديناء وсалонا وهلم جرا
ومن أغرب أنواع الالتزام صنعي ابن جابر الأندلسي في رائعة نسجها على روي أبي
قدودة:
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشي اليمنية الحبيرة
فجاء فيها بسور القرآن تباعاً، قال في أعلاها:

حق الشهاء على المبوع به بالبقرة
رجاهم والنساء استوضحا خبره
عمت فليسنت على الأسماء مقتصرة
قد مد للناس من نعاء مئة
أعراف نعاء معاً بالرجال بها
بها توصل إذ نادى بتهبته
هود ويوسف كم خروف به أمنا
مضمون دعوة إبراهيم كان في
وهيذا حتى يقول:

والكافرون إذا جاء الوزري طردا
إخلاص أصاحبه شغلي فظلم
أركي صلى على الهادي ومعرته
صدقهم عمر الفاروق أحزمهم

وهكذا. وكان ابن جابر (توفي سنة 780هـ) مولعاً بالبدع والتزام ما لا يلزمه
مفتننا في ذلك وله المقصورة التي التزم فيها قبل الألف حروف المعجم أعلاها:

بادر قلياً للهوى وما أردت لما رأى من حسنها إذا قعد رأى
ثم بعد عشرة أبات انتقل إلى الباء بعدها الألف الليث ثم إلى الناء وهكذا حتى
استوفي حروف المعجم الثانى والعشرين فبقى له التاسع والعشرون وهو الألف الليث
ولأستطاع قبل مثلها فجاء بلام الألف جرياً على عادة تعليم الهجاء، ليست ألفها
ألف إطلاق ولكن ألف لين هكذا:
وأولى أكملتها في مداحه مقصورة يقصر عنها من خلا
ثم بعد أربعة أبيات من هذا الوضر جاء بتسعة كل ألف فيهن راء ثم بسعة
قبل الآلف فيهن دال.
وفي المقصورة أبيات حسان وهي طويلة تدل على تمكن من اللغة واقتدار على
النظام، وقد فاخر في أوائلها فقال وذكر شوقه إلى وطنه:

لولا اشتياقي لدباب كرمت
ومدح من أنجح بأعماضه لـ
عني الرسل عليه الصلاة والسلام:
لم أجعل الشعراء لفسي خلصة
باضيحة الألباب في دهر غدا

أي بعير البقر - ثم يقول:

أنـِّــراتي لا بطيني طمع
لا أسأل النشاز لـو أنى بـ
حسبى بنـو عبد مناف بهم
فإذا يكن عنى ببني عبد مناف آل البيت فيجوز أن يكون مراده بني هاشم وبني
المطلب، عل أنه لو قال بنو هاشم و يمكن أن يستقيم بذلك الوزن كأن يقول مثله
"إذهم بهم" لفهم أن بني المطلب مذموم وهم، وإن يكن عنى كل بني عبد مناف
فقد دخل فيهم بنو أمية، وعله كان لهم بحكم أنفسه ذا هوـ.

ولما فيه أنفاس أندلسية قوله في مقدمة النبض:

حديد أنس مثل أزهرار الربا
إذ واصت مـا بينها ريح الصبا
يصبـوــهــ لـمـ لا يـمـكن قـتـ صـبا
عذب الجنى ريان من ماء الصبا
مـاضـبـحـ مـغـنــاهـ بـنا وـلا نـا

ومن جيد مدحه للمصطفى عليه الصلاة والسلام:

صـل عـلى اللـه يـامـن جاهـه
يـامن جرـى مـن كـفـهـ الماء وـمـن

75
وقوله:
إن يقض يُبَنَّى مَثَلٌ يَبِيب
ما أَلَا أَضْفِي لَهُ الْمَدْحَ وَقَدْ
وَمَا فَخَرْهُ فِي مُقَدَّمَةِ الْقَصْدِ:
أَفْبَذَلَ الْوَجْهَ لِيْلَ يَرْتُقَى
أَنْذَا الْفَتَى لَا يُطَنِّي مَطْمَعٍ
فَهَذَا فِي مَعْنَى مَا قَدْ مَنَاهُ من أَنْ أَصْحَابَ الْمُلُكَاتِ الْجَيْدَةِ أَحْسَنَا كَسَادَ سُوق
الْبِكْرَةِ بِالْمَدْحِ فَانْفُصَرتْ هُمُ الصُّدَورِ فَشُكِرْتُمْ عَلَيْهِ وَسُلَامَ، وَكَانَ مَا حَدِثَ وَقَوْى عِزْمَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ
ذَاعِيِ الْجَهَادِ الَّذِي كَانَ يُعَمِّرُهُ لِذَٰلِكَ دُمَّرَهُ نُورُ الدِّينِ عِنْدَ الْإِسْلاَمِ بِالْمَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّانِنِ
وَالْبِنَانِ، إِذْ أَحْدَقَ بِهَا فِي الْمَرْشَدِ والمَغْرِبِ بَأَمْسِ أَعْدَادَهَا مِنَ الصُّلْبِيِّينِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ
الْكَنْتَرِ، فَكَانَتِ الْقَصْدَةُ النَّبِيِّيَةُ مَثَلُ طَيْبَةٍ هِمْ أُسْتَثْنَى بِهَا وَتَعَزِي بِالْبَفْوَيْنِ، وَتَنْشَرُ لِشَيْدَةٍ
الْمُدْرَسِ، وَتُعْرَفُ بِحَرْوَةِ بَلَاغَةِ الْبَلَاغَةِ الْمُسْتَنِبِ، وَذَلِكَ مِنْ أَمْوَةِ الْهَلَاءِ
عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَسَابِيحِ حَفْظِهِ، وَاللَّهِ غَلِبَ عَلَى أَمْرِهِ لَكَنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

طُورُ الْجَضْرُ
وصَلِّ الْقَصْدَةُ النَّبِيِّيَةُ أُوْجَها وَنَضْجَها عَلَى أَيْدِي جَعْلَةٍ مِنْ مَدَاحِ الرِّسُولِ عَلَيْهِ
الْسَلاَةُ وَلَسَلَّامٍ كَانَوا شَعْرَةٌ مَطْبَعَيْنَ هُمُ في الْشَُّرْعِ بَاعُ طَرِبٌ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَفْرَأَا
بَقَى مَلَكَاتِهِمْ كُلُّهَا إِلَى تَحْيَى الْمَدْحِ النَّبِيِّيِّ يُدَنَّى غَيْرَهُ مِنْ سَأَرِ أَغْرَاضِ الْشَّرَعِ يَدْفَعُهُمْ
إِلَى ذَلِكَ حِبَّ عَمِيقٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسُلَامُ وَقُرْءَةٌ عَلَى الْدِّينِ الْحَنِيفِ إِذْ
دَعَاهُمْ دَاعِيُّ الْجَهَادِ وَتِسْرَى مِنْ اللَّهِ سَيِّبَاهُهُ وَتَطَوَّقُ (١)

الْوَتَرَى وَالْفَزْازِيَ وَابْنِ جَابِرٍ وَمِنْ سَلْكِ سُبُلِهِمْ يَمِثْلُونَ جَانِبَ البَيْدُعِ وَالْلُّزَومِ
مِنْ مَدَاحِ الرِّسُولِ عَلَيْهِ السَّلاَةُ وَلَسَلَّامٍ، وَالْذَّعْرِيُّ وَأَبِي حَيَانٍ وَالْفِيْزْرُ عَبَدُ يَمِثْلُونَ
جَانِبَ الْعَلِيَّةِ الْغَالِبِ عَلَٰتِ أَسْلَامِيِّ الرِّسُولِ عَلَيْهِ السَّلاَةُ وَلَسَلَّامٍ.
وَهُوَ الَّذِي تُصَفَّرُ دِينَانِ أَسْلَامِيِّهِمْ حَيَا، وَلَكِنَّ الْغَالِبِ عَلَيْهِ نَظْمُ الْعَلِيَّةِ وَقَدْ
مَرَّ بِكَ أَمْثَلَهُ ذَلِكَ فِي أَيَّاتِ مِنْ لَامِيْةِ الْفِيْزْرِ عَبَدِيَّ وَقَدْ لَا أَمْرَ بِالْأَسْتَشِهَادِ بَهَا
فِي هَذَا الْمَجِرِّ ذَالِكَ الْحَافِظُ إِبْنَ حَجِرَ الَّذِي أُوْلُوهُ:

ما كَانَ صَبِيرٌ فِي النَّوْىٗ مُفْقَوْداً
وَسَهَرَتْ أَرْتَقَبَ النَّجَومُ كَأَنْتَيْ

(١) يَنْبِيِّعُ أَنَّهُ هُوَ مَثَلُ ما ثَقَلَتْ بِهِ رِسَالَةٌ إِلَى الْإِسْلَامِيَّةِ (١٤١٥ - ٤٥٤ هـ) فِي كَبْرِ مَدَاحِ الرِّسُولِ عَلَيْهِ
فإنه خلص في إخراجه إلى باب تعليمي محض حيث قال بعد ذكره للآل والصحابية:

رضي الله عنهم والإشارة إلى تابعيهم بإحسان:
من كل حب تتابع سنن الهدى
ولي على أثـنـث الهداة حيـنـدا
مثل البخاري ثم مسلم السدى
يتفقـو في الــليـا أـيـنــو داردا
أحكام فيـهـا يـنـذـل المجهودا
ــيأتي بـه ويخـر النـجـرـوـيـدا
ــــقد كان أقوـيـا ما رأى في بابه
فهذا فصل في علوم الحديث ونقدها كما ترى.

وقد نظم الوزير ابن الحكيم ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب وعدها الموقع به من بعد وأين خلدون صاحب التأريخ واجه الديواني بالمشرق والمغرب ولسان الدين بن الخطيب وغيرهما من أهل الجاه ووزراء الملوك ومن منزلتهم في المدح النبوي تبركا وتعبدا وتقوا أو تزنيا بذلك وتقي كل من وجهته التي هو مولها بحسب النية التي كان ينويها. وقد كان ابن خلدون رجح الله شاعرا لطيف الديباجة والبائثة التي أوردها له النهاني من الكلام الحسن، مطلعها:

أسرفني في هــــبــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~
لولا تذكر منهزل وجبيب
ما هاجني طرب ولا اعتداد الحمو
يشير إلى "قفا نبك"...
ويقول في الميدح:

ياسيد السرو الكرام ضراعة
عاقت ذنوبي عن جنبك والمنى
طيب في شفاعتك التي أرجو بها
إن النجاة وإن أتيت لأمرى.

هل يعترد هذا عن تشبيه في أول هذه القصيدة أو عن سائر ما اعتاده الشعراء من ابداء بالتشبيه؟ أحسب هذا أشبه بما كان يغلب على ابن خلدون رحمة الله من التأمل والنافذ، وقد بسط من ذلك في مقدمته ما يصف

إلى دعوتك واثقة بإنجابتي
qué en مقدمته فإن يك طبيبا
فيها لذكراك من أربع الطب
كان لسان الدين بن الخطيب (1) وابن خلدون متعارضين، وكان قد كان بينهما من أشياء الغيرة وهتافها ما يكون بين المنافقين غير أن ابن الخطيب كان أعماق بحرا في فنون البلاغة والشعر، وهو صاحب التوسيع المشهور:

جداً لغبك إذا الغيث هي
يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلت كما إلا حليا
وقد كان، مع كونه من أهل الوزارة والكتابة والتصنيف في مختلف العلوم والفنون، من

(1) توفي ابن الخطيب سنة 772 هـ وابن خلدون سنة 805 هـ. وابن الحكم السندى كانت وفاته في أوائل القرن الثامن وزار المدينة سنة 848 هـ وكانت وفاته قيل رحمه الله وقيل معه شاعر ابن خليفة التلمساني رحمه الله.
بوردها صاحب نفح الطيب:

تَرْك العصر والكثير شياً
ودعاء داعي العز فابق والفلا
بتخير المرعى ويفترع النَّدْرَب،
حتى توسعد أبْدُر الظل الذي
أي أعطاه كفآيتها تم يقول:

من مبلغ قومي على بعد المدى
أني قطعت البحر للبحر الذي
فإذا نقضت جَوانحي عن مطعم
إلا رضا الله الذي هو غاية
ثم يقول في لوم النفس وروم سيل الحلم والزيارة:

وَتَمَّ الْمَسِىَّة تَهْت فِيه ضَلالاً
وَقَطَت بَه قَدْمِي عَلِى نَدمِي أَمْي
إِن سَعّات بَنْعٌ ونعيت همتي
هُنَا بِشَمْطاء المِفْارق لا تَزَال

عَنِي بالشَمْطاء الدِنيا. في خرقان نوع من إشارة إلى صاحبة ذي الرمة التي قال فيها:

تَمَّ الْحَجَّ أن نَقَف المطَابِيَـا
عَلِي خرقات واضحة اللَّيْم
وقوله دَقَّل بِالنُفْارِ دَلاَلاً دَلَّه عَلَى أنَّا غيِر خرقان في فتنة ذوي الألباب حتى تَعْزِب
هم عنها أو كأ قال:

فَنْزِرَى الحقيقة في الوجود خيالاً
غطى على الألباب منا سحراً
ولا بن الخطاب أحيانًا وقع بيارات الفلسفة والمنطق، فريا كدر ذلك بعض صفاء
دبيِّمُهَا شِيْئاً وقد بِلَم البَارِيَ الكَرِيم أَصَلَحَه الله طعِن ابن خلدون على تعاطي
مناهج الفلسفة في الشعر حتى لم يفع من نقد يا قاله أبا الطيب المتنبي بلله أبا
العلا فهل ضمن مقاله في ذلك بعض التعريض بابن الخطاب؟
كمساء تخطس سيبا ورمالا
باليت شعراى هل أرى متوسدا
م من كل حالية الطل تفرى الفلا
ظيلان جوم ما عرفن كلالا
أنضاء صيرها النحول نبالا
صارت قسيبا بالضمور وفوقها ما أرى إلا أنه (وفوقها الأضاء) إذ ليس هذا مما يمنع من الصرف ويتاسب مكان
اللف واللهم هنا مكانها من قوله (بالضمور)
ما زلنا في تعب وشدة لوحة
حتى بلغن بنى النبي فتبلا
ثم أخذ في مدحه عليه الصلاة والسلام فقال:

خش الأنان ومعهد النور الذي
وينباث أجل الأرض يفجر عنهم
وطبيب أدوه النفسون إذا شكت
يا من إذا ركض الجواز بمدحته
يا من ملائكة السهاء به اقتنعت
إني وصلت بجاهر الأمي يدي
أنت العزيز حقيقة ورضاعتي
حاشا نوالك أن ترد سؤالا
أنت الأنزام عارضا هطالا
والصحب والملال المرضى والآلا
يختص أربعه المعطرة الشذى
ثم ذكر الخلفاء الأربعة وأعاته الملكة الجيدة وإندفاعة صدق الإيقاع فأتقن نظم
أسائهم مع ما يتاسب من حسن ثانائهم:
كشف الخطوب ودافع الأموالا
ففتح الفتنواد ونقل الأنشالا
أوغري بجيش العسرة الأموالا
بيي ضلalg وجنبدل الأبطالا
نيرا على مرج المدنة سمالا
وتعتقبت ريع صبا وشبالا
أخانها غصن السرياض فبالا
وعلي أبي بكسر خليفتك اللذي
وعلي أبي حفص خليفتك اللذي
وعلي أبي عمر بن عفان اللذي
وعلي على خير من صرع العسالا
ما فجر الفجر النهار فخلته
سائل إصباح وأشرك كوكب
ماغردت ورفاء حتى أطربت

٨٠٠
لعلك فطنت إلى نفس طبيعة الأندلس هتنا
فأحل من ميقاتها إهمالاً
بأهل يبلغون السر أو القوى
لعقلة الدنيا التي قد أطلعت
من مسكة الحجر المقبل خالاً
يعني الكعبة، فجعل الحجر كأنه بدخاً وهي عقبلة كريمة، خالاً -وقد كان الحال
كما يستحسن في خدود البيض الملاح
لله من حلل تشوب وأربع
ما استشنت signatures هبات الصبا
فأق الأنام شيتاً وخيلاً
فجلا السنا وكسا الوجود جالاً
فهذه كما ترى دبابة جزئة عليها من البديع رونق، مع حرارة نفس ونchosg بين وجودة
رتين.
ويدرك عن أحد أمراء الأفريقي الإسبان أنه عجب من سادة المسلمين كيف أقمنوا على
قتل ابن الخطيبي مع فضلبه الباه وبياته الساحرة؟ وقد كان رجهم الله من أفراده
إشرافات الأندلس، ومن أشدها هو حضيضه، وفخرًا لغزاة ما أسهمها أخرجت بعده
من يضاهيه أو يدانه، وما كان ابن زمرش على تجرده لصنعته إلا انعكاسة ضوء لحجة
من بارقه... تأمل مثلًا قوله:
إليك رسول الله دعوة نازح
خفوق الخشا رهن الدامع هيان
شباب تقضي في مراح وخسران
ويصب إليه ما استجد الجديدان
فهذا يحاكي فيه ابن الخطيبي، وليس فيه نفحات صدقه. وله همزية جارى بها:
أرج النسيم سرى من الازوراء
سحا فأحيا ميت الأحياء
فأجل من معتن الأرجاء
أهدي لنا أرواح نجد عرفة
وكان أمر ابن الفارس آتى معروفاً، وعندى أن شعر ابن الفارس وسط إلا ما ندر وفه
بعد نظر، ثم ليس فيه من المديح النيوي شيء ومن عجب الأمر أن الجزالة إنا تعطي

81
قيادها مع المديح وما بمجاهد قتامل. وقد يجوز أن يكون ابن زمرك نظر إلى ما ثم من هميات مجرى الروي قديمة لكلمة حبيب:
قد ك انتبأ في الغلوياء كم تعذلون وأنتم سجراً
ومهما يكن من ذلك فإنه ما جاور نجاخ خطابياً خليل الروني، أشبه شيء بمنظومات المناسبات التي لا يكون لها قوة تأثير بعد مناسبتها الأولى. ومطلعها:
زار الخيرال بأيمن السطوراء فجما سناه غياء ظلؤه
أو أكثر أبيات القصيدة على غير هذا المطلع لا تكون أجود منه إن لم تكن دونه.
وللسان الدين بن الحطيب شعر نوري قاله على لسان سلطانه ملك غزالة الغني بالله
من بني الأحمحمد بن سلطان بن الحجاج زينا ضمه من خاص شعوره وصدق معبده
مع الذي اعتنى به على لسان سيد من التفصيل عن قضاء واجب زيارة القبر الشريف
بما كان بعده من واجب المرابطة وجهاد العدو، وإنما قصد لسان الدين وسلطانه إلى
وجه من الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم. من ذلك بانيته التي مطلعها:
دعناك بأقصى المغرين غريب
وأنت على بعد المزار قريب
والضمير يطاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستغني هو لسان الدين على
لسان سلطانه كما تقدم وعلي أيضا أنه مستغني بلسان نفسه أيضاً:
معدل بأسباب الريحان وترفه
يكلف قوس الدكر حبل شقيمة
إذما هوى والشمس حين تعجي
وقد ذاع من رذ الحجيمة طيب
من الحلم لم يعلم بين رقيب
لعلها الشلال بفتح الشين وهو أشبه من أن تقع في بيه شبه ضرورة إذ حق البقاء هنا
ظهر الفتحة عليها. وفي الأبيات التالية هذا البيت أخطاء نسخ أو طبع يشيمن ما لا
ريب فيه من روائها واستواها وصفاتها.
ومما لنا ما تحت
بملوح بفوا بالليل منه مشيبي
غني وصبر للشجود سليب
ومهماً

- ٨٢ -
حديث الغريب الداد فيك غريب
عُقِدَارب لا يخفى ذن دبيب
فمليب من دوي****ه وسليب
وهل يتِسمَّاوي مشهٌد ومَعْمِب

أيا خاتم الرسَل المكن مكَانه
عدد عن مغالكَ المشوقة للعدأ
حراص على إطفاء نور قدحته
بنصرك عنك الشغل من غير منحة

أَي شهودِي لا بد منه لِبَاشِرة الجهاد، فإن غبت للزيارة ناب عنى غيري فليس ذلك في
القيام بواجِب الجهاد كأ لَو أشهد. فهل القاري يطفِن إلى جانب البديع في الاستعارة
والطباخ والنورية- قوله غريب من قولهم حديث غريب أي نادر نفس من طريق
إسناها وقوله مستليب وسلب تضمن من بائتب عقلمَة وإشارة إلى قوله:

رَغَّا فِوقهم سَحق السَباه فداحض
بِشكت****ه لم يستليب وسليب

يريد بالإشارة معنى عذاب الله الذي صبه على ثمود.

ولولاك لم يعمم من الروم عودها
وجاهك بعد الله نرجو فإنه
عليك صلاة الله ما طيب الفضا
وما يفتُر ثُغر للبروق شبيب

على جزالة ابن الخطيب فيه تصع وبشي كثيروّ له غرام بذكر النسائم والأغصان
والغيب، مما هو، على أصالته في العربية، ذو نفحات اندلسية مغربية. ومن بديعه
المصنوع في هذه البائبة قوله:

فقول حبيب إذ يقول تشققا
سعى وطن يدنو إلى حبيب

يعني حبيب بن أوس في أول البيت. وقوله:

ويا قادح المزند الشجاج ترقع
عليك فشوكِي الخارجي شبيب

أي الذي لا أستطيع رده قد شب- يشير إلى شبيب زعيم الخوارج على زمان الحجاج.

وما قاله على لسان سلطانه الغني بالله:

إذا فاتنى ظل الحمي ونعيمه
فحسب فؤادي أن يب نسيمه

وهي أجرد وأصفى ديباجة من البائبة وأخر أنفاسا وأخفى صناعة بديع
ويقتعني أنى بـّه متشهٍّ فنمزمه دمغي وجمسي حطيمه
المطلع مشعر كأنى ترى بآرب الشاعر، وهو ما تقدم من شوقه إلى الحجاز، وما يبدو دون ذلك من أمر الجهاد. وجعله دمعه دبغما للنواحة الدمع وجسمه حطيم بالشوق والخزيف من أسباب البيت الحرام تسمية كل بجزء ومنها:

ولم أرشِّيـَـا كـالنسمم إذا سرى نذكار نفس مشوكه، وما شفتِي بالغور قد سرَح ولا شاتني من وحش وجرة ريمه. من الغضير يبدو وموهون فأشيهمه تأمل رصانة هذه الأبيات مع عذوبة لفظها. وما خلا ابن الخطيب من نظر إلى قول أبي العلاء:

ولا هـزى شوق جيزة هزكان، والمرى يشير منها الأعشى مع الهرانية وقد جاء به في رسالة الغفران. والذي أخذه ابن الخطيب هذى الصياحة وصدى إيقاعها ومنها:

ألا يا رسول الله ناداك ضارع مشوك إذا ما الليل معد رواقه، إذا ما حديث عندك جاءت به الصبا أقيهر بالنجوي وأن تسمعها ويشرح ما يفتي وأن تعلمه وتفترض الشكوك وأن تريحه تأمل إنساب هذا الكلام وما فيه من شبه بأنفاس فوحى الملودين حبيب والوليد وأبي الطيب بنورك نور الله قد أشرق الهدى للك أجل فضل الله بالأرض ساكبا في قوله "فاؤنواره" معنى الأزهار.
ومن فوق أطباق السياص بنك اقتدى
هلذا أوطاها وكليته
هنا إشارة إلى المراج
للك الخلق الأرضي الذي جل ذكره
ويجدك في الذكر العظيم عظيمه
فمثير في القول فيك عديمه
ويقول على لسان الغني بالله معتذرا عن تقصيره عن الديار المقدسة:

جلالة الغفر الغريب ورومة
تأمل تسمية الأندلس الغربر الغريب، فقد سبقت الإشارة إلى أن ابن زمرك من طريقة
لسان الدين أخذ

أجاهده منهم في سبيلك أمة
هي البحر يعس أمرها من يرومه
لا يخفى ما همه إلى أن نصر المسلمين بالأندلس لينتبأ إلى بروئ نصرهم إلا بقوة البحر. وابن الخطيبي قوي الإحساس بأن سبيل الأندلس، ما بقى منها، إلى ضياع، وكذلك كان إحسان بن خلدون. ولكن قيلها أحس أبو مروان بن حيان على حين لم تزل قرطبة وطليطلة وشبلية كل أواكن تحت سلطان الإسلام، ولكن الفتنة
التي طورت بالخلافة الأندلسية وما تبعها من تفرقة دامية العراق هو الذي وقع في نفسه هذا الخدش، وعليه تخير الامور
ويقول في آخرها خاطب الرسول عليه السلام:

أولئك لنا الظل الذي نستديمه
وأما نانت داري وأعْمُوز مطموع
على مجد الأعلى الذي جل خيمه
فما عدنى هاء الروي وعهبه
فهذه طرفة حببية الشوو
فما بذلك لا ينسب إليه خداثه
فلا تمسى يا خير من وطئي الشري
عليك صلاة الله ما ذكر شارق
وما راق من وجه الصباح نسيمه
وإنا ما تقدم ذكره من النفتحة الأندلسية - شاهد ذلك أنك تحس نوع أحساس من

- ٨٥ -
الشاعر بهذا النسيم الذي راق، لا أنه يقصد إلى تكبير عدد الصلاة بذكر النسيم ليس
غير.
والناس الدين ما ذكرنا مماهم يعرفها حذاق المشدين وما زالوا يتأمنون بها مع ما
يتغلب به الذاكر من ينفعه سبيل المال رائته التي يذكر فيها زيارته القبر الشريف:

الله أكبَر حفِّيـَـدِّـ ـهــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ&
ليس بموضع وقف لكن من اضطرر وقف عنده سكن شين، فأحسب رسم النهاني لها «حاشا جلالاك» أو رسم النساخ من قبل إن يك هكذا مراعا لرسم المصاحف.
ومن هذه الرائة قوله في أواخرها:

فَامنَّن على وَكَن شَعِيbite to be replaced by..."شعي"bite to be replaced by... "لولة"والفت مستنصرًا بـ جلالاك استنصراته
وكان تأويل والفت إلى مستنصر ونصب بنزع الخلف وهو لولة؛ وعندى انه قد وقع خطأ من الناسخ ههنا وأن الصواب:

فَامنَّن على وَكَن شَعِيbite to be replaced by..."شعي"bite to be replaced by... "لولة"والفت مستنصرًا بـ جلالاك استنصراته

أي ولكن مغينًا لي، وزم بعضهم أنه لا يجوز ميفجنة لام الأمر مع المضارع المبتدوء بتاء الخطاب بحجة أن فعل الأمر قد أغنى عن ذلك وليس هذا شيء لقراءة أي قلق بفضل الله وبرحمته فبذلنا فلتفرحوا وهي عشرية في حرف بعقوب عن روبس ذكره صاحب النشر.

صل على الله ماحيا الخيا روضه السرا وتنزمت أطياره.

وتأمَّل نفحة الاندلس في تُبَية الحيا روض الربي، وترزم الأطيار.
كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله شاعراً متفقاً ولعل النهاني يشير إليه وله ابن ناهته المصري وحازم وابن جابر إذ قال في مقدمته أنه بدأ كل حرف بمحيح الأئمة الثلاثة الأبوصيري فالبري، فالصرصري «إن كان لهم كلام لأهم أشهر مداخله صلى الله عليه وسلم وإن كان قد أتى من أئمة المشارقة والمغاربة من هو مثلهم أو أعلى نظاهم من بعضهم كا ستقَّف على ذلك من كلامهم إن شاء الله تعالى» 1.  

قلت لعل هذا من قول النهاني رحمه الله أن يكون قد احترس به، ومن اجتمع من مجتمعة ابن الخطيب وهو على براءته وصفاء ديباجته وما يأتيه من الجزالة لا يبلغ مبلغ الثلاثة الأئمة في حراق المدح النبوي، إذ على صدقي فيه لا يخلو من شائبة بعض أنفس الدنيا خلاف ما عليه نظم الثلاثة، وقال تعالى جل من قال: «نفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليهم».
الصرصري والبرعي والبريزي

أحسب أن هذا ترتيبهم إن شبناهم تسبيها لا نريد به حقيقة المائعة ولكن نريد
به نحا والتقريب بثلاثة المولدين الكبار، أبي تمام وأبي عبادة وأبي الطيب. أشهم
بأبي تمام الصرصري وأشهم بأبي عبادة البرعي وأشهم بأبي الطيب
البريزي وهو المقدم المجمع على تقديمه وفضيله والبريزي أشهر من الصرصري
والذاكرون بالمديح النبوي أكثر لقصائده إنشاداً. وقد كان الصرصري من رجال السابع
الهجري في نصفه الأول قتل بندته صرصر سنة سقوط بغداد. فتلاه النزار شهيداً رحمه
الله. وكان البريزي من رجال نفس القرن ولد سنة 688 هـ مات في آخر سنة
966 هـ. وكان البرعي من رجال الثامن والتاسع كا في القدر الطائل وأشار اليه شراح
القاسوس في مادة بعس ولم يذكر تاريخ مولده أو وفاته وذكر وفاته صاحب القدر الطائل
أنا سنة 880 هـ وذكرها الزركل في أعماله عند عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي
ولكن ذكر أن الذي بأيدي الناس هو ديوانه الصغير وكنت اصبت تاريخ مولده ووفاته
من الاستاذ المجمع الفضل الشيخ محمد علي عقبات. من علماء مدينة صنعاء ثم تد
عنبو موضوع القصيدة وذكر الشيخ النبهاني رحم الله أنه من رجالات القرن الخامس ولا
أحسب صحيحاً لو اوضح ما في القدر الطائل رقته.

للصصري مقصورة نظم فيها عقيدته، وهي ما كان قلباً على إيجاب أهل السنة
وأحسب أن القاضي في جوهره المشهورة وغيره من معرفة أصحاب التبر المظوم في
العقائد لم يختلفوا من استناده بها ونظمها أمن من نظمهم بل ريب كفوله

شاثبة كبد موسى والعصا
وابن ولي قيل على الماء مشى
في كل عصر وزمان قد خلا
وخبرها القرن الذي بك أقثدى
وخبرهم أربعة هم الفرس.

ومن فوقه ففضله لا يرتفع
فبه عظم الضراء عروس الخفي
أدبهم لا أطبب من واليشو
وğunة يفضلون على شمس الضحي

وكل من كان ببدر حاضراً
وبيعة الوضوء من يشهدها
وكلفنا كان بينهم به
وإن أزوجك كلهن في
ثم أخذ في نظم ما يدين به من الشرع مما كان عليه أشهر قول أهل السنة.

والصوم والصلاة والزكاة والندب والتصب والخمار وكل مسكر وكل مزمار. وكل شرب وتخرب.

الحمر والضر وتخرب الربا في المعبد وحرب من بغي.

أن يتقي العلمن وينقض المدى.

فهذا عظيم نظمته أخر ذكرته.

عليك يامن الله يسمع الخمس ملك.

في المطبوعة الخمس بالخان المعجمة وما أرى إلا أنه الخمس بالخان المهملة وهو

اليوم القيام لما فيه من الحري والعرق.

فأسأل في الصوران أن يمتنئي.

غير مغير إذا السوئت القضي.

فقد ماتان شاء الله شهيدا رحمه الله.

عساح أن يظهر في خطابتي.

بفضل هذا الملك وانتهى.

عند الذي يعلم سري ويرى.

هبت مع الأشجار أنفس الصبا.

لاحظ الفرق بين طريقة الصبري في ذكر هوب الصبا وما مر من ارتياح ونشوة.

للطيبة في كلام ابن الخطيب. ألا ترى هنا أن الصبري أشتهر بما هوب الصبا.

في الأسحار وأقرر بين هذا وبين قول ابن الخطيب مثلا.

عليك صلاة الله ما ذهر شارق.

وقوله:

 صلى الله عليه ما حيا الخبا.

وقعله:

عليك صلاة الله ما طيب الفضا.

وما فاخر غريب للغصن مرنح.
أول المقصورة استهلال عذب حسن الأسيابي وهو قوله:

"ما بين قرب وبعد وقيل ضغع زمنا ووهب شببتة
وأهله لأيام شباب ما لها
لكنهما تقف وبقي حرة
من لا ين في غرفة الدهر له.

فقلما ينجب في آخره
لو قد كان جاء بجواب السرر ( من لم يكن ) في عجز البيت لأشبه مذهب ابن دريد
في المقصورة، ولكنه بجعله الجواب في بيت تال قبباً ذلك المذهب، وهذا أدل على
ساحة طبعة وأنه لم ينصب من نفسه جمارياً لأين دريد وإن يكن قد أخذ ببجي ورويه

ياوحي عبد ذهبت أقواسه
مستغرقات في جهالات الموى
أحصى عليه الكاتبان ما سعى
ثم سلك الصريص من بعد سبيلما من الوظع أصاب فيها من النظر إلى ذكر الحساب
واليوم الآخر. ونظم معاي القرآن والحديث عشر ونزلة أقدام، وقد تعلم كيف تكلف
أبوهام وقريب شفا الأداء حيث قال:

تانيه في كبد الساء ولم يكن
أصاب الصريص رحمة الله شأوا بعبدا من الإحداء في بعض ما تناوله في هذا المجال.
مثلا ما جاء من صفته للنبي صلى الله عليه وسلم إذ قام بلواء الحمد للشفاعة:

"معلوم في ذلك اليوم سريو
ول من ينشق عن له قره
يضيفي سبعون ألف ملك
وهذى الصورة مأخوذة من قصة الأسرار والمعرج
"بيده اللواء تحت ظله
وهو شفيع الناس يوم العرف الطـ
جمع هنا بين معاني الحديث والقرآن - قال تعالى: وعنت الوجه لله من القيوم
ومؤسفة سبعين ضفعا شمسه
واشتقت فيما غضب الله على

901
يقوـل الأنبياء كلهـم
فـي موقـف فيـه الخليل قـد خشـى
خشي بوزن سعي على لـغة طبي في باب فرح وسمع الناقة
يجيب من كان مصـدقا بـه
أصدـع للعـمـاصين من أمـتهـ ومـع بحـواصـق شهـر عرـضهـ
فـي بيـاضـة من صريـح بن
يـسعد الشـهداء السـؤوس أولًا
فهـذا كـا ترـى نفس حـلو الانـساب، سهل الدـيـابـة، جـيل طرـيقة القـصـص.
وـمن جـيـاد شـعر الصرـصـرـي رـحـم الله راـئته النـي جـعـل أـولا تـشيـبا بالكـعبة

المـشرفة، وأعطاهـا صوـرة المـحـبوبة الحـسنـاء التي يـوا في طيـفها فيـهج دوـافع الشـوق. وـقد
أخذ أـصل المعنى من قوة عـلاقة الدـار بالمـحبوبة في قـديمات قـصائد العـرب، وأخذ معنى
خـلـع صوـرة الإنسان على الدار من طرـيقة أـي بـيـام فـنـجز جمع ذاك وـلذـنـه ما صار هو
إيـليـه من المعـاني الحـسان، لا أـشك أن بـحي الدين بن عـربي أـخذ تغـزله بالكـعبة من
هـنـا، لأن شـعر الصرـصـرـي رـحـم الله كاـن ذا سـيرـة مشهورة، وتغـزـل ابن العربي الذي
جـاء به في الفـتوحات لـيس بـجـيد حـقا، وـكان النـظم أـغلـب على طرـيقته نـظاـما قـليـل المـاء:

ونـعوـد بـعـد إلـى ذكر راـئية الصرـصـرـي، قال رحـم الله ورـضـي عـنـه:

هـيثـك أـلسـنة الحـليـا من دار
وـكـست حـلـتها بـد الأزهـار
هـذا المـطـلع كـا ترـى طـنان بـنان، فيه روح من طنـان أـي بـيـام:
الحـق أـبـلـع والسيف عوـاري

وـقـد سـبـقت منا الإشارة إلـى أن في الصرـصـرـي رحـم الله أـنفـاسا حـبية
فـتـضـت نفـحـات تـرتـيك كلا،
فـهـذـا الإـسـتـعـارة حـبيـبة المـعدـن.
فـلآـنـت مـعـهدي الـقـدـيم ومـلأـفـي
لـلـه ما أـبـقى الأَحـبـاء مـوـدـعـاً
لأـصرح الـيـوـم فيـك بـلعـوـة
ماكـنت بـدـعـا في الصـباـبة والأَمـي

- 91 -
ما الخب إلا اللوعة تلخ الخشا
وصونها حول البهاء مستورها
تأمل أصناف الجنس التي مرت ثم تأتي الكعبة هنذا وجعلها عقيمة مصونة
معشوفة:
عربية الأنساب قام بحسنها
جعله الحسن عذرا في كالإشارة إلى قول امرأة العزيز: "فذلك الذي ملتني فيه" لما قال
ه: "حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم" ثم أخذ بعد في ذكر الطيف:
زارت على بعد المسافة بعدما هُوت النجوم ولات حين مزار

يشير هنا إلى قول جرير:
وقت الزيارة فارجعى بسلام
أراد جرير أن عليه أن يصل الفجر ويواصل السير فهذا بسبب طرد الخيال، إذ هو
ور哀 أن السيدة سكينة بنت الحسين بن على رضي الله عنهم أجمعين
أخذت عليه، وما أحسب أنه غبار عنها مراده، ولكنها لعلها أخذت عليه بعض
مذاهبة في الملح والهجة.
أو اخترع الخبر بعض الحذاق
زارت على بعد المسافة بعدما
أرى طوق شقيق الفيلا وديابها
ه: "أهلا بطيف زائر أهدي لنا
دلب بيه هذا أنه لم يطرد الخيال، فجيء قوله: "ولات حين مزار" جرى الدلاله على

وقت

جاءت بوصل واتشنت وجبها
فهذى قرية مأهولة من أن تكون المغزول فيها امرأة - على أنه ليس في وصال الطيف من
وله جرار في أعْز جوار
جر الفضى من يـيـر مي جار
ذيج الحجر في التقبل لل أحجار
فهذا لا حجر ولا عثار على

- ٩٢ -
ذو الحجر أي ذو اللب
بالقصاد في أك-push خير جداد
لمشتري والأري للمشتتار
الأري هو العسل ومشتاره جانيه والترية عني بها قبره صلى الله عليه وسلم
وبه بين للقلوب حقائق ال
أسرار بـمـشـتـار لم يش ح بـسرار
ومن هنأ أخذ في مدر الرسول عليه الصلاة والسلام:
هـو أـمـهـد المختار أحمد مسر
نـسـب إذا ذـبـاـيـر مغـمار
وحيـثـها في السلم للمشتار
هـكذا ونـنـي أـن هـنأ خـطـاـتا من النـاسـخ وحـن الـصوـار: وحيـثـها أـي وـيـها حـيـا أن غـيـث
في زمن السلم لطالب جدوا مماثاً لأن الغيب يتبع الخصبة والمرية
غـمـر النـسـى جلاء أـغـار الـتـأرب
جعل المهني في مسـعـوم خـصـمـه
وهو المظلل بالغائم من أدى الـ
يعنى أـسنـاف أـهـل الـكتـاب
وبيـه تنـتـبـح سـار مـهـمـاـجـاـزاـا
وأنـه إكـراراـاـاـاـاـاـاـاـاـالـصـوب الجـهـاـاـا
فـضـل الـبرـيـة كـلاـها ورسـاـبـــــــةــــــهـــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــــــهــ~

- 93 -
وبرز بين هذا وبين قول ابن جابر في المقصورة
فأبدل الوجه لنيل برتعى
فقل: 
وقوله:
لولا اشتراقي لديار كرمت
ومدح من أرجو بأمداحي له
لم أجعل الشعر لنفسي خلقة
يا ضياعة الألباب في دهر غذا
فإن هكذا خشونه مع جانب تعز شخصي ذاتي، وبرز بين هذا وبين شعور الشروة
والفرح النفسياً بها جهان الله هذه الهبة حتى جعله لنفسه صنعة وشعاراً إذ مدح النبي
صلى الله عليه وسلم من عدده للدنيا والآخر.
لم يكن مدخلين من عديد ما
أضحى شعراً صنعة الأشعار
لن شعر الثناء عليك أطيب نفحات
من مسك دارين تفنن بداري
أرى أن الثناء فاعل لنشر وهو فعل وأطيب مفعول به وأصله صفة لمحدود ونفحات تميز
أي نثر ثناية عليك نفحات طيبة أطيب من مسك دارين، فهي بدءي فائحة. ومن
جعل نثره مصدراً بالثناء مضاف إليه وأطيب خبر المبتدأ جاز ذلك وأحوج إلى
تأويل النثر بمثوى وليس في جودة ما ذكرنا، وإنما ما ذكرنا أجزى أن شاء الله
ملا المهن مذ قدصت مادحاً
بصار يمنى ثم يساري
تأمل هذا الشعر الحادث بمثى بنعمة الموال وصدقة وأريحته
ومني بجاهلك بأعز وسائلك
فتخذت سلك المنيرة حجة
وعجبت منه قدام الأشعار
وقدعت مروى الخميزة من ضيقة الإعد
كأنها أطول على هذا البيت ظل من أي تمام وذل ذلك قوله:
وتباشروا كتباشر الحرمين في
قحم السنين بأعراض الأسعار
وكان الصرحي يعتمد نوعاً من الإلمام بالأشارات إلى هذا البيت، لأن هؤلاء تباشروا
بالخليفة وأبنه النواقش والصرحي بشراً وتبادروا بهذا الشعر المبدي الذي نفاه وهمه
وتبع قتر ذنه فمحاة.
حسب رجاء أنت من أمته
أن أقبلت من أطلول الأسعار
أن أقبلوا
- ٩٤ -
وذلك ما بين المحشر والملات

ويزيد فيك رجاء قلي قوة

أين صار بي نسب إلي الأنصار

هذا المعنى حاوله من بعد لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه ولم يجيء به سهلا

جيدة كأنا قوم حللت ببداهم فتددعوا

فيدلهم لرضاء شوب فخار

فف الأسال إلهك لي بعثر عمر

وجربت وألف الأشجار

وشهدني حق قبل شهادة

إذ إن استشهد منهم من قد استشهد في أول الإسلام ومن بعد، كسيدينا حمزة وعبيدة

وجعفر وزيد بن حارثة وعلي الخمين وزيد ويجي رضي الله عنهم أجمعين. وقد

أجبرت ذلك. وحسن أولئك رفقا.

جتنا هذه القصيدة كاملة لم ننذح منها شيئاً لرى القارئ الكريم كيف أنفس هذا

النمط الروحي الخاص.

وكان كان في الصريري وصاحبه طول نفس، وقديماً قال أبو الطيب في مذوجه الذي

هو علي مجهد من سائر أفراد الملك:

وقد وجدت مجال القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقيل

وقد سبقهم من صناعة أبي تمام والبحثري ما مهد لطول النفس عندهم، وكان أبو

الطيب أميل إلى الإجاز وذلذلك تبريزه. وقد سبقهم أكثر من هذين أساليب تطويل ابن

الرومي الذي كان يتأتي إليه بشقاق المعاني وتفرعها. غير أنه كان يحمل جانب تجويد

اللفظ والاقفاج كما قدمت.

وفي مادة السيرة النبوية من خبر الجهاد والصبر أيام قبل الهجرة وعدها والمحراب وما

كان فيه من الأسرار والتجلٍ وكشف الحجب مجال خصب للقصص وإطالة النفس

من غير ما حاجة إلى التشغيل المعنوي والاحتبار إلى تفرعه. فتأتى طبيعة هذه

الخصوصية في مادة السيرة إمكان الجمع بين مثابة الأمر وجذالة اللطف مع انسباب السرد

ولا يخلو صدر القصيدة مع ما جبت عليه بنيتها من إثير الإجاز من اتساع لطول

النفس من تهيأت أسبابه ومن أجل ذلك طالت المعلقات وبعض قصائد الأوائل

كجبرير والفرزدي. إلا أن الإجاز كما تقدم هو القاعدة الأولى في بيان الشعر ببلاغته.

وأحسب أنه من أجل هذا قال صاحب عمدة في باب اللطف والمعنى: 0 والفلسفة

وجر الأخبار باب آخر غير الشعر، فإن وضع في شيء منها فنقد، ولا يجب أن يعملا

- 95 -
ذكر العقيلة فهاجه تذكاري
وبهذة القصيدة تغزل بالديار الحجازية كني به عن البيت الحرام والقرب الشرف والحج وزيارة ومشاهد الحرمين ثم خلص إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف خلقه وخلقته ومولده وما صاحبه من الأزهار ووصف تقامه وسكته ونبهته.
وشيرعته وما خصص الله به من التشريف والمجزعة وما جاء في الكتب من قبل من البشرين بتمدهم ثم ختم بما كتب عنه في البداية فصرح به في النهاية من نية قلب أن تجوز به ناقة كومية إلى حيث الربيع المقدسة ذات الهدى والنساء، ويبدو أن نظم هذه الرائعة قد كان قبل نظمها التي قبلها إذ يذكر في تلك بسارة ويذكر في هذه عسرا يرجم أن يمن الله عليه بعدها بمسرة.
أما السبب فقوله:

تجمت بين الجوانح نحارة
وهفت إلى سلع نوزان قلبها.
هذه الديار بناحية المدينة المنورة على ساكنها أفاض الصلاة والسلام.
كلف براعة ما تألقت بارقه
بشتاق واديها وليلولا حبيها
شفقة بس كل الفؤاد بأسره
لولا هواء لم تنى أعطافه.
والضيمر هنا للنبي صلى الله عليه وسلم والأزاء المحمدية
مني وان بعددت على ديبارة
إذ لCOME Se 0.2. 0. 0 MAF 000 0. 000.”
أرفح كنيها فيك بقضي نحبه.
لا يستفيق من الغمـام وكـلما
ما اعتراض عن سمر الحمي ظلال ولا
السمر يفتح السين وضم الميم من شجر الحجاز وبنواحي مكة وكانت بيعة الرضوان
تحت سمرة.

أرجأ ورقت بالرضا أحسأه
هل عـائد زمن تضـوع نـه?

هذا البيت يدل على أنه حج من قبل ويريد العودة. وذكر الأسحاب كما مر بالقاريء الكريمن من قبل مما يكرر عند الصروصري، وإنما خص الأسحاب لكان صلاة الفجر وللمجاهاة أهل الصلاح خاصة للنوم في ساعات السحر المباركة. قال تعالى: ﴿الصابرين والصادقين والصادقة والصافين والمتفقين والمتفقين بالأسحاب، وللأسحاب في الحرمين بركة وأسرار.﴾

في مربع بقـبـاب سلـع مـوقـن
بالأنس تنيـف بـالويني أطـيـاره
فـيا وعـز من البرية جاره

ومن هنا نتلخص إلى المديح النبوء في بسر حسن التدفق والنسبة:

فيـن بـجـبـاـه المـطـفي أقطـاره
يـفيـن من الـبـداـه العـظـام غـبـاره
فـيـبـهـا فـتـم وـفـخـاره

قهـت بـجـبـاـه المـطـفي أقطـاره
أضـحى شرـى عـرـضـاته مـذـ حــلـهـا
سـبـحـان من جـمـهـاـن كـلـها
مـحـاـسـن الـمـنـظـر وـمـحـاـسـنـهـا

جـبـت عـلـى الـتـشـرـيف طـيـبـتـهـ فـا
وـسـفـت خـلـائطـهـ وـطـهـر صـدـره
فـذـكـر هـا مـرـى العـنـصر وـشرف النسـمـثـ ثـمـ أـخذ في قـصـة الـمـرـدـ فيـ صـفـة الـرسـول صـلى
الله عليه وسلم فاستقامت له ذلك على ما بدأ به من حسن نخير المفظ وسماحة زين

الإيقاع:

ظلمـه آمنـة الحـصـان فلم تـجد
وـرـت قـصـور الشـام حين تشـعـمت
وـبـسـعـهـا حـسنـا بـاهـرا غـعـتـهـا
الطـيـرـتـهـا وـفـتـم أـنــسـها

هـذا البيت جيد، وذلك أن كان صلى الله عليه وسلم مربرعا، فكان يقول الطوال ببهاء
الشخصية رقوة حضورها وبيحة نورها.

- 97 -
وإذا تكلل كَالجَان جَينَهُ
فَأَتيَهُ أَذِنَكَ وَأَطْيَبَ غِيْرًا
وإذا بَدَا في حَلَّةٍ ينْسَى
فَالَسَمَس بعد الصَّحُو مُفْرَقَة السَّنَا

ثم انتقل إلى صفَّة خِلَقه السُّنِي عَلَى الصِّلَاة وَالسَّلَام:

مَتَقَلَّبًا بالسَّيف لِسَمِيَّات
 حلَّ السَّكِينَة وَالثُّحَب لِبَاسِه
وَالْبِرُ وَالإِخْلاص فِيَهُ شُعَارَاء
وَذَلِك أن الشعَار هو ما يباشر الجسد من الشِّيَاب، وَهذَا مِن شَرِيف المعانى أَن يَكُون
الثُّحَب والسَّكِينَة هُوَ الخُلَة الظَّاهِرة وَالإِخْلاص وَالْبِرُ هُوَ الكُسَاء البَاطِن.

فَازداد مِنْهَا عَلَقْهُ وَوَقَارَهُ
وَالْعَرَف وَالصَّفْح الجَمِيل دُثَار
وَسِلْهُ نَجْهُهُ الدُّهْدُٰ وَمِنْهَا
حَقَّ المِنْبِي إلى الْمُورِّي إِظْهَارَهُ

وَمِن هَذَا أَخْذ فِي مَدِحِ الْإِسْلَام وَقَصَة أَوْلِي الْأَرْض على الشُّرَك وَمَا كان بِجَزِيرَةِ الْعُرُب

وُضِرٌّ بِفَصْحٍ هُوَ درَة تَتَجَهَا
ْرَجٌيما سَّوَاء لِيَلِهُ وَنِهِارِه
أَبَقَى لِسَتِه طَرِيقاً وَأَضْحَى
عَلَم أَلْصَحَك اللَّه أَن سَوَاء تَفْيِد التَّسوِيَة فَإِذَا جَاءَت بَعْدَهَا الحَمْرَة كَانَتَ المعادلة
بَأَم وَإِن لَا حُمْرَة جَيِءَ بِالعَطْف بِالسَّوَاوَ. لَا تَصْلَح أَيْنَ كَأْنَا لِلَّتَخْيِر لا
للَّمَعَادِلَة وَلَا لِلْجَمِيع. قَالَ تَعَالَ: "سَوَاء عَلَى أَجْزَعَنا أَم صَبرَنا". وَقَالَ تَعَالَ "سَوَاء
الْعَافِك فِي الْبَيْدَ وَقَالَ تَعَالَ: "سَوَاء مَعْيَاه وَمَمَاتِهِم". وَمِن الْأَخْطَاه الشَّائِعَة الْأَن
جِعِل أَوْ في مِثْل هَذَا المَوْضُوع.

قَمَر المَحَاق بِوَعَيْرُه سُرَارِه
وُضَمْسَمّ سُرَأ فِي شَرَعَة دَيْنِهِ مَوَارِسَة
فَهِي الصَّوَاب بَجَنْدَه وَبَجَنْدَه
تَكَارُ الدِّنام وَالْجِمِيم هُنَا فِي نَظَر إلى طَرْيَة الْقَدَماء كَذِي الرَّمْة وَزَهِير كَأَنْ فِي نَظَر إلى
طَرْيَة أَبِي طَمَام.

٩٨٠
واعتنى الحق المبين بنـبـوره

بالفال قـدار قـراره

جال فالان هي جبال مكة بدأوا أن أسـفار النور على أن إسـاعيل ترك هو وأمـه هاجر بـيولان في صحراء فالان (الله سفر التكوين ٢١ - ٢٩ وسكن في بيره فالان وأخذت له أمـه زوجة من أرـض مصر، والذي عـدت أن الماء الذي أصابته هاجر بجاج الملك هو ماء زمرم فتـكن فالان هي أرض مكة وتوـزـج إسـاعيل من جرهم ولا يستبعد أن تكون جرهم قد كانت مثل قريش تناجى إلى مصر والشام والحبشه. وعند أهل الكتاب أن فالان بجاعة سبئاء، ولم كانت بجاعة سبئاء لم يكن أمر إسـاعيل ليكون على بعد من سراة ابنها، وقد أرادوا سراة إبراهيم على أن يبعد إسـاعيل حتى لا يشارك ابنها في الميراث.

وجـلا ظـلال الحزين ضـياوـه
وبـه سـنور وأشرـق غـراره

عـنـي بالحزين المدينة

فخرت به خير البقائل هـاشم
قد يدخل في معنى نزار العرب كلهم ولا يعد أنه نظر هنا إلى قول ابن الرومي:

كـأـ على بـرسول الله عـدنان

وأجعل بيت ابن الرومي هذا من ضمن ما مهد لمجى القصيدة النبوية لتختلف قصيدة المدح وما إليها. ثم أخذ الأصراري في ذكر الجهاد وما بعده من ظهور شمس الدين على الدين كله ولو كره المشركون:

زـهرت نجوم السعد في بـهـ بـيره وتـلبـجت بـيـوم الـرضى أـقرهـ وشـمـوسـه في فتح مكة أـقرت

القـتـار بـفـسح الـقـاف عـنـي بها الفـتـر بـالـتحـريك أي الغـبار وـظاهر كـلام الأـفغـش في القوافي يـفـيد أن ذلك ما كانت تفعله العرب وعند سبيعه أن الإـشـاعـ في الضم والكسر

وقال الآخـر:

خـذـا بطن هرـشي أو كـلاـها فـإـنـهـ كـلا جاـني هرـشي فـن طـرـيق

٩٩
ثم انشئ الإمام الصرعى للمدح سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فقال:

صعده بـه أولاده ونشـاؤه وصانـبته وركبته وجمـاله وجماله وراءه وبرعه وجماره وفعل مكان الحوار أن ينكره السمع، على أن السياق مستقيم به، ولعله ما يسوغها ما يلبسها من روح السجدة وسعد الاستعاب. ويعتبر للصرعى بأنه مع الإطالة قد يقع في القصيدة أن يخلع موضع البيت والأبيات ولا يفده ذلك في جودة القصيدة كلها. وقد أخذوا على المنبي قوله:

إنى على شغفي بها في خرها لأعف عيا في سراوحـئها
ولم يمنع ذلك من استجادة هذه الأثاث وعدها أبو منصور من إحسانه وجاء بقوله:

ذكر الأئمة لنا فكانا قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها
فقال إن هذا هو البديع الفرد من أبيات القصيدة.

وحوى الفخار سيره وفراشيه وبضائع أوراده وترده وقصت وبيبت وبقنت أعناهوره
وقد كان احترام الحرب الصليبية مما شهد أهذان المسلمين إلى النظر في مقالات
أهل الكتاب وقعد ما ذهب إليه ذاهبهم من باطل التأويل وبيان مكان البشارة فيها
جاء من مقالات أنيهاء بنى إسرائيل وكتبهم. من ذلك بشارته موسى عليه السلام
به، وحملها أهل الكتاب على أن المسيره هو عيسى عليه السلام، وذلك صنعهم بتأويل
بعيد.

وقد تناول هذا البحث جماعة من المحققين.

هو شاهـد متوكل ومشرب مـنذر متين إـذـهار
أضحى للأئمين حرزا مانعًا وضعت بـه عن وقته أسـراره
عن وقته أي عن آمنه إذ هي التي آمنت به حين جاء وقت رسالته.
بالشام دائرة مكة ربة العالم
المحافظ الحق المستأنرار
هذا البيت جيد بالله، فإن العلم إنها يصح ببيان الحقائق، فلما كنت أو
غيرت وجد الهوى السبيل إلى الأرأي وهو أفت.
في كل عصر تجل فانوار
وكان الصارار يشدون الزنار وهو سير يجعلونه حراماً يشدون به أوساطهم أي
عجا لهم لما يستمرون على كفرهم وابتزرون هذا الزي إلى ذي المسلمين.
وجهاد صاحبه سيف الدولة:
فأنا حلمت عدراً عندهم
وتزور الصريحة حث النصارى على ترك دينهم وعجي من ذلك وأقبل على ما
يرجع لنفس من سبيل النجاة:
وعذاافر حرف أمون ترتى مرحباً كهيغ هاجه ذعارة
قد يبدو أول الأمر هذا الانقلاب بعيداً مفاجناً. ولكن متأملت به عند التأمل ما
يجمعه بها تقدمه من قوة الصلة من طريق تدعائي المعاني على حسب الوجه الذي قدمها
ذكره. ثم لعل الفاريء الكريم يرى كآبى أنه حين جعل هذا الماد الباعق مقدمة
قصيدة نسيبه وشوقاً إلى ذات الشرفاء، ثم أنه رأى كريم الوصال حينا حاز شهود
كالناثناء المعافرة أخذ في المديح المغرز حتى خلص إلى ذكر أهل الكتاب
وعناءهم، ثم بعد ذلك سلك سبيل الشعراء إذا يتعون معاني النسيب الارثال إما إلى
المحبوب وإنما عنه، وهنا الرحلة إلى ديار المحبوب كأ لا يخفى، إلى البيت الحرام إلى
حرم المدينة الشريف.

ومرحباً كهيغ هاجه ذعارة
كعامة يرفعها السراب كأنها
فلات على بحـتر طمي تيـاره

(1) عنذاافر أمون تعزية في الناقة القريبة وكذلك الخرـب والأمور المأمونة المناور وافق الظلم والذمار بضم الذال وتشديد
العين المخوفين جمع ذاـر
يطوي بها شعب الفيلة مشمر
كالسيف للغمـرات سن غراره
لم يبتعد غدا بـروم خطـناره
هذا الفخر في هذا الموضع حسن، لأن هذا لا يطلب شيئا من معالي الدنيا وإنها
يريد العلا عند الله بأداء الفريضة ثم الزبيدة، وقد كان الحج محفوظاً بالشقة
والمخاوف. وكان المصري رهبه الله من أولى الضرور فؤاز عن قوله هذا وقول أبو
العالإ:
قالوا كبرت ولم تقصـد تهامة في
فقلت إن ضريح والذين هم
شيئا ما بين البزندين:
يجذب النور المخوف ليأمن الـ
وهو خوف النار وعدى الله عز وجل.
يبرى مع الفناد الكرام ليشهد الـ
في موقف جم المubah زاهر

هذا يوم عرفة وموقته ولذلك ذكر بعده المازم والمشير الحرام.
والمازم وشعـوا ذا حـومة
والمازم المضيق قال صاحب القاموس المازم (بكر الزاي (1) ويقال المازم
مضيق بين جمع وعرفة وأخر بين مكة ومتى.
ويطنف مضطعا طواف قدومه
سببًا بيت عظمة أستـناره
الاضطباب هيئة جد من ليس البداء في الحج وذلك يمكن الحاج من الرمل في
الأصنام الثلاثة.
أبي من الدـيـلاج رونق حـجره
ليس بـعد فضاء مقتضاته
ربعًا به نور النبي محمد
وقد أتباننا في آخر القصيدة أنه لم يحج ذلك العام ولم يز وزنا تذكر تلك البرباع
المطهرة وحن إليها وما هو هذا يهدى إلهي المهد والمسلم.
نانديته بالله ربنا من أسفرت
عن شرح النجاح أسفاره
وإسفار وجه النجاح عن البشر والبشرى مذهب في الاستعارة حبيبي وهو هنا

(1) الذي في القاموس ضبط الفن وما بين الفويسين لنا.
قالت بشيب عذاره أعداره:
قامت بجليد إذا وصلت سلام من
ثم بر الفضل أعداره كتبت ولكن الكرة والضعف.
وقل السلام عليك من متعرض
يا من قلنا قل الغاز من إذا
يا من نساو في المكارم والنبي
أعده من قول الآخر.
كتبت بجليد في عم نفعها
وسة قلب ومنما بعدوها عدم
و هذا البيت يذك في قصيدة للفرزدق
بمدح زين العبادين رضي الله عنه، وفي
قصيدة للحزم الكاتب يمدح بعض بي أمية ويجوز أن أصله للحزم في أخذ الفرزدق
أنت الملء بكشف ضر غلبت
ذئ عسرة ينبدي بكبدك يسباره
و في البيت المقرن مجاورة تامة. وهذا عذر آخر جاء به مع النبر
والضعف. وتأمل حق الصناعة وخفاء البديع وجودته في قوله: "بكتشب ضر غلبت
ذئ عسرة". فهو من أولى الضر. وقد خلفه بعذر صحيح. ثم هنا إشارة على الذين
خلفوا عام غزوة جيش العسرة وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: "وعلى الثلاثة الذين
خلفوا أليا براءة".
جعل الفناء على علاك شعارة
فحتا بح(mut) وتعطرت أشعاره
يرجو النجاة بفضل جاهك في غد
أشار هنا إلى حدث الشفاعة، حين يقول كل الأسباء نفيهم نفسي وما منهم إلا
ذكر ذهابا أو بعض حتى نوح وإبراهيم وموسي وحتى عيسى إذا اعترف ولم يذكر ذهبا
عليهم السلام أجمعين. تم صار إلى مسند محمد صل الله عليه وسلم فيقم بالشفاعة
ويسعد لبره وينفتح الله عينه من محايد ومن حسن الشيء عليه شيئا لم يفتحه على
أحد قبله ويبقى له الله رجل "آرفع رأسك سل تعط شعف فأرفع رأسي
فأقول أميري يارب". هذه القطعة من لفظ الحديث كما رواه البخاري في الصحيح في
التفسير في تفسير سرية بنى إسرائيل. وفي الحديث الصحيح: "فذلك بعلم الله
المقام المحمود". وفي الصحيح: "من قال حين يسمع النداء الله رب هذه الدعوة
النامة والصلاة القيامة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابتعه مقاما عموذًا الذي وعدته
حلف له شفاعتي يوم القيامة".

- 103 -
الله أجعلنا بشفاعته صلى الله عليه وسلم من الناجين.
وقد أوردو هذه القصيدة كاملاً بأذربيجاني إلى صحة ما نزعمه من استواء
دبابة هذا المهدي وقوة أمره وصمم معاناته وما فيه من روحانية الصدق ونبوءة.
وعللصرى كلمة رائعة طويلة من مجزوء الرجز ذات طرخ وإيقاع جوريت من
بعده على سبيل الاستحسان والترك أولاً:
ججـرت نسيم السحـر
أعطـاف بسط الغـزر
فجعلـت هدـتها وانهـت.
وقد ترى ذكر السحر هنا. وفي الأبيات أنفساً ربيعية سرعان ما صرفها إلى
الحجاز وبانه وشيمه وعرعه.
وضمـخت ملابس الروضـي بـنشر عطر
كأنها فضت بــهـ.. ختـام مـك أذفـر
أظهـرـها مـرـت على سـائر ذات السحـر.
ولاث السحر كتابة عن ربيع الحجاز فهذا سبب طبيها لا أنها مرت على الغدران
والآداب.
فطــنارتحـهم وأنتت
يـع ورـيـا العـرعر
مـعانتـهما من أثـر
فــفـرحتـه طــريـا
فصـر هــنـا بـذكر الرمز وأنها إنا يريد الكعبة والزيارة والذات المحمدية الباهرة.
أذعت بــيارب الصباـ
فــرـدي مــاـشـتـ من
فــذـكر سـكـان الحميـى
آه لــيـس مــرارـرـرـر
وـزــم كـــكـــبــ بــنـعـ.
ثــن أـخــدـ في الحينين لـيـالي الحــجـ ومؤقتة عرفة ومبـت مـزلفـة وتلك الساعات
القدسية من زاد العمر.
يد ليلتي بــالشعرـر
وهـل تـنزل حـرة الـرـد
بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين مشددة و贝ن مكسر قريب مرتبطة بـسـع فيه الحاج
عندما يتجاوز موقف عرفة في سبيله إلى مرتبطة
من بــالمغـانـئ فأشرى 
وهـل لأـيـام منى 
ولنـو بأيـام الحـبـا 
فيا عـلى سـابـمهمـا 
وهـل إلى ذات الـسـمـو 
فتأجهـل نـور الـحـضـانـا 
وأجتـنـئي جنـئـي العـلـى 
يـالك من لـيـلـات قـسـر

ولعلها "طاب فيها سمرى" فمثل هذا قد يقع فيه التحريف

لتـو سـمح السـدهـر بها 
فـضيـت فيها وـطـرـى 
جـداد شـعـاعي الأـبطـح الـأبـعـرـ 
صبـحـي ليـل مـقـمـر

فقد جد في السفر بعد النفر ل يصل إلى المدينة في ليالي مقرمات بطيب بين

السري: 

يـسـفر عن وادي العقيق لقرب السفر 
ووادي العقيق بالمدينة

مـبـشرا بــطـالـع السـدـر
بدـمـالـع السـداهـمي
فقوله العربي هنا هو الذي يرجح عنه أن عينه بنزار في الراشدين كل العرب
وذلك أن بني اسحاق راجعون مع نسب أبيهم إلى نسب أمهم أيضا وهي من 
جرهم من العرب الأول.
ثم اندفعت القصيدة من بعد في مدح محض لا ريب كان كأصلع ما يكون مثله
للتغني العذب الصدوع الخنف النغم، ذكر فيه خلق النبي صلى الله عليه وسلم
وصفة خلقه وحاسنه ومقامه السامي يوم المحشر فمن أمثله ذلك:

محمد بن هاشم بن غالب بن مصر
السيد الفضل المعلم المرر المقرر
الطاهر المنصور والمؤيد المظفر
أجود بالمعروف من منجس متعجج
منتخب من معشر أكرم بهم من معشر
وهم لعمري سادة الناس بكل الأعمر
ولا سعة أقدامهم إلا لكسب مفخر
طلق المحس تُر به يكسف ضوء القمر
صورته الجميلة الأوصاف أهي الصور
ليس بفظ عباس جاف ولا متنهر
ميسر مؤلف وليس بالتنفر

سهل القوام قابل
أرسله الله العظيم
وخصوصه مطرفًا
ولم يعزل محايدة
حتى أنجز بينه موجهه
ووهيارت أنتبه
لـه في أول الخلق ولا في الأخر
مناظر أني وقدد
فضله بالنظر

الآخر بضم الهمزة والخاء مفتورة مشددة جميع آخر أي ليس له في الأولين ولا في
الآخرين مناظر إذ فضله الله بالحرج والنظر في وجهه الكريم

-106-
ولا سيلة التي
لم تختر
والفشاعية التي
والأسرار.
ولا للواء في المعاد والقائم الأكبر
حتى إذا حان قيام كل ميت مقبر
فإنـهُ أول من يخرج عند المنصر
بضم الميم أو فتحها فالضم من أثر، قال تعالى: "ثم إذا شاء أنشره".
والفتح من الثلاثي، قال الأعشى: "يا عجبًا للناريت الناشر".
وليس تفتح الجنـان قبله للبشر
عليه أركان صلوات البراء، المصدر
ثم ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم
ثم على صاحبه المجل المصدر
صديقه الأثني أبي بكر ووزين المحضر.
لعله بتأريخ العرب وأخبار قريش ونسبها مع مأذن الله بـه من الآيات
والتصديق والسبق المبين.
ثم على الحديث المبكر
من مفهوم المبكر
ذي النظر الشاب والقلب الصدوق عمر
ثم على البر الشهيد الشاب المصطبر
عثمان ذي النورين من جهز جيش العصر
ثم على ابن عمه البحر الخضم حيدر
دلت على تفضيله الراية يوم خير
ثم على من كان طوع أمره المبتدر
من آله وسلمه الغفر الكرام الصبر
وتابعيهم بهدى من أثر ومثير
ثم صار إلى حنين نفسه إلى الحج والزيارة والاستغفار ورجاء الشفاعة لتكون كلمته خالصة في التقوى والعبادة وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأله وصحبه:

با مرجى الخوص النواجي في الشسوء المقر
 إن جزت عن وادي العقيق نحو سلع فانظر
 تلك القباب البيض إن عابيتها فكبر
 وقف ناحية المجرة العليا خير الحجر
 وفي من حرم في ذلك الجنراث الأظهار
 تجلى طيبة عن العبيد الأصغر
 مجيء بن يوسف بن يحيى الذنب المقر
 وقل عبيد بركم نى وأي ضر صصر

فقال نسب نفسه كما ترى وهو مذهب للمداح قديم - وقد يعلم القارئ الكريم قول
عمير بن شبم القطامي:

من مبلغ زفر القيسي مدحته عن القطامي قولا غير إفناد
 وقال عمر بن حطان في كلمته النونية "من بعد ما قيل عمر بن حطان" - وقد
 سن مداح الرسول صلى الله عليه وسلم الأولون ذكر أسبائهم ونسائهم، فعل ذلك
 حساب في كلمته التي قال فيها

لان جناحي خطيب جناحية الجر
 وأبي في سمحة القنائل القنا
 وفعل ذلك كعب قال:
 تسمي الوشاة جناحيها وقوفهم
 إنك يا ابن أبي سلمى لقاتولي

فبذلك اقتدى مداح الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بعد.

بصاحب الجماهير الميد الشامل المنتشر
نحن وإن كانا ذو جرم عظيم خطر
من زمرة منسوبة إليك دون الزمر
فغِر عليها واحجاها وإن جنَت فاستغفر
وإن وَه فَقُوهَا أَو قَهْر فَانْصِر
وَكَانَتْ نَظَرْ بِهَا بِصَيْرَةٍ كَأَشْفَاةٍ إِلَى مَا أَقْترَبْ مِنْ خَطَرِهَا، ثُمَّ مَا مِنْ اللَّهِ بِهِ مِنْ بعَدِ
مِنْ هِدَايَةٍ أَمْمُ التَّتَارِ وَالمَغْلِ وَمِنْ جَوْاَهُمْ جَيِّعًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَانْتَشَرَ فِي أَفَاقِ الأرض كَيْا لم
يَنْتَشِرُ مِنْ قَبْلٍ، وَاللَّهُ غَلِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ.
قال البحري رضي الله عنه:
ضَرَبُوا الخَيَامَ عَلَى الكُتِبِ الأَحْضَرَ
وَتَقَيَّمُوا فِي الأَثْرِ ظَلَالًا وَارْتَفاَوا
وَأَخْبَرُ فِرَدوَسُ الخِيَامِ إِذْ غَدًا
فَكَانَ لِؤْلِكَ طَلَّهُ رَأَى الْقَلْبِ
هذا من قول أبي الطيب "دَنايَ نَفَر مِن الْبِنَانَه".
وعل البشام بنفتحة نجديدة
تَغْشِى الشُّرِّيْض بعنبر ومعنبر
إن النفسوس على اختلاف طباعها
وٌعَلِ الكَرِيم دُلَّاء عَذَّرَة.
أَي لِلْحُبِّ العذِّرِي طَرْيْقٌ إِلَى قَلْبِ الكَرِيم يُرَفِّه وَيَرَاهُ فِي فَيْرِهِ بِهِ الكَرِيم مَا لَمْ تَنْظُر إِلَيْهِ
عَنْهَوَ لِبْناء قَلِبِهِ
يا نُداَا لا بَرَاء الأَراَك عَدَاد ما
سَل جُنَّةُ الجَرَخا غَدِّيْدًا غَدُت بِهِ
لَا تَزَال كَلِمَةُ الفَرْقَي مَسْتَعْمَلَةً فِي الْلُغَةِ الْدَارِجَة بَعْنَي يَقَابِل مَعَنِي الخَليْطِ والْأَصْل
كَا تَرْي إِذْ هُوَ مِنْ تَخَالَطْنِ في الْمُرْعِي يَقُولُونَ، وَالْبُحْري رَحِمَ اللَّهُ إِحْسَاسً
دْقِيقَ بِالْحَبْبِ. وَكَأَنَّ الْحَبْبَيْنَةَ تَنْسَى نَفَعَهَا مِنْ بَعْدَ الْحَبْبَيْنَةَ أَنْدَلُسِيَة مَغْرِبِيَةً فِي هَا
نَعْوَة رَيْعٍ إِلَيْهِمْ الْبَحْرِ الْمَتوسِطُ فِالطَّيْبَيْةِ الَّيْنَ الْبَحْرُ يَمْنِيَة عَرَبِيَة، أَثْلَهَا الأَحْضَرِ
وشامها من أودية اليمن وأخياف جبالها وشعابها، وفيها من أسر شدتها ما ليس عند ابن الخاطب. ثم مع إحساس البرعي رحمه الله بجمال الطبيعة قد أذنها كل الدوامان في نسيب المديح النبوي

سل جيرة الجرعاغدا غدت بهم
هل جددوا عهدا بمعهد رامة
للـٔـه در العيس وهي رواسم
يرافق من حجب السراب سردفـٔ

هنا هذا النمط بحترى وبحتريته آخذة من مذهب ذي الرمة بنصيب
ويلجن في لجع الظلماء ضـوامرا
شـوقـا إلى المظلم الدـمـهر

صل الله عليه وسلم

الطاهر الطاهر البشير المنذر
والسباق المتقدم المتأنـخر

التقدم لما سبق من ذكره أنه أول من ينشق عنه قبره ومتأخر لقأم الشفاعة للمذينين من أمته على الصلاة والسلام

وابن العـوائلك من سليم إنشـه
ذو الفخـر إجاعـا وإن لم يفخـر
بوجوهه الأكوان فاسمع وانظر
ملات محاسنه الزمكان وأشرقت
وبتـبـبت نعم به وتطلـت

على بحترية البرعي في الديبابة تجده كثير النظر إلى معاني أبي الطيب كـهـنـا:

- ۱۱۰ -
منزل صعدت والفلك يتبعها فجاز وهو على أشعارها الشهبة.

ومن بعد يأخذ البرعي في بعض الإلهاة إلى أخبار السيرة النبوية الشريفة.

وللمشودين كلف بالبرعي، ولها اشتهار البردة والهمزة حتى ليس كمثل شهيرة بين العوام والأشخاص شيء من المديح لكان البرعي أشهر المداح قاطبة وأسره الكلام.

لكنهما ما ينشد المشودون من ديوانه وهو الذي زعم صاحب التاج أنه ديوانه الصغير.

والبري جهل عاماً عند من بورون أهم من الخلاصة من المشتغلين بالآداب وتعليمها في المدارس في عصرنا هذا. وابن الفاضر وحده هو المعروف عند هؤلاء بفضل شربة على ذكر الحبيب مدامة.

والكلمة اللامية:

ما بين بان المنحى وظلالة
والفاتية:

روحى فدأك عرفت أم لم تعرف.

وفي البيت:

الغول والعنتة والخل الوفي
وعلمت أن المستحيل الثلاثة

وهو ما يجري كبعض جزء الحكمة. على أن هذه القصائد ليست معروفة حقاً عند المشهد إلا أيات الحمارة وأعرف منها الرائعة القصيرة.

وأرجم حشًا بلظى هواك تسعًا
فاسمه ولا تجعل جوابي لن ترى
صيرا فحاذار أن تضيق وتشجروا
صبًا فحقل أن تمر وتتعاذرا
بعدي ومن أضحي للأشجاع يبري
وتذعدوا بصبابي بين السوير.

111
وفي هذه الأبيات كما ترى صناعة وتفركي، وكان في قوله: يا قلب أنت وعذتتي ما يناظر ما زعمه بعد في قوله: "قل للذين تقدموا". وقال إنه قد أخذته على كثير في قوله: "أريد لأنسي ذكرها" فقالوا وما له يريد أن ينسى حبها. وقوله: "فاسم وراء تجل جواب" هو الذي حب الناس فهذه الكلمة لما تضمنه من معنى الإشارة إلى القرآن وتجلي الحق سبحانه وتعالى للجبل فجعله ذلك وخرب موسى صعا. وإن يكن موسى عليه السلام قد قيل له: "لن ترأي ولكن..." فالشيخ أرى أن قيل ذلك له إلا على تأويل الرؤية بعد الفوز في الدار الأخيرة عن حسب اعتقادنا:

ومنه أن ينظر ب الأبصار، لكن بلا كيف ولا انحصار
هذا في اليوم الآخر. وقوله: "فمن أضحي لأشجاني يري" ليس بخل من فلق وتنمة الأبيات إذ قد استطعنا بذكرها:

ولقد خلقت مع الحبيب وبيننا سر أرق مان، النسيم إذا مري

وهذا البيت الصيدة
فغدوت معروفة وكنت منكرا
وأباح طرفي نظرة ألمتها
رجل إلى الصناعة والاستعانة باد هواك
فدهشت بين جالس وجلالة
غضنا لسان الحال عن حيث
هذا ضعيف لما في قوله غدا لسان الحال من صناعة وعمل
فأدر لازلك في عالم وجهة، تلقى جميع الحسن فيه مصورة
أصل هذا قول أبي نواس
ليس على الله بمستنكرا أن يجمع العالم في واحد
وبته إليه شراح أبي الطيب ونقدته أنه أخذته منه في قوله:

نسقوا لنا نسق الحساب مقدمًا وأي فذلك إذ أتى مؤخراً
وآخر رائطة ابن الفارض

لا أن كل الحسن يكمل صورة ورآه كـ مـ هـ مـ كـ عـ لا ومكررا

قال الشارح: "هذه القصيدة مع شهريها بين المسلمين في غاية الم탄ة ونهاية البلاغة وفج فج. فقد نظم كثير منهم على موازنتها، قال الشيخ شرف الدين بن عينين الدمشقي رحم الله تعالى:

ماذا عن طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو ساكون بالكرى

وقال الأديب الوزير أبو بكر بن عباس رحمه الله تعالى:

أدر الزجاجة فالسني قد ابترى والنجوم قد صرف العنان عن السرى

وقال الشيخ برهان الدين القرافي رحمه الله تعالى:

لم يقلوا على الغرام مزورا ما كان حكم حديثا يفتري

وقلته مطلع قصيدة في دمشق حرسها الله من الآيات:

خذ قصة الأسود يا حادي السرى إن كنت من أهل الغرام غنرا وأقترا صحفة وحلي مصفحة تدرى الحديث فمن قرى خبى درى وأنا قصيدة الشيخ رضه فإنها غابة لا تدرك وطريقة لا تسرك وعقولها لا تملك. 105 هـ

كلام الشيخ حسن البحريش الشارح (ص 257 طبعة مرسية 1853 م) قلت أن يكن أراد ابن عباس الأندلس قليل المعتمد بن عباس فإن زمانه كان في القرن الخامس الهجري قبل معركة الزلاقة ورمان ابن الفارض القرن السابع الهجري لوفاته 632 هـ فإنها جارية ابن عباس أبا الطب وهو الأصل وإنما أوردنا كلام ابن الفارض للتنبيه على ما منى لذره من أهتمار بين معاصرنا لا شيء إلا أن المستشرق كتب عنه وما كتب المستشرقون من كتب منهم عنه - وأحسب من أولئك نيكلسون المستشرق الإنجليزي - إلا التهاس لبعض معاني الحب التصوفي شرطة خلوه من ذكر المصطفى عليه الصلاة والسلام لنفور القلوب الصليبية من ذلك، والله در ابن الخطيب إذ يقول:

ولولاك لم يعجم من الروم عودها فعود الصليبي الأحمجي صليبي

- 113 -
وقد كنت أعجب لم لا يذكر معاصرونا البرعي عبد الرحمن وهو أرق رقة من ابن الفاضل وأطبع ملكة وأسلم متنا وأجمل دبالة. والسبب أن أكبر ترتيب مواقف من تأريخ الأدب عندنا مثير في نحو ما وضعه المستشرقون، وهؤلاء ريا اعتزروا بفضل شاعر كالعري أو فيلسوف كابن سينا من أبناء الإسلام وبعض المتصوفون من عيسى أن يجدوا عنده أنفس حلول وما أشبه من مذهب وحدة الوجود، أما ما كان إسلامياً حقاً فهم منه شهيدو النفور. لذلك نفر من نفر منهم عن أبي الطيب. وكان هؤلاء عن أهل البرعي من مداح الرسول صلى الله عليه وسلم أشد نفورا. وصدق الله العظيم. قال تعالى جل من قائل: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ونار الله إلا أن يتم نوره ولو كفركون. هو الذي أرسل رسوله بنهي وحني ليظهره على الدين كله. ولو كره المشرون" [براءة].

رجع الحديث إلى رائحة البرعي

هذا مناك صاحب قدسية
كم نازعتك الفخر سادة مكة
حساء وعقلب صدف قباس بجوهر
نمني بطيب العرق طيب العنصر.

هذا جيد بالغ، لوضوح المعنى، وخير اللفظ وقوة بين الأيقاع وجزالة السبك.

ما نازعتك يد لعل فضيلة
أو وازننك أكبابر العرب احتضنت
مرجحة بقلم ظفر الخنصر.

هذان البيتان تكرار لما قبلهما. على سلامتها هما دون ما تقدمهما. وأحسب أن البرعي رجع لله أتي من جهة قصده إلى الاستيعاب والشعرونه، إذ ذكر سادة مكة فبدأ له، والله أعلم، أن المعنى يتم بعد كابر العرب، وهذا ما عليه ظاهر القياس، ولكن المعنى قد تم فلا يحتاج إلى مزيد وإن كان في قوله "مانازعك برف" بعض التوكيد.

وقوله "بغبار نكلة أقوى من قلام ظفر الخنصر، أم ليس قلام الخنصر فسبيتا كفيرة، والفضيع قلامة الظفر أم هو شر مكانا من قلام غيره؟ وقصي ما يؤخذ على الشاعر.

هذا التطور لا يضعف ان أخذ ذلك.

ولأن ، سر المسلمين وخير ممن
وطيء الشرى من منجد ومغفور
قامت عاشرى المتنبي المتجر
فضيت رواج العز دونك هيئة
أحسبه يشير هنا إلى خبير الإراشي وأبي جهل، وقد جاء البوصيرى بالخبر أتم في
اللهمية حيث قال:
أبو جهل إذ رأى عنق الفحل إليه كانه العنقاء
واقتضاهم النبي دين الإرشاد وقد ساء بيته والشراء
والبوصيري أمد بأعماق وأقدر على النظم وجر الأبجاء لا من البرع وسائر المذاهب النبويين
وحدهم ولكن من كثير من كبار من تقدموا من الشعراء. والذي جاء به البرع هنا
أشبه بطريقته في النزن. وكما أمكنه التزمن مع النظم جاء به سلسًا ساتحا. ومثي
اضطر إلى تكلفه مسه به ضعف. و مثل ذلك خسه أحيانا عند الصوري. وقل من
كبر شعراء المولدين من لا يقع له ذلك و قد تتيح النقاد مواطن الفضفاض عند أبي الطيب
وأبي عبادة وأبي تمام جمعوا كا تعلم.

وسمت نجومك بالسعود وأشرقت
شمل الوجود لحظات المتوفر
لحظات المتوفر تنتمى لما بدأته من ذكر النجوم والسعود. ومن أخذ عليه رحم الله ذكر
نجوم السعود و حظ التوفر مع سيرة من أكذب قول أصحاب الإيجاب، وهرت على
السرقة لملوده الرجوم، فقد يدخل معتذر له عرجا بقول حسان رضي الله عنه:

يا بكر آمنة المبارك بكرهنا
وإنا هي الطريق لكلام حسن ألفتها فصاحة منطق العرب
في الكون من مكنون سر مضمر
أزنت أنوار النبوة ما انطوى
وصن من لفح السموم غائم
مسوطة من فوق بدر مزهر
هذا المعنى بديع، إذ لما جعل الغمام ظلاً، التمس جعل من تحت ظل الغمام نوراً، فهو
وجه الذي ظله الغمام عليه الصلاة والسلام.
و عليك سلمت الغزالة مد رأة
بك من بديع الحسن أكمل منظر
وذلك أن الغزالة من رموز الحسن:
نادت بك اسم معرف لم ينكر
وأوابد الوحش الكوانتس في الفلا
فقد انتقل هنا ما ترى من السيرة المكية وأخبارها إلى ذكر النبوة والمعجزات
وأدى للك حسبه صم الحصي
وكلما كان الجذع ينمو المنبر
وينبت عليك العنقواب بنجها
في الغبار توههم أن منبهه برى
في قوله: "أن منبهه برى" بعض التعب والصناعة والمعنى أن العنكبوت بنجها قد

- 115 -
أوقعته في وهم قصة الأثر أن المنهج المدخل إلى الغار بريء من أثر الناس. وأخذ الصدر من قول الفرذق في هجاء جرير:

ضربت عليك العنكبوت بنجها وقضى عليك، به الكتاب المنزل

أي أنت وشعرك كنسج العنكبوت وقد تعلم قول الله في ذلك "إن أوهن البيت لبيت الكنكوت" أو إن بيت لبيت عنكبوت فأذان ضرب عليك ليس ذا عهد وطن. وقد أحسن البرعي إذ غير أول ألفاظ البيت فجعل مكان "ضربت عليك" قولته "ومنت عليك" إذ البناء سقف، فأفاد بهذا ما صنعته العنكبوت عند فم الغار وتقلل نسج الفرذق العنكبوت من هجاته إلى معنى لا ريب فيه من المدح.

وعلمت مغيرة لإرشاد في الشريء ورق الحق فعمد غير مؤثر

ضبطها الطابع بشدة الثاء مع كسر وما أرى إلا أن الشاء مفتوحة مشددة أي عاد الثرى غير ذي أثر باد عليه.

في الحي من بـمـد رأوه وحضر

وجعلت شق البـدر معجزة لن ولدحك السـوحي المنـزل فقلت كقوله تعالى: "إنك لعل خلق عظيم" وقوله تعالى: "فيا رحمة من الله نلت لهم" وقوله تعالى: "لمَّا أنزل الله عليه سكته"

ومكارم قد عمت الدنيا ندى وهدى وأخرى أثرت للمحزوب

وهي: "مقاما محمود" الذي وعده الله تعالى.

حـزت الجلالـة والهيـابة والعلا

يا بِجـة الدنيا وعصمة أهلها، كن من أذى النادرين نصري وإنى واجمل مدحي فيه جبل تواصل

فهذا توصل أخذ به في سبيل الختم.

قل أنت يا عبد الرحمن وكيل من

ولن يلين صحبة ورحامامة

وادرأ بصوتك في نحور حواسدي

95
وما يدني مدح البرعي من القلوب حرارة توسه بالنبي صلى الله عليه وسلم، واستغاثته به واستنصره على أعدائه.
وعليك صلى الله عليه وسلم هدى، مثباسي الصباح السفیر.
صرصري يستبشر بالأسحار ونصبها إن كان رحم الله أعمى يشمش اقتراب الوقت. والبرعي منفتح البصيرة والبصر على جمال طبيعة الكون حوله، فهذا الصباح يميت له عن وجهها الجحب.
وعلى قربانك الكرام وسادة الله، إسلام صحب الخير للمتخير.
صل الله عليه وسلم.
والبرعي رحم الله كثير الجنازة الحلوات السائرات بين المشتدين إلى اليوم، بين من لا يزالون تغش أسواهم وتترح قلوبهم لأنغام الدج النخوي على هجره القديم الأصيل، وما يحب البرعي قرب مناهة من عقائد العامة ووضوح معانيه مع جهارة رونته.
وعلى كل الثاني ربي استوفينا بعضها بعضاً بثام كهذه التي تقدمت وربنا اختنمنا من بعضها - قال رحم الله:
بانت عن العدوة القصوى بوادها واستنبنت ريح نجد في بودائها.
والبرعي من حسناته أن ليس يفبر في تعاطى البدع وله وله بالجنين التام:
أحيانا وربنا اتفقت ذلك له في أول بيت من القصيدة كها هننا وكيا في نوئته:.
سمعت سويليج الألوات غناء
على مطلولة الأذابات غناء
أي غناء وغناء الأولى فعل ماض
بزل دعاها الصبا النجدي فانطلقت
والشوق في البيّد هاده وحادها
كأن في طبيّة صوتنا ينادينا
حتى وأنت لمغنى طبيّة طربا

الحنين والنسبيّ والشوق هنا للزيارة الشريفة صريح بهقول لا كتامة فيه:
وماء مميتا يروي غل صوادها
وعلت لها غوادي الشام حاملة
ولم تزل لغبار الأرض خائضة
نحو الرياض التي نور الهدى فيها

- ١١٧-
تأمل حسن هذا البيت :

حمد السيد السادات من مصر
بدر سر فووق أطواق الساء له
والرسول شهد بالفضل العظيم له
نال الذي لم ينله قبله أحد
وجهي ليلة المراف والمساء.

ثم قل ويشفع إكراما لعاصيها
تسري إلى العرش لا فخرا ولا تهنا
والحجاب ترفع عن أنوار باريها.

أمسى يخفف من أوزار أمته
بانت عن السجد الأقصى ركابه
والمور يقده من كل ناحية.

هل بلغت توهات التصوفة مبلغا أعظم من هذا؟ وأصول هذا في القرآن
والحديث كـا يعلق القاري أصلحه الله وإيانا فأنا إذا يلعب بعض الباحثين ويجهدون
لم يبرهنوا أن للتصوف أصولا استعارها المسلمون من الهند ومن النصارى ولم يعرفوا إلا
منهم. نعم لم ينحرف عن وجه الصواب إلا بها استعار من مذاهب غير الإسلام. أما
أصول روحانيته الحقة فمن هناي. ليس فيها من أخذ عن أهل الملأ. وما يغمر هذه
الآيات من نور روحاني شعاعان لا ينحى إلى دليل.

ما رأي الآبتيإ الكبرى وأدرك من
بانت حظائر قدس الله مشرقة
هئن صدى من مطلق القصيدة.

والتلابع واللحج والعش والكرسي ما اقتشرت
إلا بمحمد خير الخلق رائقته.

الضمير في راقيها يعود على الحجاب والعش والكرسي وأوجد عندي أن تجعل
راقيها حالا أخفت الفتى فيه كالخفيض الضم والكرس للثقل على باء المنقوص وهو
مذهب للعرب ولك أن تجعل (راقيها) صيغة مبتعة بعد (خير الخلق) وعلى الوجه الذي
قدمنحه يكون المراذ أنها اقتشرت به إذ هو يرقاها وعلى الوجه الثاني "بعد أن رقاهما
فإنها نعتا له عليه الصلاة والسلام
ذلك الذي لـو أعاع المرن راحته ما كافغاديها وساريا
وثر في خبر استسقاء الأمة به على الصلاة والسلام

- 118 -
ولو مشى في بلاد غير غصبة
أضحى سلاما وبردا حرا جاميا
و لو أشار إلى النار التي سعرت
كم مزقت حسرات من موهبته
يا خاتم الرسول يا مولى مواليه
با صفوته الله يا أعلى الورى شرفا
أي يا سيد سادات الناس والضمير في مواليه يعود للناس على معنى الجمع
المؤمن أي أنت السيد حقا لا هؤلاء الذين يقال لهم إنهم ساداتهم ومواليهم.

يا مرتقي مضر الحمرا يا يدها السمايا
با ضيغم الحرب يا مروي مراضيها
با نصوحة يانورها يا رشد غاروها
يا صاحب النصر يا مردي القنا قدصا

والبريء نشوة عند ذكر الجهاد وربا نظر إلى طريقه أي الطيب في نعت القتال، وذلك من إحسانه الذي نه عليه ابن الأثير.

يا فاضح القطر والبحر المحيط يبدا
أو حولوا مجانيها

مدائحا فيك زانتها قوافيها
زهر عاسنها غير لانسائها
إلا وسر قلوب الناس راويها

إليك حريت من نسائها بسع
عرائس كربياس السمك رائقة
ما أنشدت يا رسول الله في ملال

والغناه هنا عذب جهير مشرق:

ولا تجت معانيها لذى أدب
فصل بمرحمة عبد الرحمان ومن
فستوقف قوله بيعانيتها». وهي بلا ريب جيدة حيث وضعها ، لأن بر أولي الأرحام ريا اتفقت فيه المشقة . قال تعالى جل من قائل : "واتقوا الله الذي تسائلون به
والارحام إن الله كان عليك رقيبا فهذا ما يقوى ما ذهب إليه ان شاء الله

من صولة الكدر والكروه تحميها
وأنت من من مدابر كافيها
يا سيدي ما تلا الآيات تلاها
والاك مستقبل الدنيا وما فيها

والطف بنفس تريث الفضل منك ودم
عاشت بفضلك في أم و في دعة
صل عليك إلا كله آونـ
ومع صحبك يـا بن الطيبين ومن

- ١١٩ -
بعدما بلى مستقبل أي وبلاد مستقبلها هذه الدنيا يا فيها، لا ينبغي إلا إذا وراء ما
بلقه من خطوبها ولا معنى أفتح البار وهو الذي في الطبع.
ووجد أرضه حوت غيب ما سجعت ورق الحائم وغنت في نحوايه،
وكما يرجع ابن الخطيب إلى طبيعة الأندلس يرجع البرعي إلى طبيعة اليمن، وله
ولع بذكر الحياة كقوله،
وهمت على عذب الغور غايته
وكتب: فيا هموم وادي الابن شجوك في
وكتب: سمعت سويج الأهلات غناء
وكتوه: ومن لي بأن أروي الشعيب شربة
وكتب في عظمة عشبة
وأميز في درب الشام وانه..
والبرعي وله بالشم وانه..
وهذه الراية من ملحنة له مسماة تدق القلوب
والروى، مفعمة بصياحة المحبة الروحية، جيدة الدمع، مثينة الأسلوب، كقوله:
أفظؤبه به ينام الساءة توور
ومدح رسول الله فقال سعادتي
نبي تقي أفريح مهذ..
بشتير لكل العوالمين نذير
وطفت نفوس وانثرن صدور
وفي كل بحاء عن علها قصور
وكل عظيم القرآن من حشير.
وقال في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم:
فقلت فاض ما لله بوم الحضي
وعضواو خفيا سمعه ويعبر
وأنبه أن نفاز البار وهو نفاز
إذ كنت تبين بعواد في السماء منبه.
ومثل حينين الجذع سجدة سرح..
وأمضى غرام الأبل وانه..
أي حين كان يسير إلى المدينة مهاجرا، وأعلم أن أهل العصر قلوهم منكرة، وهم
مستقبلون.
وليس متعمز من المعجزات ببعض أمرها على من له الخلق والأمر، وإذ الرسالة من
عندها سباحته وتعالى فدعمها بالمعجزة مما يناسيبها. وقد بخيل إلى قوم أن أمر الرسالة
-120-
المحمدية يكون أوقع في الأنفس حين تجرد من المعجزات. وأوقف الدكتور محمد حسين هيكل أن ينحو منحى من هذا الباب في كتابه الحسن "حياة محمد". على أن العنوان هكذا، "حياة محمد" لا يخلو من جفوة، كأنه تفوق عرف مسلم والذين يرغبون أن يبهاوا بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم من غير إيان ببته وتمعزته منافقون يستعذ بالله من شرهم.

والمسلمون حقا في كل بلاد الله يبشرون لساع القرآن ويشعرون لذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته للقلوب شفاء وقد خلص ذكرها من المدج الفصيح إلى المدج بالدارجة الذي قد ظل دهرًا طويلا مما تطرب له أبناء الأمة الإسلامية وبناتها في الشرق والمغرب. من ذلك مشا قول الحاج الماحي بِلِسَانَةَ الْمَدِينَةَ:

القصير اب دم يَا حَمْدٌ
قال له في سم يَا حَمْدٌ
الصلاة وسلم لي حمدًا
وخياتم الكرام سيدى أحمدًا

ثم أخذ البرعي بعد ذكر المعجزات في ذكر الجهاد:

وآن الغمام الهائجات تظلّه فوراً وهم عمي العيون وعور فجريل فيهم قُرْنات وأمير قيم لا ومثل المالكين أسر فريقية قرض والنضر نظير مكان الجنس هنا أوضي في النطق اليمني إذ الضاد مقاربة للغطاء. والحق أن أكثر نقط الضاد عندنا الآن بعيد عن الأداء الصحيح الجيد، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن القوافي في أوائل هذا الكتاب في جزئه الأول. ولا يخلو هذا البيت من لطائف بدءية على اقتصاد البرع في البديع فلا يرفرف في زخرفة بل نفس الجزالة المطبوعة أحب إليه، ولهذا ما زعنا أن ديباجته بحترم الزينة والصفاء. على أن مكان البديع في دقة الصناعة كما قد قدمنا. قوله قرض، يشير به إلى ما وقع بها من هلاك وإنقراض. قوله نضر، يشير إلى ما وقع بالنضر من نظر حتى إذ جاء زمان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أجلوا عن جزيرة العرب. وفي ذكر القرض والنيصر ملاحظة تعبير ما
في ذلك من الأيام بالفروض والنظرة إلى ميسرة.
ومن أعبّر أبيات هذه الرائكة إلى كاتب هذه الأستر ما في مقدمتها من صدق الصباية
والحب الروحي الخالص:
فهياد بسريع الظواهرن أسير، يقيم على أشواوهم وأسر
في المجتمعة ويسير وليس بصواب والذي في الديوان هو الصواب. أي فؤاد اليان
ربع الأحباء الذين ظنناها، هو الواقع الجائز، المقيم ثم يبكي ويشجي وأنا أنقلب في
البلاد
وامعي غزير السكب في عصراتهم
فكيف أكيد الدمع وهو غمزير
وفرح في الخشبة ويكشمر
وينزع قلبي نحثوه ويبتر
فقد جعل قلبي حامة من الحائط.
وعلى هذا الوجه تصبح رواية من روي
يقيم على آثارهم ويسير.

يقني، باكيا على الربيع، ويسير نازعا إليها، ولكن السير والطيران لا سواء.
وأذكر من نجود فوارات بأسهم
فتنحـد أشواوهم ويتغير
إما الرواية هكذا: "فوارات بأسهم" وهو مستقيم مع الإنجاد والإغارة والإغارة من
حلول الغور ومن الغارة، وإما كما في المجتمعة "جواري بأسهم" وما أرى إلا أنه
تريف لتشابه رسم الأحرف، ثم في العبارة "جواري بأسهم" ضعف لايشبه سائر هذه
الدبيجة الناصعة. وقوله "فوارات بأسهم" يناسب معنى النسبي سواء أريد به
الكتابة أم التصريح.

فيا ليل شعرى عن ماحير حاجر
وعن عذابات السان يبلعن بالضحى
وهلها نشوة بالطبعية من غير خروج بذلك عن روحانية الشرق وحنين السيب.
ومن لي بأن أروي من الشعب شريرة
وأنظر تلك الأرض وهي مطير
بكتاه جمانات هن هذين
ثم صار إلى حضن الحين في قوله:
في جيرة الشعب الياني بحقكم
صلوا أو مروا طيف الخيال يلزم...
بعددتم ولم يعود عن القلب حبكم
- ١٢٢ -
فأصبحوا هم الذين ساروا وحبهم مقيم
أغار عليك أن يركم حواسدي وأحجب عنكم والمحب غيـور
هذا البيت عجيب. هل زار المدينة بعض من لم يكن أمر ودهم إليه إلا ضعيفاً
وتعذرت عليه الزيارة فحز ذلك في نفسه؟
أحيـيـب قلبي هل سواكم لعلني
وأكـثـر عمـر العـاصقين قـصير
فأتـمـك كرام و الكريم غفور

ومن هنها صار إلى المديح صريحاً. ثم يقول في آخر القصيدة:
أمـولاه قـم بـي في الخـلـوـب فإن ل تجـاه مـصدـق فيـك ليس تـبور
عرائـس لا ترضي بيغرك صاحبـاً هبن عزيـزات المهـور مهـور
على هذا الوجه تأمل بعضهم قول حبيب:
ولقد خطبت قلبلا الخطاب
ولكن الأظهر في هذا أنه أراد ذم أهيل زمانه، كما صرح بذلك أبوالطيب فيما بعد
علت وغلبت إلا عليك فأرخصت
ليرخص حورا في القصور قصور
فسر الشارح القصور بالعجز ولا يستقيم عليه المعني إذ قال من قبل عرائس لاترضى
بغيرك صاحبا فأين القصور بمعنى العجز مع هذا. و الوجه أن القصور الأولى بمعنى
الجمع للقصر وهذا واضح و القصور هنا قصور الجنة. والقصر الثانية من القصور
من قصراً يقصره (باب ضرب) وقصر المرأة أي حبيسها فلا تخرج أي عرائس من مديحي
ف익 علت وغلبت إلا عليك، من أجل أن يكون قصورها عليك سبأ إلى الجنة وأن
ترينك لقاتلها بذلك الحور المصورات في قصور الجنة. ولذلك أن تقول إن كلنا
الكلماتي القصور الأولى والثانية بمعنى واحد — يرخص قصورهن عليك الحور اللاتي
في القصور — أي القصورات

مؤلفها عبد الرحمان كنها
فهذا يمنع من تأويل القصور بمعنى العجوز
لبن معانيها بمدحه بجهاة
فـلاح ها نـسور وفـلاح عبير

١٢٣
لعبد الرحمن رحمه الله ولع بالنون في جمع غير العاقل يعطيه بذلك صفة العاقل وهذا المذهب جيد في العربية، وسلكه حبيب في قوله:

هلكن إذن من جهلهن الهمام

ثم يقول رحمه الله:

قلت أنك في النادرين في حزينا ومن وصل عليك الله واختص واجتبي وعم رضاك الآل والصحاب إنهم

ومن جبال البرع المشهورة:

بالأبرق الفرد أطلال قديمات وملعب لعبت هيج الربيع به تنكر العلم الغربي من إسم إذا الركب قبل ظنهن كانوا هم ربعها تشتيمهم جمع الأحذان في كبدٍ فإن أنسى غيابات الفؤاد بهم قراءة نافع وأبي جعفر غيابات بالجمع هذا في سورة يوسف واستعار البرع اللغزه من هناك فيها هامات وادي الين جوشك في ويا أشيلات نجد ما لعب ضحي هيج لوعة قمي المستهام إذا

فالم جمجوم والركب أشتهات فهم أحباب قلي ياغيابات

ظل الأرك شجاعي باحمامات إلا لعبت بقلبي باشيامات هبت بشر الصبا النجدي هبات

ثم صار بهذا الجنين إلى ذروته حيث جعله شوقاً إلى زياره القبر الشريف:

كيف حال بعدد النادر مغزب له إلى الشام حقات وأنسات بهي التحية من نيبابتي بسغ إلى نبي عطاياء جزيللات الشام عني به المدينة لأنها بالنسبة إلى اليمن شام، ثم في طريق التجارة إلى الشام أيام الرحلتين محمد سيد الخلق الذي امتلأت من نوره الأرض والسبع السموات

بالالمرج الذي عرجه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ذلك من بعد:

124
أن بقيت تعاله الحجاب المرفوعات
بالغيب من بعد ما قال المثليين
في الخلق لأعدت منه الشفاعات
ومعنى الشفاعة لى تأمله التأمل عظيم
والفض والفخر فيه الكرامات
والسياق المرتفع للشاعر المرفوعات
وبذلك شهادة القرآن العظيم: 0 فينا رحلة من الله لن تلبم، ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضا من حولك
بومان في الله إنعام وغارات
أحياء الزمان فأيام الزمان به
وهل شوكة أهل الشرك مترقبا
فأخيل تصلح والأرواح شاجرة
البيض السيف والبيض المغافر وذكرها بدل على الدروع وفي رواية والبلد أي السهام
ولا يستقيم مع العجاجات لأن النابل يرمي من بعد ويحرى أن يرى ما يرميه
ما استطعته نغور المشركين حينا لاقتته الفنن والشريفات
وكما تقدم مما ذكرنا تمس في أ∂يات الحرب هذه روح مشاركة في الجهاد
في العلا وانتهت فيه النهايات
وجداد طيبة مرفوض يلوح به
هذا من نوع من طبيعة الجزيرة العربية إذ هي قفأ إذا جادها الغيح، كستها حلة الخضرة
وايستمتعت نغور الأثرياء.
أرض سمسم برسول الله أشرف
من تشرف فيها أبدا وأمامات
هذا هو المعنى الذي فتقه على ابن العباس وعسي أن يتناوله الشفاعة لما فيه من صدق،
وإن يكن جاء به على سبيل توليد المعاني:
كما سما برسول الله عدنان
ولعمري لو قد كان جعل الفقيددة كلها مروية لكان ذلك خيرا له من مدحه أبا الصقر
كما أعلمه وقد اضطرته خيبة الأمل إلى هجائه.
من أ∂ي النور من أ∂اء قبته
من تباشرته منه الشوارع

- 125 -
وهو نور تراه القلوب - قال الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين رحمه الله:

لقد طال شوقى يا أمينى لطبيبة أشخاصها طوروا وطوروا أناطر.
تذكرت يا خليل ميتيتى
بمسجدها والقوم باك وذاكر.
وين دقاك الخضية، وهى أواخر
وين دقاك الباطنة، وهى أواخر.
تذكير ترددى أخى بين روضة
يشاهد قلبى قبة النور، وهي في
ضيائه للعافون شاموا وسامر.
وين لها نورا إلى الحرص ساطعا.

إلى الشيء البشري: يذكر والشيخ محمد المجذوب رضي الله عنه قريب العهد، في أوائل
المائة الثانية عشرة. ولرطب أنه تأثر بشعر الشيخ عبدالرحيم رضى الله عنه وأرضاه.

وأين بعد إلى الأيتاءين:
فإن وفد إلى قبر ابن آمنة
فوه الذي ختمت فيه الرسالات
لأن ليس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم رسول
ذاك الحبيب الذي يرجم عواطفه
وبره الخلقت أحياء وأموات.

ثم أخذ في ذكر المعجزات وحسن الشيء
من الهجير وسبح الخصيتات
البدر شق له والعمظ ظلله
وشا جابر يوم الجيش معجزة
نعم النبي ونعم الجيش والشمساة
ولى لنسى جاءتنا الروايات
وكان فالمس نورا لا يقوم له
معجزات كثيرات وآيات.

ثم أخذ في الاستغاثة:
على فقد أنقلت ظهيرى الخطيئات
موالي مؤلف فرج كل مشكلة
وعدد علي يا عدوتى كرما
فكم جرت لبي خير منك عادات
وامنع حميت وذهب في تركمته
بأ من مباهى خلد وخيرات.
الخلد الجنة والخيرات الحور يشير إلى قوله تعالى: "فنه خيرات حسان،
واعطى على وخذ يا سيدى بيدى
اذا دهنتى الميلات المهيات
أي المسببات للهموم.
وقد وقفت بباب الجود معذرتا
والعفو متعى والمعذر أبى.
وقلت عدى أنت من أهل اليمين إذا
تأمل نون النسوة هنا وقد أشرنا إلى هذا الوجة من المجى بها عنده من قبل.
فلا يخف بعدها عبد الرحيم ومن يليه أهل وصحب أو قرابات وإن مدحتك بالقصة معرفًا فمدحك الوحي والسبع القراءات الوحي القرآن والسبع أراد المثنى ووضع القراءات مكان المثنى لأن معنى المثنى الآيات والسبع المثنى تخصص من عموم وهي الفائقة، ويجهز أن يحمل مراده على الوحي أي القرآن والقراءات السبع أي الأحرف السبعة للحديث أن القرآن نزل على سبعة أحرف.
وعل هذا الفوجه أقوى لظهره صلى عليه إله يا محمد ما لاحته لنورك من بدر علامات بدر في طريق المدينة فمن أراد مكة بعدها وهو قنافل من المدينة ساحل وهو الطريق الذي سلكه أبو سفيان والآل والصحاب والأزواج كلمهم فهم لسادات أهل الفضل سادات هذه القصيدة كا ترى في قوة الصياغة ونسجتها وروضها المعاي وتوهج روح الصدق من خلال الأبيات وخلاوة النغم وجودة تابعه مع البالغ وسهولة الطبع وعدم الخلف فسهبان الراوي المعني. ومن أعجب مذاج البرعي إلى من سمعنا من المشدين، وهي من جيده كلمته الفقية التي أولاها:
أزني ما ذكرت لك الفراحا واستمع فيها ببعض ما للمنتبئ في هذا الروى كقوله:
تظل رحاته فوق البايد وقد ضرب العجاج لها روافا
وله فيها البيت السائر:
نبي أنزل الرحمن فيه تبارك والضحي والانشقاقا
وكلمة التي أولاها:
قل للمنتبئ اللواتي طال مسراها من بعد تقبل بمناهما وسراها نقص في الخي شكوانا وشكواها ماضرها يوم جد الين لوحد فقت

١٢٧
كلمة التي أولا:

 онлайн خByte لصب دمعه دمه
وتى أولا:

يـ يراحلين إلى منى بقيـداد
وتى أولا

سمعت سويعج الأئلات غنى

ويفة قوله:

وعلى الله الحجاز وسآكتيه وأخصب روضة ملتئ مت وفاء وقرأ فيه من مـلا النواحي إـمـهـم المسامين ومتقـأهم وأسرعهم على الملـهوف عطـفا وخير مغـارس الأـكوان أـصـلا وتنـتـعـ دوحة قرـشـيـة من قـوله: طلا ومسنا، جعل المزن بمعنى الوابل في مقابلة الظل وسواج ذلك أنه ههتنا جميع مزنة.

وهي المطرة ومن معاني المزن أن النحاس ذر الماء فهذا يكون وابلا. لولا لرب كأن ما يطرد له المسلمون الموازنة بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين الأنبياء صلوات الله عليهم، وأحسب أن الحروب الصلبية وجدل أهل الكتاب مما حرك ذلك قـال البرعـي رحمه الله:

ولـو وزنت بـه عـرب وعجم منى ذكر الفيل فـذا حبـب وإن ذكرنا نجي الطور فاذكر وإن اللهـم كـلم ذلك وحـياـ وإن اللهـم كـلم ذلك وحـيـاـ وقد تكلم العلامة في مسألة الرؤية وليس ههنا مكان التفصيل. ومن شاهد بعين البصيرة فقد شاهد. ولله في البصيرة إذ يقول:

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعبر عنه ناظم بكم

(1) وقد خصها طيب الله نزاها استاذنا الشيخ مجدوب جلال الدين وصديقه الشاعر حسن كرمي رحمهما الله.
ثم بعد أن ذكر عددا من الأنبياء والمرسلين وفضلهم وما زيد به نبينا صلى الله عليه وسلم عليهم أخذ في ذكر الشفاعة والتوسل. ثم يقول في أخبار القصيدة:

حَجَّجتَ وَلَمْ أَرْكِ فَلِيَتْ شَعْرٍ
ثُمَّ صُوْبُجَ سُجُّوكَ مَثِيَ
يِكَادُ بَذَنُوبُ إِنَّ ذَكَرْتُكَ شُوْقًا
تَأَمَّلُ عَذُوبَ الْرَّوحِ الإِنسَانِيَةِ الَّتِي قَرِينَهُ باعْتِدَارُهُ هذَا عَن نَفْسِهِ وَعَن صَاحِبِهِ إِذْ يُبْدِو أنَّهُ هو أَيْضًا حُجَّ وَلَمْ يَرْزَعُ
عَسِى عَفْطٍ عَسِى فِرْجَ قَرْبٍ
فَشَرَفَتْهُ بَبَوْتَهُ تَرَابَ أَرْضٍ
وَقَلْ عِبَادَ الْرَّحْمَٰنِ امِنْ يَلِبُهُ
عَلَيْكَ صَلَّائِهِ رَبِّكَ مَا تَنَاؤَغَ
ومَنْ أَعْجَبْ قَسَانِدِ الإِمَامِ الصَّالِحِ المَلِحِبِ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الْقَصِيْدَةُ الْلَامِيَةُ
الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَرْضٍ إِبْنِهِ، وَقَدْ تَوَسَّلَ بِهَا إِلَى الشَّفِيعِ عَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَلَسْمٍ، فَشَفَفَ إِبْنِهِ، وَعَسِى أَنْ يَسْتَفَادَ مِنْ سَيَاقٍ هَذِهِ الْلَامِيَةِ أَنْهُ قَدْ أُتِبِتَ لَهَا الْزِبَارَةُ فِي أَيَّامِ
إِنَّ وَالشَّقِيعُ بِالعَلَمَةِ عِنْدَا أَنَّ الْبَرَعِيَّ رَجَمَهُ اللهُ لَمْ يَرْزَعَ وأَنَّهُ لَا عَزْمَ عَلَى الزِبَارَةِ غَلِبَ الشَّوْقٍ وَهُوَ مُنْتَحِبُ إِلَيْهَا فَانْتَقَحَ حَتْيَا وَفَاضَتْ نَفْسِهِ مِنْ غَلِبَةِ حَرَاةِ الشَّوْقِ وَالْمُحِبَّةِ عَلَىٰ، وَأَحْسَبَ أَنْ صَاحِبِ الْبَدرِ الطَّالِبِ قَدْ ذَكَرَ تَأْرِيقَ وَفَاتَهُ أنَّ كَانَ ذَكَرُهُ فِلِيَارِجُٰهُ
ِۖ فَقِلْ رَجَحُ اللهُ:

هم الأحْجَةُ إِنْ جَارَوْا وَإِنْ عَدَّلَوا
فليس لمعدل عنهم وإن عدبلوا
تأمل مناسبة هذا الاستهلال لما سيذكره في آخر القصيدة من مرض ابنه
 وكل شيء سواهم في ببه ببدل
إني وان فتِنوا في حقهم كبدي
شريك كأس الموت العذري من ظلم

(1) توفي رحمة الله سنة 380 هـ وفِي طريق المدينة.
فلت شعرى والدنيا مفرقة
بين الرفقاء وأيام المورى دول
وله تعود لنا أيامنا الأولى
تأمل أنفس هذه الصابية، وعذوبة هذا التعبير، ورقة هذا الحنين

يا ظاعنين بلقيي أينها طعنوا
وتوقفا بفؤادي في هواجكم
رحبت به يوم راحت بالهوي الإبل
ومع أن ظاهر هذا الكلام نسبه تجد مكان الكتابة فيه غير جد خاف لأن الشاعر
المحب الصالح يجيب شوقه إلى الزيارة كلما جاء الموسم ورأى الركاب البياني قد جعل
يستعد للحج - ألا تجد بقول بعد:

فوالذي حجبت النور كعبته
لقد جرى حكيم مجرى دمي فدمي
أي كأن قدمت بعد الفراق لأن قلبي قد أقام لدى أطلالكم فهو جزء منها.

لم أنس ليلة فارقت الفريق وقد
كأنه يشير هنا إلى أن عزم رفاقه على الرجوع اضطره إلى الرجوع معهم فكأنهم بالذي
صنعوا عاقوا الحبيب عن ودائه. والله أعلم.
ما جمعت لهم نار بذي سلم
سأروا أنفسهم من قناع ومتصل
أخذ هذا من معنى تتور الشعراء لئار الأحبة. وقد نثرها أمر القيس بثرب فتأمل.

إن لم نتخ حيت لا تنتهى لما العقلب
حسنا وطابها للنزلة النزل
لا در في الطابيع أيا ذهبت
في روضة من رياض الجنة ابتلعت
ثم تخلص للمدح النبي في سهولة ويسر

حيث البنوة مشرب سرادقها
وحيث من شرف الله الموجود به
عميد السيد السادات من مضر
شوارد المجيد في مغته عاكفة
تأمل عجز هذا البيت وما فيه من حسن التشبيه للرأفة بالرفيق وما لابس ذلك من النعت لطيبته اليمن السحمة التي كان طبيعة المدينة بخصها وتخيلها وجبال المكتنفة مما جزء منها. هذا على تقدر أن عباد الرحمن رحمه الله لم يصل المدينة. على أن سباق هذه الأبيات ينبغي عن مشاهدة. وليس بمستبعد على أن يكون في مثل صفائه أن يشاهد بقلبه ما قد تعجز عن دركه المشاهدة بالعين.

كما استنادت به الأقطار والسبل

المئتان آيات القرآن والسبع المئات فاحة القرآن

بقدر طوارفه بر ومكرمة
مازالت بالنور من صلب إلى رحم
حتى انتهى في الذري من هاشم وسيا

يعني أنه عرف بالأمين لما صار إلى سن الاكتهال وذلك بعد الشباب وأخذ هذا من قوله تعالى: "إِبْرَاهِيمُ الَّذِي وَيَغِي". ثم أخذ البرعي في دبيب خسروائي من المدح حتى صار إلى ذكر الشفاعة. وفرق ما بين هذا المدح وما كان يمدح به الشعراء الملكاء ظاهر، إذ فيه المحبة الصادرة من صداق الإبيان وشعور العزة بالاتباع إلى الإسلام:

حتى انتهى في الذري من هاشم وسيا
فكان في الكون لا شكل يقاس به
بـه الخفيفة مرسومة قواعدها
وحلفه ليلة الإسراء على قدر

ثم صار إلى ذكر الشفاعة والمقام الوفي حين يبعثه ربه مقاماً هموداً ويفتح عليه بالثناء
علي ويشفعه في أنهه، صلى الله عليه وسلم:

بـه إلى الله ففي الـدارين بتهل
 kd 1

وذلك الشافعي المقبول عصمتنا
ومنه ظل لواء الحمد يشملنا
وإنه الحكيم العدل الذي نسخت

- 131 -
واعلم أصلحك الله أن اليمن لم تكن بمغزى من خطر الصلبانية. فقد كان البرتغاليون
محدقين بها من جوانب البحر المحيط ثم كفى الله شرمهم.

فطاب من طبيه السهل والجبيل في الهذي والندي والعلم والعمل عند السراط إذا ما ضاقت الخيل بجاه وجهه عنا يخاف رجل
ثم صار إلى التوسل الخاص وذكر مرض ابنه

يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى قالوا نزريلك لا يؤذى وهانذا فهو كما ترى يشكو ضياعا حل به خاصة. ولا أحسب أن هنا مبالاة، بل التجايز بالشكو صادق. وهذا البيت بدل على أنه إما بالمدينة وإما في الطريق إليها بين مكة وبنبنها حرسها الهيمن بعينه التي لا تنام.

فها المسمى بك اسم البدلاء به فارجم مدامعه في الحد تهمل

وهو وابن المسمى بك وهو الذي في المجاورة والذي أثبتت هو الذي في الديوان وكما سمتعنا يندد اعتبادا على نسخة الديوان الخطية وحفظا عن ظهر قلب "وذا" أحب إلى وأدأ على الاستعاطف لما في ذلك من الدلالات على القرب والحضر والشفقة والتمريض، وذكر الدعوى المتهملة على خدي الطفل في عيني النعمة لحالي ضعفه. وقد سرجت كلمة التصوير لكثره ما تجاوز به عند المتاعان للنقد هذه الأيام، فكرنا استعجالا في هذا الموضوع. وكأن الغفلة المسكين قد أصيب بلدغ من ذات الرئة بدليل بكناه أن تنحل عقدة السعال وهي لا تنحل.

فها المسمى بك اسم البدلاء به فارجم مدامعه في الحد تهمل وحل عقدة هم عنه ما برجت جعلها عقدة هم. لأنه هو معهم لما به من مرض، فالدعاء بحل العقدة تسرى على المريض وترى على والده المهم له، فإذا اتحلت عقدة مرضه وجاء شفاؤه اتحلت

١٣٢
عقدة همه هو، وانشرح صدر آم. وهذا البيت غاية في الرقة والإنسانية: في قوله: "عقدة هم عن ما برح" عموم يدخل فيه الشاعر وسائر أفراد الأمة ومن بنيه أمرها وإن كانوا في طريق المدينة فيدخل فيه الرقة المعاونين أيضا. وذكر الأد بعد تخصيص لما ثم أتبع ذلك ذكر نفسه وهو داخل في العموم الذي بصف ثم هنا ليجعل اسمه في المدحة ويرجع إلى ما كان قدمه من ذكر الشفاعة ورجاء الغفران والرحمة:

وصل بمرحبا عبد الباريح ومن صلى وسلم ربي داني أبـدأـاـا والأئم والصحاب ما غنت مطوفة

قيله لا خاـب فيك الظن والأمل عليك يا خير من يخفي ويتعمال وما تعاقتبت الأبكار والأصل

قوله: "يا خير من يخفي ويتتعل" كأنه من قول القطامي:

أما قريش فلن تلقاهم أبدا إلا وهم خير من يخفى ويتعل فسيد قريش عليه الصلاة وسلام أولاهم بهذا الوصف، والبيت من كلمة القطامي: إنها عيـوك فاسلم أيا الطالب وإن بليت وإن طـالـت بك الطيل وهذا من المطالع الفخاط، تبه عليه ابن رشيق. والمعنى الذي تقدم لم يكن القطامي هو السابق إليه، وكأنها نظر إلى قول الأعشى: إما نرينها حفاء لا نمalar لنا إننا كذلك مانحـى ويتعل.

فأخذ القطامي "يخفي ويتعل" من هنـا.

وشعر الشيخ عبدالرحيم البرعي في نفيس وفي هذا الذي استشهدنا به من شعره، ومنه قصائد جنبا بجانبها ما يشهد يا زعما من مثابه أمره وصفاء ديناجته، وما يقوم بعض حجتاتنا في إكـرار هذا الـذي فـشا به القول بينا الآن من أن الفترة التي تلت القرن الخامس الهجري فإـنها بعدة كانت فترة انحطاط للشعر ولغيره من جوانب الفكر والفن والحضارة الإسلامية. فقد سبق النثبيتنا إلى بطلان هذه المقالة، ولعل المصنف يعرف أن عصر الانحطاط هو عصرنا هذا، نسأل الله سبحانه وتعالى الفرج والنجاة.

إذا رجعنا بالقاضر إلى الكرم إلى ما قدمناه من قبل من تشييدها على وجه التمثيل والتقرب للصرى بحبيب والبرعي بأبي عبادة والبوصير بأبي الطيب، فإننا نريد...
مع الذي لا نشك فيه من أن القاريء حفظه الله لا يرى أن مرادنا محض التشبيه حتى كان المشبه والمشبه بمدرسة واحدة كي يقال بلغة هذا الزمان، أن نحن نحتاج لما مثلنا به البصريي بأي الطيب أن وجه المشابهة بينهما هو في أمر واحد، وهو أن كليهما ذو إقدام على ما يقول، وثقة بالقدرة على الإفصاح والبيان وجودة الشعر. مع هذا في ديباجة البصريي منثنة تسنى تذكرك أبا تمام وامتداد نفس يذكرك ابن الرومي، ولا تتزامن جانب العبادة والخشوع في خاطبة عسانين الذان المحميي، نعم ثقتنا لا يخلطها ما سواه الثماني في حدوثه عن المتنبي "إسهاء الأدب بالأدب" وإنها عن بذلك فروع التحدي وجهارة قوة التعبير مما ينفر عنه الملوك ومنادومهم وصنائعهم والمتمستون بالقرب منهم والقرب إليهم. مع هذا ليس البصريي غير ذي جهارة أو تحدى (1). كلاً ذنيك لديه، إلا أنها قد جعلا عنده بعض أساليب قطاعه أهل الكتاب. ذلك بأن الحرب الصليبية ما زالت محتشدة نارها على زمانه على انتصار كان من المسلمين بالشرق، وإذان بقرب انهيار الفرنجة إذ كان جلاؤهم عن عكا ومصر قبل وفاة البصريي وانتصار المسلمين على التثار على أبه حما مصير حرها الله تعالى، كما انحسرت غمرات الكثير من المشرق. وإلا أن الحال كانت حال جهاد. وقد اشتدت شوكة أهل الصليب بالغرب على مسلمي الأندلس.

كما قد قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب في معرض الحديث عن هميات البحر الخفيف حين صار الحديث إلى هميات البصريي (توفي رحمه الله سنة 197 هـ). وذهب تفصيح بحجة الإسلام كما تفصيح قصة ذاتي بحجة المسربة. [ص320 من طبعة 1980 م]. وكان الرجلان كلاهما يصرحان إلا أن البصريي أسبق، إذ تاريخ دانتي 1750 - 1712 م - 1262 - 1220 هـ وتأريخ البصريي 1680 - 1318 م - 1270 - 1047 هـ، وإن البحث إن جد فيه أصحابنا أن يكشف لنا أن دانتي تأثر بالبصريي وحاكاه وبمداد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر أسين الإسباني في رسالته عن دانتي أن تأثر بالمعرض وأحاديثه ورسالة الغفران العربية، وعندئذ أن يكون قد تأثر بالدبيح النبوي أقرب. لأن الدبيح النبوي كان شيئاً ظاهراً، ويتزمن به المسلمون في أعيادهم وجمواتهم وزواياهم ويتزمن به عند الأفراح وعند التعازى. وفي (1) جتنا بالباء خط لتوضيح ويجزي الوقف بالباء، وbelt أن كره ابن كثير أحد السبعة.
ليالي الجمعة مساء كل خمس وليالي الاثنين مساء الأحد. قال الصريري رحمه الله
في إحدى استغاثاته:

ففِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَمَا لِقَضِائِهَا
سَـاكُوَّ إِلَى رَبِّ الْبَرِـيـةِ شَـافِعُ
أَخْذُ قَوْلِهُ "فِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ" مِن أَبِ الْعُبَـديِّ: "فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ وَفِيكَ فَطَانَةٌ" مِن أَبَيَّاتِ بَانِيَتهُ فِي كَافِوُّر "مَنِى كَنِّي إِلَـغَ".

وَمِجْمُوعُ حَالٌ عَنْدَهُ وَهُوَ عَالِمٌ
بِتِفْصِـیلِ خَافِيٍّ وَمَا هُوَ ذَٰلِعُ
وَفِي كُلِّ بَـسْمَةِ اثْنِينِ أَوِ فِي خَيْسِنَـا
رَسُوْلٌ بِأَعْمَالِ إِلَّـهٍ يَـطَّـالِعُ
عَنْ مَنْشِدِي مَدِينَاءِ
فَـكَّنَ جَـعْبَـا نَقْصَـي بِجَاهَـكَ إِنْـهُ
جَاهِ مُـدِـدٌ عَنْدَ ذِي الْعَرْـشُ وَاسِعٌ
وَـسَـلَ رَبَّكَ النَـصَرَ العَـزِيَـزَ لأَـمَـةٍ
تَـكَـنَّـتِـهَا قَرْـنٌ مِنَ الْـدَّـهْرِ سَـابِعٌ

يـشـيـرُ هــنَا إِلَى حُروـبِ الْـنَـتـارِ وَحُربِ الـسَـلِـبيـيـنِ وَجَعْـلَ الْقَرْـنَ كَانَهُ قَرْـنٌ ثُـرٍّ بِهِجَـمٍ بِهِ وَأَرْخُ
لَزَمَانِهِ كَـا تَرِى
أَضْرِبُهَا سَعْـىـّ وَخَـلـفَ وَقَـتِينَـةٌ
لَـهَا كُلُّ عَـمَـامٍ فِي الْقَـلَـبِ قَـوَْاـعُ
فَـكَّانَ ذَلِـكَ سِبْـبُ الْـهُـزَـيَـمِ.

وَكَتَـبَ مَـسْـلِمُو الْأَـنَـدَـلِـسِ المَـغْـلِـوبُونَ عَلَى أَمَـرِهِمْ إِلَى سَلَـطَانٍ آلِ عـِـبَـذَـانِ فِي أَوْـلِ الْقَرْـنِ
الْـعَـاـشِرَةِ قَصْـيَـدَةٍ ثَـاِبَةٍ يَـسِـتَـنْـصُـرُونَهُ وَيَـبْـشُـكُونَ إِلَـيْهِ مَا وَـقِعَ بِهِمْ مِـنِّ الْـغَـدِرَ وَبِـلَـتَـاءِ. فَـمَا
قَـالَوْهُ(1)

ـسَـلَـلَـامٌ كَـرِيمٌ دَـاَـيٌّ مَـتَـجَـبٌ
أَخْـصُـصُ بَـهِّ مَـوَآلَي خَـيرٍ خَـلِـيَـفَـةٍ
سَـلَـلَـامٌ عَـلِـيْكُمْ مِـنْ وَـجْـوَهٍ تَـكَـشِـفَـتُ
سَـلَـلَـامٌ عَـلِـيْكُمْ مِـنْ بَـنَـتَّ عَـوَانَـيْ
ـسَـلَـلَـامٌ عَـلِـيْكُمْ مِـنْ بَـنَـتَّ عَـوَانَـيْ

Monroe Andalus vol. XXXI ـ المجلد 31 ـ 1916 مـ قالـ مترو
ترجمة: (1) راجع مجلة الأندلس (مديريده وتعاطفها) ـ 1916 ص 281 وله في خليط مؤلف.
اللطف أي القيس
سلام عليك من عجائز أكرهت على أكل خنزير ولم جيفة
أحسب لهم الجيفة هو الثور الذي يقتل في المصارعات إلى الآن يقول الإسبان (أوليهم)
تشجيعًا للمصارع. فهل كان هذا حيالة من الباحثين المسلمين آنذاك أن يذكروا اسم الله
على هذه البهيمة التي كان عليهم أن يأكلوا من لحمها من دون ذكاة؟

وقد أمرنا أن نسب نبينا والذين كنزُّه في رحمة وشدة
وقد سمعوا قومًا يغونون باسمه
فأدركهم منِّه أليم المضربة (1)

وهذا البيت هو موضع استشهادًا، إذ فيه الدليل على تغيير المسلمين بال👇لدي
النبي. هذا بعد سنوات غزارة. فقس عليه حال بقية المسلمين بفصيلية وجنوب
إيطاليا بعد هلاك فرديك الثاني (1230م) وكان به عطف ما عليهم، زعموا أنه كان
من أسباب عداوة البابوية له وأمره حتى أبادوها. وホールاء المسلمين الذين كانوا
بتغون المدامح والأدعية وبالقرآن بلا ريب ذكرت التالية التي مررت منها الربات
السابقة أن منهم أهل بلدة:

بِجَمَاعِهِمْ صُمِّارًا جُمِعُوا كِفْحُمِصَةَ

ولكن صد من رحيمه من أن دانتي تأثر بالمديح النبوي وأغلب الظن بالصورتي لاشتهار
هذا شهرًا واسعة على ذلك الزمان بقصصته الهمزة والبردة على وجه التخصص
(2)، فإنه يزنه على ذلك أن يكون شعراء الأشعار الدينية الأفريج قاطبة قد أثرموا
به. وللمتأمل لأصناف أشعار الدين في الأدب الإنجليزي واحد ما يجد على
George Herbert جورج هيربرت The Odour (1593 1633م) وهذا باب واحد. والشاهد هنا تشبه جورج هيربرت قوله: "ياسيدي"
بأريج العنب والعطور الشرقية، فهذا لقولهم: "فت مسكا" و"تضعيف طيب" و"فواخ عزفا

(1) منه أي من الغلفاء
(2) ولد دانتي بعد نصف قرن وزيادة من ميلاد البوليسي فأثر البوليسي يكون قد بلغ الأفاق في هذه المدة. ولابن
المصس (465 1405ه) قصيدة في المساج كانت مشهورة عند الملاذين بلغنا أن نسخة خطية منها موجودة بخزانة
القرويين بغاش وقصائد نبوات أخرى.

136
لله جليل الرفعا، أبوه:

مما أشبه ما يذكر في باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن عجب الأمر أن منهج درس الإنجليزية يختلف فيها طلابنا ما يتلقون عن الشعر العربي في لغة القيم. ويظلون يهديون كل الجهول شعرنا الدين. وربما خرّب إلى بعضهم أنه ليس بشغر وإنها هو أوراد عبادة ما كان يعكّبه عليه جليل الرفعا أو المحمدي المتّبر. ويباوض للجهيل ضراً لأقوام.

همزة البوصيري أُشْكَت أن تبلغ أربعائة بيت إذ هي نيف وآسوان وثالثة من الأبيات، قال فيه بين ساقط. وذلك أنه اجتمع له مع الملكة والصدق والعلم والاستناد، قال قول واسع. وقد نظم الرواية من غير أن يعمد في ذلك إلى منهج تعليمي أو قضية سردي. ولكنه سلك مسلك التأمل والموضوعة الحسنة وأتبع الأمر ما بناءه أو يقابل أو يبتغ بينه صلة من غير التزام بالسلسلة التاريخية، ثقة بأنه لن يقع التباس من هذه الجهة، إذ مصادر الرواية من حيث هو تأريخ معروف تلتمس في مظالها من كتب السير والتاريخ. ثم أكثر أخبار سيرة النبي صلى الله عليه وسلم معروفة عند العروى والحريص فلأن شاعر الفحل الذي يتفق بها لم يجد نفسه مضطراً إلى عمل وصناعة إلا أن يعتمد إيثار السرد بغض أن يستوجب أحداث السنة، وهذا ما صنعه الشيخ يوسف النهاني في همزةته الألفية، وفيه عناء، مثلا نظمه الغزوات التي لم يكن فيها قتال:

غذتُ ذات الراقي بواطٍ دوامًا ذو العشيرة الأبواء
بادر الأولى بادر الأخيرة بحراً
سليم ليُحّتَن واستمت
وأما أراد النبي أن يربّي على البوصيري على الأرجح ولكن أن يتَّسبِّم السيرة نظماً على
غُرار هُزْيَة منه أجل التبرك.
وبلفتني في همزة البوصيري أولاً مطعماً:

كيف ترتقي رقيق الأنبياء بساحة ماطراتهم؟
لم يبقه به السمع من صيغة الاستفهام الإنكاري والنداء المؤكد وال القضية المشتمل على
روح من التحدي والقائل. ولا عجب فقد كان زمان البوصيري رحمه الله زمان الحرب
الصليبية والمسلمون بالشرق مقبلون فيها على نصر وقد كشف الله منهم غباء
التار، وكان البوصيري من أهل الجهاد بالبيان إن كان غير يباشر بالسيف والسنا.
غير أنه رحمه الله هنّ علا شيء في قوله بعد هذا البيت.
ل سنتنا منكم دونهم وسنءناء
لا يسواروك في علالك وقد حا
إذا مثلنا صفاتك للنار

السنا الضوء والسنا الشمس والبيت جيل الصباغة مثنياً ومنه هذا التجنس والتثنية
بتميئ الماء لضوء النجوم بانعكس أشкахها فيه بلغ ذهيل أول الأمر، غير أنه ريا
أحست فيه نوبة لا يهم من أن التمثيل لا حقيقة له، ولا يوجد ذلك في حقيق الأبياء،
وليس هو مراود البصريى، بل أدنى شك؛ إذ معنى لا حقيقة تمثل ضوء النجوم الذي
في الماء أمر مستفدتنه نحن من استطلاعات علوم الفيزياء المعاصرة حيث تسمى ما
ينعكس على الماء وبنحوها لا حقيقة (1)، ولا أبب أن الضوء المتّكس على الماء ومنه
ضوء حقيقي وكأن البصريى قد عمد إلى تفاصي ما قد يتبادر إلى اليوم من قوله هذا
وليس بحوره، بالآيات التالية:

أنت مصحاب كل فضل فصانه
لك ذات العلم من عالم الغيب
لم تسول في ضحائر الكون تحتا
صاعمست فترة من الرسائل

فالبيت "أنت مصاحب كل فضل" أشار به إلى مقام الشفاعة إذ كل الأبياء علىهم
السلام يقول نسبى غيره صلى الله عليه وسلم ثم يشفع الشافعون بعدة حتى إن خيار
المؤمنين ليشوعون من يعلمون إياه عن يب كري بذنوه عند عبور الضرباط. والبيت "لك
ذات العلم" إلخ أشار به إلى قوله تعالى: "وإنه في أم الكتاب لدينا لعل حكيم". أي
القرآن وقد تزول على محمد صلى الله عليه وسلم. والآية التي لقى عليه السلام حقيقة
لا خالى، فهذا قولنا إن البصريى لم يرد بكلمة "إذا مثلنا صفاتك" إلخ أن ذلك لا
حقيقة له وإن قد عمد من بعد إلى تفاصي ما بادر من توجه هذامعنى. والبيت "لم تزول
في ضحائر الكون" إلخ واضح غير مشكل بشيء. والبيت "ما مضت فترة من الرسائل؟
يقوم معنى "لك ذات العلم من عالم الغيب" أن تشير الأبياء صفات الله عليهم
به صلى الله عليه وسلم سبب ما أوجبه الله سبحانه وتعدد إليه به من سابق علمه. وفي حديث عرباب بن سارية - بكرم العين وسكن الراة وأصل معنى
العرباب الرجل الطويل وكان رضي الله عنه من أهل الصفة ومن السابقين ومن زلت

Virtual Image

(1) هذا في باب الطالب (الظل الحقيقي) Real Image
كظلال الشيء من العدسات والظل الحقيقي
كظلال الشيء من الماء والظل يكون بالضوء.

١٣٨
فيهم آية براءة: 4 ولا على الذين إذا ما أتراك لتحملهم قلت لا أجد ما أحلكم عليه تزولا وأعيدهم تفيض من الدمع حزناً إلا يجدوا ما يتفقهون 4 - ما يفيد مثل هذا المعنى، إذ ذكر أن رؤية أمينة من معنى البشارة وكذلك ترى أمهات النبيين. قال في المسند للإمام أحمد بن حبل رضي الله عنه: 4 ص 127 س: 4 حدثنا عبد الله حديثي أبي ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية يعني ابن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي عن عريبان بن سارية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله خاتم النبيين وإن أم لم ينجد في طيته وسأبتكم بأي ذلك دعوة أي إبراهيم وبشارة عيسى بي ولؤؤا أيما التي رأت أن خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم، 4.4.4.2. 4 ص 1593 طبعة 388 3 ص 1963 الم قسم الأول من ح2 يروى عن عبد الأعلى عن هلال وعن أبي بكر بن أبي مريم وذكر سعيد بن سويد آخر ونص على أن الأول شامي ولكن كما لاحظ الحصي هذا الثاني مادعي كوفي أو يروى عن كوفي (راجع هامش) 4 وذكر البخاري آخر كلاهما سعيد بن سويد وذكر في ميزان الاعتدال سعيد بن سويد وعن البخاري أنه لا يتابع في حديثه وإنما على القول البخاري يقول لا يتبع على سعيد بن سويد الآخر رقم 194 فوجب التفريق بين الثقاف وفيه الحكيم ونافع ثقة. وكذلك المسند صحيح والذي في ميزان الاعتدال 23 وهم والله تعالى أعلم.

1 (1) في الطبع طمس والصواب سوار سين مهملة بأدعاها وأو مشددة مفتوحة وألف بعده را مهملة أفاده اللغة. 4 المستند للإمام أحمد بن حبل رضي الله عنه الطبيعة السلفية المصورة ج 4 ص 127/128.

2 (2) التأريخ الكبير للإمام البخاري.

3 (3) ميزان الاعتدال للذهبي طب القاهرة 1325 هـ 1903 م 1 ص 28.
هذا وإنما استشهدنا بالحديث في وجوه روايته الثلاثة كما في المسند في هذا الموضوع للتنبيه على أن البصري في ربطه بين البشارة وبين ذلك ذات العلوم من عالم الغيب.

إني نظر إلى ما في هذا الحديث من قوله "وَسُأْلَتْكُم بِتَأوِيل ذلِكَ" وله تعالى أعلم.

تبيّنَهاُ بك العصور وتسمّوّهُ بك عليه بعدها على ما بُعِيده من كرّيم أمّا كرّيم

أي بدأ بعد أن كان في عالم الغيب، في أم الكتاب، وفي الله سبحانه وتعالى، وكيف قال عز وجل: "الذين يِتَبَيَّنُون الرسل النبي الأمي الذي يجدونه مكونًا عندهم في التوراة والإنجيل" وكما قال تعالى: "واذ أخذ ربك من بني إسرائيل من ظهرهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أنه لربكم قالوا بل شهدنا فهذا كله من عالم الغيب والله أعلم.

نسب تحسب العقول بحلاله، قلّدتها نجومهم الجوزاء وذلك أن نجوم الجوزاء كأنها وشاح، وزعم قوم أن أمراً في القيس إنما على الجوزاء حيث قال: "إذما الشربا في السياة تعرضت"، والثروبا لا تعرض ولا يست كالوضاح المفصل.

أو هذه صفة الجوزاء والبيت من إحسان أمراء القيس.

حيث أعقد سعداء وفخّار، أنت فيّه اليتيمة العصاي والبيتمة والعصاية من صنّ القدر وفيها إلقاء إلى ي объем الله عليه وسلم وإلى عصمه صلى الله عليه وسلم. ثم تجىّه أبيات المولد ومناسباتها لقوله "بدا للوجود" بعد "عالم الغيب" ومناسباتها أيضاً للنسب في قوله "نسب تحسب العقول".

وهي كالمشام منك مضيّ أسفرت عنه ليلة غيّراء

هذا من النظم الذي لا يتأتى إلا بتوافق وإلهام. وتلد عبادة على الصلاة والسلام بإشراك الشمس ووجهة ضوئها وارد في الحديث الصحيح، وإذا كان مولدنه في ليلة أسفرت بوجه جعلها الشاعر غرّاء وهي التي يكون فيها البدر المشيء فجمع بين عبادة الشمس الإشراق وليلة مولدته التي صارت بذلك غرّاء بدرية ولا يكون الكلام إلا
هكذا إذ لا توصف الليلة بأنها مشمسة وأحسب أن لو أراد أبو تمام هذا المعنى جعلها مشمسة بدءل محاولته البديعة أن يجعل النهار مقمرا حيث قال:

تربى ناراً مشمساً قد شابه نبت الربا فكانها هو مقمر
والشيء بالشيء يذكر

ليلة المولد الذي كان للدديد سرون بيوته وازدهاء
ولسد المصطفي وحق الهناء

و هذا البيت في المذهب القصصي ذروة لما في الذي سبيه من التمهيد وما يأتي بعده من الاتجاهات، لما حول هذه الذروة من الآفاق كنادي الإيوب، وخود النار وغيض البحر، مما يبني نبؤة الإسلام وانتقاء الكفر وزوال دولة الشرك والاجهالي.

وهذا البيت تخمين حسن:

حيث جبريل في السمومات مجد يعلو البصر في ورادة أحمد
سمعته اسمه أبى محمد
وتولى بشرى الهويان أن قد
ولسد المصطفي وثم الهناء

وحسن هذا التخمين من أن صاحبه مازاد على خض الترم، إذ لو عمد إلى زيادة شيء من معنى أو وشي لفظي لفسد بذلك إيقاع الكلام وإتساعه. أشمر أشهر فيه قطع الهمزة من الرسم، ما قد بشرته فأبى أي فرح، وجاء به هنالك، فضلاً جعل على الضرور، والعجب ليفوقي إذ حاكي هزيمة البصر في هتاف الفلك واحتراء الماء. (وقد سبقنا القول في الجزء الأول في باب هزائم الخفيف، أنا لا نراها من جيد شعر.) فذكر مولد المسيح عليه السلام كأنه يضاحي بذلك صفة البصر في ليلة مولد رسوله عليه الصلاة والسلام، وذلك قوله:

ولد الظهر بـمولد عيسى والرؤوس إلى
في أيات اخترها أحد أصحاب الاختبارات من المسيحيين من شعر شوقى مع كلمة في الصليب الأحمر وجعل الكلمة الثالثة المختارة:

خفت الأذان فيها عليك مشهد
بـدعو ولا الجمع الحسان تقام

141
فانظر إلى هذا من إسرار البغضاء وإظهارها، كان لا يوجد في الكثير الطيب من شعر شوقي غير هذا السياق. وكلمة (الموهوك) من قوله لا تقلو من ضعف في هذا الموضوع إذا الشهير الفصيح إفراد هذه الكلمة كما قال أبو الطيب:

وتري الفتوة والأبوة والمرة في كل مليحة ضراها وموضع قوله (الموهوك) معما تقدمه من ذكر الطهر ومولد عيسى عليه السلام كأنه مقحم وسائر الأيات سرقة ومحاكاة للبوصرى وهذا المسلك عند شوقي رحمه الله كثير وما يؤخذ عليه - وقد حاكي أبيات المولد هذه أيضاً في قوله، في قصيدته التي من بحر الكامل يذكر فيها مولد نبينا صلى الله عليه وسلم:

ولد الهدى فالكلاتين ضياء ورم الـزمان يبسم وثنا
قوله وفم الزمان إلخ صياغة أخرى لقول البوصرى (المولد الذي كان للذين مرسى بيوه وازدهاء) إذ شوقي الدين وجعل اليوم زماناً. على أنه حين عدل عن خفيف البوصرى وروى اللذين جاراهما في (همت الفلك واحتواها الماء) إلى الكامل وروى أي الطيب:

أمن اذبارك في الدجى الورقاء إذ حيث أن من الظلام ضياء

ومما خلا من أخذ منه، إنها اتبع حفا طريق الشهاب محمود الحلبي (رئيس دواوين الإنشاء بالشام المتوفي سنة 775 هـ رحمه الله في ما ذكره البهائي عند تقديم مقدمةه المهمزية)، حيث قال:

مامًا آذنته بينهـا أسياء فنصوـل شـأو مـنـه شـواء
لكـنـ ذكر الحمي فتقدـاست

ونأمل أن ينسر لنا ذكر شيء منها إن شاء الله تعالى
قال البوصرى يذكر تداعي الأيوان وما إلى ذلك وتداعي إيـوان كـسري وـلولا آيـة منك ما تـداعي البناـة
وـغـدا كـل بـيت نـائر وفـيـه كـردـية من خودـها وـبـلاـن
وعيـون للفرس غارـت فـهـل كـا
قوله (فهل كان ليترىهم إلخ) من باب البديع المعني:

فهيـنـيـا بـه لأمنـة الفضـاءـلـالذي شرفت به حواء

١٤٢
من لحواها أنها حملت أخـلاق
يوم نالت بوضعه إبنّة وذهب
وأتى قـومها بفضل مـا
شمسه الأمـلاك إذ وضعـته
قوله "وأتى قومها" فإبنّة وذهب وضعـته في مكة وكانت الشفاء قابلتها وهي من قراها
بني نصر رهط سيدنا عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة وصاحب الشورى التي
أسفرت عن خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين والشفاء في مكة نجى الشهداء في الفاء مفتوحة أمه. يجوز أن يكون من مراة بقومها في هذا الموضع أخواله بني النجار بالمدينة
إذ جاءتهم به وهو غلام صغير وتوفيت بالأبواء مربط في طريق عودتهم. شمسه الأملاك من
تشميت العاطس أي دعت له.

رافقـه رأسـه وفـي ذلك الرفـعة إلى كل سـعدد إياه
رماـقـة طرفـه السـاء وـمـرمي
عين من شائه العـلـو العـلاء
فهذه صفاء وعولمة إذ وضعـته إياه صلى الله عليه وسلم. ثم أخذ البصري في ذكر ما
هـف ذلك من معجزات. وتأمل جدـة الصياغـة وسهولة أنسابها وما معها من خفـي
البداع، البيت: "فتونـنا بها ألمـة تكررت فيه الفاء فـهنـا الفـضل شرـفت والبيت
الذي بعده تكررت فيه حواء عند قوله (بـه حواء) (من لحواها) ثم جاء بحاءات
مـتـابـعـات حـلت أحـد. ثم أخذ بطرق الشفـاء أحـنا نـالت ابتـنة وـهـب
تنهـة النسـاء ثم البيت "وأتى قومها" في صدره قاف وفي عجزه وكلمة أفضل تـناـغـي
الفضل التي مرت من قبل وتأمل المـيات قومها مما حـلت مـريم والشـهنات في
البيت الذي بعده وراوات والسياح من بعد. ثم قص ما رأت إهـما من إشراق أضاءت
له قصور الشام جاء بذلك في صياغة رشيقية صدر فيها البيت اللين ذكر فيها هذه
المعجزة بـفعل مـتـقارـب الوزن مدوينين بالتأتى مع شيء من الجنس الحرفي والطاشية:
وتـتـدـت زـهر التجمـوع إليهـ فأضاـعـت بضوؤـها الأرجـاء
وتراـت قـصور قـيصر بالـروـم بــمـراـها من دار البـطـحاء
ثم لما أراد ذكر الرضاـعة جاء بصياغة أخرى، فتعلن الثاني مجز في صدـر جملة قصصية
موجزة جعلها صدرـا لـلـبيت التالى ومهد بها لـعجز البيت الشعر بقصد إلى تفصيل يجـهـ
بعده
وبدت في رضاـعـة معجزات
إذ أتـبـه ليـتمـه معـرضعات
ليس فيهما عـن العيـون خفاء
قال مـيا في البيت عـنـا غفاء

143
قد أبنتها الفقارها الرضعاء
فأتت من آل سعد فقتاة
أرضعته لبضًا فشته
أصبحت شولا عجافًا وأمست
شاثاً ولا عجفاء
إذ غداداً لنبياً مهداً دابًا يه بها منة فقد ضوعف الأجد
إذًا إذا سحى الكبرى أناسًا.

والشعر الجيد أبداً فيه الحكمة. والبوصيري موهوب في هذاباب. وهذا أيضاً من أوجه
المعبده بينه وبين أبي الطيب وأبي تمام، وصياغته للحكم أقرب في إيجازها وقوتها إلى
مذهب أبي الطيب وصياغته. ثم ينeci هذا الفصل من معجزات الرضاعة بقوله:

حبة أبنت سنابل والعصر نف لدى يستشرف الضعفاء.

وهذا كأنه صدي من بيت الحكمة الذي يد وتعليم له ما يبره من الإشارة إلى
الآية: "كلم حبة أبنت سنابل في كل سنابل مائة حبة؟". ومنعى قوله والعصر
إلى قال النبي رحمه الله العصر هو ورق النبات البابس. قال علقة:

تبقى مذناب قد مالت عصيتها حدورها من أنيه الماء مطموم.

وقال في القاموس العصر بقل الزرع وقد أعصف الزرع وكعصف ماكول أي كزع
أكل حبة ويقي بنه فأحصب النبياني جاء بالبيس من همها وقال في مجاز القرآن
كعصف ماكول وهو ورق الزرع وهو العصيفه. فثمناً بيت البوصيري أن هذه الحببة
أبنت سنابل سابعة رحمة من الله أسبها على آل حليمة فلها طال الزرع ولاح سنبله
استبشر به مطروح حصاده فهذا معنى قوله والعصر لديه يستشرف الضعفاء أي حين
بعل الزرع بسوقه وثليج سنابل كثيرات جيدات هنالك يتطلع الضعفاء إلى يوم حصاده
إلى كانها أصحه فهو لم خصب وإن كان أصحه سواه فإن خصب بمهم حتى
ولو أقبلوا بالتقلون ما بقي بعد الحصاد. ولعني لأن يستشرف الضعفاء لورق
بابس. ومنعى البيت كا ذكرنا إن شاء الله والله أعلم.

ثم لما فرع من ذكر معجزة الحصب صار إلى قصة شق الصدر وهي معجزة
أخرى. ويذكر شق الصدر أيضاً في قصة الغراج.
أتأت جده، وقد فعلته، وبها من فضائله البرحاء.

على تقدر الفرض أن قارئ هذه القصيدة ليس له سابق علم بالسيرة فقد أنبأه
البصيري بيت النبي صلى الله عليه وسلام إذ أثبته المرضات. ثم أن الذي تولى
كفاحته جده هنأ. ولعل القاريء بأمر البصيري وكفاحه جده عبدالطالب له، فإن سياق
الخبر من أجل الذكر والعظمة الحسنة والبرحاء.

إذ أحاطها به ملاثكة الله فظنت بأنهم قراءة.

وبعض جهلاء أعداد الإسلام يبتون على خبر شق الصدر مزعماً أن النبي صلى الله عليه
و وسلم كان مصابا بالصرع ويجعلون ما يشابه من شدة الوحي من ذلك. ولا خفاء أن
هذا من سوء الأدب. ولو كان بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي زعمه لكان
رواية سيرته أول من يبتنا به إذ لم يكتمنا من خبره شيئاً. وما ذكر عن نبي ولا عن عظيم
من تفصيل الخبر كما ذكر عن نبي صلى الله عليه وسلم. ولقد صحبه أصحابه في
الحضر والسفر فإما غادروا من أمره شيئاً. والأطباء في عصرنا هذا لا يلطقون قاطعين برأي
في مرض مريض، أي مريض، إلا بعد أصناف من الكشف الدقيق. فقد حسن سوء
الأدب وفلاش الرأي وسخاته لهذه السفهاء أن يقدموا على تشخيص مرض يسهوه
إلى نبي صلى الله عليه وسلم والتحامل والبغضاء وبغرض الطعن والسب وعلى وجه خلاف
منكر لكل ما ورد من خبره، لأنه كان أيقظ الناس وألزهم على مكاره السفر
والحرب، شج في أحد وبركته وباعته فما أتاه ضعف ولا خير. وفاز عنه الناس يوم
حتين وهو مكانه لا يريهم. وكان قواما صراماً وتحمل في مرض وفاته فصل وأصحابه
برؤيته مستبشرين.

وأرأى وجدواه به من الوجه، لقد تصل به الأحشاء

أرأى عبدالمطلب حب حليمة له صلى الله عليه وسلام وتعلقة به.

فرقتها كرها وكادا لديها شاويلاً، لا يمل منه الشواء

وقد أحسن تضمين كلام اليشكري هنأ. وقد رام نحو هذا الشهاب في هميته الكاملة
في المطلع.

ما آذنته بينهما أسياء، فتقول شاول منْ شواء

١٤٥
والصناعة هنا على سلامة الأداة. ثم يقول البصيري:

شق عن قلب وأخرج منه ختمتةيمني الأيمن وقد أبلغه وقلبه وصدقة...

ويتقل البصيري في براعة قصصية من خبر الشق إلى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، وأذله واستعجاله بالذكر والعبادة والتحنن وما كان عند مبعة من ظهر الشهر تطرد الشياطين عن استراق السمع ثم يجمع بين هذا وبين تزويجه خديجة رضي الله عنها. ولم كان صاحب سردهما تتبع الأحداث لكان ذكر بعد الرضاعة والفصل أحداثاً أخرى ثم أصبح ذلك ذكر الزواج ثم جاء من بعد بحرف البهث. ولكن براعة البصيري تتجلى في ربط الدقائق بين التحنت والوحى وخديجة رضي الله عنها وتثبيتها النبي صلى الله عليه وسلم وأنها كانت له وزير صدق:

ألف السك والعمادة والخلاء صفة طفلاً وهكذا النجباء نشبت في العمادة الأخضاء وإذا حلت الهديا قلبًا صدق.

و هذا من آيات الحكمة.

ٌب حراسا ورضاق عنها الفضاء نطرد أبن عن مقاعد السمة مع كا تطرد الذئاب الرؤاء وأحسب أنه يثير الإملاء خفي إلى الكهان بقوله كا تطرد الذئاب الرؤاء، وليس الأعشى يقول:

ما نظرت ذات أشفار كنثرتها حلقا كا نطق اللذيني إذ سجما

عنى بالذيني كاهما بعينه هو سطيح فيها ذكرها وألذي نظرت هنا زرقاء اليادة والأشفار أراد بها أجفان العين المرد ضفر ضم فسكون وهو أصل مبت شعر الجفن ولفشفر معنى آخر فيبرم المراد هنها، أعنى بيت الأعشى إذ لم يقصد إلى معنى التأثيث ولكن إلى معنى النظر. هذا ويفقى ما ذهبنا إليه من الإملاء إلى الكهانة قوله من بعد:

فمحط آية الكهانة أياً ت من الوحي ما من اعما
مع ذكر المبعث أنى بذكر زواج خديجة لمناسبتها له من حيث مؤثرتها برضي الله عنها
وإن كان الزواج قبل المبعث بخمسة عشر عاما
وأتته خديجة والته ولالز
وأتاهما أن الغامرة والسماح
وأحاديث أن وعهد رسول الله
بالبعث خان منه الموفاة

في سورة الصفات قوله تعالى يذكر فيه ثلاثة مرات أن ينزل عليهم كتاب يليهم جاهم تنكر
له: فإن كانوا يقولون لا أن عندنا ذكر من الأولين لكننا عاد الله المخلصين فكفرنا به
فسوف يعلمون، وفي سورة البقرة قوله تعالى يذكر ما كان يستفتحه بأخ الكتيب من
يهود إذ يزودون خروج نبي يقتلون به العرب قبل عام وإرام، وكانوا لغورهم لا يرون إلا
أنه سيكون يهوديا منهم: "فأما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكأننا من
قبل يستفتحون على الذين كفرنا فليما جاءهم ماعرفوا كفرنا به فلعله الله على الكافرين;
فدعه إلى الزواج وما أحدهم من يبغي المني الأذكياء.

وليس ذكاء مفكر دنيوي ولكن ذكاء توفيق وكياس ودين:

وأتاهها في بيتها جبريل، وليذلي اللب في الأمور ارتيبة

عنى بذي الكتيب خديجة والازبيهة هنا من رؤية العقل، وذلك أنها ثبت النبي صلى الله
عليه وسلم وأثنته بالبرهان أن الذي رأى ليس برئي من الجن ولكن ملك الحق
المنزل بأمره من عنته:

فأعطاهات عنها الخيار لتندري، هو الإغتيال
فافتختي عند كشفها الرأس جبريل، ففأعاذ أو أعيد النظر
أي الخيار لتأكد من أن كشفها رأسها هو سبب ابتعد الملك فلم يعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبصري

فاستبان خديجة أنه الكتيب الذي حاولته والكيمياء
قد تبدو هذه القافية أول الأمر متجابة ولكنها بعد تأمل قليل تضحك قوة مناسبتها،
وذلک أن القمر في معنى الذهب، وكانت الكمياء في ذلك الزمان إنها يجتهد أصحابها فيها من أجل أن يحلوا التراب وما أشبه ذهباً - أي هو الكنز وهو المبنى والمعجزة وهو الإكسير.

وانتقل البصري إلى نفسه الدعوة وما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من إباء من أبي وعائدهم. وعمل هذا الإباء بالرغم من المعجزات، وعدد معجزاته ثم ذكر انتصار الدعوة وظهور الحق - هذا الانتقال السريع من أول الدعوة إلى معجزاتها فانتصارها أفعل من حيث التأثير الشعرى.

ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله في الكفر، نجدة وإباء أعما أشتهر قلبيهم الكفر - ففدائلهم فيهم عياء وإذا الحق جزاءه زال المراة.

هذا من باب الحمد والشكر لله أن لم يجعلنا من حضروا الكفر فأشربوه، وانتقال الشاعر من زمان أبي جهل إلى زمانه هو جيد بالغ.

رب إن الهدى هداك وأيما كم رأيت ما ليس يعقل قد ألقا

وعمل هذه الحكمة بقوله:

إذ أتى الفيل ما أتي صاحب الفيل - ولم يدفع الحجا والذكاء، وإباء الفيل معجزة كانت عند مولده عليه الصلاة وسلام، ثم ذكر تجيه الحجر له وحتين الجذع وأمر الغار والعنببوت والخبارة فصار إلى ذكر الهجرة:

الجهميات أفصحت بالذي أخلس عنده، ألفت قفو جفوا تابا بأرض وقلو ووده الغربراء، قلوا: أغضبوه، وقد وده أهل المدينة وأروحو، صلى الله عليه وسلم أخراجوه منها وأواه غار وكتب وجهة عنكبوت ما كتبها الحمامة الصناد، أي ذات الجناح والريش وفبه معنى الرأي السديد من قبولك أيا مصدراً وجاء بهذا النعم من قبولهم شجرة حصاد، أي كثيرة الفروق ودرع حصاد، أي محكمة النسج

- 148 -
ومعنى الدروع مستكن في نسج العنقبوت في هذا الموضع، ومعني كثرة الورق مستكن في لفظ الوراء وإن يك معناه الرمادية اللون.

وختي منهم على قرية مراً
واتلاب من بعد طريق السير للمدينة:
وتحت الصافن الفرس وجرداء اللمساء ليست بسحرة وهذا ينبي من جودتها
ثم ناداء بعد ما سماه الخبـف وقد ينجد الفريق النداء
هذا تشبه انتزى من بيئة نبى وكان قره الله شديد الإحساس بالنيل وطبيعة أرض مصر وجمالها، هذا وذكر فرس سراقة كنأيا دعا ذكر البراق على وجه من تجارب المعاني وتداعيها. ومع أن المعرف كان قبل الهجرة، جاء به البروصي هنا بعد خبر الهجرة لما

فصف الليثة التي كان للبخـ فيهما على البراق استواء
وتحى بـه إلى قاب قوسين
ربت سقف الأمـانحريري
هذا مولد من قول أبي الطيب مراث صدعت والفكر يتبعها. البيت:

فيراً من رتبة النعاء
أو بقي في السياحة الغنية
وتحدى فارـ تاب كل مـ ريب

- 149 -
أراد هنا تحمي القرآن. وما أراه جمع بين التحدي والمعر架 إلا لأن سورة الإسراء فيها مع ذكره أنه أسرى به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قوله تعالى: "قل لمن اجتمعت الإنس والجين على أن يأتوا بعيل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم يعض ظهيرا".

وهو يدعو إلى الإله وإنان شق عليه كفر به وإدراد.

يشير بقوله "وازدراه" إلى خبر الطائف إذ أغرى به سفهاءهم.

ويدل الوري على الله بالذكر، صخرة من إبّانهم صلى من رحمة من الله لانت صبيا. من راعة البصري فرطته إلى أن نظم أي القرآن جهد يضيع سدى مكان القرآن من البلاغة في الذروة. فالوجه الإشارة والنصsleep فالوجه الإشارة إلى قوله تعالى: "فاحصر السبل زيدا رابيا" وقيل قوله تعالى: "فها رحمة من الله لنتهم"، إلى قوله تعالى: "لو أنفقت ما في الأرض جميع ما ألفت بين قلوبهم فرحمة الله التي ألّنت قلوبهم" ولأنت قلوبهم فلم ينفضوا، ومن حسن تأوي البصيري أنه لما نسب تليلن رحمة الله إلى قلوبهم جعلها صخرة صياء فلانت والآية "فيا رحمة من الله لنتهم" في الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى فطره برحمته لين الجانب رخيم الفؤاد على خلق عظيم، صلى الله عليه وسلم، ثم ختم البصيري هذا الفصل بالإشارة إلى النصر وسورة الفتح:

واستجابة له بنصر وفتح وأطاعت لأمر العرب العصر بيا والجاهليّة الجاهلية الخضراء والغبراء أي كل مكان والخضراء السياء والغبراء الأرض ولكن المعنى الأول هو المراد إذ الأرب الدلالة على الشموخ العرب العبراء اليمين والجاهلية الجاهلية كل من كان على الشرك من العرب أي كل العرب. وقد يكون المراد من العرب العبراء تأكيد بمعنى العرب الصراح أوه الشكائم.

ودكر العربية والجهلاء غرب إلى ذكر الجهاد والصاربة والبلاء:

وتأسّلت للمصطفى الآية الكبيرة عليهم والغداراة الشهواء فإذا ما كتبنا كتباً من الله.
أي تامة عتاد الحرب خضراء بالدروع. هذه الكتبة ليست هي فقط كتبية الجيش المقاتل بالأسنة والأعنة والصوارم. ولكن لله جنودا لم تروها. من ذلك ما حل بالمستهزئين من غضب الله عليهم وذلك قبل الهجرة. قال تعالى: "فاصعد با تؤمر وأعرض عن المشركين إنما كفيكاك المستهزئين."

وكفّكه المستهزئين وكم سا نيبا من قومه استهزؤ ورماه بددوة من فناء الالـ ﯽبيته فيها للظلماءن فنـاء

صناعة البوصيري لا تكاد تخسر جودة الأدا ورسانته وهيئة جانب المعاني عليه مع نصوع الألفاظ تأمل "فناء" بكسر الفاء وفتحها - والكاف والسين في البيت قبله - ومن قبل، الكبيرة، كتابة، كتبية. ومن قبل حيته الحمامة، ولوضع هذا وتوتوه لا ينفي أن نزيد على مجرد الإياء إليه.

ثم نظم البوصيري نظم الحز 오 بالمستهزئين. ونحن الآن مع أحداث ما قبل الهجرة. وجعل في مقابلتها اسيا من تواطئها على نقط صحيحة القطيعة التي كتبتها قريش:

خمسة كلههم أصيوا بداء
والردى من جنوده الأدواء
إيلبداء قاتل
فدهى الأسود بن مطلب أي
فكان عيا من أسباب انكساره حتى قضى نحبه. وقاله "ميت به الأحياء" أشار به إلى
قلع الكوتي بن الراعي
إليا الميت الأحياء
سيئابه قليل الرجاء
ليس من ممات فاستراح بعين
إنها الميت من يعيش كييييي
هكذا كان ابن مطلب
ودهي الأسود بن عبد يغوث
أصحاب السويد خدشاته سهم
أن سقاه كان الردى استساء
قصرت عنها الحية الربقات
هو الوالد بن المغيرة وهو الذي نزلت فيه: "إنه فكر وقدر" وفي عجز البيت شيء.
وقضت شكوكه على مهجبة العما
ص فلله النفقه الشـوكر
أي القتلة الخشنة. وفي هذا البيت بعض القلق على حذقات المجاسة بين أوله وآخره

-١٥١-
و على الحارث القيووم وقد ساء 
ل بها رأسه وساء الموعـاء 
هو الحارث بن الطلاطمة ويس الوعل رأسه. والوعي يفتح الوعل هو القيح فم فتح 
الوعل ومصد المقصور جاز على هذا المعني ولكن الكر أجمل 
خسـة مشرعت بقطعهم الأر ض فكـف الأذى بهم شـلاء 
اذ كانوا من ملا قريش ودهاها 
ثم ذكر الحنم الذين عملوا على نقض الصحيفة الظالة: 
فديت خسـة الصحيفة بالخمـسة إن كان بالكارام فداء 
أي لو أمكن أن يفدى الكرام فؤلاء الحنم الذين وضع بهم عذاب الله في الدنيا 
ولغذاب الآخرة أشـق فداء خسـة الصحيفة. 
يـا لأمر أتـهان بعد هـام 
وزهير والمطمع بن عـامي 
نقضوا مورم الصحيفة إذ شـأ 
اذكرتنـا بأكلها بلا منـسا 
بنقل فتحة الهمزة إلى اللام. وقصة أكل الأردة منسأة سليمان مذكورة في سورة سبأ وقد 
أكلت الأردة الصحيفة إلا موضع اسم الله تعالى، ومكان التشبيه أن المشركين كانوا 
على ثقة بسلامة الصحيفة وما تضمنته من البغي، فكان أكل الأردة لما خذل من 
كان رأيهم التمسك بها. وقـد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأمرها فوجدوا كأ ذكر 
عليه الصلاة والسلام! 

وـبـه أـخـبر النبي وـم أـخـ ــخـبـاء 
والخبـب هنا تشير إلى خـبر نـيذ سليمان في سورة النمل إبانا—and ذلك في مقال الههد 
عن قـوم بلقـيس ـألا يسجـدوا لله السـي الذي يخرج الخبـب. الأـيـة. 

لاقتل جـمان النبي مـضايا 
حيث مسته من الأـسواء 
في المطبوعة "مضـاما" ولا يصح إذ الفعل ثلاثي أجوف بائتي وواوى ضامه يضـيمه 
ويضومه 
كل أمر نـاب النبي فالـشد 

_١٥٢_
ثم علل هذه الحكمة:

لم يمس النصارى هرع من الناء ولما اعتذر للنصارى الصلاة وتعليل الحكمة أشبه بذهب أبي تمام والصلاة النار والنضار الذهب. ثم ذكر ما حف النبي صلى الله عليه وسلم من عتابية الله سبحانه وتعالى وقايته كـ: _ في الحق كـ: _ واجتذاب منـه في كل مقالة أـ: _ هم قوم بقتله فألي السيـ: _ وفاء وفاء الصفـ: _ تأمل الفاءات والجنسات في (وفاء) و (وفاء) والقاف في (مقلاة) (فطاء) (قوم) واهله. وأشار إلى خبر الذي أراد قتله ثم هداه الله و إلى ذلك الإشارة في سورة الإسراء: _ أيها الذين معنا الذين أعطاكوا لمعة الله علـكم إذ هم قوم أن يسبعوا إليكم أبدكم فكـ أبدكم عنكم وقال تعالى: _ أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فـ بلغت رسالته والله يعَصْمك من الناس وصفوا الحجر و قد هم حالة الحطب أن ترميه بحجر فلم ترو، وبعد الهجرة هم اليهود أن يلقوا عليه حجرا فكفاه الله عز وجل شره.

ثم ذكر خبر أبي جهل إذ هاب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه يقتضيه دين الإراشي رجل من بني إسرائيل لوى أبو جهل دينه فلم يؤده فنذره الناس على الرسول صلى الله عليه وسلم ليستعين به، وما أرادوا إلا أن يفسروا به، فكان ذلك سبيلا لنبله ما لوي عنه ظلما

وأبو جهل إذ رأى عنقت الفحـ: _ هل إليه كانـه العتقـ: _ واقتضـ: انبـ: دين الإراشي رجل من بني إسرائيل دون الوفاء النجاة مما علـه يعد الحطبـ: _ وذلك أنه هم بالنبي صلى الله عليه وسلم فرأوا دونه فحلا وهو عين الفحل الذي رأه لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم يقتضيه دين الإراشي فهذا من خبر أبي جهل عدو الله كأ ترى. ثم ذكر خبر حالة الحطب وهو أم جبل بنت حرب زوج أبي هب بن عبد المطلب بن هاشم وأعدت حالة الحطب الفهـ: _ و جاءت كأنها الورقاء

-153-
وي ذلك أن الحرم في الحمام البري، والحيامة خفيفة الخطا ونعّت البرغيرة أم جيلين
أنها جاءت كحامة، نعت خيده، لما فيه من صفة هيئة دخّلها، ثم كان هنالك إشارة
لقصة الحامية التي دخلت على ميدا داو في مصلاتها. إذ كان دخول أم جيل في الحرم،
ثم الحمية علامة سلم، والحمام بالحرم آمن، وقد جاءت أم جيل يمشي الحامة
المسلحة، وما جاءت إلا حرب. قالوا وكان أبو الفضل والجمال كلاهما على حظ من جال
الصورة مع ما كان من سوء الطوية
يوم جاءت غضبي نقول أي مثلي من أحد بقان الهجاء
تشير إلى الآية. وقالت: «سما أبنتا و دنها قليبا»، تهجر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فما صنعت شيئاً إذ لم يكن اسمه مذموماً فمنعت من هجائه صلى الله عليه
وسلم كما منعت من ربيه بفهرها:
وتولت وما رأته ومن أي نبرى الشمس مقتل عمياء
ثم إذ الشيء بالشيء، ذكر جاها بخير امرأة أخرى همت إلى السرول صلى الله عليه
وسلم وثرة. و هي زينب بنت الحارث الجهود، و العجب للأسناد المستشرق أفريد
ترجم خيرها عن ابن هشام على صحته في ترجمته Alfred Guillaume
The life of Muhammad-A Translation of Sirat Ibn Ishaq's Sirat Rasul Allah- London 1955-p. 516:
حيث ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم صفح عنها ونص ترجمه:
So the Apostle let her off
Islam by Alfred
ثم جزم بأنه قالها في الكتاب الصغير الذي كتبه عن الإسلام وهو
من طبع بنجوي سنة 1957- 1978 في صفحة 49 حيث قال بإ
ترجمته «وبطعا أعدمت زينب»

Of course Zaynab was put to death
و هذا الذي جزم به لا يبرره نقله وان تلك قئ وردت به بعض الروايات (انظر
الروض 2/ 570).
ثم سمت له اليهودية الشا فأتاع الذراع مـا فيـه من شر و بخلق من النبي كـربـيم لم تقـصص بـجريـهـا العجاء.

فهـذا هـو الآخر الصحيح و جعلها عجاء إذ كانت يهودية و ذكروها في الصحابة وأنـه:

 أولئك قبل ذاك فيهم ربعاء
وضع الكفر قدرها و السباء
فخبواها بوا تَنُوَّهـت النـا.

هذه قصة الشياء أخته من الرضاعة و ذلك أنها عرفتها نفسها فلمَّا عرفها صلى الله عليه وسلم أكرهها إكرهها توهيم بها من لم يكن قد عرف قبل أن صلى الله عليه وسلم أرادها زوجته و ذلك أنه بسط لها رداء و آطفها و رآها بحبيبها و كانت سيما في إطلاق السيما و من الذي من الله وaversalه على هوازن حتى إن مالك بن عرف النصري قائد هوازن و قد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده وأستأنف وأسلم وحيا رسول الله عليه الصلاة والسلام حياة المؤلفة قلوبهم و مدحه صلى الله عليه وسلم بكلمة منها:

ما إن رأيت واسمعت بمثله في الناس كله بمثال محمد أوفى و أعطي للجزيل إذا اجتدى يعني الخدس والalnumة والكشف لا علم الغيب فذلك استتر به الخلق سببانه و تعالى وفي سورة الأم يرف: قل لا أملك لشفتي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكرهت من الخير وما مسني السوء.

بسط المصطفيـهـا ما رداء أي فضلـهـا ذاك believable
فيه هي سيدة النساء والسادات فيـه إمامة أي كالاداء بالنسبة إليها ما ناله من عظيم الحرة.

وهنا النفت البوصيرى إلى محض التنان الخسان صلى الله عليه وسلم فجعل ذلك فصلا خمس منه إلى التنان بذكر بعض المعجزات ثم اتبع ذلك تغنيا يتميزة به الحج ورؤيا البيت الحرام وثم تراب تلك الرباع القدسية من مكة والمدينة حرسها الكرم
القديم الجبار.

فتنزه في ذاته ومعناية إستيواء إن عزر منها اجتلاع
وأعمال السمع من محاسن يملوء - لها على الإنشاد والإنشاء
وهنا وصف جيد لطريقةه في النظم أنه يتنغى به وينشد وينسيء ويصوغ مع ذلك،
وهذا منهج الفحول من الشعراء أهل الملكة والتجويد. كذا روي عن أبي الطيب.
وقريب منه عن أبي تمام، وكذلك في خبر الأحور إذ جعل برض النغم على اسم
موضوع واسم رجل هم هجائه. والذي وصى به ابن طباطبا - وقد مر ذكره - منهج أهل
الصناعة والتحت. ورفة الإيقاع جليلة في نظم البصيري وهذه القصيدة صلالة بفصل
بها المنشدون بين صوتها، وإنما ينشدون منها الفصل والفصلين على سبيل الاختيار، لا
كلها في المرة الواحدة لطولها، وهي:

صل يا رب ثم سلم عل من هـ للخيل رحمة وشفاء
وطريقة التنغم بها مشابهة على ما يكون من اختلاف ووجه النغم والغناء في مختلف
أقطار الإسلام.

كل وصف له ابتدأت به استو عب أخبار الفضل منه ابتداء
هذا البيت أيضًا في تنبيه على طريقة هو رحمه الله في صور الفريض وقد ذكرنا من قبل
أن من الشعراء من يوصد باب القول على نفسه فلا يترك لنفسه عندما يبتديء ما يدع
مجال للقول بل. وكان البصيري قد فتح الله عليه فتحاً خاصاً بأن كل ابتداء في مدح
الرسول فالصفحة التي يذكرها فيه تستوعب كل فصل، ولكنه يستطيع أن بدأ بدءا
جديدًا، فكل بداية ناجحة، لأن كل فضيلة من فضائله صلى الله عليه وسلم شاملة
لكل الفضائل، ثم ليس لفضائله حصر، فتأمل هذا الحذق

سيد ضحكه التسم والمتش - رحمة كله وحـزم ومعـزم
وقـرار وعصـمـة وخيـاء
لا تخفـفـه السراو - ولا تخفـفـه السراو
إلى هويـنا ونموـه الإغفاء

156
هذا بيت عزيز دقيق المعنى. أي معدن نفسه صل الله عليه وسلم وجوهرا شريف كريم فهمه بطبعية شرفه وكرومه مناف مناف لكل دنى عظمت نعمة الله عليه فاستقلت لذكره العظاء.

وذلك أن العرب وهم ما هم قد أحبوه حيا لم يحبوه أحدا قبله ولا بعده وما ملك قليوبهم إلا تلك النعمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى عليه صل الله عليه وسلم وله عليهم. وما يعجبني هذا الخبر الذي نقله صاحب المجموعة (ج - 1 - 56): عن زيد بن أرقم قال خرج عمر رضي الله عنه في خلافته ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت عجوز تنفخ صوبا وتقول:

على رحمة صلالة الأببرار صل عليه الطبيون الأخيار قد كنت قوما كبى بالأشجار

بالتي شعرى والتشابها أطول.

هل تجعني وحيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبيث ثم قال فسلم عليها وقال لها أعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكي وقال لها: وعمر لا تنسوه (1) يرحب الله

قالت:

واعمر فاغفر له يا غفار

وروا في الحديث ما معناه أن عمر رضي الله عنه ذكر لرسول الله صل الله عليه وسلم حبي له أكثر من كل شيء إلا نفسه فقال له رسول الله صل الله عليه وسلم ما معناه أن لا يستنى نفسه حتى يتم بذلك إياه ففعل رضي الله عنه وهو بذلك صادق وهو الصواب لأن المسلم لا يعرف نفسه المظلمة إلا بعرفه رسول الله صل الله عليه وسلم لأنه باب الإيمان بالله ولا يعرفه صل الله عليه وسلم إلا بحبي إذ الحب بباب الاتفاق.

وابتوبه يكون حب الله للعبد الصالح

جهلت قومه عليه فأغضي وأخو الحلم داًبه الإغضاء وسع العقائدين على وحليا فهنمو بحور لم تعبه الأخباء

قوله لم تعبه الأعباء مناسب لذكر البحر هننا وما أرى إلا أنه أخذ هذا من صورة النيل

(1) أي لا تنسى أن تجنيه هو أيضا النار مع الحبيب صلى الله عليه وسلم.

107
وحركة السفن الدائمة عليه وأهل النيل يسمره البحر وهو لفظ صحيح في العربية وفاء

بمثل القرآن الكريم

مستقبل دنياك أن نسب الإمام شمساك منها إليه والإعطاء

قوله دنياك هذا جيد، أي دنياك يا أخا الدنيا إذ لم يكن هو صلى الله عليه وسلم من

طالبي زهرتها

شمس فضل مفعول الطن فيه

أنه الشمس رفعة والضياء

هذا عاد به إلى قوله قبل "ستا منك دونهم وسنا" وجعله نهاية هذا الفصل ليخلص منه

إلى ما قدمنا ذكوه من ترويه بالمعجزات

فإذا ما ضحى ما نوره ظل

فقد أثبت الظلال الضحايا

فكان الغاية استведенعته

من أظلم من ظلله الدفيف

يقول إن نور النبي صل الله عليه وسلم بمحور نوره عند ارتفاع النهار والضحاء ارتفاع

النهار فكان الغاية التي كانت تظله صلى الله عليه وسلم قد جعلت النبي صلى الله

عليه وسلم مستندإا من جانبهما عند هذا النور فصار هذا النور ظل له كأث نبتي هي

ظلا له. الهاء في استمودعته ضمير يعود على (نور) في البيت المتقدم. ومن مفعول ثان

لقوله استمودعته ويريد به النبي صلى الله عليه وسلم والضحاء أي الذين دفوا على أثره

من أصحابه من بعده لأنه يظله صلى الله عليه وسلم قد أطلوا الناس، أبو بكر وعمر

وعثمان وعلي الخلفاء الراشدون المهديون من بعده والمصباحة الكرام وتابعهم بإحسن

رضي الله عنهم: قال النبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله تعالى وعلي

هذا البيت كلام كثير يراجع في الشروح قلت ما تقدم أن شاء الله فهو الصواب ودفء

جمع دوف بمالفة من ذات تشديد القاء من دف بدف

خفيت عند الفضائل وانجبت به عن عقولنا الأهواء

أي خفيت فضائل كل شيء بالنسبة إلى فضائله وذهب حب كل شيء بالنسبة إلى حبا

له وسلمت عقولنا بذلك من هو التفوس أهواءها وذلك للرأي أفة

أم مع الشمس للظلال بقاء

خلق وخلق نقط مصطفى

فهو البحر والأرض إضاء

النبي استواره الفضلاء

- 158 -
لأنه موصوف بالخلق العظيم في القرآن والقرآن في أم الكتاب. على هذا يخرج هذا القول والله أعلم.

شَقَّ عَن صَدِرِهِ وَشَقَّ لِهَ البَرَدِ وَمِن شَرْطِ كِلَّ شَرْطِ جَزَاء.

هَيْنَا بِذِيَبِ الإِسْتِخْدَامِ لِأَنَّ الشُّرْطَ هُوَ الْقَطْعُ والشَّقَّ وَهُوَ أَيْضًا فِي الْنَّحوِ مَعْرُوفٍ، وَكِلٌّ جَرِّحَ فِي جَزَاءٍ يَكُونُ تَعْوِيضًا عَنِهِ، فَعِنَّ شَقَّ الصَّدرَ تَعْوِيضًا لَهُ بَعْلُهُ عَلَيْهِ وَجَلَّاً.

وَعِنَّ شَقَّ الْبِدر ضَيَاَءَ عَنْهُ وَعَمَّ أَمِهِ. وَكِلٌّ شَرْطُ فِي الْنَّحوِ جَزَاءٍ وَالْمِرَادْ المُنْعَىُّ الْأَوَّلِ.

وَهُذَا الثَّانِي وَرَبَّهُ وَفَجأَزَهُ إِرَادَتُهُ فِي كُونَ قَدْ جَاءَ بِكَلِمَةِ الشَّرْطِ عَلَى مَعْنَىٰ لَهُ وَهَذَا هُوَ الْإِسْتِخْدَامُ، وَجَعَلَ عِنَّهُ الْمُقَدَّمُ لَهُ.

فَلِيَصِّبَهُ أَيْ الْهَلَالِ وَعَدْتُهُ أَيْامُ الْشَّهْرِ.

وَرَمَى بالْخَصِيُّ أَفَقَضَ جِيْشًا.

ما العصا عَنْهُ وَمَا الإِلْقَاء

عَادَ رَجُلُ الَّذِي إلى المَوْارِنَة وَحَرَبَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَيْ قَدْ مَنِيَ أن يَحْمِل هذَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْمُسَلِّمِينَ وَخَصُوصِهِ مِنْ عَرَاكِ الْبِنَانِ وَالْجَدُلِّ.

وَالْعَصَا عَصَا مَوْسِيُّ عَلَى الْسَلَامِ وَالْإِلْقَاءِ إِشَارَةً إِلَى قِسْتِهِ مَعَ الْسَحْرَةِ إِذْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ الْسَلَامِ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: "وَأُوْحِيَ لِمُوسَى أَنْ أُلْقِ عَصَابَ فَذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" هَذَا فِي خِلَال.

سيدنا موسى عليه السلام وقد تكرر ذكره في الآيات المحكمات وفي سورة الأنفال: "فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ وَلَا لِلَّهِ فَتَنْبَعَهُمْ مَا رَأَبَتْ إِذْ رَبِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمِيُّ وَذَلِكَ أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّ الْلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَفَظَةً مِنْ حَصَبِهِ وَرَكَّمَ وَقَالَ شاهِدَ الْوَجْهَ وَأَمَّرَ صَحِبَهُ أَنْ شَدَّوا فُكَانَ النُّصْرُ وَذَلِكَ بُدْرُ الْكَبْرِ.

وَدَعَوْنَا الْلَّدِينِ أَذْهَبْمُهُمْ سَنَنَةً مِنْ مَوْعِظَةٍ شَهِيدًا.

فَأَسْتَهْلَكُتْ بِالْعِيْنِ سَبْعَةً أَيْاَ مِلْؤُهُ مَحَابَةً وَطَفْقَاءُ الوُطَنَاءِ الَّذِي لَهُ وَتَفْهِمُ كَأَهْدَافِ الْجَفْوِ لْكِثْرَةِ مَا يَأْتِيهِ وَثَقَلَهُ وَقَدْ دَعَ عَرَضَ لله صَلَّ الْلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ لِيَأْخُذَهُ فَالَّذِينَ لَقَدْ وَقَدْ بَلَغَهُ مَا يَأْتِيهِ أَاشْتَرُ الْبُوسِرِي بِبَعْطِ السَّحَابَةِ بَعْتُهُ وَطَنَاءًا، وَكَأَنَّهُ فِي ذَلِكَ إِسْتِشَارَةً إِلَى قَوْلِ أُمَرَى الْقِيسِ.

دِيْمَةً هَطَلاَءًا فِيهَا وَطَفْقَ طَقِ الْأَرْضِ تَحْرُى وَتَتْسَدُّ.

وَقَدِ جَاءَ الْبُوسِرِي بِتَحْرِي فِى الْبِتِّ الْأَخَى:

تَتَحْرِي مَوَاذِي الْرِّعِيِّ وَالْسِّفِيِّ وَحِيثَ العَطْاشُ تَوَاهُ السَّقَاء.

أَيْ نَصْبَ الأَسْقَيَا وَكَأَنَّهَا وَاهِيَةً أَفْوَاهُهَا حِينَ يَشْتَدُّ العَطْاشُ وَكَذَلِكَ يُسِرُّ اللَّهَ
لا يمكنني قراءة النص العربي المكتوب بالخط العربي. لرجو قراءة النص باللغة العربية المكتوبة بالخط الكوفي.
أي أول الشهر

ستر الحسن منته به الحسن فاعب جبال لجبال الجبال وقى...

أي صارت شجاعة الجبل على وجه الحسن هي نفسها حسناً
فهو كالزهر لاح من سحاب الأكمام والعود شق عنه اللحاء
هذه الصورة نيلية بلا ريب، ويسوى خروج الكبساء من النخلة شق العود وهو
أيضاً موسم إثراء للجوهر والباسيات والمزارع.
كاد أن يعنى العيون سنة منه لسر فيه حكمة ذكاء

أي حكه الشمس، وقدم وصف صل الله عليه وسلم بإشعاع الوجه والبخية وصفه
بذلك واصله من الصحابة رضي الله عنهم
صنعه الحسن والسفيحة أن تظل في آثاره الباسلاء
وتحمل المثلاء فإن قابلته
لأن وجهه شمس، ورجل هذا البيت فيه مأخوذ على استقامة معتنا وسلامة لفظه
وسبب ذلك أن تلحن الحرباء أكثره أنه لا يهمد. غير أن البصيري كأنه جيء إليه من
جهة بيت كعب بن زهير رضي الله عنه:

بما يظل به الحرباء مصتعاً
كأن ضاحية بالشمس مملوء
وكان البصيري رجم الله لم يفل أن أحس بعض ما في البيت من قلق فالفيت
الذي يلي كأنه اعتدار منه بما فيه من تفسير له.
فإذا شملت بشر ونـنـنـنـنـ
أذلتهك الأندوار والأنـنـوـاء
فخرج عن صورة الشمس هنا إلى صورة السحب والبرق والمطر، ثم رفع فرد

الكلام إلى قوله من قبل: "ليته خصني بروية وجه:
وأي تشبّه راحقة كان للـ...
تتقن بأفعالها الملوك وحظى
لا تسيل جوده، إنّا يا بـ
درت الشاهية حين مرت عليها
نعبداء ألمدح النخل في عـ
أحيت الرميل من مروت جهد
فتغذى بالصاع ألف جهاد

- 161 -
لا ريب في اتساق عقد هذه الأبيات - وبعض مرد ذلك إلى حسن تتابع الأفعال - 
درت - مرت - ننهز - سحب - أصبت - أصيبت
وفي قدر بضعة من تضمار
أينعت من تخيله الأفكار
الفن العبد المعرق في العبودية والاتفاء جمع قناء بكسر فسكون وهو غصن النخلة
المشر وجمعه أيضا قنوان كسر وجمع صوان وكلثامها في القرآن قال تعالى: وَمِن
النخل من طلعها قنوان دانية [الأعجاز] وقال تعالى "وَنَخَفَّلَ صُوانَ وَغُثُّ صُوانَ يَسَقُى
بئا واحد [الرعد].
أَفَلَا تَمْهَدْ رُبُوبُ سُلَيْمَانَ لَمَّا
أَرْتَفَعَ مِن ذِكْرِهِ الصواريخ
أي ارتفاع الحمى. سلاني الفارسي رضي الله عنه، في الحديث أن بلال سابق
الحشي وصغير سلاني الروم وسلاني سابق الفرس ورسل الله صل الله عليه وسلم
سابق العرب.
أَكْرِسْهُ أَبْنِهَا وَإِسْمَاء
وَأَزَالَتْ بَلَامَهُ تَمْتَرْبَبَتْ أَخَسَرَتْهَا مَالٌ تَمْتَرَبَبَتْ
هي زرقاء اليامة ومر خبرها
وأعادت على قطرة عينها
فهي حتى عماته النجلاء
ثم بعد تعداد هذه المعجزات عاد إلى الوصف وقدم له برود الكلام إلى ما كان متناه
نْت حياء من مسهبا الصفواء
هـا ولم ينس حظته إيلهاء
أي بيت المقدس
ورتم إذ رمي بها ظلمة الليل إلى الله خوفه والرجاء
هذا البيت جيد، وقد جاء بمعناء أنم في برودته الميما حيث قال: 
أن أطهكت قدماه الضر من ورم
تحت الحشارة كشحبا مترف الأدم
عن نفسه فأراه أبا شمو
إنه ضرورة لا تعتمد على العصم
لولا لم تتذوق الدنيا من العدم
من والفريجين من عرب ومن عجم
ظلمت سنة من أجله الظلم إلى
وشهد من سبب أحشائه ووطوى
ورأوته الجبال الشم من ذهبت
وأكدت زهدهما فيها ضرورته
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
حمد سيد الكونين والثقيلين.
نبينا الأمر الناهي فلا أحد أبَر في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجي شفاعةه لكل هول من الأهل مقتتحم
وأخذ بعضهم عليه قوله: "لولا لتخريج الدنيا من العدم ــ ولعلك إن تحجروا الرسو
لضلال والمسارعة إلى مخاطرة المصيبي من الخطر، وقد بين البصري حقيقة مراده
بقوله:
هو الحبيب الذي ترجي شفاعةه لكل هول من الأهل مقتتحم
في رك خروج الدنيا به من العدم وفسر بأمرين بأنه هو الحبيب، وأنه هو الذي جاء
بالدين وبالبشرى ويرجو شفاعةه المؤمنون. وقال تعالى جل بقوله:
"أومن كان منا فأحياه وجعلنا له نوراً يمشيه في الأزياء كم مثله في الظلمات ليس بخارج منها"
فالكفر وظلاله موت وعدهما كا ترى. وقال تعالى: "كيف تكفرون بالله وكتبت أمانينا"
فأحياهما فعاد موت كا ترى. وقال ابن الرعاء:
ليس مات فاستراح بموتا، إنها الميت ميت الأجحـاء
أضف إلى هذا ما ذكرناه من أن البصري عاش في زمان جهاد بين المجاهدين لا في زمان
استقرار الخلافة والملك الذي سبق حين كان أصحاب مثل ملكه القوية مقبلين على
مذبح الملك وأهل الجاهد ويتناشون على ما عندهم من حظامها ويتقاتلون ولا بأخرى من
الوقت كزماننا هذا الذي ضعف فيه أمر البيان والإيام والجهاد جميعا ننساؤل الله
المداه والرفوع والنهوض به من الخذلان وأن تزعج القلوب.
وقال في ورقة قديمي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيام الليل وقيامه منذكر في
الفقر:
"إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلاثي الليل ونصفه وثلثه ووظيفة من الذين معك"
الآية 40
وأما إن زعم بها ظلم الليـم ـ لله خوفه والرجاء
خوفه فاعل يرجى وهذا موضوع الجودة، ويذهب أن يكون خوفه مبتدأ خبره شبه الجملة قبله
وقاما رمي ضمير مستتر وال أول هو الجيد
دميت في الموتى لتكسب طيبة ما أقرت من الدم الشهادة
تكسب معدوم ثلاثين ورباعيا ومنه الحديث وتكسب المعدوم أي تكسب من لا
ما له ماله، أي الدم الذي سال منها يعطر به ما أزيك من دم الشهادة في سبيل الله
فهي قطب المحراب والحزب كم دا رت عليها في طاعة أرحاء
هذا المعنى نفس، جعل قدمه لقيامه قطبا لرحي المحراب وثم جهاد في طاعة الله، وجعله لما ذكره المؤلف حين يثير الناس قطبا لرحي الحرب، وثم جهاد في طاعة الله، كم دارت على قدمه وهي قطب للحراب والمحراب من أرحاء طاعة وعبادা وقاتلى في سبيل الله.
وأراه لما لم يسكن بها قبلا حراء هاجت بها الداماء الداماء البحر، أي لو لم يكن حراء بقدميه فسكن لزلزال الأرض زلزالها، وهوى الجبل في البحر، وكأن قد نزل رحمة الله إلى قول الشريف جبل هوّا لو خور في البحر اغتدى من وقعه متباهب الإيزاباد وفقعقة هذا البيت أهة تلفت النظر عجبنا للكفّار زادوا ضلالا بالذي للعقل فيه اهتداء منزل قد أتاهوهم وارتقاء فيه للناس رحة وشفاء أو لم يكهم من الله ذكر يشير إلى آيتى الإسراء: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحة للمؤمنين ولا يزيد الظلمين إلا خسارةً وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَانَ لَكَ بِيِنَّ إِيَّاهَا الْقَرْآنُٖ ذُكُّرِ أَن يُنْزِلُ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ الْآَمِنُٖ﴾ أي: أنهم سألوا النبي أن يرقي إلى السيا ونؤمن لرقيك حتى ننزل علينا كتابا نقوه الآنى. لكي أن يرقي إلى السيا وأن يتأتيه بكتاب فقد جاءهم الكتاب، وقد جاءهم الارتقاء. ومنزله همًا بالتنقيف لا من أجل الوزن فقط ولكنها قراءة معتمدة قرأها في مواضع غير واحد من السبعات والثامنة والعشيرة وعلى قراءة أبي عمر إلا في حرفين في الأحاديث فإن الله قادر على أن ينزل آية. في البحر ﴿وَمَا نَزَّلَ إِلَّا بِمَعْلُومٍ﴾ وهي قراءة الجمهور في هذا الموضوع وقد ذكر صاحب النشر تفصيل قراءة أبي عمر ووابن كثير ويعقوب و hüze [النشر 18/8/21] فقول البصري قرّر بالتنقيف جاء به على القرائيين المتى البصرة والله أعلم ثم أخذ البصيري في تفصيل معجزة القرآن والناس في هذا تع ل功课 بن زهير حيث قال رضي الله عنه: مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الراقية فيها مرايظ وتفصيل وقد أبدع البصيري حيث قال: أعجز الإنسان آية منه لجن فهلا تأتي بها البلغاء يشير إلى آية السقرة: ﴿وَإِن كَتَبْنِي رِبَّي مَا نَزَّلَنا عَلَى عِبَادِنَا فَأُتْوَى بِسَوْرَةٍ مِّن مِّثَلِهِ وَأَدُعُوا﴾.
شهداءكم من دون الله إن كنت صادقين» مشفوعة بأية الإسراء: «قل لن اجتمعت الإنس والجن والآية.
كل يوم تأتي الي سامعه معجزات من لفظه القرأ
يشير هنا إلى أن نظم القرآن أي صياغه ذلك معجز
تنجل به المسامع والأفواه فهو الخلا والخلواء
هو في المسامع أرقاط وفم القراء حلوى
رق لفظا وراق معي فأجات في حلاها وحليها الخنساء

أي الجميلة إذ الغزالة هي الخنساء وتشبه الحسناء بالغزالة، فكأن جادة حسناء جاءت
في زيتها وحماها. ولم يكرر لأن الخيل بضم الحاء جمع حلية المرأة بكسر أوله والحل
ففتح فسكون كما تكون بمعنى الزينة تكون بمعنى جمال الخلق وهو المراد هنا. ثم في
البيت مع هذا بديع رشيق إذ الخنساء اسم الشاعرة المشهورة ولها صحة رضي الله عنها
ولكنها تعد من شناور قبل الإسلام إذ رئاؤها لأخرها كان قبل الإسلام منها ومن
قومها، وخفاف بن ندبة صاحب رابية بن سليم يوم حين كان مع أخيها معاوية يوم
قتل وكان مقتله قبل مقتل صخر. وكانت الخنساء من جيلات النساء وإياها عنى
دربين الصمعة (وقتل يوم حين كافرا) حيث قال:

ما كان رأيته ولا سمعته بـٍّه كاليلوم طالما أينق جـب
مـبـذـلاً تبـدو معاينة بضع الهـنـاء مـواضع النقب
وكأنما رأيه تطل إلا لها جربا فخطبها ولذلك قصة والباس بن مرداس الصباحي
الشاعر ابنها، رضي الله عنها وعن خفاف وأسفا على دريد إذ لم يكتب له كما
كتب لهم من نعمة الإسلام، وكأنها أصيب بهم من إعراض الخنساء عنه وهجائها أو
تعريضها به.
وأرتنا فيـه غـواوض فضل
إذا تجلـب ليـنـوهـوـه إذا مـا
سور منه أشتهى صورا منـهــا ومثال النظـائر النظـراء

١٦٥
أي كيا صورة نا في أجسق تقاسيم فلكك الدن سورة. ثم هىنا إشاره إلى أن سورة وصورة هيا جمع متشابه فكقول سور نضم مشوع وصورة كذلك وبه فسر إذا نف حك في السور بعض أهل التفسير. والطيار يفهه الناظر ثم سور القرآن فيها الروح والروحى، كما نحن في صورنا الحياة والروح. والأقوال التي تباهى بها الناس والتي رأى أهل مكة أن يضاهاروا بها القرآن فقد كانت كالتتانى ولايرى في التتانى حياة ولا روح. وأقوايل كل من رام مضاهاها من بعد كذلك، فلا يجد عال مظهر بلاغة من بلغ.

والأقوال عندهم كالتانى بحلا لا يوحدكم الخطباء
أي لا تظهم أن كلهم روح لمجرد تفيقههم به. ثم ذكر ما فتح الله به على المسلمين من العلوم والتبحر فيها من طريق درس القرآن وجمعه والمحافظة عليه:

كم أبان آياته من علوم عن حروف أبان عنها الهجاج
فهى كلام والنوى أعجب الزر
إذ هي الأصل الذي تفرعت منه كل معارف المسلمين ومعارف من أخذوا منهم
وقدفصولهم من بعد.

في البداية تناول البصيري هذه المكانة التي ذكرها هو هنا من معجزة القرآن تناولو خلافاً.
وهو نادر ما يتفق من الإجادة لشاعر واحد في الغرض الواحد، قال رحم الله:
دعني ووصف آيات له ظهور نار القرى ليلا على علم فالد بيداد حسا وهو منتظم وليس ينقص قدراد غير منتظم

وبراعة البصيري من محاسنها أنه لا يمتلكه القصد إلى النظير السرد التعديادي كأ قد يقع للكثيرين آخرين. فهو كأ قال هنا بذكر من المعجزات ويتزكر إذ هي در بزيتها نظمها ولا يثنيها نثرها

فنا تضمن آمل الدنجة المدح إلى آيات حق من أهدى للد نثرة
قديمة صفاة الموصوف بالقدم
قوله محدث من قوله تعالى: "ما أتينهم من ذكر من رهم حدث إلا استمعوه وهم يلعبون"
[ الأنبياء] أي نهم قريب عهد بها. قوله قديمة بعد محدث بلغ، وذلك أن "محدثة" تدل

- ١٦٦ -
على جدة التذكير لهم و قد صدرت نهائية تدل على حقيقة وصفها أنها منزلة من عند الله القديم الأول فهي قديمة وهذا قوله «صفة الموصوف بالقدم». وهذه عقيدتنا قول المعتزلة بخلق القرآن من أخطائهم.
لم تقترن بـزمان وهو تخبرنا عن المعاد وعن عداد وعن إرم فالمعاد وعاد ورد إريم كل ذلك أزمة، وقوله لم تقترن زمان هو حجة أهل الدين على الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأنه لم يوجده الخالق من العدم وأنوا من جهة اعتقادهم اتصال الزمان بالخلق والخالق وقد وضح الغزالي رحم الله في تهافت الفلاسفة أن الزمان شيء نسيء له وجود بالنسبة إلينا وما تفهمه من حركة الفلك وأبعادها. وما أشك أن كلمة النسيء والنسبي خلصت إلى مفهومهما العصري من أصل يعود إلى الغزالي، وكم من أمر في العلوم الحديثة أدى اليهود السباق إليه ومن نقي عين أن بيد أهل اعتزوفهم من بحار العلوم الإسلامية والعجب لبرززاند رسـل في كتابه عن تاريخ الفلسفة حيث نتقص الغزالي من دون حق معرفة بقهره. ولم يقل ما قاله. على ما يزعمه لنفسه من التحريمن روح تعصب ديني فتأمل.
دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جذبوا ولم تندم وقد حصر قوم إعجاز القرآن في نظمه، والقرآن كله معجز وبهره لأعهور له. وفيه من قيم العدل والصور المبين ماليس في شيء غيره. أعدى الأعاد إلاها مليقي السلم ما حلقتين قط إلا عداد من حرب رد الغيور يجد الجاني عن الخزام أى بقوة وبلا تفتت ردا رادعا على الفور.
فوق جوهره في الحسن والقيم لقد ظفرت بفعل الله فاعتصموا أطفاوات حشر لظى من وردها النعم.

١٦٧
أي من مائتها ذي البرد المطلي للحر، ومن شرابها السافر العذب السمين إذ الماء البارد
على العطش وحرو من التعيم.

كأنها الحوض تبض الوجهه من العصاة وقد جاءوها كالحمم
أي حين تسود وجوههم من الذنوب ويتزودون في النار من عبر السرايا ثم تدركهم رحة
المول فيخرجون من النار وينغمسون في الحوض فalerts القرآن في هذه الدنيا حوض غاسل
لسواد الكروه من المعاصي والذنوب وكآبات العمر.

وكالصراف، كالزيان معدلة فالقسم من غيرها في الناس لم يقم
قال تعالى: "إن هذا القرآن يهدى لمن هم على وصية وبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجرا كبيرا".

لا تعجب نفس راح بنكها تجاهلا وهو عن الحاذق الفهم

يذكر على ذلك حروف الأوروبين آيام نضجتهم على ترجمة علوم القرآن وقد سبق التنبيه
على أن وليم بدوبل من مستشرق الاتنجليز في أوائل القرن السابع عشر قد نقل معاي
القرآن لقومه. (1)

قد تنكر العين ضوء الشمس من رعد وينكس الطمطم الماء من سقم
وهذا من أبيات الحكمة وقد ورد من كلام أبي الطيب - قال:

وإذا خفيت على الغبي فعذرت
وإن رأيتي مقلة عميا
قال: ومن يكذب فتمن مريض
ومن يخذى ب伙ى ماء الزلايا
كيا تضر رياح الورد بالجعل
والذي الغباوة من إنشادها ضرر
وتعود بعد إلى أبيات الهمزية...

بعد أن فعل ما فصله عن معجزة القرآن خلص إلى أمر أهل الكتاب. قوله

(1) راجع ترجمته في الأعلام المركزي.
وإذا البيانات لم تغن شيئاً
مهد لذكورهم لأعدم بغضهم ما كتبهم البيانات، ورد ذكر ذلك في القرآن في غير موضوع - مثلاً في سورة بني إسرائيل: "ولقد برأوا بنى إسرائيل مبهاً صدق ورظفناهم من الطيييات فافتقروا حتى جاءهم العلم... الآية" وفي سورة الجاثية: "واتيناه بنيتم من الأمم فافتقروا إلا من بعد ماجاءهم العلم فبغي بينهم... الآية".
ومهم لذلك بذكر عاد عاد مشرقي قريش ومن إليهم - قال:
فهي كالملا والمنى أعجب الزلزال فقلوا السحور وقلوا افتراء فعلى الحد يبنى عندهم وإذا تقوله السحارة وإذا ضمت العقول على علهم
فسر قوله تعالى: "غير الغضرب عليهم ولا الضالين" بأن الغضرب عليهم اليهود، وأن الضالين النصارى، وقد بدأ بين الإمام البصيري هنأ:
قوم عيسى عاملهم قوم موسى بالذي عاملكم الحنفاء
ومن هنأ هي البصيري بحیاسة روح الجهاد.
صدقوا كتبكم وكذبتكم كتب
وتحددنا جمودكم لمشرونا
معلكم إخوة الكتاب أنتما
ثابت الأدوار الأول الآخر وممادزا
وأيضاً من أبيات الحكمة، عمق الدلالة.
ثم فرع من هذه الحكمة نظرة ضمنها إشارات علمية وكان رحمه الله غزير العلم حاضر المذكرة له. وهو في إشاراته من حيث المذهب الذي أشبه بأبي تمام منه بأبي الطيب، لأن الغالب على طريقة أبي الطيب آلا يشتر أو يكون خفي الإبراء جداً فكانه
لا إباء فيه مثل قوله:

إلا على شجب والخلف في الشجب
وقيل شترك جسم المره في العطاب
فهذا والإلهام إذا في المهدي
وحنو: فإن يكن المهدي من بان هدية
وقلما تكون إشارته بارزة نحو قوله:

وشفـا رـب فـارس من إـبـاد
سمته حتى زقـوا في البـلال
وقع الخلف في رؤوس الصعـداد
وجده كـجـد فـزـدق بنوار
كعب زـمان بكى أبا المغـوار

وانتبه أبو العلاء وأكثر من ذلك، وأجده ما في سقط الزند نحو:

وانتي تيمنت العراق لغير ما
تيمه غيلان عند بلال

ولم يكن غيلان من مشاهير المذاحين وإنما كان مفتننا في تصوير الجمال في
أساليب الاستعارة والتشبه وقد مر بعض الحديث عن ذلك وإنما أخذ أبو العلاء من
قول حبيب:

ما ربع مي ممورا يطيف به
غيلان أبى ربا من ربعها الحرب
وكان لحبيب بغيلان ولع وله منه في مذهبه أخذ كثير.
أشار البوصيري أول شيء إلا أمر بهتي آدم عليه السلام ثم إلى أبناء يعقوب عليه

السلام:
قد علمتم بظلم قابيل هابيي، 
ل ومظالم الأخوة الأثنياء.

بنقل كسرة الهمزة إلى لام الأخوة وتشير إلى آية المائدة (إنها يقبل الله من المنقيين).

وسعتم بكيد أبناء يعقوب، وأخاهوك، وكلهم صلاحاء.

إذ ركزوا ما ركزوا من الظلم، وهم أحداث، وقد هممو بقتل أخوهم فنهاهم كبرهم.

فما رواه في تفسير "قال قائل منهم، (والآية)، وعند ذكر ذلك من روبيل.

وقد، اعترفوا بالخطأ، واستغفر لهم يوسف، واستغفر لهم أبوهم عليهم السلام.

وأشار بقوله: "وسمعت بكيد الإله، إلى الآية: (ومنا كنت لهم إذ أجعلوا أمرهم، وهم يمكرون)"

(سورة يوسف).

حين ألقوه في غيابة جبل، وروموه بالإفك، وهو براء.

ولو قلت في "غيابات" جبل لأستقام الوزن وجاء بها البرعي في قوله:

فإن أست غيابات الفوزان بهم، فهم أحباب قلبي يا غيابات.

وغيابات قراءة نافع في السورة، وقال رموم يعني امرأة العزيز، وقومها معها قال:

تعالى: "ثم بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات، ليستجنهم حتى حين.

ويجوز أن يكون نسب الرمي إلى إخطره لأنهم تسبوا فيه بنفuliaهم إذ ألقوه في غيابة الجبل أو الإفك، أنهم: "قالوا: إن سرق فقد سرق أخ له من قبل" (بعون يوسف) "فأصابها يوسف في نفسه ولم يدعاهم.

فلتأسوا بمن مضى، إذ ظلمتم فالتآمر للنفس فيه عزاء، أتراكوا في وهم حين خانتموا أم تراكوا أصحتم إذ أساءوا.

أي اعتبروا بآيا أذن أوقوا الكتب، بما تكون من مواضعه، هل تفعلون كفعل قابيل، وقد تعلمون أن قد ظلمتم، أم تفعلون كفعل إخوة يوسف، وقد تعلمون أنهم قد أساءوا قبل أن يستغفرهم، فهل ترون أنك أومي، وأنك لم تتكبسو؟

بل تمادت على التجاهل أنت، تفقفت أثرارهما الأدناء.
أي آباءهم الذين لم يؤمنوا حين دعاهم داعي الهدى لإيابهم.

بيتهم وتراثهم والأنباج - هم في جحودهم شركاء

أي اليهود والنصارى يجدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينه التوراة والأنباج وما جاء البوصيري بالجمع خطا أو ودعا، فهو يعلم أن خبر عيسى عليه السلام وما وصى به بني إسرائيل مما أوعى الله إليه تعددت روایته، وقد اعتمد النصارى الملكانيون ومن حولهم أربعة أنباج هي من ورقنا ويرجنا ويرجنا ويرجنا، وإن كانوا أنباج يناباً فيه أن المسيح لم يصب وفد أنكرت اليهود الأنباج كلها وهم كتاب عن المسيح الذي ينتظرونه ينكره النصارى بناء.

إن تقولوا ما بينه فاذا خذل بها عيبهم فذألوا

أي هذه الإنكارية منهم لا تزول بها الغشوة التي على أبصارهم

أو تقولوا قد بينه فاذا لله ما أذن لها تقول عليه صيا

هذا يقال له في الم/buttons قياس الإحرام، إذ لم يكون أحد اليهود. وهم يقولون إن ثم بيان نبي منقرد من عند الله يأتى، قال ذلك أنباء بني إسرائيل وعيسى عليه السلام، فإن قاله موسى عليه السلام، ومهما قاله إبراهيم عليه السلام من قبل تأولوه عيسى وإن كان لا يطبق عليه، وما قاله عيسى لم تأولوه عيسى، ولكن التمسوا له وجه لا يخرجه عن عورة عيسى، وإن رأيهم الأحراو إلا أن تطمغ غاشية صدته فتعمى لها القلوب. وصل الله على أبنائه الأبرز في البشارة التي بشروا بها عن نبيا

صلى الله عليه وسلم باطل.

كتمته الشهادة الشهادة وظلوا أرور الإله تطفئه الأفق أو لا ينكرون من طهتهم برحاباه عن أمر الهيجاء وكساههم شرب الصفار وقد طلأ أما طحن الهيجاء لهم فكان من هلاك يهود وإجلائهم وما كان من هزيمة الروم وجلائهم وأما الصغار فلا كتب الله عليهم من الجزية. قال تعالى: "قاتلوا الذين لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرون ما حرر الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

كيف يهدى الإله منهم قلوبنا حشواً من حبيبه البغضاء وصدق رحمه الله. ثم أخذ في محاجة أهلك الكتاب، وسبق أن استشهدنا بعض ما بلي من قبل.

خبرنا أهل الكتابين من أين أتاكنا تلبينكم والبَدَاءُ وذلك أن اليهود تزعم أن الله بدأ له في كذا وندم على كذا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً.

ما أتي بالعقائدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء هذا أصل، وهو أن العقائد عن وحي فإنها قيل واعتقاد ولم يكن ورد به نص من وحي أو كتاب منزل فهو دعوى باطل.

بينات أبناؤه أدعية والدعائى ما لم تقيموا عليها ليت شعري ذكر الثلاثة و البالاً

أي أنقص أم نهاء، حذف الحمزة لظهور المعنى وعليه قول ابن أبي ربيعة:

ثم قلوا: تهجها عودة النجم والحصى والتراب

وزعم بعضهم أن عدد النجم ليس بكثير إنها هو بضعة آلاف. ولعمري لو قد قال ألفا مكان بضعة لكان عدداً كثيراً.

كيف وحدقو إله نفى التوحيد عنه الآباء والأبناء والحججة قائمة بالرغم من قولهم ثلاثة في واحد. وزعم ابن عربى في بعض ما زعم أن أول العدد الثلاثة أورشك رحمه الله أن يزل. أي من المقدمة الخامسة في كتاب
الشهرستاني وقد أحجم الناس عن شرحها، والذي فيها خلاصته أن الأعداد أجناس وتبويب الأمور لا حقيق في ذواتها ويؤيد ما ذهب إليه أشياء من معادلات الرياضيات لا يمكن تأويلها إلا على هذا الوجه. وفي كتاب الشهرستاني في المقدمة المذكورة وفي ترجمة إبراهيم النظام أشياء من باب الرياضيات وعلوم الآلاليات مذهلة وتفاصيل شرحها واجب وعسي أن تكون فيه غير ما ذكرنا مواضع يوقف عنها عدد.

أَلِإِه مُرَكَّب مَمْسَعُنا بإِلَه لَذَاتِه أَجْزاء
الأب والابن والروح القدس وأضيف إلى هؤلاء بآخيرة الأم العذراء، وفي الطبعة الأولى للقاموس المنجد في شرح العذراء أنها أم الإله المتجسد فأتمَّ.

أَلِكُم مِن هم نصيِّبُ مِن الملائِمَة
فهَلَا تَمْيَّز الأنصاباء
أَتْرَاهُم لِحاجَة واضطِرَار
خلطوها وَمَا بَيْنَ الخَلْطاء

في هذين البينين مع الإشارة القرآنية - إذ يشير إلى قوله تعالى: "إن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين عانو وعملوا الصلاوات وقيل ما هم" - مع ذلك أنفسهم من بيئة حياة الريف المصري فإن الطين بورث ويتخصم عليه وفيه قضايا الإفرزات التي بغيرها يطول اشتهاء الأمور وتضيع الحقوق للغالب من بغي الخلطاء بعضهم على بعض.

أَهَوِ السُرَابُ الخُضْر فِي عَجُرٍ
لِى إِلَه بِمَسْهَه الإِعْيَاء

إِذْ لَوْ صِحَّ أنَّهُ إِلَه لِبَلْث أن يمسه تعب وأن يحتاج إلى ركوب الخفار، ولا يمكن أن يعتذر لذلك أو يفسر بأنه على وجه الهدائية، إذ لما أراد الله أن يبتغى بألوهيته للبشر نزل بينهم في صورة شسر، إذ هو قادر سبحانه على أن يرسل إليهم شرا رسولاً، ثم أن يحمل الخفار إله مشكل، إلا أن نزعهم حلول الإله في الخفار تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبهذا حجة البصيري:

أَمْ جَعَل عَلَى الخَافِر لَقَد جَلَّ جَمَار بِجَمِيعِهِم مَشَاءٍ
أي الثلاثة
أم سواهم هو الإله فما نسبة عيسى إليه والانتفاء

أي أنه لا بد من تقدير إله مديب غير عيسى والثالوث الذي معه، إذ من كان إله الكون ومديب في اللحظة التي مات فيها يسوغ وهذا اسم عيسى عندهم؟ إذن لا بد أنه للكتون إله دبر في تلك اللحظة. وإذا هو غير يسوغ، فإن نسبة يسوغ وما انتفاؤه إليه؟ إبارة للسيدنا عيسى عليه السلام ما يصفونه به، قال تعالى: «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم، أنت قلت للناس الإذنوني وأمي إله من دون الله قال سبحان ما يكون لي أن أقول ما ليس في بحق».

وقد جاء البصري بحلجة التي أدرى بها هنأ بتفصيل وتوضيح أكثر في لاميته:

المنصوبة من الكامل التي أولاها:

جاء السليم من الإله رسولًا فأبى أهل العائلة عقولاً وساذر منها بعد يسير إن شاء الله؛ ثم يقول البصري رحمه الله:

أم أردتم بها الصفات فلم تخضص ثلاث بوصفه وثناء أم هو ابن الله ما شاركته في معاني البنوة الأنبياء.

أي هذا التثليث لا يمكن التعبير عنه بأنه صفات إذ صفات الله عز وجل أكثر من ذلك وليست هي بذات فضاف إليها ما أضاف من معاني التركيب والحلول. ومن حمل البنوة على معنى المجاز لضمه أن يعمم فيجعل كل الناس بينه لله سبحة وتعالى، فاللزم بمجازية متفردة مخصصة به وحده باطل.

قلت له الله يهادود من زعمتم ولأسوكم بيه إحياء

هذا ما وضحه أبو الطيب حيث قال:

ويستنصران الذئب يعبدان
وعنهما أنه قد صلب
لقد فاع ماننابه عنها
في للرجال هذا العجب

١٧٥
وأخذه المعري فقال:

وقد زعم النصارى أن عيسى
لكي لا ينقصوا ويجددهم
أي وما فطني ليتجنيبا نسيبه إلى ما يعبه وينقص من قدره بهذا الذي زعموه من قتله وصلبه. وفي الطبعة المصورة حديثا من اللزميات:

وقد أبوا وقد جعلوه ربا
لكي لا ينقصوا ويجددهم

ووهذا تعريف كأن الذي دس أراد أن يبرر به عقيدة النصارى، وليس هذا التغيير بمغير في المعنى من شيء إذ يصير المعنى عليه وقد فطني ليتجنيبا العيب والنقص بالذي نسبوه إليه من القتل والصلب فجعلوه ربا، كأن دعوى الروبية تسر هذا العيب

وليس بسترته. فتأمل.

قيلت له الهيود في زعمته
ولم أعوانكم به إحياء
إن قولا أطلقتهمو على الله
ستعال ذكرا لقول هراء

وهو هذا فصل ختم به الهجوم على النصارى ثم أخذ في مناقشة اليهود

مثل ما نقلت اليهود وكل
إذ هم استقرعوا البnda وكم سا،
وأراهم لم يجعلوا الواحد القه
نهار في الخلق فاعلا مأله.

مثلًا في الأصحاب السادس من سفر التكوين من عنده أوله كآ في الترجمة التي أصدرتها

دار الكتاب المقدس طبعة كوريا سنة 1976 ص 10 - 11: وحدث لما بدأ الناس

يظلون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء اللهو أرئ بنات الناس أثر حسنات.

فأخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب لا يذين روحي في الإنسان إلى

الإله لزيغاته هو بشر وتكون أيها منه وعشرين سنة. كان في الأرض طغاة في تلك

الأمام و بعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس ووبدن لهم أولادها. هؤلاء هم

الجبابة الذين منذ الدهر ذو اسم.

ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكاك قلبه إنها هو شير

كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وأسف في قلبه. فقال الرب أخبر عن
وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطير السماء، لأن
حزن أني عملهم. وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب. 4
والشاهد أن لله بني كمثل الينان الحثي. وأنه كان في الأرض طاغة كأنا يبدو ليسوا في
طاعة الله ولعلهم بل هو الظاهر أنهم ليسوا من خلقه. ثم حزن الله وندهمه لأنه عمل
الإنسان... فهذا أمر بداء وثنى كنا ترى.

جَرْوَزُوا التِّنْسِخ مِّثلًا جَرْوَزُوا
١٣٣٣ مِّثِلًا وَخَلَقَ فَيْهَا وَأَمَّرَ سَوَاءٍ
وتَحْكِيمٌ مِّن الْقُرْآنِ الْمَبْتَدِئَاءٍ
فَسَلَوْهُم أَكَانُوا مِّن مَّسْخِهِمْ نَـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔـٔ~
أي إذ روا جواز النسخ كمسخ الحية فمشت على بطنه بعد أن كنا أجمل حيوانات
الرية التي عملها الرب، [الأصحاح 2] فإن النسخ جائز وهم
يتكونون علينا النسخ وما النسخ إلا رفع حكم بحكم آخر. فهو أمر بأمر آخر من
تصريف الله. كنا أن النسخ رفع هيئة وخلق بخلق آخر. سلوهو هن المسخ الذي
أوقعه الله تعالى أهدى نسخ آيات الله التي سبقت بصنع ما صنع أم إنشاء جديد
نشاء؟ أيما القولين قالوا أرغموا به قبول النسخ. قوله في إلخ. كلما مر
التخصص.

أو ما حصر الإله نكاح الحاء، أخت بعد التحويل فهم الحزراء

أي إن كان الذي سبق من نكاح الأخوات على عهد آدم ومن بعد قليل التحريم حالا
لأن التحريم نسخ وان لم يكن حالا فقد كان بناء وهذا الحال إلا أن يقوله زندق،
وينسب إلى المعرفة، وما أشبه أن يكون افتراة عليه، أنه قال فيها قاله من شعر دوان
جَيْبِ النَّاس مِّن طَيْبِة النَّزَاه
لا تكُنذب إن اليهود وقَدْ زَا غَيْوًا عن الحق معشر لمؤمناء

قوله: وقد زاغوا عن الحق يعني نقضهم ميثاقهم، وجهلاء اليهود يحسبون أن الأمر
عنصرية أو قبلي وأن الله كأنه رأس قبيلتهم، وكلام أنبيائهم يدل على خلاف هذا،
لأن الله معهم ما داموا على المثاقلة. قال تعالى: في نقضهم ميثاقهم عنهم، وقال
تعالى: قَلْتِمَا زَاغَ وَأَزَاعَ اللَّهُ قَلُوهُمْ
جحّدوا المصطفى وأمن بالطّاقة جهونهم عندهم ورفقاء وذلك أن حيّن أن أخطب وصحبه فضلًا فإنهم شركهم على الإسلام والتوحيد، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأيمن سبيل، قال تعالى: «لم تر إلى الذين أوراهم نصيحة من الكتاب يؤمنون بالجحّة والطاغوت ويقولون للذين كفرنا هؤلاء أهدهم من الذين أمتنا سبيلاً».

قلتوا الأنيبياء وانحدوا العجم، ألا إنهم هم السفهاء

اظر إلى الاقتباس القرآني ويره وسّفهم من ساءه من وسلالة ووى وأرضاء الفنوم والقشّاء

نهج البصريي نهج الحاّرث في الخصومة وإحكام الجند، إلا أنه لم يجعله كسلم يصعد على درجه إلى ما يقول، أو مغفرة يأخذ منه باحتيال وتوليد. بل على عقدته أن نهج الحاّرث الجند خالقه في أمر هام، وهو أن أثر الهجوم على الدفاع. وقد أخذ الجاحظ على الحاّرث فرت دفاعه حتى كان قومه لا ينتصرون من تغلب. وما أرى إلا أن الحاّرث تعمد هذا ليكون الملك إلى جانب قومه، وهذا أدخل في باب الدخاء، ولئن صبح خبر قتل عمرو بن كشوم عمر بن هند، فإن الحاّرث يكون قد انتصف لقومه في مجال السياسة والكيد بالذي قاله. وقد كانت بكر هي التي أجرت آل ملك الحيرة وانتصفت من فارس في يوم ذي قار وإنها آخر البصريي نهج الهجوم نفسه لأن ذلك كان أشبه بموقف فروضيه البيان المجاهدة.

في البردة سلكُ نهجاً غنانياً في نقد النصارى وتفضيل الإسلام والتنويه بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنهج الذي في المهمة خطابه محتمم. والغناه بعد لا يتعسد عن الشعر بما فيه من الإيقاع وهذا أمر قد قدمنا ذكره، كا قد سبق الاستشهاد بجانب من أنياب البردة المشوار إليها هنا وهي قوله رحمه الله:

محمد سيد الكほうين والثليجين

أبض في قول لا مني ولا نعم

لكل همل من الأهلات مقحم

مستمسكين بحب غير منفصل

كان أهل الاعتقاد في بركة البردة المباركة لا يشكون أنك إذا أنشدتها البيت ثلاثًا

وانت تزيد عبر النيل، لم يفتك المركب ولو في أيام الفيضان.
فَقَرَالنبيين في خلق وفي خلق ولم يـدانـوا في علم وفي كـمـ غرفا من البحر أو رشفا من الدمـ.
وكلهم من رسول الله ﷺ ملتسم اللـه
اللفظ هنا رشـيـق مزاوـجته قـوله «غرفا من البحر» بـقوله «رشفا من الدم»، والغرف
يناسب البحر وأهل النيل يعرفون ذلك والرشف يناسب الدم عقول ولكن قـل من
يعترض المزن يرشف من قطراته على أن المعنى الذي رامه الشاعر من المناسبة والعـموم.
حسن، وليس الرشف من الدم بأبعد من قول ذي الرمة:
فـيـها الاضداد والحيتان تصطخب
ومن قول زهير:
على الجذوع يخفن الغم والغرفا
عـند من أخذ عليها ذلك ولا تقول به.
ووافقـن لـدـيـه عند حـدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
لا يخفى حسن الاستخدام في النقطة والشكلة
فهو الذي تم معـنـاه وصـورته
ثم اصطـفاء حبيـابارى النسم
بني البوصرى هذا التفضيل عـلي ما تقدم ذكره من قـبل من حديث الشفاعة يوم تأتي
كل نفس تجادل عن نفسها وعلى ما وعدـه الله عز وجـلّ مقامـا حيـاماً، وعلى حديث
ابن حنبل رضي الله عنه المروي بسندئ إلى عربى رضى الله عنه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم.
مـتـى زـعـن شـريك في محاـسـنة
إذ هو حسن خلق وحقل
دـع ما أـدعته النصارى في نبيهم
واحكم مـشا فـي واحـكم
لما قال منهو عن شريك خشي أن يظن به الغلمو غير الحق وإنها عن شركة الأشبعاء
والنظام من البشر مثله، فدفع كل شهبة بـقوله دع ما أداـته النصارى، ومع أن هـتا
خفى جدل وخلاصه لذهب النصارى بـقوله دع إلـج، فـهـب مع ذلك اتـصاف إلى التغنى
الإعـراض عن قـصـ الماجدة، أيضا ذلك يستفاد منه: دع إلـج كـا يـسـتفاد منه
نفـي كل شهـبة أو إشعار بتالي وقدسية فوق ما ينبغي أن يكون للبشر.
وانتسب إلى قدره ما شئت من ظـمـه
فإن فضل رسول الله ﷺ ليس له
 przedstawionego dokumentu jako naturalnego czytelnika. Nie generowano nowej informacji.
لمثابرة قدء آياته عظيماً: أحياناً اسمه حين يدعى دارس الرمم
لا ريب أن آياته ناسبة قدء، وحسبا معجزة القرآن إلا أن المعنى الذي قصد إليه
حسن، إذ يلمع فيه معنى أنه لا ينبغي أن يعد إحياء الموتى درجة ميز بها غيره عليه
صل الله عليه وسلم. أما زعمت المستثناء فإن معجزة كل نبي، والله أعلم حيث يجعل
رسالاته، تشببه ما برز فيه أهل زمانه، فموسى عليه السلام قهر أهل السحر وعيسى
عليه السلام أعجز الأطباء وكان أهل زمانه برعوا في الطب ومحمد صلى الله عليه وسلم
أرسل إلى البلغاء اللد فهؤهم وقهرهم. على أن مراد البصيري أن مناسبة معجزاته
كانت على أقدار من أرسل إليهم وقهره صلي الله عليه وسلم فوق كل مقدار، والله
 تعالى أعلم.
أيها الوزير فهم معاناه فليس يرى
كالشمس تظهر للعينين من بعد
أي من قرب
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قوم ينام تسلاوا عنه بالحلم
هل أراد رحمه الله بهذا قول من كانوا يذكرون رؤيته صلي الله عليه وسلم ويباحون بها
على طريق التصفوف؟
المعنى أن حقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم في خلقه العظيم ومقامه الجسيم وما
خبأ الله له في الشفاعة وما أعطاه في أم الكتاب من المجد وما أشرب القلوب من حبه
وأنزلم أهل اليقين من التزام شرعه وصدق الإبراهيم بأنزل إليه - فهذا لا بد منه من
التفويث والعمل الذي يعلم الله بها من تقيه، وذلك لا يدرك في مانع ولا بأحلام - على
أن الرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً من النبوة، وليست الرؤيا الصادقة من باب
مختلف أحلام النوم، فأحسب أن هذا قد يدخل في مراء رحمه الله، والله أعلم.
فميبلغ العلم فىـه أثبتـه بشـهوله خير خلق اللـه كلهم
هذا بيت القصيد، وتحو على حجة على القائلين بالهوية عيسى عليه السلام ويں
عبرية ابن الله تعالى الله عن ذلك. ثم أخذ رحمه الله من بعد في رجعة إلى معنى
الشفاعة والمقام المحمود ثم إلى تغنى خالص محض عذب.
وكل آي أو السـرسـل الكـرارـم بـهـا فـإنـا آتـصـلت من نـصـوره بـهـم
هذا في معنى البشارة وبلاغه معنى عالم الذر وما سطر في أم الكتاب
فإنـه شمس فضل هـم كـواكـهـا
يظهـرون أنوارها للناس في الظلم

- ١٨٠ -
هل أراد الله بهذا قول من كانوا يذكرون رؤيته صلى الله عليه وسلم ويياهون بها على طريق التصوف؟

معنى أن حقائق الرسول صلى الله عليه وسلم في خلقه العظيم ومقامه الجسدي وما خصا الله له من الشفاعة وما أعطاه في أم الكتاب من المجدد وما أشرب القلوب من حبه وألزم أهل اليقين من الزيام شرعه وصدق الإيمان بما أنزل إليه - فهذا لا بد معه من التقوى والعلم الذي يعلمه الله به من نقيبه، وذلك لا يدرك في منام ولا بحالم - على أن الروم الصادقة جزء من أربعين جزءًا من النبوة، ليسوا الروم الصادقة من باب معض أحلام المنام، فأحسب أن هذا قد يدخل في مراة رحم الله، والله أعلم.

فلم يبلغ العلم فيه أنه بشائر وانشئ خلق اللهم كلهم هذا بيت القصيد، وعفو على حجة على القائلين بألوهة عيسى عليه السلام وإن عزيرا ابن الله تعالى الله عن ذلك. ثم أخذ رحم الله من بعد في رجعة إلى معنى الشفاعة والمقام المحمود ثم إلى تفن خالص بعض عذاب.

وكل أي أبي السرائل الكرام بها فإنها اتصلت من يموم وهي هذا في معنى البشارة وبلاعبة معنى عالم الذر وما سطر في أم الكتاب فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهر أن أنوارها للناس في ظلهم كان المسلمون يعلمون من أمر الهيئة كثيرا وعنه أخذ الآخرذون عن يدعي لهم السبق في هذا المجال مثل كوبير نكس البولندي.

أكزم بخلوق نبي زاته خلق كالزهر في نرف وال vard في شرف وهذا التقسيم جيد، إلا أن قوله والدهر في همم دون الأقسام الثلاثة التي قبله وأي فيه والله أعلم من جهة النظر إلى أبي الطبب في نحو قوله.

تجمعت في ئاءود لزمان إحدىها فعل هذا المعنى يمكن توجيه قوله. والزهور المرف والبدر ذو الشرف والبحر الغديق كل أولئك من طبيعة النيل، ولك أن تقول فاندلع اختلاف الفتيان (أي الرى و الهواء) وذلك أيضا من طبيعة النيل لعل الذي جاء به هو الوجه الجيد، ووجه قول أحيانا بما تشبه وتلبس وهمه يك وأن هذا التقسيم الملح خاصه حسنة هذا الفصل من
قوله فانتقل منه إلى وصف مجلسه عليه الصلاة والسلام ثم حديثه ثم ذكر قبره الشريف
فجعل وقائعه صلى الله عليه وسلم مدخلا لذكر مولدته وما كان معه من معجزات
وإراهات
كأنه وهما فرد في جلالته من معتدني منطق منه وبجسم مثابي لتشقت مننه وملته
وإننا أوردا نبات البداية هذة بمعرض الحديث عن أسلوبه في الجدل، ولننتم لنا صورة
واضحة عن مقدارة البوصيري في هذا الباب إن لم نشر ولو قليلًا إلى لامته.
جاء المسيح من الإله رسولًا فأبقى أهل العالمين عقابًا
وهي من روائع هذا الحرف، ينبغي أن يجعل لها مكان مع:
ما بال دفلك بالفِرَاش مذيلًا
مع:
ففي الخد أن عزم الخليل رحمًا
وفيها مع الرصانة التي وهبها الله البوصيري رحمه الله نفسه الطويل من غير ضعف أو
إسفاف، وذلك أمر قصر عنه مقدرة على بن العباس على رسول قدمه في البلاغة ولم
ينتهي إلا قليلا لأبن دراج وبعض فحول أندلس، وأيابها نيف وتسعون ومانتان، ولنا
إلى أمر هذا الطول عودة إن شاء الله. وإذ نحن بصدد الحديث عن البوصيري ومكانه
بين مداخل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يتبين مكان هذا الفصل من هذا الكتاب
لإيئي الحديث عنه، فسوى أن يحسن ذكر شيء منها، هو من باب ما تقدم من أمر
ايتحابة للإسلام ودفعه دعاوي أهل الكتاب خاصة وأهل الكفر عامة.
وقد ألف بعض فضلاء العصر من مسلمي الهند وباكستان وغيرهما ومن مسلمي
العرب فصولا حسنة في هذا المنعى. ولعله لو إتباه منهم متبه إلى هذه الفصيدة أن يجد
فيها كنوزًا وروائع. ولا بد لإنصافها من إيرادها كلها مع الإشارات والشرح الوافية
وذلك ما لا تستطيعه في هذا الموضوع. ولم تتشتت هذه الفصيدة أشعار البداة والمزمور
لما تضمت من علمهم أهل الكتاب، فكان بعض العلماء ربا نفروا من ذلك لما عنهم
من أن كتب أهل الكتاب شاملًا التحريف وأن ينقض عنها المسلم أفضل. والذي
 مضى عليه الإمام شرف الدين أدخل في باب البحث والتحقيق، وما أشك أن من
تناولوا الموضوعات التي طرقتها من مستشرقين أهل الكتاب ومن إلينهم لم يجعلوا من قصد
الرد عليهم ومن حق الاتفاق بها أوردته. وفضلاء المسلمين وعلّماؤهم أولى بأن يغترووا من
هذا البحر الخضم العجاج. ونكتفي في هذا الموضوع بإيراد أمثلة من منهج هذه القصيدة ومحاسن أدائها ومعارفها ثم نعود بعد إلى ما كنا فيه في آيات المهمة إن شاء الله تعالى.

بدأها بمجاهرة النصارى بالخصوصة، وقد سبق التنبيه على أن ذلك كان زمن حروب الصليب فما نختره ما قال في ذلك من عند أولها:

جاء المسيح من الإله رسولًا
وقوم رأوا بشراً كديماً فادعوا
أمسعم أن الإله حاجسة
ويمسسه الام السد في يستفع

يا ليت شعري حين مات بِجمَعهم
إن قالوا دبر أبوه فقد جزئوا الإله وقالوا بألوهيته غيرة

هل كان هذا الكون دبر نفسه
من بعده أم آثر التعطيلًا
tell the tale]

التعطيل هو عدم الإله وهو مذهب الملائمة

شهد الزبور بحفظه ونجاته أبكيون من حفظ الإله مضيعًا
أبوهون دليله معدخولا
أنتجعلون دليله معدخلا
أو من أشياء بنصره غذولا
لل.Values مكتوف اليهود ذيللا

يشير بقوله "أبكيون من حفظ الإله مضيعًا" إلى مرزام دار فمتها (18) رقم 50

الصنائع رحمة لسنجحه لداود ونسله إلى الأبد في النص الإنجليزي نص نسخة الملك
فسروا المسيح من مسح الملك

جميز ...

NOW know that the Lord anointed; he will hear him from his holy heaven with the saving strength of his right hand. Some trust in
chariots, and some in horses: but remember the name of the Lord our God.

ضر النصارى في المسيح واقسموا لا يهودون إلى الرشاد سبيلا

ثم اليهود يقول فيهم:

والصابون العجل قد فتحوا به وأخذ المسلمين عقداً فعلى النفوذ وقتلوا قتيله.

أبننا حييات أمت رتمرأ أهيم وربنا سمع الكفر هو الإسلام وهو القرآن وقد أره إياه. وقوله أبناء حييات من كلات

سيدنا يحيى عليه السلام. والنص الذي أطلع عليه البصيري من الإنجيل أجود عربية من النص العصري وفي هذا في إنجيل متى 37 والقصة عن بحثا الممدهود وهو

سيدنا يحيى صلوات الله عليه قلنا لأي كثرين من الفرنسين والصصودقين يأتون إلى

معموديتها قال لهم يا أولاد الأناض ينوروا أن حبرى من الغضب الآتي. وفي نص

But when he saw many of the Pharisees and Saducees come to

his baptism, he said unto them, O generation of vipers, who hath warned you to flee

from the wrath to come?

وقله أبناء حييات سبهم لام سب عن فساد الحية ولا تلد الحية إلا حية في معنى الشر والسموم. ورهط الفرنسين والصدودقين من متضحلي يهد بمظهر العبادة وقد شحنوا

نفاها

وكناهو أن مثلها معبودهم سبحانه بعبادة ثنيلا

ثم أخذ يضرب الأمثلة لذلك كما ضرب الأمثلة من قبل في أمر النصارى، وقد أوردنا

نهاج من قوله وهو أكثر تفصيلاً وأشمل وأدل على نبيء وعظيم اطلاع:

وأ让您م دخلوا له في قبة إذا أمعموا نحو الشام رحيلا

يشير إلى سفر الخروج 32 رقم 7 واخذ موسى خيمة ونصبها لخارج المحلة ودعاه

خيمة الإنتاج- القسم لهم يعود على الخالق سبحانه وتعالى لابن ذلك علوا كبيرا

والعرب تسمى الخيمة قبة- قال التابعة:

أصم أسم يسمع ربي القبـة

بما أحب الناس لعنص صبية

ضرابا باـشـفــة الأذبة

- 184 -
يُشير هذا إلى اسمه إسرائيل أنه من صراعه إيل وهذا الذي صنع في المثال أبستين مثاله ويُلقي بعقوب الملائكة في التكوين 32 رقم 4 إلى 9: 
فَبُقِّى بعقوب وحده وصار عنه الإنسان حتى طلع الفجر وما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فحذته فانخلع حتى فحذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقلك إن لم تباركني فقال له ما اسمك فقال يعقوب، فقال لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهمت مع الله وقررت. وقال يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لما تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فتليل قائلًا لأي نظرت الله وجهها ونيبت نفسها. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنور وهم يبكون على فحذته إله، والشاهد قول الخبر: "لأنك جاهمت مع الله وقدرت". وهذا في الترجمة أغمض وما ذكر البصيري أنه صارع ربه ورمى به، والذي جاء به البصيري هو عينه الذي في النص الإنجليزي - رقم 28.

And he said, Thy name shall be called no more Jacob, but Israel: for as a prince hast thou power with God and with men, and hast prevailed -

أي من حيث كونك أميرا لك قوة مع الله ومع الناس - أي تقوى على الناس وكذلك hast pre- vailed أي تغلبت وهذا هو المعنى الذي جاء به البصيري والذي يدل على أن الذي صارعه هو ربه قوله فدعا يعقوب المكان فتليل - أي وجه الله وبأينه من أجل آدم وإبنه ضرب اليدين ندمانة وذهولا وبُعد له فقوم نوح وانثى أُسمى بعض بناته مدنهولا وقد مرت الحديث في البداية - ثم ذكر بعض ما حرفه اليهود على أشيائهم:

لم يتهوا عن قُذف داوود ولا لوط فكيف بقذفهم روبيلا.

إذ زعموا أن داوود أرسل زوج الجميلة ليدمان القتال حتى قتل وكان خالفه إلى زوجته وهي عندهم أم سليمان وأن سليمان هكذا لغير رشدًا (صموئيل الثاني 11 - 11) وكان في وقت المساء أن داوود قام عن سريه وتعمى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داوود وسأل عن المرأة فقال واحد أليس هذه بشنيع بنت أليعاس امرأة أوريا الخشي فأرسل داوود رسا وأخذها فدخلت إليه فاضطجر معها وهي مظلمة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحيث المرأة...
وأما قذفهم لوطا فزعمهم أنه أحب بنتيه وهو ثقيل، أحب الكبير ثم أحب الصغيري وذلك أنها أستمروا وخفان أن يقطع نسل أبيها.$$37 - 36 - 35 - 34 - 33 - 32 - 31$$ وهو آخر الأصحاب الناعم عقير من ذلك فسكتا أباهما خيرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطعت مع أبيها... إلى قوله... وقامت الصغرية واضطعت معه إلخ.
وأما قذف رويل وهو كبير أبناء يعقوب عليه السلام فزعموا أنه فسق بسرية أبيه وهي له أي لأبيه أم وقد ولدت له دانة وتنتفاغ وكانت قد وعشتها له ففيها زعموا راحيل ما ولدت أختها لها ولم تلق هي (التكوين 30 - 31). هذا وثورة بهجة وقذف رويل في الخامس والثلاثين من التكوين رقم 24 حيث قال وحدث إذ كان إسرائيلي صاكنا في تلك الأرض أن رؤوبين ذهب واضطعت مع بلدة سربية أبيه وسمع إسرائيل ولولا أن البصيري أشار إلى هذا القذف لنزهنا الطرس عنه إذ هذا من الذي لا يجوز ذكره في حق الآباء عليهم السلام وهو ما حرف به القوم كتبهم فخلطوا أساطير الأولين بأنباء من لا شك فيهم أنهم أولو عصمة.
وليا وراحيل ابنتا لأبان تزوجها يعقوب، عندهم أنه تزوج ليا أولا ولم تكن حسنة وكان يحب راحيل فخدعته أبيها ثم تزوج عليها راحيل وهي أم سيدنا يوسف عليه السلام فيسوف وروبيل ابنا خالة. وزعموا أن راحيل كانت عقيبة حتى ولدت أختها لياربعة أبطن وهي عقسم وتجارتها بلدها بطنين وهي عقيم والذي ذكره البغшкиري أن يعقوب عليه السلام صارت إليه راحيل بعد موته ليا وهذا أشبه بسباق القصة وحق النبي الله يعقوب وبنيه عليهم السلام وقد أشار البصيري إلى هذا الخطط والتحريف في قوله:
لّمّا بغير الحق أرسله يا قائلوه في لياما راحيلا
ومنبع على هارون بالعجل الذي نسبوا له تصويره تضييلا
وعندنا أن صاحب العجل هو السامري وعندهم أن هرون جميع حليهم وظيفتها في النار فخرج لهم عجلة جسدا له خوار أو كما قالوا - انظر الأصحاب الثاني والثلاثين من سفر Exodus الخروج من 1 - إلى 6 فا بعد، ومن ذلك (رقم 33 - ص 140) «ففنزع كل الشعب أفراد الذهب التي في آذاتهم وأتيوا إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصورته بالإمليم وصنع عجلا مسبوكا فقالوا هذه أهلك يا إسرائيل التي أصعدتكم من أرض مصر إلخ».

- 186 -
وقد نفى القرآن هذه الفرية عن سيدنا هارون عليه السلام. في سورة طه: «قالوا ما أخففنا موعذك ولكننا حلتنا أوزارا من زينة القوم فقد ذفناها فكذلك ألفى السامري فأخرجهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنفي. أفلا يرون أن نرجع إليهم قولنا ولا يملكون لهم ضربا ولا نفعا. ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما تشتت ب﹨ه وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري... الآيات»
و كذلك في سورة الأعراف: «وأخذ برأس أخيه يبره إلى قلعة ابن أم إن القدمم اشترطونا وكادوا بقتلوني فلا نسمت في الأعداء ولا نجعل مع القوم الظلامين. قال ريبٌ أغرف لي ولأخي وأدخلنا في حمتك وأنت أرحم الرجمانين».

وردوا إنائنا بالاذى وفرحولا
صدقى ونسنا في الكلام شكولا
ومن الغبينة أن بجازي إفكهم
أي لست أشياها

لكببه أقوى وأقوم قيلا
طلع الصباح فاطفقي الفنديلبا
قدمًا بأحمد إم إساعيلا
يشير إلى مقال الشروى التكوين 21 - ص 17/11 فقمع الله صوت الغلام ونادي ملأه هاجر من السماه وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو قومي اهتم الغلام وشدي يدك به لأن سأجعله أما عظيمة وفتح الله عينها فأبصته بكرته فذهبت ولات القرية ما وسفت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في بريه فاران وأخذت له أمه زوجه من أرض مصر.

وفي سفر التكوين أيضاً في الأصحاب السادس عشر رقم 12 «قال لها ملأكه الرب ها أنت جليل فلتدخليه. وتدعين اسمه إساعيل لأن الره دم سمع الملتهك ولين يكون إنسا وحبا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخواته يسكن». ووردت مباركته وختانه في الأصحاب 17 رقم 20 و24.

ودعنه وحش الناس كل ندية
وطوي لموسي حين برس برسمه
وجبال فاران الركوضي إنها

- 187 -
وحش الناس لسكناه الصحراء وذلك بمشهد من إخوته كا في الترجمة الإنجليزية

وكل ندية أي في كل مجلس يختلفون

وولف ويتخفف معهم ويقاتله الناس ويقاتله وزعم البهائية رحمه الله أن هذا مذكور في

كل مجلس تقرا في القرآن وليس بوجه قوي. وبشارة موسى عليه السلام في سفر التثنية

18 في رقم 27 يقيم لك العبد نيبا من وسط من إخوته مثلي له تسمعون

حسب كل ما طلبت من الرب إلهي ولا أرى هذه الناز الظلمة أيضا. ليأتنا أمور قال لي الرب قد أحسنوا

في ما تكلموه وهم نيبا من وسط إخوته مثلك وجعل كلمتهم في فمه فيكلمهم

بكل ما أوصي به إلهي في النص الإنجليزية،

I will raise them up a Prophet from among you like unto me;

وأغدو البلوجري أن هذا المبشر به ينبغي أن يكون من أصل إبراهيم لا their brethren.

من إسرائيل - قال رحمه الله:

من مثل موسى قد أقيم لأهله من بين إخوته سواه رسول

أو أن إخوته بنى العيش الذي نقلت بكارته لإسرائيل

باع العيش (عيسو) بكارته (بكوريته) لأخوه يعقوب بخز وطبيب عدس (التكوين

25 في رقم 24) فأعطى يعقوب عيسو خيرا وطبيب عدس فأكل وشرب وقام ومضى فاحترق

عيسو البكريته.

وأما حربان العيش من البركة فكان يسبب أن أبناء كان يحب وأمه كانت تحت يعقوب

وكان كأ قالت القصة التي ذكرها قد عمى اسحق أو ضعف بصو سف يعقوب

بصارة العيش وذلك بتدبير أمه رفقة (الأصحاب السابع والعشرون والخبر كا في هذا

الأصحاب ذو الأحزان). فباركه أبو وحرم من البركة العيش انظر رقم 28 - فقال

عيسو لأبي ألق بركة واحدة فقط يا أبي بأركني أنا أيضا يا أبي ورفع صوته وبحكي

إلهي.

وجمال فاران بين علماء المسلمين وعلاء أهل الكتاب في بيانا اختلاف وأوضاع الوجه

أنها يراد بها جبال معرضه لطابعة هذا لنظف، فان وهو المصوحة بين الوهشية والذي في

خبر اسمه، فإن كان ذلك كذلك فمن قال إنها جبال مكن لم ياعد لقوله تعالى على

لسان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: إنه إنه أستكنت من ذريتي بواد غير ذي

- 188 -
زروع عند بيتك المحرم، وزعم البكري أن فاران معدن جديد ببلاد بني سليم وأنشد
متي كان للقينين قين طيبة، وقين بلي معدنًا بفاران،
وفران بوزن سحاب في أسناس بلي، وقيل فروعون موسى عليه السلام كان من بلي. وفي
خبر اساعيل في التوراة أنه وأمه عاشا ببركة فاران فنام. هذا، وتفاصيل ما ذكره
البوصيري من كلام أهل الكتابين كثيرة عندنا، دقيقة معرفته بها، وإننا هذا الذي
أوردناه مع وثب وعئيلة.
ومن جديد مديمة في هذه اللامية:
إن أثقتوا فضل النبي فإنا
ما حرفا من كتبهم تعودوا
لك بالدليل على الغريم مهولا
وصدق.
وجملة أهل الكتاب وجادتهم بالتي هي أحسن ذلك هو الواجب في حقنا وحقهم،
ولكنه في المبشرين بغير وفرت طعون في عصرنا هذا لاتقال عنا كان لأسلافهم من
أصحاب محاك التفتيش، أولئك بسطوا عاذمهم، وهؤلاء يتزداد أقلاهم وضرب
أصلاب دعابتهم ودعواهم.
والذي ذكره البوصيري من تخريب كتبهم هو ما عليه اعتقادنا فيهم. ومن المعاصرين
في زماننا من يلتمس لكثر ما جاءوا به التخريجات على وجه من وجوه علوم العرمان
والاجتماع وغير ذلك، كان يقال إن قصة العيص وعقوب رمزي لأن أهل الحضاير
والتعمة أكثر كيدا ومكرًا من أهل الشدة والبداعة. وليس هذا بمجرخها من أنها عرفة
وليس بصفة حق لبني الله يعقوب عليه السلام. ومسألة بكىار العيص مشكلة لأنهم
لم يذكروا بين إسماعيل واسحاق بكراء وكان اسميعيل هو البكر، إلا أن يقال إنها
كليهما بكراء بالنسبة إلى أميها. وأبناء يعقوب لم يكن لأكبرهم فضل على يوسف
وأخيه وإيثار أبي لهما دليل على نفي أحقية البكراء. فتكون البكراء شيئا دب تحريف إلى
اليهود من الأمم التي خالطوها، وليس في أصل عرفهم أو عاداتهم، كما دبت إليهم
عبارة العجل، من أبيس، والأصنام التي زعموها لراحل، وتستحن الإيمان شرف
الدين البوصيري إذ نصح ألا نقول على ما حرفوا وما أولا في هذا المجال. ولكن نقول
على القرآن والحديث. قال تعالى: "وما ينطلق عن النور إلا هو إلا وحي يوحى". وقد
ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب حين رأى مع عمر رضي الله عنه
صحيفة من النروءة والعلماء في هذه المسألة خلاف وأقوال وقول البوصيري: «لولا استحالته، فريد الجزائر في باب مقاومة الحجة بالحججة. قال الشيخ عبد الحليم الكتاني في الترتيب الإداري إيمان النهي عن قراءتها وإن صرح به الفقهاء فليس على إطلاقه لوقوعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من الصحابة من غير إنكار فهو مفيد بمن لم يميز بين المسوخ والمخرج منها في الصبي 428-429 الجزء الثاني: أور قد جهلت من الحديث رواية فاعدل إلى مصدر النبي محمد قولاً غدا عن غير مععدولا فإذا حصلت على الهدف بكتابه لا تبقي بعد لغيره تصيال كأنه حذف جواب إذا واستأنف كلاما جديدا، ولكن أن تقول حذف الفاء والأول أظهر - أي فذاك، قوله: أور قد جهلت إلغ يشير إلى ما قدمنا ذكره من خبر النهي وما إليه: إن كنت تتكرر معجزات محمد وما زال يرقى في مواقبه ورفاه بث الفضائل في الوجود فمن يرد فاسم شايلته التي ذكرى لها إنه لأورد ذكرى لتعميشي استعمل أور هذا استعمالا استعمالا كما يقال في البدين أي أجعل ذكره يرد وأجعل نفسه ترد ذكره كوروذ الأبل الماء - ثم انظر إلى ذكره النبي وحبه له وقوله إن ذلك فعل من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي كأ في الحديث من الجنة نابع ومن رأى خشونة الصحراء التي تكتنف نواحي جانبه تبقى من ذلك فاطيل من شوق إلى الحقaviors حب الله الله أعطى المصطفى خلقا على أنقتة من إخلاص وري مهدته إن امتنع قلبي يحب عبودا أحبه وأمل من ذكرى له

(1) مراجع أيضا نفسه 2003 حديث الأمر بالعمل كتاب يهود ونفسه 427/2 442 وإن بلال إلى ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان يقرأ النروءة ونقل الكتاني عن الحافظ بن حجر قوله إن كراهية ذلك للنسبة لا لتحرير ولهذا كتاب

للحجة والأقوال فيه طول.

١٩٠
ولأرين لـه الفحجة بضمـر
من كل دامـة الأَبْطَال زدـها
حتى أضـم بطـية الشِّمال الـذي
العرس الشمـيـل الناقة القوية السرـبة، جاء أبو الطـيب بالعرامـس جمع العروس
وبالشمال صيغة أخرى للشمال
وإذا تعرـت الأمـم فـإني
رارا بـمحمـد تـصـهرـلا
 صلى الله عليه وسلم تـسليـا
فأـجعل لنـا اللهم جاهـا مـحمد
وأـجعلـنا لألفا ديمـة مـنـهـلا
هـذا من قول كـعـب رضـي الله عـنـهـمو، فمـا لم عن حياـض الموت تـلـيل أي تـأـخرـ
أي تـصل إلى ضـريحه صلى الله عليه وسلم لا يـشـيـئه عـنـه شـيء
ما هـنـت القـضـب النـسيم ورـجعـت
ورقـاء في غصن الـراك هـدـيـلا
عني ما هـز النـسيم القـضـب بالنـصب وحـذا جائـز في العـرـبـة وـفي المطـبـوعـة بنصب
القضـب وإسـكان الـضاد ويجـوز على تأوـيل النـسيم بـالـرـيح فيكـسبـه ذلـك تأـنيـثـا
وأـستـبعدـه، وـالذي صـنع من رفع القـضـب مـذـهـب فـصاحة وـهو أـشـهـ بـأـسـر ورـصانـه وـمـنه
قوله تعالى: "وعائتـنـاه من الـكـنـز ما إن مفتاقـه لـتنوأ بالعـصـبة أولـى الـقـرة".
وـلكـبوصـيـرـي من فـحـل الشـعر وـطـنـانـه في منـد الرسـول رواـئـف ليس إلى اـستكـثار
الـشـواهد منـهـا هـنا من سـبيل. وـنذكـر منـها على وـجه التـمثـيل لاـمـيـته التي عـلى وزن "بـانت
سـعاـد" ولم يـجعلـه فـاـحة نـسـب وإنـا اـفـتـحـهـا بالـتامـل والـمواعـظ
أو اـنت بالـلاـذات مـشغـول
وعـدزم إـعـمـك بالـتـسـوـيف مـلـول
ـبــوـمـا نـشـاط وعـا سـاء تكـسـيل
ـمـحـرـبـبـب الأـمـال مـسـلـول
أوـنتـن عـن كـل ما قدمـت مـسنـول
فـك يـمـوم ترـجـي أن تـنـوب غـدا
أـمـا يـبـنـى لك عـيـنـا سـر من عـمـل
فــجـرـد العـزـم إن الموت صـارـمـه
وبـعـيـتـة الـواهرـة التي افـتـحـها بـالمـدـيـح مباـشرة:
بـمـدـح المـصـطفـى عـيا القـلـوب
وأرـجـو أن يـعـيـشـ بـه سعيـدا
نبي كــأـمـل الأوصـاف مـت
وفيها:

بدأت لنسام من شمس عالم
وأفمانها بلهة التقوى فشقت
خلائئ ذات لواء دون كسب
مهذبة بنبر الله ليست
وادي النبوءة معجزات

وبانيتها التي استهلها بذكر الموظعة والندم من الكمال:

حجابا يعنف نفسه ويعرب
ذو شبهة عوراتها ماتخضب
ما كان في الدنيا يغوض ويلعب
إذ يخضب في نعائه يتقلب
شرهاء على مشاهها ينتظب

وتأمل هذا الكلام الصافي الصادق من القلب
يفري جوارحه على شهوانه
فكانه فيما استباح مكلب

إذ المكلب مباح له الصيد بما علمه وذكر اسم الله عليه

فكان متعزك المنادين لا يحيا
ضاقة مذهب عنه فإنه له
متفئ تفواه من أهل الله
وقت بقاء المصفى أماله
وبدا له أن الوقوف بإبه
على عليه الله إن مطامعي

في شعر البصيري رحمة الله كثير من خفة الروح ونادرة الذكاء المصرية

المعدن، وذلك أمر الإشارة إليه تحيى إن شاء الله.

أدريت من خير الدورى ما أطلب
وصحافتي سعد ورأسي أشيب
بحيي الرقه على المياء وكتب
فرضه على كل الأئم مربى
ملح وراح بوصفها يشبه

- 192 -
رحم الله البوصيري فإن شرته جزل،
ونعود إلى بعض ما كنا فيه من الهمزة: وقد أفضى البوصيري في أمر اليهود وما
كان بينهم وبين المنافقين والأحزاب من حلف
خددوا بالأمانة والجود يتفق إلا على السفيه الشفاء
وأطلقوها بقول الأحزاب إنها لمك أويلاء
حالسوهم وحلفوهم ولم أدر ماذا تخلف الخلفاء
أسلمهم لأسلاف الدأب لا ينصدهم صادق ولا الإبلاء
هؤلاء بنو النضير
سكن الرعب والخوف قلوباً ويوتا منهم نعاهما الجلاء.
ثم صار إلى ذكر بني قرطبة وما كان من مساندتهم للأحزاب في غزوة الخندق
ويوم الأحزاب إذ زاغت الأرجل صسارهم وضلل الآراء
وتعادوا إلى النبي حسناً كأنه يسأل أحداً أي كان فيها عليهم المركب الخشن بضم العين وفتح الدال وكان فيها ما عداهم أن
يتنازلو بهم وما انتهت عنه قوم فأيده الأور والنهباء
كعب بن أماد وحيي بن أخطب ولفهم. وقد تتناول العقاب أمر بن قريظة بساد عظيم
وأحبه ونفي قوله رمياً جنباً جنباً في صدمة محمد جزياً كلاهما خيراً، وذلك
أن العقاب لم يدافع بها وضع من خيانة بني قرطبة وغدرهم، ولكن نبه وتبك إلى أن القوم
حكموا سعد بن معاذ رضي الله عنه، وما فعلوا ذلك إلا وهم وانتسأ بأنه سيرفع في
أمورهم إلى عادة خلف الجاهلية ولو لم يرجع إلى ذلك، فإن لينقل بهما حكمه
وإنا جده أن يحسن عليه يحكم بجلالهم مثلاً، وكانوا على ثقة من أمرهم لغزورهم
واستجاههم أهل المدينة أن سعدا رضي الله عنه لم يكن له علم بما عليه قانون التوراة في
هذا الحادث. غاب عنهم لأمر كان معقولاً، أن سعدا رضي الله عنه عميق الإيان، وأنه
مأمور إذ حكم بها أمر الله به نبي صلى الله عليه وسلم إذ قال تبارك وتعالى "إنا أنزلنا
التراتيب في هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرثبان والأحبار
با استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تختلف الناس واخشون ولا تشتروا
بأباتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بها أنزل الله لأولئك هم الكافرون. فما كان لسعد رضي
الله عنه إلا أن يجعل بها أنزل الله: "أنحكم الجاهلية يبغون؟ "ولا يقيق المكر السيء ولا بأهله".

وتعاطوا في أحمد منكن القو ل ونطق الأرامل العصواراء

أي قبيح القول

كل رجس بزيده الخلق السوء سفاهه والملة العورجاء م وما ساق للبذي البعذاء

ثم افتين في باب من البديع استحسنه أبو منصور في شعر أبي الطيب، أن الشبيبه فيه من جنس صناعة مثل:

نصب أدقها وضم الشاكل دون التلاقين ناحلين كشكاكي مضى قبل أن تلقبه عليه الجوامز ونحو: إذا كان ما تنوهه فعلا مشارعا

وهو عند أبي الطيب كثير وللبوصيري منه بدائع مثل قوله في البردة يذكر المراجع:

سريت من حرم ليلا إلى حرم ك مرة البدر في دار من الظلم من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم والرسول تقديم خذوم على خدم في موكب كنت فيه صاحب العلم يذكر هنا صعود جبريل عليه السلام به يستفتح فتيل الأنيابة نبيا بعد نبي في سيا عبد سياء، وعندنا أن تغنى المسلمين بالبردة كان له عظيم الأثر في محاكاتها لا من جانب شعراء المسلمين وحدهم ولكن من جانب شعراء النصارى كدانتي في قضية الإلهية وكان بين ميلاد دانتي (123 م) والبوصيري (108 هـ) أكثر من نصف قرن، وذلك لأمر الأخ والمحاكاة تمهيد كاف.

حتى إذا لم تتسبع شأوا لست عليه خفضت كل مقام بالإضافة إذ وهذا موضع استشهدنا.

وقال حيث ذكر الجهاد وفعل الصحابة رضوان الله عليهم:

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم فصول حتف هم أدهم من الوخم من العبذا كل مسعود من اللهم أقلاهم حرف جسم غير مناعجم من شدة الحزام لا من شدة الحزام.
أخذ هذا فأحسن الأخذ وأخفاء من أبي الطيب حيث قال:
فكانا تنجت قيانامًا تعتهم وكنأ وكنودا على صهوانها
كأن الحيل ربا وهم نباتها يرف عليها، والمجانسة سهله حيث جاء بها لا يكاد السامع
يتبين إلى أنه ملابستها صنعة وحذقه
طارت قلوب العدا من أسبهم فرقة فتفضيّر بين البهم والبهم
البهم صغار المعزي يفتح فسكون و البهم يمضى فتح جمع بهمة بضم فسكون و تاء
مريطقة بعد الميم وهو الشجاع الذي لا يدرى قره من أين يأتيته
ومن تكون برسول الله نصرته إن تلقته الأسد في آجامها تجم
أي يصيبها الوجوم. وهذا البيت يقولون من أنشده أم ما يخفف، ولو لقيه الأسد.

ومن ونثأري من أه غير منتصر
قلبي حل مع الأشبال في أجم
فيه وكم خصم البهتان من خصم
و جاء بالهرمان من بعد:

كيفك بالعلم في الأمي معجزة
خدمته بصديح استقبل به
بكسر الحاء وفتح البهلا أي خدمت الناس من ذوي الجاه وأشباه ذلك وركل فتح
الحاء ووكون لأنه ينظر إلى قول أبي الطيب:

بكل منفصلات مسألال منتظري
حتى أدلت له من دولته الخدم

لا تستبعد هذا
خدمته بصديق استقبل به
وشعر البصيري في غير المديح النبوي لايلبغ شينا من جودته فيه فسحان الموقع
المشير، من بيد الله فهو المهتدي.
إذ قلىاني وسأ تخشى عواقبه
كأنني بها حيادي من التعم
أي الشعر وخدمة هؤلاء قلياني ذنوبا فصارات في كلائل الربل التي تقلد القلايد
وتساق لتتحر هديا إلا أنها يقدمان هديا للشيطان تأمل هذا الانتان
أطعمت غي الصبـة في الحالتين فإلا على الأئام والندم

-190-
فيها خصائصية نفس في تجارتها
و من بيع آجالة منه بعاجله
إنه ذي نفاية في عهدى بمنقضت
فإن في دميه من أسلبه بسمتي
إذ هو محمد بن محمد بن سعيد بن حماد الأنصاري أو البصري و هذه أنه بإذ قريته
بوصري وأصلها أبوصري وهو عربي مغربي أمه من صعيد مصر - و نعود إلى ما كنا فيه
من الجملة حيث ذكرنا استعمالها ما هو من جنس صناعة الأدب والكتابة في باب
التصوير والبيان:
فانظروا كيف كان عافية القوم وما ساق للبذوي البذاء
و جود السم فيها ولم يدر إذ الميم في موضع واحد
أي قد تقلب الميم لقاء المخرج إذ هو شفرون فوجدوا السم الذي شروه النبي
صل الله عليه وسلم قد انقلب وأيما فقتلهما. و انظروا إلى قوله في موضع واحد به:
و شافته
كأن من فيه قتله سليمان فهو من السم ففعله الزباء
أي لأن السم خرج ف فيه وهو سم فقتله فكانه قد أخذ ثنا فنصبه كما فعله الزباء.
و قد مر خيرها، وهذا المذهب أي تمام في الإشارة:
صرعت قوامها جبالت بغي
فأتهم خيل إلى الحرب تعتنن
وما للفحيل في السوجي خيبان
قصدت فيهم القنا فقوى الطاقة
أي كسرت فيهم القنا من جعل القنا قدأ فهو قصيد أي متكسر، قال أبو الطيب:
على من الأبطال من لا خلله
و من قصد المران مالا يقوم
فالخيل إذ وطأ هذا القنا القصيد فهذا الإبطاء لا يشيئه كا الإبطاء بابين قوافي
الشعر. و قصدت الخيل فيهم القنا أي نظمته كا ينظم الشعر طعنا سلبي وطعنا
مخلولا متبنا قائتلا. فמנظومات الطعن فيهم لا يشيئها أن ينسابه كا يشيئ ذلك قوافي
الشعر. فهنا كا ترى تورية واستخدام.
وقوله فانتهم خيل... البيت، كان صياغته تنظر إلى قول أبي الطيب:
فانتهم خوارق الأرض ماتت عماد الخديدي والأبطالا
خافات الألواح قد نسب النقية مع عليها بريقًا وجلالا
ثم إن البصري رحمة الله ذكر مكة وعفو النبي صلى الله عليه وسلم:
- ١٩٦ -
ولأنَّ تأَّركَ بمَكَّة نفاعة أَنَّ أنَّ الغُمَود مِنْهَا أَعْشَاء
أَحَجَّتَ كَنْدَى الحَجًّا وَأَكَّدَيِّتِ عَنْدَ إِعْطَايْهَا الْقَيلِ كَنْدَاء
قَالَ الْبَلَهَايُ ما مِنْهَا إِنَّهَا كَذَا بضَمَّ الرَّكْبِ كَأَنَّ الشَّاعِرَ مِنْدَ مَفْصُورٍ قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ
أَحَجَّتَ كَفَت كَوَّسَتٍ، وَعَنَّدَ يَدَى غَيْابِ الْحَربِ، وَالْحَجَّرَ جَيْلَةٌ المَلَلٍ عَلَى مَقْبُرة
مَكَّةَ المَرَّةٍ وَهُوَ كَذَا بْنُ الْفَتْحِ الْمُلْدَ مِنْهَا دَخَلَ الْبَيْتِ صَلَّ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسُلْمَ يَوْمُ الْفَتْحِ
وَأَكَّدَيِّتِ كَلَّ خَيرَهُ وَكَذَا بْنُ الْفَتْحِ وَالْقَصِرِ وَبِمَدَّ كَأَنَّهَا مَوْضُوعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَمِنْهَا دَخَلَ
خَالِدٌ بِنِّ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَعَفَ فِي حَبِّ الْقَيلِ مِعَ أُوْباَشٍ مَكَّةَ
فَلَتَ هَذَا الْوَجُّ الَّذِي ذَكَرَهَا لَا يَأْسَ بِهِ. وَعَنَّدَ أَنَّهُ لمْ يَرِدْ بِالْحَجَّرٍ إِلَّا مَكَّةَ وَالْحَجَّرٍ
جَيْلَةٌ مَكَّةَ فَأَنْتَهَهَا مَعْنَا وَكَذَا بْنُ الْفَتْحِ الْمُلْدَ مِنْهَا ذَكَرَهَا حَسَانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
عَدْمُتِمْ خَيْلِيَا إِنْ لمْ تَرُوهَا تَتَى أَنْتَ مَوْعِدُها كَدَاءٍ
وَقَدْ ذَكَرَ الْبُوْصُرِيُّ النَّقْرِ (١) لَا نَحْاجَةٌ بِهِ إِلَى قُسْرِ المُمْتَدِدٍ وَعَنَّدَ بُكْدَاءِ مَكَّةَ كَلَّ ذَكَاءٍ
مِنْ إِطْلاَقِ الْجَرْأَةِ عَلَى الْكُلِّ. أَيْ أَحَجَّتَ مَكَّةَ فَلَمْ تَقَالَ لَأَسْتَلَامٍ أَيِّ سَفِينَةٍ وَسَلَِّر
الْسَادِةَ وَأَعْطَتْ مِنْ الْقَتَالِ قَلِيلاً ثُمَّ تَرَكَتِهِ يَشِيرُ إِلَى يَوْمُ الْفَتْحِ، كَيْفَ جَعِلَ صَفْوَانٍ
وَعَكْرَمَةَ جَمَعَةٌ قَالَ الْرَّازِجِ:
إِنَّكَ لَيْسَ رُأِيَ بِيَوْمِ الْفَتْحِ
إِذْ فَيَرَى تَرَى وَفَيَرَى عَرْكَمَةٍ
وَلَقَدْ تُجْرِئَتْ بِالسَّيِّمَةَ فَخَلِفْتُهَا وَزَمَزَمَتْ
لِلَّهِ لَمْ تَقْرَبَ هُمْ سَيْمِاءٌ وَجَمَعَةٍ
وَيَدْرَيٌّ إِنَّي لَا أَنْتَ كَدَاءٍ
و يَشِيرُ إِلَى فَوْلِهِ تَعَالَ: وَأَعْطِيَ قَلِيلاً وَأَكَّدَٰ) أي صَارَ كَالْحَجَّرُ لِأَعْطَاءَ عَنْهُ
أَحَجَّتَ كَنْدَى الحَجَّرٍ وَأَكَّدَٰيْعَنْدَ إِعْطَايْهَا الْقَيلِ كَدَاءٍ
أَيْ خَا مِنْ كَلَّ مَكَّةَ وَكَذَا بْنَ الْفَتْحِ الْمُلْدَ مِنْهَا دَخَلَ مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ صَلَّـ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسُلْمَ
وَدَعَتْ أَوْجُهَهَا بِهَا وَبِيَوْمَهَا مِنْهَا الْأَكْفِاءَ وَالْإِقْوَاءَ
إِفْعَاءَ الْقُدُّورِ وَإِقْوَاءَ الْسَّيِّمَةِ أَيْ خَلُوْهَا وَأَلْفَزَّ رَبِّيَّةَ بِالْأَكْفِاءَ وَالْإِقْوَاءَ وَالْبِيَوْمَ إِذْ ذَكَرَ كَلَّهُ مِنْ
أَلْفَازِ الشَّرَّ الصعَبِ
فَدَعِدُوا أَحْلَمَ الْبَرَيْةَ وَالْعَفَّاٰرِ جَوَابَ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءَ

(١) ذَكَرَهُ النَّقْرُ يَنْتَرُ إِلَى قَولَ حَسَانٍ وَقَولَ أبِي الطَّيِّبِ مَعَا وَاللَّهُ أَعْلَمَ.
ناشده القربي التي من قريش
فعلاً عفواً قادر لم يغفر
وإذا كان القطع والوصول للـ
ثم أخذ بعد في باب من المدل من أصين ما قال وأوجوه، جمع فيه بعد طريق الجدل
والوصف والفصص والخطابة، طرضاً من عذب الغناة وترنيه واستخفه الطرب فزد
الناقة وعددت المنازل إلى دار الحياة وهذا لشعراء العرب منهج، حتى في اللغة
الدارجة، وقد اتبعت المتنبي في مقصورة خروجه من مصر "ألا كل ما شبة الخبيثة" ومن
قبل يمنع ذلك أبو نواس حين قصد الحصين بمصر في "أجارة بينها أبوك غيورأ"
وهي شاعر مغربي مسلم حنيف يذكر إلى الله وله الحبيب لا من خوف ملك
لكن لخوف الملك الجبار، ورقة إيفاء طاعة الدين حقها، ويوسف لا صاحب جاه من
جاب الدنيا كحصينه، ولكن صاحب جاه الآخرة، الملائي الشفيع عليه الصلاة
والسلام:
وعددت... في أنساء
ولو أن انتقامه فورى النفي،
قام لله في الأسوار فارضي
فعله كل جليل وهيل يندفع،
أطرب السامعين ذكر علاء
ثم أخذ في قري غناء مطرب:
النبي الأمين أعلم من أسند عنه الرواة والكتاباء
هذا كقوله في الفردة "كناك بالعلم في الأمى معجزة البيت"
وعددت أزديار الساعم وجناء مما بوعدها المجنون،
أتي أيضاً أنDirty ha في اقتضاا، 
أي الصحاري جمع فلامة. أنظر أياً أطرفاً في سطيني على كسر الطاء أي نية
الحج. أي أطرفاً أسبق النية والعزم في اقتضائي له ما أن توفي بوعدها لك توفي قطري ما
بينها الصحاري
بالروف البطحاء يغلفها النبي، وفقد جوعها الأظواء
بناقة تألف بطحاء مكاء وتجذب عن النبي ولو طالت أظافها جمع ظهم في كسر الطاء وهو
مدة ما بين الشيخين للإربيل. وفي الناقة كتابة عن نفسه، إذ حركة شوق الطاعة بالحج
وزارة الحبيب، ثم جعل بعد المنازل، وقد قصد مكان أولاً لبحر من الميقات ويجلى ثم
بعد ذلك قصد طبيبة لزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم وحرم الشرف.

- 198 -
فأقضت على مبادرتها بمر
فالقباب التي تليها فين؟
وغردت أليلة وحقل وقشر
احتراماً للشجرة الفيضانة

ثم عند المنازل، فذكر النبي أن العارف الصاوي رحمه الله ذكر في حاشيته على
الهمزية أن الناظم ترك منزل خمسة قبل الحرواء. قلت وما أرب الناظم أن يسرد المنازل
نظماً وإنما تغني بها كأن الشعراء يغنوون بمعاهد المديني ومنازل الأحياء لا يعنون
بذلك سرداً جغرافياً. ولو عند البصيري عشرة منزل أو أربعين أو ثلاثين أو عشرين ثم
قال من بعد، كما قال بعد ذكرها، ما ذكر منها:

هذه عدة المنازل لا ماما عند فيه السياك والعواء
لاستقام له الوعى واللذخ والسباق، إذ ليس قصده الطابقاً بين عدد من المنازل القمر وما
بدع من أسماها منازل الحج كلاً قصده أن يذكر سرداً منظمًا بكل منزل الحج ولقد
توقف وتكبر بحسب نوع السير وحتى على تقدير ألا تزيد ولا تنقص، إذ قصد كا
قدمنا الطرد والذكر ينغم التبقي بهذه المنازل ولقد قال مما يشهد بصحة ذلك:
أطرب الساعمين ذكر علاء بالراح مالت بها الندماء
ومناسبة قوله:

هذه عدة المنازل لا ماما عند فيه السياك والعواء
ليست في مطابقة عدد ما ذكره لعدة منازل القمر. ولكنها كامنة في حقيقة تنبه عليه أن
بذكرها للشرق والغرب وطرازها بها كأن يمكن فحول الشعراء الأولون، وقد ترك الشعراء
ذلك أو كادوا منذ ماينه الصغيرة المادحة الدينية القديمة. وقد تنرم أبو الطيب طربا
بذكر نجاته من كافور عدد المنازل إلى العراق تعدد ترم لا سرد. وقد كان عدد
البولصيري وخصوص كثرة قبله وبعده إلى يوم هذا لها وقع بالطوال والنظر في النجوم
وطلب معرفة الحظ وعبء الغيوب من طريقها، ليس قول البصيري رحمه الله.

هذه عدة المنازل لا ماما عند فيه السياك والعواء

يخلو من النقد لهذا الولع الخاطيء
فمن أخذ عليه حذف خمسة مواضع أو نحو ذلك فقد ضيق من فضحة معناه الكبير
الواسع
ثم يقول رحمة الله:

فكان بيا أرحل من مكانة
موضع البيت مهبط الروحي مأوى الر
حيث فرض الطواف والسعى والحلل
حيث يغمر جميع البناء

البل بكسر البناء والبناء مقصور ومحدود لغتان صحيتان. وهذا البيت يقوى ما ذكرناه
من قصده إلى الزمن كالقدماء، فقال حبا هذه الديار والمعاهد ولكنها على قدمها
معمرة لم يغيرها البل، وكان القدماء يغتنون على الذكري بدير كانت مأهولة ثم أقرت
وأقرت بعد عهد الأحبب. ولذلك أخذ الخليل على الآخر قوله الذي ذكره ابن قتيبة في
مقدمته:

أنت لنا وناجحاً
لأن الفتح والاجناس إنها يكونان في البساتين ومع التعبد السقي في المكان الأمل
و ليس قول من قال:

أنت قصورنا وجنجاً
لأن هذه نباتات برية إنها تبت بعد خلو الدار من أهلها

حمر أمن و�� حرام ومقام في المقام تلقاء
المقام معًا مفتوحة الميم أو السادسة مضمومتها أو الأولى مضمومتها أو كلها مضمومتها. فعل الأول فالمقام مقام إبراهيم والقيام فيه جوار وذمة في حرم اللهو. وعلى
التاني فالمقام مكان الإقامة (اسم مكان رباعي) والمقام بمعنى القيام أو بمعنى مقام
إبراهيم أي موضع قيامة والصلاة فيه جوار وذمة عند الله. وعلى المرج الثالث فالمقام
مكان الإقامة (رباعي) والإقامة فيه (مصدر مريم رباعي) جوار وثلاء بمعنى الجوار
ووزن سحاب

فقضيناهما مكانه لا يجد الملا إلا في فهلة الضاء
لأن قضاء الصلاة مثال يكون بعد فوات وقتها وقضاء الدين من هذا المعنى وإن حمد هو
فإن الدين ليس في ذاته بمحمود ولكن قال الشاعر:

يعلمونا في الدين قومي وإنها ديوني في أشياء تكسهم حدا

فلون كان في ذاته أمرنا حيدما ما كان قومه ليلموه فيه

- 202 -
ورمینا لها الفجاج إلى طيبة والسير بالطبايا رماء

فأصابنا قوسها غرض القرر
فرأينا أرض الحبيب يغض الطرر
فكان البداءة من حيث قابح
قوله نعم الحبيبة أي الذكر. والكوماء مخصوص نعم وليست صفة للخبيبة والكوماء.

وكان البقاع زيت عليها
وكان الأرجاء تنشر النهر
أي نور وأي نور شهدنا
قفر منها دمعي وفر انطباع.
لأن السيل يحمل زبداً راوباً "فأنا الزيد". كما قال تعالى في الكتاب العزيز "ففيذهب جناؤه ومن صار الدموع هو النافع والصر جفاء فأتماخ
فتري الركب طائرين من الشو.
هذى أخذها من الحارث وحول عناها من السخرية عند الحارث إلى معنى النشوة والحب هنالك
وكان الزوار ما ممست البأ
ساء منهم خلقها ولا الضراء.

يعني بأساء السفر وذلك من عون الله وتوفره.
ثم يجيء هذا المدح والانفعال بالعاطفة الرائعة ويناسب ما قدمه من أن الشوق قد طار به وكأنه ما مسه فتوى ولا إباع وقد نظم ما نظم ما يكل عن مثله الفحول، وما زالت أنفسه له حرارة واندفاع وصدق وليف يبهه رنين وزجل وترفع:
فحفظنا الرحال حيث يحظ الـ"--وزن عن وتزفع القروحاء
وقرأنا السلام أكرم خلق الله
هل صباً من الحبيب لقضاء
تقول قرأ على السلام وأقرأه إياه أي أبلغه ثلاثي ورباعي ذكر الفيروزابادي وذلك
ما يحسن النبي عليه ما يقع فيه من النسيان والهم وقوله ذهنا الباليت الثاني من جيد.
وصف زيارة الحبيب عليه الصلاة والسلام.
لا كلام منهما ولا تبادلا
وللقلوب النفاسا
ثم صار إلى خطابة صلى الله عليه وسلم:

يا أبا القاسم الذي ضمن أقسا
في عليه مدح له وثناء

أسام جمع قسم بالتحريك
بالالعاب التي عليك من الله
ومسير الصبية بنصرك شهيرا

هي الرحى التي سخرت لسيدنا سليمان عليه السلام غدوا شهرا ورواحا شهر

وعلي لما تغلبت عينين
فغدا ناظراً بعيني عقاب

وهي خيبر
وبرجتانها تطهرها من الذل الذي أودعتها الزهراء

هي نافطة رضي الله عنها

كنت تؤوه إلىك كما أت من الخط نكتتها الى اليمين
لأن النفط تحتها وفي كنها مما تكون متفرقة، وهذا من الباب الذي
ذكرنا آنفاً ونظر في ذكر السبطن والى يقول أبي الطيب:

وكان ابنا قادراً كأثراً له يأتي حروف أثرية

وهو نظر خفي من باب الخذو اللازم

202
من شهد من ليس ينسين الطغاة
ليس يسلم عنه التأسيء

ألي بيت النبي إن فؤاد
أي التأسي والتعزية

알 بيت النبي طبت فطـبـاب الـ
أما حسن مـدحاكم فـإذا نـحـ
سـدـمت الناس بالتقى وسواكم
والوصي هنا مترأـقنا صـل الله علي محمد وعلي أهـل صحبه وسلم فذكر الآل

ثم صار إلى الأصحاب فبدأ بالخلفاء ثم العشيرة الكرام مع مدح جمل ومفصل

وأما أصحابنا الـذين هم بعد
أغـيـثـاء نـشـاهـة فـقـراء
رضي اللـه عـنهـم ورضوا عنـ
ما لـوـسـى ولا لعـبـس حـوارـي
بـأـي بكـر البـذـي صـح لـلنـا
وأي حفـص البـذـي أظهـر اللـ
وأي عـفـان ذـي الأـيـادي التي طـا
وعـلـي صنـاـي النـي ومـن دـبـ
وـبـيـاـقـي أـصـحـابـك المـظـهـر التر

ثم ذكرهم طلحة والزبير وسعدا وسعيده وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة ثم ذكر
عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضن في ذكره الزبير ابنه عبدالله وزوجه أسماء
رضي الله عنهم أجمعين.

وبـمـاـم السبـطين زوج علي
وبـأـزـاـجـك اللـلـلـلـلـل
الأـمـمـان الأـمـمان إن فــؤـادي
هـذـا جواب القسم
قد تمسكت من ودادك بالخيل
وأبي اللهم أن بمسني السمو
قد رجمناك للأمور التي أبتي
وأتيناك إليك أنضمام فقير

أي ضعاف من الفقر إلى الغفران تحملنا إلى الغني بخيل شفاعة إلاب أنياء
والطور في الصدر حاجات نفس
فأغشتنا يا من هو الغوث والغني
اللاوات: الشدة
بيارجيا بألمنين إذا ماما
يا شفيعنا في المذنبي إذا أشـ

كأنه يشير بهذا إلى أبي الله عيسى عليه السلام إذ لا يعتذر بذنب، في يوم تأتي كل
نفس تجادل عن نفسها.

جد لعاص وما سوام هو العاصي ولكن تنكري استحياء
تأمل هذه الرقة مع لملة الذكاء في العبارة
وتدرك بالعناية ماما هل بالذمام منك ذماء
الذمة بوزن السحاب
أخترته الأحلام والمال عا
كل يوم ذنوبه صاعدات
أي يتأوه
ألف البطناء المطينة السي
كنت في نومة الشباب فإستـ
أي خالط سوادها يابس الشيب
وتماديت أتفتي أنفر القفو
صاحب لا تأس إن ضعفت عن الطا
إلى رحمة وأحق النـ
فابق في العرج عند منقب الذو
الذود هنا مصدر، قال تعالى: "ووجد من دونهم أمرين تذودان، أي عندما تذاد
الواردات راجعة فإن العرج التي كانت أواخر تكون أوائل فلتبقى العرجاء سابقة.
(ويجوز أن يكون الذود الجماعة من الأبل على بعد في المعنى عبير) وهذا يقوله على
العمري وعلمه من بعد:

ويحب النبي فـَـابِغ رضي الله ـه فـي حـبه الرضاى والخـى
بـاتى الـدى استثـغشتـه ملهـو
ما أرى إلا أنه عني الحاجة فتكون الحبوءة كالحبوءة ولا تزال في دارجتنا هذه الثانية
بـهذا المعنى، والحبوءة النفس فـعل المعنى شهـوات النفس هـنا وـلا الله أعلم.
هـذه علـتي وأـنت طبيـب ليس يخفـى علـيكم في القلب داء
هـذا يصحح المعنى الثاني أن الحبوءة النفس فتامله.

ومن الفـُـوز أن أـَـشكـّوـى هي شـكـّوـى إليك وـهي اقتضـاء
ضمنـها مـدانج مستـطـاب
فــيـك مـنـها المدـيـح والإصـغـاء
يـعني إنشـاد المدـيـح والإصـغاء إليه
وأعلم أصلحك الله أن زيات المدـيـح هي التي كانت سببا في معرفة الأجيال
القريبة من عصرنا هذا أوزان الشعر الرصين لغابة الألسن الدارجة، ولأن أكثر أوزان
شعرها يعتمد مواقف الإشباع (ما يسمى النبر الآن) مع المقاطع والغناء. والعروض لا
ييفي تعليم نغم الشعر، ولذلك كان العلماء في العصور القريبة من عصرنا ريا عمدوا
إلى تثبيته في أذى نظم الشعر من طريق نغم المدـيـح كأولى فلـى النهـائي من نظمه البحور
نحو:

أن طمعـا نعم المـ~~سأـول
فـَـوالـى مـَـقـَّاعـلا مـَـفـَّاعـلـة فـَـعـول
وـما عرف شـوقي وحافظ وـجـيلهـا وـالبارودي من قبل أنغام الشعر إلا من طريق ما
تعلموه من سياح نغم المدـيـح النبوي، ومن أجل هذا ساغت لهم مجاوراة البدع. وصنع
حافظ عمريه على نهج البرعي رحمه الله في:
بانت عن العدوى القصوى بواديها
وشوقى همّزيه على غرار:

ما آذنتبه بينه أساية

لشهاب.

وقد ناشب الإلقاء العصري عن نغم المديح حيث قالوا وكان حافظ جيد الإلقاء وهو Dec- ليس بمنهج عربي الأصل فيما أرتج ولكن أحد من طريقة الأفنج التي يقال لها وهي طريقة خصابة تشخيصية. وقد كان يجالل الإلقاء عند على بك lamation الجارم رحمه الله ترجع نغم ونشوة غناء.

وقد ذهب الإلقاء وعلى أيامه أعني على أيام الإلقاء الخطابي وبالرغم من حرص المجدين على تجريد جملت المعرفة بنغم القصيد تقل، والطرب لا يضعف.

وسبب الإقبال على ما يسمي بالتفعيلة الشعر الذي يقال له غير العمودي [وهو اصطلاح فاسد إلا أن يرجع إلى قول قدامته أنه لا مشاهدة في الآباء وزعم برنارد شو في بعض ما زعم أن من شاء أن يسمي منزله الذي يسكن فيه بالبرتغال فعل ذلك ولم يبط عليه أحد] أن ذهاب المديح إلا من بقايا حلقات الأذكار، وهذه لا يزالها المعاصرون إما عن ضعف دين وإما عن فرط تشذب فيه وإما عن جهل تام وعدم سياق بشيء اسمه الأذكار أو المديح النبوي، أي ذلك كان، هذا الذهاب من المديح ذهب مرة واحدة بمعرفة نغم الشعر وإيقاعه. فالشعر الحر والتفعيلي ليس مسهوا من ثورة على الأوزان العربية عن معرفة، ولكن عن ثورة عن جهل ومن جهل شيتا عادا، وعن حاجة إلى التنفيم والإيقاع من دون معرفة سبيل إليه غير تقليد أوروبا. حتى لو دخلوا جحر ضرب خرب.

قال رحمه الله:

تمتتنا مماثلة مستمان
فيك منها المديح والإغفاء
قال على ممّا يديك إلا
هذا نظر فيه لأمّة أبي الطيب في أبي شجاع، وقد نبه هو نفسه رحمه الله إلى هذا النظير حيث قال في البيت التالي:

حلى فيك أن أسائل قومًا
سلمت منهم لدليدوى البلاء

- ٢٠٦ -
فهنا أيضا يقوى ما نقول به من انتقال المدح من فصيدة مدح الملوك وذوي الجاه إلى المدح البوي فقد أسلمت دلاًوهم فيه إلى صاحب دلوه

إن ل غيرة وقعدت زاهمتني في معاين مدح بك الشعراة

يعني شعراء الدنيا كأبي الطبب الذي أشار قبل إلى قول: تمك الحمد حتى مأ لفتخار في الحمد حواء ولا ميم ولا دال

ثم يقول رحم الله:

ولقب فيك الغلاب وأتي للسناي في مدحك الغلاب

أي لا يصح ذلك شرعاً كما فعل أتباع المسيح عليه السلام وأهل الكتاب الأول، أو لقبتي غلاب في حك أكبر من أن يقدر على البيان عنه لساني وهذا المعنى الثاني أشبه ويفقه ما يلي، وهو بيت جيد بالغ الجودة:

فأثب خاطرًا يذل له مدح

أي مدحه لألاه الود الذي هو فضائلك. وأصل هذا المعنى من أب الطيب

هنيئا لك الود الذي لي لفظه فإنك معطيه وإني ناظم

ففرح هذا من المعاني هو ما زعم البوصيري أنه غار منه

حلاك من صنعة القريض برودا أعجز الود نظامه فاستو في الديد الصناع والعرفاء

وهذا البيت يشهد لما ذكرنا من نظرة رحمه الله إلى أبي الطيب

فاضره أنصح أمرئه نطق الضاد

الضاد والظاء حرفان في العربية كل منها مستقل بنفسه متميز ونطق الظاء غير مشكل

(master) في نطق الضاد في النطق الفصيح حتى لا يشبههما بالظاء كما

أظهرها إذ النبي صلى الله عليه وسلم سيد الفصحاء، ونطق الضاد عنة لفصاحته لا

يختلف بالظاء. وقد مر الحديث عن مقال صاحب القمامات. في هذا الباب.

- ٢٠٧ -
أذكر الآيات وأوفك مدحًا
أين مني وأين منها الوفاء
 يعني المعجزات والعلامات كتظليل الغمام وتبسيع الحصى والبشراط التي سبقت
 يدل ذلك على ذلك قوله من بعد:
أم أمتازتي بين قومني، ساء ما ظانه في الأغبياء
إذ قد أظهر الحجة لا الميارة المنهي عنها
ولك الأمانة التي غبطتها.

فك ما أتيت الأنبىاء
هذا من إحسان البصيري إذ هو قد ذكر الآل والأصحاب والندم والنبوة ورجاء
الشفاعة ومث بمدحه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجاء من ذلك ثم ذكر أمه
الإسلام وعزتها بها، خصا الله به من رشد وعناية وأن رسولنا صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين وهي خاتمة الرسل ذات التوحيد الباهي المتير.
لم نخف بعد الملك والدين وفنتها وارثه هدود النور العلامة
وجزاه من غاية لوصف أبيه
ثم يقول رحمه الله:

لمس من غاية لوصف أبيه
ومن عند مديح أنطقو
غير أي ظآن وما كل ونهب
وكانه هنا علق على شكوه ابن الرومي إذ قال:
وأطال فيه فقد أطال هجاه
وبعد النور لما أطل رضاءه
لوم يقدر فيه بعد المستغيه
هذا في مدح ملوك الدنيا وعند طالبي زهرتها. ثم كأنه بقوله لم أطل من أجل قصد
للاستقصاء بغير عن المعنى الذي لاح لنا من طريقته إذ لنا إل قاد نحن يقصد إلى النغمة لا
السرد واستقصاء الأخبار ومن أجل هذا ما أخذنا على من أخذ عليه أنه إذ ذكر ثانية
وعشرين منزلًا وشبهها بمنازل القمر أنه حفر خمسة لو ذكرها ما تمت المطابقة إذ منازل
القمر ثانية وعشرون. ولقد أباح النقاد للمشعراء ألا يبندوا بتوثير أحداث التاريخ
ولاتضطر الفيلسوف نظريته المعروفة في الواقع والمحتمل. فكيف نلزمهم بالسند
وقد عجب ابن الأثير في آخر المثل السائر من شهادة وأن العرب لا تقبل جر الأخبار والحكايات كما يصنع العجم. وقد اعتذر الشيخ عبدالله الكتاني رحمه الله في التزام الإدارية عن هذا حيث طوله المطول من نظم السيرة، وأكد أن العرب قد طولت الأرجيز كاً في ذات الأمثال لأبي العتاهية وكتب كلمة ودمنة لأبي بن عبد الحميد. ولكن لم يكن عندها جر الأخبار والحكايات كما نبه على ذلك ابن رشيد بداخل حفا في حيز الشعر. لأن الشعر منها وضع للغة والنثر.

وقد أطلق المتون مدخ الملوك والجزة يبتغون احتلاج أخيل الدر البيكي. على أن هذا من صنعيهم كأنها أرادوا المولع يجل وجل وهم ينجذبون وتوجههم لهذا الإبداع الذي جاء به مداد الصلاة والسلام من بعيد ونار الضياء. وذلك أن إطلالة ابن الرومي ومن ناحية نحوه كرهار وغي رويضة الوقية والمعاني على أصاليب المدح ومحاولات الأطراب بالبدع والختان في الصياغات البليغة. فلما جاء المحبون ماهو خير الورى صلوات الله عليه وسلم، أصابوا المادحة الخصبة من طرق القول ومناحيه، ووقتم توفقين الله سبهانه وتعالى بها وهم من ملكة الفريض والغنان والمقدرة على الإطارات وبها ضمنتهم قلوبهم من شوؤن إلى أن بثنا في الإطالة ويشير لهم مع ذلك أن يجيوا بلا إعباء ولا خلاف ولا ملأل. ومن شاء أن يوازن بين صنعي البصيري هنا وطولة وصنعي المجدد من مداد الصلاة صلى الله عليه وسلم ويبين ملمحيات أصحاب الملحم من يونان مثل ودراهم في فصول المهمة ثلاثية وستة وسبعون والبيت العربي يسوي سطرين من شعر يونان على أقل تقدير، قياسا على ما نقل إلينا من ترجمة دقيقة، فهذيه نحو من ثقافات وليست أياب بعض الدراما والملاحم بزائدة على ذلك بكثير.

غير أننا لندع الهمزية والبردة وإلى متيأت "وجه الميم" من باب الملحم، إذ هن من باب قصيد العرب، وهو فنهم الذي استبدوا به وخصوا. وقد رأيت أن لا شعر سواء بالغ البلغ عند الجاحظ وهذا من ناقت.

ولله در البصيري إذ خص معنى الإطارات والطرب والنشوة والإخلاص بصدق الشعر في قوله:

غير أن ظن ووجد ومثال بقيل من الشعرودارتحوا
ثم ختم بالصلاة والسلام على خير الأنام:
فسلم عليك نبى من الله سلامه وتعالى لك البأواء
أي الفخر. لاحظت في مواضع أن البوصيري كان أخذ بقراءة أبي عمرو رحمة
الله. وقد كانت بمصر كثيرة. ومثله كان بالقراءات عالما. وترى هنا على قراءة أبي عمرو
منونة على الأرجح إذا السلام مذكر. أي فسلم عليك متتابعا. وأبو عمرو ينون في آية "قد
أفلح المؤمنون، فتم أن أرسلنا نترى، أي وترا أيا متتابعين متواترين وصارت الواو تاء
وهـو مذهب للعلم في القلب وقرأ أبن كثير وهو شيخ أبي عمرو
كذلك. وضبط "ترى" في الهمزية المطبوعة التي رجعنا إليها بلا تدوين والسياق
بالتونين أظهر وأقوى عندنا ومن لم ينون جمل تررى على المرات أي سلام عليك مرات
تررى أيا متتابعات أو متتابعة متواترة. وعلى ما مضى عليه أبو عبيدة في تأويل تررى
أنها فعل فليس هنا إلا الأخذ بقراءة أبي عمرو والله تعالى أعلم.

وسلم عليك منك فإـ ـرك منـه لك السلام كفاء
وسلم من كل ما خلق اللـه ـ لتهدى ـ بذكر الأملاء

جميع ملا كجبل وهي من كليات معلقة الحارث
وصلاة الالمسك تحمله مني شيلان إليك أو نبباء
وأصاب صفة الريح هنا إذ ريح الشعال تحمله من مصر وكذلك النكباء أي التي
فيها انحراف.

وثناء قدمت بين يدي نجوـ ـ ـواي إذ لم يكن لـدى شـراه

وهذا الذي قدمه ثراء أي ثراء

ما أقام الصلاة من عبدالله ـ وقامت بـربا الأشياء
وهذا آخر بيت في الهمزية وقد حرصنا على اتصال أبياتها إلى حيث كان الجدل
وعخصصة وأهل الكتاب، ثم اختصنا واختصنا؛ إذ ذلك يخرج بنا إلى باب من شرح وقد
أحسن القيام به غيرا فمن شاء الاستزادة منه رجع إلى ما جودوه في هذا الباب.
وإحسان البوصيري الذي ينبغي أن ينوه إليه وعليه كثير. وله قصيدة دالية نظمها
سنة 155 هـ ساءها تقديس الحرم من تنديس الضرم، يذكر فيها نار الحجاز التي

٢١٠
ظهرت بالمدينة وأوردها البهاء في أول قافلة الدال وقدم لها مطلعها:

إلى علي كل الأمر للك الحمد
فلبس ما أوليت من نعم حمد
و ما لك قبل كاله زمان ولا بعد
و هذا هو المعنى الذي قفه الغزال رحه الله من قبل في تهافت الفلاسفة ووسمه
بالنسبة.

حكامك ماض في الخلافات نافذ
إذ شئت أمرا ليس من كونه بد
جملة ليس صفة لأمر
وما بيد الإنسان غي ولا رشد
تفضل وتهدي من نشاء من الدورى
دعوا دعاء الفضل عنا حديثكم
ونقول بعد: "وما معاذن شيء كله حسن"
و نخت الحديث عن البصيري بهذه الأبيات التي هي أول بردة.

أمن تذكَر جيران بذى سلم
ومهب البريح من تلقائه كاظمة
أم لفنيك إن قلت اكفنها همـا
فإ لفنيك إن قلت اكفنها همـا
أكـسب الصب أن الحب منكم

فائلسوسما ما يترقب من الدمع والمضمر ما في الفؤاد من لواعج.

ولا أردت لذكـر البـان والعلم
فكيف تنكر جبا بعد ما شهدت
أبوذن شاهدان، وكان العدول في محاكمة المسلمين عند قضائهم أشبه بمن يسمون الآن
بالواقيين. وأحسب أن 'نشر' المؤرخ ذكر أن من ضمن ما أفادته أوربا من الترك
العثمانيين السامعي الكرم وضروب من أعمال الخصابة وذينها أحسها ذكر فيها
القوانين، وإنها هي من القنط كا لا يخفى. ومكان الأشرار في الخصابة لا ينكر. وإنما
أضر بهم الضعف الذي اعترافهم في القرن الماضي حتى زالت الخلافة وخرج عليها من
خرج وخانها من خان ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وأثبت السوء خطي إعبداً ورضي
نعم سرى طيف من أمهد فأكرمت
بالإلهي في الهوى العذري معذرة
عذختي حملت لا سرى بمستر
حضنتي النصفي لكن لست أمعنه
إلى أتمتنت نصفي الشيب في عذلت

إذ هو نذير قرب الأجل

فإن أمالي بالسوء ما اتعظت

انظر إلى انسباب الخروج هئنا

ضيف أمي لا أسأ غير معتشم

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى

هذا من قصيدة أبي الطيب ضمه

لم كنت أعلم أنى ما أوقره

كنت سرا بدلاً منه بالكم

وهو ما يصغ به الشيب ويسوده

كما يريد جماح الخيل باللجم

من لب سراً جماح من غوايتها

فلا تلزم بالمعاصي كسر شهوتها

إن الطعام يقوقى شهوته النعم

والنفس كالطفل إن تهمه شف على

والله عزيز وذهب أبى. وأبى وذهب أبى

وهذا نهج عزى وذهب أبى. وأبى وذهب أبى

من الشمس، ومثلها باهرة.

فإن فضل رسول الله ليس له

حد فعريب عنه ناطق بلفم

- 212 -
وفي آخرها يقول وقد صدق إذ لم يجد في شعر كنا أجاز في مدحه صلى الله عليه وسلم

وجدته خلاصي خير ملتبزم
ومنذ أزرته أفكاره مداده
إن الحيا يبت الأزهرار في الأكم
ولن يفوت الغني منه بدآ تزب
وهو هذا نفس من المغرب والأندلس

يا زهير يا أثني على ها-
سواك عند حفل الحادث العم
ولم أرد زهرة الدنيا التي اكتملت
يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به
يا نفس لا تقطن من زلة عظمت
لعل رهبة ربي حين يقسمه-
يا ربا واجعل رجائي غير معكس.

ويدك واجعل حسابي غير منخرب
وقد كان في عمل الحساب دهرا رجه الله فعبارة منخر من عمل المحاسبين

واصطلاحهم.

والطف بعدة في الدارين إن له
وابثن لسحب صلاة منك دائمة
ما رنحت عنبرات البان ريح صبا.

والمدوحون المتزمن بالبردة جعلوا صلاتها

بيبارة صل وسلم دائمًا أبدا
على حبيبك خير الخلق كلهم
وكسر الحاء والميم مذهب أبي عمرو في القراءة وفي هذا الخرف وجهو ذكرها ابن جن
كلها في الحسبة.

والمدوحون المتزمن بالبردة يضيفون إلى آخرها:

أصبح مبتدا منها وغتت

وهذه برد مختار قد ختمت

في أباتى بذكورها عدها مع طلب المغفرة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله الإمام أبو عبدالله محمد بن عمرو بن سعيد البصري ونعما ببيانه
وصدقه وبركه وهذا الشعر الدار النفيض الذي هو من مفاخر العربية وحضارتها وما
حفظت وتحفظ به المعجزة إن شاء الله تعالى.

٢١٣
فقد يجلو الحديث في المديحوب المفيض فيه ألا يغادر من كبار شعرائه أحدا كابن الجنان الأندلسي وابن نباته المصري والشهاب محمود ولن نظير بخير ابن أبي الخصال الأندلسي إلا بأخرى. وقد قام بعض فضلاء المغاربة بالتنويه بأمره بدراهم منذ زمان قريب فنفوه بذلك بعض حقه إن شاء الله تعالى في هذا الباب. وقد أورد صاحب المجموعة النهائية للشهاب محمود أمثلة كثيرة طيبة. ونكتفي هنا بأبيات من همزيته التي جاراها شوقى.

فقوله شاء أن ممنه شواء أخشاه الأشجاع والبراءاء لماله بل ولي الحمي لا الماء بل إن الصدف به وجد وقصرها نظر إلى هنالك في النزعة المفتوحة التي رثى بها عمر المختار حيث قال:

إلا البطولة أن تموت من ظها وبهت الشهاب فيه صنعة حنطة: إلمامة - بلوي الجما - لا الماء جعلنا الحمي بأنف للتنبيه على الشهبة بينها وبين الماء.

أضحك لقاء في الخى ليس يقيمه مها الملام لذكوره وهو الذي يشجيه فهمه دواو، واللى هذا أخذه من أبي الطيب 5 ألقه وأحبه فيه ملامة البيت.

وتروقه حار الهواجر في السرى وإذا جرى ذكر العقيق جرى له وهنا مدخل الخروج إلى المديح لأن العقيق بالمدينة حرسا الله:

ومسار بين النخيل تأرجت فكأنه في كل أرض بمالحمى لا يرتشي صادي الهوى إلا إذا عين الزرقان بالمدينة وهنا ثورة بزراق النهامة وعالى البصرة كأ لاحظ النهائي رحمه الله في هامشه.  

214
ولا يحق لناNSString regulations

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لنا

ولا يحق لن
وهي لشاعر يمني محسن.

وقد شارك في المديح النبوي كلا المسلمين ولحمه في ذلك إحسان ولعل الشيخ النهدين رضوه الله لو فقه له من جيد ذلك شيء سواء أو ظهر به لنفسه ويشبه أن نباه في هذا الموضوع إلى معاذين فساحة وتجويد بالغ الأقصى في هذا المجال. وقد كان في بلاد شفطين علم وتبحر في العربية وعلومها وأسانيد رجاليه وحفظ مقتنيه. وقد كان محمود بن التلامي الشقيري آثر كبير على رواج جبل النهضة بمعج كالشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة التي قد صارت بعد لدى أهل الأدب إلى ما قدروا عليه من أبواه وسيلة، حتى إن أصحاب الأفلاق ما خلوا في عصر تلت النهضة الأولى من انتفاع بها، كقصة البراق، التي أخرجتها السينما وكانت بطلها السيدة حافظة رحمها الله وكانت تنغنى ويتنغنى لها بالأبيات التي أوردها صاحب الوسيلة:

"ليت للبراق عينك فترى
ما ألاقى من عذاب وعناء
حبسوني عذبني ضربوا
وعلى الالد مني بالعصا"

أو شبتا من هذا القبيل وأبراج.

وكان في شفطين من خصي صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد قريب جامع وأورد الأستاذ محمد الحافظ بن أكأن له في رسالة من رسائل الطلبة تبادل (رقم التسجيل 87/1100) للعام الجامعي (1981 - 1982) أن ألمة خصبة من هذا

الباب، نشطرها إلى بعض مطالعها كتائية محمد والنان بن العلي:

أعين مني ما توقعت غريباً
أراح عليها الليل عازب همها
وفي المدح النبوي منها:

"على صراحة الله ينقح طيها
وفراءها يوم النعوي وطيبها
رسول الله المستضيء بنوره
خلاقة فهور بدرها وذكاؤها"

وكلامية ابن المختار:

"سقت شقيق غياث رائع هطل
وصانها من بنين الوشمة ما نسخت
حتى ترى وربىها بعد ما اعتزت
وخرج من المقدمة بقوله:
دعا وشمس مما ترجي عواقيه"

(1) وُقِّعَت تحت إشراف صاحب الكتاب وأوصى بأن تنشر جزؤها في سبعة و템ره من حيث المادة
وع깔ها معا.

- 216 -
ثم يقول:

محمد سيد الكونين سيد من محمد سيد الحادين سيد من

وقد بها جان به البند قعود الأبيض الذيل

وهذا من نفس البردة والروى والبحر للشقارطيسية.

وكتونية أحمد بن محمد سالم

أتذكر عينيه فضض الجوان
من ثم تذكروا شجان
والجوان من التقيم بالطهار
وظهيره من البند قعود الأبيض الذيل

وهل أغردو بكصر الطير رحل

أي هل أبكر كأي بكسر الطير عند وقت بكسره.

تذك العيس لاحقة كلاهما
بما جندو أرون على أنثان

وهذا نمط الأولئ كتاى ترى ثم يقول في المديح النبوي:

أبى شبلين مفردوه الجوان
تشابه مالديه من الجوان
بضاحي البدر ليلة إضحيان
تحاكي وجنية ولا تجادل
لدي إسرائي حسور الجوان
لرؤيه يوسف البهيج الحسان
من الحليم ماهوددنو داني
وليس من المسافة والمكان

وما ذو لبتنين بطن ترحم
كصابولته، لاقيبه الجواري
ولا بـبادر التهام إذا تبـبـد
ولا شمس الظهيرة في جـنـ
ما لحاجة خـحده لما رأيتها
صنعن كا صعن نـسا زليخا
دـنـيي في ذلك السري دنـتـها
وذلك القرب تقرب اصطفاء

ثم يقول:

بجاه المصطفى إدعوك يا ذالك

مطابا وأحنان والامتنان

٢١٧
بتقل حركة الهمرة
وجد في أهالي وامن بحب
وعشقا واصف أشقر الأعماد
وقد علق محمد الحافظ في ما كتب على هذه النوتة بقوله: "كلمة سلسلة عذبة الموسيقا: سهلة الألفاظ تقربا وواضحة الأفكار ذات انسجام واسترسال في مثل قوله:
بجاو المصطفى ادعوك يا ذا السماوات والجنان وانتان.
وقلت وكان حتى هذه الكلمة أن تكون لها صلاة ولعلها لها كأن يقول على طريقة مداح
الشيخ عبد الرحيم البري برحمة الله:
عليك صلاة خالقتنا وغيث من التسليم يهمى كأن
وقد تأثر غريب إفريقية بعلم المغرب وشقيق، ففي بلاد هوسا وسنغال شعر نموي
فصفح حسن مثل كلمة الشيخ على حراز الكشناوي:
قوط رياض الحب للصب ذاتية
بقيه نار من الوجود حامية
لئن يطاق الصب دفع الربانية
ماذاك الا من حبة خلقتة
وليس يطاق الصب دفع الصبانية
لهوا بخدامة من البيض غانية
فيا قفيت لي من جباليا باقية
وشامية أم أنت ليل الحجازية
أدب خلف ياء النسب
فقالت أنا داء القلوب وبرؤها
بالتخفيف أو كئوس سلافية بالإضافة وفي الطبع خطا كثير وأحسب كئوس سلافية بيا
التملك وها السكت وإضافة كئوس إلى سلافية بلا تنوين هو الصواب هنإ
بنا عيشة في جنوة الحب راضية
فيا ليتي لم أوتر منها كتبابه
فقلت وأعتني كنتابا من الهوى
فوقه في ليتي مقول القول المتقدم
فقالت بأمالي وصرت معذبة
بأنواع آلام من المجرخ ناريه

٢١٨
أي ناري بألوان الهجر، بإضافة نار إلى باء النكسم بعدها هاء السك، ولک أن تجعل اليا نسیة مخففة صفة لألم وما تقدم أصح وأجود. ثم انتقل من هذا النسب الوجداني إلى المديح النيبوي:

ولم يبق لي إلا شفاعة شائع مقاتمته في حضرة الله راقية دعانا لتشييد الله ورسوله بوضوح آيات من الله بادية وهذه الأبيات مع كلمات أخر للشيخ حرازم وغيره في مجموعة الفيض الحام في تراجع أهل السر الجامع لأبي بكر عتق ابن العالم خضر الكشكي النجياني (1). كدنا الآن في بلاد دولة نيجر في القسم الشمالي. من طريق الإسلام والقرآن وعلوم الدين والشعر النيبوي فصاحة جمة في سائر بلاد الإسلام. وقد جعل بحر الفصاحة ينحسر عن أكثر المعاصرين من الجيل المسلم الحديث إلا ما بقي من ذلك عند أهل المحافظة، وعدن من جعلوا يفطنون أخیرة إلى أهمية التمسك بالأصول وألاب فيه وراء السراب، والله برحمة وعونه وجوده بوضحة وبدينا إن شاء إلى الصواب.

لعل هذا الفصل عن الأغراض قد طال شيئا. ولكن رأينا أن باب المديح النيبوي خاصة كان منه فيفول عنه إلا ما قدمنا ذكره من عمل الدكتور زكي مبارك رحمه الله وعطر ثراه وجعل الجلسة متقلبة ومثوأة، ف설 الله أن يكون هذا الذي قدمناه نفع وقبول، وصل الله على سيدنا محمد وعليه وصبه وسلم.

حاشية: ما أخذ من البوسيري قوله:

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العموم

كأن آخذ عليه نذكر منه هذا الدوس. ولو فطن لعلم أن الحادث العموم إنها هو موقف يوم القيامة والعرق في العرق، إذ لا تعلم حادثا عمبا سواه و سوى الطوفان على الخفية، والطوفان قد مر. وسياق القصيدة، لذكره زلاته التي يتعشى بها اهل تلك ويرجو النجاة من سوء عاقبتها بالشفاعة بعد هذا البيت مباشرة، بين أن مراده بالحادث العموم يوم القيامة لا حادث سواه وذلك قوله:

يا نفس لا تقتني من زلة عظمة إن الكبائر في الغفران كالمسم

وهذا أيضا إشارة إلى آية تزيل "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنطفوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" فهذا يقوى ما قدمنا من أن 

(1) طبع مصر القاهرة المطبعة المصرية سنة 1376 هـ

- 219 -
مراده بالحادث العموم يوم القيادة. وفي الحديث مايفيد أنه صلى الله عليه وسلم هو الملاذ في ذلك اليوم حين يقول كل أمير، نسي نسي، قال تعالى: "يوم تأتي كل نفس نجادل عن نفسها" فيعتبر كل من تجاه شفاعته إلا من أنزل الله سبحانه وتعالى فيه " ومن الليل فتهجد به نافلة للك عسي أن يبعثك ربك مقاماً محمداً" قال المفسرون كنا تقدم إن عسي هنا واجبة. (وحتى على تقدير أن عسي احتفالية أو رجائية غير واجبة وذكرني لا يقول به أحد ولا يقول به. حتى على هذا الوجه البعيد فإن هنالك استثناء من آية النحل "يوم تأتي كل نفس الآية" لأن الله جل شأنه يقول "عسي أن يبعثك" فهذا البعث هو يوم تأتي كل نفس نجادل عن نفسها، فاستثناؤنا صل الله عليه وسلم حق حتى على هذا الوجه على ذلك ظاهر والحمد لله. وله الحديث الصحيح مايفيد أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يقوم المقام المحمود يوم القيادة وذلك اليوم هو المعنى كما تقدم بالحادث العموم. وإنما أن الأخذ على البصري، ما أخذ من جهة حصر معنى الحادث العموم في معنى النازلة التي تنزل بالمرء، وهذه تكون كالعامة إن كانت بلا شكل علماً كبيرة من الناس كما يحدث من الأمورة والثالوث مثلا. ولكن العمومية هنا نسبة ليست مطلقة. وقد تنزل النازلة بالمولى وحده فيسبيها حائلاً عمياً على سبيل المبالغة، وكل ذلك ليس له مثل معنى عمومية الهول يوم الحساب وهو المراد من البصري هنا ويناسب ما تل البيت من ذكره الزلة كيا يناسب ما بدأ به بريدة من شكوي التقصير والندم كنونته:
وما تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سَمَى فائر ولم أصم
وعزل البيت يا تقدمته وتبلاي وحمل معاً على المجاز دون الحقيقة بقصد الطعن على صاحبه وهو يتمبير إلى ربه توقير نبي صلى الله عليه وسلم وتعزيره من الخطأ والله هو العليم بالسرائر وما تняти الصدور وهو الموفق للصورب.
العنصر الرابع وهو نحس الشاعر
مرادنا من قوله "نسح الشاعر" بنتبج النون والفاء هذا الروح الذي يربط بين أول القصيدة وأخرى، وبين مطالع الأبيات، وبين البيت والبيت، وبين مجموعات الأبيات التي تكون معاً في معنى أو دلالة واحدة أو متقاربة ومجموعات الأبيات التي تل أو تكون قد تقدمت في معنى آخر. وقالوا هذا الشاعر طويل النفس إذا طالت القصيدة وكانت أبياها وقوافيه تتنازل عليه الجمال. وقالوا "هذا الروح" أردنا به التنبيه على أن أمر نفس الشاعر فيه خلاف، إذ أمر الروح فيه خناء. الميزان، الإيذاع، القافية، الأغراض، الألفاظ، المعاني، التشبيه والاستعارة وما
أشبها، كل أولئك أمور واضحة وليس بمنفصلات عن نفس الشاعر ولا هو بمنفصل عنه. وليس شيء من خصائص الشعر ومنفصل بعضه عن كله، إذ الشعر كل واحد فيها يكون منه قصائد طوالاً أو قطعاً قصراً أو غير ذلك. وإذا امتد إلى مميز عناصره ومكوناته بعضها عن بعض بقصد الدروس وإبعان النظر، كما ذكرنا من قبل، ومع خفاء أمر نفس الشاعر من حيث إنه روح من حيوية رابحة مركة ميؤرة معرفة معا، قد تقدر على استبانة دلائل منه وعلامات بينه عنه. من ذلك مثل قول زيد:

فعد عباّ مضي إذ لا ارتجاع له وان الفتد على عيناته أجد.

فهذا ربط به بين ما تلا من نعت الناقة والطريق وما تقوم من نعت الأطلال.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إني كنت كاذبة الذئاب حديثتي
نعوت منجي الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقتلوا دونهم
فهذا خروج تغلص به من النسب إلى ذكر خبر بدر وهزيمة قريش، وفيهم الحارث بن هشام مراده فلم يأت بمقدمة من نسب، ولكنه قال:

حتى علوا فرساي بأشقر مزيد
في مأزق الخيال لم تبسط
أقلا ولا يضمر عدوي مشهد
طمعا لم بعقات يوم مرصد

أمست سعاد بأرض لا يبلغها
فخرج من النسب إلى الرحلة.
ثم خرج من الرحلة إلى الاستعار ومن الاستعار وإعلان التوبة إلى صريح المدح، وقال:

له يعلم ما تركت قتالهم
وشمت ريح الموت من تلقائاتهم
وعلمت أن أقتبال واحدا
فصدعت عنهم والأحبة فيها
وقال كعب بن زهير رضي الله عنه:

إلا العناق النجيفات المراسيل
فخرج من النسب إلى الرحلة.
ولكن يتأي بكل غرابة رمي الدرب بالجرد الجياد إلى العدا لها مسح من تخبط وصيقل
فاستعان أبو الطيب بذكر فضل سيف الدولة عليه أنه أتاح له أن يلقى الحبيب بدر
القلة فجعل ذكر ذلك الفضل سييلا يخرج به إلى المدح. وهذا من رشيق فل الفل أبي
الطيب وأمله بالعاطفة وحديث القلب. لعل أبي الطيب ما لقي بدر القلة إلا نذكرا
قوينا جمال الحبيب إذ طالت الشمس في روى من حسن الفجر كأنه علامة من
 أحباب. وهذا المعنى على براعته وخدائه مولد من قول الأنصاري:

بتلدت لنا كالشمس خلف غامة بدأ حاجب منها وضن ببحابج
أم لعل أبا الطيب إذا رأى طفلا عند تعريس المسافر؟
وأعلم أبا القارئ الكريم أن من علامات نفس الشاعر ودلائه أشياء نذكر منها فيها
بلي إن شاء الله.

أولا: التسلسل
وهو ضرور، ما كان في ضوء فكرة واضحة وما جيء به على سباق عادة الشعراء-
ومرادنا بالتسلسل أن يتتابع الكلام تابع عقد السلسلة، آخر ما تقدم منه منطط
بليه، فمن أظهر ما يجيء من الضرب الأول ما تكون عليه صياغة كثير من القطع
والقصائد الفقار. فمن أمثلة القطع، قول قيس بن زهير:

علم أن خير النوااس ميت
وف يولا ظلالة لظلت أبيكي
ولكن الفتى جل بن بسدر
أظن الحكم دل على قومي
ومارست الرجال ومارسون
وأمر القطع واسع

ومن أمثلة القصائد الفقار، قول تأثب شرا يصف نجاته من هذيل على نهر شبيه
بها نراه اليوم في مغامرات رعأة البقر، وكان تأثب شرا ما يزيد في أحاديثه عن نفسه

- ٢٢٢ -
وشيء من ذلك كان لدعاء العرب مذهباً، يخفون به الناس... قال:

إذا المرء لم يجلب وقفة جد جده، ووضاع وقاسى أمره وهو مدبر به الحطب وإله مقصود مصير، ولكن أخرى بحث الحلم ليس نازلاً، وإذا سدمنه منخر جاش منخر، فذاك قريع الدهر ما عاش حول أخذ هذه الصورة من انفاع مسائل الماء في خارم الجبال، فإن سد منخر جاش منخر، ومن شاه جعله أخذها من تجربة الزحام، وينبغي أن يكون الوصوف هنا منخراً ضخماً، والوجه الأول أمل وأشبه.

أقول للحجان وقد صررت لهم وطاب ويبوتي ضيق الجرح معور، أي وقد هلكت أو كدت ويبوتي ضيق ومقاتين بادية... قال: اسمئ القيس:

وألفتله على جريدًا ولم أدركه صفر الوطاب، أي قلتاه... قال صاحب القاموس وصرفت وطابا أي مات أو قتل، وهو الوجه الذي ينفع أن يفسر به هذا البيت.

قالوا وكانت مع تأطب شراً أن يفعله مبلوغاً عملنا فزعموا أنه قال للحجان إنه يضن عليهم بعمله ولهن أن يأسروا فإن شاءوا فمنا وإن شاءوا أنتروا ولن يجمع لهم أن يأخذوه ويتكلموا عليه، فأراك العسل، وصرت بعضهم قوله صررت لهم وطابا أي خلت وطاب من العسل ووطاب بكسر الزاو وطاء مهللة بعدها ألف نباء جمع وطاب بفتح فسكون وهو سقاء يكون فيه اللبن. وهذا وجه في التفسير الأول وأجود، لأنه إنها أراق العسل بعد أن تظاهر بالاستسلام ويوهي ضيق الجرح معور أي ظاهر عورة المقاتل.

هنا خلتها إما إسارد ومنه، وإما دم والقفت بالخر أجزر، أي خلتان، حذف نون المشنقة تخليفاً، وإسارد مرفوعة الراء ولك أن تجعل إسارة مضافة فتكون مجرورة وكذلك منة وعلى فيه حذف نون خلتان من أجل الإضافة والفصل بين المضافتين بما كأنه لا فعل لظهور المعنى، وأخرى أصافي النفس عنها وعلها لمرد حزن إن فعلت ومصدر.
أي وخطة ثالثة أصدائي نفسى عنها، أراودها عنها، وهي أن أريق العمل وانزلق عليه، فهذا القبر ما ذهبنا إليه آننا أن مراده من قوله: وقد صفرت لهم وطاب، أي كان قد صفرت، كان قد مثت وقفاً بضيق يومي وقلة ناصري وإعوار مقاتلي، فرشت لها صديقي فزل عن الصفا به جؤجوء عبل ومن مخصر هذه هي المغامرة «السيئانية» وكان الحب المتع مبتوبة مكان ما ننهمك فيه الآن من معانيات الصور والتشخيص والأفلام، فخلاط سهل الأرض لم يكذب الصفا به كحرة والموت خزيان ينظر تجسيد الموت هنا وإعطاؤه مشاعر الآدمى وصفاته جد بارع، والحزي إذا كان لبني لحيان، وكانوا هم من رجل الموت وأسبابه، وصفة البطولة كما ترى في نعت هذا الجؤجوء أي الصدر البديل والمن الضامر والنزلاق هذا الفن الخفيف انزلقاً ماهرا لم يكذب الحجر به كدحة.

فأبست إلى ظهور ولم أكن آبضاً وكم مثلها فازت بها وهي تصرف أي وهي خالية ليس بها من صافر وإنها تصرف بها الريح، وكان هنها خليفة ورداً للكلام على قوله من قبل: وقد صفرت لهم وطاب - صفر الأول من باب فرح وهذه من باب ضرب.

ومن أمثلة التسلسل في القصر من القصائد، حانية جبيهة وقد مر خبرها وهي التي أولها:

امولي بني تيم ألست مؤدياً، منحتنا فيها تؤدي الناهج.

ثم استمر في وصف المبجة إلى آخر القصيدة وهي اثنا عشر بيتاً، وواحدة الحارث بن وعة الجرمي.

فندى لكا رجل أمي وخالتي، غداة الكلاكب إذ خز الدنيا.

وهي أحد عشر بيتاً، وذلك من القطع قريب فلا تعجب أن يتلبيب فيه تسلسل الكلام على سهولة في ذلك ويسر.

وابناء عبد ينثر أدخل في القصيدة إذ هي عشرون بيتاً والتسوسل فيها جلي. بدأ بالنتهي عن اللوم أن يلومه أحد حيث أخذ أميراً.
ألا لا تلومانى كفى اللوم مائيا
ومالكوى في اللوم خير ولا ليلا
ألم تعلى أن الملامة نفعه..
أي ليس اللوم من سجاي.. وما أعجب الخاطبين إلا شئا واحدا جره من نفسه
وجعله صاحبين - وقد فسر بشار هذا من مذهب الأوائل كأ قدمنا حيث قال:

أيها الساقان صبا شرابي
واسقانى من نيب بضاء رود

وهذا ما لا يكون إلا على معنى التجريد الذي قدمناه.
ثم خاطب الحارث من حال أسره راكبا أي راكب يبلغ عنه قومه. وبعد أن نهى عن أن
يلاح هو، أنقى باللائمة على قومه إذ أسلموا، ففسر ما كان من قبل عما من سبب
نهي عن الملامة، إذ لا خير فيها، إذ يظهر بعد التمحيص خطأ قومه الذين أسلموا لا
خطؤه هو - فتام.

في راكبا إما عرضت فبلغن
أبأا ك academy واليهين كلها
جذى الله قومي بالكلاب ملامة
ولو شنت ناجحي من الخيل نهدة

وهذا ما صنعه الحارث بن وعلة إذ فر

ولكنى أخي ذمأاار أبيكم
وقد اختطف أسياء وشد وثاقة:

أما شبرنا تيم أطلقوا في سان
إن أخاكم لم يكن من بوايا

أي أنا أشرف شرفنا من أخيكم الذي تردون قنبل بواه بالبواه في النار أن يقتل امرؤ
بمن يساهوا. قال ابن الأنباري في شرحه للبواه السواه قال أحمد أي لم يكن أخوكم نظرا
لي فأكون بواه. - أحمد هو أحمد بن عبيد بن ناصي من شيوخ أبي محمد القاسم بن
بشار الأنباري صاحب الشرح ورواه عنه ابنه موسى أبو بكر محمد بن القاسم رحمهم الله
فإن تقلدون تقتلونا بي سيدنا وإن تطلبون مغرمون بعليا

وكأنه أحس إجاعهم على قتله فأخذ في البكاء على نفسه.
أحقا عباد الله أن لست سامعا
نشيد الرعاء المعزين المتاليا
وتضحك مني شيخستة عشيصة
كأن لم تر قبلي أسيرا يائيا
كان قال لم ترا يسكن الراة ومصرة مفتوحة،
وحذف حرف العلة ثم ألقي فتحة المنزة
على الراة فنفأ فصتى ترى - قال الشارج ويروي كان لم ترأ قبلي أسيرا. قال الفراء أبقى
من الهمرة خلفا والروية هي الأولى وقفت وغير ظاهر مراد الفراء إلا على الوجه الذي
قدمت إولا والله أعلم
وظل نساء الحي حولي ركدا
يرادون مني ماتريد نسائيا
من الأنس والمذاكهة ونشيد الشعر
وقد علمت عرسي مليكة أني
اليث معدبا علي وعادبا
هذا مسواق ما تقدمه. أي ناسي يعلمن غنائي وبلائي فحدثهن إلى عن إكرام وأما
أنتن فإنا لأسير أسيف مهين بينك فكيف ترم مني ما تروه ناسي. وفعل اسم
عرسنا لم يكن مليكة ولكنه جعل هذا اسيا لها كتابة عن مكانها في قلبه
وقد كانت نحار الجزور ومعمل ال
مطي وأمضى حيث لا حي ماضي
أراد حيث لا ماضيا وكره الصفة واث المذهب الفصيح
وانحول للشرب الكرام مطتي
وأصدع بين القيتين ردائنا
فنحر أمري القيس مليته لمذاري دارة جلجل كان على هذا الوجه، وبعد أن يتحل
نحو هذا متحل إذ هو متنز من عرف حي
وكتن إذا ما أخيل شمسها الفنا
لبقاب التصرف القناة بنانيا
شمسها أي طعنها وأذاؤها وطردها كل مطرد
وعادية سوم الجراد وزعتها
بكيف وقند أنحوا إلى العوالا
أي رب مهرين متشرين أنشار الجراد أقبلوا مشرين إلى الرماح ردتهم بكفي
كأتي لم أركب جـ، ولا أقـ،
ولم آسيا العزق السري ولم أقـ،
وأي نارا صدق أعظموا ضوء ناريا
وهذان كبيتي امرئ الفيس
كأنى لم أركب جَنَواداً للسَّلَة
ولم أنشد السَّرَوَة
ولم أُقِل لعرج السُّرَوِي
ولم أُقِل لعرج خَلَالٍ
قال صاحب عُيُور الشعر (ص ١٤٩): "هذا البرواية وما بنيت حسناء ولو وضع
مضرع كل واحد منها في موقع الآخر كان أشكل وأدخل في استواد النسج فكان
يروي:
كأنى لم أركب جَنَواداً ولم أُقِل
لعرج السُّرَوِي للسَّلَة
ولم أُقِل لعرج خَلَالٍ
وقد بين أبو الطيب المتنبي فساد هذا الرأى، ولانتصر للرواية التي رويت عن أمرى
القيس بقوله فصل ذكره راوو أخباره في شرح قصيدته
على قدر أهل العزم تأي العزائم
وتتأي على قدر الكرام المكارم

عند قوله:
وقد وَقِفت وَمَا في الورث شَك لَمَّا وَقِفت
تم مُركَب الأَبِّيَال كَلَمٍ هَزِمَة
وجِلَّك وضَحَى وظَرْفُك بِحَمَّة
ومن المتوسطات الطول ذات التسلسل الواضح مع شيء من مراعاة عادة الشعر في
البدء بمعنى نسبه كلمة تأبت شرا:
يُؤْيَد ما لا يُك من شرق وإِبْرَاق
ومرف عِلي الأَهْوَائ طَرَاق
فقد خُلص مِن الطيف وهو يخاطبه إلى ذكر نجاحه من بجيلة وذلك حيث قال:
إِيَّإِي خَلَّة ضِدَتُ بَنَاثِلَهَا
وأمسكت بضعيف الموصل احذاق
نُجِرَت مِنها نجاحي من بجيلة إذ
ثم خرج من هذى إلى صفة الخلة التي يؤثرها والصديق الذي يرى أن يعود عليه. ثم
عاد إلى ذكر مأثرة من مأثر نفسه، كما نجا من بجيلة عدوا على بساط الأرض، صعد
مرقبة يرصد من فوقها الأعداء
وقفة كَسَنَان الْرَمْح بَارِزة
ضحيانة في شهر الصيف مراح
وجعل صفة نفسه وليس على قدمه إلا شرارة يوقي البنان بها متصلة بصفة صاحبه الذي
قال في صفته
كالْخَقَف حَدًى النَّاَمَون قَلَت له
ذو ثلثين وذو بهم وأربةٍ١١١
لتبدي شعره وكأنه أطلق رمل ندي لبدها الصاعدون عليها. ومن دقيق براعة اتصال
بيان الشاعر هكذا أنه خاص من صفة رأس صاحبة الشعر الكثيف الشعر المتبلد شعره إلى
صفة رأس الجيل الذي صعده وكأن قمه سنان رمح متهل في حشر شمس الصيف
وكان نعامة قفز متفرقات في مقابلة ما تقدم من صفة لبدها الشعر الكثيف ثم انتقل من
صفة رأس الجيل ورأس صاحبة إلى صفة عدوه وقدمه هو وهذه النعل الخلق الشريرة
الشبيهة ببعامة قنة الجيل المحرق الضاحية
ثم عاد إلى خطاب صاحبة الطيف وجعلها عذالة خذالة. ومع اتصال الكلام هنا
عنصر من تداعي المعاني إذ يفعل من ألفاظ تطلق على الزوجة آلزها الحريري في
إحدى المقامات وينذكر مع ذلك الوطاء - فما يخلو أن شبه العذالة الشريرة بالشريرة الخلق
- وقد تعلم قول رؤية من بعد:
"بأوى إلى سفاء كالثور الخلق
ومن القصائر المتصلات المتسلسلات نونية المزار في النخل:
وكان من فتى سوء ترآه يملك هجمة سودء وجونا"
وقد ذكرناها في باب الصفات وفيها اثنا عشر بيتا
ومن ذوات المتسلسل مع توسط دالة عمرو بن معد يكر بجاجية:
ليس الجبال بمنشير
وإن رديت بـ ردا
ومنهـا اقـب أو رنز نجد
أعـدته للحبدـان سـا
وفيها خمسة عشر بيتا، والكلام فيها آخذ ببعض
نها وذا شطب يقل البيض والأبدان قد
يعني فرح وسبيه الصمغامة
وعلمت أن يوم ذاك منازل كعب ونها
ونهذ اسم قبيلة هنا رده على نجد الذي هو فرسه، ثم وصف عدوه بكوال الاستعداد
قوم إذا ليسوا الحديد تنموها حلقة ونها
فالخلق الدروع والقد النتروس أو كساء يبرع بـه من جلد
كل اـمـرين يجري إلى يوم الميـاج با استـعدـا
ومن عند هذا الموضع صار إلى ذكر صفة القتال، وكيف أن خوف النساء وأخذهن في

- 228 -
الحرب خشية السبي لما رأين من تخاذل رجالهم أمام هؤلاء المتيمرين قد أثار حفيظته
ولما رأيت نـ----نـا
وب----دات ليس كأنها
و----دت مهـسـنا---ها التي
فاختت وأ----ن الأمة جـدا

إذ كشفت عن ساقها وهي تعدو، فإما أن تحمي وإما أن تسبىـ ما كان ذلك:

----ازلت كـهم ولم
وإذا لم يذلـه لأخـ النعجة

إن لقت بأن أـ----ن
هم ينذرون دـي وأـنـ
ولا بد في الحرب من مـاب وفـيـة وإن تبع ذلك النصر

كـ من أـ في صـالح بـأؤاتـه بـدى خـا
ويجوز أن يكون المراد هـناب مـ من هو صـاحب أن يكون في أـ خا لاـكتهـ صفات الشجاعة

ولنجد فيه، اضطـري واجب مـناتلته أن أقتله فـبويه بـقتـهـه خـاــ وـهذا يشبه سياق

الحديث وقوله من بعد:

ما إن جزعت ولا هــعت ولا يـت بكـاي زندا
وـله ولا يــت بكـاي يـعـر أن الذي بوـه خـا أـخ لـه من قوـه قتـه الأعـداء كما قد قتـ هو
نـمهم وهذا هو المعـنى الذي قـنـا به من قـيل :ـ قوـله لا يــت بكـاي زندا أي لا يــد لا
يـرك شـيئاً الزنـد هو زنـد الذراع وحـركـته طبيــعة بـسـة لا تنطـلب كـبـر جـهد، فـحتى

نـحو هـذا البـسـر لا يـنــوعه البـكاء، يــبـرـ بـذـلك إلى عـدم جـدواء

وقصـىـة الأـخـنـس بن شـهـاب:

لـبـنـة حــطـان بـن عــوـف مــتـلـزل
كـا رـقـة العــنـوـان فـي الـرـق كـاتـب

من سـبـع وعشرين بـتا وبدأ بالسـبـب إلا أنـه نــبـسـف في طرـيق الرحلـة التي عليها وضع

القصـيـدة وـهو ذـكر الجـد والمـشير والـفـخـر بذلك، وإنـا وـقـة الشاعر عـلى المنازل وـهو في

طريق تـشيـره وجدـه وإنـا هـي وـقـة ذكرـى مـشـعـرة بـانـصرف عن ذـكـر الماضي وقـبـال

على أمر الرجلـة والـزمـل الذي قد أـخذ الأـن بأســبـهـ، وـقـة الأـخـنـس هــنا لــست كـوفـة

امريـه الفـيـس في:

٢٢٩
فما ذكرى حبيب ومنزل
إن هذه وفقة حنين وقلب حزين - قال الأخنس، والقصيدة مفصلة حاسمة، حذف منها أبو تمام أبىذار القابلة وإنما أدرى على الاختيار لا على محض الرواية:

لا إبنة حطان بن عوف منازل، كا نق العنوان في الراق كاتب
هذا أول القصيدة عند المفضل وروى أبو تمام قبله بيتاً وواجهه تانيا هكذا:
فمن يد أستى في بلاد مقامة، يسائّل أطلاّلا لا تجاب، كا نق العنوان في الراق كاتب
وكان هذا المفعول ينكر البدء بذكر الطالب ثم يرجع إلى ذلك كصنع عثرة، فإن سجح هذا الذي نراه، ففعله مما يكون أبو تمام قد أثراه به هذه الرواية، غير أنه لا ريب أن رواية ما روى عن المفضل أجرد أن يعلو عليها هذا وبعد الوقفة قليلاً، رفع الأخنس إلى مذهب ما أخذ به من الجد والحزن، وإنما وقف لقضاء حك الذكري وتوديع عهدها، ودعا كل الوداع:
ظلمت بها أعري وأشعر سخنة، كما اعتاد عموماً بخير صائب
وهذا من جيد أوصاف الحمي، وكان الأستاذ النجاني الملوح رحمة الله يشيد هذا البيت ويقره بقول عيدة بن الطبيب:
رس كمس أخى الحمي إذا غبرت يوماً، توأمه منها عاقب،
ويعقول إن ذلك من أدق ما وصفت به حمى الورد وهي التي يقال لها الآن الملاريا وينرن بذلك أبىذار التنتي من قصيدته المهمة المشهورة
وزائر كأن بها حية لا تزال في الظلام، فليس تزور إلا في الظلام
وما يحس أن نستورد به هنا ما عيب به قوله:
إذا مفاشرقتني غسلتني، كأنا عاكفان على حر،
إذ الغسل واجب على كل حال، ومقال أبي الطبيب جيد محكم لأنه جعلها زائرة في الظلاب، فلا يكون وصلها إلا حراماً
ثم يقول الأخنس وهذا البيت متقدم في رواية ما اختاره حبيب:

٢٣٠ -
تظل بها ربع النعّام كأنها إماء تزجي بالعشي حواسب
والتعامة هوجاء، فعدل عن تشبه النعّام بإماء صاحبته في الزمان الذي نصرم إلى صفه
ناقة الهوجاء وصفه ما كان عليه من أمر الصرامة والجزم:
خليلاً هوجاء النجاء شملة
وذا شطب لا يتجويه المصاحب
ولكن كأني الذين أصحاب
وحاذر جراء الصديق الأقارب
رفقًا في عهده وقَلَّد جبهته

فهذا زمان صمليته وشراسته، ثم لما انجلته عنه عبادة الشباب أقبل على ما أقبل عليه
فأديت عني ما استعمرت من الصبا
والمال عندي الآن راع وكباب
ثم أخذ في تعداد دير القبائل، ليخلص من ذلك إلى ذكر قومه أنهم بارض صالح
لا يجمعها حجاز جبال أو سيف بحر... وذلك قوله بعد تسعني أبيات هي مرجع في معرفة
كثير من حال مواضع القبائل على زمان الجاهلية:
ونحن أنساء لا حجاز بأرضنا
مع الغيث ما تلقى ومن هو غالب
ثم أخذ في باب الفخر بقمه ومنعتهم. ولا شك أن القصيدة أبياتها متصلة وأن المقدمة
النسبة ملحومة بها بعدها أشد التحام.
هذا ومن المتوسفات في موضوع واحد متصلة أجزاؤه كلمة السمول:
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرشه
فكل رداء يرتدته جيل
وفيما أثنا وعشرون بتا وهي مشهورة والنفس الإسرائيلية فيها قوي... من ذلك قوله:
وإنا لقوم ما نرى القتله سبه
إذا ماراته عمام وسلول
فهذا كأنه يطعن به في العرب.
وقوله:
وتنكر إن شنتنا على الناس قعلهم
ولا ينكرون القول حين نقعل
وهذا لما يفعلونه
فقلت لها إن الك媒体م قليل
عزة وجار الأكثرين ذليل
وأما نذنا أننا قليل وجارنا
و"231"
ومن هذا الضرب المتوسط نونية العدوانى إن لم تعد نسيبها
وصون ذات التسلسل مع الطول عينية متجم ون هي من مشهور الشعر وقد استشهدنا
منها ببابات عدد والشعر الجيد مما يعذب على التكرار، وقصيدة كلها متسلسلة
الأبيات في ضوء فكرة واحدة هي الفجعة بأخيه مالك، وفيها واحد وخسون بيتا، من
البيت الأول إلى العاشر عدد متجم فضائل أخيه، أول ما بدأ به أنه كأ قال:

لعمري وما دهري بتأين هالك ولا جز عما أصاب فأوجعًا,
فنتي أن يكون مرادة محض التأين أو أن جز مع أن المصاعب موجه، ولكن الفقيد قد
كان امرأ ذا فضائل يعظم فقده من أجل فقد نظريه عند غيره من بعده.
لاقت كفن المنهال تحت ردها في غير مبطان العشبات أروعًا.

وقد عجل إلى ذكر المناهل لينهو بفضيلة ما اسدى من يد الوفاء حيث كفن مالكا ولم
يخش أن يؤخذ عليه ما أبدى من الروعه. ثم أخذ متجم أولاً في تعداد الجانب السلمي
من مأثر أخيه - فتى غير مبطان، ولا ربما وقابل ذلك بجانبه الإيجابي وما ينافسه عند
غيره - لبيه خصبة - يبتز للتدى.

وـبـوـمـا إذا ما كافك الخصم إن يكن
إذن تلقسه في الشرب لا تلقف سابكا،
ذه القاذورة هو الذي يتقرر عن الناس والنزاع البخيل السهل الخلق وقالوا ذو القاذورة
المتزعزع هو الذي فيه فحش وسوء خلق.

 وإن تضر الغزوة السرجال رائيه
وـما كـان وقافية إذا الخيل إجمعت
ولا كـهـام بـبزـة عن عدوده
أجمعت بتدقيق الجريم أي جئت. بسه السلامة. كهام، كيل غير قاطع، مثل هذا
خليل أن يبكى البواكي وقاله سبحة فقده، زمان الشتاء وعند اجتماع الشرب
وفي ساحة الحرب وإذا طرق الضيف وإذا عبر فداء الأمير وللأمراء والأيتام، وعندما
يدعي إلى المسر

إذا جرد القوم القداح وأوقفت
هم نار ايسار كفي من تضجعا

٢٣٢
أي أتم العدد واحتمال ما يكون في ذلك من خسارة وغرم
وان شهد الأيسار لم يلف مالك على الفائت يحمي اللحم أن يتمزعا
وعل شيئا من ذلك كان يصنعه كثير من يشهدون المسر من أهل البخل أو الخراف.
وأذ هكذا سيحس فقد مالك فإذ يصير هو أليس مثل هذا الفقده ما تنفر معه
الأقدة ويعذب إجيز؟
ثم أليس هو أول الناس ألا يصر على فده من بعده؟
أبي الصبر أباه آهات أساهم وأني
وأتي ماتى وما أدع أسامك لأحب
أخذ من عند البيت السابع عشر إلى الثانى والعشرين، في حديث فجعه هو خاصة:
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
أصاب المنايا رهط كسرى ويبع
هكنا نفس "أبى " يروم سبيل الحكمة والعزة
لطول اجتاع لم يبت ليلة معنا
من الدهر حتى قيل لن يصدعا
فقد بان محمودا أخي حين ودعا
شبه حالفه بندامان جذيمة لأن هذا كان ملكا وأصاب نديمه بنزوة غضب من نزوات
الملوكة. فشبههم أمرخالد بذلك. ثم تأمل أبا القاري الكريم أنه في الأبيات
المتقدمات تناول أمر المصاب من جوانبه التي تعم العنشرة، ثم جعل يخصص حتى
صار إلى نفسه وما فجع به من فراقه بعد طول المودة والاجتاع. ثم بعد أن استوى من
أنه قد قرر عندك فضائل مالك وعظيم فدته قرن ذلك بتصريح موجز جمع فيه بين
الحزن والاعتزاز.
فقد بان محمودا أخي حين ودعا
هو أخى وهو محمود نعم إنه قد بان وقد فارق وفارقاه وانفرط عقد البكاء:
أقول وقد طار السنا في ربابه
وغير يسح الماء حتى تربعنا
بكي الشاعر واسترجع بعد الزفارات ثم جعل يغي أخاه بتحية الوداع وهي السقية تعم
البلد وتخصور مكان الفقر الوحش الذي هو ترهب
سقى الله أرضا حلا قبر مالك
ذهب الغوادى المدنى فأمرا
243-
ثم يقول
فوالله ما أسفي البلاد لحبها
ولكن أسعى الحبيب المودع...
تعيشي منى وإن كان نائماً
أمسى تراها فوق الأرض بلغت
ولو كانت القصيدة انتهت هنالك في ذلك بلاغ بلغ، ولكن الشعر ربى انتقل من
الشعراء فنوات.
وقد بلغ الشاعر بفكرة الأسد على ملك من حيث فقد الرجل العظيم الذي كانه مبلغ
ما صار به إلى أن يخزّن عليه ويتعزز بذكراه.
ولكن بقي بعد ذلك ما يعقب الحزن والاعتزاز من عواقب الفقد التي تعزم بها
الفجيعة، فقد كان النصر، وتضعضع الجاه والوجهاء وإنجاح الفؤاد أمام توالي
النواب، ولقاء الشفاعة والتجلد للأعداء والمحاسم، وتعذر النار والقصاص وهمل جرا
أراك حديثًا ناعم البال أفرعاً
ولعوبة حزن تترك وجهنا أسفنا
خفافُها أن أركزي وأضرعها
إذا بعض من بلقي الحروب تكملها
هنا كر ما قدمه في أول بيت حيث قال:
ولا جزع ما أصاب فأوجعاً
ولكن هناك أجل وهنا أخذ في نوع من التفصيل - ثم زاد تفصيلًا يوضح ما أجمله في
جواب صاحبه حيث قال لها:
فقلت لها طول الأسد إذ سأنتي
وكان قد تزعمها تسأله عن طول الأسد هذا أن يزيدها فيه بيانا فقال:
وغيرني ما عالق قيساً والملكة
وماغال ندماني يزيد وليتي
فالتشقُّ الألف والمال أجمعها
فذكر كأرى فجائع مرت به قبل مقتل مالك، فكان مقتله مما نكأ قرهًا وجد الحزن
وزادت به حال الفسوف وتضعضع منزلة الحي.
وإني وإن هابتنى قد أصابني
من البى ما يبني الحزن الفجيعة
وهلست إذا ما الدهر أحدث نكبة
وفي هذا البيت السادس والثامن أدخل الشاعر عنصراً جديداً زاد به في تتابع تسلسل
فكرة الفجيعة - وهو هؤلاء القرائب الذين أفادوا منزلة وجاهًا بعد هلاك مالك. ولم

- ٢٣٤ -
يقترب هو منهم أو يبددي خضوعا لهم ويلتقت في سياق هذا الحديث إلى أمرأته مرة أخرى:

فأعجبتني ملاءمة قرب الفوائد فيجعنا
ثم كأنه يعتذر عن بعض التقصير إذ يقول من بعد:

فقلت إني قد شهدت فلم أجده
بكتني عنهم للمنية مدعمة

إنها هو القدر ودول الأيام
وئما يبزه عليه ذكر منن العمرة وحديثه إليها والكلمة مرتبة كا ترى. والحق أن
ذكر النساء في باب النساء ليس بشاذ وإن يك الاستهلال بغير المألف من مذهب
ظاهرة حين النسب نادرا كقول دريد:

أثر جديد الحل من أم معد
وقد تعلم أن النساء كن من النائحات، فقد يخاطبن في أول الرثاء بهذا المعنى كقول
كعب بن مالك في رثاء سيد الشهداء:

صفية قومي ولا تجزئي
وكي النسخاء على حمة

وقد يذكر الشاعر النواتج للأخبار بإذاعة الثأر كقوله الربيع بن زياد

فليأت نسوتنا بوجه نار
فبد النساء سواكـا يكينــه
وقد يذكر الشاعر النساء ليته على أن الفجيعة قد صرمت عهده منهن وأبدله بطيب
حسن حزنا وبكاء - ولي هذا المعنى أقرب منه ذهب الذي رئ قلت بدر فقال:

ألفت بالتحية - أم بكـر بالسلام
ألا يا أم بكـر لا تكسـري
على الكأس بعد أخى هـسام
وقال الخايس:

أربع مهلا بعض هذا وأجل
ففي اليأس ناه والغـراء جميل
ورثابة هذه أمرائه أم ابن الذي مات وجعلها هي الجازعة ثم أفر من بعد بجزءه هو
أيضا
فإن الذي تكين قد حال دونه
نحـا للحد زـبرقـان وحـارت
أكفهـم غـنا الشـاعـري وتبيل

٢٣٥ -
وظلت في الأرض الفضيـة كأنها
تعمـلـي أركـانها وتجول
فهـذا شاهد بالجزء، وقريب في الدلالـة من قول المرقـش:
صحا قلبه عنها على أن ذكرها
إذا خطرت دام به الأرض قناتا
وـما أوجـود قول أمِرِيء القيـس في تانيته: "غـشيـت ديار الحـي بالبـكرات" حيث قال:
ظلمت ردائي فوق رأسي فاعدا
أعد الخصى ما تقضى حسراتي
والى ابن قيس الرقيقـات وذكر النوائح:
تكيه مـن أسماء مـعـولـته وتقـول سلمى وافجعتيه
وقال الهمـفي:
فلس كـعـهد الدادر با أم مالك
ولكن أحاطـت بالرقاب السلاسل
وـهذا في كلمة رذا ومـعـني قريب بما ذهب إليه مـطـم بن نويرة وهو سابق له لأن أبـات
هـذا الرذاـق قـبـل بعد حـنين وقبـل زمان الردة.
وـقد جعل الشـنـفـرى مكان خطاب أم مالك وابن العـمـرى وـمـا أشـهـ خـطابه للضـبيع حيث
قال:
لـانـقـبرـي إن قـبـري مـعـرم
إذا احتـمـلوا راـسي وفـي الرأس أكـثـر
هـنـالك لا أرجو حياة تسرن
هـذـا.
ثم إن مـتـمـا يعـود فـيـقـر أنـه مـتـجـدد وـيـتـبـع ذـلـك مـعـانـي من الـخـزـن وـجـراح الفوـاد
فـلا فـرحـا إن كنت بـوـما بـغـبـطة
ولا جـزـعة ما أـصـاب فأـوجعما
أـمـا قـوله "فـلا فـرحـا إن كنت بـوـما بـغـبـطة"ـ أـين مـكان الغـبـطة هـنا؟ أـتـى رـبـه مـقالته هـذـه
على ما كـان مـن قـبـل:
أراك حـديثا ناعـم البـال أفرعـا
وـذلك في زمان مـضـى قبل عهد الفجائع؟
لا ريب أن هذا الكلام مردود على قوله:
. . . بزور الباقب أحضـعا

- ٣٣٦ -
هذه القرائن هم الذين يغيبهم هذا اليوم، هم الفرحون. وهم لعل منهم الشامت... هذا مما يبدع الحزن، وانصرف منعم إلى وصف أحزانه، وجه بهذا الشبيبة:

وأما وأجاد انظار ثلاث روائع
والنوار هو الصغير من الأبل، وروائم جمع رائمة وتهون قولنا أم روم أي ترآم ولدها أي ترهج وتغنو عليه نصف نواة ثلاث أعين صغير من قد ذبح وجر

يُذكَر ذا البث الحزين بسمـه
إذا تحت الأولى سبطن لها معـه
缸نا فأبقى شجوها البراك أوجـه
بأوجـد من يـوم قـام باللك

التشبيه مألوف، كثير في المراي ومعانى الأمز والحزنين... قالت الخنساء

وأما عجل على بـُوّ تطيف به
لها حزينين إعـلالان وإسرار
فتانيها هي إـبـال وإـبـار
صخر ولدهـر إحلاء وإمرار

وقد جعلت الخنساء المشبه به ذات البه، فشبت حال حزنها على بوها بحال حزنبها هي

على صخر

وقد سألت مثل هذا النوع من التشبيه أنه يحمل مع معنى الحزن معنى العزاء لأن الحزين لا يغتفل إلى صورة حزين آخر فيزال نفسه به إلا وقد اعتداد هو بنفسه عن ملابسة在线角色 كل الملابسة بحيث يقدر أن يتأمله من مسافة بعد ثم يصفه. ومن أجل ذلك لم بلزم في مثل هذا الضرب من التشبيه أن يكون مبتكرًا ولكنه حين يكون مألوفًا، إذ الإلف يجري مجرى التذكر والعزة.

وأما التعبير يكون شيء من التملي ويوبر الجلد ويفطن المرء لما حوله ما كان

شغله عنه وقع الحزن وذهول الحزر...

بأوجـد منـي يـوم قـام باللك

مناد صبر بالفرق فأسماعا
تأمل لفظ «صبر» الذي وصف به النادي وهو السمع المسمع. ثم مع هذا المناد، القادم بمعنى مالك وهو علم مرارة وقع الفجيعة على من سبقه، أخبر أخرى لما سوءه... هي أخبار هذا المحل... قالوا هو رجل مر باللك قتلي كفلم يواره وقالوا أعطي...
المحل سلب مالك ففرح به وأقبل راجعا. ولعل الذي جاء بمنعي مالك ورفع صوته به وخبر بمقتله هو هذا المحل، يدل على ذلك قول متمم بمشتهيه إذ صادف الخوف مالكما أثرت هذهما باليا وسوية ونتجت بها تعدو بريدة مقزعا.

فهذا الرجل قد حضر مقتل مالك وأظهر شجاعة وأخذ سبله ثم جاء كأنه صاحب البريد يحمل أخبار الشؤم والمساء فأنا تلهم بنومنا بنفسك إنني أرى الموت وقاعة على من تشجع

وأجعل هذا الشامت الذي جاء به قبض آخر القصيدة بمنزلة مقدسة للمنهال الذي بادر بذكره بعد أول بيت وشتان ما بين الرجلين لعلك بوما أأن تلم ملومة على اللائي بدعنك أجدعا.

هذا كالدعاء عليه

نعبت امرأ لو كان جماك عنده لأواه جمععاله أو عزعا

وهذا كالتشم

فلا يتنى الواشين مقتل مالك فقد أب شانيه إيبابا فودعا

أي أب شانيه فقد أب وأما هو فقد ودع، وهذه خاتمة مشعة بالحسرة والتحجد للأيام معاً. وحسبنا هذا الدمر في التمثيل للتسلسل المطرد في ضوء فكرة واحدة. وكثير مثله ما يرد في قصائد الإصابة والحكم هذا والضرب الثاني من ضروب التسلسل مما جه به على سياق عادة الشعراء من أجود أمثلته بائعة عقلية

طحبا بك قلب في الحسان طرب

وهذا الضرب والذي قبله قد يتداخلان كما قد تدخل فيها ضروب كثيرة ما سنذكر من بعد وما قد لا يتسع المجال لذكره. ولن نفتى نكر للقاريء الكريم ما قدمناه من أن الشعر كل واحد جميع وإنا نجزه من أجل الدرس.

وقد جعلنا بائعة الأخنس وقافية تأثب شرا من الضرب الأول، لأن البداية النسبية الإلقاء فيها غير خارقة حقا عن حيز التسلسل الذي بعدها وإنها هي إلماع وإبيه ليس غير فوجب حمل الأقل على الأكثر، وهو الفكرة المنتظمة لسائر بيان الشاعر.
ومكان مراعاة عادة الشعراء في بئائية علقتها أنه بناها على نسب ورحلة وخلوص
للمدحو، وهو الذي ساهم رشيق المبدأ والعروض والنهب. ومكان التسلسل أنه
جعل الأبيات أخذًا بعضها برقب بعض في حيزل كل من هذه الأقسام الثلاثة ثم ربط
بين أطراف ذلك وأوساطه ربطاً حكماً. ففاجأ الكلام كلا واحداً تام الصياغة والترتيب،
في القصيدة سبعة وثلاثون بيتاً، وهذا فوق المتوسط وأقرب إلى الطرف إذ ذات
الأربعين بيتاً مما تعد طويلة.
الأبيات العشرة الأول في النسب. والمطلع مشتر بانفس من غرض الشعراء. وقد
كنا تعرضنا لسبط في هذا المعنى من قبل. وقد تصررت فيها ببينا وعهد الشعراء
الأقدمين مشات من السنين. وقد اختفت حال الناس بعد الإسلام عنا كانت عليه
قبل الإسلام اختلافاً كبيراً. وعلى أيام الفتنة عنا كانت عليه قبلها. وفي زمن معاوية عنا
كانت عليه أيام الرشدين. وفي زمن المروانية عنا كانت عليه من قبل. وهكذا إلى يومنا
هذا. وقد كان القدماء من جاهليين وإسلاميين إلى قريب من زمن أبو الطيب إذا
افتتح الشاعر كلامه أحسناً بأنفس غرضه وجهة سبيلاً مقاسده. وقد كانوا في
الجاهلية لطول إلههم الشعر يعرفون ما لكل مطلع من دلالة، وما لكل نسب من
مكهنات الرمز. ونحن إذ نحاول فهم مقامهم في هذا الصدد نستعين بالخدس
والترجيح فينعي التسليم بأن القدماء كانوا يعلمون كثيراً مما علما قد أغلق عن علمنا
باهب، فيجب علينا من أجل ذلك أن نتوضع.
قوله:
طحا بك قلب في الحسان طرية:
بendir الشباب عثر حان مشيب
مشاعر بأن قلبه يكلبه أمرًا إذا بعد وشبهة، وكذلك ما كان هو قد عزم عليه من الوفادة
في قصة أخوه شأساً قد كان أمرًا إذا بعد وشبهة. وقد خلق من تهييه لقاء ملك غسان
بعض الوصف على تعويته
حجة ما يستطيع كلامهما على باباً من أن تطير قريب
ولعل الفارء الكرم يذكر وفتنا من قبل عند قول ممزد بن ضرار أخي الشخاش:
صقا القلب عن سلمي ومل العوازل
أنه منه في من بعض أمره.
وقول زهير:
٢٣٩
صباح القلب عن سلمي وقد كاد لا يبلو
في إشعار بتقدم سنه وأنه رجل جد وذلك ابتداء حسن في معرض الصلح بعد حرب داخلي.
وقوله:
صباح القلب عن سلمي وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورأسه
في إضطراب الإشعار بالجفن. وأي جد، إذ الدمع كان مجال التزيد والذكرب، وقد عرف زهير بالصداق في والحكمة، فكانه مثل وفداً للمطلع يقع الأسابيع أن يصبح لما سيقول
ما ليس من سبيل الباطل ولا منحاء. قال الدكتور طه حسين في حديث الأدباء بعد أن أورد الأبيات الثلاثة التي تل هذا البيت:
وأقررت عيا تعلمهم وسسدت
وparseInt محلما عيا أنت عمنا
فأصبحن ما بعمرن إلا خليقت.
فهو هنا يفسر إعراضه عن اللذة وإقصاره عن اللهو وإقباله على الجدة.
وقال بشامة بن الغدير وهو خال زهير وأستاذه الذي علمه الشعر:
هجرت أمامة هجرا طويلا
وحملت الندى عمرا تقييا
خيارا يتواني ونبرلا قليلا
فأشعر بأمر لا يجيل ما يكره.
قال المسبب بن عسلي:
أرحت من سلمي بغير متناع
قبل العطاس ورعتها بوداع
قبل العطاس أي بخش قبل أن تستبن العواطف وهي ما يراه المرء ما يكره فيتشاءم
بمن غير مقاية وإن حبوا لا أقطاع
فندل بله المطلع أن رحله من أجل حاجة يلتمسها، مكسب من مال أو جاه.
المسبب خال الأعشي ومنه تعلم صناعة اللبس بالشعر.
ثم يقول علامة يشى على هذه الذي طحا قله إليها طرحا بعد أن شاب لداته:

٢٤٠
إذا غاب عنها البعل لم تفش سره
وترضى إباب البعل حين يدوب
وهذا أخذت الشنفرى حيث قال:
إذا هَوَّ أَمَّي آبَ قِرَة عينه
مناب السعيد لم يستأبن ظلت
وقد فصل ما أجمله علامة - ثم يقول علامة
فلأ تعدل بيني وبين مغمر
سفاك رواية الميز حين تصوب
الدعاء لها بالسقيا مشعر بالبعد. وقررها فلا تعدل، فيه رجعة إلى معنى طرهه عصر
حان مشيب، فإن يكن الشاب قد قاته، فقد قالت معه عجلته وطفيه وقلة تجاربه؛
فلا ينبغي أن يعدها منظر من هو أشب منه ولكن مغمر لا يخبر عنه يكون معها
صالحها وإسعادها. وفي مثل هذا التقرب نوع من كتابة. كأنه يخطب الملك ويقول له
إن يكن أخي قد حارب فهُوُّ غُرِب غير مريح، وأنه أشبع بتجربتي ومديجي فيه
عندك - وكر السقيا إمعان في المقرب والتحب

سقاك يبان ذو حبي وعارض
تروح به جنج العش جنوب

ومع ذلك البعد -
وما أنت أم ما ذكرها ربعية
يطخ لها من ثممداق قلب

فهذا أول انصرابة عن ليل التي شت وليها وعدت عنها العوايد. ليست هي من قومك
الأذين والأنورا حتى تموت، هنا عل معنى أن القلب هو الفير. وأظهره من ذلك أن
ثرمدا هذه مكان ناء وأثب قلب نشرب منه. وكان العرب أهل آبار
لولاها ملكا. ثم أتبع هذه الانصراف عنها لبعدها وعدواة قومها أو بعد علاقتهم وأثبها
في حجاب ورقيب، انصراف عن النساء عامة، ورجوها إلى ما ينبغي مثل من هو في
سته من اتباع الرشاد;

بصى بأدوار النسيم طيب
فليس لـهـ في وهب نصيب
وشر الشاب عندهن عجيب

فإن تسألوني بالنساء فاني
إذا شـاب رأس المرء أو قول مالـه
يَيردن ثراء المال حيث علمـه
وقد أعلمنا من قبل أن شابه قد ولى وأنه حان عصر مشيبه، وأنبأنا من جانب إشارة خفية أن مال عنده. فعلام التصابي؟

فدعها...

إلى ها هنا ينتهي النسب، وقد فتح به مجال القول بها ضمه فيه من كتابة وإجاء، ولكن ماذا يصنع وقد ألقى قلبه الطراب بآف، فلا بد عند الانصرف من وجه تنصف إليه ويبث على الانصرف إليه قلبه.

فـدـعـهـا وـسـلـ الـهم عـبـك بـجـسـرة لـكـلـكـهـمـا وـالـقـسـريـن وـجـبـهـا.

جاء في هذين الطينين بالرحلة ووسيلتها وهي راحلته التي معناها متضمن بعض معاني نفسه وهمه. يدل ذلك على ذلك قوله:

كهـمـكـ فيها بالرـدـاف خيب

وعلـب معه عليها ردف على الأرجح، ولكن ظاهر المعنى المبالغة، أي هم تقوى على الخيب بالرذاف، ثم إذ هى كهو وكهمه فكانه ردف لها فعلي هذا الرذاف بها قوة بلا ريب.

ومع الرحلة ووسيلتها جاء فيها أيضا بالغرض الذي من أجله ارتفع. وتأمل قوة صلة قوله: "أعملت ناقي" مع قوله: "فيا بالرذاف خيب" والخيب اعترافها، ومع قوله "كهـمـكـ وقـولـه "أعملت ناقي" كالتفسير هذا النظف الموجب.

ثم هو هنا قد خلص من مقدمة نسبه ذات الطب والكتابة والسياق والتكاكة والأمر والحكمـة كـل أولئك معـا إلى هذا البيان الصريح الواضح الشافي الذي هنكـه

به أستر ما كان قد مله قبل من خوف وتيب عند قوله:

مـجـبـهـا ما يستطاع كلامها على بابا من أن تزار رقب.

لا ريب أن مثل هذه المواجهة المبينة قد قوِّعت سبع الحارت الملك أيا قوع.

بعد هذه المواجهة رفع عقلها إلى الناقة التي زعم أنه أعملها، وفي هذا استناف للتهرب، واعتبار للملك بإجابة بعض الحق عليه إذا ذكرنا ما قره وما لمته له راحله من مشقة. ولعله أنه امرؤ ناه من بلدان ووافق من قبل دار خصور حاربا الحارث وانتصر عليهم مشفعا في أمر أخيم الذي كان مع عدوه ملك الحيرة وقد أسر لعلماء جميع هذا احتاج إلى تأديبا لإجابة الحق بقصد الملك والمشقة التي تكملها بعد تقرير، ليؤكد سرده تأكيدا لا يدع عند الملك موضعا لأدنى شك في صدق نيته إذ عقد العزم على قصده.
إليك أبيت اللعن كان وجيفها نهضن مهيب
كآ أنت مهيب

فؤاداً إليك الفرحة، ولا حب بيض وأمام جلدها فاصلب
بها جيف الخيرى فأمام عظامها

تأمل هذه الوعظة والمناظر المفزعه والضياع بين الفارين.
وسياساء ترادى أي تدارى، وهي رواية كتاب سبب، سبب بهذا القائل
أنت تركوك الآن ورحلته في ماضى، ولم يجعل الدخول الآن وسره فيها مضى،
ولكن الآخر، متصل بالأسد، ولم يقع واحد دون الآخر، قول السير، والدخول يشير به
إلى اتصال السير بالدخول في نحو سرتدماها، والندى مصدر ميمي وهو التندة
ولذلك أن تشرب الإبل قليلاً ثم ترعي قليلاً ثم ترد قشترب. يقول إنها تراد على المباه.
المغيرة ذات الدمن من بيضا، الحياض فإن عافتها فليس لها بعد ذلك مريعة ولا شراب.
ولكن الركوب والسیر.

ومن تأمل هذا، كان هذا نوعاً من كتالیة، جعل فيه الشاعر راحلته رمز
رمز به نفسه، أنه جمل نفسه على أن يرد هذا المورد، فإن عافاه فلا يجد شيئاً، والعرب
تسمي الحقد، الضغبة، دمنة، وتتحدث عن حياض المنايا - وفي سير منصب إلى أمير
المؤمنين على كرم الله وجهه وقيل هو من صاح له:

حياض المنايا ت قطر الموت والدم

وقال كعب بن زهير:

لا يقع الطعن إلا في نحوهم وما لهم من حياض الموت تليل
فقوله "دم الحياض " مع الدلالات الظاهرة على الماء وبقايا الروث في الحوض فيه
معنى ما كان من حرب وعذابة وأحقاد وضغائن تركها ذلك وهو قد أقدم ليشرب من
أسارها موقنًا أنه إن لم يفعل فليس بعد ذلك إلا الهلاك.

فلا تحرمى نائلاً عن جئابة فإنّه أمير وسط القباب غريب

ثم ليس هو غريبًا فقط ولكنه شاعر يعرف كيف يمدح ويفضل سيده
وأنت أمير أفضت إليك الأماني وقبلت رتبتي، فضعت روبك
أي أنت الآن سيدى، وكان في سادة قبلك فأضافوني.

- ٢٤٣ -
وقل بك ربي قوم ملكاً فأضاءوا وغوادروا قفولاً في بعض الجنود. وربتك بنو كعب.

ابن عوف فقد نصروك وانقصروا بك.

فتح فن كعب بن عوف ربيها وغوادروا في بعض الجنود ريب.

قدمنا تفسير هذا البيت من أجل التنبه على جانب اللعب الفلسفى، حيث صار الشاعر من بعد ذكره "ربتي" بمعنى كاتب في أبراهيم وسادنتى إلى ذكره الريب المشتق من ريب وربي الدنيا للقدرة لا للربوبة والسيادة.

ولا يخفى أن هذا دخل في تسجيل كلام الشاعر واتصال اوراه بأوالما يليه.

- ثم في ذكر الشاعر أبي كعب بن عوف اللفظ ذات أهمية بالغة، إذ عسى بذلك أن يكونوا عوناً له في الأمر الذي قدم من أجله أو على أقل تقدير، أن يأمن جانبه فلا يخدروا الملك منه أو يضعفوا من شأنه عنه.

وناخد في المدح وصفة الحرب، فأبدع مع الإيجاز، إبداعاً عزيز النظر، وذلك قوله:

قوله: في لولا فارس الجون منهم // آبوا خزاباً والإياب حبيب

فارس الجون هو الحارث لثويمه بعد أن مدح قومه وجدته وفضلته عليهم، وذلك لما ينفي في مثل ذلك المقام، ثم لم ينس قومه أن يمددهم بأنهم لم يهزموا من جبن ولكن قد صدمهم فارس الجون، ولولا لانصرؤوا أمام خصومهم خزاباً يحمدون النجاة.

فلم يجدوا سبيلها.

تقدمته حتى تغيب حجوله // مظاهر سربانى حديده عليها

وأنت لبيض السدوارعين ضروب // عقيلاً سينوف تخفم ورسوب

وقد حان من شمس النهار غروب

فدل على أن القتال استمر النهار كله وما فضه إلا إقامة الحارث وانباء ملك

الحيرة له فتتته قبل الغروب، فكانه الهزيمة وذلك كان يوم عين أبواغ، وبعد أن صور هذه الصورة الباهرة للحارث، أتم صفة القتال بتصوير ساحته كلها وما كان فيها من عراك.

كما خشخت بين الحصاد جنوب // وقاتل من غسان أهل حفاظتها

- ٢٤٤ -
قالوا إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تمثلت بهذا البيت لما رأت محمد ﷺ
حوالي يوم الجمل، ولله ما كان أعظم تلك من فتنة. ولا زال الذين ثبوا حول
الجمل صنعوا ذلك لعلمهم أن صاحبهم زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها أم
المؤمنين - فغنه صلى الله عليه وسلم لا عن ذات شخصهم كانوا يقاتلون. هذا مكان
الفتنة واشتباه الأمر على الناس. ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً. ولله الأمر من قبل ومن
بعد.

ثم تجيء من بعد الصورة الفنية الرائعة لمشهد القتال بها فيها من الحركة والهول
والمخاوف والأحزان.

كان رجال الأوس تحت لبان، وما جمعت جلًا مما وعيّب
هذا يصف به إشراف فارس الجرون وإحداث جناد الرجالين، كأنهم تحت لبان
هذا الحصن المشرف كلهم أجمعهم.

ثم مناظر الحرب وغبارها وأصوات المنايا فيها من فارس مجدل وفرس عقير
رغة فوقهم سقف الساء فداحب، بشكّته لم يستلتب وسليب
أي مدرّت عليهم رعود الحرب وهوت صواعق الأقدار. وسقي الساء فالسقبر
هو البعير الصغير وهبنا إشارة إلى خبر فصيل ثمود وذلك أنهم لما عقروا الناقة صعد
الفصل ورغة ثلاثين - فكان هلاكهم بعد ثلاثة أيام. فسقبر الساء هنا علم للكارثة
قال الشارح قال الرستم: قائل عقوب ضرب ثمود لهم مثل أي هلكوا أي نزل بهم من
الشوم ما نزل بأولئك.

كأنه صابت عليهم سحابة صواعقها لترهش دبيب
أي ما أفلت فلم تصبه الصواعق لم يقدر إلا على الدبيب من هول الصواعق ولم
يمكن أن يطير.

فلم ينج إلا شبيبة بلجمامها، إلا طمر كالفنفة نجيب
وإلا كم ذو حفاظ كانه - يا إبل من حم الظواب خضيب
هذا الكمي هو فارس الجرون، قفلت صورة القتال. وعادنا إلى مشهد إشراف الفارس
المتصر الذي قد كان بدأ به.
وكا أوجب عليه من قبل حق الرحلة حيث قال:

فلا تعملي نافلة عن جنابة فإن امرؤ وسط القباب غريب

أوجب الآن عليه حق ما أحسن من الثناء عليه

أوالت السودي آناه في عدوه من البؤس والنعيمى لحن ندوب
وفي كل حي قد خبت بعربة فحقق لشأس من ندوب ندوب
قال اليضبي شأس أخو علقمة والذنوب النصيب. وقال أبو عيدة فلما سمع الحارث
قوله فحقق لشأس من ندأك ذنوب قال أذبنة وأذنبا ثم أمر بإطلاق شأس وجميع
أسري بني تميم.

ولما مثله في الناس إلا أسره مدان ولا دان لذاك قريب

وهذا حسن اختتام كا لا يخفى.

وكا رأيت اتصال العلاة وتسلاهما مع براعة التأي، وجودة التمهيد لفكرة تل، وجودة
رد الكلام على فكرة تقدمت. وسياق السلاسل كله في إطار ما قدمنا لك ذكره من عادة
الشعراء أن يبدوا بالنسب ثم يخلصوا ثم يخلصوا بعد ذلك إلى المدى وغيره من الأعراض
ولغض الشاعر الأكبر لم يذكره علقمة إلا في آخر بيت القصيدة ولعو وقف بالقصيدة
عند قوله:

فحقق لشأس من ندأك ذنوب
لكان ذلك اختةما خطابياً بالغاً. ولعله كان الحمام، إلا أن الملك لما قال: وأذنب،
استوجب من الشعراء مزيداً من الثناء وتوضيح مراده من هذا الذنوب أي النصيب
بفتح الذال وأصل معناه الدلو ففال علقمة من أجل ذلك:

واما مثله في الناس إلا أسره مدان . . .

إذا هو يكرم الأسير على أن الأسير لا يمكن أن يكون مثله، ولا يمكن لأحد أن يدانه أو
يقرب من منزلة فضلته وجودة مجده:

ولا دان لذاك قريب.

ولا يخفى أن ه هنا استراحة من انفعال النفس الخطابي وبداية طيبة.

ومثال آخر من أمثلة التسلسل الجاري على سياق عدة الشعراء كلمة النابغة:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد.
وقد يذكر القارئ الكرم وقتنا من قبل عند هذا المطلع وقولنا إنه «أمر ما مثل اختيار
التابعة إسماعي العلايه والسنيد في مستهل المطلع ثم زعم أن ذلك قد أقوى ومر عليه زمن
بعد، ولأمر، لم يقت عند الدار أضيق لا بعد أن مضى الضحا والظهر والعصر جميعا،
ثم لم يجد جوابا ولم يلق في الدار أحدا إلا إلغاء
التابعة قضائده على أجزاء عادة الشعراء من نسب ورحلة وخروج من ذلك إلى
الغرس.
وإضمن كل جزء ألوان من عادة الشعراء فنعت معلم الدار في مقدمة نسبي، ومع أنه
جعل عمودها الطلل الموهش، لم يأت أن ضمن ذلك ذكرى عهد كان معمورا وكانت
الوليدة فيه تعمل
ردت عليه أقاصيه وليدها، خلت سبيل أي كآن يحسي به
ورفعته إلى السجني ففالضداد
أخفها تحت خلاء وأضحى أهلها احتفلوا
وتأمل السجنيين هذين، وقد تلمد قولهم من قبل في المجبرة
قامت ترائى بين سجفي كلها
كالشمس يوم طلوعها بالإسعاد
فهل الوليدة كنائة عن المجبرة؟
وقوله بعد هذا:
فعمدها مضاوى إذ لا ارتجاع له، وإن القتلى على عيانة أجمع
ليس منقطععا باب قيبل بل متصل به، إذ قد أختى على الملائكة ما أختى على لب من الفناء
فلا معنى لإطالة الوقوف عنه، ذلك زمن مضاوى فقد عنه، وأقبل على زمن جديد.
نظر التابعة لا ريب إلى طريق الانقطاع المتصلى الذي جاء به علامة حيث قال:
فقد عدها وصل الهمعك ببصرة كهيب فيهما بالرداف خبيب
ورب قائل أن هذا سبيل مطرقة من مذاهب شعر العرب، وهو كذلك، إلا أن
الشعراء ينتر بعضهم إلى بعض في الدقائق من صور وطريقة لفظ وإيقاع وأنواع
أسلوب. وإمضار علامة بعد أن وفى بابا حقه من القول فأصبح الانصرف عنه
لازما، وهكذا صنع التابعة وعلامة سابق فقد اتبعه. ثم جانس علامة بين الهم وهمك

٢٤٧
في قوله "كَمَالِفِهَا" لم يغل النابغة من روح مجازنة خفية - أو قل مقابلة - بين «رفعته إلى السجين» وبين «وأنتم القعود على عيرانة» ثم أقبل على صفه الناقصة:

فقال:

مُقَذَّفَةً بِدُخِسِ النحب بِازِلَا لَهُ صَرِيفُ القَعْنَو بِالْمَسْدَد والقوع البكرة. والبحر تكون عند الحاضر فصلة هذا المعنى بالوليدة ومقام الحي كما ترى.

ثم لما أخذ النابغة في وصف الناقة والرحلة ضمن ذلك ما اعتذه الشعراء من الاستطراد إلى نعت الوشح. وصيغة هذا كصين عقلمة حيث قال:

وَنَاجِيَةً أَفْنُى رَكِيبٌ ضَلَوعَهَا وَحَارِكَهَا تَهْجُرٌ فُدُوءً مولَّىَةً تَنَفَّذُ النَّفَيْسَ شَبَوب تَفَقَّعٌ بِالْأَرْطُقِ لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالٌ فِيْدَتَ نِلْهِمْ وَكُلِّب

إلا أن عقلمة جعل المشبه به بقوة وجعل النابغة شورا، وتأمل اختيار النابغة إلفاظه وما خالط ذلك من روح معاني الغرض الذي هو سبيله:

كَأَنَّ رَحْلَ وَقَدْ زَالَ النَّهْجُ بَنَا بِذِي الجَلِيلِ عَلَى مِسْتَانِسٍ وَاحِدٍ

والمستنص الوحد هو الشور الوحشي الذي أحمس أو توجس نبأة من الإنسان فخفف والجليل الثامن ذو الجليل موضع أو مكان ما فيه هذا الجليل فأشار إليه بما فيه وهو مقبل على أمر جليل وهو وحد ومستئن.

وقد اخترع عقلمة الوصف لأن أربه صفة انخراط سبب وجده وتشميه حتى يبلغ الحارث الوهاب. ولكن النابغة قدس إلى معنى من الكناية وهو في طريق المتذر المتهد المؤمل الحذر إلى النعوان - هو هذا الثور المستنص الوحد. والوشاهه هم هؤلاء الكلاب، وقد انصر عليهم:

شَكَّ الفِرْصَةَ بِمَلْدِرٍ فَأَنْفَذُها شَكْ البِيطَرِ إذ يَشْفَى مِنَ العَضَـدْ كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جِبَّ صَفْحَهُ سَفْوَدُ شَبُر نَسْخِوَهُ وَاحَدٌ مَفْتَاد

فظل يعجم أعلى الروق منتقبًا - في حالك اللون صدق غير ذي أود الذي ظل يعجمه أعلى الروق هو الكلب ضمان. وتأمل إلى تضوره هذا - في حالك اللون - هو قرن الثور الأسود المستقيم كالنسان. غير ذي أود أي ليس به أعجاج. وقد

٢٤٨
قلنا من قبل في أخريات حديثنا عن الأوصاف: «ولك أن الكفل المتضور في دالية النابغة هو أحد هؤلاء الفشاحة»
لما رأى واسق إجعأص صاحبه ولا سبيل إلى عقل ولا قعد، قال لى النفس إن لم أرى طمعا، وإن مـالا لم يسلم ولم يصاد.
وأشار هذا كلف آخر وواضح آخر. ولنحص الخبر الذي ذكره أن المتصل الشكرى كان يختلف إلى المتجرة، وأنه عار من وصف النابغة لها وكاده عند النعياح، ثم إن أمه هو قد عرفه النعيان من بعد فحسه وورك به عقبا فعذب أمه وأنه قال:
يطـوف في عقب في معـيد، ويضرب بالصلمة في قفـيًا وقتله آخر الأمر- لنحص هذا الخبر فضمان المتضور المقتول هو المتصل، والروح الذي شك الفرصة فأنجذها هو شعر النابغة. وواضح هذا واش آخر أثر السلامه لما رأى هلاك ضمران.
فلو تبلغني النعيان إن لمـه فضلاً على الناس في الأذنيين، وبعـد رجع إلى ما كان فيه من أمر الرحلة والناقة وجعل ذلك خامتاً لهذا الجزء الذي أطل فيه ووفاة حق القول فيه. ثم إنه لم يترك اتباع علامة ونظر الشديد إليه - فكما طريقة قوله فقد عما مضى إله كطريقة قول علامة»فدعها وسلل لهم منك إله»
كذلك قول هذه، فكلك تبلغني النعيان إله، طريقة مثل طريقة قول علامة: إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكلكله والقصرين وجيب
وعجز بيت علامة تنميم لمفعوم قوله«أعملت ناقتي» فوصف حال إعاليها من اضطراب كلكلها ووجب أضلاعها القصري. وسائر بيت النابغة من عند آخر الصدر إلى آخر عجزه تنميم وفسير للمفعوم المتضمن في قوله»فلن تبلغني النعيان« إذ هو لم يتبع اسم النعيان وصفاً بدمحا به وينغنه عن الشرح كما فعل علامة حيث قال: إلى الحارث الوهاب - فهذا التفسير المصدر ين وفها ما تعلم من دلالة التوكيد، هو بمنزلة قول الحارث الوهاب، وينظر إليه ومحاكاة خفية له.
نعتشارك على الأقوام من أحد قه في البرية فاحدها عن الفنادق ينون تدمر بالصباح والعهد تنهي الظلام ولا تقعد على ضموم سبق الجواء إذا استودى على الأبد قول إلا سليمان - يجري مجرى البالغة، إذ ملك سليمان كان يضرب بمه مثل ما كان له ولوزيره أصف بن بريخيا من الأسرار ومعرفة الاسم الأعظم والمقدرة على تخصيص الجن ومسخرها. ولبن صح أن النعائين قد كانت أمره من بهود، فعن عماد يكون النابغة قد أشار إلى ملك سليمان مما يعلم من حسن موقع ذلك عند النعائين. قوله «ومن عصاك نعاقب» يتضمن تربة نفسه كأ يتضمن التعريض بالوضاعة والإشارة إلى ما حل بالمنزل من التكال. وقوله ولا تقعد على ضموم أي على حق، ولكن انتمق ولا ينفر النابغة من أن يكون قد دخل إلى معنى الضياء وهو أن يكون للمرأة خليلان أي ولا تقعد على أن يكون ذلك في أمرك منازع أو شريك. والعاصي منازع وطالب للمشاركة في سلطان من بعضه - ورأى هذا المعنى أقرب، ثم فيه من التعريض بأمر المنخل ما فيه. والضموم
بسكن الميم كالضياء معنى والفتح كثيراً ما يعقاب السكن.
وأما ينفي باستقاوة المعنى على ما تأولناه من أن المراد ولا تقعد على عصيان عاص يناغع
في السلطان ويروم أن يشارك فيه، قوله من بعد:
إلا ملك أو من أنبت سابقه
ليس لسليمان مثل. ومن يكون سابقاً هو له، فهو وزير وعلى كأصف بن بريخيا. وما أرى إلا أن النابغة على المتجمدة إذ هي القريبة من النعائين كسرية من وظيفة. أم هل يا ترى على النابغة نفسه؟ أم على الأسر الذين؟
عسي ذلك أن يناسب قوله من بعد:
واحك كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سœuvre وزاد الثمـامـد
والشبد بالمتحريك الماء الپـٌّل في دارمكنا "الشبد" بصيورة النهاء تاء وزرومان أن محمد
أحمد المهدى رحمه الله سأله أصحاب الطرق ما يصنعون بطرقهم وإن تبعوه فقال لهم ما
معناه وأبعض لفظه "من كانت له معدة وجهاء البحر الكبير فما يصنع؟"
وفاتة الحي هي زرقاء اليباهة وذكرتًا من خبرها وهي معطوف على قول الآله قبل: "قم
في البرية فاحددوها" "وخييم الجرن"، أفعال الأمر - أي واحكم بنظير ثاقب بعدد كـ
صنعت زرقاء اليباهة إذ قالت حين رأت الحمام وقد عرفت عده:
لبت الحمام ليــه
إلى حامتهـه
وتحفظـه قديـه
تم الحمام ميمـه
فحاسبو فآلفـوهـا كـا حسبت تسعا وتسعين لم تفص وللم تزد
أي تسعا وتسعين بعد إضافة النصف إذ كان عدد الحمام سنا وستين في إضافة حامتها
بصير مانه، ولعل الربانية الصحيحة "سنا وستين لم تفص وللم تزد" ولكن هكذا هو في
النصوص "تسعا وتسعين" والدلالة واضحة على كل حال.
أم ليس في ذكر داخل الحي هنا ظلالا من الفوليدة ذات المسحاة في الثأد، ومن مئة التي
في المطبع، ومن مئة التي في:
أمم آل مية رائحة أو مغتدى
وفي المجردة.
ومهما يكن من شيء فقد الكلام متعلق إذ قد رجع التتابع إلى ما بدأ به حيث قال:
أعطي لفارهة حلو توابعها"، إذ سباق الكلام هكذا.
ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحوال من الأحوال من أحد
أعطي لفارهة حلو توابعها من المواهب لا تعطى على نكـكـد
ففصل بين مفعول الروحية الأول ومفعولا الثانية بتقسيم ما استناده وهو سبيلاً عليه
السلام وما قصة من أمر الآله وأنجح فتاة الحي لسبيل، للإشارة الخفية إلى المجردة،
واللإبعان بأنه مظلم، وأن على المعان أن يحكم فيه فواحك المنصف المبني على صدق
النظر، وإذا جررتهما ما كان فيه من مشاية من وشي به إما في أمر قصدية المجردة وإما في
ما زعموه أنه هجاء وقال: "وارث الصائغ الجبان الجهولا" يعرض بأمه سلمى بنت

--- 251 ---
الصائغ اليهودية، فمناسبة خبر سليمان وفية الحلي لذلك ظاهرة.
ثم زاد النابغة سيده مدخا:

الواهب المائة الأكبار زينها
وسبة ذات من ذيل المطر فنفها
والخيل تمتع غبرينا في اعتنتها
أي يُيب الخيل والجوارى، وقوله الساحرات ذيل المطر من قول امرئ القيم:
خرجت بها أمسى نجر وراءنا
على أثرينا ذيل مرت مرحل
فنقها يأ جعلهن جوازي منعيات.
وذكر الطير الناجية مناسب لما تقدم من صفته الحرام وقوله:
ينفى جانبا نيا وتبصبه
مثل الزجاجة لم تتجل من الرعد
مثل الزجاجة يريد صفاءها وأنا شفافة وأنا كالمرأة أي عينها.
والأخير قد خيمت فتلا مرافقة مشودة برجال الحيرة الجدد.
الأدم إبل وهي البيت هنا، وميزة من المائة الأكبار، إذ المائة الأكبار مال يقتني، للبن
والمنتاج ولذل ذلك جعلها أكبارا لتطوق مدة الانتفاع بها ويكتر ما تلد. أما هذه الأمد
فراحلا وهي الإبل الصدفة المؤثرة بقوتها على السير ووجودهن ركابه. وإذا أغلب
النعمان بها أحسن من الماء على سخته، ثم في ذلك ما يناسب تأمله، أردد بالخفف
والنبري، وأشرب حلقه فهو يروم أن يجعله موجزا قارعا للسمع، نوع تفصيل ملائم لم
تقدم من تفصيله في صفته الدار وفي صفته النور، وفي خبر سليمان وخبر فتاة الحي.
منسجم التجاويب مع ذلك كله:

فلا لعمر الذي قد زربته حججا
وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن السادات الطير يمسحها
والمؤن السادات الطير يمسحها
تأمل ذكر الطير والعياب والأمن
ما إن أتته بشيء أنت تكرره
إذن فلا رفعت سعوتي إلى يدي.

٢٠٢
إذن فاقتنا فلا أرجع أحدث ناقتلى إلى دياري بسوطي، إن كنت حقا تعتقد أني جئت بشيء تركه، إنها وصفت كا أمرتي وأما الهواء فهو قول افتراه على من تعلم، وهو لك حاسد، ولفضلك جاحد.

إذن فعاقيني ريي معايقة قررت بها عين من يأتيك بالفند.
لم يكشف النابغة بقوله"إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي" وهو الموت، ولكن جازه إلى ما يكون أشد من عاقب الموالي الذي يعلم السرائر، وذلك ما لن يكون، كا لن يأتي بالحسد والفند أحد وتقر عنيه بأن يرى النابغة حل به عاقب الله، لأن هذا الآتي بالحسد والفند هو نفسه قد حل به عاقب الله.

هذا لأعبر من قول قذفت به طارت نوافذ حرا على كبدى.
ثم مضى في تبيئة نفسه، وعاد إلى مدفع النابغة فشبه هذا الشبيه الرايع بالفرات:
فما الفراص إذا جاشت غواريه
ترمى أواذيه العبرين بالزبد
فيه ركاب من البيحات والخضرد
يميسسه كل واد متعر لجب
قيل من خروفه اللال معتصبا
اللهيرات بعد الأين والنجد
ولا يجول عطاء اليوم دون غد
ويوما بالأجود منه سيب نافلة
أثبت أن أيا قابوس أوغبني
ولا قرار على زار من الأسند
وهو هذا البيت بارع – إن شاء النعيم حمله على أن النابغة قدم إليه على خوف منه ما سمع بوعده. وإن شاء جعله اعتذارا عن ابتعاده عنه وجلوته إلى الغسامة. وقد علم النابغة أنه قد بلغ ما أراد من استلال سخيمة النعيم بهذا القول الصافي والعباب النبيل
والاعتذار المشرق.

هذا الثناء فإن تسمع لقائاه
فما عرضت أبيت اللعن بالصفد
والصفد أي العطاء دليل الفبول، فقد عرض به كي ترى. وتأمل مكان هذا البيت،
أليس كمكان بيت علقة:
وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لنشأ من نداد ذنوب.
ثم جاء ببيت الختم يرتاح به كا صنع علامة:
ها إن تا عادرة إن لا تكن نفتة فإن صاحبها قد تاه في البلد.
وهو يعلم أنه لم يته ولكن بلغ النعوان وأبلغه ويحسبنا هنا هذين الشاهدان في التسلسل على حسب سياق عادة الشعراء في القصائد ذوات الطول.
وقولنا عادة الشعراء مأخوذ من عبارة الجاحظ إذ أشار إلى أن الشعراء تجعل الكباب تقتل الشور في النزاهة وما أشبه وتجعل الثور يقتلها في المدح وما أشبه، وقد سبقت الإشارة إلى هذا القول من قبل، وعن الجاحظ أخذه ابن رشيق ومهمذ من ناقد ونحيل القارئ، بعد على قصائد أخرى فيها مثل هذا التسلسل أو قريب منه، منهن مثل:
لايمية عبده بن الطبيب:
هل حبل خولة بعد الهجر موصول
على ما في أخربها من مشاهدة ميمية علامة
وقصيدة بشر الميمية الوافرة وأختها الرائية وكلتاهما مفضلة وقد اختصر الأجزاء في الميمية حتى كان قد وثب من جزء إلى جزء والتسلسل مع ذلك لا يخفى، وقد اكتفى بحركة الحرب في الأبناء عن الرحلة في الرئية، وأطل سيفا في مقدمة النسب ومذهب بشر في كلتا القصيدةين يشبهه كثيرا منذهب أصحاب التقائض ومذهب جريج والفرزدق من بعد.
ودائمة ربعة بن مقروم المادحة الطنانة:
بانت سعاد فأمسى القلب معمدا
من ذات التسلسل وقد مر عنها الحديث
وليقيس ما لم يقل.
ثانيا: التدرج
التدرج ضرب من التسلسل إلا أن الانحدار درجة درجة أو الإصعاد درجة درجة أظهر فيه من اتصال آخر حلاقة من الكلام بها بلها. ونعيد ما قلناه مارا قبل من أن الشعر تتداخل أصانعه، وكذا قد رأيت من تداخل صني التسلسل، كذلك يدخل فيها التدرج إن لم الشاعر ما يقوله عليه عفو أو عن تعمد، والتدرج منه محض ومنه ما يساقي على طريقة عادة الشعراء فمن أمثلة التدرج المحض:
كلمة سلامة بن جندل:
أودى الشباب حيذا ذو التعاقيق
واتبادنا على رواية المفضل.
وأودي بذلك شأو غير مطلوب.
وعبدناها مقدمة نسب، وما كان أغنيه عن ذلك.
وأدخل بعضهم بعد ثالث أبيات هذه الأبيات.

وقد يسعد الجار والضيف الغريب بنا
وفي مباركها بزل المصاعب.
والسأئلون ونغمي مسر النيب
والسأئلون ونغمي مسر النيب.
مثلاً النهاتة من الجوار الخرافي.
لم يعفرنا دنس تحت الجلابيب
محدنا يسير به غادي الأراك.

وفي هذه الأبيات الصوتة قواف خمس على وزن الفاعل وما بمجارها ووزن من صيغة
معتهي الجموع والتتأمل لرواية المفضل التي رواها القاسم بن محمد بن بشار غريب واجد
فيها ما يشبه هذه الكثرة من هذه الصيغة. وقد تكررت الخرافي كما ترى، وإن يك
ذلك في نفسه ليس بعيب كبير، إذ كان الإبطاء مما يرد عند القدماء إذا كان المعنى الجيد
يقتضيه مع تجويد النغم.

الأبيات السنة بعد قلقة الموضع في هذه البالية الجيدة تتابع الإيقاعات واتساق المعاني.
وغير بعيد أن يكون المنون أدخلوا هذه الأبيات. وهي لشاعر آخر.
تدرج هذه البالية على هذا النحو:
بدا ببكاء الشباب:

لا أذكر أني استعار قوله "شأو غير مطلوب" من أمر الخيل والسباقي، ولذلك في
القصيدة من بعد مكان ظاهر، وهذا وحده عندني ما يبطل رواية من صدر هذه
القصيدة بسبب سوء هذا الذي يكي به سلامة الشباب .. ثم مضى في تصوير هذا
الشأو الذي لا يطلب ولا يدرك:

لو كان يدرك ركض اليعاقب
ويكون يدرك ركض اليعاقب هاولنا أن ندركه. قالوا اليعاقب أي التي،
والأيقانه عزاز، وهي عزاز، وهي عزاز.

- ٢٥٥ -
عقيل بن بلال بن جرير الشاعر، إن اليعاقيب هنا الخيل ذات العنق بفتح فكسر، وهو الجرى بعد الجري، ذلك بأن الركض إذا يقال للمخيل لا للطير إلا أن يسمى اندفع الطير ركضا على النشيبة. ولك في الركض أن ترفع وأن تنصب والنصب رواية أبي عمرو أحبسه الشبياني، أي لركضنا ركض اليعاقيب.

أودي الشباب الذي جد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب.

هنا درجة - أن الذي يفيء بعد الشباب الجما والمال والتجارب وهذا الذي سياج المجد بما يشمل الجما والمال والتجارب وقد يزيد ولكن لا لذات هناك وما طعم العيش بلالذي. ولك في لذات في تأذها الكسر والفتح، وأحسب أن أبى الطيب قد نظر إلى هذا البيت إذ قال:

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت من بحلمي الذي أعطت وثبب
قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وقد ركب نفس البحر والروي
ثم يقول:

يومان يوم مقامات وأندية
ويوم سير إلى الأعداء تأويل

أي المجد الذي هو عواقب الشباب، هو هذا - جد المجالس وجه التشمير للحرب والحب إذا كانت يعشرها الشباب، ولكن الشيخ مدبروها ورؤساؤها باعثهم إليها الحزم والجد والعفر والواجب. وقد يجد الشباب في عذتها لذة - ثم معها الغنيمة والسبب

ولكن سلامة هنن يؤكد معنى الجد ويلح عليه:

ويوم سير إلى الأعداء تأويل

النبيه هننا على قولته تأويل وفيه دلالة على اتصال السير إذ التأويل سير يوم إلى الليل، ثم يكون في الليل السري هذا في طلب الأعداء. ثم بعد الغزوة الرجوع، وقد أخذ الكلال وما تصنع الحرب من الخيل والزواحل والرجال وأذنها.

وكرنا خيلنا أذناها رجعا كس السنابك من بدء وتعقيب
وهنا درجة

انتقل من بكاء الشباب إلى صفة حال المجد
وانتقل من السير إلى العود بالخيل وقد تثملت سنابكها، وتامل الكافرات والسين والراهم
وأجله، ونتظر أي مبلغ يبلغه الافتتان في بيان هذه اللغة ورابع إيقاعها
والعاديات أساس الدماء بها: كان أعناها أنصبات ترجيب
من كل حز إذا ما ابن ملائمة
صلال الدين أسين الخد يعبدو
فانتقل كأ ترى إلى نعت الخيل، وجببها بنين، وكذلك جبه هذه الأسماح التي تعظم
وتنحرها، وندبذ الضحكات. وجعل بعضهم سلام في شعراء النصرانية، وهذا من قوله كذبه، وقد طفأ إلى ذلك المستشرق البراع ليل ونهبه عليه كا ذكرنا لك من قبل،
الحشت السريع واليبعوب الجواد الساعي الجري كأنه عيب وكأنه بحر وأسباب الدماء
طراهان الوحدة إبساء وقاوا الأسماح ألوان الدم وقريب من الأسماح بهاء بعدها ياء
مشيدة، وهذه لا واحد لها وجهها سلام في كل مت له، وقرب منها الأسماوا، بلا
تشديد، منقوشات وهي الدفعات وكأنها جمع لاستوئ ووجهها سلام أيضا.
ثم أخذت سلام في نعت الخيل وكان بها عالمها، جعل ذكر الجد ثم ذكر السير ثم ذكر
الرجوع والعادات كل ذلك درجات إلى نعتها - وقد رد بك قوله أنها رجعت أدرجها
فكان زعما أنه تدرج فيه بعض النظر إلى هذا اللظف.

ليس بأسفي ولا أعني ولا سغب
في كل قائمة منه إذا انطفحت
كأنه يرفقه نماس عن غم
يرقى الدسيع إلى هادله بتع
جعله العنت كدمداك العروскую
ودع صفي من قبل كأنه أحد الأسماح الرجبة، ولم ينس
ذلك لمكان الخضاب في هذا البيت بقري منه ما قدنه من أن هذا مقال عربي
تقره الأسماح إلى ربه لفظ لا مقال نصراني - وكان العرب - حتى في جاهلتهم لا
قلعون من نظر نافر عن النصرانية وبعض ازدراء يذكول على ذلك قول جابر بن
حتي:
وقد زعمت بهاء أن رماحا
رماح نصارى لا تفوض إلى الدم
وما كانت لقوله بهاء وحدها.
وقد مر شرح الأبيات المتقدمة إذ قد استشهدنا بها في باب الأرواح من الأغراض عند
ذكر الخيل
ظاهرة النفي فيه فهو مستيف.
وقد انتقد الأصمعي قول أبي ذؤيب:
قصر الصباح ما فشج خليمه
والذي ذكر أن غعب هذا البيت من قول سلامه. وما أشبه أن يكون سبب ذلك أن سلامة
لم ذكر النفي أي الشحم ذكر منه الرياضة والتضمير الذي يذهب به وهو قوله:
يعطي أساهي من جري وقراب.
ولم يذكر أبو ذؤيب شيئا من ذلك وقال زهير:
غزت سهاناً أفبت ضمراً خدجاً
ومن بعد ما جنبها بدناً عققاً
فذكر مع السمن التضمير.
من أجل هذا ما زعم الأصمعي أن أبو ذؤيب لم يكن له علم بالخيل، وربما يحال عليه
إلى ذاك، فالخثير وسلامة عادر وإن لم يجسدي كما احترس. وأخطأ ليل نذكر إذ أخذ على
سلامة قوله "ظاهرة النفي" وإنها أي من مقال أبي سعيد في أبي ذؤيب والأمران لا سواء.
ثم يقول سلاما:
كم من فقيه إذن الله قد جربت
ومذ غنى بـْؤاتته دار محروب
فهذى درجة صار منها إلى خير الحرب ووصف ثم إلى الفخر، فإن ذن الله ليس ما
يقوله النبي الصارى. وكان العرب قبل الإسلام تقول إله بيننا مع الشرك أهل
توحد، وخاصة عند الشدة، والحرب شدة، وقد استلمت أبي جهل يوم بدر فهاق بهم
ما كانوا به يستههنون، وقد جاء وصف الحرب من بعد فقال سلامة يذكر الخيل فهذا
متصل يا قبلاً ثم يذكر الحرب فهذا درجة لما بعده:
ما تقدم في الهيجا إذا كرهت
في هذا أيضاً كالرجة إلى قوله:
العاديات أصابة الدماء بها
ثمن أخذ في الفخر، فهذا زعمت أنه تدرج
هتم معهد بنها فتهنها
بال شم ومضلى لستها
لتمظنون ولا سوء جم بايبة
عليو أستهافتان عادية

-258-
وقوله "عادية" فيه رجع من صوت "والعاديات" - وقاله "فتيان عادية" في معنى الشباب إذ القوة مع الشباب. وكا الآن هو مهرب "قديم" [كما يقال الآن في زماننا] هذا لقد كان من قبل مهاربا فتى، فهو يحرك قلوب الفتىان بها يقص عليهم من نبأ أمهما اللاتي مضين. ولعمري ما أنسى إذ قال:

ولناذ للشاب،
والجارح أدر منه إذ ذكر أن الحديث من لذات أهل السـن أو لا لذة لهم سواء، وهذا الذي أقبل عليه سلامة من حر القول ومنذوله أبا لـذا تأمل تجاوـب أصوات الألفاظ وألوان التكرار - تكرار الطعان وهـاءات هنها - هـمـ حـاـ مـ صـ صدقات - مـ صـ قـ ألـ تكرر فـ فـ أـ سـ مـ أـ ستـها في مـ صـ قـ ألـ تكرر أـ سـ مـ وـ في يـ جـ لـو أـ سـ مـها وهي بقرب من معناها.

ثم انظر إلى قوله: لا مقرفين ولا سود جعابين.
وكان حرص العرب على الأنساب كالجنوين بأمرها، وكان الس رو فيهم غير قليل، وذلك أن عنصرا من الس رو هم أصل في جزيرة العرب، وصلة الحبشة باليمن قديمة.

و قال كعب:

إذا رد الس رو التنايل،
و قال الـنابـغة:

ليست من الس رو أعاقا،
و قال الأحـلـب:

فإن نـ لب عن حرام بن وائل، فليس لنا سودا بـ صـ ديق.
فلم يرض لا عن الحرام ولا عن الس رو كان تربي.
و قال جرير: أراب سواد لو نكم أرابا.
و قال عقـيل بـن غـلـفة:

ردت صحـيفـة القـرـشي ما أبت أعرـاقـه إلاحرمًا.
و قال الفـردـقـ يهجو إبراهيم بن عربي - إلى الـيـامـة وكان أسود يلس ثيابا بيضا.
تـرى مـنـبـ العـبد اللـبـيم كأنه تـلاـثـة غـرانـ على وقـوع
يعـني وـ جـهـه ـ وـ كـ فيـه. ونـ حوـ من هـذا هـ جـي به الميـرة بـن شـعبة، قـال الشاعر فيـه:
فـ قـ لـ جـ عـ بـ يـ ستـن فيـ لـ بـ نـ.

209
وقال أبو عرار يعتذر عن سواد أبته:

فإن أحب الجن دا الملك عدم

وإن عرارا إن يكن غير واضح

وقال الفضل بن العباس اللهبي:

أخضر الجلدة من لون العرب

وأنا الأخضر من يعرفي في

ففر من السود وجعله خضره

ولحشدة عصبة العرب من كان منهم أسود عد عروة نسبه بياضا، وعلى ذلك قول عترة:

إني أمرأ من خير عبس منصب شطرى وأغهى سائره بالمنصل

وقال عبد الرحمن بن عوف وهو من المبشرين ومن أهل الشورى لبلاء وهو من المهاجرين السابقين الأولين رضي الله عنهم أجمعين في يوم بدر يا ابن السوداء، وما قال ذلك إلا عن مودة له بلا ريب، وذلك حين رقبه أمية بن خلف في الفداء، وكان من صناديد أهل الكفر، فأبا الله أن ينحو - وكان بنو جمع رهط أمية خضرا - أصل سوادهم من عرق هندي كفا في لامية أبي طالب:

بنو أمية عابودة هندكة

بنو جمع عبيد قيس بن عاقل

وقد نسهم أبو طالب هنا إلى سفاح من أصل رق.

ولمعنن العرب في الأنساب والألوان وكتبت مطاعنة بعضهم في بعض حذرهم الدين

من أمر الجاهلية ونهاهم عن دعواها وقال تعالى: "أبيا الناس إذا خلقناكم من ذكر وأنشي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خير ".

وما طغى كتاب من كتب الحكمة والدين منزول من السياء أو من عمل الفلسفة فيها بين أفلاطون وأرسطو ورويس وماركس بجعل ما قطعت به القرآن في هذه الآية من الحاجرات

وفي آية فاطر "أل ترأ أن الله أنزل من السياء مأ فأخبرنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد يصب وحدها خلف ألوانها وغرابي سرد ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشي الله من عبادة اللهو إن الله عزيز غفور. " فالملاطيات

والحيوان والجذور والنبات أصلهم كلهم هذه الأرض وهم سواسية في الأصول سواسية

فيها يتفن منهن من الألوان.

لقد ولد لسلامة بن جندل:

لا مقرين ولاسود جعابي

كأنه يعبب بالأول ربيعة لدمانهم الفرس والروم وبالثاني أهل اليمن وتباهة لدمانهم

بلاد السودان.
ثم استمر في تكرار السين وأسنة والسن
سوها الثقاف قناعاً في محكمة
زرقاً أستههارا مثقفة
اختلماو في تأويل البغاصب والظاهر أنهم يقتلون بها الروساء ويرفعون رؤوسهم
وبسوبب القوه سديدهم، ولا يغب عنان الإلزام الخفيف بين البغاصب وبين الرماح
العوامأل أي التي تعمل أي تهن
وتأمل اللفاق: قناعاً الثقاف - قليلة - زرقاً مثقفة - مقيل
كأنها برفقة القوه إذ نقلوا موائج البر أو أشنان مطلوب
قوله: أشنان مطلوب: تخصيص بعد تعميم أي كبنى جبال الآبار - لا بRails
هؤلاء البشر التي تعلم
كلا الفريقين أعلاهم وأسفلهم
يشقى بأرماحنا غير التكاذيب
بعد أن أمعن بصفة الخليل، أمعننا بصفة القتال، وبعد أن كان الكلام عاماً: "يجلو
استه او فتاة عادية ينفذ أخص فدنا على أنه هو الذي ثقف القناع بين آخرئ مثله
من قوهم تفوق قناعه ثم أشرعوه إذ قاتلوا به ثم حرقوا العدو وقثلوا الروساء وكأن
أرماحنا أشنان مطلوب
وتنسق هذه القمة من قوله في آخر الصفة
كلا الفريقين أعلاهم وأسفلهم
يشقى بأرماحنا غير التكاذيب
فهذه نون الجمع المتكلم وهو منهم بل هو شاعرهم الناطق بلسان حالهم، ثم نعلم أنه
كان مشاركاً في القتال ودجده كل المشاركة بقوله:
إني وجدته بني سعد يفضلهم
كل شهاب على الأعداء مشهوب
ودينا وجد ذلك من فجرية. وكشف عن أن الذين تحدث بلسانهم هم بنو سعد فأتت
خري كاف هذا التذجي الذي تدرج به هذا الفارس المحارب "القديم" من بكاء
الشاب في قوله: "أودي الشاب" وإدعاء "أن لا لذات للشياب"، إلى قصة خبر بلائه
أيام شبابه وتدلها بذلك إلى مائر قومه وجدهم الذي هو من بناته، ثم لا أقر هذا
المعنى عند سامي عليه، خصص إلى الفخر بني تيم ثم بني سعد قوه ثم جعل الفخر
بضمير المتكلم الجمعي، كنا ونحن الآن كذا كذا
إني وجدته بني سعد يفضلهم
كل شهاب على الأخاء مشهوب
وكل ذي حسب في الناس متمثوب
أي كل ذي حسب متمثوب في بني غيم وهم الناس كل الناس

٢٦١١
قوم إذا صرحت كحل بيوتهم
عز الذليل وما يؤوي كل قوضوب
القرضوب الفقير
ينجتهم من دواهي الشر إن أزمت
صبر عليها وقبص غير محسوب
القبص بكسر القاف العدد الكثير الدثر. غير محسوب أي لا يعد من كهته
كنا نحل إذا هبت شاقة
بكل واد حطيب الجوف مجدوب
بجدوب أي مذموم، يخفه الناس خصبه إذ لا يكثر فيه الحطب إلا وهو خصيب، وهذا
كما لا يخفى من اللعاب النفوسي أن يكون حطيبا مجدوبا والجدوب لا يكون معه خصب
من حطب أو مربي. وإنما تعمدا مكان الحطب لكثراهم يرودون ويطبخون ويتقاتلون
بماهم عيا حازوها فمعوهو
وتأمل كيف تدرج إلى قوله كنا بعد أن كان الكلام إختارا عن قوم هم عز الذليل وماؤري
الفقير ففسر العز بالقوة على منع أنفسهم. ففسر الإياس بما في الحطب من الدلالة على
الطعام والطبخ والكرم.
ثم أطلقنا صورة هذا الوادي الحطيب الجوف بعد أن أقاموا به يحومه ويكرون نزلتهم
باغي قرى الضيف عندهم فيه
شيب المبارك مدروس مدافعه
هناي الحري قليل الودق موظنوب
أي بعد أن أقام به الناس يجتبطون ويرعون ويتقاتلون خلاً من كل نبات فمباركه غير
شيب موظنات تتبع عليها الوطاء والديناس. وفسر بعضهم شيب المبارك بالثلج
والتفسير قول أبي عمر أن الحساب الشيخان أنه ليس بها كأنا فهي بغض، قال أغر لبعد
أحلامه، لا من الصقع لأن الصقع معه بل فلا يكون جدبا.
كنا إذا ما أتانا صارخ فزع
كان الصراخ له قرع الطنبوب
والهذا كما هو فاخر، هو أيضاً تنبيه على فضيلة النجدة وحث عليها، »الفارس الماجد
القديم« بذلك جدير. قرع الطنبوب أي التشمير والطنبوب عظم الساق
وشد كور على وجناء ناجية
وشد سرج على جرادة سرحوب
هذه حال ه_suspend to the paragraphs above_ن موضوع التي الحب، يمتنون الأيل ويجبون الخيل، ثم في الكلام رجعة إلى
اصداء من صوت الووصف والتفصيل والنسبة إلى ذلك مما امر من حديثه من قبل.
ولا تلاحظ تتابع الجمل - بجانب - ناجية - سرح - جراد - ثم تجمع السنين والخالا من بعد ولا ينسي الكاف ولا الخاء ولا الظاء والصاد للسنين أخت: يقال حسبا أدنى لمصنعها وإن مصاند بك كل عملوب حتى تركنا وما تتيني ظلانيتنا يأخذين بين سواوات الخط فالسروب لما يخشى من أحد. هكذا كنا فمثنا فكونوا.
وما تدرج فيه على سياق عادة الشعراء نونية العبدي أفظام قبل يبنك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني و قد مرحنا الحديث ولكن نبه ها هنا على هذا الجانب من إحكامها ووجدتها وربطها - وذلك أن الشاعر جعل النسب ثلاث درجات أخريات خرج إلى الرحلة وجعل الرحلة ثلاث درجات أخريات خرج إلى عينه، وجعل خاتمة الكلام ثلاثة درجات أخريات الحكمة وهي التي من أجهلها قال ما قال، وقد كان الملقب حكيميا، وكانت في عبادته كيا من بعدا ومباربه فارس والهند والنبط فصاحة، ومن الله عليهم أنهم لم يكونوا من أجله الفيدة فالวลيد العبدي رضي الله عنه وحزمه، وهو الذي قال الشاعر في أحد الذين من ذريته:

پـساحم بن المنتذر بن الجارود
سرادق المجد - عليك مـصدود
والشطر الأول من شواهد الكتاب في باب ما يكون الاسم والصفة فيه منزلة اسم واحد ينضم فيه قبل الحرف المرفع حرف ونكس فيه الحرف الجموري الذي يتضمن قبل المرفع وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف وهو ابنم وأمؤد - قلت وهذا من بارع الأفعالصاحب الكتاب وأستاذ الحديث إذا ما ذهبها قالوا إن الراج من بني الحرمات أحسب أن قال ذلك أبو عمر الجرمي رحمه الله.
أما درجات النسب الثلاث فإن فاتمة كينية فقد كانت فتى شعبية فهذه درجة وصف الطباع في الطعائع معها مع ما يقال ذلك من غزلا، فهذه درجة. ثم التعبير على أن الذي بان ليس هو فاتمة بمنعها ما منبت ولكن هو الشاعر بكره يائده وصدده:

فقلت لبعضهن وresholdى
لهاجرـة نصبت لها جكني
فهذا خروج إلى الرحلة كما ترى

٢٦٣٣
ثم يقول في ألبيت التاسع عشر
"فصلهم عن تلك لوحات عذارة كمطرقة القيوس
هذه ناقته وأقبل على صفة حركتها الهوهجاء المستمرة الشديدة الإيجاب وهي ما زالت في أوائل نشاطها وهذته أولى مراحل سبها وقد بدأه عند الهجراء لانخراطه وجده ووصل
التأويل بالسري.
بصاحبة الوجين كان هرا كساما تامكا قردا عليها سماواتي الرضيخ مع اللجين
إذا قلقت أشدها سنافنا أمام الزور من قلق الوجين
لا حظ تكرار الوجين وهو هنا نصب مقصود وإنما قلق الوجين لاستمرار هذا الضرب
من السير أياما فضمت فاحتجه هو إلى أن يشد الوجين باكثر مما شده من قبل
ومن ضمن وصف هذا السير الشديد وصف استراحات التعبر القصار
كان مواقع الباكرت من شهر مئسا بباكرات الورد جون
أي مواقع القطا البواكر لورود الماء وكلها رحلة بعد هذه الاستراحة القصيرة تنفت
الصعداء نفسها حارا يكاد يقطع الحزام ثم مضت وبها نشاطها
تصدى الحالين بمشغثة له صوت أبج من الرزين
المشيفر المفرق يعني ما يتطاير من الحفوص، تطير إخفاقها
كان نفسي ما تنفي يداهما قذاذ غريبة يبدي معين
تستعيد ببدائ الخطران جمل خوابية فخرج مقاتلات دهين
المقاتلات التي لا يعيبها ولد فأأتنا ببطول السير، وأنها ألقت جنينا
بالصحراء، والدهين التي لا ين لها
وتسع للمذاباب إذا تغنى
كنترب الحام على الموكن
قالوا الذابب هنا حد نابا إذا صرفت بأنباهها أي صوت فهذا نهاية الدرجة الأولى من
الرحلة
ثم الدرجة التي تلي صفة استراحة الناقة بعد هذا الكدب، وقد عاد بخياله يصف حالا
قبل الرحلة وهي فارهة كأنها سفينة:
فقدثت الزمام لها فنامت بكعادتها من السدف البيع
فهذا يدلنا على أنه قد استراح من قبل مرات عند هذا السدف البيع، وإنها عزى آخر
الليل عندما يبدو أول ضوء الفجر
كان مناخها مليئٌ بجمال
ومليغ اللجام ضيئ منيّ عن حال ضمور والمروءة الأرض ذات الحضى والوجين
الأرض الغليظة
كان الكور والأنساع منها
على قروء ماهّرة دهين
هذه صفتها في أول الرحلة، إذ لا يمكنه التعريض بأكثر من أن يلقي لها الزمام، وما
زالت بها قوة، فهذه الصفة تتضمن معنى الإعجاب والرضا
يشق الماء جوًها ويعلو غوارب كل ذي حشد بطيين
هذه صفة السفينة التي شبه بها ناقته
غدت قواده مشقاق نساهما
تحائر بالانخاع وبالبوتين
أذانا بعدها على غلاها قبل الضمور. وكانه ذا قال: "غدت قواده
مشقاق النساهما" فقال: "كانت قواده سميّة مشقاق نساهما أي متقلة لما خذها
فيبدو النسا بينها من سمنها"
ثم تجوى الدورة الثالثة، وفيها رجعت إلى تفسير ما ذكره من قبل من تنفس ناقته
الصداء.

- وقد خلصنا هنا إلى مناقاة الناقة وجعل حالها وحالها شيئاً واحداً:
إذا ما قمت أرحلها بلبل
تَتْصوَّل إذا دررت لها وذيني
أمّا يقيم على أمعى يقيم
كأنه فضلى والجد منها
فأطلقها على دينه:
إذا هو رجعة بخياله إلى حالتها الأولى. والدهين هنّا من صفة السفينة أنها مدهونة بالقادر
وجهي تجاوب قوله من قبل: "خوایة فرج مقات دهين"
وكأن عنيزة قد أخذ من قول المتقدم هذا حيث قال: شكا إلى مبيرة وتجهم
لر كان يدير ما المحاورة اشتكى ولكنا لو علم الكلام مكلمي

وقد زاد في المعنى كما ترى في هذه درجات الرحلة الثلاث - ثم يقول:
فَرّحت بها تمتاز مسبقاً على المتون أخى التجدات والحلم المرصن
فهذى درجة - وهي تجارب ما تقدم من نشاط ناقله أول ما وصفها، ثم الدورة الثانية
tقابل مناجاته الناقة ومناجاة الناقة له، كما فيها أصداء حديثه لفاطمة:
فإنما أن تكون أنى بحق وإلا فتحت رحني وتخذني
فهذا كقوله: فتاني لو تخلفي شهاي الخ
ثم الدورة الثالثة، وهي كنا قدمنا ذكره من قبل ذروة القصيدة وغاية مقاصدها من
الحكمة

- عندما قال لفاطمة: "كذلك أجريت من يبتويني" - وعندما قال لها:
لعلك إن صرمت الجبل بعيدي كذاك أكون مصحتبى قروني

كان له مفر إلى الناقة وبها إلى عمرو
والد ملئت الناقة وبروت، وإنها الناقة هي نفس الشاعر، (بسكنه الفاء هنا).
وذلك أن من تلك ناقته بالصحراء يملك هو أيضاً.

وقد تغير عمرو عن حاله أو يخشى هو أن يكون قد تغير وإذن فما إذا يصنع:
وما أدرى إذا يمته أرضًا أربوأ أريضحَ الخير أنها يلينى
ألف الخير الذي أنهم أطبغه أم الشر الذي هو يعيرني
من تأمل هذا علم أن الشر لا بد بالغ ما يبغيه، والخير إنها هو أعالي، والمرء
يفر، يطلب الخير - ثم إن أسباب المنايا، إنهم لبشر، هذه مسألة الحياة
هذا والقارئ الكريم واجد بعد في الشعر أمثلة كثيرة مما يسيق على منهج النسب
فالرحلة وما لم يسبق على ذلك، الشاعر يندرج به تدرج من معنى إلى معنى - نضرب
أمثلة على ذلك مثيرين إليها من غير تحسيس لأمية العرب، فإن الشاعر بورد المعانى
بها درجة بعد درجة وخطوة بعد خطوة على أن فيها مواضع مما تعتقد فيه عناصر الربط.
من ندعائي المعاني إلى المقابلة - غير أن الذي ذكرنا أظهر. ولاية تأبل شرا:
إن بـالشعب البذي دون سلع لقيـلا دمـه مما بطـل جيدة الترتيب. بدأ يذكر القليل. ثم صفة ابن الأخت. يعني نفسه الذي سطر البأر. ثم وقع خبر مقتل خاله عليه. ثم صفة هذا الحال القليل. ثم صفة العدو والقتال. ثم غضب الناس وإدراك البأر وشراب الخمر
صلبت مني هـذيل بخـيرـق
ينهل القـهـرة حتى إذا مـا حـلت الخمر وـكانت حرامـا فأسقنيها يا سـواء بـن عـمر
ثم استراحة الخاة:
تضحك الضبع لقلـب هـذيل
وعتـناق الطر غـد بـطـانـا
كانتا اللامينين -حماية العرب ولامية الثور مشكوكا في صحتها، أنها صنعتها الرواة. ولا
رب أنها مع ذلك جيدتان.
ولا يصح أن يقول إنها صنعتها خلف الأثر، فعل جودة شعرها، لا يبلغ جودة هاتين اللامينين.
ولكن صحت مقالة من قال بانتحالها وهي على الأرجح صحيحة لنتواتها عن لامية تأبل شرا لأن الشاك في لامية العرب متفق عن
القلاي وهو حجة وثقة، في ينبغي أن يكون المنتحل أو المتخلون من رواية العرب
وقصاصهم أهل البلاغة والبراعة والخيال - ثم ينبغي أن يكون لما اتحلوه أصل من رواية
صحبة.
ومن الكلام المتصل المدرج ميمي المخل:
ذكر الرباب وذكرها سقيم
ذكر الخيال والدار ومعملها والمحبوبة إذ كانت بها وهي كالريرة ووجهها كالصحيحة
النقية وهي كالدرة - أخذ الشاعر في شيء من صفة الغوص والغواص
ولـقبـد نـحل بها الـربـابـها لها سلف بـيل عـدودـها فخـم
بـبـرـدـةـٌ سـبـق النعيم بها أـقـرـرـاها وغـلـالـاها عـظم
ويروي: (وغلا بها جسم) وهو قريب منه في المعنى إلا أن (غلا بها عظم) أجوز ما فيه
من الدلالات على حسن التدبير بسبب ما ذكره من أن تعلمها في الصغر جعلها تسبق
أقرانها في النهاية

-267-
وترتك وجهًا كالصحيفة لا
والنضج بالصحيفة مرتز من عهد العباد بالتجارة التي كانت بلادهم معبرا لها، إلى
دير الفرس والمصر والمهد واليمن، وكيفية المدر استضاء بها
عمر عز़ىها العجم
وهذا من باب المعرفة بأحوال الأمم وأخبارها
أغلى بها منجًا ووجهًا بها
شخت العظام كأنه سهم
وهذه الصفة غير التي ذكر المسبب حيث جعله كأ قال:
فانتصب أسقف رأسه لبد
لكريه طويل كما ترى
لبانة زيت وأجرجها ممن ذي غوارب وسطه اللحم
واللحم ضمن الام ضرب من دواب البحر ولهما كان بأكمل الناس أو يتوهم ظنًا أعطى
الرباب صفة أخرى فجعلها ببيضة الدعس وإلى صفته الظليم نظر عبد بن
الحسين في أبياته البائدة "وما بيتة بات الظليم يقفها إله" قال المخيل وهي أباد
جديد:
أو بيضة الدعس التي وضع
في الأرض ليس لها حجم
أي ملسية
سقبت قرائنها وأذفها قرد الجناح كانه هدم
أي هذه الحسناء سبقت قرائنها بالنهاء وحسن الغذاء واتباع البهجة والرواء يكرر ما
قدهم حين جعلها بردية سبق التعيم بها أقرانها. يعني أيضا أن البيضة سبقت قرائنها
أنها بكر، قال الشارب والشعراء يصف ذلك وأورد بيت امرئ القيس كبح المقالة إلخ
أو أحبر إلى أن يكون سبقت قرائنها يعود على الفتاة وأذفها يعود إلى البيضة، ولهذا
الوجه ذهب أحمد بن عبيد بن ناصح
ويضمه دون الجناح وذفه وتههن ق--- ووادم قسم
لم تعتذر منهما إمداد مظال ولا عقب ولا الأزخم
فرد الجناح أي كيفف ريشه متركم وأهدم الثوب أي كان جناحيه ثوب. قسم أي فيهن
غيرة وهو من ألوان ريش النعام. وقوله لم تعتذر منها أي لم تقف ما تعتذر به عن معرفة

٢٦٨
عهدًا فيها زالت آثارها باقية بمدافع ذي ضال وبدوي عقب وبالزخم موضع باليزاء المعجمة المضومة أو بالرآء المهملة الفتوحه وما أشبه أن يكون اسما على مواضع إن كان بالزاي المضومة لما في ذلك من رائحة الجمع

وذكر ريش النعم دعا إلى ذكر شعر الفتاة وهذا من باب تداعي المعاني:

وتصل مددانها المواصلة في جمع أغ من كأنه كرم

فأفادنا هذا الشاعر في مينيته هذه معرفة بالصحيفة والمدرة وبمحراب عرش العام

والكرم وهو بدعو جاهل كي يظن بعض الجهلاء فتأمل.

ثم انتقل الشاعر إلى السبب بالرحلة ووصف الناقة والطريق وجعل لذلك نحو من ثلاثة عشر سنة وليس ذلك بالعدد القليل، فمن أنكر على طرق إطائه فإن دليله أكثر من ضعف ميتابه المخيل في عدد أبياتها فلا ينبغي أن يكره عليه أن يجيء بضعف

عدد أبيات المخيل في صفة الناقة أو يزيد

ثم بعد صفة الناقة والطريق يقول المخيل:

وبرقوق عبارة ذات ولا ليس لها المرة يكره يعمره العجم

إن الشهاء هم الخلدود وإن

وهذه في التدرب وثيأ

وكون الشاعر قد ذكر الباب وهي لم تعاف أثارها وهو سافر ذو داب يفيد أنه سبيل

جد وكسب ... وأن عدل الناقة له أن ماله قليل من بعض مادفه إلى هذا السفر وإذا

فالباب هي العدالة أو ذلك رمز لها

ثم يصير الشاعر إلى الحكمة وهي الدرجة العليا والغايّة التي بلغتها هذه الرئة

إني وجدت ما تخلدني مائة يطير عفاؤها أدم

والمائة من الإبل مال دثر وقد تعلم أن الزكاة من الإبل نفسها تجب في خمس وعشرين

فالمائة أربعة أتال ذلك

هضب تقصر دونه العصم

ولكن بنيت في المشقر في

وكان من سادهم من كذلك بينون

٢٦٩
اللهم ليس كحكمه حكم
لتقيين عنى المنى إن
تقدور اللى وشره الأئم
إني وجدت الأمر أرشده
لإعد المال بأبيها الرباب
ومن أجل عذل الرباب وما تكلفه من الكلف التي هي على خلاف ما يري من الحكمة
كان قوله
أولا:
ذكر الرباب وذكرها سقنا
وصوبا وليس من صبا حلم
وعشب هذه الميام في مساوئها أول الأمر لعادة الشعراء ثم وتبها إلى أمر من الحكمة ثم
ذلك قوى ارتباط المعنى والرمز يا كان استهله بامية بشامة بن الخدي خال زهير وهي
من المفضلات العاشرة وقمر عنها بعض الحديث ولا أسد برجعه وبعض تفصيل
هجرت أمامة هجرا طويلا
وحلمت منه على ناية
وتظلالا ذاي شجن وامس
وفصيلا enf
من هذه البداية تكس أن هنالعاطفة ذات عقد ألون هجر وتأي ومنة وذكرى شوب
من كبر المغاضب وأسف المحب وشكه في صواب مايعد عليه ويتكلله من "واقع"
أمر الحياة وقوله هجرت أمامة هجرا طويلا بلغت إذ المألوف أن تكون الجموحة هي
الهاجرة.
ونسب هذه القصيدة من أرق النسبي وأدقه
وتأمل بعد كيف تدرج من ذكر الخيال إلى ذكر لقاء لم يكن بخيال قصة وما كان من
أمره وأمرها ثم أعاد الخيال ذلك كما يعده أو يسبق به
أنتنا تسائل ما بناها
فقلنا لها قد عزمنا الرحيل
هذا تفسير للهجر الطويل كأى ترى- بدأ الشاعر من حيث انتهى علقمته وغيره من
الشعراء حيث يسعا وقلا دعاها.

- 270 -
هو قد وصل مرحلة اليأس فهي التي يبدأ بها. ثم كيف يفعل بعض أصحاب القصص الآن إذ يرجمون بك إلى أعياد مضته من منطلق هو الآن. رجعينا بشامة إلى ما كان من المقدمات والأحوال التي صارت به إلى اليأس - أنت تتأمل عن أمورنا ما بيننا؟ فإذا كنا كان يقول الدكتور زكي مبارك رحمه الله، ولا أعلم من أهل العصر من الجيل السابق من كان يتداول الشعر بسحر بنا بعد الدكتور طه حسين كمثل سحر بناه - أنتنا:

فقلنا لها قد عزمنا الرحيل

.. وقالت لها ..

تأمل صبرورته إلى قليت بضمير المتكلم الواحد بعد أن كان جمعنا، وفي هذا من الخصوصية والمناجاة ...

وقالت لها كنت قد تعلمين مذثوى الركب عنا غفولا 

فهذا من أسباب اليأس كيا ترى .

قال أحد الشريزوين أحسبه سعد الشريازي ما معناه إنك إذا رأيت صديقك يجلس عند عدوك فأعلم أن ودك قد انتهى واهجره ...

وما كان لها من عذر غير الدموع :

فبادرنا بمستعجل من الدموع ينضح خدا أسيلا

مسكين الشاعر، لا يملك إلا أن يتصباء - يتصبي جانبا من قلبه هذا الخد الأسيل ينضحه دمع الطرف الكحيل - دمع اعتذار ليس بعذره حقا وليس برضيه حقا 

وما كان أكثر مانولت من القول إلا صفحا وفقيلا وعذرتها أن كل امخرء معهفه كل يوم شكوكا

فمومهها إذن دموع عزم على وداع وتقبل افتراق

كان النوى لم تكن أصبت ولم تأت قوم أدعم حلولا

-٢٧٢-
أي كأنا لم نكن خليلين وكانت لنا حال وآل وبيتنا وود ووصال قال أحمد بن عبيد بن
ناصيح قديم أي مجتمعون، أمرهم، واحد مجتمع فيهم أديم واحد، فعزمهم الدهر
قلت أي غلهم الدهر.
وإذن فهذه هي المأساة، قد تبدلت به آخر هي إذن الهجرة، ولابد له إذن من هجرها
الهجر الطويل، إذ ليس إلى غير ذلك من سبيل

فقربت للرحل عرائنا عذراء عنتريسا دمولا

بيني أن تكون هكذا وأن تكثر صفاته قوتها لكي يتسل من هذه المأساة

داخلة الخلق مضبورة

إذا أخذ الواجبات المقيلا

وهكذا مسأ في نمت الناقة، وصف سنامها كيف أكنز وما كان من مرعاها وخزواتها

إذ تسير إذ ما عودت غير الإكرام

لها قرد تالم نه

تزل الوليدة عنه زليلا

يعني السنام والوليدة شيء يجعل تحت الرحل يبقى ظهر الدابة من مباشرة الخشب

نطرد أطراف عام خصيب

ولم يشل عبد إليها فصيلا

لم يشل لم يناد ولم يدع فصيلا ليضع منها صونا لها

توفر شاكرة طرفها

إذا ما ثبتت إليها الجديلا

فهذه خنزواتها.

وما خلت صفقة هذه القلوص من كبراء صاحبته التي أحترت دموعها ثم لم تهبه إلا

إعراضا ومقالا كإعراضا...

....... إلا صفحا وقيلة
ثم وصف عينها، وفيها أيضًا من حال تلك التي بكت ثم أعرضت لأنها عين تنحن وترافق كعين من يفيض قداح الميسر.

بعين كعين مفيض القداح إذا ما أراذير الحويلا.

أراذير الحويلا، الاحتيال
ثم وصف الأذن والصدر ثم مرت، وصار بعد إلى الإشعار بالجد والتشميم.

وحادرة كفيفها المسيح تنضج أو بر شئاً عليئاً.

هذه أذنها يسيل منها العرق على وبرها، والصورة منزنزة من مبادرة الدموع التي مرت.
والأور هنار في مقابلة الخد الأسفل فبالذلك، كما ترى، من بديل:
وصدرها مهيج كالخليفة تحال بأن عليه شليل.

زعم الأوصمالي أن بشامة أختنا. قال الشارح قال الأصمعي قذا أخطأ في هذه الصفة لأن من صفة النجانبية جلة الوبير والانجراد، وإنها توصف بكررة الوبير الإبل السائمة ولا توصف بالوابير نودية عتبة كرمة.
قلت أصاب الجاحظ إذا أخذ على اللغوية ما أخذ. ولالأوصمالي من هذه مشاه، إذ قد مرت عليك مثلا ما أخذت على الموار حيث قال في صفة النخل:

كأن فروعهن في كل ريح جحوار بالذوائب يتصينا.

ولولا أن الأوائل تعقب أبا سعيد للزمن أن تنهب مكانه، قال الشارح قال أحده: غير الأصمعي يقول لم يخطئ الشاعر الوصف لأنهم لم يرد الوبير وإنها أراد أن يجد صدرها يموج من سعته، فلذلك قال شليلة، وهو كساء أملس ولم يرد الشاعر الوبير، إنها أراد سعة الصدر ولو أراد الوبير قال: تعال بأن عليه خيل، فالشاعر قد أجاد والتأمل عليه أنه أخطأ الوصف هو أخطأ وهذا مستحب في وصف الإبل والخيل، حتى كأن عليه شيليلة أي كساء يضطرب من سعته. وقال غيره المهبه الواسع الإبط والخليفة طريق في المنحنى. قال كتاب هذه الأستر غيره هنا لا يعني غير أحد أو غير الأوصمالي ولكن يرد ذلك لي قوله في أول الشرح المهبه الواسع والخليفة الطريق (وانظر الشرح الكبير ص 84).
وما أجد ما قال أحمد بن عبيد بن ناصح. وغير الأصمعى حيث قاله لا أحسبه ما
عنى به إلا نفسه.
ثم لم يزل الشاعر يقرر بتصوره الناقة أثر ما صور به أمانة التي هجرته وهجرها هجر
طويلًا كأ زمهم. هذا الصدر المموج كان عليه شعيرة هو صدرها إذ تنخج بياكل
الوداع الهاجر. وهذه الأمكان التي مر هو عليها ومرت ناقته عليها هي أيضا موضيع
مرور الظعنية إذ كأ هو هاجر هي هاجرة وكا هو موعده هي مودعة.
فحارت على كشب غدادها
وحانت بجبن أريك أصيلة
كروط القوى العزيز الذلليا
وهذا التشبيه يوقف عندته.
الصفحة للناقة وأمانة أيضا. وهي العزيز وهو المسكون الذللي. ولا معنى لوصف وطاء
الناقة هذه الصفحة إن لم يرم الشاعر للروز والإجاء وأن يضمن هذه الصفة معنى هذا
الهجر الطويل والصافح والقيل.
ثم استمر يصف سير الناقة بعد أن فصل ما فصله في صفة أعضاء منها:
إذا أقبلت قلت مذعورة
من الرمد تلحت هيقا ذمولا
من الرمد أي من النعام. وهذا مع أنه من صفة إقبال سير الناقة مرود من جهة تجاوب
أصداء المعاني على قوله آنفا:
أنتنآ تسائل معا بئنا
فلنا قد عزمنا الريحلا
وقلت لها كنت قد تعلمي
فهذا فيه معنى المذعورة الجفول
وإن أدمرت قلت مشحونة
أطاع لها الريح قلعا جفولا
فقد جاء بالجفول من صفة النعامة وهو هنا يشبه الناقة بالسفينة. وهكذا كان إدبار
أمامه إذ أدمرت عنه وإذ أعبرت إعراضا.
إذ أثرت راء فيها البصير مالا يكبله أن يفيلا
أي مال يخفى معه أنه إعراض.
وإعراض الناقة هنا أن تريك جانبها. والبصير إذا أثرته جانبيها فنظر علم نجائبها،
فهذا ظاهر المعنى، وهو مزود أيضا على ما تقدم من قوله:

صفاحا وقیلا

إذا الشعر ذو خفابا وألوان - ثم فصل صفات النجابة وهي أيضا من شواهد الإعراض

بیدا سرحا مآسا ضعیبه تسووم وتقدم رجلا - زجولا

أی رجعیلا - تضرح الخصی

وعوجا تناظن تحت المطا - وتهدی بن مشاشا - کهولا

العوج الأصلع. تناظن دخل بعضهم في بعض. مشاشا عنی بها 뤽وس العظام

المربة فيها الضلوع. کهللا. من قولهم اكته بینه، أي رؤوس عظام فين قوة

وارتفاع وتم تأمل هذه الصفة وجد فيها عودا على قوله:

وتصدر لها مهیع کلال خلف

التناطق في حركة أشبه بحركة الشلیل الألس المتجمد منها بمحض التداخل إلا أن

يكون في هذا التداخل معنى التمرح كما يدخل الموج بعضه في بعض وكذلك حركة

الضلوع في الصدر القوي الجيد.

وصفة المرأة التي ذكرها من هذا غير بعيد.

ثم استمر في صفة مشی هذه الناقة، وتشیهاتها لا تن تحم معانی من الرمز:

تعی مطي جامع الطربق

إذا أدلم القووم - لبلا طویلا

أی تغلب الإبل الأخرى وتسقیها على الطريق. وهنا رجعه للقوله من قبل:

تتوأ اغاظ حزنان

کوطف القوی العزیز الذلیلا

صاحب كتاب النقد المعاصر John Carey ولدو نستعیر ورقة من كتاب جون كيري

لذكرنا القارئ أن الوطء والجیاع كلاهما ينبه

بعنی المباعة. والإجاع الطريق هنا أي معظمه.

كأن بصبدها إذا أرقلت

وقد جرن ثم اهتدى السبابا

أی الإبل وأشيرن معنی النساء بهذا الإضعار
بدا عائم خر في غمرة فقد ادركه الموت إلا قليلا

تلقى حركة الحمزة على الدال.

هنا وصف جيد بارع من حيث حاق تصوير الحركة، إذ الشاعر إنها النقل حركة اليدين والرجلين وفيهما عند إسراء الناقة اضطراب، فتشبيه ذلك بحركة العائم المجد وقد كان يغلبه موج أو تيار فبذا من ضرب يده ورجله إلحاح منازعة ذات إسراء مفرط مذعور، تشبيه دقيق. على أن حال الناقة حين تجد وتدفع أبعد شيء عن حال الغريق. وما خلا الشاعر من تقدم وصف إجاء بل كان قائله من قبل من معنى الشرق على كراهة ذلك وعلي يأس من صلاح الحال، ومن معنى سيفوله من بعد عن قومه والذين كانوا فل جيران وحلفاء من قبل والمشير بالأجواء قوله:

قد ادرك الموت إلا قليلا

إذ قوله: "بدا عائم خر في غمرة واف بالصفة المرادة، ولكن هذه الزيادة مع توكيدها وتقويتها لمزاده من التشبيه أدل على مكنون من الإجاء.

ثم في الغمرة شبه من معنى العيرة، وذلك حيث قال:

فبادرتـاـهـا بمستعنـجـا

ثم من هذه الغمرة تجىء وثبة الشاعر إلى معاني الحكمة التي ختم بها قصيدته والتي هي أربه وضاله التي يتشد.

ومع الوثبة شيء من تداعي المعاني وقوة دلالة الرمز.

وقد يذكر القرائي الحكم أن الشاعر إنها رأى في أول القصيدة من أمامة بعد هجرة إياها الطويل خيالا.

وحلت متـ(LocalDate) نأيـا خيالا يا بوا خيالا ونيبلا قلبة

حتى هذا الخيال لا يزوده ما يزعم الشعراء أنهم يتوذونه. قال عمرو بن قامية.

نأتك أمامة إلا سؤالا خيالا ولي خيالا لليهـا

ولكن بشامة تعمد إلى أن يشير إلى مقال ابن قمية هذا حيث قال:

هجرت أمامة هجا طويلًا

- ٢٧٦ -
فأمامه كأ ترى هي نفس العلم الذي جاء به عمر بن قميصة من قبل، وكان من أصحاب أمريء الدين، مشهوراً من شعراء العرب.
وعند عمر بن قميصة هي الهجرة.
وذكر الشعراء تنويع الخيال كثير ومن أشهره قول ابن الخطيم:
ما يتنعي يقيق فقد تؤتينه
في النوم غير مصرد عسوب
وأخذ هذا المعريف فقال:
نسي بها يقظي فأما إذا سرت رقاداً فإحسان إليها وإجلال
وقال أبو الطيب، فجعل نفسه ذا عزاف حتى الخيال، وكونه ينظر إلى قول اليمكري
فمن حبيب خفف فيه قدع فقال:
يبرد يبدا عن ثوبها وهو قادر
ويصفي الهوى في طينها وهو رائد
الطائفة في هذا القول. وهو يعد جيد بالغ.
وحول الخيال بشامسة في ذكره النظرة حيث قال:
ونظرة ذي شجمن وانق
إذا ما الكراب جاوزن ميلا
ثم جعل الأمر قصة بعض ما كان.
ثم هاهنا رفع فجعل القصة طيف خيال كأ بدأت. وعد من الرمز وهو أمامه إلى ميعان من المروز له. وهذا ينسب عودته فجعله القصة أحلامه والأحلام تاويئ. هاهنا الوئبة. والذي بذلك على أن جعل ما كان قصة ورمزها مرة أخرى خيالا وأول ذلك الخيال قوله.
أخذوا على ذي شوبيس حلولا
فأبلغ أمثالهم رسولا
كلهما خلوا جعله وهوا عدولوا
وكلا أراء طعاماما وبلا
فسروا إلى الموت سيراً جينلا
كفى باخوازات للمهر غدا
وخبرت فمومى ولم ألقهم
فإماماً هلكت ولم أفهم
بأن قورهم خرويا خصتنين
خزى الحياة وحرب الصداق
فإن لم يكن غير إحدهما
ولا تقعوا ويكب مناته

٢٧٧
وحشـنوا الحروب إذا أوقـدت
ومن نسج داود مـوضوـن
فإنكم وطمـنوا الـهرمان
كـشـوب ابن بـيض وقـامهم بـه
وهو الجزء الخناصى وذروة مقاـصـد الشاعر.

قوله ول ألمهم ولم ألمهم بـقى مزغمنا أن هـاها رـجـعة إلى الـطـفـل، لأن القصـة التي قـصـها من بـيل يـقول فيها "أنتـنا تـسأـل ما بـتـنا" فـهـا إذا إن يكن طـفـا، وهو كـذـلـك، فإـنه لا إـيـان.
ولا لو د، ولكن حـمـل، وـقولـه: "أـجـدـوا عـلى ذـي شوشـن حـلوـلا" فيـه أـفـنـاس مـن قولـه:

فـقتـلـتـها كـتـنـا قد تـطـعـمـين مـنذ ثـيـرَ الـريب عـن غـفلـا
فـلم يـكـن لها اعتذار إلا الدـموع، وـقولـه: "أنتـنا تـسأـلـا ما بـتـنا" يـشبه "وـخـيرت قوـمـي وـلم
أـهـم الـبيت" لأنـه في هـذا الـذي جـعـلـه خـياله قال: "قـد عـزـمنـا الـرحـيلـا" فـهـؤلاء الـذين
قال بـلـسـهم "قد عـزـمنـا" هـم قوـمـه وذـو شوـيس محـرـبـة، جـيل في دـيـار بـني
مـرة، قال ذـالـك البـكـرـي في مستعم ما استعـم وضبطـه بشـن مـعـجمـة بـعـدها وأـو
مـفتوـحـة، فـياء سـاكـنـة فـيـنـا مـهـمـلة عـلـى صـيـغـة التـصـغير كـأنـه تـصـغير شـأـن خـفـتـه
والشـاس الخـشـن، وضبطـه بـاقـوـت بـفتـح فـكـر بـوزن كـريـم وظـريف، وـيـجوز أن بـعضـهم
كـان يـنـطقـه هـكـذَا، أو أن دـلـى كـان النـطق عـلى زـمانـه، وـفي ذـكر شوـيس كـتابـة عـن
الصـلاـبة والخـشـنـة عـن الاعـتـصـام وـالمـأوـرـا مـعا إـذـهو جـلـب، وـيـجوز أن بـكوـن في ذـالـك
شيـء مـن الإـياء إـلـى الخـصـيـن بـن الحـيا، بـمن سادات بـني مـرة، لما مـستعـق بـيـنـه وـيـنـ قوـم
بـشـاـمـة مـن حـلـف، وـقولـه: "فأـلبـغ أـمـائـل سهم رـسـوـلاً كـقولـه: "أـنتـنا تـسأـلـا ما بـتـنا"ـ
الشـبـه إـلـى إـرسـال الرـسـول فإـنـه في مـعـيـن إـيـانـه تـسأـل كـا مـن مـعـيـن مـا بـتـنا أـي شـيء
بـتـنـاه إـن شـتـت، وأي شـيء حاـلـاً وـقولـه: "قـد عـزـمنـا الـرحـيلـا" فـقـد أـرسـل إلـى قوـمـه وعـزـم
أـن بـلـحـقـهـم وذـالـك قولـه: "فإـما هـلكـت وـلـم أـتـم" فإـن يـمـنعـه مـن الإـيـان إـلـى أن يـهـلك،
وـقولـه: "خـيزي الـحـياة وحـزب الـصـديـق" بـمـعـيـن مـا بـثـامـة وـثـبـه إـذـقـل لـه كـتـب"عـن
غـفلـا" فـيـكـل وـلـتـمـصـع إلـى كـبـر شـيء فـلـم يـجـد بـدـا مـن الـهـجر،
وـقولـه: "فـسـبروا إلـى المـوـت سـيـرا جـيـلاً
تـأوـيـل مـا تـقـمـن مـن قولـه: "هـجرـت أمـامة هـجـرًا طـوـيـلاً
وـقولـه: "وكل أـراه طـعـاـما وـبـيـلًا" وإن شـتـت وـكـلاً بـنـتـبـص تـأوـيـل مـا تـقـمـن مـن قولـه:
وـحـمـلت منـهـمـا عـلـى نـآيـاه
خـيـالـاً وـفاـي وـعـبـن ثـقـيـلاً
إـذـا مـا الركـاب جاوزـن مـيلاً
فهذا مع الحرمان طعام وليل، والهجر طعام وليل، فإن لم يكن بد من إحدى الخطيتين، فالهجر منه ومنها:

وما كان أكثر ما زودت من التيل إلا صفاحا وقيل:

إي إعراضا وكلاما مغالطة أو نحو ذلك. وإذن فهي الحرب. ولا بد لذلك من عدتها، رماحا طوالا، وخيلا جياما ودروعا وسيفا. ومن أكمل عدته وأبدي الحزم هيب جانبنا ثم نصحهم أن يلزموا جانب العدل حتى لا يجر البغي عليهم وبالا، وهذا متضمن في زعمه أن الخطيتين اللتين خبروا;

كلتاها جعلوها عدولا

أي جروا وعدولا عن الحق. فأنتم بآيتم فلا تعدموا عن الحق فالبغي مرجعه وخيم.

هذا النروج هو نفسه الذي نجزده عندنا ابن أخته:

فلا تكلمن الله ما في نفسكم ليتخفي ومما يكتن الله يعلم

فهذا قولنا من قيل إن بشامة أستاذ زهير، وذلك أقرب من أن يقول إن زهيرا من المدرسة الأوسية، وإن يك أوس تزوج أمه وهو قد روى منه، ذلك بأن أصل أخذه وتمذجه هو بشامه وعلى هذا قول الرواة

وقوله:

فإنكم وعطاء السهران إذا جرت الحرب جيلا لليل

كثرة ابن بضع وقاهيم به قد أسلال السلاقيلا

تقوية مما تقدم من معنى الاستعداد وزوم جانب الجد والجزم مع تعب البغي والجل كساء الجواد، فجعل مد الحرب غبارا وشرما جلا جليا، فإذا حدث هذا فإن الخلف الذي عقدته مع الحزين بن الحام المري والرهاين الذي أعطاهم، قالوا رهنموه ابنه، عدة لكم جسمية لكان الحزين ومكان بنية مرة في غطاء، فهذا كثوب ابن بيض الذي جعله وقابة له من شر لقنان. وضرب بشامه ذلك مثلا وزهير كخاله مما يضرب الأمثال.

وهذا اختتام حسن.
وعينية المصيب بن علس

أرتحلت من سلمى بغير متع
انقل الشاعر فيها من النسيب وصفة الطريق كأنه اقتضاب وإنها هو وثبة درجتها
متضمنة في صفة السير الذي بدأه من عند أول النسيب إذ زعم أن سلمى من قلبه
بمكان وحاله لم تنقطع، فالرحيل إن من أجل هذا المديح.

فلأهدين مع الريح قصيدة من مغفلة إلى القمع
جعلها مع الريح لركوبه وتغبني ووروده المياه بهذه المدحة العصيدة
تزر المياه فلا تزال غريبة في القوم بين مثل وسياح
هذه مقدمة. ثم تدرج منها إلى اللوح نفسه:

فألت فنوق أكفهم بذراع
فلجأ ينحب البجع
متفجر ليل بالأوزاع
متراكم الذي ذي دفع
بجمي بين دوالي الرازاع

وإذا الملوك تدافعت أركانها
وإذا تهيج المرح من صرادها
أحلت بتك بِلِلِجعيم وبعضهم
ولأنت أجود من خليج مفعم
وكان بلق الخيل في حافاته

هذا البيت مع طربه صورة مذهلة—مع ذكره الخيل خطر له ذكر الحرب، وهذا
من باب تداعي المعاني
ولأنت أشجع في الأعادي كلها . من غدر ليث معبد وقاع
ونصر بعد إلى ذكر تداعي المعاني:

ثالثاً: تداعي المعاني

حق هذا كان أن نذكره قبل التسلسل وقبل التدرج إذ هو في مادة ربط أول
القصيدة بما يليه إلى آخرها أصل أصل. وبداخله الرمز والإجهاء والتدرج والتسلسل،
لكننا أخزنأ عنها لأن أمرها كانه أبيض من أمره. وإنها نصل إلى درك ما كان وراء قول
الشاعر من تداعي المعاني بالحدس وبالتفكير وبالتخمين كثيرا.

ومع التداعي عفوي الاستباب أحد ما يسبق منه بإلب، متى دائما أطرافه
متساوية تساويا واضحا جليا. على ذلك قصيدة أمريء القيس "قفا نبض من ذكري٣

٢٨٠٣
حيب ومنزل - ما من فصل منها إلا هو مفض إلى ما بعده، ودعاء المعنى أخاه له
إصبح تشير، وقد مر تفصيلنا ذلك في هذا الجزء في الجزء الثالث في باب الجبال
ومقابيسه، فأغنا ذلك عن أن نعيد هاهنا.
وفي تداعي المعاني عند طرفة قلق وإندفاع دفعات دفعات القلق تتنظم
قصيدة من عند أولها إلى آخرها مع نوع من شدة وعطف: يجوز بها الملاح طورا ويهدي
كأ قسم الرب المفايل باليد
ينفعض المـررد...
تناول أطراف البرير وترندي حمل حر الرمل...
لأمضى الفم...
بعوجاء مزق قلال تروح وتغذي نقصانها...
تباري عناقة ناجيات وأتسبع وظيفة فوق مور معبد
جنوح دفاع...
بعيدة وجد الرجل موازة اليد
واروع نبار...
وجاشت إليه النفس...
خت بآل الأمعز...
فذاك كي ذالت وليدة مجلس نرى فيها ذئب سحل ممد
وهلم جرا...
وقد قال يصف نفسه:
خشاش كرأس الحياة المتوقد
فهذا في القلق شاهد.
وعكس ذلك حركة السأم والأساء التي تنظم ميمنة زهير من عند الفئران إلى
صحيحات المال الطالبات ببحير ورحي الحرب النقيمة الطحون والشيء بالشيء
يذكر.
الوقفة عند الطلل أذكرت بحدود المالكة. ودعا ذلك ذكر الحي والفتاة التي كذا
قال:
وفي الحي أقوى ينفض المرد شان
فالألوى ثانياً وازبوجدة لاثنائها وشفتها.
ثم ذكره الشمس أشعره حوله:

إي لأمضى الهم عند احضاره
بعويعاء مرقى تروى وتغتدي
ولعلم أن المرقال دعا إليها ذكره الشمس لقوله من بعد:
أحلت عليها بالقطع فأجذمت
وقد حب آللأمم المتوقد
وإنها نب وتوعد من توجه الشمس عليه - هذه الشمس التي إياها قد سقطت
تلك النبأة اللامعات العذاب.

ثم إذ ذالت الناقة وشيها بفناة الشرب دعا ذلك ذكر فتوته هو:
ولست بحلال النلاق مخافة
ولكن متي يستردقوم أرقد
وأباث القصيدة المشهورة المشر من وصف الفينة إلى
وما زال تشرابي الحمور وليذي

إلى:

ولا أيدا الراجي أحضر суهي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
ولولا ثلث من عيشة الفتى

الأباث:

ثم بعد إذ أثبت على نفسه ما حقا يصح لم يبهله أمره أن يلومه عليه قال: "يلزم
ولا أدرى علام بلومني"، فقص قصة مع قرط بن عبد ومع ابن عمه مالك
وظلم ذوي القرى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
ثم دعت الشكوى غضبا:

أنا الرجل الضرب
وإذا بهذا الرجل الضرب يعقر عقيلة مال شيخ الحي، أبيه أو عمه

فظل الإيماء يمتلئ حوارها
فإن مات فانعيمي با أثنا أهلته
ويسيع علينا بالسديف المهد
وشقي على الجيب بابنة معبد

- ٢٨٢ -
وكاننا أرته بصيرة فؤاده أن جرام ثبيت سترده قتيلاً،
وخطم القصيدة بشراسة المقاتل وسفاهه صاحب نار الموت وإن كانت من مآثر الجاهلية وانتظار الموت ونعي نفسه إلى نفسه وإلى الحي من عدو وصديق:
ستبدي لك الأيام ما كنت شاهدًا، وتأتيك بالأخبار من لم تزود بياتنا ولم تضرب له وقت موعوض
ومن تداعي المعاني الذي تحتاج في تتبعه إلى إبعال الفكر ميما علقمة،
هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم جلها إذ نأتك اليوم مصروماً
وكثر من الاستطلاع والرجعة إلى ما تقدم من قول يدخل في باب تداعي المعاني،
وفي ما صالناه من متقدم المثلاء ما يفي ويغني عن إعادته إن شاء الله تعالى.
وقد تداعي المعاني في حيز إطار عادة الشعراء من طالب ونسب وما هو محرم من ذلك أو مقاربه.

وقد يقدم الشاعر يأخير مفتن في ذلك، فيغلب ما يملأه عليه تداعي المعاني على
ما هو مألوف من ترتيب الرحلة بعد السبب والأغراض بعد الرحلة.
من أمثلة ذلك كلمة المرأب:

لا حجاز أنت باب نساء من بلد،
ولا شبعوب هوى منى ولا نقم
ولن أحب سلبادا قد رأيت بها
عنتما ولا بلدنا حلت به قدم.
إذا سقى الله أرض صوب غادرة
إذا سقاهن إلا النصار تضطرم
وانتقل من هذا على سبيل المقابلة وهي من عوامل الربط كأسيبل ذكره إن شاء الله إلى
مهد وادي أشي بدير نجد والفينيان الذين به:

وحبذا حين تمس السير باردة
واذي أشي وفينيان بـه هضم
ثم مضى في صدم هؤلاء الفينيان الهضم أي كل منهم هضوم لميلال بكرمته وإن شئت
فقيل هضم أي ضامر غير مترهل إذ فعل لكلنا الصيغتين جمع
الواضعون إذا ماجر غيهم
والمحقون إذا هبت شنامة
على العشيرة والكافرون ما جرموا
وياكسر الحي من صردها صرم

٢٨٣
أي من سحابا البارد قطع - ثم كرر هذا المعنى وقرره وأكده:

وشتؤموا أثوابا تزبنها

إلى الأزمان أي العاضة

حتى انجلي حدها عنهم وجارهم

بنجوة من حذاز الحر معتصم

هذا كرمهم ثم أخذ في ذكر نجدهم وفرشيهم

وهم إذا الخيل حالوا في كواكبها

فؤار الخيل لا ميل ولا قزم

وهذا كأنه أخذ من قول سلامة:

لا مقرفين ولا سواد جعوابي

وقاسه عليه.

لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم إلا يزيدنهم جبالا هم

والم بيت ما يستشهد به النحاة أراد يزيدونني. وعرض ها هنا بالعودة إلى ما كان فيه

من ذم أهل صنعاء ولعمري ما أنصفهم وما أنصف صنعاء ومضى في مدح أقوامه:

كم فيهم من فتى حلو شملته جم السرماد إذا ما أخذ العلم

وعني بالبرم البخيل وأصله الذي لا يشهد المسير وكانت نار المسير ما توقد منفعلة

الضعاف

تتح زوجات أقوام حلالته إذا الأنوف امترى مكنونها الشيم

إي إذا كان البرد وزكاه. ونظر في هذا المعنى إلى قول متمم:

ولا برأته النساء لعروسة إذا القشع من حس الشتاء تقعقا

ثم مضى على هذا النهج

ترى الأرام والصلا تبعه يستمنه عليهم وابل ردم

ثم وصف جفان هذا الفتى الذي جعله صورة لشبان وادي أشي الهضام

ترى الجفان من الشيزي مكلفة قدامه زانا التشريف والكرم

٢٨٤
ينوبًا الناس أفواجا إذا نهوا علّوا كأ يعل بعد النهلة النعم
ثم قفز به تداعي المعاني من تذكر الفتيان وكرهم إلى تذكر الفتيات وفتنا بعينها منهن
زارة طيفها زارة طيفها هي التي أشارت في نفسه بغض الاغتراب فقدم صنعاء وما حوله وشفي في
يعدو - بدأ بذكر الفتيان للموازنة بينهم وبين ما كره من صنعاء، وكان أنسب أن يبدأ
بذكر الرجال.
ثم كان أمر الطعام والجفان صبحه تداعي المعاني الذي جر إلى ذكر النساء ثم إلى ذكر
مروة منهن بعينها. ثم إلى أن جاء بها شأنها أن يكون مقدمة نسبيّة في موضع الرحلة،
لأن الطيف يزور مع الرقاد، وهو قد نزل لتعريض الفجر هذا فطيره الخيال...
زارت رويقة شعما بعدما هجعوا
لدى نواحل في أرساغها الخدم
النواحل هي الرواحل وقد كدها السير. والشعث عنبه أشعث واحدا هو نفسه،
ولكنه جاء بالجامع ليناسب ما كان فيه من قصة فتيانه الكرام الذين يوادي أشي. فقد
صاروا الآن معه في السفر. ولا يكون هذا الفتى الكريم ذو الجفان المكملة، الذي تخب
زوجات أقوام حلائله إلا إياه هو
وقمت للمزور مرتاعا فأرقني. فقدت أثرت أم عادني حلم
هذا يبين به قوة طوقف الطيف وحبوية ما زأ من شخصه - ثم انتقل إلى تصوير من
باب أوصاف الغزل، جعله في مقابلة ما كان من وصف الفتى الهام الكريم:
وقال: عهددا بها والمسي يهظها
وبالتلكالف تأتي بيت جارتها
من القريب ومنهما النوم والسأم
تمشي الهوية وما يبدو لها قدم
وهذا جمع به بين صفعة صاحبة الأعشى، وصفة ما ينبغي أن تكون عليه المرأة
المحتشمة، وهذا من جهة الوصف خلفها وشيمتها فيه من الجمع بين الميتابين، المشي
التي تأثت حتى إنه ليظهها والتحظى الذي يسيغ الستر حتى على القدم، كما بين جمعه في
الراية:
عجب خولة إذ تنكرني
أم رأيت خولة شيخا قد كبر

-285-
بين صفتي البادنة والهيئة،
ثم يقول، وكأنه جعله رمزاً لنجد ولفتيت معاً، واستمرراً في ذم صنعاء:

روبق أي ومسا حجي الحجاج لـه
لم ينسني ذكركم منذ مملأكم،
ولم شارككم عندى بعد غرابة
لا والذى أصبحت عندي له نعم.

وهذه مشاجرة رقيقة وشكروى من روح عفيف ذي صدق في المودة، ثم فيها من جهة
الصناعة رد لهذه من صاحبته على مثل حال الوفاء التي ذكر في حديث عن أصحابه
لفتيت حيث قال:

لم ألق بعدهمحياً فأخبرهم
إلا يزبيدهم حبّاً إلى حم.

وصدقته في صببته وقسمه لرويقة أنه لم شاركه في حبها بعاجية بعد إذ نأتي، دعا إلى
تمثى العودة - فبدأ أذكر الشقرا يجعلها في مقابلة صنعاء ثم عدّ مواضع بعدها ما
يجب:

باليت شعري عن جني مكشحة
وحيت تبنى من الحناءة الأطم
مكشحة، موضع بالبيامة والأطم الواحد والمجمع الأطم وأطوم وأحبسه هنا أراد الأطم
ثم أزال الإشبعا و كانوا ما يفعلون ذلك، وبدلك على هذا تأتيه الفعل: «وحيت
بنى» والأطم المفرد مذكر، وأراد التنبيه إلى أطم جني مكشحة من اللبي والرحل،
ولكن أبناء صنعاء من الحمرة، فهو ينج إلى حيث «بنى الأطم» لا من الحمرة، وتلك
دياره.

باليت شعري عن جني مكشحة
وحيت تبنى من الحناءة الأطم
وهل تخير من أرامهُما إرم
جباهها بالندى والحل يحتمز
الجبار طوال النخيل
فيه عقائل أمثال الدمى خرير
لم يغذى حشةعيش ولا يتم
فجعل الأشعة في مقابلة أشي وأنت وجعل جنتها فيها عقائل حساناً كا في جنان
الفردوس. وهؤلاء العقائل في مقابلة ما بدأ به من ذكر الفتيت. ثم انتقل إلى ذكر

- 286 -
أزواجهن. ثم إلى ذكر الخيل والفسحة، وجعل نفسه قائد كبة الخيل. ولم يظل هنا من نظر إلى إيل علقمة التي يهدي بها أكمل الحديثن مخبر
من الجبال كثير اللحم عيشاً
والذكاك الحادثة يذكر
وذلك قوله بعد أن قال فيها عائشة، البيت المتقدم ذكره:
يتباهن كرام مَا يذمهم
جاف غريب ولا يؤذي له حشم
كما ذم هو صعاء وشعوب وثقلاً
ومن الرجال إذا صاحتهم خدم
قدلا على أنهم أو على أن منهم معه في الرجال - فدعاء ذلك إلى أن يتمكن مزداً من الأروقة إلى دياره، وكما تمث رواية من قبل وبين لها بقاءه على العهد، حن هنا للصاحب له من فتية دياره:
بل ليت شعري متي أغوتعارضني
جردة سابحة أو سابح قدم
نهو الأملح أو سمنان مبتكر
بطيـتـة فيهم المرار والحكم
أما المرار فالشاعر والحكم هو هذا الصاحب الذي تمده وجعله في الرجال مقابلة رواية
في النساء، وقد أحسن اختيار الأمياء.
إلا جيـدـاد قمي النبع واللجم
ليست عليهم إذا يغدون أردياً
وكأنه يعيب ما رأى من أرديا في صنعاء
للصيد حين يصبح القائص اللحم
من غير عمد ولكن من تبدهم
وقال عبده بن الطبيب وهو خيمي:
قوله "من غير عدم" احتراص كما ترى. وقد قال عبده بن الطبيب وهو خيمي:
وقال باللحم للقوم المراجيل
لا وردنا رفعنا ظل أرديا
وأخذ عبده من قول امرئ القيس في البئية
أفي دوابـهـن الركض والأكم
فيفـعون إلى جـرـد مسومة
كيف تطابع عن مرضاخه العجم
يبرخـن صم الحمص في كل هاجرـة
يغـدو أسمـهم في كل مـتربأة

- ٢٨٧ -
فهذه عنى به نفسه وقوله في كشحه هضم يقوى تفسيرنا قوله هضم أنه جمع هضيم الكشح، فهذا الرجل الضامر صدي من ذلك الفحل العيذ الذي في ميمية عقلية والإشارة إلى مأثور القول وتضمنيه والإياء إليه كل ذلك مما يدخل في باب الربط ويكون مع تسسل الكلام وتدرجه كا يكون مع تداني المعاني - قول بشامة بن العدير: "جلا جليلًا دعا فكرة "ثوب بن بيش" وهو إشارة وضرب مثل وقال زهير في المعلقة: 
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم 
دعا قولي من بعد:
 אלא أبلغ الأحلاف عنى رسالفة فلا تكتمن الله ما في نفسكم أي يكتم من الله سبحانه وتعالى.
رابعة، المقابلة
وقد تكون رفعة من تداعي المعاني، كا قد تكون مقدمة له، ومن المقابلة ما دلته التباني، فلابين يقبل مباينة، ومنها ما يدل على تشابه، فيكون من باب إلحاق الأمر بها يشبه ويكون من هذه الجهة مازنا له. فمن باب إلحاق الأمر بها يشبه أباث حصن بن ضمضم في معلقة زهير، فانه لما قال:
"هل أقسمتم كل مقسم فلا تكتمن الله إلخ أخلق بهذا كتبان حصن ما عزم عليه من الخروج وقول عنترة:
وكأنها التفت بيجيد جدية رشأ من الغـٍـزـٍـان حــرـّ أرمث بنت عمرا كـشـآـّـكر نعمتي والكـفـرـ خشية لنفس المعتم فها هنا تداعي معان، إذ وجد عند أغلاب النا التي يصف إسحاحا ومنالة فهو للذك شاكر، ولكن عمرا جاهد. عمرو هذا إما أبوه وإما عمه وإما صديق، وهو هنا يذكر منه تكران وجدودا، ويجذر من عواقب ذلك.
وأخلق بعنبر هذا حققه في آخر القصيدة على بني ضمضم. والراجح أنها كان ذوي شر عامر، فقد ترى ذكر زهير حصننا منها، وقد يكون حصن هذا نفسه هو الذي شتم عنترة، فذكره عنترة يذكر أخيه معه، وكأن عنترة يقول أما عمرو فبكره نعمتي قد خبث نفسي، وأأما إنا ضمضم حصن وأخوه فقد قلت أباهما وكم مثل مصرفه خوءه لها عندي لو يجسرا فإنفاهما.

288
المقابلة التي تساوق تداعي المعاني وينبعث منها وتنبعث منه مع موازنة، وحذو الشيء بعد الشيء عل مثال ذي معالجة ما له من قبل أو من بعده، هي أكبر ما عليه الوطأة والوحدة في معلاهة طرفية. وقد نهنا إلى أن حركة الجدود الممتدة اهتزازًا شديدًا، ورم اتفاق الشاعر ذي الجودية الشديدة تنظم الكلمة من عند «يحور بها الملاح طورا وينتهي» إلى «تناول أطراف البربر وترتد». يغطي المرد ألمع ناضج - اروع ناضج - جس الندماء - سامي واسط الكور رأسها وعامت بضيعة - كرأس الحية المتوقد - كسيد الغضا رجعت في صوتها - خب آلم الأمز

كِهْاَةٌ ذات خيف جلاله - عقلية شيخ كالويل يلتدد . . . . . ذول بأجع الرجال ملهد . . . .

وهم أشبه من تتابع الصفات ومن ضروب القسم
صحابة العثنن موجدة القراء بعدية وند الرجل موارة اليد

هذا...

وعينة أي ذؤيب صفر فيها بعد الدمعة الخيرا، من حيث ذكروا عن عمر رضي الله عنه قوله عنه إنه سل إلى درجات من طلب العزة وكل صورة فيها مقابلة ومعاينة ومشابه مما قبلها.

أول شيء صورة الحوار الوحشي وأنه وهؤلاء يصبحن القدر بهسهبه عند الأروى في لحظة مأساة حاسمة:

فأبدهن حثوفهن فهارب

والصورة على جودها تنظر إلى قول علامة:

رفا فوقهم تقب السهاء فداحض

شكتله لم يستلب وسبب

فالداحض هو هذا البارك المتجعج

ثم صور أبو ذؤيب صراها أشد الثور والكلاب والصائد ذا الأسم:

فبدا له ره لرماة بكيفته بيس رهاب رهاب مقنع

فريمي لينقاد فرماه فهموار له فكببه فكببه ففيق تنار.

وهذه الصورة الجديدة، هي أيضا من قول علامة: فداحض بشكته إلخ

ثم خاتمة القصيدة صراع فارسين مدججين بالسلاح - وهذه كا ترى درجة أعلى وأعنف

- 289 -
من درجات القتال. والقدر في جميع ذلك بالمرصاد. وفي الحجار والثور كما في الفارسين
كلها من الحميزة والثقة وحسن البلاء
متحايمين المجدد كل واقع بلالائه واليوم يوم أشع

ومع عجب الشعر مبهمة المرحش الأكبر. المرحش جاهي قديم.
وكان الرواة لم ينظروا بكل أبيات هذه القصيدة. ولم يوفروا الشعر حقا من الشعر.
وروى عن أبي عكرمة بعض خبر هذه القصيدة أنها ربي بها الشاعر ابن عمه ثعلبة بن
عرف بن مالك ثم قال في شرح البيت:
ثلب ضراب القوانس بالسيف وهادي القوم إذ أظلم
ثلب اسم رجل ولم يرد تعلبة. فتأمل هذا الاختلاف.
وقال الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله والأستاذ عبد السلام محمد هارون في تحقيقها
المختصر من تحقيق المستشرق ليال لشرح ابن الجاحظ الكبير. وهى من نادر الشعر
الذي بدئ في الزهرن والغزل. قلت ومن تأمل القصيدة وجد أنها فيها الزهرن وغير
الزهرة، وليس هي حقا بمثابة وإنما الذي ذكر في البداية خبر من خبرها. وقد رأيت
اضطراب الشارح في تعلبة وثعلب ولولا رواية رواها ما وقع هذا الاضطراب.

الترجمة أول ما ينادى إليه في مثل هذا الموضوع. وقال في شرح البيت:
إن يغضبنا يغضب لناكما
ينسل من خرشائه الأرقم
الحرضاء جلد الحية والأرقم الحية قال أبو جعفر. يغضب يعني الرئيس المدوجب غيره
تشر كل شيء خرشائه. قال وكل متخفف فيه خروق فهو خرشاء.
قلت فعل هذا التفسير الثاني: كا ينسل من خرشائه الأرقم أي كا ينسل الأرقم - والمрад
بالشبيبة غير واضح إلا أن يقال هو كالألقم عند السم والتكابة إذا غضب فسار
ولكن سورة الحية وانسلاله ليس أمرًا واحدًا.
وقال الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله والأستاذ عبد السلام محمد هارون يغضب يعني
المدوجب. وهذا كما ترى مخالفة لما تقدم من أن القصيدة مثيرة.

ومن تأمل سياق أبيات القصيدة إلى قوله:
والوالدات يستنفدت غني
ثم على المقدار من بعقم
وهو البيت السابع عشر، وجد أن الكلام حكم الترابط، وإن تلك الآيات الأواخر
نبيلة، والثلاثة التالية رثاء، وسائر ما بقي حكمة وزعما،
وقف الشعراء بمكان فقر. دار كانت دار أحباء فأقررت منهم.
هل بالค้นـدياـر أن غيـب صمـم
الـدار فقـر والـرسـوم كـا
ديـسـنـار أسـمـاء التي تـبتـ
أضحت خـلائـا نـيـه ثـبـتـ

ثبـت أـي نـه وهـذا أـدـل
على خلائـا إـذ لوـكـان بـه أـهـل ونـعم وشـاء لـكان قـد بـدا ذـاك فـيه
صورة النبات والزهر هنا خـر عن أمـر واقع، لا وفـقة مع سـحر الـطبيعة.
إـلـا أـن الـطبيعة
أـبـت إـلـا أن تـفـرض عـلى الشاعر الإحساس بـجاـلها
نور فيـها زـهو واعـتـم
وطـن أـيروام، وـكان عـلى الشعر مـطـلعا وـيه خـبـيأ، أن هـاـهـا تأـمـلـا للـجـالـ فـقال بـيـه

الجـيد:

حتـى تعتم صـمع هـامـات الـرـبا
من نـورـه وتأـتـ الأـهـضـام

ثم انتقل المرشـق إلى التذكر، فتذكر الحـبيـة والـطـعـانـات اللاتـي كـن مـعـا وحـزن لـذـاك

بل هل شجـتـك الـطـعـن بـاكـرـة
كأـثـنـ النـخيل مـن مـلـهم
النشر مـسـك وـالـوجـوه دـنـا
نـير وآـطـراف الأـكـف عـنـم
وـصدق ابن المعتـزـان البـدـيـع لم بـيـدا بـيـشـار وـمـسلم.
ولـأـصـاب صـاحـب المـقـامـات هـذـا
البيت لـعـده مـغـنا.
قوله هل شجـتـك، هو المشـعـ بالـحزـن
قد كـرـهـ في قـوله:

لم يـشـع قـليـب مـلـحوارـات إـلـا صـاحـبي المـتـرـوك في تـغـلـم
أـي كـان قـال شجـتـك ذـكرى الحـبيـبة وـالـطـعـانـات عـند هـذا المـكان المـعـت بـالـنـوار المـقـر من
الأـحـبـاء.
لا بل شجـتـك ذـكرى أمـض وأـوجـع صـاحـبي المـتـرـوك في تـغـلـم قـتيـلـة، وـلـعـه إـنا وقـف
بـنـغلـم.
وأنتـعـ ذـكر ثـلـب بـيـتا واحـدا يـنعته بـه كـا من بـيـل أـتي ذـكر الـطـعـانـات بـيـتا واحـدا ينعته بـهـ:
ثلـب ضـراب القـوـانـس بـالـسيـف وهـادـي الـقوم اذ أـظـلـم
فـمـكان النـشر، لأن الغـانـيـات إـنـا هـن تـرـاء وعـيـب، أـسم ثـلـب عـلـم وـضـح بـيـدـل على
شـخـص رـجل شـمـه وآـضـح، وـمـكان "أـطـراف الأـكـف عـنـم" قـوـله: "ضـراب القـوـانـس
بالـسيـف" وـجـعل مـكان "الـوـجـه دـنـائـر" بـاـشـراـقـها وحـسنـها: "هـادـي الـقوم إـذ أـظـلـم"
ذا الهدية نور، فهنا مقبالة وموازنة كا ترى.

ثم كر معنا الحزن:

فاذبه فدى لك ابن عمك لا يخلد إلا شابة وأدم
قالوا هما جبلان. ثم اخذ في باب من الحكمة والتعزى:

لوكان حي ناجيًا نجا من يعومه كرم الأعمد
يعرفعه دون السيا خيم

خيم اسم جبل بعينه

من دوانته بض الأنواع وفورد قه طويل المتكفين أشم

الأنواع الرخاه قالوا لا تبض إلا في أبد ما تقدر عليه من الأمكنة - أي هذا الجبل بعيد
العلو. وإنها ضرب المزم الأعمد وهو الوعي الذي مسكته في الجبل البعيد مثلاً لصاحبه
المترك، في تعلهم أنه كان مثل ذلك الوعي في الانتهاج ومأمولا له طول البقاء
يرقاه حيث شاء منه، وما تمسه من بهرم

أي إن أساني الدنيا فلم تعالجه، عمر العمر الطويل، ولكنها تتعالج أحياناً كا
عجلت هذا الصاحب المترك قلياً في ذلك المكان الموحش.
فغاله ريب الحوادث حتى زل عن أريانه فحفظ
أي حتى زل عن أرياد الجبل فتحطر

ثم ختم التعزى بقوله:

ليس على طول الحياة ندم

هذا منتصب بقوله: "واما تنسه منه يهرم، فقصاري طول العيش الهم،" وإذن فلا ينبغي
أن يندم المرء على فوت طول الحياة - إذ وراء المرء هذا الضعف الذي مع طول العمر ثم

الموت.

ومن وراء المرء معمل

لا عود وكل ذي أب يضم

ثم على المقراد من يعقم

أي يجد ما يسد حاجتهن ليالولد إذ يلدن، هذا غناهن، إذ ليس بلزم أن يكون مع
الولد غني المال. ويصحح ما نذهب إليه رواية من رويا يسفندن غناء مفتوح الدين، ثم

من النساء من لا يلدن، يقدر ما قضى عليهن

بعد هذا يأخذ الشاعر في قرى آخر. ولو كان قوله:

- ٢٩٢ -
ما ذنبنا في أن غـرضنا مـرغم
من قصيدة أخرى، لـس كـن
الآيات السبعـة عشر الأولى قصيـدة رثاء. وـهل
يـصح أن يـقال هـما قصيـدـتان متفاوتان ضـماها الروايا معا لـمجرد تـشابه الروي والوزن؟
ولـقد قطع ابن تقية بأن هـذه الـمية ليست بـأـهل أن يـختار. واختيار الأشـياـخ قـبل زـمانه
لـها عـمن اختاروه من أشيـاـخيـم يـدفع ما ذهب إليه كل مـدفـع.
وأـخر القـصيـدة فيـه آنفـاس الحـزن والتفكر والحكمة كأوـلها وذلـك قوله:

لـسنا كـأقوام معاـمـهم كـسبب الخـنا ونـهـكة المـحرم
مع كون هذا فخرا فإـن مداخـله آنفـاس حزينة تتأسـف على كـسب الخـنا هذا وتتأسـف
على نـهـكة المـحرم
إـن يـخصـبـوا يـعيـبـوا بـخـصـبـهم
أو يـبـدـأـوا فـهـم بــهـب الأـم
وـهـاعـنا مـرارة وـهـاجـاء. وـلا رـبـ اـنه عـنـي بـنـي تـغـلب. وـالمـشـعـر لـنـا بـالـخـنـا أـنـهـا
خـطـيـبة ونـدـمـا
عـامـم تـرى الـطـير دوـاـخـل في
بـيـوت قـوـم مـعـهم تـرـتـم
هل أكـلاـوا الرـمـم أـو أكـلوا مـن غـم مـيـت؟
وـيـخـر الدـخـان من خـلـل السـتر كـلـون الكـودـن الأـصـحم
الـكودـن ردـى من الخـيل فـجـل الدـخـان يـنـسـب بـطـيـا كمشـيـة هـذـا الكوـدـن الـذـي لـيس
بـعـرـي
حين إـذـا ما الأـرض زـينـها البـبـت وـجـن رـوـضـها وأـوـم
فـهـذـه الـصوـرة الـتي وـصـفـها حـين وـجـدـ الدـيـار خـلت مـن أـهـلـها مع عـمـوم الخـضـرة
والـنـوارـهـا فـهـذـا الـجزـء من الـقـصـيـدة مـربـط بـالـذي فـقـدـ. 
ذـاقـوـا نـدامـة فـلهـا أكـلاـوا الخـطـابـان لـم يـجـدـ لهـ عـلـقـم
فـهـم قـد بـغـوا فأورحـشـت الدـيـار وـذـهـبت النـعـمة وـقـتـل الفـتيان ووجـاءـت الأـثارات مـكـان
عـيش الـاتـلـاف. وـالرـاجـع أـنـه يـشـير هـنا إـلـى ماكـان مـن إـسـراف المـهلـهـل وـتـجاوزهـ مـقـدـار ما
يوجـه القـصص
لـكـنـا قـوـم أـهـباب بـنـا يـقـوـمـنـا عـفـاعـفا وـكـرـم
أمرـواـنـا نـقـى التـفـوـس بـهـا مـن كـلـ ماـيـدـنـي إـلـيه الـذـمـم
هـذـا الـفيـداء. وـلـكنـا نـقـأـل إـذـا لـزم الـحـفاظ. وـلكـنـ الشـاعـر يـتذكـر عـهد القـتـال هـنا بـمثـل
تذكر لللطائع ولصاحبه المتروك في تعلم
لا يبعد الله التلبب والغارات إذ قال الخمس نعم
والخمس هنا جيش الملك المدعو
والعـمـدو بين المجلسين إذا
ولى العشـى وتنـبـادي العـم
قوله بين المجلسين أي بين مجلس وجلس وذلك في المشاهد العامة وعند حلول
الأضياف في أمر جامع والشاب هم الذين يخدمون ويعدون بين المجلسين-
يأتي الشباب الأقوسرين ولا تغبط أخاكم أن يقال حكم
أي تحل الدواهي، دواهي الشباب والضعف بين الشباب ومن قبل له كن حكما فإننا
يقال له ذلك بعد ذهاب شبابه، فلا تغبط أخاكم أن يصير حكما فقد فقد الشباب
الذي هو أغلى وأجل قدرًا.
هل صار المرشح حكما أهل يبيك شبابه هناـ
هذا أدنى ما يستفاه من قوله:
لا يبعد الله التلبب والـ للـ
وعلى العشى وتنبادي العـم
تغبط أخاكم أن يقال حكم
ويحيت الأيتام من قوله:
لا يبعد الله التلبب والـ للـ
وعلى العشى وتنبادي العـم
تغبط أخاكم أن يقال حكم
والعـمـدو بين المجلسين إذا
يجرينا في أن غزا ملك
كلف الحنا وتهكة المحرم
القوله: لنـنا كأقومات مطاعهم
ولا أشك أنه هكذا بشر إلى ما اشار إليه الحارث من بعدـ [إذ قصة الحارث وعمر بن
هند وعمر بن كششوم كل ذلك كان بعد زمان المرشح وإن كانت بعض قصص الرواة
عشرة كتب تجده من هؤلاء أبطالا ابديما لما تدخلهم من عناصر الأساطير ] حيث
قال:
كما كتائف قومنا إذ غزا المنذر هل نحن هبـن هند يعاء
ما أصابنا من تغلبي فطلول عليه إذا أصيب العفاء
فهذا يكذب الجاحظ أن الحارث لم يتصف من تغلب أم قال لم يكد
إذ أحل العلية قبة ميسون فأدلى ديارها العوصاء
تأمل كيف جاء بعنصر ما يقع في النسب هكذا وذلك قوله فأدلى ديارها العوصاء وما
يحلو قوله العوصاء من كتب معنى

- ٢٩٤ -
فتأوت له قاضية من كل حي كأنهم آلهاء
كأنهم عقبان
فقدا هم بالأسودين وأمر الـ مـ بـ بلغ تشقي به الأشقياء
فقوله "فتأوت له قاضية" هو عينه قول المرشح حيث قال:
«حارب واستعوى قاضية»
وهذا الغازى من ملك جفنة فعل الأفاعيل فلما يكن من تغلب الملوك الحيرة من
نصر، ولكن نصرتهم بُنٍو يشـكر وبنو بكر رهط المرشح ورهط الحارث وانظر بعد
الأيام وشرح الشرح لكلام الشاعرين. قال المرشح:
ما ذُنبنا في أن غزّا ملك من آل جفنة - حمزة مـ رغم
مـ قـ بال العـواتك والـ الغـ لـ ف لا نكس ولا تـ يـ وـ
العوائتح من الأرـد والغلف من كندة قالوا عندن غلبته وسَمَّاء ابْيَئَاء القيس
فالغلف بتشديد الام وفتحها من وداد والعوائت جمع عائتة من أباه النساء اللاتي
ولدهن ومنو جفتة فرع من الأرـد
حارب واستعوى قاضية ليس لهم مـ ما يجاز نعم
فحورون ما ينهبون
بيض مصاليت وجـوههم ليست مـ بـ بـ حـاز هـ بـ عمم
أي هذه صفتهم يعيش منجدرون كالصقر وجوههم حديدة صلته غير أنهم سبارة
مجدبون ليست لهم بحارة ذوات مياه تعم كملوك الحيرة وما يجدون من جنود، فظهرون
انسلاخاتهم ومحيرهم جوع وشراسة وشر وشـ وروى بعضهم بغض بالتغين المعجمة
وضمنهم أو ضم وتح فـ في الروى بالمجمـ ة وفتحها فهو جمع غمـ و هو من الكلـ
وهو في منعي من روـي بالمجمـ ة وضمنهم قال الشـ اـ رـ وـ وـ روـاء بـ حـ عـ يـ ممـ
هجامه. يعني بالعين المهمة.
ومن روـي بالمجمـ ة وضمنهم فهو جمع غمـ قال الشـ اـ رـ "يقال ماء غمـ إـ ذا لم يكن
ظهراً". هـ وـ هـ ذا يـ نـ يـ غـ يـ أن يكون مدحه ولا يعـ تـ أن يـ مدـح الشـ اـ ر ~
السـ باـ تـ أن وجوههم مشرة إلا على وجه بعد أن يكون أراد التأكد والمبالغة في معنى
انسلاخاتهم وشجاعتهم وتوق قدومهم ووجههم للحرب كقول الهذلي في تأبيث شـرا:
وإذا نـ ئـ تـ إلى أـ سـ رـ وـ جـ هـ بـ حـ رـ كـ بـ عـ العـارـ ضـ المـ هـ للـ
ويعيـ ن أن يكون عنـ هـ على هذا الوجه مـ دح ملك الحيرة ومن معه.
وأقرب إلى الصواب رواية العين المهمة وأن ذلك هجاء، ثم أتبعه صفة ملك الحيرة، أـ
هؤلاء جاءوا بعضاً مصابين أهل شر، عقبان نب وقَتْنَاء، فانقض عليهم ملك الحيرة
ومعه جيشه الكثيف وناصروه من رهط المرقش
فانقض مثل الصقر يقدمه جيش كلالان الشريف لهم
أي ضخم كبير
إن يغضبوا يغضب لذاك كلا
يسل من خُرُشِهَانَائه الأرقم
ويجوز أن يكون هذا في وصف ملك جفنة الغازي ومعه جيش قراضيه الذين هداهم بالأسرتين أي النمر والملاء ليكونوا أحرص على الحرب والنهب وقيل في الأسودين غير
هذا.
وعلى الوجهين فالقصيدة خطاب مدح للملك ضمه الشاعر أسي على ذهاب الشباب وتبذكرا ابن عمه القتيل ولثارات والاحبة بين قومه وقوم الملك. وألحق الحكمة بمعنی الحزن والتأمل في ما صارت إليه حال أبيه ونفت بعد أن بغي بعضهم
على بعض. وكان قد وقف بالذي قاله عند الملك موقف الحكم، فهذا قوله:

"يأتي الشباب الأقزام ولا تغب أخاك أن يقال حكم
والأقزام ملحق بجمع المذكر السالم أي الدواهي
وتأمله في ميمية المرقش هذه ترينا أن جوهر موضوعها يدور حول خصومات
حرب البيسوس وما كانت تلتجء إليه ملبساتها من التهاند والاحتكام والغدر
وتربص وما إلى ذلك من حين إلى حين
وما يشعر به من الأسي والأسف على فوت الشباب قوله:
لا يبعد الله التلبب والغارات إذ قال الحسم نعم
نعم أي إبل تغير عليها وسوقها
والصَّحْبَان بين المجؤسان إذا
وللعشى وتنبَّادى العم
"}

وقد نظر زهير بن أبي سلمي في معلقته:
أمن أم أو في دمته لم تكلم
وقد قابل بين صفه الطالعين التي في أول القصيدة، وبين ذكره الحرب الذي جاء به بعد قسمه. وقد أضمر ذكر الرحلة إذ وقوفه حيث وقف دنيا على أنه مرجل، وهو المذهب، بذلك مثلاً قول عبارة.
فوقفت فيها ناقة وكأنها فدن لأقصى حاجة التعلم، ثم قسمه بالبيت يدل على أن رحلته كانت إلى البيت، وكانت عهود الصلح وما أشبهها تتخذ عند الموسم.
وقوله:
فتى وردن الماء رتقا جامعه وضمن عصي الحاضر المتخييم.
هذا مشعر بالأمن والرفاه، يواسه ويناسبه ما قاله من بعد:
وقال قلتها إن تدرك السلم واسعا بالأم ومحفوظ من القول نسلم.
وقوله:
رعاها، ظلمها حتى إذا تم أوردوها غارا تفرى بالسلاج وبالدم.
فهذه غير قوله: "وردن الماء رتقا جامعه" فقضوا مناية بينهم ثم أصدروا إلى كلا مستقبل متوضخم وقح جمع زهير في طريقة ربطه بين ضروب من التدبر وتداعي المعاني والمقابلات.
وغير ذلك، لقوته في منهج القريض وافتنائه ومن نظره إلى المرشح، تفكره في أمر المناية - قال المرشح: يرقاه حيث شاء منه وإما تنهيه منتهية يهرم.
فهذا قول زهير من بعد:
رأيت المنايا خبط عشوا من تصب تمه ومن تخطيه يعمر فيهم وفي زهير أسف كتب على هؤلاء الذين أصيبوا في تلك الحروب. وهو من أنسائه الأيام فهم وسم ووقف موقف من يقال له حكم وينبغي وبسط فطن الفاطن لوجب ألا ينفث:
ستم تكاليف الحياة ومن بشرين هو لا أبا لك بسأتم.
وجذا زهير أمر حضين على غزوة الملك الذي غزا في ميمنة المرشح وذلك حيث:
قال:
لعماري لعم الخير جر عليهم بما لا يرضيتهم حصنين بن غمضم ولم يستغوا حصنين أحدا ولكن فأتل أن سيئه ذلك.
فشد ولم يفرع بيتا كثيرة، لدي حيث ألقى رحلها أم قشم.
وقوله: "سأقضي حاجتي ثم أتك عدوية بألف من ورائي ملمحم" 
وقال: "أم قشم" في معنى الصفر، لأن القشام من نعوت التسور وهو في ميمنة.

-297-
وقد تعلم قول المرشح
فانقض مثل الصقر يقدهم
جيش كغلان الشريف لهم
هم بكرس الالام وفتح الها ومريم مشيدة أي بيتهم ما أمانهم من كثافة
هذا ومن عجيب أمثلة المسألة آخر لاية عبده بن الطيب التي في المسائلات
(السادسة والعشرون) فقد نسب ووصف السير وافتني في صفة قتال الثور والكلاب.

ولى وصعن في حيث التبسن به
سيف جلا متنه الأصناع مصقول
لسانه عن نهال الشدق معدل

ثم انتقل إلى شريح من صفة القنيص وقفو زمان الجاهلية وصفة السير إلى
القادسية أما صفة القنيص فقوله:

ما وردنا رفعنا ظل أربيبة
وفرار باللحم للقوم المراجل
أعرافهن لأيدينا مناديل

فهذا كقول امرئ القيس:

تمش بأعراف الجياع أكفنا
إذ نحن قمنا من شواء مضهب
مضهب أي مشوي على عجل لم يتحف كل التضيح وفي باتبة امرئ القيس صفة
الاستطال حيث طبوا لثيابهم وجعلوا الدروع المذينة أودا.
وفي صفة السير إلى القادسية ذكره المراجل، فهذكه كثيرة، أكثر ما يكون مع أهل
القنيص. وصفة اللحم حيث قال:

وردا وأشكفر لم بهبه طاببه
ما غير الغلي منه فهو مأكول
فهذا ليس بشواء مضهب ولكن له في قدور كثيرة. والاكتفاء بتغير الغلي
اللحم يدل على صناعة مع إغذاء في السير لا يمكن مثله من أنبه تجريد إيناء الطهاء
لهم. وفي خبر القادسية فيها ذكره الطبري أن جند سعد رضي الله عنه كانت
أوزدهم من الحبوب وافرة ولكنهم قروا إلى اللحم فاستنقتوا من م.asList السواد. فهذا
يناسب صفة الطبخ الذي لم بهبه طاببه والمرجع كما هنال.

وقوله:
ومنهل آجن في جهه بعض
كأنه في دلالة القضاء إذ نهوا
أي مذاب. فهذا من نعوت الفتوة وليس من نعت السير إلى الفادحة إذ لا يبني
عن تمام الاستعداد للحرب، وإنما جازف خالد حيث احتاجت بادية الشام ففجأ الروم
على غير نقط منهم لمقدمه. وسأذكر عبدا في صفته سير الجيش أنهم كان معهم الماء
ولذلك قوله:

ثم ارتحلنا . . .

وقوله ثم منبه عن تراخي الزمان، أي هذا غير ذلك الارتحال إلى الماء الآجن
الذي في جهه بعثر:

ثم ارتحلنا على عيس خدمتة
يعدلن بالباء في وفر غربة
هذه صفحة جمع كبير
نرجو فواضل رب سببه حسن
رب حياتنا بأموال غولجة
والمر سام لأمر ليس يدركه

وحق هذا أن يكون خالقاً، إلا أن في كلام الشاعر بقية، وقد أشير بذلك عند
البداية حيث قال:

هل حبل خولة بعد المجر موصول
حلت حسويلة في دار معاورة
بقايرعون رؤوس العجم ضاحية

فهولاء جند سعد وجيش عمر رضي الله عنها
ومقدمة القصيدة فيها خلط بين ذلك وبين شيء من سابق أمر عبده في تلك
وجاجيلة. وكان خولة كأي حبيبة هي أيضاً رمز عن جميع ما تولى من الشباب
وجنونه ويقبله إلى بعض ذلك حتى وهذا من ازدواجه دلالة الرمز شيء بساد كعب.
سعاد كعب رمز لفلاح اتباع قريش، فيها فجمع وولع - وكان المطلع «بانت سعاد»

- 299 -
ينظر إلى مطلع القبائل وصاحبه «إحدى بني» التي أرادت غوايته وهو حاج، ورمز أيضاً للنهاة بالهجرة إلى الرسول صلي الله عليه وسلم ونيل عفوه ورضاه، وكان المطلع "بانت سعاد" ينظر إلى مطلع ربيعة بن مقرم "بانت سعاد فأمسى القلب معموداً" وهذه القصيدة كالمجاورة لكبابة في الوزن والروي:

فخمار القلب من ترجيع ذكرتها
رس كرس أخي المحمى إذا غيرت
ولأجته أيضاً أيام تذكّرها
هذا قريب في المعنى من مقال بشامة

أنتان تسائلنا معاً بثنا
وقلقنا لها قد عزمنا الريحلا

الأبيات .... ثم يقول عيدة:

إن التي ضربت بيتاً مهجوراً
بكوفة الجند غالت وردة غول
فخويلة بالمجعان يقانع فوته العجم وخويلة بكوفة الجند. فهل خويلة كتابة عن الشاعر نفسه على مذهب عمرو بن قمته حيث قال:

قد سألتني بنت عمرو عن الأرض التي تنكر أعلامها
وأراد نفسه يقوله بنت عمرو كيف سبق ذكر ذلك?

فخويلة التي بكوفة الجند كل ما كان من شباب وعراة وهم...
فقد عنها ولا تشكيل عن عمل

وقد اتفرج على المظهر.

ثم مضى ما شاء في صفة جد السير وضرب استطادوصف المتفجع عنه .... ثم

صرنا إلى حيث قال:

والماء ساق لأمر ليس بدركه
والعيش شح وإشفاق وتأمل
فزعنا أنه خائفة لولا ما يهوي على من ظلال المقدمه ... زعم الفيروز آبادي أن
شوش وتشوش منع والجوهي حيث ذكر ذلك في مادة "شيش" في اللسان ما
ينفّذ أن أصل هذا القول من الأزهر، والإجاع منعه على صحة ما نقله الجوهي

وفوق كل ذي علم علمي.
من أجل تشويش المقدمة والرس الذي كرس أخي الحموي
يوما تأوي منها عقابي...
إذا غبت
عاد الشاعر إلى ذكر بعض ما كان عن عهد السفه والشباب - وناسب قوله تأويه أن يقول كأ قال:
وقد غدبت فوق فجر الشمس منطق
رخو الإزار كصدر السيف مسمول
إلى التنجار فأعذري بلذنيه
ثم وصف مجلس الخمر - وقد حال دون ذلك الإسلام والتحريم وعمر بن الخطاب - إلا أن يكون أصاب بعض اللوم أمامه إلى زمن مضى، وذلك ما يتجدد إلى اليومن من قوله

حتى اكتشأنا على فرش يزينها
فيها الدجاج وفيها الأسما غذاء
فيها شاهد منها وزيدتها
فملئها بضياء الليل مغطاة
وطية العراك لديده الرزق مغلول
فوق السباع من الرزقان إكيل

وو هذا من صفقة علقة بن عبدا التي في آخر مينيته (1)

حب كجزء حار الوحش مبزول
وكعبر الكذب في السفوح غلول
وما زادت لذاتوه ترف العصر على هذا - أعني عصروا هذا الذي يوسم باسم حضارة أوروبا.

فوق الخوان وفي الصاع التوابيل
من طيب الراح والذئاب تعليل
شعر كمذهبة السباع عموم
في صوتها لساع الشرب تزيل
تلقي البرود عليهما والسرايل
وئد أعم لا يزالون يصنعون كهذا الصناع ببلاد المكسيك، وذلك يكون من عقابي

(1) علقة بن عبد بن عبد بن الطبيب بسكون

- ١٣٠١ -
رس الجاهلية وما حمله العرب إلى الأندلس ولا يخفى أن الشاعر عند قوله:
تغدو علينا تلهينا ونصفدها تلقى البرود عليها والسرابيل
قد في الكلام حقه وهذه خاتمة حق خاتمة.
وقولنا إن الظن أن الشاعر أصاب لما يوقعه ذكره الفرش وذكره الدجاج وقد سبق قوله:
أهل المدائن فيها الديك وال菲尔
غير أن هذه أشياء من نعمة الحواضر، ولا سيما حواضر العجم، كان يتلذذ بذكرها أهل
الجاهلية ويزعمون أنهم شربوا من خمر العجم والروم الغالية.
وهل أحق أن تكون هذه الآيات بلاميته وكان قاها في الجاهلية؟ عسى ذلك. غير أنني
أميل إلى ما قدمت ذكره أن القصيدة اللامية هذه كل واحد وأن هذه الخاتمة أوجيه عليها
أول كلماته.
ومن المقابلة ما يخلطه نوع من المفاجأة. هذه المفاجأة يا تدخله من تحلل من المباين لـ
ما يباينه تكون في ذاتها علاقة بربط قوي. ومن أقوى أمثلة هذا الضرب صنع
الشافل في الثانية، وذلك حيث وصف المرأة ذات الحياء.
كأن لها في الأرض نفسها تقصه على أمهـا وإن تكلمك تثبت
ثم بعد أبياته الروائع المفعمة بالعاطفة، وقد قلصنا عنها حديثا في الجزء الثالث من
هذا الكتاب، قال:
ففدت وجلت واستكررت وأكملت
فبنتا كأن البيت حجر فقومنا
بالماحـا حـولها غير مسنت
المستوى المجدب، والأرج المستند لا يكون إلا أرج الرم ما يقتله الجروح والعطش وتحلق
فؤة الطير.
بعد هذا
وبما ضعفة حر القسي بعتهـا
ثم وصف الغزوة ومشيه إليها

-٣٠٢-
خزدنا من الوادي الذي بين مشعل
أمشى على أين الغزاة وعدها
أمشى على الأرض التي لن تضرني
وبين الجبلاء خيارات أنشأت سرية
يقرني منها رواحي وغدوتي
لأنكى قوما أو أصدق ختي

كل هذا شتان ما بينه وبين الرزخان وأرج الحبيبة الذي حجر به البيت.

هذا الانتقال المفاجئ شبهه بسأله أوسط طاليس في حديثه عن الأمسة في شعر
اليونان بالتحول. ولا يثبت أن الشنطري تحول وحولنا معه من حال نعمة
ولدها حال شدة شرسة. وقد صنع هذا لا متشتت الفكر، منساقا مع نظم الأبيات
المفردة كما يظن من لا يتمعن فهم الشعر العربي ولا يتذوقه، ولكن متعمسدا إلحاق أمر
بأمر، وربط لاحق بسابق، وإحداث عنصر عن الموادية والقابلية بين متبادلين جمتها
تجربيته وبيانه وكصقه للفتاة ذات الخفر وتبث إن تكلمك وصف أم العيال، وهي
صاحبة تأطب شرا، فخلع عليه من صفات الفتاة، ما جعله يعزا ما ذكره وفصله من
صفات الفتاة وفصائل أثناها.

أم العيال: إذا أطمعتهم أوذعت وأقلت
وأميمة: [وأ吸引更多 من أم العيال مكبرا وأمي مصغرا]

تبيت بعيد النوم تهدى غيوبها
جارتها إذا الهديدة قلت
قال "قلت" عن أمية "أقلت" عن أم العيال في "أقلت" هذه الثانية صدي ومجاويه
قلت تلك الأولى المبنية عن الحوز حتى عندما تقل الهديية.
أم العيال: مصملكة لا يقصر البرد منها
وأميمة: لا سقوط قناعها
أم العيال: تجل كعلم العينة المتفائلت
أميمة: ولا تذكرني للبيت إن لم تبيت
أي من اللباب وهو الغزو ليلة
أميمة: تبيت بعد النوم ... .

قل بمنجا من اللوم بيتها ...
إذا هو أمي (أي بعلها) آب قرة عينه

- ٣٠٣ -
أي آب مباركاً سعيداً أو لل قرة عينه فتريع الخافض
وقد جمع بين التجرين معاً في خاتمة القصيدة عند حديثه عن نفسهّ حديث سلوي
عن نعمة العيش التي زلت كما قال في أول القصيدة:

فواكبنا على أميمة بعدما
ول السلام سبيل
الآلا لا تعبدني إن شككت خلتي
وإني خالق إن أريدت حلألawi
أي ما آبى سريع مبائية

ولكن النفس التي تنحى في مسبرته وهي أميمة، قد بانّت، فأبادل منها نفاس أخرى
يعلها إعزاً ولكنها لا تنحى في مسبرته كل الانتصاب
نحاف علينا العيل إن هي أكثرت
وحن جيّعة أي آل تأبى
واعلم أصلحك الله أيها القاريء الكريم أنه من باب هذا التحول ما مرك من نحو
قول علامة بن عبادة
بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا

وقوله:
قد أشهد الشرب فيهم مزهر زمن
بل غير بعيد من هذا الباب قوبلهم دع ذا، ودعها، وعد عن كذا وكذا والإقبال على
الجد بعد النسب، ولكننا كأن نحن إلى عناس أخرى من الربط في جميع ذلك من
تدرج وتداعي معانى وتفرع لباحث عن سابق وعاصفة أمر ثم الرجوع إليه كما نبى إلى ذلك
ابن رشيق في خدماته عن التخلص وقد مش في أول هذا الجزء
وقولنا إن عنصر المفاجأة عند الشفري وما أشبهه من الشعر مثل التحول الذي قاله
أرسطرو طاليس ليس بعيد. وجوهير مذابة البشرة تقارب يلي أمر واحد
وسابحة في ذلك واحد. وإننا يقع الاختلاف في الأشكايل، والماط الذي ضمه أرسطرو
طاليس للتحول منه خير أدب. وما يحسن ذكره في هذا الباب أن أودب استنجل
اللغة على من قتل أبياه وغشيأمه وقضي بعداً أليم. فإن كان ذلك المتعرون المذب
آخر الأمر إلا إياه هو نفسه ولعمراً إن قول التابعة:
ما جئت من سيء ما ردت به
إذن فلا رفعت سموتي إلى بدي
إذن فعلاقتك من معاقبة
قررت بها عين من يتأتي بالفند
من قبل استزال اللعنات الذي صنعه أحد. فقط كان النابغة بريتا. وكان أحد
غير بريء، وغير جلد الفؤاد على الإثم.
وما يذكر في هذا المعرض أن قتل الأب وغشيان الأم مما يسمى عقدة أحد ليس
ذلك بأمر انفردته بآداب اليونان، فعمله دائر في خرافات الأمم.
ما نحن به هذا الفصل ما يجري مجرى المقابلة قول أبي كير الهذلي
أظهر هل عن شبيبة من معبدة
أم لا سبيل إلى الشبة وذكرو
فقد أسف على فوقات الشاب هناء ثم تمثل هذا الذي أسف عليه في هذا الفن الذي
رغب أن يتزوج أمه ثم خافه وأحس فيه فوقات الشباب المباهين كل المباهين لما كان فيه هو
من إقبال على ضعف المشيب وانهيار قوته وذلك قوله:
ولقد سريت على الظلم بعشم
جلد من الفتيان غير متقل
حبك النطاق فشب غير مهل
وهدى من كل غريبة
كرها وعقيدة نطقها لم يخل
هذه أمنية تمناه أبو كير من أم تابع شرا التي لم يستطع إليها سبيلا
فأتنا به حوق الفؤاد مبطن
إذا ما نام ليل الفوج
إذا نبذت له العصاة رأيته
وإذا ييب من المنام رأيته
أي ليس يضعيف ولكن إذا نض من المنام نهض قانيا
منه وحرف الساق طي المحمل
أي هو مطوي طيا لضموه وقوة جسمه وذلك لاكتمال شبابه
وإذا رميت به الفجاج رأيته
وإذا نظمت إلى أسرة وجهته
بيه خازمه هوى الأجدل
يرقت كبر العمار متشه
صعب الكرية لا يرام جنبابه ماضي العزيمة كالخسام المفصل يحمي الصعاب إذا تكون كرية وإذا هم نزلوا فما أوى العيل ود أبو كبير لو هكذا كان هو.
وفي الأيتام بعد دقات من معرفة العرب بالترية ورعاية الصغار في أطراف الطفولة الأولى كقوله ومبرأ من كل غير حبضة أي بقايا الخضرة. وداء مغيل أي إن أمه لم ترضعه غيلا أي على حمل ذلك فيما زعموا يضعف الناشئ، وأن المرأة إذ غشيت في حال خوف أو غضب، كان ذلك أنجب للنسيل. قالوا وكان تأبط شرا امرأة قصيرة وذلك قول قيس بن العيزارة:
 فأكرم بني جسر شعل علي الحصى ووقر بزن ما هنالك ضائع شعل هو تأبط شرا. فإن صدق فهذه الصفة التي وصف بها أبو كبير تأبط شراً وإذا رميت به الفجاجإلخ تؤيد ما ذكره، وكأنه كرة تنمو إذ يوري المحاورو كذا قال:
يهوي خمارها هوى الأجندل أي الصقر.
خامس التحليل:
كل ماكتنا فيه تحليل، غير أننا نخص في هذا الفصل تحت هذا العنوان مسائل منها الخروج وهو كثير. فقولهم {دع ذا} و{دع عن ذا} و{دع ذا} لصلة نسجية أو تدرجية أو قوة صلة ما يبا تقدمه وما يبي بعده من ذلك ما سبق به الاستشهاد من قول الناخبة مثلا:
فعدعنا مضى إذ لا ارتجاع له وان الفاتنة على عينان أجرد ونحو قول عقله:
فعدعنا وسُلهم عنك بجسرة كمهم فيها بالردد خيب ونحو فلأهدين مع الريح قصيدة مني مغلطة إلى القتتاع قال ابن رشيق وقد ذكرنا بعض كلامه في أول الكتاب ومن المستحسن أن نورد كل هنأ إذا اعتمدا عليه في بعض ما نقول، وفضلا من ذلك مواضع، فيها تقدم، وقد تحق بعضه شيئا من التعليق من بعد إن شاء الله.) 11.
وأنا الخروج فهم عندهم شبه بالاستثناء وليس به، لأن الخروج إنها هو أن تخرج من

(1) العمدية تحقيق الشيخ معي الدين عبد الحميد رحمه الله 1 ص 234 - 238 2006

_ 106 _
نسب إلى مدح أو غيره بلطف تجليل، ثم ت마다 في خرجت إليه كقول حبيب في المدح
صب الفراق علينا، صب من كتب
عליו إسحاق پوم الرووع منتقها
سفي الإيمام الذي سئمته هيئة
لم تخرج أهل الأرض مغطرسة

ثم تمام في المدح إلى آخر القصيدة.
وكقول أبي عبادة البختري:

سقتها رسلك بكل نواع عاجل
من وبله حقا لها معلومة
لستكن بفك إبراهيمها

وأكثر الناس استعمالًا لهذا الفن أبو الطيب، فإنه ما يكاد يفلت له ولا يشذ عنه حتى
ربا قيح سقوطه فيه نحو قوله:

ها فانظري أو نظمي ينبرى حروقا
من لم يذق طرفامها فقد وألا
على الأمير عكري ذلفيفشفع له لي
التي تراكتني في الهوى مسلا

فقد تمثى أن يكون له الأمير قوادًا - وليس هذا من قول أبي نواس

ساسكو إلى الفضل بن بدي بن خالد
هواننا لعل الفضل يجمع بيننا
في شيء، لأن أبو نواس قال "يجمع بيننا" ثم اتبع ذلك ذكر المال والسخاء به فقال:

أمير رأيت المال في نقيته
مهينة ذائل النفس بالضيم موقنا

(في الأصل في نعائه، وينكر به البيت ولا يستقيم المعنى وهو خطأ إما من الطابع وإما
من الناصح). فأشار إليه جمعه بينها بالمال خاصة، يفضل عليه ويجزل عطيته فيتروجها أو يسرى
بها، وأبو الطيب قال: "يشفع لي" والشفاعة رغبة وسؤال ثم أتبع بيتها يا هو مقو لمعناه
في القيادة فقال:

أينت أن سعيا طالب بدمعي، لما بصرت به باللهم معتقلا

فدل على أنه يشفع إن أجب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك، وإلا رجع إلى القهر
والذي يشاقل قول أبي نواس قوله:
أحب التي في البدر منها مشابة
وأشكو إلى من لإصابته شكل
فلفظة الشكوى تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس.
وأما سقط فيه - وإن كان ملهج الظاهر - قوله يطابق امرأة نسبها:

끔أ فقد خسر صبحكم
وتفراقت عنه كتائبكم
إن المالحة خوضاد تتنقل
ملك الملوك فشاوته، وشأنته البخل
أم تذالين له الذي يسل
بخل (ولا جريم) ولا وجل
فلحم علي (فنا خسره) بأن الغزل يعوقه، وأن كتابه تفرق عنه، وجعله يسأل هذه
المرأة وتشكل هل تنعمه أم تبذل له، ثم أنها أن البخل لا يجل بهيج حل، فآوته
فحت الزنى أو قابر ذلك، ولعل هذا كان اقتراحا من فنا خسره، وإنما يجب أن
يقابل من هو ملك الملوك بمثل هذا، وما أسرع ما احتضن أبو الطيب، بينما هو يسأل
الأمير أن يشفع إلى عشيقتة صار يشفع للأمير عنها.

قلت ما تخلو ابن رشيق في جميع هذا من خلط بين أدب البلاط، ما ينبغي أن يكون
عليه، وبين مذاهب الشعراء في الخيال والافتتان. وليس مذهب أبي الطيب في أبياته
بجد مختلف عن مذهب أبي نواس، فمن أشعاره بالمال شفع. والطلب بعد المقتول أو
من هو في حكم المقتول من ذلك غير بعيد. وحديثه عن فنا خسره نهيته السؤال:

أتمؤين قرى فتفضحي البيت
ثم قوله بل لا يجل إنا هو خروج وليس بقيادة كأ زعم ابن رشيق ليضني صاحبه أبا
الحسن والله أعلم أي ذلك كان، ثم نرفع بالحديث إلى بلقية كلماب ابن رشيق:
والاستطراد أن بيني الشاعر كلمات صريحة على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها
الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعدود إلى كلماته الأولى وكأنها كل تلك اللفظة
عن غير قصد ولا اعتقاد نية، وجل ما يأتي تشبها وسيره عليك في بابه مبينا إنشاء
الله تعالى. ومن الناس من يسمى الخروج تخلصًا وتوسلا وينشدون أبياتا منها:

إذا ما انتهى الله الفتي وأطاعه
فلبسه بأس ولون كأن من جرم
ولو أن جرمو أطعمنا شحم جفرة
لباتنا بطانا يضطرون من الشحم
وأول الشعر بأن يسمى تخلصًا ما تخلص فيه الشعر من معنى إلى معنى ثم عاد لل
الأول إلى آخر ما قاله ما تقدم ذكره في أول هذا الجزء حيث استشهد بشيء من عينية النابغة. ثم قال: "ثم اطرد له ما شاء من تخلص إلى تخلص حتى انقضت القصيدة، وهو مع ما أشرت إليه غير خاف إن شاء الله تعالى.

وقد يقع من هذا النوع شيء يعثر في وسط النسب من مدح من يريد الشاعر مدحه بذل القصيدة، ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسب، ثم يرجع إلى مدح كما فعل أبو تمام وإن أتي بمثله الذي تمادى فيه متقطعاً، وذلك قوله في وسط النسب من قصيدة له مشهورة:

ظلمتك ظلالة البريء ظلام
زعمت هواك عفا الغدأ كعفت
لا والذي هو عالم أن النوى
مازالت عن سنن الوداد ولا غدت
ثم قال بعد ذلك:

لمحمد بن الهيثم بن شباة
مجيد جنوب السياك مقيم

ويسمى هذا النوع الإمام
وأتت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح، بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله "دع ذا" و"عد عن ذا" وياخذون فيها يريدون أو يأتون بأن المشددة بابداً للكلام الذي يقلدونه. فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى
المدح متصلاً بأبلا ولا متصلاً يقوله "دع ذا" و"عد عن ذا" ونهج ذلك سمي طفر

واستخدموا وكان البحتري كثير ما يأتي به، نحو قوله:

لولا الرجاء لم من ألم الهوى
إن السريرة لم تنزل في سيرة
ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة "لل فلان قصدت" و"حتى نزلت بفتان فلان" وما
شاكل ذلك اه..

كماهو أمن قنية بقصيدة المدح كذلك أهتم ابن شهيب، وقد بسطنا القول في أحبة
قصيدة المدح حتى كسحت سوته وكان كساسداً بيئاد الغرب والأندلس متأخراً في
الزمان عا أصابها بالشرق.

1309
وقد ترى أن ابن رشيق فطن إلى أنه قد يكون لعد عدد عن ذا ودع ذا وما أشبه اتصال بها قبله، وما سبب التخلص هو نص في معنى اتخاذ القصيدة وتشابك أجزائها كأنا تقدم ذكره أول شيء. وقوله وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب، يعني إليه بالعلم والخروج والنفي ما أحسسه إلا قد أراد به التقليل إذ قد مر بنا قول حسان:

إن كنت كاذبة الذي حديثني فنجوت من جحارة بن هشام نجوا بمرأة طمرة والجام.

وقد اتبع أبو الطيب طريقه حسان حذوك نعل بالنعل فهاج حيث قال:

وأنت كنت في أمر غرور الوعي وأعطى صدور القنادين الذابل.

وصدق ابن رشيق أن أبي الطيب كان لين أكثر من هذا الضرب الذي صار يبغي حسن التخلص وأولى به اسم الخروج كقوله:

قد أدعتنا واليتي كأنه قواض موجـلا نسج داود عنها أي العنكبوت.

وكتبت أبي تمام في ظلمك ظللت البريء ظلم صنع في:

أقبلها غدر الجيـاد كأنها أبيد بن عمران في جهة هن.

ثم قال:

سقت منابتها التي سقت الورى بندي أبي أيوب خير نباتها.

ووقف أبو منصور العالفي عند هذه التالية وضعف طية، وكان يشعر أن الويب عارفолжأ وله شعر ذوذواق وناقدا وقد بنيا ما نزى من تقديمه في باب النقد وإنيكأ من زعم أنه سطحي في كتابنا (مع أبي الطيب) وفي كتابنا (التباسه علاء) وليس لعمري بسطح من كتب الفصل التي كتب عن أبي الطيب والبدع والشريف الراضي وأبي فراس وأصحاب الصاحب، وهذا باب واسع ليس هنا مكانه.

ومن اسئات أبي الطيب في مسلكه سبيل حسن التخلص فصاره لي نعيم من الآلهة.
أحبك أو يقولوا جُرْ نمل
ثيباً وابن إينان لها رغم
غير أن أبي الطب كان يسلك هذا الباب، كان يسلك غيره من أبواب الربط وله في ذلك افتتان أين أفتتان. والمذهب الذي ذكره ابن رشيد للتابعة في العينية كثيرات أمثاله
عند أبي الطب، ومن أجود ما جاء له في هذا ميميته.
ملت وكما يتجلق عن الملام،
وقع فعُلَّه فَوْق الكلام.
وهي من روائع الشعر العربي كله وفيها أبيات صفية الحمي وفيا قوله الذي ختم به:
تمتع من سهادٍ أو رقاد
ولا تأمل كرية تحت الراجام
فإن لساداث الحالين معنى
سوى معنى انتهاءه واللام.
أبو الطب عام وده.
ويشب مذهب حسان وإن لم يخرج كخروجه لصلة كلامه صلة أوثق أوس بن غلفاء
حيث بدأ بفخر ثم خلص منه إلى هجاء رجل بعينه وأصاب قومه وذلك قوله:
جلبنا مخيم من جنبي أريث
للأجل إلى ضلع الصرخام
بكل منفجع الجذار من غير شديد الأمر للأعداء حمام
أي يخرج الجذار من نافذاتها أي أجرجها لفترة خيالية وشدة وقع حوارها.
أصبح من أصبنا ثم فتنا
على أهل الشرع في شياه
وجدنا من يقود يزيد منهم
ضعا في الأمر غير ذوى نظام
ثم انصرف إلى هجاء يزيد، وهذا على شبهه بخروج حسان أقل احتيالا منه لأن نفس
الفخ وثيق الصلة بنفس الهجاء.

سادسا، المخاطبة
وهي ضرب من الاحتفال على الربط وحفظ الوحدة كان كثيرا عند القدماء وما نقص عليه ابن رشيد نصاً، غير أنه يدخل في مقاله ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ثم رفع إلى ما كان فيه.
فمن أمثلته ما صنعه عمرو بن كثوم في المثلقة حيث خاطب بدءا فقال:
ألا هب بي صحنك فاصبحنا
ثم قال:
قفِ قبل التفرقِ يا ظعِينا
فجعل الساقِية ظعِينة وكل امرأة ظعِينة، ولكنها أرادَها الكِتابة عن الأعداء لِما قدمها
ذكِره من غزَلهم بناء العدو، ثم لما ضمت من معنى الفراق هنا.
ثم قال: قفِ نسألُك هل أحدثت صرماً لِما عُشِيت أَمَّنَت الأمينة
يوم كريمة إلخ.
ثم كَّا قال ابن رشيق رجع إلى الغزَل إلى قوله:
تشكرت الصبا واشتقَّت لما رأيت حُبها أَصْلاً حديثاً.
فقد وقع الفراق وقومها أعداء. وعاد الشاعر إلى الخطاب ولكنه خاطب رجلاً هذه
المرة.
أبا هند فلا تعجل علينا.
وقد مهد خطاب أبي هند بقوله:
فأعراضت اليامة واشمعرت كأسابي بأيدي مصلينَا
وهي أساليه وأساليه جَوْمِه. هذا قريب من الخروج الذي تقدم ذكره. وأبٌر هند كأنه أبو
الطمعة التي فارقت. وغاب خاف أنه أراد به عمرو بن هند نفعه أباه كأبا ترى
ثم قد صرح بِاسمه فيها بعد:
أي مشيَّى عمرو بن هنـد
أي مشيَّى عمرو بن هنـد
تضعِ بناء الوعشتة وتزدرينَ
منى كنْنا لَكِنْ مقتَّوبينـا
على الأعداء قبل أن تليلـا
بِكَيْنِ لِكَلِمْكِ فِيـها قطينة
بِكَيْنِ لِكَلِمْكِ فِيـها قطينة
تَمْيَّزَتَنَا وأوَعَـدْنا روبـيـدا
إن فـتاتـنا باـعمرـوا أَيـت
فَلخـصَل إلى الفخر وتُمِدَّي بَيِـن بيك وتَيِّن الطيَـاح والناس جميعاً، ومعطّنة عَتْرا مَرْبَـيَا
على تسـلَسل وتِدْاعِي معاك كـل اولك معـا في إطار عادة الشعراء. إلا أن جعل
من الخطاب وسيلة قوية توسِّع بها إلى الوطاء.
خاطب دارِ عبـيلة أولا. ثم صار إلى ذكر عبـيلة نفسها
وعلَّى عبـيلة بالـدِّبادَة وأهلتنا بالـدِّبادَة بأهلنا 
وعد الآلل على النحو الذي نه عنه ابن رشيق في "حبيت من طلل" ثم إلى عبـيلة
علقتها عريضـاً. ثم خاطبها
إن كنت أزمعت الفـراق فإنها
رمي ركـابكم للـدِّبادَة مظلم
ثم انصرف إلى حولته أهلها بعين عبد بحسن الخالب والصر. وإن شئت جعلت هذا من عتقدته خزي لونه وهو قول يقول به بعض أهل العصر يريدون أن يضاهئوا الفرقة الأمريكية وغيرهم من العرب زوج كا للفرقة زوج استعبدوهم. وفي بعض المعاجم في تعرف السودان أهنم عبد العربي. وكان الجاحظ رجح الله سليل عبد أسود كان جالا لعمرو بن قلع الناسيء - أي من القوم الذين قال قائلهم ونحن الناسون على معدد شهور الخل تجعلها حراماً.

ولعله كان من البجاحة أو من اختطاف البجاحة من بلاد السودان أو الحبشة فتبع بتهامة. وكان الجاحظ ما يأنس بالزنج وأخبارهم كحديثه عن الفاشكار الذي لم يكن يحسن الفشكرة أحد مثله. أحسنها تصفيف أعوار القمح بعد حصاده ورسالته عن السودان وفضلهما. وحكايته عن شيخ عظيم جهير الصوت يستكره الإغبار. وقد ولده رجل من أهل الشوقي وكان - كنا قال أبوشتيان - يقرب عبد أسود دقيق العظم دميم الوجه ورأى أكبره فقال حين نهب ورأى عظمة: يا أبا عثمان لا والله لا يساوي ذلك العظم البالي، بصرت عيني به في الحرام وتناول قطعة من فخار فأعطيها رجلا وقال له حك.

ظهري، أفترض هذا يا أبا عثمان يفعل أبداً. وأغلب الظن أن أبا عثمان قد عين أنه لا يفعل ولولا ذلك ما ساق الخبر. ويحذر من بخوض في أمر عظرة. وقد جاء الأمر بإكبار النبي صلى الله عليه وسلم أمره واستحسانه شعره إلَّا صحت روايته، أن يكون من عسي ألا يفعل أبداً أو لا يساوي ذلك العظم. وقد كانت في عظرة ساحة خلق وشرك نفس وكبراء ثقة بها عنده من بلاء لا كبراء است في الماء وأطف في الساء.

وكان عنه التعرض والتهكم بيا كان يطعن به فيه من دونه، فإن يك هذا عقدة نقصه. فذاك - مثل قوله:

كالعبد ذئ الفرو الطويل الأصلم

مثل قوله: سودا كخافية الغراب الأسحم

مثل قوله: لقد شفّي نفس وأبرأ سقها قبل الفوارس ويلك عنتر أقدم.

ولو كان بنفسه سقين نقص ما قال هذا، وقد يسرح كأ دير بؤلة القائلين ويلك عنتر أقدم. ورغم بعضهم وأظهروا صاحب الموشح أن عنترة كان من خام ثم أقدم لقوله: اذ يتقون في الأسدنة لم أخم عنها ولكي تضايق مقدمي.

وكان الرجل ذا علم بالحرب وخبر أنه كان يضرب الظن لينخلو قلب الشجاع يشهد.
هذا ثم وصف عنترة نغراها

إذ تستبِك بذى غروب واضح وكنان فأارة تاجَر البيت
أو روضة أنتفَاكا....

وبعد أبيات الروضة والذباب المترجم.
وهل تعصب أبو عثمان لابن عمة أبيه إذ زعم أن صفته الذباب من التشبيهات العظم التي لا تستطاع؟ وإذه:

تَسْبِى وتصبح فوق ظهر حشية...

التفت عنترة إلى نفسه، فقد هذا أول جمهه بالعرض الذي من أجله سبقت الفصيدة، وهو خروج خفيّ إذ هو تفهيد دقيق رقيق ....

 وأبيت فوق سرآة أدهم ملجم

وحتشي سرج على عجل الشوى نهد مراكله نبيل المحزوم

والمرأة ما تشبه بالمهره.

والصفات التي خلعتها عنترة على مهره بعضها متنزّع من صفات الفتاة عجل الشوى، وتوصف الفتاة بامتلاء العضد والساق وحسنها.

نهد - ذلك ظاهر

نهد مراكله أي سام على جواهر وقوائم صلاب. وإن تلك عبلا الموصوفة هنا ما هي إلا اسمية التي قال فيها:

أمن اسمية دمع العين تذريف

الأبيات الغاتية التي طرب لما أبو العلاء في غفرته (325) ومع ذلك أدخله النار وقال:

لقد شق على دخول مثلك النار وصار به تداعي المعاني إلى أن يورد بينا زعم أن سيبويه كان ينشده بكسر الهمزة كقولهم مغيرة بكسر الميم وهو

إحب لحيها السودان حتى إحب لحيها سود الكلالاب

وليس البيت في نصوص الكتاب التي بأيدينا، ولكن فيها الغيرة بكسر الميم ومتين

ولعل ما بأيدينا من الكتاب نقصت منه مواقع فمثلا البيت:
أنتِ مهـاـجٍـرـين فعـلـمـونَـ
وخطئوا في أبَا جَـاـد وقـالوا مذكور في الهوامش كأنه في شرح الأعلم للشواهد وليس في نس نكتاب، ولعل الأعلم أن يكون استشهد به، وهذا بعد باب آخر وتعود إلى ما كان فيه.
وقد ذكروا أن سمية أغرت به أباه فضرره فكان قد قرت له وتحللته تحول بين أبيه وبيته.
إذ ضرره أبوه، وذلك قوله:
تجلَّتْنِي إِذْ أُبِّـيَّـى العصـا قـَـيِّ
فَهَـل عَذابـك عِنـي الـيـبـوـم مـصْرـوف
وقوله: "رَّـشَا في الـبيـت" يشبه قول علامة:
كَأـنَّها رَّـشَا في الـبيت مِـلْـزور.
ومن علامة أخذه. وكان نظر أيضا إلى هذا التشبيه إذ وصف أمه فقال:
وأنـا ابن سـوءاد الجِـيـن كَأـنَّها
إِن كَأـنَّا أمـكِ يا هـذا رَّـشَا
الساق منها مثل ساق نعامة
والشعر منها مثل حب الفلفل.
يجني إمتلاء ساقها وغلظه.
وقوله "تليل المحرز" يفيد ضمور مهره وضمور عبلته أيضا.
على أنه من تمام أدبه لم يعمل في صفة حسانه ولكن رجع إلى أمر محويته.
هل تبلغني دارها شدنية
وقد قولنا أنه في تداعي معانيه وأخذ كلامه بعضه برقاب بعض التزم بإطار عادة
المشعرة من نسب فنقا.
ثم بعد أن بعدت وقنت أن تبلغه دارها
خطرة غب السري زيافـة
وحـب الناقة بالظلم
صعل يعود بذي العشيرة يضـه
كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم
وذكر جدها وجوهرها في السير ثم بروكها وكان صدرها ناي له نزيم - وهذا من أجمل
الشعر.
بركت على جنب السرداع كأنها
إنها عنى صوت هزيم صدرها
بعد هذا عاد إلى المحبوبة فخاطبها،
ثم أتيت بها علمت فانتى
سمع غالطتى إذا لم أظلم
وجعل ذلك ذريعة لزيد من الدفاع والحديث عن نفسه والفخر الكريم النبيل مع
اعتدال وناظرة وتدرى كنذره إذ قال:

... لم أخـسـم
قال:
ولقد شربت من المدامع بعدمـا
بـزجالة صفاراء ذات أسرة
فإذا شربت فانتى مستهلك
وإذا صحت فنفقت عن ندى
وعنها ولكني تضياقي مقدمي
ومن هنا أخذ يزاحم على عبالة. وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب أن شكسبير قد تألـر
بسرعة عنترة ومالقه في قصيدته هذه حيث صاغ ما صاغه على لسان القائد الذي سأله
أوتيلاه (وترجها بعضهم عطيل وقد تكون من عطاء الله) وقد تكون معرفة من اسم
عنترة) إذ زعم في دفاعه عن نفسه أنه أيا سحر الفتاة بحذته عن شجاعة نفسه وعن
مغامراته. ولا تستبعد أن يكون شكسبير سمع في المجالس عن كان له علم بالعربى
واذاها. وقد ذكرنا أن بيدوين وهو على زمان شكسبير كان بالعربية عالمًا ولا يد أنه
كان من علماء الملك حمزة الأول الذين صدر منهم نص الكتاب المقدس الموثوق
عنهم. ومن قبل كما ألمعلنا كان لشيرسون بالعربية صلة وثيقة إذ قد سفر إلى إسبانيا
وإلا النظام لم تزل لها بقية صاحبة على زمانه، وقد ذكرنا أيضا كتابته رسالة عن
الأسطرلاب ما كان يلهم مثله على مثلها من غير علم بالعربية، وقد تقدمه زمان غير
طويل من بني وطنه أحد أكابر علماء القديسين بالعربية وهو روجر بيكون في القرن
الثالث عشر الميلادي. ومن قبله في القرن الثاني عشر الميلادي (أد ب Laird البائي)
الإنجليزي
وإنما تكرر هذا الفعل الذي ذكرناه من قبل لأن زماننا هذا لن نستطيع نكتناء إلى تأكيـ
الحجة حتى يطبعوا الغافل والمغافل بالله التوفيق.
ثم انظر إليه كيف بعد قوله (وإنما صحت) وما زال في معرض الفخر بلائه في الحرب

٣١٦
المراد به التقرب إليها، جعل لها مكانا بملطحيها خطابا خفيا حيث قال:

وحيل غامية تركت مجدلا تمكن فريصته كشدق الأعلم

أي رب حيل غامية مثلها بيل هي عنده أنا الغواني وأجبه. ولذلك فهو حقائق ألا

يختم عن خصفيها بما نبرله من شجاعة ودغرة وصبر ونصر.

قوله "كشدق الأعلم" من قبيل قوله "كالعبد ذي الورق الطويل الأصلم" قالوا كان يقل

له عنترة الفحلاء وما أري ذلك قيل إلا لأن شفته قد كانت غليظة. قال أبو الطيب

يذكر كافورا:

وأسود مشفره نصفه يقال له أن بدر الدجي

وأوصف السعدان في ألف ليلة قريبة من هذا، حتى إن بعضهم يوشك أن يكون

 متفرش بعض شفته.

سبقت بداي له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم

هذه هي الصورة الأولى - ثم قوله تمكن فريصته الصورة الثانية وفيها أنفس أسفل. كان

حيل غامية محبوبة، والآن مجدل جراحاته بالدم ومثمر الموت صغير. قوله بعاجل

طعنة ورشاش نافذة جعلها معا أمرًا وأحد. وهذا أصدأ من قول قيس بن الخطيم:

طعتن ابن عبد القيس طعنة ثائر لما نفذ لولا الشعاع أضاءها

وإنها قصد إلى تصوير الغيظ وحقد طلب الثائر. أما عنترة فصور محن لقاء فارس

فارس

متحامسين المجد كل واقب بللاته والليوم يوم أشنع

إلا أن أضحى به يقال له الفحلاء ويقال له الأعلم، فتعلمون أنيا الفحلاء وأنيا الأعلم.

ظاهرة هذا الحقد ولكن بطنه لمأتي الصورة أسف وحن وتفكر في مصائر الأياض. لعله

هو أن يكون، لو لم تعجل يده بسابق الخربة المحتول، وإذن لكافحتها في التي

تคมو -

ولصرف الحيل التي خادمها أتبع ذلك قوله خاطبها:

هلا سألت الخيل يا بنة مالك إن كنت جاهلها بما لم تعلمي

أنا أيضا لقيت بلاء الحرب وأوجهها فليس دهى القصوة وإنها هو الخفاظ وصدق

القتال وليس ينجي من الغمرات شيء غيره.

-317-
إذًا أزال على رحالة سابح نهد تعاوـورة الكية مكـلـم
لا حظ الوطـين بين خطاها مع الإعجاب بـهذا المهرـ سابح نهدـ ثم هذا العطف عليه
والكتابة به عن نفسه: تعاوـورة الكية مكـلـم، ثم بين سبب هذا التكليم، أنه يعرض
نفسه للطعان و السهام وهي مناذا تحطى، وتصبى، و من تعرض لها فقد أهدف
طـورا يريد للطعـان و تـارة يُبـكر من شهد السـوقـة أني أغلى الـوـغ و أـعف عنـد المغـنم
أي في أيضا مع كـال الفروـسية ضربا و طعنا كـال آدابها، و في ذكر العفاف تركية لنفسه
عندها، أنه حين ترك حليل الغانية يجد عفت فلم يروها، إذ كان إليها يدافع عن
حورتها و عن حريمه أيضًا وهو القائل:
أنا المجين عنترة
كل امرئ يجمعي حرو
أي فجاه وعني بذلك أمرئته و النساء:
أسوده و أحمير
والشعرات الواردات مشفرة
و هذه لغة مكشوفة خشنة تناسب دفعه الظلم عن نفسه ما أراده أبوه أن يكر و لم يعده أن
يجره، و بكل مقام مقال. ثم جاء بعد صورة حليل الغانية بصورتين تدرج فيها من
هذه الصورة الأولى من بيس إلى أباس منه إلى أشد من ذلك فالثانية قوله:
ومدجـج كره الكية نـاله لا مـعنـهـا ولا مستسلم
بل هو متحدد قنول، فلهذا كره الكية جانبه، و الكية جمع كمي و هو الشجاع المقاتل
الذي قد كمي كل ضعف فلا يدن قره أين يصيره. كمي يكمي (باب ضرب) أي
ست و ومنه قومهم كمي شعادته أي سترها، و في دارجة أهل المغرب بكمي أي يدخن
التبغ لإخاله دخانه في صدره كالشيء المكتوم (1)
جiadت له كفي بعجل طعنة بمتقـر صداق الكعوب مقوم
فهذه الطعنة عاجلة نافذة إلا أنها دون مفاجأة الأولى التي كان نافذها و انفجار الدم
منها كأنها شيء واحد حدث كله في وقت واحد، وقد بين عنترة ما صحب هذه الطعنة
على عجلتها و نذاقها من جهد خير بالقتال متمرس به:
فشتكت بالرمض الأصح شيبة ليس الكريم على القنا بمحرم

(1) أو لأن أوائل المدخنين كانوا لاجئين منهم و يخفون عمن يخترون أو يتهيرون

٣١٨
وفي قوله: ليس الكرم على القنا بمحرم، من نفس الأسف والتفكير في مصائر الحياة قريب مما في قوله:

تكرر فريصته كشدق الأعلم
وقد فصل صورة هذا الأسف وروح المسأة في قوله من بعد:

فتركته جزر السبعاً بشفته يضمن حسن بنائه ومعصمه وذلك أنه كان مدلجاً فما بدأ له منه إلا هذا البناة والعصمه به، وما كان لذلك من غنى له إذ عاجله هو بطبعه من مثقفة ذي الكعوب المقوم.

والصورة الشائعة لمقاطع متمرصر شرع جريء بصير بالحرب واث체 بنفسه عظيم الخنوعة، وقد استغنا عن رمى و尻ه معه، ليقهره:

أول شيء كان لم ير منه إلا هذه الدروع السابقة والهيئة المهمة، وكأنه شجرة من شجر السرح،

والمبارزة التي يصفها عنترة كأنها مبارزة راجئة لفاسين على جواديها وكان هذا المبارز

معياً وكني عن جودة تزعمه القناة والسبع يقوله:

ربذ يبدا بالقداح إذا شاها هتاك غابات التجار ملهم

أشرب صفته إذ يلعب الميسر وإذ يبدأ الحمر لونه من حركة أديا الحرب ومن الطعن.

ومثل سابقة التي هن كروجها حتى أصاب مقتله، لما رأى قد نزلت أريدة أبدية نواجذه لغير تسم

عهدية به مهد النهار كأنها خشب البناة ورأسه بالعظم، فالبنان الذي كان يصرف به السلاح والقداح والرأس الذي عليه الخوضة ترق وقد كثر هو عن أناب قد سال الدم عليها ووجد وهو جسد ميت الآن. طعنها أولاً فهذا هناك

فروج الدروع ولا أنها بذل اضطضاها علا بالسيف القاطع فش هامته أو كي قال:

قطعته بالرمح ثم علوته بمهند صناعي الحديد الخدم.

ثم هنا هو ذلك

بطل كان ثيابه في سرح، يجد نعال السبت ليس بتلمؤم

قوله يجدن نعال السبت يفيد به إكفاءه عن سرحه حتى كان قد ارتفعت قدماه وتدل

سائر جسده، كان كسرحة قائمة وهو الآن كأعجاج نخل متفرع.
وتأمل قوله بعد هذا مباشرة وأغلب الظن أن هذا الترتيب صحيح:

يا شاءة ما ألق ص من حلت له حرمت علي وليتهما لم تحرم

هو الآن في حومة الحرب.

وما يشجع على الإقلاع أن يكون لقلب هذه المحبوبة فارس أحلامها.

لا يزعم عنترة بعد قره هذا العلم الباسل الذي بارز أنه سبي طعنه فقد سبق قوله "أف أعف عنه المغنم؟" فانصرف كأن ترى إلى نداء عبلا بحرة بعدها. ثم أتبع ذلك وصف الموجل لغناة عراقة تاسب ذكر عبلا وتناسب ما قدمه من انتصار وتزلي من بعده مكاننا مناسبة له، وكان ذلك هو المغنم وهو الجائزة.

قد ذكرنا من قبل أن ورد هذا النموذج الموجل في ميمية عنترة يصحح ما قدمناه من أن موضوع الغناية الغرامية قد كان من أنجاح النسيب معروفًا. وعلى ما روته من كلام امرأة الفيس ومن ساروا على نهجه من بعد. ومن هؤلاء بلا شك عمر بن أبي ربيعة

حرمت علي وليتهما لم تحرم

فتعمس أحبارهما في أعمالي

والشأنة ممكنة من هوى مزمى

رضي من الغناظ من حرام أرمى

قوله وكتنا التفت بجديد جداية

فلبنة مدرسا يحرف الأجف انتصاره

فسرت بها أمسي تجر وراء نـا

على أثرينا ذيل مرز مؤمل

تصد وتتدي عن أسيل الخ

حسنهذه الحسناء جائزة ومغنم وشكر لهذا الصنيع الذي قدمه من سلوكه بيارز حماة

الحقائق ومن يكره نزاله من الأبطال وييرب ولكن عمرا -وكتي بعمرو عن عمه أو

قبلته أو أحد رجالة أو عن عدو له من يحبذه وهو أسود على هذه الفنال البيض فلو

قدر على طمسها لفعل

نبت علمها غير شاكر نعمتي

والكفـر غبـة لنفس المنعم

صدق

ولقد حفظت وصاية عمى بالضحى

إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

لكريمة الحرب. وقوله ولقد حفظت وصاية عمى، إن ردته على عمر إلى أن عمها،

فكانه يقول قد حفظت وصاته، ومع ذلك لم يشكر بئاني. وأقرب من هذا أن يكون
عمرًا إلا شخصًا بعينه وإنا كتابة نعم ثم قوله وقد حفظت وصائعة عمى مرود على خطابته المحبوبة وهي إنا أبنته عمه كي يزعم أصحاب السير والأحداث وأما جعلها أبنته عمه على عرف العرب إذ الحسان التي تزود لتكون زوجة — سواء أكان ذلك مرادًا بالقوة أم بالفعل — يقال لها فابئة عمى، ثم مضى عطرة إذ عاد إلى خطابها يقص قصة شجاعته وإقدامه. وقد رأينا درجاته الثلاث مع الأوراق الثلاثة. ثم الآن قد حمي الوطن ووجهت ساعة الصبح ويبت الأقدام والمعركة بالحرب متي يكون الإقدام ومتى يكون التوقف والترخيص وانتظار فرص الهجوم.

علقمة صور لنا المركبة في عين اباغ تلك التي قتل فيها ملك الحيرة وأسر أخرى شأس في جمعة بني تميم — بتصوير رسم كان يضع مشاهده مهيبة المعركة وأهواها كلها على لوحة بلخياله المهيم وبقوله الناصع المبين.

أما عطرة قد تلقنا معه إلى وسط المهمة لمشاركه في احساسه وانفعالاته نفسه وليعلمنا ما علمه واخبره بعض علم القتال — ثم تتذكر أن هذا الخطاب موجه إلى أبنته هذا العصر الذي قد حفظ وصائعة ليكسب عطفها وحيتها.

في حjomه الحرب التي لا تنتهي غمارة الأبطال غير تغمعهم إذ يقرون به الأسئلة لأنهم قادتهم القدماء أمامهم.

ثم هو الآن سيدهم. ومن شأن السيد أن يحمي عبده لأن العبد مال. العبد لا يحسن الكر ولكن يحب الخراب والصر.


لم رأيت القسمة أقبل جمعهم يتذاكرون كررت غير مذموم تضايق مقدمي. أهي تضايقات فرصات الإقدام. ثم هاءهم هؤلاء مقدمون يعرض بعضهم بعضا. ورأت عليه اللاقطة مكامن ضعفهم.

لأمر ما كانت العرب في مقامات حروبها أيام الفتح الأول وما تقضي قصص عنبره وتتناسد شعره.
يُدعون عطر والرماح كأنها أشظان بشر في لبنان الأدمه

هؤلاء هم قومه كأسيق على خبرهم من بعد. وذلك أن منهم من كان يعجل في
نفسه للقتال. وكان نابي العرب الرماة قبل الانتشار. فكان لذع السهام والرماح
ما يهيج لانفجارات الإقدام. وكان عشيرة بذاته وخبرته وصربه لا يقدم مظهرا. فكان
ريسه ربا قلق له من يستعملهم الهجوم فيصيحون به يحضونه: "وليك عطر أقدام
وكتنهم منت هذه منهم مقالة "أي شيء تنظر أيها العبد؟"
وعلى العبد اعتداءهم، وفي قولهم حب له وإكبار.
قالوا كان عمار بن ياسر رضي الله عنه في صفين يلعن بزج القناة في ظهر هاشم بن
عبادة بن أبي وقاص يقول له: تقدم يا أئر! وكان هاشم من أهل الحرب ذا علم يبن
وكان عمار رضي الله عنه لا يجهل ذلك من أمره بل قد كان منه على ثقة. فكان هاشم
لا يتحرك لتحضيض عمار وطنه بالزج في ظهره ولكن يترتق ليجد فرصة الإقدام حتى
إذا وجدها انفع بالراية بقرى - من أجل ذلك سموه المرقال - وهو بترمز
أعطى يغيب أهلطلبه ملا
قعد عالج الحياة حتى ملا
بتهم بذى الكعوب تلا
لا بكو أن يقل أو يفلا
ومن صبر عشيرة أنه كان لا يندفع والقوم يحضونهم والرماح مشرعة والسهام تقفونه
وتصب حتى إذا كان وقت الإقدام وحانت فرصه كر وهو على بصيرة من أمره وعلى
ثقة:
ما زلت أرمهم بشغرة نحوه
فأوزر من وقع القناة بالبطانه
لولا كان يدرى ما المحاورة اشتكى
وكان لعلم الكلام مكلمي
وبعد هذه المناجرة والرخاه له رجع بما إلى قوله من قبل: "هتدعون عطر والرماح كأنها
البيت"، وذلك قوله:
ولقد شفيفت نفس وأبرأ سقمها قبل الفرسان وليك عطر أقدام
فوليك عطر تفسير ورجة إلى "هتدعون عطر" وقد يظن بعض أهل العصر أن قوله "ولقد

- ٣٢٤ -
شفى نفسي، وأقرأ أسقمها؛ من بنيء عن عقدة نقص ولو قد كان ذلك حقيقة أمره لكنته
ولم يصرح بشيء منه، وإنما شفي نفسه ثقته وإحساسه أن إذ دعوه بأنهم يكررون قدره
ومنهم محبون له.
والخيل تفتح الحبار عواسبًا من بين شيوطين وأجرد شيئم
الحبار مالان واستريخ من الأرض. وقد يكون عنترة بن صبحة لابن خجار أي أرضًا
dان لين واستريخة حيث وقعت المعركة. ويجب أن تكون تلك الأرض لانت واستريخت
لجري الخيل عليها أو لتصيب العرق والدم. والوجه الأول أول وأقرب في المعنى. وكما
ترى قدم عنترة ذكر الخيل مجتمعة للدلالة على أنه أقدم وقال لهم الآن كروا فكروا جمعة
معا، والخيل مراد بها الأفراس والفرسان جميعا وكلهم بهم عيوس. ثم أخلص عجز
البيت كله للتنبيه على الخيل المفردات من بين شيوطين وأجرد شيئم أي طويل قوي
الجسم فتنه، وهي صفة توصف بها الخيل والإبل والناس وقد مر بك قول الشاعر
يخلط أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:

يعقلن أجرد شيئم
وما أحسبه عنى بأجرد شيئم إلا حسانه، إن هو الذي بدأ الكر، والأجرد القليل
الشعر وقوله أجرد شيئم يدل على أن الشيوطين هي أيضا جراء
وما يحسن ذكره هذا البيت بشار:

كأن مثلث النفع فوق روسنا وأسياضنا ليل تهاوي كواكب
فقد قدم ذكر مثلث النفع، أي ما أثير من الغبار. ولو قد كان فارسا حقا لبدا بالخيل
التي أثارته كنول عنترة ههنا وكقول أبي الطيب من بعد:

تثير على سلميّة مسطرًا تناكر تحته لو لا الشعرا
(على أن أبي الطيب قد نظر إليه وأخذ منه في هذا البيت كأ قد نظر إلى عنترة أيضا وله
دبيب عبانة النابغة حيث قال بعد هذا البيت:

غبارا تعاشر العقبان فيه كأن الجو وعث أو خياب
وهذا من مبالغاته)

وأحسب أن أبا تمام كأنه قد عمد في نفسه إلى أن يفسر قول بشار، حيث قال:
من لم يقدر في شموه رهض الحمص فإن يقود خسا

٣٣٩
والأعمى يحس الغبار حين يثور بخشواه ثم يسار ما عنده من حاسة اللمس وعندنا
أن آبا قام قد أخذ قوله: "فيطر في خيشه ورغم الخمس" أخذها خفيا من بشار، فهذا
مزعما أنهما فسرتا إلى الأخاد ووضح بعض كلاً منهما.
وكثر من يتعاطون النقد وعلوم البلاغة، يا إستشهدوا بيت بشار على إحسانه الذي
ضاحيه بيه البصرين. وبيان البين ضرير لم تأمله للذي قدمنا من قوله بادنا
"كان مثار النفع" وأنه أيضاً لا يقصد إلى جانب الأبصاري في قوله:
ليل تجاوى ككم– كواكب

"كما يقصد إلى جانب الأبصاري"، أي أن أراد أن يقول: "كان مثار النفع بعيد على
الناس يوم حليمة الذي هو ليس بسر، قالوا ثار النفع حتى بدت الكواكب". وكان
بشار ما يذكر الناس بأنه من أولى الضرور، ولا ينتظر منه أن يقول كما يقول ذو بصر
مثل قوله.

"بيعين ذا لبعض الحك عاشفه" والأنذ تعشق قبل العين أحليانا
وقوله: "وإنا لا نراك فألسمتنا"
وقوله في إحدى الرائتين: "الصق بي لحية له خشت" وفِي هُمَا: "قوله لها بنغة لها ظفر"
فهذا كله من حاسة اللمس لا البصر.
وفي الرائتين الأخرى:
أمتي بسيد د– هنذا لبري ونشاه حليفه حتى انتشر
فهذا من قري إشارته إلى يوم حليمة، إذ يشير هنا إلى قول آمر القيس:
وهي إذ ذاك عليه من لاعب
وهي جمع جعله من لاعب
فجعل مكان النهر وشاحاً وإنها كنت الجارية به كأ لا يغني.
وورجع بعد معرفة عنترة البصبر بعينه وقلب معاً
والخيل تفتح أخبار عوابسا ما بين شيئمارة وأججر شريم
ذل ركاباً حيث كتب مشايعه قلبى وأحفظه بأمر مبرم
وهذا كأنه خالق غير أنه ما زالت في نفسه بقية وهذه البقية قوية المناسبة لقوله "ذلل
ركابي" وذلك قوله.
لقد خشيت بأن أموت ولم تدر
الشماتي عرضا ولم استمها
إن فعلا فلا قد تركت أباهما
قد رواه قبل هذا ثلاثة أبيات: فيهن تصريح برجعة إلى خطاب المحربة. على أن قوله «لقد خشيت» من بني أن يخاطبه، وليس بحديث منه إلى نفسه فقوله «مشاعي قبلي» بمثابة ذلك، لأن حدث النفس في هذا الموضوع مشعر بضعف ليس في عنترة ولا في قصيدته هذه وكان الذين رواه الأبيات الثلاثة بعد بيت «بأمر مرم» وهي:
إني عذاب أن أوروك فأعلمك
حالت رماح أبيني غبيض دونك
وقل كررت المهر يددي نحرو
لقد علمت وبعض ما لم تعلم
ما قدر عقلت وجزء من محررب
عذاب النحوه محمد بن أحمد بن حذيف
لقد خشيت...
(الذي علمته غيره أهلها والذي لم تعلمته أمر القتال)
كان الذين رواه هذه الأبيات الثلاثة تأولوا وقد خشيت على خطاب النفس فعمدوا إلى رواية هذه الأبيات ليكون كل ذلك خطابا. ومن تأمل وجد قوله: ما قد علمت إلخ 
كأنه تكرار لقوله: "هلا سألت الحيل يا بنت مالك" قوله: "وزوت جوانى الحرب" كأنه
من قول زهير:
تعى الكلامون بالألتين فأصبحت
ينجمهما من ليس فيها بمجرم
ولقد كررت المهر، تكرارا لما وصف به مورى، وفي الصياغة تكرار لقوله: ولقد حفظت
ولقد خشيت.
هذا ومن المخاطبة مذهب الحارث في همزته المعلقة. وفيه مشابه من مذهب عمرو بن كلهوم في النونين. غير أنه لم يتدرج من مخاطبة الظعينة إلى مخاطبة الخصوم، بل خلصالأاا
الذلك بعد النسب خلوصا مباشرا:
أبيا النشاطين المرقش عنها
وقد كره من بعد فقال:
أبيا النشاطين المبلغ عنها
عند عمرو وهل لذاك بقاء
عند عمرو وهل لذاك اتهما.
وفي القصيدة بعد أمثال:
إن نبشت... أو نقشت... أو سكم...
وهلم جرا.
وعينية الحادرة نسيج وحدها في اقتحادها على شيء من ظاهرة احتيال المخاطبة وباطن من استمرار صورة النعور الحلو المتسم الذي هو خاطيوة مع ما يلمس ذلك من معاني الشوق والحب، وقد سبق منا التنبه الى بعض ذلك في الجزء الثالث في باب الإجاء بالتجارب الذاتية... أما احتيال المخاطبة فتكراه اسم المحبوبة عندما صار من النسب...
للفخر قال في البيت التاسع:
أسمى ويلك هل سمعت بغيره البيت...
وقال في السادس عشر:
فسمى ما بدرك أن رتب فتية البيت:
ورب بتخفيف الباء وتشديدها يجل بالوزن والتخفيف والتشديد كلاهما قرأوا به في قوله:
"ربا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" التخفيف قراءة عاصم ونافع وأبي جعفر وسائر القراء على التثقيف.
وقريب من احتيال الحادرة هذا صنع ثلبيه بن صغير في قصيدته،
هل عند عمرة من بيتات مسافر
ذي حاججة متزوج أو باكر
 وهي الرابعة والعشرون في المفضيات. البتلات المتاع والزاد وما أشبه وهذا البيت مضمن خطاب عمسة إذ لم يجد لديها شيئاً فانصرف عابتا.
و قضى ليانته فليس بناظر
سمم الإقامة بعد طول شوائه
أي ليس بمستور
لعمادات ذي أرب ولا لماوعـد
ولعل ماـا منعتك ليس بضائعـأ
مسكن!!
وأرى الغـنان ما يندم وصـالها
بأـلا لـذي عمر ولا مبامر
كأنه ينقض قول علقة كله هنا وإنما دعاه إلى نقسه بهذا التعمير ما متيه به الآن من مزاج سوداوي
وإذا خليك لم يـدم لك وصلـه
فقطع لبانته بحرف ضامر
-٣٢٦-
وهذا يشبه كلام لبيد، فإن كان سابقاً له فقد أخذ لبيد منه وإن كانا متعارضين فلالله
أعلم أيها أخذ من صاحبه، ولكن قول لبيد:
حتى إذا ألفت بـٌدا في كافر، وأجن عوامات الثغور ظلامها

أحبه أخذه من بيان القرآن إذ سورة صاد مكية وفيها قوله تعالى: "فقال إني أحببت
حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب، وكان لبيد يفد إلى مكة في أيام ما قبل
المهاجرة. وموضع الأخذ هذا الإضرار البناء اعتباداً على علم السامع بمرجع الضمير.
ويبقى لفظ "كافر" متنازعاً بين لبيد وثعلبة أيها سبب إليه وهو عند ثعلبة:
فتنذكرا ثقالاً رئيضاً بعد ما ألفت ذكاء يمينها في كافر
وفى ثعلبة اسم عمرته فصيحة سمية عند قوله:

اسمى معاويديك أن رب فيه
بض الوجوه ذوي ندى ومأثور
حسين الكفاهة ماتذم لحمهم
بأكررهم ببؤساء جروان ذراع
وهذا أدنى إلى وقت الشرق من قول لبيد "بابرت حاجته البجاج البيت"، وجعل
ثعلبة هذا مدخلاً إلى الفخر. وربما ترى عنده ثقافة الباء.

وقد ضمن فخره قوله:

ول كنت واضحة الجبين غريبة
مثل المها تروق عين الناظير
ثاد ألعابها وأقرضهما
وأي ذو الإشراقة والسطوع قال الشراح الجهر تباشر الصباح، الجهر بفتح فسكون
 مصدر جهر. فالواضح الجبين هي عمرة نفسها أو أخرى يعارضها بها على نحو قريب
من نمط أمرى القيس إذ قال: "فمثلك حبل" في ميافعه لعينية صاحبة الغيظ.
وقول ثعلبة في آخر القصيدة

ولب دم جاؤين ذوي شده
ليس (مع ما فيه من فخر) بعيد المناسبة لما كان فيه من خاصمة عمرة.
ومذهب لبيد في المعلقة في خطابه نوار قريب من طريقة ثعلبة والحادرة في مذهب هذا

-٣٧٧-
الاحتيال الراطب - قال في أوائل القصيدة:

ولم تذكر من نوار وقد نأت

ثم قال بعد أن وصف ناقة بها وصفها:

وصل عقد حبائل جذامها

ثم قال:

بل أنت لا تدرن كم من ليلة

طق لذذ لها وندامها

ثم مضى في فخريه - قوله: "وغردة ريح" - قوله: "ولقد حيته" - قوله: "وجوز أيسار" - كل ذلك وما هو بمجراء داخلي في خاطبته لنوار حيث قال "بل أنت لا تدرن" ومرود عليه. هذا. أنا المعاي والصور الباطنة الرابضة بين أول كلام الحادرة وأخرى فهي جمال سماه وحديث الشاعر إلى شخصها الجميل وهذا الجيد الواضح وهذه المثلة

الحوراء المغروفة حينا بعد حين - حقاً أو تهم الشاعر ذلك - بدمعات الروداع، وهذا

الثغر المبسم الحلو، الذي كانا إنسامته من حلاوات قبالة

وزودت عيني غداة لقنتها بلوى البينة نظرة لم تقلع

وإنها نظر إلى هذا التصفد الذي يجلو عليه المحاسن وذلك قوله من بعد:

وتصلحت حسنات الأذاع

وسنان حوارها تحس طرفها

وإذا تناسك الحدثة رأيتها

فقد ود تفتيه هنا كآ ترى وكان قد قبله

وقول "تناسك الحدثة" مفيدنا أنه كان بينها في عش وعطا وفاصم استراح

الشاعر من قوة الشعر التي تضمنها قوله "إذا تناسك الحدثة" وما قبله من نعًت

إلى التشبيه ووصف الطريقة. وقد يبدو أول وحالة أن الشاعر قد استطاع بشبهة الشعر إلى

وصف الطريقة كأدة قدمنا أن الشعراء ما يفعلونها. ولكن مزيداً من النظر في نعته يدل

على المعنى الذي أوردناه أخيراً هنأ أن طلب بعض الاستراحة الوجدانية. وقد ضمن

صفة الشعر المرتقى بصفاته وحلاوة هذه الصفات التي نعت بها الغدير والسارية

والغلل المتقفع في أصول الخروج. وذلك قوله:
وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسنًا تسمىها لذذ الكربع ثم وصف لذذ الكربع هذا بصفاء قطرات السارية ثم جعل ذلك غديراً لآلهة
الصفاء لون أصجر فهذا هو اللمي
بغرير سارية أدته الصبا من ماء أصجر طيب المستنقع
فطيب المستنقع شاهدة بالصفاء والسجرة حرة إلى الكررة وهو لون الماء بعد أن
ينهل على الأرض ويستني لتكون جداول وغذاران وأصجر هنا أي ماء غدير أصجر
ومن نون الماء يقلل حزرة الأصر كان ذلك له وعدها وحدها الأول عليه رواية الديوان.
ويفيدنا أن الوجه الثاني رواية أيضا قول الشارخ ويقال ماء السيا قبل أن يصفو أصجر
(ص 54 شرح الأنباري الكبير س 11-12) فإن تلك أصجر صفة ماء فلا بد من تنوين
ونقل وعلي هذا الوجه ضبط طبعة دار المعارف بتعليقات العلامة أحمد مهدي شاكر رحمه
الله والاستاذ الجليل عبدالسلام محمد هرن (سعة 1361هـ-ص 42 س 2)
ظلم البطاح له انحلال حريصة فسنا ظننا به بعيد القلع
أي بعد الإقلال والمريحة سحابة والضمير في له يعود على ماء أصجر في رواية
من نون الماء وجعل أصجر صفية له، وأشبه أن يكون عائدا على الغدير في رواية عن لم
يليو، أي من ماء غدير أصجر سبب سجيرة لونه أن البطاح انحلت عليها سحابة
حريصة فقدت من أغلالها فهذا ظلمها لها إذ هي لامسك الماء فانحدر فيه كدرة ثم
أقلعت السيا فاجتمع الماء صافيا فيه السجرة كهذا التغر الصافي ذي اللامي
لعب السبل به فأصبح ماؤه غلا تقطع في أصول الخروع
أي في أصول النبات الغض الخضراء. صفة هذا الماء الغل المترقق كأنها هي
صفة هذا الذي هو لذيذ الكربع - نثرها المبسمر.
ثم يقول - وهذا يؤكد لكمعنى الاستراحة الوجدانية، وأنه ما زال ينظر إلى النهر
ويخاطب ذات ابتسامة الشائقة:
رأفت اللواء لنا بها في جميع
ثم يخضى في الفخر حتى يقول:
وحل مجاد لا يسرح أهلٍ-الله بسبيل ثغر لا يسرح أهلٍ-الله بلى الإصبع
لقاءه بكسر اللام ورفع الهمزة أو نصبها فمن نصب جعلها بمثاني إليه ومن رفع لم

- 329 -
بعد من هذا المعنى، وقد كرر لا يسحر أهله. وكان ذكر التغر لفتته بنوع من تداعي المعاني إلى هذا التغر اللذي الذي يحدثه فقال:

فسمى ما يدرك أن رب فتنة باكرته لذته بأهدام تعره
وكان هذه الصرورة مرتزعة من ثغره الأليم المترعرع الكريع. وقد روا في قوله من "بزل أسرج دلخ فجعلوه دن حليم، وسلم الشارع".

قال هكذا أول الأمر ثم عدل عنه.

ومضى الحادرة يذكر لذته بالشراب مع صحبته ووجه مع الأذن المترعرع بصفة العيون ولكنها ليست بمقتلى صاحبها ذات الطرف الوسطى، الحرة مستهل الأذمع. إنها عيون صحبه التي احمرت من شمل الخمر.

هذا الخمر كدم الغزال وبري كدم الذبيح. وفي هذا التشيبي شيء مستكن من معنى الغزال الأليم الذي هو حبيب الحسناء البكر التي بكرت مفارة وما معته إلا نظره.

هنا، عندما ينتقل الحادرة إلى تصوير ندامه وسكره ورفاقه في شدة السفر، شيء من عنصر التحول والقابلة وقد استشهدنا من قبل على ذلك بصنع الشفري في النائمة حيث قال بين صفات المحبوبة وصفة رفيقه "وأم عيال قد شهدت إلخ".

قوله: مبتديحين على الكيف كأنهم يكون حول جناته لم ترفع في ذرى أنفاس من قوله:

ظلم البطاح له انلال حريرة
هذا الذرة تسسه في لفظتي مبتديحين وبطاح وفي البكاء وفي انلال الحريرة وجناته هنا الدن الذي شربه. والأسير في رواية من روى بزل أسرج هو الدن.

وقوله من بعد بصف الأشعة
ولدى أشعث باسط لبيته قسما لقد أضججت لم يتعرف صورة فيها مشابه من أم عيال الشفري ومقابلة قلبه:

وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسننا تبديها لذيذ المكرع.

ثم ما جاء بعد من ذكر السفر.

وسمى هذين من الكلال بعثتهم أودي السفار بارمهما فتخذاها تخد الفيتفي بالرجال وكلها بعد الكلال إلى سواهم ظلمها مقطعية حسنال الأذرع تحدي بمنخر رفيع القميص سميداع
فهذه في مقابلة الظعائن التي كل منها تسير بحسناء تتصدف بواضح صلت
كمتصب الغزال الألع,
وقوله من بعد:
وملطة حملت رحل مطيلة
حريح تنم من العثار بدعقي نهضة
رجع به إلى مشقات السفر وقوله وملته هيا خطاب إذ كان قد قال: فسمي ما
يدرك أن رجل مطيلة هو أنها تPitch عرسه في السفر حيث أناخ وزوج وإرث وتوعد ساعده
القوي وعوجة هجومه كمثابة بلا تبعاً جدي أن ساعده قد خدر حتى كان قد بان، غير
أما أنها كانت هجومه قصرة لم يتقل فيهما عن حال توسده فلهذا خدر ساعده، وناقته لم
تترك إلا أن فتحنها، كان موضوع كل شتى من مقتنياتها الحسم أفن류 حط نظرة.
ومناخ غير تيبيئة عرسسته
عرسسته ووساد رأس ساعده
عنصر في الضعيع عروقه لم تدعع
أي لم تملئه ونتفخن كا تفعل عروق من جاور الشباب وشاخد
فرغت عنه وهو آخر قاتر
قد بان مني غير أن لم يقطع
في قوله قد بان مني نوع من أصداء بكورة سمية وبينها مع علاقة قلبي بها، والخمرة من
أثراً كمفتحم القطان للمجاع
وجعها وإن تزوجر به ترفع
ثم رفع إلى الخطاب:
ومناخ ذعلبة تغلب براكب
ماس بشيعته وغير مشبع
كأنه هذا يصف حال نفسه وحالة، إذ قد كان هو مسافر مع رفته الشعر في شيعة
أو أنها الآن إذ مضت فهو متى وحده ليضي وحده ، أم ذكرها وأي هذا الثغر المتبين له
شيعة بعده؟
ولقد ردنا إلى ما بدأ به إذ قال: "بكرت سمية بكرة فتمتع"، بقوله هنا "ومناع ذعلبة"،
وذلابة الناقة السرية. وإن كانت قلباً شابة فهذا أسرع لها. وقد علم القاري
الكريم أصلحه الله أن العرب ريا كنت بالqmlوص عن المرأة - فقصة مناع ذعلبة، على
هذا بقوله "بكرت سمية بكرة فتمتع" واضحة إن شاء الله. وله نظر ثعلبة بن صمير
في قوله: "هل عند عودة من بئات مسافر إلى قول الخادرة في مقطع كتابه هذا فجعله هو مطلعاً؟" أم هذا الضرب من القول كثير ولروده في الشعر ومثله كأعلم قول المسبب:

أرحل عن سلمي بنغير متع.

أخذ الشعراء بعضهم عن بعض طريق ركون.

وامثلة الخطاب الجملة وأسلوب المرجع بعد كثيره. ومنها مرح ما تقدم جمعية شبيب

ابن البصق في المفضلات:

لم تتسأل أن الحي فرخص بينهم

نويون شتنهم عن نوايتهم وهيجت

وفيما ما يجري مجرى الخطاب:

لصور بنية العمر ما أنا بالذي

وقرر عقدت أم الصبية اللطيف

واتي لأجل اللحم نيشتدا وإنني

إذا الموضع المويجاً بالليل عنها

هذا البيت جيد وفه انطباع من جرعة حقيقية صادقة. هذه المرأة العوجاء أي النحيلة

السيلة الغذاء قال المذلي:

ويأوي إلى نسوة عطل

وعلى موسم مثل الساعئ

وعود مراضيع مثل الساعئ

ووالذي الطفل ذو الودعتين الجائع الذي يوم ثديها وليس فيه ما يلق رمق جوعه.

وفي هذه القصيدة بيت ذكر فيه دمشق والأزور إذ وصف ناقتة فقال:

ها ربى ناذر بمنحها كأنها

دعائم أزر بينه فرك

وقرب من هذه الجميلة في منهج الخطابة، وهي أسبق منها زماناً بلا نين لأن صاحبها

عمر بن الأفام أقدم زمانا من شبيب البصق فافة هذا التي أوتأها

ألا طرقت أثماً وهي طروقة

وزارت عليه أن الخنال يشوق

وقد جاء بالخطاب في أوها ثم ساق الكلام عليه:

أصلح أخلاق الرجال سروج

ذريني فكان البخل بيأ هيشم

ذريني وحشي في هي ما فنان

_ ٣٣٢ _
ثم ذكر الضيف وخروجه إليه. وقد كان عمرو بن الأهر من سادة بني تميم وخطبائهم ووهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وله مع الزبير بن بدر في ذلك خبر. وكان شبيبا نظر إليه في الذي خاطبه بامرته، وافتخر به من قرى الأضياف وهو قوله:

وإني كريم ذو عينين جميل
ويستجيب بعد الهدوء دعوته
يعلق عينيما من الليل باردا
أنصح في عين ممن الزهد
اضفتم فلم أفتح عليكم ولم أقل
ومذهب المخاطبة كثير

وعند الإفرنج في قصصهم، مذهب شبه أن الذي أوردنا من إدارة الوحدة والربط على حيلة من المخاطبة كياسية وباير وباية مالك وما أشبه أحسب أن أصله من Picaresque قصص ليلة وجها ونحوها من الأساطير وهو الذي يقال له (بيكارسك) وهو ما يفعل أمر وحيدته متناظر بمغامرات شخص بعنى إين لم يكن بين المغامرات نفسها رابط بربط بينها غير هذا الشخص المغرم - من ذلك دون كهفه أو كيشو، ويرى بعضهم أن هذا أصله من تهريف اسم حكا، وذكر أبو حيان التوفيدي في بعض ما كتب أنه كان من الكوفة عليه زمان بن أمية، وقصة توم جونز «الروائي الإنجليزي فيلدنج» وما أشبه. وقد أنكر ارسطو طاليس صحة الوحدة على هذا الوجه في المأساة وعاب من جعل قوام مأساته أخبار أحرق البطل وقال بأمره المعروف في تشبيه وحدة المأساة بوحدة الكائن الحي وهو ما يقال له الوحدة العضوية. ثم استعمل هذا اللناف على غير وجه، والله الموفق للصواب.

سابعا، الاقتراح:
قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:
فلما ورد الداء زرقا جامه
ظهر من السوبيان ثم جزعته
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
أيمنا لعم السيدان وجدتما
فهذا الاقتراح، وسوجع أنه متناسى لمعنى الرحلة إذ قوله:

وقت بها من بعد عشرين حجة فلايا عرفت الدار بعد توهم
بدل على ذلك، ثم استمر في الرحلة حتى بلغ البيت فتأقسم. وقد ذكرنا من قبل أن
زهرى قد جاء من بعد عناصر من التسلسل والمقابلة، وسوى ذلك مما هو عنصر للموحة
والربط في هذه القصيدة العظيمة الشأن
وقال زهير بعد النسيب ووصف الحديدة والناقة المقلة والسائق والقابل والضفادع
يخرج من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفف الغم والغرقا
قال:
بل اذكرن خير قيس كلها حسبا
وخيرها نائلا وخيرها خلقا
ووهذا اقتضاب مضمن إضرابا عن ذكر الحبيبة وتسليبا عنها وإقبالا على جد من الأمر،
وهو المذهب الذي سطبه عقلمة في البئية، وخشته لبذا في قوله:
فافطع لبائتا من تعرض وصلة
ولذر واصلا خصلة صرامها
ودى سبي النبئه من أن مثال دع ذا وأمثال:
فعد عن ذكرها إلا إراقب لها
مع أن ظاهره اقتضاب، هو حقا موصول بما قبله وما بعده وأول المذهب عندي
وأحققها بأن يسمى اقتصابا ما كان يقع في المفاخر والنقائض وأشعار القبائل إذا
فجاءة الانقلاب فيه من النسب إلى القتال أمر طبيعي بذلك على ذلك قول عمرو بن
معد يكرب:
لما رأيت نساءنا يفحصن بالعزاء شدا
وبعد ليس كانها قمر الساء إذا تنازلت كيشهم ولم أر من نزال الكبش بدا

وقال سعد بن مالك من كلمة على نفس الوزن وكلها الكلمتين في الحجة:
كشفت لهم عن ساقها وبدًا من الشر السراح
يعني الحرب:
فهم بفظيات الخدور هناك لا النعم المراح
من ذلك مثل قول بشر بن أبي خازم الأدسية وهي التاسعة والستون في المفضيلات:
لَلَّمَّا نَسُلُ الْهَمُّ عِنْكَ بَجَرَةَ عِبْرَانَةَ مَثْلَ الْفَنِيقِ المُكَرَّدَم

-342-
زيافا بالرجل صادقة السرى
سمايل متيما في الحروب وعوامروا
ومن عند هذا البيت أقبل على المقاتلة بالبيان والفخر، وكان قد حس نفسه له ببيضاء
العوارض التي سمعت قبل الوشاة وهو بها شديد الغرام:

دار لبيباء العوارض طفالة
سمعت بنا قبل الوشاة فأصبحت
فظلت من فرفأ الصبابه والهوى
الأيم هو الجمل المغتنم هذا مراد بشر لا أشك فيه.

قلت الشارح والأيم المدوك الفؤاد الذي لا يفهم شيئا كالحجري الأيم والصخرة اليهاء
وهي المساء والأيمان السبيل والجمل المغتنم. قلت: والجمل المغتنم يخرج كركره وترى
شاهد الحزن والصبابهة عليه ويعتمع عن الطعام والشراب. وفسروا قوله طرف الفؤاد
بكسر الرأة وفتح الطاء أي استطرف حزنا أي أحسه جديدا.
ومعيبة بسر هذه جيدة ولكن ممئة عنترة أخيلها.

وفي ذلك قول الأعشى:

وعده هريرة إن الكرب مرغل
وهل تطبق وداعا أيها الرجل

ثم وصف هريرة فأبدع ما شاء، من منتبرة خلب، بالألباب لعوب:

هـركولة فنق درم مرافقها
كأن أخصها بالشوك متعل
والزنبق المورد من أردانها خضل
ثم أخذ في وصف الروضة، وكأنه بذكر المسك والروضة يرمي سبيل عنترة... وليس له
جد عنترة في الوصف وإخلاصه له، ولكن لكلامه حلاوة...

ما روضة من رياض الحزن مشهية
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
يوما بأطيب منها نشر رائحة
ثم أخذ الأعشى في قري من اللهو والمفاكة:

علقتها عرضًا وعلقت رجلا

٣٣٥
وعلى هذا النمط جاء شكسبير الشاعر الإنجليزي بманاظر من مسرحيته التي سماها: "A MIDSUMMAR NIGHTS DREAM"
واحدة المشابه بين ضروب من أقواف المعلم وعاصفة من شعر العرب تأتي أنه قد قرأ من ذلك أو سمعه من قراء كناصحه بدوالي الذي ترجع معاني القرآن مثلًا.
ومنهج الأعشى في نكاهته لم تأمله تمثيل الروح.
ثم يصير الأعشى إلى نوع من معاناة هريرة. وهنا هناتوبة خفية لما نأخذ فيه من عتاب ووعيد جاد من بعد:
حمدت هريرة عنا ما نكملنا أن أت رجلا أعرض بهـ قالت هريرة ما جئت زائرةـ
هذا البيت من الفكاهة ذروة. وهو مضمون ذكرى، لأن هريرة صدت عنه الآن وهو أعشى أضر به~ وملك عليك من مهلـ وويل عليك وويل عليك ما رجل
وإننا لا نراك فلنسننا
فرحت بأكثر ما راعها. ولست لبشر على جوده شعرو خفة روح أي بصير.
إما تريننا حفاة لا نمال لنا إننا كذلك ما نحن في ونتعل
فهذا يذكر أنه زائرة الآن وخلع نعليه لك لا يكون لوقع أقدامه صوت هذا من مكر
زوار النساءـ وقد ألحقا على أن الأمر كله ذكرى بقوله بعد:
وقد أخلصت ربي البيت غفلته ~ وقد باشر مني ثم ما يثل
أي ما ينجو
وقد أقوَّد الصبا يومًا في يعني
فَقد يَصِبَحني ذَوَ الشرة الغزل
وقد غدَّت إلى الحانوت يتعني
شاو مشت شَتَول شَشَت شَتَول
وَزعم ابن قتيبة أن هذا ما تأخُّر لفظه ومعناه أخْطا على ذمته بلى ريب وذَلَك أن لم
يكن لمثله في فقهه وورعه أن ينسى إلى شيء من أمر الشراب وفخههــ والتبرت من المفردات
الجِبَال. ثم أَخذ الأعشى في صفقة مجلس الحمر والأنس، وأخذ من علقمة أٓخْدا،
وكلام علقمة تخلطه من الذكرى أَحْرَان من جودة الوصف وإتقان نُغ المَفْرِض
وصفاته. وكلام الأعشى فيه الجذل، وتحس فيه حركة الطبخ والحيوية وأَنَس المجلس
الثلم وخفقة حركة الساقى وريين الصنح والغناه وحلوة الفتيات الراقصات
الظلابات:
في فتية كسيف الهند قد علموا
نَذِاعِمهم قَضِب الرجلان مُكَنن
لا يستبقيون منها وهي راهنة
بِسْعٌ بها ذو زجاجات له نطف
فِهَا هنا حركة حيوية
والحركة أُحدا في وصف علقمة ساقية
وليد أعْمِن بَالكتان مفَدُوم
ظلت ترقير في النُناجود بصفها
علقمة هنا ينظر على لون الحمر وبريقها وجودها ونظافه هذا الأعجم وتجويده عمله
ولكن الأعشى يُصوَر السعى الحيث، والأقراب التي تَتَذوَّب به وهذا اعتِمال
والتقليص_ الأعشى يرتفع مجيء الكأس ليبعه عبا ويهمك مع صخرا وحيوية
مجلسها. أما علقمة فهو ينظر بعين بصيرة الذكرى إلى متعة ذاتها وقد ذهبت أيامها
وبقيت لِذاذة ذلك في النفس والأسى على ذهابه وما تغيرت به الدنيا من حال إلى
حال.
ومستجيب تعالى الصنح يسمعه.
إذا ترجع فيه القينة الفضل
وهل هذه القينة الفضل هي هريرة مع الذي حاول أن يضفه على هريرة من سبي
الخُزَائِر وأسّلوبه إذ قال:
٣٣٧
كأن مشتهدًا من بيت جَانِتَهَا ممر السحابة لا ربت ولا عجل
لست كمن يكره الجيران طلعتهما
ولا تساهم لسر الجار تختل
ولكنها كما ترى زاوية هذا أشبه بأن تكون هي قينة. ثم يقول:

"والساحات ذوي الرجد أونى والرافقات على أعجازها العجل
بفسيض أبي عبيدة أن العجل هي المزارع بكسر العين وفتح الجيم أشبه أي أكفاء
مثبته وثبته بها. والأسف مسأله تفاصيل آخر أرى أنها كانت بأيديهم المزارع تخدم
بها من يسيقينه وهو وجه بعيد. وقد ذكر الأخشي السافي فإنه كانت الساحات تقف
بأصحابه وإن كان يغنيهم ويرقص بهدف ذلك على ذلك قولي من قبل: إذا ترجع في
القينة الفضل، وحول الساحات والرافقات من مانته ما كانوا يلهون به. دليل آخر
قولي بعد هذا البيت وهو في معنى ما ذهب إليه أبي عبيدة:

من كل ذلك يوم قد هُدِى به في التجارب طول اللهو والغزل
هذا البيت ولا سيما عجزه جيد. أي اللهو والغزل من التجارب التي تكسب الحكمة
وهو معنى عميق الغور.

وإذ ذكر أن اللهو من التجارب ساغه له أن يجيء بعده بي قابله، على النحو الذي أُرِينا
في تأثيه الشنيري وفي عينية الحادرة بل بمذهب الشنيري أشبه:

"ولبدة مثل ظهر الدَّرَس موحشة للجن بليلٍ في حافاتها زجل
لا ينتدها لها بالفيظ يرَكَّبها إلا الذين لم فيها أنواع همل
والملح التجارب، فهذا دليل الرطب بما تقدم فيه بين جلي أنها جل وأيقوى من قلنا به من
قبل.

جَارَوزتها بطليع جرة سرح في مرقاتها إذا استعرضتها فثل

هذا في صفة الناقة الفتية القوية جعلها في مقابلة القينة الفضل وفي مقابلة هركولة
الفنق. ثم من التجارب يتزوج البرق من أجل الصيد ومن أجل أن يراد للمرمى. وهكذا
أيضا مثابية إذا الغرث وعازره تحول كما كان فيه من فلعة كظهير الترس أي ملاء لا
نتب بها إلا عزيف الجنان في لها ولهان الجيظ في نهارها:

بل هل ترى عارضا قد بت أرقمه كأنها البرق في حافاته شعل
لـه رداف وجسمه مفَّأم عمل منطق بسجوجـال الماء معتمل
ثم رفع إلى اللهو الأول الذي كان فيه على نهر قريب ما بنه عليه ابن رشيق إذ تمثل
بأبيات النابة العينية.

٣٣٨٧-١
لم يلهني الله عنه حين أرقبه ولا اللذة من كأس ولا شغل

يعلم شغلا بغزل النساء. وزعم بعض المفسرين أن الشغل الذي في قوله تعالى: "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاهرون" هو فضف الأكبار. ويتب الأعشى هذا نوطنة لما سيؤول إليه قوله من بعد من أمر الجد والرود الذي كالهجة والخصوصة.

فهموا وكيف يشيء الشارب الثمل فالمسجديّة فالأبلا فالبرج فالمفعج يجري فختمره فترقه الربو والحلل موضعهم.

فقلت للشرب في دننا وقد تملوا قالوا نوار فطلن الخال جلدها فالسفع يجري فختمره فترقه الربو والحلل موضعهم.

روى القطان فكثيب الغنيمة السهل حتى تكلفة الهاء أدنى كما أصصبت غرضاً زوراً تاجن عنهما القعود والمرمل لها أي طرية. زوراً جوم قرآما يبديه أبدًا. أي أصصبت ديارها بعدها لاتبلغها الإبل ولا الخيل وقعله غرضاً أي غرضاً للأثمار أو غرضاً من يهدها وهو الشاعر. وقد جمع الأعشى هنا بين نشوة الثمل ونشوة رؤية البرق ونشوة ذكرى الحبيبة، فناصح ومصدر.

لم تواجهه قرب وقائه: أبلغ يزيدبني شبيان ملوكه ألسنته نحن أثنتنا كنت صخرة بوما ليفلقتها فهذا اقتضاب ما ترى.

ويروى "كانت صخرة بوما ليوهنها" وهو أشد ملاءمة لقوله أوهي في عجز البيت. والاقتصاد هنا قريب المعادن من اقتضاب بشر بن أبي خازم، مع ما صاحبه من عناصر المقابلة والعود إلى ما كان قد سبق ذكره. وقال بشر بن أبي خازم في مفضله (96) التي أولاها:

Utfت من سليمي رامة فكثيّها وفريحاً فما غير الناس قبلها ثم ذكر الفراق والدموع ثم قال:

"رأني فأحصى القطاقة ذئابي وما بينها من منعم يستحيها فقوله "وما مسحا من منعم قريب وما سبيها ابن رشيق بالخروج، وهو نحو قول أبي الطيب:`
مرت بناء لسبيها فقتلت لها فاستضحك ثم قالت كالمغتيب يري ليث الشير وهو من عجل إذا انتسبا.
فهذا احتلال أحتال به أبو الطيب فخرج إلى مدح المغتيب.
وقال بير إنا رأت رأسي لا شعر به أسى وسأكون لأفي كأفرح القطابة، وليس ذلك لأن منعا من على فيجز ناصبي إني من عشر أولى قتال.
أنينا بني سعد بن ضبة اذ دعوا والله مولى دعوة لا يجيبها.
فهذا اقتضاب مع الخروج الذي صار به الشاعر إليه. إذ الغزل ونشوته قد وطأت إلى ذكر القتال ومعد الشاعر بنى سعد بن ضبة.
ولو رجعت إلى قول حسان بن ثابت:
إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوته من بدر الحارة بن هشام
ترك الأحكة أن بقات نحن نحن بالرأس طمرة ولحم فهنما مع احتال بالخروج الذي خرجه نعmina: "اقتضاب" هي للغزل قبله، إذ هو خصومة وقاتل.
وعلى هذا السوته يصع زعم ابن شبيق أن العرب الأولين لم يكن شعراؤهم يستعملون الخروج كاستعمال أبو الطيب وأبي تمام والمحدثين له، لأن هؤلاء كانوا يخرجون به كل الخروج، أما ما جاء منه في كلام القدام، كأعند حسان فله اتصال معنوي ما، على النحو الذي ذكرنااه منه. أو على تضمن خاطب للمجهوبة يا سيأتي كأ صنع الحذرة بقوله: "فسمى، ولبيد بقوله: "بل أنت لا تدرن"، وما أشبه. ومن أوضح هذا متالا قول عبد الميسج بن عسلة العبدي:
فإن تساؤليني تأتي بعامة
بأيانتك في الجاجا
إلى الحول منها والنسور الغشاعا
الاقتضاب عند المحدثين
الذي سيا ابن شبيق خروجا أكثر ما يقال له في شعر المحدثين التخلص وما
مدح به أبو الطيب حسن التخلص كبيت المغتيب وكقوله:
حال من عين ابن منصور بها
جاء الزمن على منها نابيا.
وكقول حبيب:

مجاهدات القوافي في أبي دلفا

وقوله:

بانت عليها هوم النفس تصطخب
ما أطل ارتجال المذل قلت له
ولا ريب أن الغاريء أصلحه الله قد قطعت إلى جنات خطوب وخطب وله مناسبة
الخطب لقوله قبل لأطل ارتجال المذل

لم يجمع قط في مصر ولا طرف
في من أبي جعفر آخينة سبب
على أن بخلح حبيب هذا أنفسا من روح اتصال المعاي الذي نجده عند القدماء
ومذهب القدماء عنه كثير كقوله:

لست من العيس أو أكْلَهَهَا
الصيفي جدًا أبي الحسن انصرم
=. ان العاص الكدري في قربه
فهذا كثر ترى من باب الرحلة بعد النسيب وبياه الدبار وأول هذه القصيدة:

إذا بكأ في الدوار من أربعة
فسايا مغمرنا على طرية

والخطاب لعينه وختصل إلى وصف المزن وكان به كلفا:

وكقوله:

إليك جزعنا مغريب الملك كمال
هبتنا ملا صلت عليك سبسبه
فهذا قول علقة: إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي

وكقوله:

وركب يساقون الركاب زجابة
من السير لم تقض حياة كف قاطب

إذا قال بعد وصف جده في السير:

التقطع ما بيني وبين النوائب
ونقل المخلص الانتظاب، وهو الخروج فجأة من النسب إلى المذل بلا تحقيق وهو
الذي ذكر ابن رقيق أن من سياسته البكر والكسع والقطع وضرب له مثل عند القدماء
دع عذ عبد عن ذا واستشهد به كلام المحدثين بقول البجيري:

لولا التجرّاء لت من ألم الهوى
لكن قليل بالترجأء موكول
عمريه مِدَ سِماها المنوكل
وَتَوَفِّهم الْوَاشِحُونَ أَنَّمِقْصَر
وَبِالْهَوْقَانِي وَرَدَّ الحُدَود الأَحْرَ
ملَّكْهَا يَسْتَفَهُمْ الخُلفِيَّة جَفْعَر
وَقَد حَاكِي الْبَحْرِي فِي هَذَا مِنْ مَذْهِبٍ وَهُوَ عِنْدَهَ كِثِيرٌ أَسْتَذَاذُهُ أَبَا تَمَمْ إِذْ لَهُ مَنْهَ
قُصَائِدٌ، كَتَبَهُ:
أَذْكِر عُلْيَا شِهاب نَارٍ فِي الخَشَا
عَنِّ النَّبِيَّا بِالْجَنّون كَانَ أَنَّهُأُمُوْمَا رَأَى بَرْدٍ مِنْ نُسَجٍّ الصَّبَا
لَا جُودٌ فِي الأَقْوَامِ بِعَلِمٍ مَعَِمَا
مَتَسَدَّقَ فَقَلَوْا بِهِ أَحْسَبُوهُمْ
وَكُفَّوْهُ خَاطِبْ الشَّيْبُ فِي نَسْبٍ قَصِيدَةَ لِهِ أَبِي سَعَيْدٍ الْعَفْرِيّ:
الْفَطَيِّيْنِ مِيَةٌ وَمِيِّتَةٌ
كُلُّ ذَا بِرْجٍ يَلْدُوَاء لَهُ إِلَّا
حَسَنَاتِ يُنَبِّئُهَا ذُنْوَى
وَرَآئِيَ مَا رَأَيْنَ لَقَد أَنَّهُ
فِي تَدْعَيْنِ عَنْ قَلِفٍ بِالْشَّدٍ
لَوْ رَأَيْتَ اللَّهُ أَنَّ للشَّيْبَ فَضْلًا
كُلِّ بَوْمٍ تَبْدِي صَرْفِ الْليْلِيَّ
فِي عِنْدِ أَبِي سَعَيْدٍ رَغِيبٌ
وُجَرَّ أَنِّ أَبَا تَمَمْ لَمْ يَشْتَهِرَ بِالْقَضَابِ شَهْرٌ أُبُو عِبَادَة عَلَى كَثِيرَتِهِ عَنْدَهُ وَأَنفَسَ
الصَّلَايَةَ فِي الدَّرَابِي، إِنَّهُ مَسْلِمٌ أَنْسِبَ أَنْ بُيْدُهَا عَلَى أَبِي دُؤَادٍ وَكُفَّوْهُ:
لَقَد أَنْتُ مَسَاوَى كُلُّ دُهْرٍ
وَإِن كَانَ قَدْ سِبِّقْ هَذَا مَا هَايَ الْقَضَابِ فِي قُوَّةٍ:
وَأَجْسَاد تَضَخُّم بَالْجَسَاد
أَعْيَن رِبْرَبٌ كَلِت يَسْحَر
بَهَزْهَرٍ وَالْحَدَاقُ وَالْبَرْرٌ
وَرَتِيِّنَى بِكُلِّ صَالِحَةٍ زَنَادَي
مَدِ مُدْهَنُهُ وَخُلْصَهُ إِلَى أَبِي دُؤَادٍ.
وكان أبا الطيب نظر إلى هذا المذهب حين مدح بني عمران بعد ذكره الخيل ثم تخلص
إلى أبي أبواب فقال:
"سقيت متابتها التي سكت الورى
بندى أبي أبواب خير نباتها"
إلا أنه سلك سبيل التخلص في الموضعين.
وليس أصل اقتضاب البترجي من اقتضاب الأوائل في قصائد المدح، وإن يك استذائه
في أبو تمام مما ينظر إلى هؤلاء، وكان أكثر اقتضابه إضراب عن ذكر الرحلة. وليس
كذلك صنع البترجي الذي إنها هو من النسب وذب مفاجيء.
مثلاً، قول أبي تمام في أول البائدة
"لا يأوأر في الأقوام يعلم ما خلا
جودا حليفاً في بني عتاب"
فقد كداد رابع العائلة.
وشبيه بهذا قوله وأشعر فيه أنه مرحلي:
"لله ليتني وكانت ليلة ذهبت لنا بين اللوين والشراب
قالت وقد أعلقت كفني كفها
فصره التبريزي يقوله قد جمعت هذا الذي أحلت لي من نفسها أنه حلول وأنه طيب
مستذئذ، وهو وجه غير أنه ضعيف. والظاهرة من المعنى أنها قالت له تتخل المما عزمت
عليه من الرحلة. فقومها هذا ما كان أطيبه، وفي هاش طبقة السدوان قال ابن الستوفي
فأما إذا لم يقل حلا طيبا أوهم أن ما بذله من الخلال غير طيب. ولا نعلم إلا بلدته له
حلال هو أم غير حلال، وإنها هي إمامية ليلة ألما بهذه الحسانة، ويجوز أن ذلك كان
متعة استحلتها ثم أخذ في سبيل الرحلة، وكل كلامي أبو زكريا وابن المستوفي غير واف
فتعت من شمس إذا حجبته بدنت
من نورهـا فكانها لم تحجب
وإذا زيت خلت الظلماء ولدتنا
قالوا إذا زين الزغالة نستا جيدها والررب بقر الوحش وعيرون وايمات فجمع لها
جسد الظلمة وحلاتها وعيرون لها.
إنسيبة إن حصلت أنسابها
جيشه الأبوين مال تسب"
أي جالما خارق وهذا ولده من قول الشافعي:

فندت وجلت واستكرت وأكلت فلو أجن إنسان من الحسن جنت
ثم أشعر بإرتحاله ومروره على مدينة الزباء الخرية، على شاطئ الفرات، وقالوا إليها من
بقايا مدينة الزباء صاحة الخبر.
قال أبو تمام:

قد قلت للزباء لما أصبحت مدينة عجاء فقد أسرى البل.
فكان فيها القناة عراصها لكن بنهب وطوق قلبهم.
فهذا اقتصاد، وله صلة بي قبلي. وقد فسر أبو تمام الزباء فقال للمدينة عجاء ثم أب.
طاباقا فجاء باللسان الغريب وهو بلا غياب لسانه هو وإن كان الأزهر يقيد لسان حال
اليgetString() مبين فكانه معرب - غير أن قوله باللسان الغريب أدل على لسان معرب بعينه
وهو لسانه الذي ترجم به عن لسان حال البل.
اقتصاد الباحثي بعض مفاجئ كل المفاجأة مبتور منقطع الصلاة... إلا النغم
وإيجاهاته... يقى قبلي، كقوله المقدمة الذي استهدافه بها، وقوله:
وربت ليلة قدرت أسرى قفيت الليل لأناfallspace
خليفة جعفر عدل وأمن
مقدمة الباحثي قبل اقتصاده إنا هي تنرم تبها به لاندفاع إلى المديح. وهذا من صنيعه
شبهه بصنيع جرير في الجهاء... مثل:
بنان الخليل غدًا الجناب
وشانوا على الغريس أكواه
وهجبر هندا وزواره
بلياء القيبان ونجابهم
وعقد ال Fixture و섹ية
أحسبه دكرا الزبير بالمهمة لأن ابن جرموز قاتله من بني سعد رهط الأخنيف والفتاة
جعف أنخت الفرذق.

- ٣٤٤ -
ومثال آخر وهو أشهر:

يا أنت ناجيحة السلام عليك
قبل الرواح وقبل لوم العذل
سقطت سروح الشاحجات المحجل
وإذا غدوت فلازمتك نحية
أي سبب كل شؤم غدوت على أيمن طائر والشاحجات هي الغربان وحجلها
مشيتها التي قيل أراد الغربا بها محاكاة الطاووس فلم يستفع ولا عاد لها ما كان عليه
من مشية الطير

يوم السرح فعلت ما لم أفعل
لقنعت أو لسألت ما لم أسأل
فسقت أفراحهم بكأس الأول
وضعا البعيد جدعت أنف الأخطل

هُجَّر الرواح وديمماً لانقلع
وترفع فيك متعدداً من يشع
والآبوقين وذاك ما لا يرجع
تنبي معاؤهم إذا ما تقع
إلا تركت صفاهم يتصادع
عندي خالتمهما السما المنقع
أو أربعون حديثهم فاستجمعوا

فسماك حيث حلت نعمة فقيده
فخادحي طبع باشا الشفيع لديكم
هل تذكرين زماننا بعيدة
إلى الأعادي قد لقوا في هضبة
ما كنت أقفذف من عشرة ظالم
أعادت للشعراء كأساً مرة
هُجَّر معاً تشعّة قتلتهم

وكان هذا على اقتضابه جرى فيه جرى على مذهب المخاطبة الذي في عينية الحادرة
وجعل بلاء في الهجاء من باب بلاء الفرسان في الحروب ومثال رابع:

وقعد أذن حبل ببئانصرام
ولا يغشين رحلي في المنام
ليفلامي لياعف ولا يجامي

وهذا خبر جمعه والاقتضاب هنا وثيقة ظاهرة.

ومثال خامس:

لقد نادي أمير بكبكر
وقت رفع الظعانين ي presença
ولم يلمسوا عليك ولم يزاري
بروح من فؤادك مستطام

-340-
رفع الظعائن أي مضيئ مسرعات في سيرهم مفارقات وقد ذهب بقلبك في هوادجهن
ذكرتك بالجموح ويوم مروا
عل مدرن راجعي أفكاري
كضرب البزيف بار على التجار
ومضى في الهجاء
ومن عجيب أمر البحري أنه فيها ذكروا كان يميل إلى تقديم الفرذق. وربما يكون قد
تأثر بفرط شئ الجاحظ الحسن عليه قال الجاحظ في الجزء الثالث من الخوان:
 وإن
أحببت أن تروى من قصار القصائد شرعا لم يسمع به مثله فالتنمس ذلك في قصار
قصائد الفرذق فإنه لم يجد شاعرا قط يجمع بين التجريد في القصائر والطوال غيره،
وقد قيل للكمبي إن الناس يزعمون أنك لا تقدر على القصائر قال من قال الطوال فهو
على القصائر أقدر. هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأي والظن ولم نجد ذلك عند
التحصيل على ما قال. 14 ه [ص 98]
وضذكر أن أبو نواس تمكن بابي فراس وهي كنية الفرذق. وما يختو الأمر من
تعصب أهل البصرة لشاعرهم.
على أن بشار الوذاء كان بصرما وكان ميله إلى جرير وكذلك كان ميل مروان بن أبي
حفصة، وهذا بعد باب واسع والخلف فيه قديم وكان البحري في أسلوبه أدنى إلى
جرير. وفي هذا الاعتبار هو أخذ منه بلا ريب. وسوغ الاعتبار جرير أن له
مشاهيد في شعر الأيام والخصومات في أشعار القدماء. ثم قد كان هو صاحب نقائض
وما كان أمر مهاجاتهم من ياجية ولا مهاجاتهم له كل ذلك بذي خفاء. فكان تغنيه
بالغزل بين يدي هجائه وترنيمه بذكر اللباق والنسب من ضرب الحساسة على النحو
الذي هو معروف من مذهب العرب من الارتقاء وذكر النساء قبل المناجة وباذائها.
وقد ارجعوا في جهاد الفتوح بمثل قوله:
يا ليتني ألقائك في الطراد
عند التحام الجحفل الوراد
تمشين في حليتك الوراد
وقال المختار التفقي:
قد علمت بيضاء صفرا الولد
أتي غبذا الوعد مقيدا بطل
فَنَعْمَانَا أَنَّهَا أَحَدَ مِنَ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ مَعَ أُنَّ الْمَلَائِكَةَ يَا أُبَا إِسْحَاقُ أَوَّلَمْ هُوَ مَعْنَىً
فَقَالَ لَهُ قَاتِلٌ عِنْ حَسْبِهِ وَأَيْ حَيْثُ مَعْنَىً، وَكَانَ الَّذِينَ أَنْفَكَ عَلَى المَخَابِر ذَكَرُ النَّسَاء
كِيْ يَفْعَلُ غَيْرَ مِنَ الْحَرَبِ مَنْ لَيْسَ هُمْ مَثَلُ دُهْوَاءٍ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَوْا يَعْيَبُونَهُ.
وَمِنْ قَدِيمٍ مَا رَوْا مِنْ رِجَالٍ الْبَاطُنِ قِبْلَ رَبِيعَةٍ
جَرَّنَ أَطْرَافَ الْذِّينِ وَأَرَبَعَ
فَعَلَ حَيْبَاتٌ كَانَ لَمْ تُغَزَّرَ
إِنْ تَمَّ عِلْيَمٍ نَسَاءٌ تَمَّعَنَ
حَتَّى الْحَوْارِجٌ وَهُمْ مَا هُمْ فِي الْخَشْدِ قَدْ تَنَّوَى فِي الْغَنْزِ فِي جَدِّ حَرْوَيْمِهِمُ الَّذِي إِنَّا كَانَ
جِهَادًا لِّلْكَفِّرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يَعْقَدُونْهُ قَالَ قَطْرِي بِنِ الفَجْاَةَ:
فَوَٰكَاذِبُوْدًا مِنْ غَيْرِ جَيْعٍ وَلَا ظَا
وَلَوْ شَهِيدُ تَيْمُونِ دُولَابِ أَبْصَرَ
غَدَاءَ طَفَتْ عَلَيْهِ بَكْرُ بْنِ وَأْئِل
مُقَدَّمَاتِ الْبَحْرِي أَشْبِهَ بِالْتِفَاسِيمِ الْمُوْسِيَقَةِ الَّتِي تُسَبِّقُ عَلَى الْمَنْتَهَى وَعَمْدَ غَنَائِهَا وَفِيهَا مَا ذَكَرَنَا مِنْ أَنْهَا تُهْبَةٌ كَانَ بِهَا نَفَسُهُ لِلْبَذْفَ عَالِمِيَّٰ. وَقَدْ كَانَ الْبَحْرِي نَدْيَا.
فَالَذِي صَنَعُ بِأَدْبِ النَّادِمَةِ أَشْبِهَ وَفِيهَا أَدْخِلَ.
وَمِنْ أَمْلَأِ اِقْتَضَاهُ مَا هُوَ عَميِّقٌ فِي هَذِهِ الْمَجَالِ كُلُّ مَجَالٍ المُشْهُورَةُ
لِجِيِبِ قَدْ لَجَ فِي الْهَجْرِ جُدَا
ذُو فَنْحَونِ يَبْرِيكُ فِي كُلِّ يوْمٍ
يَتَأْبِي مَنْعُوْنَا وَيَبْنُم إِسْعَاءٌ
أَغْتَدَي رَايْنَا وَقَدْ بَتْ غَضِبَا
وَبَنَفْسِي أَفْقَدَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَأَعْدَادُ الصَّدْرَدُ مَنْهُ وَأَبْنِي
خَلَقَنَا مِنْ جِفَاشَةٍ مُسْتَجِدَانَا
فَوَبِذْنَوْنِ وَسَلَا وَيَبْعَدُ صَدَأ
أَنْ أَمْسَيْ مَسْأَلَوْنَ أَصْحَبُ عَمَدَا
شَادَنَا لَوْ يَمَسْ بَالْحَسَنِ أُعْدَا
وَعَرَضَتْ بِالسَّلَامِ فَرَدَا
فَفَقَطَلَ جَلِنَانُ بَا وَوَرْدَا
فَأَجَازَهُ بَهِ وَلَا خَتَنَ عَهَدَا
وَأَرَثِي لِمَا جَوَانِحَ لَيْسَ تَهْدَا
وَأَحَلَّ شِكْلَا وَأَحْسَنُ قَدْا
ذَا سَدَادَا وَقَيْمَ الْدِّينِ رَشَدا
مِرْ بِخَالِيْاَ فَأَطْمَعُ فِي الْوَصْفِ
وُثْيَنَ حُسْنِهِ الْعَلِيْسَو
سَيْدِي أَنْتَ مَا تَعْضَرْتَ ظَلَا
رَقِيْ مِنْ مَدَامِعٍ لِلَّيْسَ تَرَقَا
حَاشِ لِلَّهِ أَنْتَ أَنْتَ أَنْفُلَا
خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قَيْمَ الْثَّـدِي
فَهَنَا الْوَهْيَةُ المُدْخِيَّةُ كَأَنْ تَرَى
أكرم الناس شيمسة وأتم النع
ملك حصن عزيمته اللع
فأضح لمه مغائز ورداً
وعلم جراً

وقال في الضادبة التي من الخفيف وإياها كا ذكرنا من قبل جاري شوقي:

بسيها أنس وجود:

أيا العصاب الذي ليس يرضي
إن لي من هواك وجدنا قد استهدأ
فغفون في عبارة ليس ترقة
باقلئ الأنصاف كم أقضي عند
فأجزين بالواصل إن كان أجرأ
بأي شديدان تتعلق قلبي
غبني حبه فأصبت أبداء
لست أسانس باديا من قرب
وأعتادني إليه حتى نجاقي
واعتقالي تفاح خديته تقيم

ثم جاءت الوثبة وغير خاف أن هذا لها موضع:

أيا الراغب الذي طلب الجو
يد حياءي الإمام تلق نسوانا
فهناءك العطاء جزولا لزا

وعن الوثبة هنا شيء من تداعي المعاني لاحق بأدب المنادة، وهو صلة ما بين
جود الحبيب من الود وجود الإمام ما به ينال الجاه والمعاش والسعادة.

ومن أمثلة اقتضابه الحسنة قوله في صفة البركة:

قد أطرق الغادة البيضاء مقندة
في ليلة ما ينال الصبع آخرها

على الشباب فنصيبه وأصبه
علقت بالراح أسفاها وأسفيها

- 348 -
SHARET من يدها خرا ومن فيها وأناسنات إذا لاحت ماغانيها

وقد جاء بثوبة الاقطاب هنا بعد ذكره التقييل - واحتفظ بشيء من معاني الغزل:

يهبة - أنها في فضل ربيتها-

ما بال دلالة كالغري تنفسها

وقد يرى قارئ هذا الشعر وسمعه والمغني به اتصال بتيا من رأس اليرقة حسناء، بالباب تانيه، فهذا مدان للتنضمين وليس به وفيه رد مفحم من قال مكابراً

باستقلال مفردات الآيات في قصيد العرب. قال الباحث في كلمته التي أولاها:

أكنت معنفي بموم السرجيل

عشيّة لا الفراق ألقافي عزمي

ثم يقول:

طيبت بذل الأراك وشروقتني

وذكرنيك والذكرى عناء

نسيم السروض في ريح شوال

عذيري من عذول فيك بلحي

تهمرت السنين ولا سبيل

وقد حاولت أن تهد المطايABA

ولسأ كنت إليها عزمي

فأولى للمهارى من فشالة

فهذا في الحبوبة وسير اللحاق بها - ثم وثب إلى مديح الفتح وكأنه اقتدى شيئا

في هذا بكعب بن زهير، إذ الحبوبة كالزور عند كعب وهي هنا كذلك:

ركز بالفتح أهداف المساعي

ووضع السبيل علاقة كما ترى.

وما هو اقتضاب محض قوله:
في ناحية جزء الاربع وشاقها، ومداخ الساحور حيث تقابلت ويهيجني أن يسافر ينورني وشفاء ما تحت الضلع من الجري إن لم يزلي الجراح عن التي أو نائل الفتح بن خاقان الذي وأحسب أن هذا علي استقامته دون جودة مفاجأة اقتضاباه وما أحسبه لم يستعمله وقوله في كلمته العذبة التسبيح التي أولاها:

"كم بالكيب من اعتراض كتب"

قال:
فلربأ لبيت داعية الصبأ
يعشي عن المجد الغبي، ولن ترى
الأرض تخرج في الوهاد وفي العبدا
وعصيت من عذاب ومن تأليب
في سداد أربى لغير أربى
عمم النباتات، وجل ذلك يسوي.
نظم هذا البيت فصياً فبعضه من أبي تمام من قوله: حتى تعم صلع هماد
الربي، وبعضه من الحديث: إن ما يبتز البيع ما يقتل حبها أو يلمم، ثم جاء
حسن التخلص الذي ليس به سن.
وإذا أبو الفضل استعار سجية
لمكمرات فضًى أبي يعقوب.

وعل القافية استهوا شيطانها، إذ مثلها عند مسلم بن الوليد إذ يقول:
أبا الـرجل المشمر ماله وهو السباب عرضه السليوب
سعداءها وسليوبه يعقلوب
وابقاه ما لم يذهب فيه مذهب الاتضباب ولكن مذهب التخلص الرشيقي
كا في عينية النابية، ولذكره في دار مية بالعلياء فالسيدة كليات جيبد.
ولا يخفى أن
التابعة في أدب النادية زعيم، فلا غرو أن أتقن أهبه البجيري وهو نديم مثله.
فمن
هذه الكليات عينته في المتوكلي الفخمة النفس والروي:
من النفس من أسياء لا يستطيعها
ومن تلك قانيته في الفتح:

حيلت له بالله يوم التفرق
وبالمهد ما البذل القليل بضائع
أي بلال

وبدعامته يشهد يصدب
وأبتى شكوك أبانت عن الجوى
وأبتى أنشاه عدا إذا نأت
وأبتى وإن ضمت على بودها...
(أحسبه بعدها)...

بعز على الناسين لا يعلمناه
لباب لنا تزدان فيها ونلتقي

-٣٥١-
هذا يقول ما ذهبنا إليه أن الصواب بوعدها، إذ هذا البيت الذي يذكر لقاءها وارذبانيها.
شاهد ود.
ثم يقول في الطيف:

فكم غلظة للشوق أطفأت حرها تيف من بطرق دجى الليل يطرق الرحباء من إسكال الليل أستاره وهيمته كأنه مطرق بالدورية ثلاثية من طرق الطارق. وهذا الطيف بطرقه إذا أطرق الليل.
أضم عليه جفن عيني تعلقاً به عند إجلاء النعاس المزيف.
هذا البيت جيد في وصف أول الإفقة من اليوم.
ثم يقول:

إذا شنت ألا تمذج الدهر عاشقاً
و كنت منى آبدي عن الخيل اكتب
فهذا فيه رجاء للفرق الذي بدأ أذكره
للبشائر هضب كالغام المعلق
ذعت مقام بين بصري وجلق
وله هذه دياره ولكن ثم جاهه وسادته ونادمه وندامة
للمعقل عزي وداري إقامتي
وقصد التفانية بالهوى وتشويق
فرجع إلى معنى الهوى كأرى
معاصر ملك أقبلت بوجهها
على منظر عن عرض دجلة مونق
فنانين من أفواه وشي ملفق
هذا الكافات والنافات نمط نابغي
رواحه من فرح مسك مفتقض
إذا البريح هزت نورهته تضوعت
ثم جاء دور القاف في نغم الجريل النابغي

٣٥٢
كان القباب البيض والشمسم طلقة تضايقها أنصاف بيض مفقن.

مع القافض الضاد والفاء وصدي من الكاف التي مرت من قبل وفي هذا البيت على كونه في نعت قصور بغداد أطياف من مناظر تلمع لبنان، الذي قال من قبل إنها كالغمام المعلق.

قُوادم بيضان الحمام المخلق
ومن شرفات في السماء كأنها
غنى للعديد أو فكـاـكـاـ لمجرق
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل
فلة العائد اللاجئ إليها بمسلم
ولا الطالب المحتاج منها بمخفق
وقرب من طريق هذه القافية في التسلسل ووجودة أخذ الكلام بعضه برقاب بعض مع
احتفاظ كتبن بعناصر الوثب التي في الاهتمام وأشياء من عادة الشعراء لامتهنهم.

ماتان أحمد مبتداء وأجلا
عهد لعلوة باللؤوي قد أشكلا
قال في انتقاله من النسب إلى الحمر إلى صفة القصر:

بتنا ولي قمران وجه مساعدي
والبـدر إذ واف القمام وأكمـلا
لاحت تباثل الخريف وأعرضت
قطع الغلام وشاـرفت أن نبطـلا
فترو من شعبـانـان إن وراءه
شهـرا يعاننا السريع السلاـلا
والغرد في أكـاف دجلة منـزلًا

ثم وصفه وإتلاب به القول من بعد إلى مدح المتكلم

بهدل بـدف في الساحة ما ترى
من أمره إلا عجيبا مجدلا

وختتم هذا الفصل بالإشارة إلى ميمته:

ألا هل أتاهَا باللغيب سلامي
وهـل علمت أي ضنية وأنا
وهل خبرت وجده بها وغـرامي
شفاـئي من داء الضنى وسقـامي

٣٥٣
فقد تخلص فيها من شكوى الحب وروقة النسيب إلى بعض التفويض يجعله وسيلة إلى ذكر الكأس، وليس الذي حرتته بحراً، وعليك وعـصاـء لكل مـلاـم خلعت عـذارى، أو فضضت جامى، وشملت عن أخري لكل غرام.
فهذا نفت منه، أي عمل بالفتوة وخلص منه إلى ذكر المنادة وجلس الأنس واللذات، والصيد.
هل العيش إلا ماء كـمـ مصرف يقـرـقه في الكأس ماء غامع، وعود بنان حين ساعد شدو، أبي يومانا بالـزـو إلا يحـسنا الزواء سفينة عملها الموتى للنزهة. وشبها البحتري بالبجل ومن العجب لصانعي هواش طيحة الديوان أنهم فروا الزو (عهش 3 ص 12 من ج 1 - طبعة دار صادر بيروت) بأنه جبل وو رجعوا إلى القاموس ليوجدوا أنه سفينة وقد ذكر بيت البحتري والجلب لا يقـد بزمام كـي سيأتي ولكن تقاد السفينة.
ثمعجب آيات من بديع ما جاء في قصة الصيد بالبزا جمع البازى، وذلك من لون الملوك ونداهم منه يجري بهذا المجرى من أهل الثراء والأمراء:

شغف في قصر يسير بفتيتة، قعود على أرجائه وقيام.
فهذا القصر السائر هو الزو والفتيه القعود فيه والقيام هم النونيون والخدم الألى فيه.

تلذ الـبزا الـبـذـف تخطف حولنا جنابى، طير في السيا سماوى، خضبة أظلمـاهـنـ من دوامى.

خضبة مرفوعة، صفة لمورصف حذوف علهم هو البزا، جعلها كأن عليها خضبا، ثم فسر هذا الحضاب بأنه الدم الذي على أظفارها من صيداء الدراج وهو من الطير الجيد، وأخذ البحتري صفة زائه المخصومة من قول أبي زبيد تطيرا عكوفا كزور العرس، لأن زور العرس على بعض الحضاب، وقد مر البيت الذي منه هذه القطعة في باب القوافـي.
في أوائل الجزء الأول من هذا الكتاب.
فلم أن كل القاطول يحمل مؤه
تدفق بحر بالساحة طام
فالله ماء القاطول عند دجلة وهو الذي ذكره في المرثة "دحل علي القاطول أحلق دائره".
والبحر المتدفق بالساحة الطامى بها هو الخليفة المتوكل.
ولا جيلان كاد يوقف تارة
وينقاد إما قدتة بـزمام
فهذه صفة سفينة والسفينة تشبه بالجبل، قال تعالى: "وله الجوار المشتقات في البحر كالأعلام، أي كالجبال والجواري السفائن.
فقد جمع الله الحساس كلها
بطيف بطق السوجه لا متهم
البض المـن آل النبي اسم
عليها ولا نذكر العطاء جهان
يذيب عن أطرافها ويحمى
ومعروف عند السرية أنه
وأن له عطفاً عليها ورقية
وفضل أباد بالعطاء جسما
ثم يمضي في المدح بأسلوب الندم البلاطي المحب لسيده المخلص له السعيد (على
حد ما ذكره ابن خلدون من بعد) بملته وخدمته:
لقد جأ بالإسلام من سيف جعفر
يبدأ به الثغر المخوف اشتمامه
إليك أمن الله مـالت قـلوبنا
إليك صرام في النائبات حسام
وإن رامه الأـعـداء كل مـرام
إليكغلاص نـازع إليك هـيام
إليك مـالت قلوبنا
قلو وان أمن الله ورد من أمر المؤمنين وأمنت به ذلك فيهم. ومع هذا أصداء من أي
مـا، وقد كان البختر شديد المحاكاة له ونظر إليه في أدب المناهمة، كأ أنها
الجـبـلـاـكـاـنا شديد الذي ينفوذ له الندماء نبعة بني ذياب وغيرهم على مر الزمان، إذ
ليس منهم من عريث له امرأة سيدة المفتون بها حتى يصفها متجردة فتأمل. وإثاره أي
نواـس من صفات الخمار بجح على قرنه بالاعتـش، وقد فطن الناقد اللبناني مارون عبود
التأثير الأعـشـي بالنشابه إلا أنه فلا في ذلك إذ جعله تحتاً وقد عرضنا هذه المسألة من
قبل.
إليك أمن الله مالت قلوبنا
بإخلاف نـازع إليك هيام
بأنك عند اللـه كـهـر إمام
نصي وإقام الصحـلا اعـتقدنا
-325-
وكان قد خشي أبو عبادة أن ينسب في هذا إلي كذب ونفاق فقال:

حرفته بمن أدعوه ربا ومن له صلاة ونسكي خالصا وصيامي
وهما نفس قراني وانظر آخر الأفعال: إن صلاة ونسكي وحيائي ومما "الآية"
لقد حطت دين الله خير حياة وقامت بأمر الله خير قيام
يصير بهذا إلى أهذ الموكول بقول أهل السنة و적이طاله ما كان عليه من قبل الوائق
المعتصم بالأمن من حمل الناس على القول بخلق القرآن - فيحمل قوله: "أناك عند
الله خير إمام" على هذا الوجه والله تعالى أعلم.
فصل فيما يقع من شباك أشكال القصائد
كان حق هذا الفصل أن يذكر مع النوطحات التي جعلناها للحديث عن العنصر الرابع
من عناصر وحدة القصيدة وهو الذي سمى نفسه الشاعر بتحريك النون والفاء.
ولعله لا يأبه بذكراه في هذا الوضع استدراكا لما قلت ثم فيما تقدم أمثلة كثيرة مما نأمل
أن يكون أعون على توضيح مراذانا في هذا الباب.
أشرنا في أول حديثنا عن المطالع والمقاطع الى ما تقدم من معالجة لبعض ذلك في الجزء
الثالث حيث استشهدنا في الباب الرابع منه بقوله تعالى "يا دارية بالعلياء فالسند" ولم تشبهه. وقد ذكرنا في الجزء الثالث أيضا أمثلة أخرى ما تشبهه فيه طرق
الشعراء نحو:

صلاح القلب عن سلمي واقصر باطله
صلاح القلب عن سلمي ومل العوامل
إن الخليط أجمي اليبن فانتفقا
بان الخليط ولم يأوا ما تركنوا
بانت سعاد فأمسى القلب معمود

ون نحو المرأة المغاضبة كا عند الجميع في قوله:

أمست أمامها صنتنا ما تكلمنا
وقصديعي عبيد بن الأبرص وأبمات القرشي التي منها قوله:
سلمتني الطلاق إذ رأتنى فقل ماالي قعد جنتاني بنكر

-356-
أو تسألاني كا جاء في النص الذي أوردها أي تسألاني وحذف النون للغة وعلية قراءة
نافع في بعض ما قرأناه ورواية الكتاب في باب الهمز "سألتني" ونهب على أنه من
تخفيف الهمرة وهي لغة قريش لا على لغة من قال سال بسال كخاف يخفف قال رحمه
الله "وبلغتنا أن سلت (1) تسأل لغة" وله خبر ابن هريرة أنه لما قال له إن قريشًا لا
تهم قال إنه يميء بقصيدة كلهما على الهزم وذلك قوله:
إن سليمي والله يكلوهما ضمت بشيء ما كان يرزوهما
فهذا يلحق بها تقدم ذكره من صناعة ابن هريرة وبدعه وأن البديع والصناعة ديدن في
اللغة العربية قدوماً من حيث وقوع ذلك على قلة وفعوا فحسب ولكن من حيث العمد
والقصد إليه أيضاً.
ونته هنا كما نبنا من قبل أن سامعي الشعر القديم على زمننا وعلى أزمان قرون
الإسلام الأولي كانوا يعمدون كثيراً ما تجهله نحن علم قلب جلياً لا يحتاج إلى بسط
وتسير فكان بيان مغامض الفن والمنتهي أكثر مما يمتدون به ثم بعد ذلك لا يخفى
عليهم مذهب الوحدة والاندماج في أغراضه ومقدمة ألوان إيجاده ودلالات موسيقاه
ورتبات لظة وطبعية أسره وأشكال الدبيجة وما يلحن بذلك مما يوصف بأنه ماء الشعر
ورونقه.
على أننا قد بقيت فينا بقية من ذلك العلم القديم فعلياً ألا نضيفها. بعض هذه البقية
في النادر الأصلية التي لم تفسدها بعد شواهد أجهزة الإعلام - وإن شئت فقل
الأجيال العصرية التي ما تدخل الهاتفياتها ودخيلها أصناها من,len والهجة على
أصولها ومناطة أسره. وسائر هذه البقية في القرآن وعلوم العربية وميراث آدابها.
واعلم أنها القارئ الكريم ألتصد الله أن القصائد السبع الطوال المعالقات
وملخصات الثلاث اللاتي يكملها عشراً قد ضمن أهم أصول أشكال القصيد العربي
والفرع الكبير المفرعة عنهم وسائر الشعر بعد ذلك يمكن ردء إلى هذه وقد سبقت منا
الإشارة إلى ذلك، وترصد هنا إلى بعض التفصيل.
في السبع شكلان كل منهما أصل، "فلا نبك" وقد أجمعوا على تقديرها وعلى أن
الشعراء تأثروا بذهب صاحبها في كثير ما نظمواه، وكميتا عمرو بن كثيم والحارث
البشكري. وقد قيل في كلمة عمرو بن كثيم:
أليبي يتعزى عن كل مكرمة قصيدة قالتا عمرو بن كثيم
يفاضلون بها مذ كن أولهم
(1) بكسر السين من سلت بوزن خفيف ولست لغة قريش.
357
وقبل في همزية الحارث إنه ارتجالها وأنشدها الملك وبينه وبين الملك سبعة ستر إذ كان
أبرز يكره ذهب، فطرب له حتى أزال الحجاب كلها وأجلسه معه في سريره، وخبر كأنه
أسطوري المبالغة. وما أشك بعد أن له أصول لانتفاق الرواية عليه. وكاننا القصيدتين
شكل واحد عند التأمل.
وفي العشرين شكل واحد أصل وهو في قصيدة النابغة:

يا دار ميئة بالعلياء فالسند
قصيدة الأعشى:

ودع هُريرة إن الركب مرْتَحَل

قصيدة عبيد شكلها من قرى شكل "ف قا نب" كأ ذكرنا من قبل ولكن غرابية
وزنها، وصاحبه شاعر فحل، مما حدث على روايتهما كأ رويت ميمية المؤذن:

هل بالدِّيآن أن تجيب السمم

وكأ اختيرت كلمة سلمي بن ربيعة

إن شواء ونشوة
وجيب البالز الأمون

وقد سبق الحديث عن هذا الجانب في معرض الحديث عن الأوزان في الجزء الأول. وفي
هذا الجزء أيضا
 قفا نب، خصبة الشكل. نقل هذا على وجه التشبّه، وذلك أن لها وسطا كأنه في مجاله
ضيق وهو يفصل بين جزئها الأعلى وهو أولا وجزئها الأسفل وهو آخرها. وهذا الجزء
الأوسط يذهب مذهب التأمل والتفكير والحكمة، وما قبله ذكريات ووصف وأشجان
فؤاد وكذلك ما بعده وهو قوله.

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بانحوار الهمسوم لييل
أرفد أعجازا ونضوجا بكلك
فلقت لله ما تطلع بصبره
الأي آخر الليل الطويل الاجم.

٣٥٨
فيَاللَّكِنْ عَلَى كُلِّ لَيْلٍ كَانَ نَجُومًا
كَانَ الْمَرَّاءَ عَلَقَتْ فِي مَصَامَهَا
وَقَرْبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عَصَامَهَا
وَوَادٍ كَجَـَوْفِ الْعِرْبِ قَفَّ الأَرْبَطَةُ
فَقَطَتْ لَهَا عَلَى أَذْنَاهَا إِنْ شَأَنَا.
كَلَانَا إِذَا مَنَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ.

وَكَفَّنَا تَنَكَّرَتْ عَلَى عَلَقَمَةَ الْيَمِيَّةَ وَخَصْرَهَا قَوْلُهُ:

ءَرَفَّيْنَ بِأَثَاثٍ فِي الْمَيْرَاءِ مَرَّتِمٌ
وَمَا يَضَنُّ بِهِ الْأَقْوَامُ مَعْلُوْمٌ
وَالبَخْلِ بَقَاهُ لَأَهْلِيهِ وَمَذْمُومٌ
وَفِيْ قِنَاقِدَتِهِ وَافِ وَجَلْبَتِهِ
أَنَّى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرَمُ مَعْلُوْمٌ
وَالخَلْمَ أَوْنَةٌ فِي النَّاسِ مَعْلُوْمٌ
وَعَلَى سَلَامَتِهِ إِبَّادَ مَشْمُومٌ
وَعَلَى دَعَايَتِهِ لَإِبَادَ مَهْدُومٌ

وَمَا كَبْلَ هَذِهِ صِبَائِنٍ وَصِفَاتٍ وَمَا بَعْدَهَا صِفَاتٍ وَصِبَائِنٍ وَأَمْرُ الْقَيْسِ أَحْذِقُ إِذ
حَفَظَ بَلْوَانِ مِنَ الْوَضْفِ وَجَعَلَ الْحَكْمَةَ تَأْمَلًا. وَذَهَبَ عَلَقَمَةٌ مَذْهِبُ المُلْلَ فِيذٌ
أَبِيَاتُ الْحَكْمَةِ لِغَيْرِ مِنْ يَتَأَمَّلُها كَالمَيْلَةَ، لِيُسَنَّ كَذَا إِذْ تَعْجَمُ وَظْلَمُهَا تَصْوِيرُ لَمَّا
تَنَاهِي مِنْ نَاجِيِّ تَلْحَقَ بِهَا فَارِقُهُ مِنْ نِعْمَ وَهُوَ الأَثْرِيَّةُ وَمَا الأَثْرِيَّةُ رَمْزُهُ، وَلَذَٰلِكْ صَحِحٌ
لِهُ مِنْ بَعْدَ أَنْ يَقُولُ.

١٣٩
من يسأل الناس يجرب وهو بالله يدرك كل خير
والله ليست له شريك
أفلح بيا شئت فقد
لبعض الناس من لبعد
إلا سجينة مما القلوب
ساعده فأرض إن كنت فيها
قد يوصل النازئ النائي وقد
والمر ما عاش في تكذيب
فهذا تنصير بين كذين إذ عدد الآيات قليل مثله وهو في ذكر الدار وصابات الدين غير أن
عيدا من حذقه ضمه من معاني الآية والحكم والعزة التي في هذه الأيات وما بعد
ذكريات وأوصاف ولكن مطل عليها شجاعة وذرار المود. وقد انتهت القصيدة
بمصير الثعلب لا نجاته ولكنه شيء فرسي بالعذاب. فهل كيف بالثعلب عن امرئ
الفيس وحجر وملك آل الخات المدنى؟

وبانت سعاد، سيدة المدائيد النبوية مخزنة بأبيات الحكمة والتأمل إذ قال:

إنك يا ابن أبي سلمى لتقول
لا ألمينك إن انت المشغول
فقال كل خليل كنت أملله
فلقت خلوا سبيل لا أبالكم
كل ابن أنى ون طال سلامته
أتبت أن رسل الله أوعدي
فقد أتيت رسول الله معتذرا
وما قبل هذه الأيات نسب ورحلة وصفات وما بعدها مدع في مداخله وصف وفخامة
تشبه وسط حجة.

وقد حاكى كعب منهج أبيه في كلمته:

إف الخليل أجد الذين فانشقوا
وقذ ذهب زهير بخصر هذه القصيدة مرة واحدة كما لو أسغ عليها ثوب الذي قال،
من الشعراء الغزل:

360
أبت الرواد والتندي لقصصها
وإذا الرياح مع العثني تنواخت
فهن حاسمة وهم غيروا
وأنها ذهب بخصر هذا الشكل مذهبه في الاقتصاد، فكان ذلك منه مبالغة في
التخصير. وقصيدة طرفة الملتقى ذات تخصير ولكن فيها غضب الشاب وخبسه وحماسته
فمن أجل ذلك جاء فيها بصفة الرحلة والناقة، وذلك أن خولة ظعتت فهو يسلى عن
بينها بالسفر:

وإن لأمضى الهم عند الاحضاره
بوجاء مرقال تروج وتغتدى
ولا يخبرنا طرفة أنه يريد بنا عنها كما بانت منه، ولا أنه يريد لحافة. ولكن في فؤاده هما
لا يعلم وجه تسن منه غير هذه العوجاء المرقال. وهي ناقته الفتية مثله. حتى سفره لا
ترى له غاية. وإنها هو تلق وروح واغتضاء.

ولكن هل آبن؟
مكان التخصير في هذه الدالية التي لم ير لبده شيئا يفوق سمعه من الشعر بعد أمرئى
الفس غيرها هو قوله:
وَمَسَّا زَالُ تُشْرَابَى الْخَمْرُ وَلَذَى
لَيْلَ أَصْحَمَتُ النَّيْسُ كَلَهُمُّا
رأيت بنى غبراء لا ينكرونني
ألا أهذا اللاذم أأخبر العوغي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
ولولا ثلاثين من عيشة الفتي
فمنهل علقة المذاقات بشريحة
وكرى إذا نادي المضاف عنها
وتقصير يوم الدجن والجبن مئجب
كأن الراين والسدماليج علقت
من هنا أخذ الأعشي قوله:
تسمع لللجي وسوسُا إذا انصرفت
فجعله انصرفاً، وعند طففة هو إقبال أو إقبال وانصرف حما على قوله تروح وتغتدى
ويجوز ويهدئ وتناول أطراف البربر وترتد.

كريم يروى نفسه في حياته
أرى قبر نحاس، بخيل بالله
ترى جموتين من تراب عليها
أرى الموت يعتام الكرام ويصفي
أرى العيش كنزًا نافصة كل ليلة
لعمريك إن الموت ما أخطأ الفتي
ثم رجع إلى معلني اللمم وهو من أهم أنه مثأر مع بن خلوة وما خلوة كتابية عنه ثم
وتحمر في القصيدة. وهذه الأبيات تأمل وحكمة منفصلة ومداخلها معني ما كان فيه
من غضب الشبب ونحوه ونشوته وشيء من وصف الفتاة التي فيها كشبة وحيوية
حكمه: غزالة تنفض المرد، قلوب تروح وتغتدى وتذلل، وشجرة لأغصانها حقيق,
أراك ذات ببر، عشر وخروج لم يخضد.

هذه الأبيات السة عشر فاصل وواصل بين ما تقدم ووصف ونسبة وما خلا من
ف مما في هذا الوصف الحي لمجلس الطرب وقائه:

ندامأً يض كالنجموم وقينة
تروح علياً بين برد وجميد
رحيب قطاب الجب منه رفقة
بجس الندامي بضعة التججرد
ومن وصف طرفة ولد الأعشى هيرته وجلس شراه فتأمل... وبين ما تلا من عراك
خصوصاً وشكيك ولوم واعتراض بالنفاس وافتيح وحكمة تخلل ذلك وتدخله,
ومن مشهور قوله في الملامحة:

وظلم ذو القربى أشد مضادة
على المره من وقع الحسام المهند
وأحسب أن مقالة الجاحظ المشهورة التي أولها: "ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار
وقع السيف... ولدها من قول طرفة هذا وهي له كالشرح.
ومن مشهور فخره:

أخشاش كرأس الحياة المتوقد

٣٦٢
ومن مشهور الململ السائر قوله في آخر القصيدة:

"ستبدِ للك الأيام ما كنت جاهلاً ولا أبكي بالأخبار من لم تزود

ويري أن النبي صلى الله عليه وسلم علم ببعضه.

وفي هذا القسم الثاني من القصيدة وصف عظرة نهائي شيخه العزيز الكويمسة ليشتربع
منها أصحابه وجلس شرائه. وقد روى امرأ الفقيه عجر وعنده لفتيات يوم دارا جلجل،
فاغنه ذلك عن نعت الرحلة وعن نعت الناقة أيضاً وأتاح له وضع الغيظ ومغامراته.
وقد جاء بوصف له الصيد وقديره شواء في آخر القصيدة يقابل به ما تقدم به في أولها.

من فعله وفعل الفتيات إذ وترتين بلحمها وئحم كهداب الدمنق المقتله.

والكهانة ذات الخف الجلالة التي ذكرها طرفة في آخر قصيدته مقاتبة للعجالة المرقال
التي في أولها. وقد أعلمنا أن الكهانة التي عقروا ليست له ولكنها:

عقيلة شيخ كالويل بلندر

ولعل العجالة المرقال التي راح بها واعتدي هي أيضاً ليست له. وصاحب المسر في
آخر قصيدة، في مقابلة مجلس العبدامي الذي مر قبل التخصير.

شكل قصيدة طرفة هو هكذا في جملته وتهامز قصيدة من لام به أثره وروح
انفعاله ونفسه بينه.

ومعلقة زهير نمت عزيز. وليس بنمط أصل في المدح، إذ النمط القديم هو بائعة

عقلة:

طحبا كبير قلب في الحسان طوبر
بعد الشباب عصر حان مشيب

هي أقدم من

يا دار يفة بال العليا فالتند
ولكنهم لم يذكروا عقلمة في أصحاب العقلات وإن عد من الفتحل وأصحاب
السموت. ولو كانت بأبهة هذه في السبع أو العشر الطوال ما عدننا نص عليها أن
شكلها هي هو الأصل مكان ما ذكرنا به كلمتي النابقة والأعشى. لعلهم لم يذكروا
عقلمة في أصحاب العقلات لكما يضاهوا به امرأ الفقي. وإننا ذكرنا عبدها لغرابة
وزن قصيدته وشتهاها.

أما قولنا إن معلقة زهير نمت عزيز، فإن بيانها ومعانيها وانسانيتها كل ذلك في
الذروة، ثم، وهو مقصدونها، في شكلها افتتان عظيم جداً. حذف الرحلة.
أضرب عن ذكر الناقة المعتملة. وجاء بإبل الظعانين وإبل العقل والمفادة، وكل ذلك جمال منظر وغيره، لدلالة على السخاء والعرف والسلام، ثم أشار بالناقة المنقرضة للشجاعة الحبوب، وهي ناقة شموذ، وبالرُحى إلى ما توقع من أضرار. وإذا جعل الإبل جالساً، وسلماً لم يجيء بذكراها ترصباً في الدلالة على قبع الحرب وشرورها ولكن اكتفى بالتلميح، فلم يذكر ناقة ثمود نفسها ولكن عاقرها:

فتنجج لكم غليان أشأم كلهم
كأهر عماد ثمن ترضع فعطوم
وقد شبه الحبوب في اللقاح والنتائج بالإبل ولكنه أسند العمل إليها وجعلها من البشر إذا نتجها غلياننا وإنها تنتج الإبل السقاب وما يخلو زهير إذ أضرب عن صفة الناقة المعتملة وأشار بها أشاره إلى العقر من نظر خفي إلى قول امرئ القيس:

ويوم عقرت للعذاري مطية
فواجباً من كورها المتحمل

من حيث إنه احتال بيان.

وقد كان مكان الحكم الة، أو تبع زهير شكل التخصيص (كيا ساميناه وإنها هي اسم على التشبيه ولا مشاحة في الأسئلة كيا قال قدامة) بعد قوله

ظهرن من السوباين ثم جزعته
وإذا لكان قال بعده

ثنائي حولاً لا أبلك يسام
سمعت تكاليف الحياة ومن يغش

إلى قوله:
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
وكان قوله:
وان الفتى بعد السفاهة يحلم
ومن أكثر التساؤل يوما سيحر

سألنا فأعطتم وعدنا فعدتم
يجيء بعد قوله:

فكلا أراه أصحابه يعقلونه
لحي حلال يعصمه الناس أمرهم
كراه فلا ذو الضغف يدرك تلب

صحيحات مال طالمات بمخر
إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم
ولا الجأر الذي عليه بمسلم

ولكن زهيراً تصرف في الشكل المخصص، فجعل تصرمه تذيلها، وجاء بأبيات الحكمة أخرى شيء، وقوله "سألنا فأعطتم الريت" في رواية من رواية، وقد مرت حديثنا عن ذلك، مقطع للقصيدة حسن.

364
وهذا الذي نقول به من جمل زهير التخسيص تذيلنا وتصرفه الذي تصرفه لا نbrtc على
محف الخمين، ولكن لدينا ما يشهد بأن مثل هذا الصنف والتصرف جائز. انظر
قصيدتي ربيعة بن مقروض الضبي الثامنة والieszقة والثلاثين في ترتيب الفضيلات.
أيمن آل هند عرفت الرسوما
بجمران قفرا أبت أن ترقبا
و:
آلا صرمت مودتك السراوق
وجد بينهما والوداع

وشعر ربيعة هذا نفس وضع جيل
الميما خصبة لابب فيها وهي خمسة وأربعون بيتا في رواية الفضيلات والتخسيص فيها
بعد نهاية وصف الآتين وفحلها إذ رماها الصائد فأخطأ ونجت بها أحدث ما تقدر عليه من
النجاح، وذلك قوله:
أهين اللحيم وأجهذبو الكربيا
وأربي الخليل وأروي النسيديا
إذا ذم من بعثي السهيا
بأحسى بهي ونعمى نعيا

فهذا ظاهر فخر وباطنه حكمة إذ هذا الذي ذكره كله من الفضائل، وكانوا يمدون
بسباء الخمر وإرواء الندامى، ويبرز أن يكون الإرواء بغير الخمر كاللبن والعسل
والوجه أن يؤخذ هذا الكلام على عمومه فلا يخص به شراب دون شراب إلا أنه في
الخمر أظهر.

ثم أقبل ربيعة على مأثر قومه وصفة الشجاعة والسلاح وذكر أيام قومه أو كما قال:
حديثنا وما كان مناقديا
واد حسان أنفقت المقام
خليط صفاء وأما رؤوامة
تأمل جودة هذا البيت ونقاءه:

وياف به غيث أنا أقيم
مع القرآن والحديث النظا
خللال البيوت يللى الشكيا

---

٣٦٥ ---
تعود في الحرب أن لا براح إذا كنت لا تشكي الكلّوما
وإذا استمر في هذا المفرج به لقمعه، مع ما فيه من ذكر الفضائل. ليس له دخول في
الحکمة كدخول ائتهات الأربعة التخصیصية التي مرت، ومن أمله هذا الذي ذهب
في قوله:

أذا كان بعضهم للهوون خلیط صفاء وأما رؤوهما،
فهذا تعريض وتعريض أصل الفخر من الفخر، وإن يک نفس الحکمة من كل
ذلك قد يستفاد.
العين مذيلة. قسمها البیئة عموم المیمیة الواصل الذي هو تخصیصها من عند
الیت الرابع إلى الثامن، خمسة آيات، هو قوله:

فقد أصل الخلیل وإن نانی وغب عداوتی كلا جدعا.

أي ویه:

فل سیدی لندی ولا پیظاع
ویکرّه جانی بطل الشجاعة
وأن ${\text{عالی الفنل}}$ لای کریم
وأن ${\text{یبی}}$ بن سعید

فهذا ما ظاهر الفخر وباطنه الحکمة وهو من سیخ ما قاله في المیمیة، وقبل هذه الآيات
ثلاثة من في معنی ما وئث أمله لتخصیص میمیته من المخاطبة والمساءلة حيث قال:

${\text{آمین اللیم}}$ وأحبو الكریا

ثم الأیات الثلاثة من بعد، وهنا يقول:

لا صرمت مودتك الرواع
ووجد الین منها والوداع

وهو المطلع من المساءلة والجواب في قوله:

${\text{فلج بها}}$ ولم ترع امتتع
${\text{وکلیت}}$ ${\text{شیخ}}$ ${\text{کیم}}$
${\text{ف المسلم}}$ ${\text{کد}}$ راجعت ${\text{حلمی}}$
و${\text{غب عداوی}}$ ${\text{کلا جدعا}}$

فهذا في معنی وین تسلیمی.

ولقد لزم ترتیب شکل المختصرة لکان قوله:

وعلموم جوانيها رداح

نژی بالرماح لها شعاع

- 366 -
بعد قوله : «وقالت إنه شيخ كبير» وهو البيت الثاني ويجري الكلام جرى المخاطبة الذي في مبملة عنترة وعينية الخادمة وذكر التخصيص عن أذهابه في انتقال قلبي قد راجعت حلمي» إلى وإن في بني بكر بن سعد» ثم يجيء القسم الثاني من قوله : «وما أجن» إلى آخر القصة، وإنا ننزع أن هذا قسم ثان من شكل أصله تخصيري لما فيه من الرجعة إلى ذكري الشباب. فهو بمنزلة.

وقد أخذت وملعصر في وكتها.

وبمنزلة :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم وهتانشكيلها أصل كأتم تقدم.

فإن صرح هذا الذي نراه من انتقال ربيعة بن مقوم، فاجعل لهزير تصرفا شبيبا، ولا ريب أن جودة الشكل قد زيدت زيادة بنية هذا الانتقال. إذ موقع الحكمة في آخر معلقة زهير راغب. وموقع الفاخر الحكيم في أول عينية ربعية أيضا قوى رائع نيل.

وبرهان المعصرين تخصيص شديد الضمور لامعبة بن الطيب: هل جلب نحلة بعد المجر موصول وهي طويلة من نيف وثيانين بينها تخصيرها أباث عشرة حر قوله، وذلك من البيت التاسع بعد أربعين إلى السادسة والخمسين.

ويا افراداً رفعتها ظل أرديبة ورداء وأشقر لم ينله طابعه تمت قمثا إلى جرد مسومة ثم ارتحلت على عيسى خدمتية يدحن بالماء في وفرة غريبة.

ووفر بل لملح للقسوة المريج ما غير الغلي منه فهوا أكول أعرافهن لأيديننا مناديل ينزيج رواجهم محر ويعبر منها حقوق ركبان ومعيدل.

ووفر بضم الالوان وسكون النام جمع وفراها وهي قربة الماء. غربها لها خرب جمع خربة وهي أذن القرية، كأنهم شهوة بالأذان التي تكون فيها نقوص الأقطار قال ذو الرمة: كأنه حبشي يبتغى أنعاء أو من معاشر في آذانها الحرب.

يعني الحبش والسودان إذ كانوا يتقون آذانهم.

نرجو فواضل رؤ سيده حسن وكل شيء حباه الله تحويل والمرء سع لايمر ليس يدركه والألابيات الأولى من هذه في وصف السير، ولكنه سيطر إلى الجهاد فاصلاها يا صار إليه من معنى الحكمة والتحصين بها جاعلا جزء لا يفصل عنه تأمل. هذا ومن باب
المصرف أن يجزي الشاعر بعض الشكل، فتعلم سامعه أن هذا حذو قصيدته كذا من عند قول شاعرها كذا. مشاه كلامه عمرو بن الهمم:

ألا طرقت أسيا، وهي طرقت وارت على أن الخيل يشوق.

يا بشك أن يكون حذاها على بعض دائرة طرف، لا سيا قولة:

وقمت إلى البرك المواقف فاقتى مفاده كولالمجادل روق والبرك جحاعة الإبل. مفاده كولظام الأسمنة. المجادل القصور. روق: خيار

باماده مربعا النتاج كأنها

إذا عرضت دون العشام فتيق

أي وقت نفسها من هذه الأمدات أم البيضاء الكريمة التي كانها فحل لا أتى من عظمها- الفتيق الفحل. أي كانت هذه أول ما واجه من الإبل فعورها ونجرها لضيفه جازره.

بضربة ساق أو بنبض بثرة

وقرام إليها الجزاران فأوففدا

فجع إليها ضرعها ونسامها

بقر جلآ بالسفر عنه غشاءه

فيات لنا منها وللفيض موهنا

كانوا يستحسنون الضرع ووري كبداها وستامها والأزه ولدها الذي في بطنها، عنق

أي كريم، أي يعني نفسه لكرمه ونجره هذه النفسية وما في بطنها، وفسر بعضهم الأزه بالدن وجعله يغير لامثلاءه ويجوز هذا التفسير على بعد، لأن السياق ونموذج طرفة المدوز عليه هذا القول ينطغي على المني السابق.

وبات له دون الصبا وهي قرة

أي تحاف يرقد عليه وكساء يشتربه.

وألف الخير بين الصالحين طريقة

وكل أخلال الرجال تضيق

ومن فدكي وأشد عروق

يفاع وبعض الموالدين ذقيق
أرومة بضم الهمزة وفتحها والضم لغة الشاعر
فهذا من مقال عمرو بن الأتم إنّها حذاء على قول طرفة
وبير هجرود قد أثارت مخاطرًا بـ"واديها أمشى بعضي بصره".
من عند هذا البيت إلى آخر القصيدة، وقد عذلت عمرو بن الأتم أمرته ومنذ طرفة
حمه.
وخلص طرفة من قوله الذي بدأ به للفخر والحكمة وكذلك صنع عمرو وهمية
المخلل:
ذكر الرباب وذكرها سقم
فصيLIKE وليس من صبغاّ حلم
ما جعل تخصيصه تذيلًا. ذلك بأن النسيب يتبعه بعد وصفه الدار ونعته الرباب بأنها
أقزامًا بـ"مثابة النعم بها وتريك وجهها كالمحبينة لا كقليلة الدكر استضاء بها
عمر عريض عظيمها العجم شخت العظام كأنه نظم
من ذي غرارة وسطه اللمح
وأنها كبيّة الدعص
وتضيّ مهد أهـا لباشط في
جعـد أغم كأنه كـرـ
هـلا تسي حجاجة علقت
على القرنينة حبلهاــــاــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~~
وعبـعـد قلـق المجاز بـهـا
للقاسميات من القطاـنتـ
عـارضـه ملك الظلمـ بيـذ
أي كأنها فحلـ ووقـلـا تذكر الشعراء غير الناقة إلا أن منهم من ذكر البعير كالمخلل

٣٦٩
وكربيعة ابن مقرم في العينية التي مر ذكرها قبل وهو قوله:
ومراء آمن الجيات قضاء
تعمم في جوابه السباع
وقد وقعت فيها وهم وساعة
على يسات ملأ زعوز مسا راع
غير أن المخل وصل تذكره الماضي بما كان من نبيه ونعته وجعل الحكمة ذيلا وتع في ذلك مذهب زهير وقد شهد المخل الإسلام فهو من المخطرين فهذا زعمت أنه حاكي زهيرة وأبيات حكمته من قوله:
وتقول عاذتلي وليس لها
فهذا فيه أنساء صلة بقوله هلا تسأل حاجة علقت؟ ونما يجعلون المحبوبة سائلة
وعاذلة وهازئة وقد مرت من ذلك أمثلة:
إن الشميرة هم الخلاود وإن
إني وحود ماما تفعل قدني
والمنة من الإبل مال دثر. عقاؤها ويرا وكني بقوله يطيع عناها عن سمنها.
ولكن بنبت في الشفق في
لتنقين عن النسيبة
إني وحود الأمير أشده.
واخرى هذه القصيدة فيه روح من الإسلام مع الحكمة التي ترى.
وكلمة الأمير بن عفر الدالية المليحة:
نام الخلي و مما أحسر رقادي
والهم محترض لذي وسادي
أخذ حدو معلقة أميري القيس، ولكن من عند ذكر الليل إلى آخر القصيدة، وهذا من الأسود بن عفر حذق عظيم، إذ قد فقد بصره فهو في ليل، ومع الليل الهم والأحزان وطلب العزاء. وقد جعل أول قصيدته كله لذلك. ثم أردبه ذكر ملذات مضت وتمت بالحصان ونشوة الرحلة. وكان بعضهم لم ترضه هذه النهائية فجعل آخر القصيدة قوله:
إذا وذلك لامجاه لذكوـر
والدهر يعقب صالحا بفساد

- 370 -
ولعل الأسود قاله ثم أضرم عنه والشعراء ما يفعلون ذلك، والقصيدة بدونه أجرد وأتم.
إذ هو لا يعدو أن يكون صوتًا أجوف، وقد سبق ما هو أعظم منه وأوقع.
أما القسم المنبئ عن الهم والليل فقوله بعد البيت الأول:
هم أراء قد أصاب فؤادي
من غير معا سّمك ولكن شفني
ومن الحوادث لا أبّا لك أنت
فهذا مع الهم وبعده حزن.
لا أفتدي فيها لموضع تلعبة
بين العراق وبين أرض مواد
ثم غلبه الخزن فأخذ في ذكر الموت على الطريقة القبرية الكفنيّة التي عند المعرق، ذره
منها:
ولقد علمت سوى الذي نأتي
أن السبيل سبيل ذي الأعوان
يوفي المخالب يركبان سوادي
من دون نفس طيارفي وتبلادي.
ثم أخذ في التأسي:
ماذا أعمل بعدده آل عرق
تركنا منازلهم وبعد إياد
لا يعني بالأل عرق ملوك البيرة ولكن ملوكاً من غسان
أهل الخورنق والسدير وبارق
القصر ذي الشرفات من سناد
كعب بن مامامة وبين أم دواد
فكانهم كأنّوا على ميعداد
في ظل ملك ثابت الأوطاد
منا الفقرات يجيء من أطوار
يمومها يصير إلى بيل ونفاد.
أهل الخورنق إلَّغ على بيم إياد، والخورنق موضع، والسدير النخل، وسنداد بكسر
السين وروى فتحها نهر، وكل هذه مواضع، وأنقراض من بلاد الشام ليعني بلدة
الأناضول الرومية وكعب بن مامامة صاحب الكرم المشهور، وابن أم دواد هو أبو دواد
الشاعر، كلاهما من إياد، ثم قضى يتأسِّى....
في آل غرف، لَوْ بِغَيْثِيِّتِهِ لِلَّقِيمِ

أل غرف من قومه بني غياث قيل هو زيد منة نفسه وقيل أحد أبناء ابنائه فمن قال ذلك جعل زيداً المدرك في البيت التالي من هذه السلالة إلا أنه فهو زيد منة، الأمي بضم الهمزة وكسراً جمع أسوة بضمها وكسرها، وهي ما يتأسي به وما يقنده به وقريباً بكسر الهمزة وضمها في القرآن والأعداد بضم العين وفتحها فالأضخم جمع والفتح مفرد من يعد ما يتأسي به

ما بعد زيد في فتاة فرقوا قتلاً وأسرى بعد حسن تتأدي

أي فرقوا بسبت فتاة أبوا تؤديها كأرذ المنذر بن عبد الباقي فغداهم وفرقههم والتأدي حسن الحال

فتخروا الأرض الفضاء لمعزهم، ويزيد رافدهم على الرفاد

أي وكأنوا قد خوروا الأرض الفضاء قبل أن يقع بهم هذا الخطب يهذ هذا آخر التأسي ويقابله في النموذج الذي حنا على مثاله وله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قولهم: كلانا إذا ما نال شيئًا أفاته

في رواية من روائع الذهب لأمراء الفقيه، وهو الذي عليه الرواة غير مأطن به الأصمعي، ومن لم يروها فإنه يقاله منه قوله:

ألا أنها الليل الطويل ألا نحل

وما يلحن به من ذكر الأمثال والثريا.

وحدث هذا ذكر الشاب وما تصر من سعادة العيش ولذاته من عند قوله: وقد أغردي ولطر في وكساتها، إلى وصف الجبل، والصربيد، وispers، وسوار، والسيل إلى آخر القصيدة، وكذلك ها هنا أخذ الأسود بن يعفر في ذكر لذاته الماضي اللالي قد ان قضين

يحلن بذلك ويتسل معاً، وهو من عند قوله:

إما ترني قد كبرت وأغاضني وأوينت أصحاب الصواب وأصبحت الباذغة ولاي قايد

فلفق أروى للتجار مرحة: مسال من بصري ومن أجلتي

ثم يمضى في الذكريات، وقوله مرحلة عنى به شابه إذ سواه الشعر ووفروه في

٣٧٢
ميزة الشباب ويعجني قوله "ليتني أجيادي، إذ يس العنق وتغضنه من شواهد تقدم السن. وجعله أجياداً لترائيه به، بره من جميع جوانبه وما حوله هو به مزدان.

ولقد حثت وتشجيت لسلاسة بسلامة مزجت بناء غواطين من خير ذي نطفة أغلب منطقة وقال بها "لصدراهم الإسجاـد، قالوا في الإسجاـد أقولا وأددناها أي لبسك دراهم موسمه. قالوا كانت على الدهر صور يكررون لها ويسجدون وهي دراهم الأكاسرة وهذا تفسير الأصمعي. وقالوا الإسجاـد عندنا يتصاري، أسجدهم جزيه، وإنما يصح هذا المنى إذا كانوا يدفعون جزية للفرس أو للملك الحرة في الجاهلية أو جعل ما كان عليهم من ضريبة بمنزلة الجزية. عن أحد بن عبيد بن ناصح في رواية ابن الأشعري الكبير الإسجاـد أي التي جاء بها الخارج بعدما حال عليها الحول وهو وقت الجزية. وأحسب أن المراد بالجزية هنا الضرية التي تؤدي للملك.

ثم وصف الساقي هذا على الطفيف أي الأقراط يفتح النون والطاء مفردا نطفة كشجرة، والنساء النواـعم الحسان اللائي يبن اللهو.

يسعى بها ذو تزويام مشمس تافت أنامله من الفرصاـد أي من الخمر شهبة الفرصاد وهو التوت خمرها والتوتمان اللؤلؤات والبيض وتـشى كالبدر وفالدمي ونـنواـم يمشي بالأزفاـد قالوا أراد بالأذاف وذلك لهزه آرافه بن ترـجا.

والبيض يـرمى القلوب كأنها أدحي بين صريمة وجماـد يعني كأنه بزيات تطعم من حسنين محفوظين بين صريمة أي رمل وجماد أي مواضع غلاف جم حدب ضم الحليم وجم جم جد مكسورة أو مفتوحة بمعنى الجد يعرف أي بين رمل وأرض جماـد ينطق معاـروفا والزنواـم بـيض الوـجوـو رقية الأكـبـاد ينطقون خففـوض الحديث تامسًا فبلغن ما حاولون غير تنادي وهذا من حلو الكلام ورقه. ثم أخذ في وصف ما راد من الأرض ونعت الحسان الذي راد به، وذكر الصيد من بعد:

ولقد غدت لعازب، متناذر أحوي المذابـيـم مـوشـق الرواد فهذا قريب من قول أميراء القيس: "وقد أعتدي والطير إلخ"
جادة سواريه وأزر نيته
نقما من الصفراء والمرزاب
قطع نبات من هذين النوعين
بالجو فالأمرات حول مغامر
فضياء فقصيمة الطراد
وضياء ورد في شيم امرأة القيس البرق
قيد الأوابد والرهان جود
بمشهر عقد جهيز شده
وقد الأوابد من أمراء القيس كما ترى. عند: أي قادر على الجري هنا، أي عنده عدة
الجري كيا فرصه الشارح.
يشوى لنا الوحد المدل بحضره
شريخ بين الشديد والإبرادر
أي بمزيج من هذين الضربين من الجري والحضر ضم الهاء العدو بفتيح فسكون. ثم
ختم قصيدها بذكر التاقة وهو يناسب ما قدمه من الحمر والسنا والصيد، فبقى أن
ينظر الصباب والعشق واتبع الطبعة المشوقة ولا يبقى أن هؤلاء اللاتي يمشين بالأزفاد
إنا من قين ونبعا. وذكر الطبيعة في هذا الموضوع كأنها استدرك به ما فاته من أول
نموذجه، وهو ما قدمه امرأة القيس قبل ذكره الليل من حكايات الصباب والشوق
والدموع والغزر ويوم دارة جلجل وخدر عنزة. ولم يتح امرأة القيس لي اللحاق فقد
عقر مطية وبيع صاحبه.
ولقد تلقت الظاعنين بجسره
أجد مهاجرة السواب جماد
أي قوية ورود الفتح في جيم جماد هنا يرجع أنها مكسورتها في "أدحي بين صريمة
وجداد"
عيرانة سد الرويد خصاصها
ما يستين بها مقيل قراد
وأحسب أن هذا هو آخر القصيدة - لا البيت الملحق به - فإذا وذلك، لا يصلح عل
التفسير الذي فسروها. وفي نفس شيء من البيت الآخر
أين الذين بناوا فطال بناهم
وتعمروا بالاهل والأولاد
وهو بعد 5 نزلوا بآقرة، ووضعهم ناب هناك، وعجز البيت ذو ضعف ما - أحسبه في
قولة "بالاهل والأولاد" فتأمله.
وما يجري مجرى التذليل الذي عند المخل وجري به زهيرا وأصله الشكل المخصر عينة
مalk بن نوربة:

صرمت زنية حبل من لا يقطع
حل الخليل واللامة تفعج
ويروي ولا الأمانة يفعج أي وحل من لا يخون الأمانة. والقصيدة مروية للبند بن نوربة
وذكروا عن أحمد بن عبيد بن ناصح أن بعض الرواة برويه للملك. وعندى أن مذهب
أسلوبا كأنه أثل حققة تفعج من مذهب متمم في رواة أخيه، إن كان قوله:

أقعد من ولدت نسبة أشتكى
زع المنية أو أرى أنتووقع
ما يستعان به على نسبة الكلمة إلى متمم، لقول متمم في عينيته المنصوبة الروى

الشهيرة:

ودفقت بني أم تنالوا فلم أكن
خلالهم أن أستكين وأخضعا

ولم يفسروا لنا بيت متمم هذا تفسيرا شافيا. وينفي أن يكون قد ما ت من الإخوة من
أمه وأبيه قبل مالك، مع الأل فصل ذكرهم من بعد من ذكرت لنا أسراهم ومقاتاتهم

وهو قوله:

وفيغنى ما مغال قيسا ومالكا
وعمرا وجزء بالشفر ألمعا

أي الذين معا

وما غالط ندماني يزيد وليتني
قلحه بالمال والأهل أجمع

قالوا كان يزيد ابن عم وقع خبرنا أنه ندمانه. فهذا يدل على أنه كانها معا.

وتسجية أم مالك ومتمم، والبيت ليست ضرية لازم أن يكون قاله متمم، فالك كأخيه
يكي على من هلك من شقيق وشقيقية. وتسجية البيت احتجاجا به، على أنه لم يسمع
توشك أن تفيد أن نسبة لم تلد مع متمم إلا مالكا وكان مما يريد أن يقول: "أقعد
مالك" بقوله: "أقعد من ولدت نسبة" وكأنه يريده وحدة بقوله: "وفد بني أم إلخ".

ف يكون هو وحدة بوني الأم - وهذا بعد.

وفي القصيدة بعد أشياء، ليست بديل قاطع، ولكنها من ضرب ما يخص به، توشك
أن تنبيء بأن الكلمة مالك لا لتمم. منها أن متمما زيد في شيوعه، وهذا قد ذكره ابن
سلام، وأن العلماء أخرجوا ما زيد. فهذا مما أخرجه بعضهم. هذه واحدة.
وليسهم ما يقع مثله عند الشعراء هنالك قلوبهم بالمعنى عن بعض ما وراء الغيب -
أولاً قوله: وللأمانة تفعج - أو - ولا الأمانة يفعج. فقد أوّل مالك على مال
الصداقات فخان. والثانية ذكره الوتر وتوحقه له وعجزه عن الدفاع عن نفسه. ولقد نظر
بعين مشهد إذا قال:
وقل: ولقد غبتها بها ألفي حقيقة
فضمت الغبطة هنا المتكلم المراد وفي عينية منتمي جاء بنفس المعنى ولكن المتكلم فيه
جعم:
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعة
فهذا بسمله وأخاه. وكان مصدر خبره من أخيه وذلك قال:
ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة ورزة بزور القرائب أخذها
فخص نفسه بالرجز من بعده. 
والحمز بعد أن يوقف عندما وقف عندقه قد حاول إن هذه العيننة المرفوعة رويت لتمم
بن نويرة وروها بعض الرواة لأخيه مالك. ونميل إلى هذا الوجه الثاني والله تعالى
آخر القسم الأول من هذه القصيدة في البيت الثاني عشر - وقد بدأ يذكر صرم صاحبه
له، وأتبع ذلك بمكافأة له من مذهب لبيد في معلقته
فانتقل لبانة من تعرض وصله واحب الجمال بالجزيل وصرفه
واسع ورجل خلصة صرامه - باشق إذا ظلمت وزاغ قرامه -
ثم تسيل بناقة عنس جعلها رمزًا لمضائه وزعامة. وأتبع ذلك تشييدها لما بحار الوحل
كما صنع لبيد وقد شاركه في بعض اللفظ والصفات فكانه نظر إليه وقد اشتهر أمر لبيد
بالشعر في الجاهلية قبل زمان الهجرة.
صرمت زنيب - حبل من لقعت حبل الخليل ولامانة تفعج
يلوم الرحل فدعمه المستشفع
ولقد حرصت على قليل مناعها:
هذا كان عن قول بشامة - ووام كان أكثر ما زودت البيت.
«
قد استبد بوصول من هو أقطع
قالوا أي قاطع وهذا ما ذهب إليه الشارح وروى قولا عن أبي عمرو "هو الشباني" أي أقطع ميني وورى بصرم وهذا واضح على مذهب ليبيد. ولو جاز القياس في هذا الموضع ما ابتنع عندي أن يقتبس بوصول من هو أقطع على قول الآخر: وإن بذلت تقلت أي لا توصف بهذا فيقال تقلت، فهو حكایة. وعلى فمن هو أقطع من شأن أن يكون لسان حاله: "أقطع" أي أقطع وأبدا الصرم وما هو بهذا المعنى. وهذا في جملة معناه مقارب لقول أمراء القيم لعنيرة: "فمثل كحل البيت" أي إن تمنعني فرب كذا وكذا قد استطعت وصلها. وأنت إن تجدي حيل يا زينة فقد اتخذ لسفري بوصول من يزعم أنه قاطع عسير المال وله يقوى هذا الرجح قوله زينة فهي موازنة وزننا لعنيرة والمهنى كأ ترى، على هذا التأويل، وعلى الشرح الذي شرحها أيضا. ويقويه أيضا البيت الذي إذ يدل على صحة رواية "استبد بوصول من هو أقطع" لا "بصرم من هو أقطع". ويناسب المعنى الذي ذكرناه:

ولقد قطعت الوصول يوم خلجه وأخو الصرايمة في الأمور المزعوم

وعند لبيد "ونɵع صريمة إبرامها" فهذا قريب منه

بمجاهدة عنص كأن سراها فقد تنطيف بـ النيبيط مـرفع قاوظت أشال إلى الملا وتمزجت بالخزن عازبة تسن وتودع تسن وتودع مثل مثله واستعارة، أي هي عدة مثل هذه المهمة من السفر كـ السيف عدة للحرب يسن ويفخظ فهي مثل تسن بحسن الرعاية ثم تصل فلا تتذل في غير وقت الحاجة حتفا. والأفكار التي ذكر الشاعر هو ناقله قاؤت أي قضى القياس - فمن الحر - بها والريح هي من جياز مراعي الإبل. قال الشارح، قال حنيف الخطأم وكان أعلى الناس أي من أحسن الناس قياما على الإبل وكان أحد بنى ثعلبة بن عكابة: "من قاطق الشرف وتربع الحزن ونشتى الصبان فقد أصاب المرعى؟

حتى إذا لقحت وعلوي فوقها قردهم بـ الغراب الموقع
أي لا يقدر الغراب أن يقع عليه لامتلائه وانتمتسه، هكذا شرحه القاسم بن محمد بن بشار الأنباري أبو محمد، ثم قال، وهذا قول الراعي:

بيت مراقِفهن فوق منزلة لا يستطيع بها القراط مقيلا
قلت فنينغي أن يكون صواب عجز البيت:

- 377-
ولالفاف قد تنطق النقطة الفوقية الواحدة كما في الخط الغربي فإن كان الناسخ قد اعتاد ذلك فربما وهم إذ خذلا آخر بالحرف الشرقي والباء قد تحرف من الدال. ولا عنى الموقع الغراب على سنام صحيح ممّثل، وإنّا نقع الغربان على الجروح أو ما تبدوه أنه جروح. قال علقة:

"عقلنا ورقات تظل الطير تختطفه، كأنه من دم الأجوات مدموم، ولا فائدة في ذكر ابن الأنباري للقراد إن كان الذي في الشعر الغراب، وقد اتبع بيت الراعي قوله: "يقول فمغزز المراقب ليس به ضاغط ولا ناكد ولا حاز ولا عيب فواباطه مثل لا يثبت بها القراد لأنملاها أي لا يجد ما يقبل فيه زيل عن موضعه لملاسته وامتالته، وكقول امرئ الأقيس ينزل الغلام الخف عن صهوانه وقيل بأنواب العين المثلقل وقيل الكلاهي: 

"دلظ ينزل القطر عن صهوانه هو الليث في الجئاز المتحدر الدلظ السمين قال أبو عمرو إنها هو الدلظي وهو القصير السمين." 1.5 قلت فكل هذا قريب من قريب وليس فيه ذكر للغراب لماذا يخشى أن يزل، وإنها ينقر بامتقاره النقرة بعد النقرة فليس هو بقدر يريد أن يلصق ولا بقطر لا يمسكه مبل。

ثم يقول في ناقته العنك:

"قريتى للرجل لما اعتصادي سفّر أنى به وأمس بجميع علم تقاليذه قذور ملمع فكنّها بعد الكلالالة والسرى تاشيه بالرحور والقدور مثّل أن أقول قدناء أن أقول أن قدناء أن تقول قدناء أن تقول أن قدناء أن تقول هذا في النساء. أما هذه الآثان فهي مستعثرة على فحلها لأنها وست أشرق ضرعها للحمل.

مغززها عن جحشها وتكفّه عن نفسها إن اليطم مدفع اليطم هو الجحش قالوا وحبر الموحش غيّر يطرد عن إنائه جحشها وربا كدم مذاكرىها.

ويظلّ مرتبّا عليها جاذباً في رأس مرقة ولا يرتع

378"
أي يرتفع على الأماكن العالية ليرى أثر صائد أو ما يكوه، ولا يرى إلا بعد لأي لفط شفته على أتانه وغيره عليها.

حتى ييجها عشية خسها للورد جاب خلفها مترع الجواب هو الحبار الغليظ. مترع: متروج

يعذو تبادره المخالم سمحج كالدلو خان رشاؤها المتقطع

السمحج الأثمان الطويلة على الأرض، شبه سرعة مرضيها في المخالم وهي الطرق الجليلة واحدة غمر، بالدللو التي اقطع رشاؤها أي جبلها وأخذ هذا من قول زهير:

"يشج بها الأشاعر فهي نهوي هوي الدلو أسلمها الرشاء وبيت زهير أوضح وأجدود، إذ مالك أو متمم جعل الأثمان مباشرة من تلقاء نفسها وزيت زهير متسطلا عليها يدفعها دفعاً فتهوى هويها من سرعتها. ثم قول زهير:

أسلمها الرشاء" في فجامة السقوت. وفي مقال مالك نوع من ريث:

حتى إذا ورد عيوناً فوقها غاب طوال نبات ومصرع صفوان في نماووسه يتطلع حججرا فقلل والنضي مجمع زوجلاً كأ يجمي النبيذ المشع ويجهنادل سم ولا تشعرون فوق القطاة وزأسه مستلع

أي علا برأسها وراءها فوق ردها وحما مذيان هربا.

قوله: غاب طوال نبات ومصرع كقول لبيد:

"عفوفة وسط الياع بظلها يمكن مصر غابة وقيامها ونقد جعل لبيد القيام قافية وذلك في باب الفال أجود وجعل مالك المصع قافية فتم. وكذلك قوله وصادف سهمه حجراً - وقد تم المعنى عند إخطاء الرامي فأني إلا أن يكسر النصل وبقي النبي الذي لا نصل فيه. وقد لقي مالك بهجمه من خالد حجار بنيسا.

ثم يجيء القسم الثاني من المذيل وهو في الأصل ثالث وفيه ذكر القيص والفتوة وصفة الحصان
ولقد غدوت على القنيص وصاحبه
ضاقت السبب كان غصن أبائه
قالوا وكان لمالك جمة حسنة وكان يسمى الجفول. فحصاه كالمر لفنه:
طاح أشراف إذا ما يغرى
سنفأ إذا أرسلت منفاذ
تتن أي ممثلة حيوية وحدة
وجأءنا فوات الجوالب جانًا
رثم تضايفته كلالب أخضع
الجوالب أصحاب الصباح والجلبة في السرمان، يشوشون بذلك على النصر
السابق. جانًا منيحني لأن النصر لم يستحق به فشخ عقته ومر مسرعا. رثم: غزال. قالوا
قال الأصمعي كان هذا الوصف رد من قوله وينسب فيه إلى الغفل لأن أثير
الذكرات وقهر جري الإنشات الخضوع. وقد أحسن الشارج لرول الأصمعي
إذ قال: وإنما أراد أنه خضع ليعتمد في الجري كيا يعتمد الطبي. قلت إن كان هذا
الشعر قاله مالك فقد كان أعلم بالخيل وأدرب بأمرها من الأصمعي. والوجه ما قاله
الشارج. تضايفه الكلاب أي تأخذ بجانبيه فيخضع الغزال عنقه ثم ينخرط
جربا. فهؤلاء الجوالب بمنزلة الكلاب.
فله ضربت الشوطل إلا سؤره
والجلف هو مررب لا يخلع
قوله إلا سؤره يبتناه أنه يعطي الخلاب أولها فلا يشرب أحد من أهل البيت إلا بعد أن
ياخذ الفرس كفائه:
فإذا نساهن كان أول سباق
يختال فارسه إذا ما يدفع
بل رب يوم قد حسنا سبقه
نعطي ونعمه في الصديق ونتفع
ثم أتبع هذا ذكر سبب الخمار وكر لفظ السبق ومعناه يتزمن بذلك
رئيـا وراوقي عظيم مترع
لقد سبقت العلاذات بشربة
كدم المذبب عذًا يشتم مهتعش
جفن من الغريب خالص لونه
أهو بها يرموما وأله فدية
وروا أبلسوا وتقنعوا
وينفأ شيتا عند هذا البيت. ونسايل هل نظمت هذه القصيدة عند شروعهم في
الردة. إلا ففعلمعي إلاباس وتقنعوا. قال الشارج: «أي من شدة همهم كان لهم منه
لباسا وقناعنا» وأبلس أي وجوا من الهم. وأرسلوا روابة قال: أي أسلموا
بجراحتهم. وَإِنَّهَا يُكَانِ الْهُمُ الَّذِي مَعِهْ الإِبَلَاسِ وَالْإِسْنَالِ وَالْتَقْنَعُ عِنْدَ توْقِعِ الْأَمْرِ
الخِطْرِ المَفَطِعُ. وَكَانَ أَمْرُ جِيْشٍ أَيْ بِكِرْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأَهِلِ الْرَّحْلِ مُفَطِعًا. وَرِوْيَا مَا
كَانَ أَهْلُ الْرَّحْلِ يَتْنَاشِدُونِ:

ِلاَ يَا عِبَادِ اللهِ أَيْ بِكِرْ لاَ تَنْمَأَنَا قَرِيبًا وَلَا نَدْرِي.

وَقَدْ جَاءَ بِعَضْةَ الْإِبَلَاسِ وَالْتَقْنَعُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْتَفْنِيرِ بِمِصَابِ الْأَيَاذِ. وَلِبِشرٍ.
وَقَدْ اسْتَهْلَكَ الْتَفْنِيرُ بِنَبْعٍ مَّلِيِّمٍ كَلِيلٍ أَمْرٍي الْقَبْسُ قَبْسٍ كَبِيرٍ كَبَّارِي الْمَدْنَى كَبِيرٍ
إِلَى الْقَبْسِ الْمَهْرُقُ حَيْبَانُ حَيْبَانٍ رُوحُ الْإِقْدَامِ كَبِيرُ الْقَبْسِ الشَّمْرُفِ. وَأَوْلَى مَا اسْتَهْلَكَ بِذِكْرِ الْطَّيْبِ وَنِشَاةِ عَنْ جَيْفِ
الْمَوْئِلِ، وَتَأَمَّلَ بَعْدَ قُوَّةِ الَّذِي جَعَلَهُ كَذِبِّي حَكْمَيْنا ذَا عَرْشَةٍ وَأَحْزَانٍ:

ِ بَا لِفْهُ مِنْ عِرْفَاءِ ذَاتِ فَلْيَةٍ
وَثَّبَّهَا رَمْقُ وأَنْيِ مَطْمَعُ
فَقَدْ جَعَلَ نَفْسِهُ هَذَا قِيَدَةٌ لَّاجِزَةً تَبْنِي مَنْ قَرَأْتُ تَأْتِيهِ الْجَرَاحَ وَالْبَضِعُ
تَرَايْحُثُ حَيْثُ إِذِ مَاتُ أَكْلَهُ. هَكِذَا تُوْمُهُ تَهْيَاهُ وَمَا بَعْدُ.

ِ وَثَّبَّهَا رَمْقُ وأَنْيِ مَطْمَعُ
وَنظَارِي الْمَشْفَرِ وَتَلْحِمُ أَجْرِيَّا
لَوْ كَانَ سَفِي بِسَائِمِ ضَرْبَيْهَا
ِ هِلْ نَظْمُ مَالِكَ هَذِهِ الْشَّعْرُ وَهُوَ أَسْيَرٌ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

ِ أَوْلَى أَنْ يُبِحْرِيٌّ إِلَى هَنَا نَظَرٍ إِذَا قَالَ
دِرْيَ الْفَاتِكُ الْعِجْلَانِ كَيفُ أَباَدِهِ
وَقَدْ ذَكَرُوا كَيفُ كَانَ هَلْعِهْ واَحْتِقَاهُ
وَلَقَدْ ضَرَبَتْ بِهِ فَسْقَتْ ضَرْبَيْنِ
أَيْبَنْيَانِ الْكَأْثِرَ كَأَنْهُ الخَروْجُ
ذَاكَ الْضَيْقَاعُ فَإِنْ حَزَتْ بِمَدْيَةٍ
كَيْفَ وَقَلْوَيْ مَنْ مَـا يَصْنَعُ

ِ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلاَّ نَادِمٌ فِي نَمَدُ عَلَى أَنَّهُ إِسْتَأْمِرَ
وَلَعَلَّ هذَا هُوَ أَخَرُ الْقَصِيدَةِ وَالأَبِيَّاتِ الَّتِي أَوْحَتْهُ أَنَا لِتَمْمِي هَيْ لِتَمْمِي وَهَيْنُ الْثَلَاثَةُ

ِ لَقَدْ غَبِطَتْ بِهَا أَلْقَى حَقِيبَةٍ وَلَقَدْ يَمَرَّ عَلَى بَوْمٍ أَشْنَعُ
وَيُوْنُ المَعْنَى وَلَقَدْ غَبِطَتْ مَلَكَ وَلَقَدَ مَرَّ عَلَى يَوْمٍ مَّكْرُهُ وَهُوَ شَنْعُ
أفيعد من ولدت نسبة أشتكي
وزو المنية أو أرى أن موجود
لحادثة فهل ترني أجزع
لقد علمت ولا محالة أنني
فهذا يشبه بعض ما في عيني الرئة.

هذا وشكل قصيدتي عمر ولحاز أنها خطيئة جهوريات. وخطاطة الضرورة
سع من ذلك. وكذلك خطاطة واحد في عتاب أو خصومه أو ما أشبه. وقد عجل عمر
والحاز كلاهما بنسيتها إلى موضوع خطابتها. بل نسبتها منذ البداية جلي أنه توظه
وتهمد واستجلس للأعمال لا نعم صيابة. وعند عمر بدأ بالخمر ودلاله ذلك على
إدراك الثور والانصار. وبداية الحاز بطنية أذنت وقد ملها. والغالب على الشعراء
إذا أرادوا معنى الصيابة ولو رضا أن يضعوا أن الريح فاجاهم لا أنهم أوذنا به
والإذان بالريح تصرف بالمصارعة. ثم عمر والحاز كلاهما يخلصان آخر الأمر إلى
الفخر ومواقفة "الهادي" - قال عمر:

وقد علمت القبائل من معبد إذا قيب بأبطهـا فيهما
والقبائل خطاطة هنها.

وقال الحاز:

هل علمتم أيام ينتهي النـا
سن غوروا لكل حي عـواء
ثم مضي بعدد الأثر ويفصح بالحجج. مذهب الحاز وعمرو كليهما [وهو كا قدمنا
شكل خطابي واحد] فيه هو نضح أسلوب المهلل ومناقضته. ويذكر عن الأصمعي
أنه قال لو كانت للمهلل ست قصائد مثل:

أبلتنا بذي حسم أثيرى
لعده في الفحول. وحسب المهلل أنه شرع من بعده مسلك التطوير في أشعار الفخر
القبلي والثأر. وإنها كانت أبيانا. فإن يكن المهلل قصد سبق إلى التطوير في هذا
الباب، فحظه على الأقل أنه جudded وأحكمه حتى صلح لأن يتناقل ويروي. ولا ريب
أن القصائد قد نحلوه هو وقصهما ما نحلوا.

وفي الذي وصل إليتنا من الشعر القديم كلمات عدة تتتج منهج الحاز وعمرو في
لهجة النسيب وصرف العبادة إلى المواجهة الجهوية التي تتخط جهورا بمخادر
جهور. من ذلك مثل قصيدة الخصيف بن الحرام المري

جـزي الله أ Федер العشيرة كلها
وعـيدة الخصيفي التي يرد عليه بها
وسعد بن ذبيان الذي قد تغلب

من مبلغ سعد بن ذبيان ملتكا

٢٨٢٩٤٨٣٧٩
وكثيرما يطول ويقصر في هذا المجال يجري مجرى هاتين الكلمتين من ذلك مثل نونية
العدوان سواء اعتدت بسبيها أم لم تفعل وما نسبها إلا خسة آيات ثم ما بعد ذلك
منافرة وخصام وربا بلغ به تعريض الهجاء مثل قوله:

عني إليك فإني بسلاة،
ترعي المخاص ورأي بمنببون
كأنه يعرض به أن أمه أمة.
ولم يرو المفضل فيها أسند إليه عن أبي عكرمة غير ثمانية عشر بيتا لا نسب بين بديها
وحي غير ستة وثلاثين بيتا فزاء على الثمانية عشر ثلاثة عشر ثم آيات النسب،
wالنون حرف ذلول ركوب، ولعله قد زيد في نونية ذي الأصح كأنه قد زيد في نونية
عمرو بن كلثوم وقيل بلغوا بها ألفا، ولعله لو كان في عدوان عدد كما في تغلب، قد بلغ
بها بعض ذلك.
وعينية ذي الاصبع الأيات العشرة التي أوها
إنك صاحبي لن تدعنا لومي ومها أضع فلن تسعا
وروي ومها أضق وأتسعا تسوها، والمعنى متقارب.
قوامها مذهب الخطبة كونيته غير أنه أدخل فيها عنصر تأنيث عند قوله في سابع
آياتها:

إمارة شكري ريعي أبي،
سعد فقد أحمل السلاح معا
وهذا من أساليب تذكير الشباب. وما أرى إلا أن ذا الاصبع عمدا الضرب من
السخرية والتهكم بهذين السفيين اللذين خاطبها. وقد جعل بعض كلامها كأنه
كلام أنثى حين قال:

إنك من سما، رأيك
لا تفجى السفاه والقيذعاء
أملك بأن تكذبوا وأن تلعن
لن تعطى جفاة على وح
أي أنها تؤذيان النديم وتتالان المطع وهو إنسان العرض.
إن تفزعها أنتي كبت فلم
ألف بخيلا نكسا ولا ورعا
أي فقد كبت ولكن سلا ما تأريخي، إن لم أكن نكسا ولا ضعيفة جانبا وزعمها أنه
كبر هذا كلام الأنسى، كقول الآخر:
رجل يراضى
يتلو

فإن أدرك فلما في لـدداني
ولبست

أما ترني قـد بليت وغاضني
ما نيل من بصرى ومن أجمل
فليا جعلها ذوي حديث أنيت هنا، عاد فزعم أنَّى يخاطب أنيت حيث قال:

إماتري شكتي رميح أبي
سعد فقد أحم السلاح معا
ولبس أسول الأعشى في "ودع هريرة" من شكل أسول الخطبة الشعرية الذي عند
عمرو والخالدي. ولكنه كا قـنا من قلب من معدن شكل ممدحة النابغة، وإنها خلج
أبواب الغزل والرحلة والشراب عن سمت جد الوصف لـ هزل من الفكاهة ليجعل
ذلك نوطة لتويـخ يزيد بني شيبان والطلن به مع التهديد والوعيد.

وأما أنصف ابن قتيبة العجاج حيث أخذ عليه علم أن من يحسن النباء لا يعجز عن
الهدم، يحب المدح بناء ولهجاء هذـما، فزعم ابن قتيبة أن العجاج أخطأ وأن المدح بناء
واللهجاء بناء، نعم بناء من حيث إنه لابد فيه من صناعة وحذق وتهوـيد. ولكنه من
 حيث منهج القول وشكله سـلب ما يوجه المدح. فهذـا الجانب من أمره هدم، وكـأن
هذا هو مراد العجاج. ومن أدل الشواهد على ذلك مثلا قول الفزدقي:

إن النبي سمك السهاء بن لـنـا
بتعاه زرارة محـب بـفطناته
فتقضه حريـر بقوله:

أخرى الذي سمك السماء جاشعا
بتـتا حمـم قينـك بفطناته
وبيـن بناءك بالخصوص الأسفل
دنس مقاـعةـه حيث المدخل
والذي صنعه الأعشى لـم تأمله ينبذة هزل منزلة المنقض بالنسبة لـ وقار النابغة
وحسن أداب عقلة.

ولمرد بن ضرار أخي الشهاـد دالية طويلة في المفضلات مطلعـها
لا يبالقوم والسافحة كاسمـها
أعائدة من حـب سلمى عوَانـي

تعد فيها رجزاً يقال له زرعة بن ثوب. وقص الشارح خبر هذه الفصيـدة قال
(128: 1) قال: أحمد أخبرنا محمد بن عمرو بن أبي عمرو الشيباني إملاء علينا
قال: كان أهل بيت من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان جاوروا في بني عبد الله بن
غطفان، فذهب رجل من بني عبد الله إلى غلام من التعلّبين يقال له خالد وهو أحد بني زعام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذيابة، ونثر التعلّبي إيل كرم جلة حسان، فليزر يقتطع التعلّبي حتى أشترى الإبل منه بعّم. فرجع الغلام إلى أبيه فأخبره فقالا هلكت والله وأعلكننا. ثم إن أبا الغلام زرك للمرجد فقص عليه القصة فأخبره بالخبر. فقال مزود أننا ضامن كوك إبلك أن ترد عليك بأعيانها، ثم أنه يقول:

أما قول عبد الله والجهل كامس مغامد، المغامد فيقول:

قال أحمد فهذا كان سبب قول مزود لهذه القصيدة. 1/2
فتأمل قوة الشعر. وقد جاز مزود التوبخ إلى الهجاء المقدّر. ولذلك استعدى ابن ثوب عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاعترض إليه. ويشبه السياق أن بدل على أن ابن ثوب إما رد الإبل وإما أرضي أهل الغلام. وإنما كان مزود ليتذمر إذ كان ذلك البيع كا قصوا خبره قد كان غياباً، والله أعلم.

وبعد مزود بين مذهب تهم الأعشي وخطابته ذي الأصب. وأصل ذلك كأقدنا أسلوب الخطبة الشعرية الذي عند الحارث وعند عمرو بن كلثوم - قال مزود:

أزرع ابن ثوب إن جارات يبتكم هزلن وأناك ارتفع الرغائد
الرغائد أي عيش الخصب، فزعم أن الغلام المخدود ابن جارات زرعة بن ثوب وأصبح جارات ابن ثوب برواها من الشر يتسعّون في أقدانه تركت ابن ثوب وهو لا ستر دونه ولدوشت غتنوث بلوبد ولاندي فهذا ما جاور به إلى تناول الأعراف، إذ أقبل على ثوب نفسه بعد أن فرّ من ذم ابنه صفعت ابن ثوب صفعة لا حجي لها فردوا لقح التعلّبي أداهم
ثم قال:

في آخر نوب إنها ذو خالد كنار اللطفي لا خير في ذود خالد وفى سياق الشرح ما يدل على أن مزودا كان يزيد في هذه القصيدة حينا بعد حين، يتنلى بالشر الذي أخذ في مقاله من ممض القرآن ولاذعه. ومن هذا الباب قصائد عدة في المفصلات - مثل همزية عرف بن الأحوص (39) ومع مرازته فيها كان أعب لسانا من الزرد. وكان مذهب المزود كان من باب التهيئة والتمهيد لما جاء بعد من إقاذ الفرزدق وجرير وأول همزية عرف بن الأحوص:

١٨٥
هدمت الحياض فلم يغادر
لخوض من نصابته إزاء
وهو فاتحة نسب منبحة بغمض قريب ما صنع الخارث إذ قال:
آذنتين بينه لنا أساء
رب شاور يمل منه الشواء
وفيها يقول:
فإنك والحكممة يا بن كلب
علي وأن تكفيتي سوادوالواء
فليس لكم على داب علاء
وأدب هذا ابنه. فقد سلك سييلا من الإنصاف أسدما فعال مزرد من بعد:
وليس لسورة فضل علنيا
وماني إن كنتكم من آل نصر
ولكن نلت مجد أب وحسنلالا
فهذا تهكم، أي أبوك وأمك ليسا من الملوك ولكن سواعة كسائر الناس وإنها يفخر المر
في التسب بأبيه.
أبى وك بيجيد والمر كعب
فلم تظلم بأخذهما مانشاء
أي فقد ظلمت لأنه ليس واحد من هذين بملك وإنها أنتم سواعة أو كأ قال:
ولكن معشر من جيدهم قيس
عقولهم الأباعر والرعاه
أي أنتم تدفع لكم الدنيا، الإبل ورئاؤها، فلم تطلبون الفصايل، وفوق ما أنتم له
أهل. والأنماة في هذا الحرف كثيرة. وبعض ما جاء في خطاب المرأة سنخبه من هذا
الباب ككلمة أبي قيس بن الأشت.
قالت لم تقصد لقيل الخني
مهلا فقلت أبلى أساعي
وكلمتها سلامة بن الحرسب وعامر بن الطفيل (السادسة والسابعة بعد المائة من
المفضلات) وقد يدخل جميع ذلك نفس من هواء.
ومن بين الطوال السبع قصة مثاني عنترة وليد فرعان مما من مذهب المدحة النابغية
الشكل وتفيضها الأعشوية، وعنترة أسابق من هذين كليهما، فإنها مفصدة الدنيا على
معادن الأشكال، ولا نزعم أن عنترة قد أخذ من هذين، بل قد نرى أن الأعشى في

-386-
روضته كأنها نظر إليه وأخذ منه.
وعلى تشابه شكل "عفه الدبار" وهل غادر الشعراء بينها فرق نفت النظر منه إلى أمرين، أولاً أن ليديا بيدا بعفاء الدبار مقدما عليه راضيا عن قوله، وعذرة يبادا بالتساءل عن قيمة سؤال الدبار وكأنه حائر كيف يبدأ. فقريعا عنترة إلى نفسه بهذه البداية الصادقة التساؤل. ولكن ليديا أثر أن يكون فخا ويذى بذلك بعد ما وثنيها أن صاحبته لبيد، وقد سماها نيور ومعنى نوار النفور أو ذات الصد والتمتع، قد صارته وصار بها. ليس كذلك صاحبة عنترة التي رحلت فجاءة:

ما راعي إلا حولة أهلها وسط الدبار تُفْس حب الخمَم.
فهو يريد أن يلقح بها. خطاب لبيد لصاحبة فيه شدة. صاحبة ردت خصومة.
ولكن صاحبة عنترة حبيبة يريد أن يليدها إليها. حبيبة سواء أكانت هي أني بشرها هو عاشقتها أم شيئا آخر جعلها رمز له.

وقد خلص ليديا آخر أمره إلى فخر من فخر خطب القبائل:

إذا إذا النت المجمّع لم يزل منلالز عظيمة جشامه
ومعمر وقد تعز العشيرة حقها.
فضلاً وذو كرم يعين على الندى سمع كسبم رغاب غنامه
ولكل قوم سنة وإمامهم من معشر سنتهم آباؤه.

وقد خلص عنترة إلى وصف ملحمي رائع وحماة فارس نبيل.

نفس الخطابة أجعل شيئا عند لبيد. ونفس النتين أعمق عند عنترة. وفي ترتيب السع الطوال الذي في شرح ابن الأباتري الصغير معدلة عنترة رابعة بعد معلقة زهر. ولعل هذا أجاب بها من أن تجعل تالية لون عمرو بن كليم. وسعت بعد كلهن رواج جياد.

وذلك الثلاث النتائج.

هذا وطرق الأشكال الثلاثة الثلاثة نعدهن أصولاً قد خلط الشعراء بينها. وقد نهتنا من قبل إلى جعل سحيب وعمرو آخر قصائدهما في نعت الناقة وكذلك فعل الفردق في الزراعة التي ذكر فيها زيدا فجعل ذكره زيدا مكان التخصير. وقد جعل أسلوب الخطابة بها شخص واحد أو جهور يغلب، وكان ما يدعو إلى هذا الرجاء من القول من أعوام العصر وفننته كثيراً. وقد تعلم خبر كعب بن معدان الأشقرئي إذ وفد على الحاجز من قبل المهلب بن أبي صفرة بأخبر النصر على الخوارج فأنشدته:

يا حفص إلى عداني دونك السفر وقد سهرت فأذى جفني السهر

٣٨٧
قال له الحاجج: أنشاع أمر خطيب فزعم له الأشقرى أنه هما معا، وكذلك كان وقائد قصيدته. وقد سبق الاستشهاد بأبيات منها في معرض الحديث عن البحر البحري. وهي تنظر في جملها من حيث نفس الشكل، على اختلاف ما في تفاصيل الغرض، فكلمة القلم الابادي:

يا دار عمرة من خلفها الجرحاء
أهديت لي هلم والآلام والوجع
وكان الحاجج أشار إلى هذا من طرف خفيف إذ تملأ في حسن ثنائه على المجلب بأبيات منها:

وقد أمعنا كرم لله دركم
ما زال يبلع هذا الدهر أشطره
حتى استمرت على شعر مرسية
ولا زلت أن أباعف أخذ من هاها في قوله:

من لم يفقد فيطر في خيامكم
لهج الخمس فلن يقدر خيست

بلا أنه أشيره ما ذكرنا من تفاصيل قول بشار: "أنه مثار النقع، فأعطي مثار النقع هذه". "أبعدا." كأن يقال بلغة أبناء الآن.
وقد ذكرنا أن بشار كان فيها كانه خطيبا، وننف الخطيب في فخاته جهير. وقد وصفه صاحب الأفغاني بجهارة الإنشاد، وأنه به يروع القلوب. وأحسب أن سببه التي قيل إن أصل أولا كان هكذا:

أنا جعفر ماطب عيش بدائم
ومساسلالها قليل بسال

قد كانت أطول بكثير مما بلغنا، إذ قرناها بميمات الفردقة وجرير وهذه كانت طولا.
وقد كان أبو تمام خطيب فوز وقلم مع مقدرة له فائقة على علم الإيقاع والإطراب به.
وحبشكة شاهدة:

السيف أصدق أنباء من الكتب
فقد جمع فيها بين مثانة النظام، ووحدة الغرض، وجهاد صوت الخطيب، وزنين غناء
الشاعر ويوسيف. ومن قدمها بها على أبي الطيب فسوى ألا يكون بعيدا من الصواب.
وقد ربنا تربنا بالغ البراعة. بدأ بمدح السيف وثني بالسخرية من المجمين وأقوالهم
وباطيلهم، واندفع بعد إلى ذكر الفتح الجليل:
السيف أصدق أنباء من الكتب
يض الصحف لا سوى الصحف في
والعلم في شهب الأزمار لامعـة
هذا العزل بالسيف والرمح جعله أبو تمام مكان النسيب. وما أشار أن أبا الطيب قد
لبت دهراً يد لو أن هذا كان قد ادخر له حتى يقوله هو -- وقدم حاوله في قوله:
حتى رجعت وأقلمت قوائل ل
اكتبنا أبوذا بعد الكتاب به
أسمعته ودؤه ما أوأشرت به
فإن غفلت فدائى قلـة الفهم
أجاب كل سؤال عن هل بلم
هذا شعر جيد. وأصله من حيث هو بيان من هناك.
وقال أبو الطيب:
عما كى بالبيض عن مرحفاته
والحسن في أجسامه عن القلب
وقال: وكان أطيب من سيفي مضاجعـة
فكل هذا من بائية أبي تمام. وليس أبو الطيب وحده أخذ منه، فقد أصاب ابن الأثير
إذ قال فيه إنه ببعض وصيف للألياف وأذهان.
ثم بعد هذا النسيب الحربي الحاسم، وقد ترى ما مهد به لذكر النجوم، وما زال أهل
الحروب، حتى زماننا هذا يلجنون إلى استخارها يريدون أن ينكلوا بذلك حجاب
الغريب، قال:
أين السرواية بل أين النجوم وما
صاغوه من خرف فيها ومن كذب
ليس ينبع إذا عدت ولا غرب
البق شجر صلب والغرب رخو. قال التبريزي يقول هذه الأحاديث ليست بقروية ولا
ضعيفة أي هي غير شيء
عجبنا زعموا الأيام مفجلة
وجويفوا الناس من ذهاب مظلمة
ولصروا الأرج الزعبي مزينة
يفضون بالأمر عنها وهي غافلة

- 389 -
لم تثبت قط أمراً قبل موقعه، لم تخف ما حل بالأوثان والصلب. ذكر التبريزي أن "مرتبة" تروى بتشديد التائهة مفتوحة وهو عند ضييف ومكسورة وهو الوجه القوي عنده، وأن "ما كان منقلباً الخ" بدل من "مرتبة" وليس مفعولاً وهو قول أبي العلاء ذكره المحقق في الهامش نقله عن ابن المستوفي وذكر رابع المستوفي على أبي العلاء، الذي رى أبو العلاء كأنه تطم به عن لسان أبي تمام، وقوله ما كان منقلباً أو غير منقلب فعند الماجين أن الأراج ثلاثمائة قسم منقلب ولا يعلم عليه فين تسمى التبريزي في تحقيق الأخبار إذ وردت وقت طالعه وما سوى المنقلب فهو غير المنقلب، وهو ما يقولون له أن هذا يعلم عليه عندهم فيها ذكره التبريزي وذو الجسد، وبيني أن يكون هذا لا يعلم عليه، والمنقلب هي ما تمثل الأرجة الأربعة وهي الحمل والسراط والميزان والجدي والأرجة هي الدم والصفراء والبلغم والسوداء والثوابات مثل العناص الأربعة وينقال للمكلفة بالإنجليزية والثوابات mutables للجسديين يفسرون بالأمر عنها الخ.

نظر أبو العلاء إلى مقال أبي تمام هذا وولده منه كلمته اليميمة:

"لا كان في أيام بطاش ولم يتبين الوجه ببئس الدين فصيحه وألمع، وقفت به السورة وهي كأنها بالظن عما في الغيب أتى، وقيل ما اسمك واسم أمك إنني".

وقول أبي تمام "ما دار في ذلك" أي في طريق دائر، "وفي قطب" قال التبريزي القطب كلما تبت فدار عليه شيء في السماء قطب الشهاب وقطب الجنوب. مراد أبي تمام أن الذي يحكمون به على النجوم ويطبطبون منها، لا حقيقة له، ولم يدرك منها في ذلك ولا في قطب. ما هناء نافية، قوله الأوثان، فقد كان من المشرين عبادة الشعري وغيرها من النجوم فلو كانت تعترب شيئاً لحيتهم بما سيكون من غلبة الإسلام عليهم. وما حلي بالصلح جميع صلبه فهو فتح عمورية.

ثم أخذ أبو تمام في بيان أمر الفتح -يذكر كلامه قوله:

فتح الفتح تعالي أن يحيط به من الشعير، فتح فتح أبواب السماء له، وتبز الأرض في أشواها القشف.
وقد كان أبو تمام وصافاً للطبيعة، وهذه الصورة منزعجة من نعمة الغياث وهيئة نبش الربيع، وقد استمر بصورة النعمة المديدة فاتبع أحوال الأرض القشمة التي خلف أي الممتثلات الضروب كالنعم التي رتبت فدرت ضروبها ولكنها حلبها عسل وهذا مبالغة في معنى النعمة.

يا يوم وقعة عمرية انصرفت عنك المني حفلأ مسولة الحلب.
تأمل هذا التجسيد للمنى، أي الآمال- أي قد تحقق هذا احتفال ضروبها.
أقيمت جدد بيني الإسلام في صعيد المشرين ودار الشرك في صعيد فداءه هـ كل أم بـرة وأب فجعل عمورية أما مفاده- وقد خلص إلى ذكر قوتها وامتناعها في تأكيد معنى عظمة الفتح الذي ذكره. ثم انتقل من صورة الأم المفيدة إلى صورة البكر العزيزة التي لا تزال. وكلا المعينين لا تأملتهما راجع إلى قوله "الأئمة، وألصبر" إذ عند النصارى ضرب من تأليه للعداء وسما الله عليها فأخذ أبو تمام قوله "أبم هم" من معنى الأم المقدسة، وأخذ معنى البكر العزيزة من معنى العذراء المقدسة، عمداً إلى ذلك او تداعت به المعاينة.

كيرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
وبرزة الوجه قد أعطت رياضتها
هو تبع ملك اليمن
بكر فيها افتزعتها كف حادثة
ولا تعرقت إليها النوبة
شابت نواحي الليالي وهي لم تشب

Age cannot wither her, nor custome stale
Her infinite variety, other women cloy
The appetites they feed, but she makes hungry
Where most she satisfies

ترجمة هذا على وجه الت قريب كـ خرجناه في كتابنا التباآة عزاء بين الشعراء فلا العمر ميلها ولا عادة اللقاً بها من جالسة الصنوف تضع سواها من النساء ينحن بالجدا وأقـورد إذا مـا أشبعتك تجعـ ولا استبعد بل أرجح أن يكون شكسبير قد نمى إليه علم ما عن هذا الوصف الذي
وصفه أبو تمام لعمره فترته عليه ما رأبه فأجاد من نعه لكلريبته. وقد ذكر ناقدوه
(وهو كذلك) أنه أحد من صفة "بليوتارك" كليريبته والسطر الأول وأول الذي يليه شببة
صياغة أبي تمام فيها شديد فتامله. وقد ركبت عين صلة الاستشراق الإنجليزي منذ
زمان أديلارد البائي (القرن الثاني عشر) وروجر بيكون (القرن الثالث
عشر) وتشورس (القرن الرابع عشر) وبدويل معاصر شكسبير من تعلم وغير هؤلاء من
لا تعلم.
ثم يقول أبو تمام:

إلى إذا غضب لله السنين لها
غض البخيلة كانت زيادة الحقب
وقد ذكرنا هذا البيت من قبل وما ضمنه أبو تمام من إشارة إلى بخيلة ويم بن ثور-
وزيدة الحقب؛ هذه هي الفتح وهو خلاصا لما استقرأه أهل الصلب من نجومهم كرية
سوات، أنهم الكربكة السوداء سادة
إذ غذوروهم وحثة الساحات والرحب
كان الخراب هنا أعمى من الجرب
قاني اللذوات من أني دم سرب
بستنة السيف والخطأ من دمها
الراحب يكسر الرأة جمع رحبة ففتح الرأة والحاء وتسكن زرم التبرزلي أنها رحاب ثم
خففت، والذي أثبته بفتح الرأة والحاء كشجر جمع شجرة وهذا أوضح والذي ذكره
البرزلي رواه قال والأصل أن يقال رحاب بالألف فOLUMNت لأنها حرف لي نكا قالتا
كلل في جمع ثلة والأصل شلال وذكر صاحب القاموس في جمع ثلة المفتولة الناء أنها
كبير (أي جمع بذرة) وسلا. فهذا كقول البرزلي ولكنه في جمع رحبة فتح الحاء
وسكونها وراية مفتوحة ذكر صيغتي رحب ورحبات مع رحاب المكورة الرأة وذكر
الراكبين فيها مع الفتيل ولم يذكر كسر الرأة من رحب ولا يحفظ له على البرزلي.
وروى البرزلي "بستان السيف والحلاء من دم" والذي أثبته هو الذي اخترائه البازرودي
ويوهم ينسجم البرزلي قال: "وبعضهم يشب "بستان السيف والحلاط من دم"
وهو أجود في صحة المقالة لأنه يقابل الدين والإسلام ببعض ليسا في الحقيقة
مختلفين، إذ كانوا من آل الحرب، وهو في الرواية الأخرى يقابل الدين والإسلام بالسيف

-392-
والحناء وليس الحناء من جنس السيف. ويجوز رفع الحناء وخفضه فإذ خفض كان قوله "من دمه" في موضع الحناء. 1. هـ، قالت ورواية "بسنة السيف والحناء من دمه" جيدة، وهكنا تورية واستخدام معا، أي هذه سنة السيف أن يخفض ولا حناء له إلا الدم، فالحناء من دم هذا البطل ولك وجها الحد ورفع اللذين ذكرهما وسنة السيف أيضا حذ السيف وطريقة الماضية القاطعة. فهذا موضع الاستخدام، إذ دل لفظ سنة السيف هنا على معينين حده ومذهب الذي يسير عليه وموضوع تورية ما في معنى السنة عندنا معمر المسلم، فجلسون تبع السنة وجعل الحناء من دمه، لأن الصحابة كانوا يخضون الشيب بالحناء قال التبريزي: لأن الصحابة والتابعين كانوا يرون من السنة أن يخفضوا شعورهم بالحناء والقلنسوة، وما يجري مجارها من نبات الأرض، ويكرهون الحدود بالسود ويتلون الحمراء إلخ ما قاله. 1. الكتب تأخذ أبو تمام في صفة ما وقفت ب بصورة من تهريب وتحريك، وهذا متمم لما صوره من قبل من هذا القتال بين حيطةها ورضا الاني القاني السرب.

قد تزكرت أمير المؤمنين بها النوار بومة ذليل الصخر والخشبة.
وتل بعد هذا صورة مفزعية من صور الحروب والحريق وشريج ما بين زهر متصرف، وانكسارة منهم وزمر من يتأهف
يشبه وسطهما وضحى، غادرت فيها بيهم الليل وهو ضحى، حتى كان جلابيب الحرج رفعت ضوء من النار والظلماء عاكفة.
وعين هذه الاختلاطة من الألوان جاء بها زاهية مشرق فmaries في قوله:
"نربى هارا مشمسا قد شابه، زهر الربيا فكانا هو مقمّر، تأمل كيف جعل الصحي شبحا بالدخان وظلمته ومقررا بدريبا النازر ونعومة ألوانه وظلائه."
فقال الشمس طالعة من ذا وقد أفلت تحصر الدهمة - تصريح الغام لها - عن يوم هيجاء منها طاهر جنب فالغام ظل والأن قام وقع بصفة المزر والسحاب، بعضه من طول نظره في شعر العرب، وبعضه من نجيه البداوة وعشيها - وهو بعد القائل:
دميـة سماحة القيـاد سكـوب
لـو سعت بـفعـة إـعظـام نـعـي
لـذ شـؤوبنا وطـاب فـلو تـ
فـهي مـاء جـير ومـاء بـليـه
كـشف الـروض رأـسه وامـتـرـ
أـيـا الـفيـح جـيـهـلا بـمغـبـد

شدد الطاـطـي لـام جـيـهـلا كـأهـو وقـف ثـم وـصـل عـن نـيا الـوقـف وروـي بعـضهـم "حـي أـهـلا"
وـكـأـهـم يـوثـبـون بـه قـول حـيب وـما جـاء بـه حـبيب أـجيود وـكـأـن طـريـقهـ فـي فـصـبـ الـكـلام
وـأـسـعـ وـكـأـن ظـاهر قـول سـيـبيـه يـفـيدهـ، قـال فـي بـاب الـوقـف فـي أـواـخـر الـكـلام المـتـمـرـك:
"وـأـمـا التـضـعـيف فـوـقـلـه هـذـا خـالـد وـهـو يـيـعل وـهـذـا فـرـح حـدـثـنا بـذـلـك الـخـلـيل عـن
الـعـرب. وـمـن ثـم قـالـت الـعـرب فـي الـشـعـر فـي الـقـرـائـي سـيـبيـه بـأـبـي السـبـب وـعـيـهل بـريد
الـعـيـهل، لـأن التـضـعـيف لمـكـان فـي كـلاـمـهـ فـي الـوقـف أـتـبـعـوـهـ البـيـاء فـي الـوـصـل وـالـوـار عـلـى
ذـكـر كـا بـلـحـقـن الـواـد وـالبـيـاء فـي الـقـرـائـي فـيـهـا لـيـبـدـخـلـهـ بـيـاء وـلا وـار فـي الـكـلام وـأـجـرـوا
الأـلـف مـجـراـهـا لـانـها شـريـكـتـها فـي الـقـرـائـي وـبـيـد بـهـا فـي غـيـر مـوـصـع الـتـنـوـن وـبـل حـقـونـها فـي
غـيـر الـتـنـوـن" يـعـني أـلـف الـإـطـلـاق نـحو أـقـل الـلـوم عـاذـل وـالـعـتـابـاـ "فـلـحـقـوـها بـيـها فـي
يـنـون فـي الـكـلام وـجـعـلت سـبـب كـأـنـهـا مـا لـتـلـحـقـهـ الأـلـف فـي الـنصـب إـذـا وـقـتـهـ يـعـي
أـنـك إـذـا وـقـت وـلـم تـضـعـف قـلـت رـأـب سـبـبـا، إـذـا ضـعـفـت قـلـت رـأـب سـبـب وـلـم
تـلـحـقـهـا الأـلـف تـلـحـقـها فـي الـنصـب حـيـن فـي التـضـعـيف، إـذـا جـبـت بـهـا قـافـية صـنـعـت
بـهـا صـنـع سـبـبـا فـي رـأـب سـبـبـا فـي التـضـعـيف. قـال سـيـبيـه:
قال رجل من بني أسـد:
بـازـل بـيـاه أو عـيـهل
وقـال رـؤـيـة:
لـقد خـشـيت أن أرـي جـبـا
في عاـمـا ذا بعـدـا أـخـصـا
أـراد جـبـا وـقـال رـؤـيـة:
بـدـه يـحب الخـلق الأـخـصـا
فـعلـوا هـذـا إـذ كـان مـن كـلاـمـهـ أن يـضـعـفـوا فـيـن كـان الـحـرـف الـذي قـبل الـآخـر سـكـاـناً لـ
يـضـعـفـوا نحو عـمـو وـزـيد إـلـخ. أـهـ قـلـت لـم يـقـدـ سـيـبيـه عـبـارـته "إـذـ كـان مـن كـلاـمـهـ أن
يـضـعـفـوا" كـأـ قـيـدهـا مـن قـبل حـيـن قـال لـآن التـضـعـيف مـا كـان مـن كـلاـمـهـ في
الوقف، فهل اكتفى بقوله هذا أن يكرره وجعل عبارته هذه الثانية مرودة عليه أو أراد
العوم هذه المرة وأن التضعف ما يقع في كلام العرب لا يخص به قبيلة دون قبيلة؟ ثم
إن سببته يقول في أوائل كتابه "ومن العرب من ينقل الكلمة إذ وقف عليها ولا يثقها
في الوصل نحو سيبسا وكلا كلا لأنه قد يخلونه في الوقف فأقبله في الوصل كأثبتوا
الحذف في قوله لنفسه مقتناها وإنها حذفه في الوقف قال رؤية: -
ضخم يحب الخلق الأضخماً
تري بكسر الهمزة وفتحها وقال بعضاهم "الضخما بكسر الضاد". ها ها فيما
تري من عموم في الشعر لا يخص به الفوقاني ولكن الذي استشهد به قافية. وقال في
باب الوقف "وقد استعملوا في شيء من هذا الألف في الوقف كأ استعملوا الهاء لأن
الاء أقرب للمخرج للألف وهي شبيهة بها فمن ذلك قول العرب حينها إذا وصلوا
قالوا جلهم بعمر وإن شئت قلت جلهم كنا نقول بحكمك". وقال في موضع آخر
"وحدهني من أنق به أنه سمع عربيا يقول أعني أبيضه وأحدهيات كما ألقها في هيئة
"وهو يريد ها. قلت فعل قوله الأول يجوز أن تلحق الألف بعد حيل المشددة للام
من أجل الوقف كان قائل حيل مشددة كما قال أيضا مشددة وألقها هاء ثم أبدل
مكالماً ألفاً. وأما التنوين فعل التطبيق، إذ قرأ حيلها لمغدلاً منونا حيلرا. فتأمل
هذا التخريج.
فهذا ما حثنا على القول بأن طريق "حيلاً بمغدلاً" بالتشديد كأنه واسع في العربية.
وكان في كلام التبرزي شيئا من هذا المعنى حيث قال: "ويجوز أن يكون الطائفي
سمعها مشددة في شيء من شعر العرب ولو كانت قافية لجرت جري قوله: "لا
مهوها من الكلمة" ثم قال التبرزي "ومن روى حي إلها هذه الكلمة مرفضة إلا أن
يجعل حي في معنى هلم وينصب إلها يفعل مضمور ويحظر أن تكسر الأداء في معنى
التحية أي حي إلها حاضرين بمغدلا". قلت لهذا بيني فضل مقال حبيب على قول
من رأوا إصلاحه.
والعرب قد تجري الوصل جري الوقف فتصل بها نقفة به عليه رواية بيت امريء
القياس:
فأليم أشرب غير مستحبب أنا من اللسان ولا وأغل
لا بل عليه إلحاق الألف سيبسا وأخصبا إذا هو تنزم، والشعر كله تنزم.
هذا ولا ذكر أبو طماع الغمام في قوله "تصريح الدهر تصريح الغمام ها" وجاء بطاهر
وجنب، خرج من صفعة ما كان وصفه من الدمار والنار إلى صفعة نشوة النصر وما
يصنعه أهل الفتح من الإباحة:
لم تطلع الشمس فيهم يوم ذاك على
بان بأهل ولم تغمر عزب
فهذه إباحة، قتل وسباء. فالابن على أهل القتل وأخذت امرأته. والوازي العرب بات ليل
صاحبة فليس بعذب. وزعم بعض المعاصرين أن بائدة أي تمام كلها مدارها على
الجنس. وصدق ابن قتيبة قبل دهر "فرود" بأن الجنس كل ضار فيه بسهم. وآخذ منه
بنصيب حلال أو حرام. ولكن ليس معنى ذلك أن نلتمس الجنس فنجده في كل
مقال، وشبيه أي تمام لعمورية بالبرزة المستعصية والبكر المطولة بأشد الطلب قريب
جاهل، وصفته ما وقع من تפני وتفتيت وسباء عمل شاعر مقتن، وقد انتبه وبهذا إلى
الجانب غير الجنس من ذلك، مما ينبغي بدقة إحساسه المرهف كل إرهاف وإنسانية
نفسه مع التزامه بهذا النغمة الواضح القوي الجليم بنصر الخلافة والإسلام والعرب
وذلك قوله:
ما ربع مية معمورا يطبع به
غلان أبى ربا من ربعها الحب
يعني أبو تمام أن معمور بحسن نعت غيلان له، إذ لم يكن حقا معمورا مما وقف غيلان
فانتبه إلى مثل قوله:
وقفت على ربع ليلة نماختوي
فأزالت أبكي عنه وأخطاطبه
وأغليبه حتى كاداً ما أشبهه
وكلماتي أحجاه، ومالعبه
فقد جعله غيلان هذا معمورا بالذكرى، وكقوله:
بعلم عوجا من صدور الرحال
لعل أهلاً يمدح بعقب راحة
وقوله:
أداه بحسرود هجت للعين عيرة
فأهوى يرفس أو يترفق
ثم أكثر ما يصف غيلان وأكثر ما يصف الشعراء الربع حين تبدل من أهلها أصانف
الوحش وتصير رباحا ومرائت، فهذا لما حسن وعمران، وقد علم شغف حبيب.
بالرياض. فقوله: معمورا يطيف به غيلان، متيه بان عمرانه من إطالة غيلان به
وغيران هو ذو العمة. أما ربع عمورية فخر. وهو أبى ربا من ربع مية علي ما فيه من
خرب، لهذا النصر، وهذه الاستهاحة التي هي جزء المجاهد المنتصر في هذه الدنيا
وأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون

ولا الحدود وإن أدنى من خجل
أشياء للناظر من خدها الترب

هذا البيت نفس حقا.
ربعها الحرب فيه هذا السبب وحول الاستهاحات وخدوهين النواعم يتفطرن خجلاذا
انكسار.
وهذه المدينة التي افتتحت، ه� أيضا بكر، ولكن خدها ضارب ترب، إذ كانت ذات
كبرие وأفون شامخ. هذا الإذلال لها والترم مدعاه للحزن. قول الشاعر «خدها الترب» مشعرنا بأساء هذه الدلالة بعد العز.
ولا شيء أعظم من نشوء النصر عليها بعد ما كان لها من طول استعضاة وامتناع-
هذه الحدود المتقطرات خجلما اشتهدت بنشوء الظفر، فهذا الحد الترب أشهى للنظر
المتصر المستبعض من هذه الحدود المديمي الخجل.
والنظر بعد فطع سمح.
والنصر يجعل هذه الساجة الفظيعة أما عظيم الجال.
هنا إنسانية أبي طهم الضخمة ودقة إحساسه المرهف.
فأمر هذه القصيدة ليس كله أو عموده شبع جنسي فرويدي، فتأمل.

ساحة غنيت منا العيون بها
وحسن متقلب تبدو عواقبه
جاءت بشاشته عن سوء منقلب
عن كل حسن بدأ أو منظر عجب
أخذ هذا أبو الطيب - أخذ هذه كله بنظر شديد إلى ما ذكره حبيب من نصر واستحابة:
لم شفتها والشديد النواهد
فلما ينج إلا من حامه من ظبي
تبكي عليه البطرف في الدجى
ومن لنا مليك ذات موهيد
مصائب قوم عند قوم فوائد
فهذا عين مقال أبي طهم أن حسن متقلب المنتصرين جاءت بشاشته بعد سوء المتقلب

٣٩٧
الذي حل بالنهزمين.
ومن ثم أخذ أبو تمام في تعليل أسباب النصر وأن الخليفة بإله الله من تأيده كان هو السبب فيه.
لم يعلم الكفر كم من أعصر كمته
له العواقب بين السмер والقضب
هذا مردود على قوله ﴿حتى إذا غض الله السنين لها﴾ أي هذا النصر قد كمته عواقبه
عصورا طويلة بين السيف والرماح. حتى اختارها المعتصم بالله وداهم بها العدو
فقهها.
وأما خلا أبو تمام من نظر قوي إلى طريقة علقمة في بابته حيث قال:
فؤلاء الله لولا فارس الجون منهم
لأبوا خزازبا والأباب حبيب
فجعله هو سبب النصر. ويوشك الصول أن يكون قد تنبه أو نبه إلى هذا الوجه حيث
قال في البيت التالي:
ومطعوم النصر لم تكنهم استنهر
يوما ولا حجبت عن روح متحجب
أول من قال بهذا علقمة بن عبده فقال ومطعوم النصر يوم النصر إلخ - قلت ورواية
علقمة المعروفة: «ومطعوم الغنم يوم الغنم مطعومه البيت» - وما أشكل - والله أعلم - أن
حبيبنا تعمد الإشارة إليه ولزي قوله ﴿ومطعوم النصر﴾ منه. قال في هامش شرح التبريزي
دار المعارف تحقيق د. محمد عزة عزام. الطبعة الرابعة ص 58 هامش 5 من ج 1 [وله
رواية أخرى في ل: ومطعوم الغنم يوم الغنم. قلت هذه الرواية لا تعلم غيرا. وليس في
الشرح الكبير سواها ولا في طريقة مطعمة المعارف 1361 هـ-ص 201
لم يغز قوما ولم ينعدد البدع إلا تقندمه جيش من السرب
لم يقد جفحا يوم الوغى لغدا من نفسه وحده في جهل لجبل
هذا من المبالغة، ويرى أن المعتصم كان مشغولا بالجيوش، فتركه كانوا إذا رأى عرضهم
كأنهم امتداد لنفسه. وقد كان يكيل لنا أن هذا خبر وليس بمبالغة وأن المعتصم به
أشجع من عتيرة الذي ليس كسيته الحرية من سيرة. ثم ثبت عندنا بعد أن عتيرة
أعظم شأنها في باب الشجاعة الفردية البطولة.
رمي بلك الله برجهها فهدمها
ولو رمي بك غير الله لم تصب
١٣٨٩
ويروى لم يصب بالبياء والباء أوجو وأراد الإشارة إلى آية الأنفال أي أنت إنك خرجت
غضبا لله ولو كنت خرجت لغير ذلك ما انتصرت وما يكون لك أن تخرج لغير ذلك، إذ
أنت خليفة الله، كل أمرك في الله ولله.

من بعد ما أشبوها واتفقبها والله مفتاح باب المعقل الأشث
أشبوها أي حصنوها حتى صارت كالشجر الملتقب [هذا لفظ التبريزي وله من أبي
العلاة] يا حوقها من كثرة السلاح. ومن شاء جعل هذا المعنى جنسيا
وقال ذو أمرهم لا مرتضى صدص
للمسارعين وليس السوء من كتب
هذة فكرة الروم، وخلفاتهم الإفريقي عن العرب والمسلمين، أثنا بدو طلبون المرعي
وموارد الماء،
أمانية سلمتهم نجح هاجسها
ظبي السيف وأطراف القنا السلب
خفف الأماني، والسلب أي الطوال جمع سلب بفتيح فكسر
إن الحجات من بيض ومن سمرو
دلون الخيامين من ماء ومن عشب
هذا تكتم بهم من أي قام إذ قالوا لا مرتضى ولا ورد - فقال بل، فانثر برع والورد سيفونا
ورماحنا. مناياهن من البدلة التي نصب بها الحياة - حياة المراع (العشب) والمورد
الماء - وهيا هذا من مقاله ما سيجاء به بعد من خبر المرأة التي قالت وامعتسه وهم
يظرون أن لا معتصم لها من أجل أنه لا مرتضى صدصا أي قربا له ولا ورد من كثب أي
من قريب.

ليست صوتا زبطيا هرقه ب كأس الكرى ورضاء الخرد العرب
لما جعله ولي أمر الدين جعل لا لذا لته إلا الأهل، ولا خير له إلا إغفاءة النوم.
فنفض إغفاءة النوم وترك الخلل من أجل الغيرة والنجلة. وعسي بعض هذا أن
خيل به من خيل له أن فكرة الجنس هي الغالبة على أبي قام في هذه الباتية، وإنها قصد
أبو قام إلى معرف قول الآخر:
قوم إذا حاربا شدو ما أزرههم دون النساء ولو باتت بأطهار
وقول الآخر:
إذا ما أراد الغزو لم تكن همه حسان على عقد در يزينها
وذكر كأس الكرى لأن عادت العرب أن ترك الحصر إذ غزت وقد أراق الربع بن
زياد رقاق خمر لا بلغه مقتل مالك بن زهير وحرم النساء وقال:
أبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الألهام
فجعل كأس المعتصم التي أراق كأس كراه كا تقدم ذكره. وأحسه أخذ تصوير
الكرى كأسا من قول تأب شرا:
فاحتوه أنفسا نوم فلما هموا رعتهم فاشمعلوا
ولا يلام على أذى وهو يعد صاحب ديوان الحادية.
قالوا وهو الذي في شرح الترزي: زبتي منسوب إلى زبطرة وهي بلد فتحه
الروم فبلغ المعتصم فيها قبل أن امرأة قالت في ذلك اليوم وعدت فيهت ذلك
الحديث وفيه قدر يبرد لأن شرب ما فيه فوضعه وأمر بأن يحفظ فلما رجع من فتح
عمورية شرب 40 هـ

عدالة حر الغزو المستضامة عن
أجبه معلنا بالسيف منصنا
وأجج بغير السيف لم تجب

أي أجب الصوت الزبتي

حتى تركت عمود الشرك مبعرا
لم تخرج على الأوناد والطنب.
أي قصدت مدينة الكفر المستعصية فعفترت خدها وهو المعنى الذي كان فيه من
خرب عمورية فعاد إلى صفعة الحرب، وبعدين أن وصف حال المعتصم وصف حال
عدوه، وجعل هذا في مقابلة ذلك.

ما رأى الحرب رأى العين توالت
والحرب مشتقة المعنى من الحرب
فهذا تفسير اقتصادي للحرب والمعنى قديم وبدعي السبق فيه لكارل ماركس
وسبينه في طريقة تأويل بعض أحداث التاريخ في ضوته لا في نفس المعنى وقد زعم
برتراند راسل في تاريخ الفلسفة الغربية أن أفلاطون سبق ماركس ولكن المعنى أقدم
من ذلك لم تأمله.

غدا يصرف بالأموال جريتها
فضعه البحر ذو البيار والخدر
هنایت زعامت الأرد الوتر بوه
عن غزو مكتسب لا غزو مكتسب

-400-
فالغزو للاكتساب قديم واضح الأمر. ولكن الغزو للاحتمال، هو الذي
ينبعث من روح الإيام والدين. ومن أجل ذلك لبي المعتصم الصوت الزرنيطري وهرار
كأس الحزام، هذه التي حلوات أسراب الأذى. ان تجعل كأس نبذ. وترجع بروحها
الإسلامية إلى روح جاهلي كروح الزرع بن زياد. والمعتصم بالله لم يكن أدبا ناقدا
كأنه الشذب ولا فلسفة جدليا كأخيه الأمام، ولكن كان جدليا أمه تركية، أقرب إلى
سناجا صدق العقيدة مما تصرفه هذه الأسورة، والله أعلم.
لم يفق الذهب الربى بكتره على الخصى، وبه قفز إلى الذهب.
أي إن المعتصم ما كان ليقبل رشوة مال من توفلس الذي أراد أن يدرا خطر
الحرب بعطلة الجزية، ذلك بأن المعتصم صاحب دوله غنية، ما أفق ما أفق من
ذهب كلي يرمى بهما ولكن ليصوب لديه ويتقم من غضرا من قدره.
إن الأسود أسود الغاب همها يوم الكربة في المسول لا السباب،
وهذا كان رأي بلال والأنصار رضي الله عنهم في أمية بن خلف.
ولو وقد ألم الخطي منطقة بسكتة تحتها الأحياء في سجح.
هذا البيت غاية في جودة التعبير، وجعل الصخب في مقابلة السكنة. وأخذ
المعنى فأجاد الأحذ من قول عمر بن معد بكرب، وقد اختاره هو في حاسته،
ولو أن قومي أنقطعت رماحهم، نظلت ولكن الزجاج أجرت.
فقد صنخت أحساء عمره هنا بأسف شديد مع زعمه أن الخطي أجمله لقرار
قومه وهزيمتهم. ولم يعن أبو تمام بالخبز وجباب الطالع وحدها كيا يفهم من شرح
التبريري ولكنه عنى الخوف وهواجس الأسف والحزن. وقوله من بعد يؤيد قوله هذا:
أحدى قرابينه صرف الردى ومضى
بنت نوعا يفاغ الأرض يشرفة
من خفنة الحزف لا من خفة الطرب
قال أبو زكريا: "المعلني أن هذا الرجل يعول ما ارتفع من الأرض لينظر إلى الطرق
هل فيها من يتبعه؟. وقدول من خفة الطرب يشير إلى نحو قول توبة
وأشرف بالقرار يفاغ حاعة: أرى نار ليل أو يراي بصيرها
و فيه أيضا إشارة إلى إشراف حمار الوحش، إذ في فعله خفة طرب إذ هو مع
 حلئاه:
بأحجزة الثليوث يربأ فوفقا
قفر المراقب خرفها أرامها
ويدل أنه ما خلا من إشارة إلى حار الوحش ذره الظليم من بعد، وهذه معان
يدعو بعضها ببعضاً والقاريء الكريم يعلم صلة بينها:

إن بعد من حره عدو الظليم فقد أوسعت جاحما من كثرة الخطبه
من حطب هذا الجاحم أعداء الله الذين انقبوا فيه. وعاد أبو تمام إلى ما بدأ به
من السخرية. وقد كان سخر بالنحوم والكورب الغريذي النحيب. فأن يسخر
بالرواية زمنها وما قبل إنا.. أي عمورية - لا تفتتح قبل نضج النين والعنب. وما ينه
إليه هنا أن قوله: "عدو الظليم" فيه وحي رجعة إلى قوله في أول القصيدة: "فزعمو
الأيام مغلقة، والاجنال للنعام. وقد أحبوا لهم. فتأمل.

تسعون ألفا كأساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج النين والعنب
يارب حوباء لما اجت دارهم
هذا قريب من قوله ما ريعي مبة واستاء غريب. أي طابت النفس برور النصر
وذلك أطيب من المسك. وذكر المسك لقوله ما كان الطيب إلا المسك برفع المسك
وهو من كلا كاتب فاحسية يشير إلى ذلك.

والحرب قانية في مأزق لحج
تجمو الكية به صغرعا على الركب
صغراي تضاغرا كي يقدروا على المأزق لحج ولعل الرواية الصحيفة لحج
بباحة ممليكة مكرورة وجيم معجمة وشرح التبرزي يدل على ذلك إذ لحج بالهاء
الممليكة والجيم من باب فرح هي المناسبة لشرحه إذ شرح قائل: "لحن في الشيء إذا
نسب فيه فلم يفعل وقد قال مكان لحن أي ضيق - كل ذلك في الطبع (ص 17)
بجيمي. وفي مادة لحن في القاموس لحج الصيف كفر نشوب في الغمد وهو مكان لحن
ككتف والملاحج المضبوق. قلت كل ذلك بباحة ممليكة قبل الجيم وليس شيء في مادة
اللحج بطبيع ما وقع في شرح التبرزي من تحريف طابع أو ناسخ وأحسب رواية
ختنات البازرودي لحن بباحة ممليكة فجيم وهو الصواب. صغرى بضم الصاد بعدها
غير معجمة ساكنة مصدر صغر ككرم. والصورا مأخوذة من صفات أيام صفين وأبو
تمام كان أعلم بذلك من حاق المارسة للحروب.

كمن نيل تحت سننها من عراض شنبر
وتحت عراضها من عراض شنبر
كم كان في قطع أسباب الرقاب بها

- ٤٠٢ -
رجعة أبي تمام هنا إلى ما كان ذكره من بان بأهل وعذب، إجمال بعد تفصيل. بدء هذا الإجابة قولي تسموا ألفا إذ رجع به إلى روح مطعمة ثم أتبع ذلك روح صفته للحرب والفتح والخرب والاستياء ثم ينتم بمدح وحكمة تقيع الأساطير ويدفع في القلب. وقوله إلى المدرة العذراء - عني عمورية، ثم ما في عمورية من عناصر سبب فائف. 

كم أحرزت قطب الهندي مصلحة ظن هؤلاء من حجها راجعت ي편 بالبيض أبدان من الحجاب هذا للفظ معنى مرصص. البيض السيويف. والبيض أبدانا: نساء الروم وحجب السيويف أغراءها. وحجب النساء معرفية. فهذه البيض إذا سلت صارت هي أحق بالرومايات من خدورهن. وهذا كله ثمرة الفتح والنصرة.

خليفة الله جاذي الله سعيك. عن جزيرة الدين والإسلام والحساب تنـىـال إلا على جسر من التعب موصولة أو ذمـام غير متضمن وبين أيام بــنـدـ أقـرب النسب كـا بـينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب النسب. هذا متضمن. 

أبى بني الأصفر المحراض كاسمهم صفر الوجه وجلت أوجه العرب فقد سمي أبو تمام بلاد الروم الرجل المريض. ثم رد الإفرنج هذا اسم على المسلمين من بعد فسخوا تركيا رجل أوروبا المريض. وتلك الأيام نداواه بين الناس. 

ولله غيب السماوات والأرض إلـى يرجع الأمر كله. وزعم التبريزي أنه قال: إنما يقال للررك الروم بنو الأصفر لأن حشيا كان غلب. على بلادهم فتكح فيهم فولد له أولاد يقاطرونفهم صفرة، من سوادها فازدادوا بذلك حسن، 10. ه. قلته أبو العرب أيام عزم لــلا يفعلوا الحبش الذين غلبهم على اليمن، غلبوا الروم أيضا ولا يعلم على وجه الخلقه لما إذا كانت تسنى العرب الروم بني الأصفر، ولكن يغلب على الظن أن المرواد بذلك شعور روؤهم إذ كان بعونستان ملك الروم ومن قبله روسيا في أصولهم في شعورهم غير ما اعتادوا من لون السواد. ولذلك قالوا سحب السبال. كما قالوا روز العيون. قال عبد الله بن سبأ: الرامي:
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وعليها من فخمة جزالة. غير أن فرق ما بينها وبين باتية حبيب كفرما ما بين سيف
الدولة والمستمع.
وأفخم من ذلك قدر أهل العزم تأتي العزائم، وأشد شبها باتية حبيب واتباعا لها
ميميتي التي قبل إنا اخرى ما أنشد سيف الدولة.
麂ielding اذ من عقبي اليوغسي ندم مما يزيدنا في إقدامك القسم.
وهذا المطلع في نفسه نفس من مطلع الباتية ما فيه ما بين اليمين واليوغسلي من مقابلة
بعيدة جدا من مقابلة ما بين السيف والكتب، وسرعان ما قال أبو الطيب بعد هذا
المطلع بأبيات قلائل:

أين البطاريق والحلف الذي حلفوا
بمفرق الملك والزمم الذي زعموا
فهذا إنه نفاس:
أين الرياحية بل أين التجموم وما
صاغومني صرف منها ومن كذب
فما تمكن بها خلدا للصبر
وأي هزيناله من درعه لبند
تسمي علىشورات الباترات بهم
فهذه صفة هناك وحركة.
وكان قول حبيب:
غدا يصروف بالأموال جريتها
دع أبا الطيب إلى صفة حركة العبور.
وقد جاء بصورة جيدة منها في اللامنة إذ قال:
فرز عليه بالرجال سلول
سواء عليه غمره ومسيل
أقبل رأس وحسرر، وثلث
ووهذا وصف مشاهد، عزم حيوية الحركة.
وقد ألم أبو الطيب بصورة النيران والحريق،
ولكنه أشب ذلك الحركة وسرعة مجاوزته، ولقد علم إبداع حبيب في هذا الباب
فافكفي منه بأخذه خلس لا يزيدها:

_ ٤٠٥ _
تسايرة النيران في كل مسلك به القوم صرعى والديار طول
وفي الميمنة أقام شيئا خيرا عند صفة البحار بالسفن، كان يربى بذلك أن يربى على
الأوساف التي في بائعة أبي تمام وأعرض عن ذكر النار إلا تلميحًا في معرض تشبهه
السيف بها:

عبرت تقدمهم فيه وفي بلد سكانها رم مسكونها جمع
فهذه صفة الحرير ثم عدل عن ذلك فجعل السيوف هي النار:
وفي أكفهم النبار التي عبّدت
هندية إن تصرف معشرا صغيرا
وقد أخذ أبو العلاء من هاها إذ قال:

ليست كنار عدي نار عادية
ولا تلهمك الإشارة إلى ياسليمي أوقدي الناراء عن أصل أخذه. ثم جاء أبو الطيب
بنعت سفن البحر - وكا قدمنا دعاء إليه نيار البحر وحده عند أبي تمام:
قاسمتهن تبطرک مكاشتك لها
علي حملها نفّضها رئم
لكل زيد النبار مقربة
هذا بطاقة في شماع الخيل وجمعها لها شفاها الفجر جهولة والمارد هنا صفة
سفينة بياض الماء حول مقدمها كأنه زم حول جبلية فرس. وزيد البار هذه صدی
مباشر من الفجر البحر ذو النبار والخشب. وذكرنا عن أبي الطيب أنه كان ينك أن
يكون يأخذ من المحدثين وأنه إنما كان يأخذ من القدماء. فإن صحت هذه الرواية فا
يكون عدا لها الكناية، إذ شعر أبي تمام مشحون بالقدماء، لا يخلو من نظر في شعره
من أن ننظر فيه ضمه أو يشير إليه من شعرهم. ثم بعد قوله: تلقى بهم زيد البار
قوله:

دهم فوارسها ركاب أبطالها
مكدودة وبحـمـوا لا بها الألم
يريد السفن، فالدخلهم من صفة الخيل وركوب الأبطان من نست السفن.
وحاقة هذه المهمة فيها صدى من خاتمة أبي تمام، وذلك قول أبي الطيب:

القائم الملك الهادي الذي شهدت
قيامة وشهد العرب و العمجم
ابن المعفر في نجدة فوارسها
بسفه وله كوفان والحرم
وهذا قريب من قول أبي تمام خليفة الله جازى الله سبائك عن إلغاء

- 406 -
أضرب أبو الطيب عن هذا القرية، وكأن قد أقر في نفسه بسبق أبي قمам في البائعة:

لا تطلين كـِـُرْبـِـا بــعـد رؤيتيـه إن الكرام بأسخاه يقدم الختموا ولا تباين بشعر بعد شاعرها فقد أفسد القول حتى أحمد الصمم واصطبه بين البنين ابن الأثير في المثل السائر يبه بعيل فضله. وقد أشرنا في كلمتنا التي بعنوان "ليلة الخجل"، إلى أخذ أندو مارفيل:

ANDREW MARVELL

من أبي قمام في مطلع قصيدته التي مدح بها زعيمه البريطاني:

Oliver Cromwell

Tis time to leave the Books in dust,  
And oyl th'unused Armours rust.  
So restless Cromwel could not cease  
In the inglorious Arts of Peace  
But through Adventurous war  
Urged his active star.

لقد كان أن يَّنَبِيـث الكتـِـاب إلى التراب  
ويضف ql من الـدِـرْع صـِـيـدًا الإـهـِـاب  
ومن كان كـِـرْمـِـا يـِـبِـيـل الفلق الفـِـؤاد  
أن يَـكـَـبَـون إلى فـِـنْـبَـون دعـَـة السلم ذا إـحـِـلاـد  
ولكن في مصّـأـمـة حـِـوـمـة القتـِـال  
احثث نجم طـِـلـاـً السـيـب الفـِـعـُـال

قالوا وكان كروميل عاكفا على درس وكتب ثم ترك ذلك وانتهى للحرب فكان ما كان من يَّفـُـرـهـ ولهذا من استهلال أندو مارفيل مأخوذ من استهلأل أبي قمام على الأرجح والشبه ظاهر.

وقال أندو مارفيل في آخر هذه الكلمة:

But thou the wars and Fortune's son

March indefatigably on:

(1) لم يورد النص الإنجليزي في ليلة الخجل (مصر 1403) والتهجيج هنا من ضرر قدم.  

- ٤٠٧ -
And for the last effect
Still keep thy sword erect
Besides the force it has to fright
The spiril's of the shady night
The same arts that did gain
A Pow'r must it maintain.

أَمَّا أَنت فَاشَابُ الحَرَاب وَالجِد السَّعِي—
لَا يَنتي في سَيْرك الشَّكْرِ ولَكَ يَكُنُون لك الأَكثَر البَيِّنَالَّأخير
فَان حَسْبُكُم مَعْلَمُ شَهْرٍ
إِذ قُوَّتُهُ كَأَنّي أُحَبِّي أَشْياءٍ فَلَظَل الظَّلُام
فَان الفِنْضَنَاتِ الَّذِي نُبْتُهَا السَّطْوَةُ فِي أَيْضًا تَسْتَدِمُ

هذه ترجمة تقريبية.

وعين هذا المعنى في مهجة أبي الطيب إذ يقول:
أَلَى المَلَك عَن فَخْرِ قَفَلَت بِهَا شَرْبُ الدَّماةُ والوَتْنَاءُ والنَّغْم
مقلدة فِوقَ شَكْرِ اللَّه ذَا شُطْبٍ لا تَسْتَدِمُ بِمَا يَضِمِن منها النَّعْم
وكان أَبَا الطيب رَم بِهِ المَجِклаَ أن يضَاهَي أَبَا تمَّام لَا يُمَعَانِي فَحَسْبَ أَن يُرْبِي
عليه بِذَكْرِ السَّفِن والعَبِور أَيضاً، وَلَكَنَ تَمَعَدَ بِمَعْنَى أَن يَقَارَبُ بَعْد أَبِيَنَا عَدَد
أَبَيَّاتِ الْسِّفِيا أَصْدِقْ،ْ إِذْ هَي نَفْس وَسِتوُن بِيْنا،ْ أَبَو الطِّيب أُخْرِسُ عَلَى الإِجْتُزَاث مِنْهُ
على الإطالة. وَهَذِهِ الْمَجِلَةٌ (١) عَلَى جُوُدِّهَا لَا تَثْلُب بَيْن السَّيَافِات مَبْلِغ:—

وَفَأَكُوا كَالرَّيْبٍ أَشْجَاهُ طَاسِمْهُ
بِأَنْ تُسَعِدُ الدَّعَمُ أَشْفَاهُ سَاجِمْهُ
وَهَذِهِ نَفْسُ هِيْ قَانَ فِيهَا قَصَدًا إِلَى مَجَارِة بَائِثُ أَبِي تمَّام
أَهْن عَوَادِي بِوَسْفِ وَصَوَاحِبهُ
فُعَزْمَا فَقَدُم أَدْرَك النَّجِح طَالِبُهُ
إِذْ فِيهَا شَيْءٌ مِن مِشَايْبِ تَفْخِيمِهِ. وَقَدْ نَبِي الدِّكَّارُ طَه حَسَن رَجْحَ اللَّه عَلَى مَحَاسِبِهِ
لَا مَزِيد عَلَيْهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضُعِ.
وَمِنْ أَعْجِبُهَا لَيْ قَولُهُ فِي غَزِّهَا:

(١) بِسَيِّدْنَا أَنْ قَلَنا وَقَد أُرْوَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَجِلَةِ فِي الْجِزء الثانِي فِي باب التكرار أن عَلِم أَبِي تمَّام أَنا كَانَ إِعَادَتَا لِمَا سَأْلَيْتُهُ
(أَبَو الطِّيب) مِن رَأْيِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ.
سماك وحيانا بك اللهم إننا
أتباع أعلمي المطبه ورازمه
فأثرة أو جار في الحسن قاسته
وتبني له من كل حي كراهمه
وآخرها نشر الكبائر الملازمه
وزعم بعض شراح شعر بأي الطيب أن هنها من البالغة. وليس الأمر على ما
توله.

هذه الصورة لم تأملها منزوعة من حال ما كان عليه أهل التف.
وقوله:
وما استغربت غني روئا رأيته
وعما أعلمني غيرو ما القلب عاله
فلا يهمئ الكاشحون فئانئ
فكيف توقيته وبانيه هادمه
مشب الذي يبني الشباب مشب
وتكميله العيش الصب وعقيبه
وغلاب لون المارضين وقادمه
ففيه ولكن أحسن الشعر فاحمه
ثم بعد هذا يبي مدهج الجيد وفخره الرصين:
سلكت صروف الدهر حتى لقيته
على ظهر عزم مؤيدات قولاته
مهالك لم تصحب بها الذيب نفسه
ولا حالت فيها الغراب قوادمه
لا يكثر أبو الطيب من الإشارة إكثار أي تمام ولا يظهرها إظهارا.
ولكن يخفها
وكانا وحي يلحن به. وجله هنها أنه يشير إلى نعت الشعراء الذيب وإلي حدث
اللائح عن الطبر والجريان. شعر أبو الطيب لم تأمله ملء بالإشارة الخفية وهذا من
معدن ميله إلى الإيجاز.
ثم إنه كان يشدد شعره فضلاء أذكياء، فإما فظين إلى مراده بما رزوهم من سعة الأطلاع،
واما تفتزوا إليها من بعد فأدركوا مغامض معانيه مثل قوله:

خوف اللهم واستر هذا الجالب برفع
فلن تحت ذاخت في الخدور العواقب
والرواية الأخرى (حازت في الخدور العواقب) ولعلها هي الأولى وعينت على أبي الطيب
وأما أن يشير إلى تفسير من فسر قوله تعالى (أكبرنه وقطعن أيديهن) بمعنى الحيض
والله أعلم.
ومثال قوله:...
أعتبة بالعودة الظبية التي
بغير ولي كان نائلها الوسعي
الوسعي المطر الأول والثاني بعده - قاض ابن الرومي، وكان أبو الطيب من حلة ديوانه
ورونه، يصف روضة:
شكرت نعمة الولي على الوسعي
ثم العهد بعد العهد
وأشار إلى هذا المعنى في قوله
من ينصوه ينشر سليمان في الملائكة
وربيعا يضاحك الفيث فيه
ورياض العمار من أنفاس النسيم ونفحاته. ولا غرو فقد كان يحب البرية مع كثرة
أسفاه. وهو بعد القائل:
كيف التذدي بالأصائل والضحى
إذا لم يعود ذاك النسيم الذي هجا
والقائل:
كلما رحبت لنا الروض قلنا
والقائل:
مهما كلها يأكل بجفيفه خده
وقد رحلنا جيد تناثر عقده
تفاجأ مسك الغفانات وزنده
ومن دونها غول الطريق وبعده
ثم يقول بعد بيت (مهما لك لم تصحب الخ) من المهمة، وإنيا استطردنا عن ذلك فطال
الاستطراد قليلا:
فأبصرونا بدرا لا يرى البدر مثله
عجبت لـه لم رأيت صفاته
وكنت إذا يميت أرض بأعدة
لقد سأل سيف الدولة الجد معلقا
على عاتق الملك الأغفر نجاه
وشعر أي الطيب الجيد في سيف الدولة خاصة كثير مشهور. وعلما أميرة القصائد
السيفيات كلهم، ليست بأطهان، ميمته العتابية:
واحْرَ قَلْبِه مِن قَلْبِهِ شَيْمٌ وَمِن جَسَمِي وَحَالِي عَنْهُ سَقَمٌ
وَهَيْ خَطَابِة مِنْ جِهَةٍ. غَيْرِ أَنْ شُكْلَهَا لَمْ تَأْلِمَ أَقْدَمَ مُعَدَّنَه وَجَوْهَرَهَا مِنْ خَطاَبَاتِ
أَبِي مَامِ وبَبْرُ وَايْ. إِذْ أَبُو الْطَيِبٍ كَمَا يُخْرِفُ مِنْ بَحْرِ الْتَجَارِبِ وَكَمَا يَجْتَرِي عَاسِمُ حَيْبِ
وَالْوِلِيدِ وَايْ. الرَّوْمِي وَيَنْتِبَهُهَا مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنْ مَفْلَقِيِّ المَلَحْدِثِينَ. يَتَوَجَّهُ هُؤُلَآءَ عَلَى
أَكْذَهُ مَنْهُ وَانْتَهَابِه، إِلَى شِعْرَةَ الجَاهِلِيَّةِ، بُنِيَّ شَدِيدٌ يَجْعَلُهُ فِيَ بَيْنِ الأَصْلَةِ المَبْدِعَةِ
وَالْحَذْوُ الْبَاعِرِ المَفْتَنِ
فِي هَذِهِ الْمِيْمَةِ العَكَاذِلَةِ، قَالَوْا إِنَّهَا أَنْشَدَهَا فِي مَخْلِفِ عَنْ عَرَبِ، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ
مَا مَعَهَا أَنْ أَكْثَرُهَا عَلَى جَوْهَرَهَا يَدْخَلُ فِي بَابِ إِسْقَاءَ الأَذِيُّ بَيْنَ الأَذِكِّرِ وَحُذُوعُ مَا عَلَى
شَكِّلَ التَّخَصِّصِ الْقَدِيمِ. أُيُّ الْشَّكِّلَ الَّذِي يَفْصِلُ الشَّاعِرِ بَيْنَ أَوَّلِ قَسْمِهِ وَأَخْرَجِ قَسْمِ
بِالْحَكْمَةِ أَوْ مَا يُجِرَّ بِجَرَا. وَقَدْ ضَرَبَنَا مَثَلاً مِنْ تَصْرُّفِ الشَّعْرَةِ فِي هَذَا الْبَابِ.
مِنْهُ لَا كَمِيةُ كَبْبُ أَبِي زِهْرٍ. وَحُذُوعُ هَذِهِ اللَّامِيَةِ فِي الشَّكِّلَ وَفِي مَعْدِنِ الْوَزْرِ حَذَا أَبِي
الْطَيِبِ. وَلَا غَرُوْ فِي إِعْتِدَاذِ بِضَمْنِهِ الْتِّدَاسِ يَبْتَرُبُّ بِهَا وَكَانَهَا هُوَ عَتَابٌ رَقِيقٌ:
لا تَأْخَذْنِي بِأَقْوَالِ الْمُوْشَهُةَ وَلِمَ لِقُدِ أَقْوَمُ مَفَامِا مَالِ الْقَبُولِ
أَرْى وأَسْمَعُ مَالُوْ يُسَمِعُ الْقُبُولُ مِنْ النُّرْسُوْلِ إِذْنَ اللَّهِ تَسْمِيْعُ
فِي كُفَّ ذِي نُقُوبٍ قِلْبِهِ الْقُبُولُ
وَقْلَ إِنَّ مَنْ مَنْسَبًْ وَمَسْتَنَبًْ
مِنْ بَيْنِ عَشْرٍ غَيْرِ دُونَهُ غَيْلُ
لَحْمٍ مِنْ الْقُوبِ مَعْقُورُ خَرَادْيِلِ
هل أَرَادَ بِقِيَّةِ عِيْشِهَا؟ هَيَا هَيْهَا؟ فَبِمَا الْلَّغَاتِ السَّامِيَةِ أَنَّ الْلَّحْمَ هُوَ الْخَبِيزُ؟
إِذْ يَسْمَوْرُ قَرْنَانْ يَجِيُّ لَهُ مِنْهُ مَلِكَةٌ وَلَأْ نَمْشِى بَيْنَ وَدَيْهِ الْأَراجِلِ
مُطْرَحُ الْبَزِّ وَالْدُّرْسَانُ (أَمْكُل)
حَدَا أَبِي الْطَيِبِ عَلَى: «بَانَتِ سَعَاءٌ. إِنَّكُ لَتَنْحُسُ عَنْهُ اِفْقَاعُهَا وَصَدِّى مِنْ
روحِ صَيَاغَتِهَا». قَالَ كَعْبُ:

(1) هُوَ السَّلَاحُ وَالْدُّرْسَانُ: الْبَيْابَ.
لا تخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل

صدق من هذا في قول أبي الطيب:
فيك الخصم وأنت الخصم والحكم

وقال كعب:
لقد أقوم مقاما لا يقوم به يرى ويسمع ما لا أسمع الفيل

لظل يعد . . . .

فآصداء من هذا وأذناف من روحه في قول أبي الطيب:
انا الذي نظر الأعمى إلى أذي واسمع كلماتي من بـه صمم

صحت في الفلات الوحش . . . .
ثم أليس بـه كتب في بانت سعاد:
حتى وضعت يميني ما أنازها . . . .
في قول أبي الطيب:
قد زرته وصويض الهند مغمدة . . . .

وقد ذكر أبو الطيب الهيبة في قوله:
"واستحالت لك المهابة إلخ" وذكر نيب نوب الليث.
وهوله في قوله:
"إذا رأيت نيبوب الليث بارزة وأشار بل صور ضفنه حيث قال:
"حتى أنتي يد فراسة وكم"، وفي بـnant سعاد نعت الهيبة وتصوير الضيغم الذي يغدو:

. . . . . فيلمح ضرغائين عشها لـه من القـصـم . . . .

"بانت سعاد، كـما ذكرنا من قبل غصنة، حذرت على نهج "إن الخليط أجد بين الفانفرق".
أصل جميع ذلك "فنا بك"، وهلم ما علمت وما استودعت، وما أشبه من كلام القدماء قبل زعيم. ومن بـانت سعاد ميمنة أبي الطيب هذا، هي أيضًا غصنة.

وقد قسمها الأول أقام فيه المدح مقيم المحبوب، فهو نسيبي السنخ. وقد نبه أبو منصور
على حسن هذا المذهب من أبي الطيب وبحرون أبي الطيب، الذي هو مدعو، جعل له
من صفـات سعاد كـعب مشابهـه. أليس كـعب بـقـول:
أكرم بها خلالة لو أنها صدقت موعودها أو لو أن النصيب مقبول
لكنها خلالة قد سيط من دمها

- 412 -
كما تبدو على حال تكائه بها لا تمكك بالوعد الذي زعمت وقد قال أبو الطيب:

واحمر قلبه من قبله شيم ومن خلاي وجسمي عنده سقم

سعاده كعب قد بانت فهو بروم اللحاق بها وهي رمز السعادة والنجاة التي طلبتا في

نصر أمر الجاهلية، فخان ذلك الطلب، فهو الآن برومها عند الرسول عليه الصلاة

والسلام.


ويحبوب أبي الطيب لم بین. وكأن قد اقترب بينه. قلب كعب متبول بعید مرهون مكبول

ولكن قلب أبي الطيب وقاله معا سقيان.

مالي أظم حبا قد برى جسدي . . .

فهو حب صادق

وتدعى حب سيف الدولة الأمم

والدعاوى فيها الكذب. حبوس سيف الدولة غير أبي الطيب فيهم فنعج سعاد وولعها

 وإخلائها وتبدلها . وهب ما يدعونه حبا. إن كان يجمعنا حب لغزته فليت أنا بقدر الحب نقسم

الحب المدعى دعواي. والحب الذي قد برى الجسد وأقسم القلب والحال. هذه القسمة

الضيزي فنعج وولع. فقد ليس صعب أبي الطيب من صفات محبوبة كعب هاهنا.

قد زته وسيوف الهند مغممة وقد ظهرت إليه والسيوف دم

فكان أحسن خلق الله كله، وكان أحسن ما في الأحمر الشيم.


هذا مصحف. والسبب فيه ذكر الوجد وفيه التخلل بذكر المحاسن. وهكذا صنع

كعب. إلا أن كعب بعد المطلع قدم ذكر المحاسن:

وما سعاد غدنا اليتى إذ رحلوا إلا غن غضيض الطرف مكحول

هيفة مقبلة عجزاء مدمرة لا يكتي قصر منھا ولا طول

ثم بعد أن وصف ثمها وشبهه بالأحمر

شجت بذي شيم من ماء محية صاف بطبع أضحي وهو مضمون

- ٤١٣ -
صراع إلى شكوى الوجه والإخفاق والتبديل.
وعكس أبو الطيب هذا الترتيب، وأثبت "شيء" إلا أن تجئ في صدر المطلع
منبحة بوحى خفى عن أنفسي نظر أبي الطيب إلى "بات سعاد" وتأثره بها عفوا أو عن
عمد. وعند من يكون كأي الطيب — ويسن هكذا الاستشهد بقوله:
كافاتك ودخول الكاف منصقة كالشمس قلت والشمس أمثال
عند من يكون كأي الطيب مما يجمع التأثر العفوي مع العمد. إذ هو رجا الله قد كان
من الشاعرية في الذروة، التي يذوب فيها قطر الصناعة ومعادها في حديد الطبع فينشأ
من ذلك فولاذ واحد عزيز عديم النظير.
ومضى أبو الطيب شروحا حسنا من المدح:
فوت العدو الذي يمته طفرا
في طيبه اسف في طبيعه نعم
لك المهبة ما لا تصنع البهم
وفقأل أبو الطيب معنى المهبة كما ترى
ألزمت نفسك شيا ليس فيزمها
أكليا رمت جيشا فانته هربا
وما عليك بعم عار إذا أنزموا
تصافحت فيه بيس الهند واللمم
أما ترى ظنرا خلوا سوى ظفر
أي سوى الظفر الذي تحوره السيف الهندية، يآبها السيف الصارم المجرب الذي
لا يتبوع.
كان أبو الطيب قد لمب تلميحبا بشكوه التي أوردها مورد شكوى النسب ثم
صار منها إلى ملح مطرب كجزل النسب، فلما بلغه أوجه، رمي بأول أسهم العتاب:
يا أعد الناس إلا في معاملتي
في الخضام وأنت الخصم والحكم
هذا البيت الثاني عشر هو أول تخصيص القصيدة.
وقد بذكر القارئ الكريم موضوع التخصيص في قفا نبك، أنه وصف الليل
وشكوه شكوى الزمان.
ألا أيا الليل الطويل ألا انجل
بصبح وما الإصباح منك بأمثل
وأنه في مجمع عقفة حيث أبمات الحكمة التي في طيها أسف شديد:
بل كل قوم وإن عزوا وإن كشروا
عرفهم بأصفاف الشر مرجع.
وهنا هذه البطولية الفكرية التي جهر بها الشاعر جسر القلب لا بالي، وسياها
أبو منصور إساة الأدب بالأدب!»). ومع ذلك نص على هذه القصيدة أنها من المختار.
يا أعدل الناس إلا في معاملتي في الخصام وآتى الخصم والحكم
أعذها نظرات منك صادفة.
أحسب الشحم فيمن شمحه ورم
إذا استوت عنده الأندور والظلم.
وهما انتفاخ أخلي الدنيا بناظره.
هم الظلم وأنا الأندور - ومهدت هذه المقابلة لقوله من بعد "أنا الذي نظر الأعمى
إلى أدبي".
ولا يعقل قوله: "يا أعدل الناس إلا في معاملتي" بعد ما كان أطر سيف
الدولة بمن الدح في قوله: "أما ترى ظفرًا حلوًا سوى ظفرًا فيه المقابلة التي هي قريب
" (Peripety) في حدثه عن السرح.
ليس مسرباً كثير، لا يذكره القاريء الكريم، قال سالس لال الذي أوردناه في
أول هذا الجزء، حيث قال في بعض ما قاله عن شكل الشعر العربي القديم: "وأبعد من
ذلك أن يقال مسرباً لأن الشخص الوحيد والقياس الوحيد المعروفين للمتكلم هما
نفسه ومثله الأعلى الذي يعتقد أنه. ه. لين شعره في أول "لال" يوجد عصر
مسرباً في شعر العرب الذي أطلع عليه ثم أبعده أمر هذا العصر إذ لم يجد فيه لا تعد
الشخصيات ولا محاكاة طيبة أعال الناس وأقوامهم على الحد الذي حده أرسطو في
مسرحيات يونان وسير عليه من بعد في أدب الروم والفرنجة؟
يخطب من يحب أن "لال" أراد بقوله هذا أن يصف شعر العرب بأنه غينائي
بمعنى الاصطلاح، عندهم، أي ذا معدود بذلك أن تكون له أتباع تخطي الذات
إلى ما وراءها من أفق الفكر والخيال. فقد احتضر من أن يفهم عنه هذا الفهم بقوله
"هنا نفسه ومثله الأعلى" فجعل المثل الأعلى رديفاً وصناً وقريباً للنفس. في المسرحية
يصير المثل الأعلى بطلاً أو أبطالاً وشخصيات بينهو حوار من أقوال وأفعال. وعند
الشاعر العربي تبطل هذه المحاكاة ويصير الشاعر بخياله وانفعاله هو البطل والأبطال
(1) انظر كتابنا مع أبو الطيب طبع الخرزويم 1968 م ومقالنا شعرية التعبين المتأهل العدد 12

- 416 -
والشخصيات جميع أولئك معاً، وبطلان المحاكاة، لا يجعل الشعراء عدائيين بالمعنى
الأصلية الآلهة الذكر أي ذاتاً عدوى الدُوي بالذات، فقد أخرجته تقمصه الملک
الآله وصار يجه به من حدود ضيق الذات. ومن أجل ذلك ما زعمت العرب أن
الشعراء زيناً وفرينة، ومن أجل ذلك ما زعم أبو عمرو بن العلاء أن شعراء العرب في
البر بمنزلة أنبياء بني إسرائيل في بني إسرائيل. ومن أجل ذلك ما قال عمر رضي الله
عنهم إن الشعر كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه.
وقد قرر هذه الوقفة التي كأنها هي استطراد وليس به، ليقرر معنى ما قدمناه من
تشبيه نحو المقابله التي في قول أبي الطيب فيا أعيل الناس إلخ. بعد ما قاله: «أما ترى
ظفاً حلكماً، فهذا بتحول السرحي.» ولا نزعم بعد أن ها هنا عنصر ما مسركيا إلا
على سبيل التقيب والمجاز، على نحو ما يكون قد سبق من نقل من قبل. ولكن
الذي نقطع به أن العنصر البيان الذي اشتقت منه النوع السرحي، موجود في هذا الشعر
وفي كثير من جيد القصائد عند القدماء والحديثين الذين جاءوا بعدهم من شعراء بني
العباس والعصر، الذين تلهم. وليس قولنا العنصر البيان الذي اشتقت منه النوع
السرحي بأمر من المغالطة اللطيفة. فقد كنا توضح هذا الجانب من حيث معدنه
معناه الفيلسوف أرسطو طاليس إذ ذكر أن كلا السرحي والملحمة محاكاة للطبيعة  
تعتمد الملحمة عن القصص وتتعمد السرحي على محاكاة الأفعال ومواجهة الناس
بها.

المواجهة مع ما يكون معها من ضرور التأثير بالحكمة والحياسة والفكاهة وحلو
الكلام ومره، ذلك هو العنصر البيان الأصل. والتعبير السرحي فرع، وقد عاشه
أفاعيون لما فيه من الاستعار والتمويه. وهذا بعد باب آخر.
- عند الشعراء العربي عنصر المواجهة صلاباً، وقدفصلنا القول من قبل في أمر ما
يجعل الشعراء درعاً لمقاله، وله يجه بالقول من عدون الناس.
ولقد تعلم أن تلك الردود على سبوعها كثيرة ما كانت تهتك أو تنتهك عن
المقال، وحسب شاهد في الأولى طرفه. وفي الأخرين أبو الطيب، هذا الذي نحن
في معرض الحديث عنه. وقد كبا هذه المهام تقبلها. وفعل شيئاً من صداه لم يقل
من مشاركة في مقالته. ولقد زعموا أن غلامة أنه قال له ما أراد الفار أو الفار القاتل:
الخيل والليل والإبداء تعريه، والسيف والرمم والقتال. قالوا فقال له ما معنا قتلتي تقتل الله وكر راجعاً فقتل. فهذا الخبر أصح لم
يصح فيه نوع من الدلالة على ما قدمنا.
ثنا أبا الطيب، وهبنا عنصر البطولة ومقاولة روح النبوة الذي جر عليه
مقتله من بعد، والله تعالى أعلم:
وأسمعت كلمة من به صمم
بأن الذي نظر الأعمى إلى أبي
مناسبة هذا المعنى لقوله "الأنوار والظلم" من قبل لا تخفى

أمام ملأ جفوني عن شواردها
وجاهل مده في جهله ضحكى
إذا نظرت نسيب الليث بارزة
ومهجمة مهجعي من هم صاحبها
رجاله في الركض رجل وليدان يد

هذا البيت صدره من قول امرئ الفيس:
مكر مقر مقبل مدارعا
كجمود صخر حط السيل من عل
وكانه يفسر لقول امرئ الفيس.
وعجزه من قول امرئ الفيس:
ولساق أقروبة وسلستن درة
والنجر منه وقع أشرق مهدب.
وهو الذي عابتته أم جندب، وكانت هي المحكمة ولها حكمها مسمطاً.
وقد ذهب أبو الطيب إلى استجابة كلام امرئ الفيس.
وكانه في البازة "أغلب فيك
الشوق" صفا شبا إلى مذهب عقلة.
ولو دق كانت أم جندب حكيمة لقالت أن تما
كركي البعير. وأي الناس إلا أن يخطبا مع امرئ الفيس أنها صبت إلى عقلة;
فزعوا أن امرئ الفيس كان ميركاً، وأن أم جندب قالت له إنك سريع الإراقة بطيه
الإفاحة. وهذا مع ظاهر طنه في امرئ الفيس كانها هو فرع من مذمة الناس وجرى
على مذهب من قال:

لا تأكن إلى النساء
فشرعها وسخطهن
واعدوا بين الرجال.
وهذا قول أبي الطيب من بعد:

حتى ضربت ووج من الموت يلتزم
ومرهف سرت بين الجفليين به

- 174 -
أخذ من خبر أبي دجانة رضي الله عنه إذ تبعته بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان رضي الله عنه من الأبطال وأبلى البقاء الحسن. 
وأقبل بالليل والبجاء تعرفني السيف والرماد والقرطاس والقلم، والحق أن فروسية أبي الطيب كلها إنها كانت فروسية القرطاس والقلم. وبغبني أن يحمل كثير مما يتبغير به فارسا على هذا الوجه. وقد سفكنا جواب من هذا المعنى في كلمتنا "شاعرة المتنبي".

صبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب مني الفور والأكم 
هذا معنى يدور كثيرا في شعر أبي الطيب، وقد غرفه من بحر تجربته إلا أن النقاد أبوا إلا أن يتهجووا بالإخذ من الصعاليك وعوائاتهم، في مثل قوله:

"تعرج عنة العرامس الذمل "
"وجمه جبهه على قديم "
"بالمسيط يوم الرياح أجهدها "
"لا تقلي الردف ولا "
"ولا ريب قد هذا عن نحو "

وقنعة كسنان المحرم بـ"مارة "
"بادرت قنها صحي وما كسلوا "
"بشرة خلق بـ"موقى البنان بها "
"ونحو "

وابو من الشعرى يذوب لوبه "
"نصبت لـه وجهه ولا كن دونه "

وفي أرجح بأي منصور له ما يفيد أنه قضى فترة من عمر شبابه صعلوكاً أو كالصعلوك، فقرأ، وتحجّم أسفاره، وتألق مكاره. وهو بعد القائل:

"أجاك يأس الفراديس مكرم "
"فتكست نفسي أم مهـان فسمل "
"وراني وقـدام عـدة كثيرة "
"فهل لك في حلفتي على ما أريد"ه "
"إذا لأنـاكخير من كل وجهة "

فقد سمع زينأس الفراديس وأحست نفسه الخوف منها، ولكن لم تستر إلى قول الشعر ممز تجربيه هذه بالأخذ من كلام القتال الكلابي حيث قال في صحبه النمر ما
قال من ذلك:

فأغله في صنعة الزاد إني أيلين
عليه يمثل قلبي بأسباب الشعرة أعلم من هاها.
وما خلص أبو الطيب في ذكر الفروسية والفخور بها، من أخذه من غزوة وعترة
بيانه في الأصل البيني الأول، الذي أصوله الملاح في رده، وذلك أنه لا يقص
علينا سيرة بطل آخر يحاكي أعماله بطل يزيد، ولكن يقص سيرة نفسه علينا، يرج
بين الغرف من بحر تجرتها ومن المثل الأعلى، الذي هو ختانا من لب - كـ قال:
ذلك ركبوا حيث كنت مشاععا
لي وأخفى أسرار مبرم
وحيتا من وصية عمه - كـ قال:
ولقد حفظت وصاية عمي بالضحى
إذ تحققت الشفتان عن وضح الفم
وفي معنى عمـه بعض الدلالة على البنت عمه. وكان العـم كتابة عن الحسب
والصدمة، والصدمة كتابة عن المحجوبة - فالمـ كـ ترى هو الولي الذي يغادر عليها
ويشترط الشروط على من يبلسم الصهر عنه.

هذا وأبعد أن قال أبو الطيب: «صحت في الفئات الورش مفترا» أعلن عزمه
على الرحلة والفرقة:

يا من يعز علينا أن نفارقه
وجدتنا كل شيء بعدكم عدم
هذا هو البيت الرابع والعشرون. وبيت «القرى والأمم» قبله هو آخر تخصر
القصيدة، وهذا البيت أول قسمه الثالث. غير أننا نفتئ نظر القاري الكريم إلى
تصرف تصرف أبو الطيب في التخصير، فهو من سنغ خلصه في سائر أجزاء القصيدة.
وذلك أنه وسع التخسير أو أقل نطقه بأبيات كأنها خروج منه إلى القسم الثالث،
ولكنها ليست بخروج، فقال بذلك التخصير بعض الطرق للوصول الذي بينه وبين
القسم الثالث وهو من عند قوله:

وهجة مهجتي من هم صاحبها
أدركتها بجرد ظهره حرم

إلى قوله:

صحت في الفئات الورش...

وإنها زعمنا أن هذا نطاق لقوة الشبه بينه وبين ما يقع بحسب عادة الشعراء في القسم
الثالث من الذكرى نحو: «وقد أعنت أبيات» وينحو «قد أعنت أبيات» وينحو مزهر زمن، في هؤلاء ما علمت. ولكنها ليس حقا مبدأ قسم ثالث، إذ بدأ الاسم
الثالث من عند «يا من يعز علينا»، وفي ردها إلى ما بدأه التخصير وهو قوله «يا أعدل
الناس» إلا في معلقات، وقد فعل هنا ما أمله هناك:

- 419 -
يأمن بعز علينا أن نفازفهم وجدنا كل شيء بعدكم عدم فهذا إنذار طيب غضب، ووقه وجدنا إله يفهم منه أيضاً معنى: ووجدانكم كل شيء بعدنا عدم، والبيت التالى قوي الدلالة على ذلك: ما كان أحقنا منك بتكرمة لو أن أمراك من أمرنا من أمم قيل رماه سيف الدولة بدوا لما قال هذا فقال:
إن كان سرك ما قال حاسدنا فا لجح إذا أرضيكم أم ولهذه عين الأمل. والبيت يحمل في نفسه طابع أنه جيء به على البديهة لاتصال البيت بعده بالبيت الذي سبقه، وهو كالمعترض، فلذلك حسن موقعه: ويستناداً إلى رعيمنا ذلك معروفة إن المعاضرف في أهل النهى ذمم ثم احتد أبو الطيب مرة أخرى. إذما آثار ذلك ذكر الدم، وإخبارها ما يغضب له ويتأثر كم طلبون لنا عيبنا في عجزكم ويكرب الله ما تأتيون والكبرم العتب هنا شديد مر. وأحسب أن هذا ما عناه أبو منصور إذ نعته بأنه داخلي في باب إساءة الأدب بالأدب (الأدب الأول من قولي أديب شاعر نائر راوية همل جرا والأدب الثانية أ حسن السلك والتهذيب أو العكس) وقد يعتذر لأبي الطيب أن هذا موضع النقاد، فيكون قوله: كم طلبون لنا عيبنا أراد به عيببه عند الأمير، ويقوي هذا الوجه بيت الافتعار الذي يanolعه إذ يحسن موقعه أنه أراد به مواجهة أعدائه لاسيف الدولة. وقد ذكروا أن ابن خالويه رماه بمفتاح فشجه. فتساءل: هل التفقت أبو الطيب النفات تعريض به أو أشار أو جاء بوحي في إنشاده بشيء من ذلك؟
ما أبعد العيب والنقصان عن شريف ليت الغرام الذي عنتى صواعقته يزلحل إلى من عنده الديدن فالغام سيف الدولة. ومن عنه السديم ابن خالويه وأبو فراس ولفهم. وليت تفيد بعض التمنى الأماني ضلال. فلم يبق لأبي الطيب إلا أن ينجو ويفارق: 

420
أرى النوى تقتني كل مرحله لا تستقل بهاالسوخادة الرسم لينترك ضريما عن مبامتنا ليحشدون من ودعتهم نعدم قلوا وكان صاغه أولا: "ليحداثن لسيف الدولة الندم" بالكتابية في هذا الموضوع أجود من التصريح. ثم في "من ودعتهم" عموم يدخل فيه مع سيف الدولة من عسي أن لو شاء انتصر له.

إذا ترحلت عن قوم وقد قدرنا ألا تفارقهم فالراحلون هم

إذا هذا يكون رحل راهق القلوب. وقد كشف هذا المعنى من بعد إذ قال:

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم كأن بيقى للكسب بحيث لا ود ولا صديق. وما أسرع حينذ ما يكون أعداء الله الطعن فيه والحط من قدره. فتمكنت مقاتله من حيث لا يجسب ولا يقدر على جنة أو انصهار.

ثم يجيء الغضب، أنفا من هذا الشر، ومن كسب يصم:

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم هذا قريب من قوله "أن تحسب الشحم في شحمه ورم" لأن في ألوان الخمات شهية. وإنها صديهم الرم.

بأ لفظ تقول الشعر زعفنة تجوز عندما لا عرب ولا عجم.

فقد سلم أبو الطيب هنأ بأن للعجب شعرًا. وما أرى دعاه في هذا التسليم إلا قصده إلى أن يجرد أعداءه من كل فضيلة بمت بها إلى بيان الشعر، ما عرفه العرب وارتفعته وهو الشعر، وما زعمت أم العجم له من ضروب بيانها أنه شعر. وقد كان كان أبو نصر الغارابي عالمًا بفلسفة بونان وشعرها، بدلاً على ذلك ما يسهله من قول عن القافية في الموسيقا الكبير. ولا يسعد أن يكون أبو الطيب قد لقيه وأفاد منه علا. وقد ذكروا أنه كان كبير النظر في كتب الفلسفة: وهو بعد القائل:
من مبلغ الأشعار أي بعدها شاهدت رسطا ليس والإسكندر
وابيت جالينوس دارس كتبه متفاوتة متدفنة متحضرا
وزعم الحاكم أنه أخذ كل حكمه من أسطرو طاليس. وهذا باطل. فقد كان أخذ أبي الطيب من شعراء العرب قدمائهم وتحديثهم على رأس هؤلاء المحكرين أبو غالب ثم ابن الرومي والبحتري وأبو نواس ومسلم وبشار ثم سائر المحكرين من بعد. وكان أبو الطيب بدقائق أسرار الشعر عالماً.
ثم ختم القصيدة بقوله:

هذا عتابك إلا أنه مقصة قد ضمن الدمر إلا أنه كلام
قوله مقة لا ريب بشير به إلى قوله في شعر له في سيف الدولة من قبل إذ ألمت به علأ:

وقد يؤدي من المقة الحبيب

أي إن كرهت بعضه فاذكر أنه إنما عداني إليه هو الحبيب. وقوله: قد ضمن الدرا جعله في مقابلة "أي لفظ يقول الشعر" - أي هذا الذي أجهز أنا به هو الدرا. أما هؤلاء فليس لهم من لفظ الشعر إلا الأجر والبحر وما أشبه. وبيت الختم فيه عودة إلى المعنى الذي استهل به. كأنه في إدعاء انتصار.

إذا مهارة أبي الطيب هذه من أصل البيان الذي البيان المسرح في قصته، وقد بينا مرادنا من هذا القول، فإن بائتهم حبيب من أصل البيان الذي البيان الملحمي فريغ منه. لا نقول بمقابلة بين الأصول بنحو ما يقول به نقاد الألفنج من المفاضلة بين ما هو عندي فروع من هذه الأصول. على أن نقاد الألفنج قد قرنوا هو ميرور بالمرجفين وربما فضلونه عليهم. ولي نحو هذا القول ذهب نقاد الطليان في دانتو بحسب ما ذكرته الموسيقى البريطانية في الباب الذي عقدته للشعر.

هذا ومن جيد أبي الطيب النشك من ذوات التخصير:

حتام نحن نسارى النجم في الظلم ومـمـسراه على خف ولا قـمـدم

وهي من فرائده وقلاندها، كما كان يقول أبو منصور في يوم مدحه في إحسانه، ولعبت هذه القصيدة من حيث أغراضها حقاً في رفاه فاتك ولكنها في التأمل والحكم ورثاء فاتك جيده على وجه العظمة والاعتزاز. كأن هجاء كافور جيده في العينية التي كتب بها أبو الطيب فاتك لا لأن هجاءه من غرضاً، ولكن لزيادة شعور التفجع.
رثى بها أبو الطيب فاتكلا لأن هجاهه من غرضها، ولكن لزيادة شعور التفجع من طريق المقابلة، وذلك قوله:

†بِحَالَ يَوْهِكَ يَا زَمَانِ فَإِنَّهُ
†أَيْمَوتْ مِثْلِ أَيْ شَجَاعَ فَاتِكَ
†أَيْـدِ مَقَطْعَةً حَوَّالَيْ رَأْسِهِ
†أَبْيَتَ أَكُذَّبُ كَذَّبَ أَبْيَتَهُ
†وَتَرَكَتْ أَنْتِ رَجْحَةٌ مَـذْمُومَةً
†ثُمَّ رَجُعَ إِلَى الْرِّئَا

هذا، والقسم الأول من القصيدة من قوله: "حتى نحن نسارى النجم في الظلم" إلى قوله:

†مَكْعُومَةٌ بِسُبْاطِ الْقُوَمِ نَضْرِبَهَا
†عَنَّ مَنْبَتِ الْعَشْبِ نَبْغِي مَنْبَتِ الكَرَمِ

وقد زعم ابن رشيق أن أبا الطيب كان يمد إلى التهيب بذكر الخيل ويؤثركا على الإبل.

وهذه القصيدة، والمقصورة

أَلَا كَلَّ مَاشِيَةٌ الخَيْلِ

وغيرها ما يشهد بأنه كا كان صاحب خيل كان أيضا كثير الرحلة بالإبل وصفا لها في شعره عارفا بأصناف جيبادها، من ذلك ذكره إبل البابا الصهب وهو من أسرع الأبل وهو قوله:

†وَكَلَّ نَجْمَةٌ بِجَانَابِيَّةَ
†وَكِيـَـدٌ العـَمَـدَا وَمُيـَـطَ الأُذِيَّ

وَكِيـَـدٌ العـَمَـدَا وَمُيـَـطَ الأُذِيَّ

أَسْتَهِلَ أَبـًـو الطيب بذَـكَر السر، فليله ليس كليل النابغة في:

†كَلِينِي لَهُمْ بَـأَمِيَـة نَـأَصِـبُ
†وَلِـلَّيْلِ أَفْاـسِيَ بَطْـيِ الكَوَاكِبُ

وفي قوله:
كنتملك ليلا بالجمومن ساهرا،  
وهمين هما مستنكنا وظاهرا،
وليس كليل الراعي إذا قل: 
ما بال دفك بالفراس مذيلا.
آذى بعينك أم أردت رحيلًا.
على أنه قد أخذ من النابغة قصة مراعاة النجم، ومنه ومن الراعي ومن غيرها.
كالأسود ابن يعفر في:
نام الخلي وما أحس رقادي.
شكره السهر وفقد الرقاد.
بداية أي الطيب المضمرة نسب، وأحباه هؤلاء الملك الذين هم شر فجعا وولعا.
من سعاد كعب بن زهير وأكثر إخلاصا وتبديلا.
وهو بعد القائل:
فراق ومن فارقت غير مدمم،  
أومن ومن بمعيت خير ميهم.
هذا يقوله بلسان المرجاء. ولكن هذه الميمية مخالطها الغضب والحزن وصرف الرجاء عمن كان ظنه موضعا للرجاء.
لذلك كانت بدايته المظهرة بالسري والرحلة والدأب، فارا من هذا الحب الكاسد الفاسد. بدايته كأنها بعد دموع كدموع علقة ولكنها ليست بدموع شوق، ولكن دموع ملامحة لنفسه على الذي سبق منه من الشوق. وبرحلة على عكس ما زنها علقة إذ قال:
هل تلحنتي بأخرى الحي إذ شحتوا،  
جلذية كأتان الضحل علكوم.
إنه رحلة فراق وفرح
حتى نحن نساري النجم في الظلم.
وبتسره على خف ولا قعد.
فقد الرقاد غريب بات لم ينم
هذا المعنى نابغي مرود على بداية النسب المضمرة، إذ هنالك هو بمصر ساهر يراعي النجم الذي في المطلع هو مرحل يساره. ولقائل أن يزعم أنه في البيت الأول بمصر.
ومساراته الفكرية مجازية وهذا الوجه ي وضعه قوله من بعد:

"تسود الشمس من بايض أوجهها، ولا تسود بياض العذر والذم.
فهذا منبِّه عن السفر. وقد شكّا أبو الطيب وخطه الشيب وجهه شكوى خفية حيث قال:

"ومن هو الصدق في نفسي وعادته رِبْغَت عن شعر في الوجه مكذوب
لم يَخَّل أبو الطيب من عقيدة كافورية في هذا البيت، وفي قوله من بعد:

"ولو احتمتنا من الدنيا إلى حكم
ثم أخذ في السير. وبدأ ذلك بنوع من رضاء النفس. كأنه قد أحسم ملاما من طول الأذاب الذي لا نهاية له. وكأنه قد جعل الماء رمزًا لهذا المعنى، وكنائه يَرْتَبِح مِن طول رحلته، أنا هو سائر في السحب. وأنا آخر هو سائر في القرب على ظهور الأبل.

وَنِترَك الماء لِإِنْفَك من سفر، ماسار في الظلام منه سار في الأمد
مكان الرمز في قوله (وَنِترَك الماء لِإِنْفَك من سفر) أي لولاكن لكان قد استقر حيث يجد من الأرض قرارًا.
ثم أحسم أبو الطيب أنفس النجاة والحرية المباشطة لهذا السير، فوجد لذلك هزة طبٍ أريجية ونشوة من انتصار:

"قلبي من الحزن أو جسم من السم، حتى مقرن بنى من جوع والعلم تعارض الفج حادة باللجم
لا أغمض العين لكنى وقعت بها طورت من مصر أبطالها أرجعها تبرى فن نعاس الدو مسيرة

هَنَّا نفس من علقة، إذ عُلِكَوْهَا التي تمنى بها النجاة

٤٢٥
أجني له باللؤوي شري وتنور
وما استطاع من التن brewers ذهون
أسك ما يسمع الأصوات مصلوم
يوم ردذاع عليه مريح مغيوم

كأنها خاضب زعتر قوادمة
يظل في الحنين الحطابان يتفقق
فهو كشك العصا لأي تبينه
حتى تذكر بيضات وهيجه

وبم هذه الأبيات أصداء في قول أبي الطيب "مسار في الغيم منه" وفي قوله "تبري هن نعام الدو" عنها بها الاهل وقد قربها بالخيل من غير ما تفضيل للخيل عليها كأ زعم له ابن رشيق وذلك في قوله "تعارض الجدل المرحمة باللمجم" - وقوله من بعد "خدام الركاب" ومسعود إن شاء الله إليه بالتبني في موضعه فيه أصداء من "يظل في الحنين الحطابان النغ" وقوله من بعد:

"يا لفين رضا الآياس بلالزم
عايش خلقته سودا بلا لم".

 يعني مات الشاب الغدافي

"بيض العوارض طعانون من حقوا
و ليس يبلغ ماافهم من الهمم
قله في "غلمة" يحمل أنفاسا من قول علامة
وقد أصاحب قتانا طعامهم
خضر المزد وحلم فيه تشيم

"و بذلك دلالة قوية على أبا أن أبا الطيب لم يغب عنه قول علامة إذ جعله نموذجا آيات
بينه منها قوله "رضا الآياس بالزلز" وقبل بيت علامة هذا قوله "لم يسرون بخيل قد
يسرت بها البيت" - وقد قال علامة بعد هذا البيت:

"وقد علوات قعود الرجل يسعني
يوم تجىء به الجزاء مسموم
 دون الشيام ورأس المرء ممعوم
حام كأن أوار النار شامله

- ٤٢٦ -
فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْطَيِّبِ تَسْوِيدُ الشَّمْسِ بِبِيضَ أُوْجِهَنَا،‏ الْمَعْنِي الَّذِي فِيهِ العَقْدَةُ
الكَافِرِيَّةِ الَّتِي أُشْرِنَا إِلَيْهَا آنَا. ثُمَّ ذَكَرَ العَالِمُ فِي قُوَّةٍ "تَبْدُو لَنَا كُلَا أَلْقَائِعَهُمْ" فَدُلَّ
عَلَى أَنْهُمْ سَافَرُوا يَقُولُ أَنْفُسُهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أُوْارِ الشَّمْسِ كَثُلَّّدُ صَنِيعُ أَصَابُعٍ عَلْقَمَة.‏‏
ثُمَّ بَلَّ كَانَ فِيهِ مِنْ هَوَى الصَّدِيقِ وَعَادَتُهُ تَجَدُدُ أَبَا الْطَيِّبِ يَبْتَهِنَا أَنَّهَا إِنَا أَقْتَدِي
بَعْلَقَمَةٍ تَلَمِيحَا كَالْتَصْرِيحِ وَذَلِكَ قُوَّةٍ بَعْدُ هَذَا الْبَيْتِ "قَدْ بَلَغَوْا بِقَتَائِمِ الْخَلْقِ":

في الجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنفُسُهُمْ
مِنْ طَيِّبَهِنَّ بِهِ فِي الْأَنْهَرِ سَلِيمٍ
قُوَّةٍ "في الجَاهِلِيَّةِ" تَنِيبِه وَإِشَارَةٌ إِلَى وَسِفُ شُعراءِ الجَاهِلِيَّةِ الْمُوَارِيِّ وِلِيَاءِ الأَوْلَيْجَ وَسَحِبةُ الْقَفَارِ. وَمَا ذَكَرَهُ هُوَ خَاصُّةً فِي هَذِهِ الْفَصْيَةِ مِمْلَكَةٌ بِتَاسِبِ مَهِيَّةٍ عَلْقَمَةٍ
فَعَلَّمَهَا صِبْاحُ الطَّيِّرِ فِي الْبَيْهِمْ
ناَّشَوَا الرَّمَحَ وَكَانَتْ غَيْرُ نَاطِقَةٍ
ناَّشَوَا هَذِهِ الْقَوَائِمِ مِنْ قُوَّةٍ تَعَايَلُ "وَأَنَّا لَم نَناَشِ" يَمْهِزُ الْواَوَ وَتَرْكُ الْهَمْزَ. وَقَالَ
الْرَجَّازْ: "بَانَتْ تَنْوِسُ الْخَوَذُ نُوُسَعَا مِنْ عَلَا
نَوُسَعَا بِهِ تَنْطَعُ أَجَوْزَ الْقَفَّالْ;
وَقُوَّةٍ فَعَلَّمَهَا صِبْاحُ الطَّيِّرِ يَنَيبُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَهُوَ فِي قُوَّةٍ:
وَمَلْمُومَةٍ سُينِّيَّةٌ رَبِيعَةٌ
يَصِبُّ الخَصْيُ فِيهَا صِبْاحُ الْقَقَالِقَ
وَالْقَقَالِقَ ضَرْبٌ مِنْ الطَّيِّرِ. أَوْلِي الْمَعْنِيَ مِنْ عَنْهُ: "تَمْكَى فِرْعَصَتُهُ كَشَدَقُ الْأَعْلَمْ
وَالْمَكَأَصْبِرُ وَصَلَةُ الصَّفْرُ بِالْطَّيِّرِ لَمَّا كَتَيَّنَ خَضَاراً قَرَاسُهَا فِي الرَّغَلَ وَلِلْيَمْ
مَكْعَوْمَةٌ بِسَيَّاَتِ الْقَوْمِ يَزْرِبُها"‏
هِذَا الْبِتَانُ نَجَدُ فِيهِا صَدِيَّ مِنْ خَطَّيَ عَلْقَمَةٍ وَتَنْوِهٍ الَّذِي يَتْقَفُّ الْظَّلِيمُ مَا
أَسْتَظْفَهُ مِنْهُ أَوْيُي سُوَّطَ عَلْقَمَةٍ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قُوَّةٍ: "تَلَاحَظَ السَّوْطُ شَرْعاً وَهُوَ ضَمَّةٌ،
وَهَذَا قَبْلُ بَيْتٍ الْظَّلِيمِ وَتَنْوِهٍ، إِلَى أَنْ يَكُوَّنَ لِهَا صَدِيَّ مِنْ أَصِيلٍ مَكَأَ، عَنْ أَصِيلِ مَكَأَ،
الْذِي أَخْذَهُ أَبُو الْطَّيِّبٍ - وَهُوَ قُوَّةِ "مَكْعَوْمَةٌ بِسَيَّاَتِ الْقَوْمِ" وَسَائِرُ الْبِتَانُ مِنْ قُوَّةٍ
حَيْبَ: ٤٢٧
أطلع الشمس تغى أن تؤول بنا فقلت كلاً ولكن مطلع الجود
ثم يأتي بعد ذلك القسم الأوسط من القصيدة. وقد صنع فيه صنعًا قريباً ما صنع في
"蛸ر قلبًا ممن قلبٌ شبه" وذلك أنه جاء بالتنصير المحسن ثم وضح قبل أن يصير
إلى القسم الثالث من القصيدة الذي هو نهايتها وأوله "لَوّم القوم".
أول التنصير "أوين مبنية". وأنزل رئاه فاتمك منزلة العظمة والاعتبار والحكمة:
أوين مبنية من بعده مبنية
لا ملكات آخر في مصر تقصده
 amat تشابه الأمواج في شيم
فما تزيدني الدنيا على العدم
وأنت يا ملك
هاتها مرارة بالغة كأن قد عاد بها عودًا قائمًا إلى قوله من قبل:
وتركالماء لا ينفك من سفح
مسار في الغيم منه سار في الأد
إلى مه wei من هذا السير وقد عدم فاتك. وما أمامه إلا العدم وكأنه هو سائر بآماله إليه
هل عند الدنيا زيادة على هذا العدم ينبغي أن تزديده إياها؟ فم هذا العنان وإلاد هذا
السير؟
ومتصل بالسير ذكر الإبل. وفيه أنفاس من ذكريات الماضي ومن هائنا مبدأ التوسيح
والتطبيق:
ما زلت أضحك إن كله نضرة
في الام اختضبت أخفافها ببند
أسيرها بين أصنام أشاهدها
ولا أشاهدها في باعفة الصنم
 جاء ذكر الأصنام وتفسير رمزها أوضح في المقصورة حيث قال:
وكذب ضل قوم بما صناعهم
أو ما بـبـزق ريحَٰح فـلا
ومراده بالاصنام هنا كافور وكثير غيره من قصدهم ولم يجد عددهم إلا قليلاً ما كان
يأمله كأنه لا شيء. وله في خروج سيف الدولة كل الإخراج من نفحة هذا الدم. إلا
أن قصده إلى كافور أوضح، لأن عهده به كان أقرب، وأمله فيه كان أضخم لما كان
يعتقد في نفسه من نقص فيه ربي يسر له سبيل ذلك. فكانت خيبة ذلك الأول
شديدة مرارة الوقوع.
حتى رجعت وأقلام قوائل في المجد لسيف ليس المجد للقلم

- ٤٢٨ -
 وما كان محمد كافور بالسيف ولكن بالدهاء مع الذكاء

كتبنا أبدا بعد الكتاب به
فإن غفلت فدائية قلعة الفهم
أجاب كل سؤال عن هذل بلم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته
فهذا آخر التخصر وماله من وشاح
وآخر القصيدة ذكرتات وحكمة وعزاء وأسي واعتذار عن هذا الدَّاب الذي إنها هو
عناء وضياع وقت في غير ما طائل:

توهم القوم أن العجز قربنا
وفي التقرب ما يدعو إلى التهم
القوم هم كافور وسائر الملوك وعلو القصد إلى سيف الدولة
هنا أظهر لأن دلالة ما يلي
من الأبيات عليه أقوى:

 ولم تزل قلعة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذو رحم

هنا إشارة إلى بيت طرفة

فلا زيارة إلا أن تزورهم
من كل قاضية بالموت شفترة
منتقى قائمها عليهم فإ فيها وقعت
فسروا هذا البيت بأن المراد أنهم لم يسلبون سيفنا، فقد نجكنا منهم وهم بأيدينا إلى
هي ذوات قصر ولا بذوات لآم، والكزن قصر اليد.

بعضي قدما كما قال قيس بن الخطيب:

إذا قصت أسياشنا كان وصلها خطان إلى أعدائنا فنضارب

وفي القاموس: «وكتоф الرجل الهبيان» أي الهيب والكزن بالتحريك البخيل وقصر في
الأنف والأصابع. وفي قول أبي الطيب معنى القصير والبخيل والجن جيحا. وعند أن
قوله ضنف قنائمها كأن قد قال صناها عنهم ثم اعتذر بأن ذلك لم يكن بسبب أن
قنائمها وقعت من أيدينا موقع لوم وجن. وأضرب أبو الطيب عن ذكر السبب الذي
من أجله صان نسيوه عن تضرب أعناق هؤلاء الملوك. وقد كان قال من قبل:
وجنبي قرب السلاطين مقتها وما يقتضي من جامهجها السفر

وقال:
يتضمن أعفاء الملوك وأن ترى
كلا الهبات السود والعسكر المجر

وكان أبا الطيب بقوله: "صنا قوائمنتهم، ينتمون على ترك قتالهم واستبداله ذلك
بالوقت منهم فحسبا جزاء في القرب ما يدعو إلى النهوض، وكأنه يتعذر مع ذلك بأن
ما ترك من قتالهم أو قتالهم إذا كان صيانته هذه السيف، فهل ترى هذه الصيانة؟
لاعجب إذ أن بادر أعداؤه فقله مرجع من عضد الدولة. فقد جمع من المال وبعد
السعة ما كان على أن يبقي له سبيل الروت على أن أرجح أن هوس طلب
الساعة الذي اتهمه به أبو منصور ما كان إلا أحلام شاعر وأن معاركه التي خاضها أو
كان يبغض بعد أن يخوضها ما كانت إلا معارك هذا القريض. وصدق الله عز وجل:
"يقولون ما لا يفعلون"

فإنما بظائر العين كالفحل،
برفع منظره أي ما بدأ شاقا كرها في أمه عندك إذ هذه الدنيا ما هي إلا حلم، ومن
نصب منظره عموما العين، أي كل تراه فليهن عليه إذ حقائق هذه الدنيا كباطل
الأحلام.
ولا تشك إلى خلق فشمتنته
شكوى الجريح إلى الغربان والرخم.
ذكر الغربان مفرها وجعلها كبير عند أبي الطيب. وهنا لا يخلو من أن يكون فيه صدى
من غربان علية التي هي طبر في أول الهمية (عقول ورقا تظل الطير تحت فطه) وهي
غربي سافرة في آخرها حيث قال: "ومن تعرض للغربان بجزرها البيت"
وكن على حذير للناس تسترى ولا يغدرك منهم تغكر مبتسم
هذامعنى ينكر عند أبي الطيب إذا رأيت نيب الليل "ولما صار ود الناس خبا"
ولا تشك إلى خلق فشمتنته
شكوى الجريح إلى الغربان والرخم.
وكن على حذير للناس تسترى،
وأعوز الصدق في الأخبار والقسم
ثم تبلغ الحكمة ذروته في قوله بعد، وتخالط ذلك نفس الأمس والغناة العينين:

سبحان خالق نسيف لذهنها،
في النقوس تراها غاية الألم.
صبر نسي على أحداثه الحطم.

يقول شكسبير كلامته المشهورة على لسان هاملتي: (3-1-56-90)

To be or not to be: That is the question.
ألباء أم اللاتياء - ذلك هو السؤال.

Who would fardels bear.

من كان يعتبر هذا الأدباء؟

هل اطلع شكسبير على قول أبي الطيب: "الدهر يعجب من حلم نوائه؟" أليس في حكمته في هذه القطعة من مشهور قوله أنفساً من أصداء حكمة أبي الطيب:

وقت يضع وعمر لى مددته في غير أمته من سلالفة الأمم أني الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتينوا على الهم، فيزعم بعض البلاغين أن هذا إيجازاً بالحذف أي فساءنا والمعنى يفسد هذا التفسير، والصواب أن تأخذ كنا أعطاه الشاعر، ومن أتبعه فساءنا تفسيراً له فقد حد من سعة آفاقه.

ما أشد تقلب قلوب البشر ولا سيما الشعراء. قد قال أبو الطيب في مقطعة له نونية نظمها بمصر قبل نظمه هذه الميما:

صحاب الناس قبلنا إذا الزمان أعنا وعُناهم من شأنه ما عنا نا ونولوا بغضت كلهم منـه وإن سر بعضهم أجوانا فهل أراد بقوله: "أني الزمان بنوه في شبيبته فسرهم" تفسير قوله من قبل "وإن سر بعضهم أجوانا" فهؤلاء البعض، إذا كان سرورهم على زمان شبابه وهو المرموز له بقوله "أجوانا"، أو رجع أبو الطيب عن ذلك القول بنسبة العنا والشر إلى زمانه هو؟ ها هنا تقلب قلب الشاعر. وذلك أن روح الممئية روح حزن وغضب وهجاء.

وقد صار من بكاء فاتك وهجاء حاسمها الخصي الأركى إلى الأسف على نفسه والعبرة بموعي فاتك وهجاء الناس كلههم، فكلهم خصي أرغم ودهرهم هرم برم.

وما خلا أبو الطيب في اختيائه هذه الممئية الرائعة بالزمان الهرم من تأثر بأيام أبيات ممئية عقلة حيث ذكر النوق الحسان ومعهها صغارها تنزعم ورواهما فحل أكلف

مختبر كثير اللحم.

(1) وأن يئذ بعباءة الحياة لولا حولته ما بعد الموت لا آخر ما قاله. وقد أدخل فيه من معنى قول أبي الطيب فإن للثالث الخالدين معنى؟ انظر ما يأتي.

٤٣١
فحل عقلية فتي قوي ضخم كالليل أسود كالليل الظليل. ليس بأسود رهل خشي
رخو مداهن ككافور وأشباح كافور من ليسوا بسود ولا خصمان ولكنهم - أوكا قال
كان الأسود العملي فيهم غراب حوله رحم وبوم
رحم الله أبي الطيب. إنها كان شاعرا عظيما الخيال ضعيف الحال.
وقد كان ناعدا ذوقا مبتلا عالما بمكان نفسه من ذلك كله عالما أيضا بأنه غير مصيب
على مايسمه من جزاء مكافأته له. وقد أحسن إذ يقول لسيف الدولة:
وما三菱ن لا أراك مكانه فهل لك نعمى لاتري مكانها
وكان قال «وكم لك من نعمت أنا أستحقها وعدي الذين سيغتبطون على آخر الأمر
عندك królوريته أهلا لذلك ولا مكانا له.»
وفي هذه التوينة اييات جياد في نكت بعض ما كان من زخارف وتصور على ما أهدته
له سيف الدولة من ثاب الدنيا:
تسرينا صناع الروم فيها ملوكها
ولم يكفها تصويرها الحيل وحدها
فصّيرت الأشياء إلا زمانها
وهل هذا من عجب القول وبعد أذواء إذ الزمان هنا عنده بعد الأبعاد عجز الرسام
أن يقيده أو يرمز له يقيد كا قد فعل بالأبعاد المكانية.
وما أخذتها قدرة من مصور
سواء أنها ما أنطلقت حيواناتها
فهذا ينقل معنى حيوية ما صورته من حيوان إذ لم تدخر قدرة تصويرية إلا أنت بها إلا
أن ينطوي الحيوان. وما خلا أبو الطيب هنا من أخذ دقيق من قول أبي عبادة
يقتل فيهم ارتيابا حتى تتقهراهم يدداي بلمس
هذا
ومن أعمج شعر أبي الطيب ميميته:
ملوكهم يجل علمن الملام ووقع فعاله فوق الكلام
وهي قصيدة عتابية، عاتب بها كافورا كا عاتب سيف الدولة «بواجر قلباء» من قبل،
غير أنه رام فيها أن يكون أليق، وأبعد عن همزة إساءة الآدب بالأدب، فلم يكافح
كافورا بخطاب. كلا ولم يقرب أن يكافحه بلمجح. ومع هذا فقد روي عنه أنه
قال كَفَّان إذا دخلت على كافور أُنَشَّدته، يضحك إلى ويبش في وجهه حتى أنشدته:

هذين البيتين يعني:

فَلا صَمَّار ود النّاس خيّامًا جُزِّيت على ابتسمام بابتسام
وصفت أشراً فين اصطفاهرة لعلمي أنّه خمس الأنسام
فِي ضحك بعدها في وجهه إلى أن تقرننا. فعمجت من خطته وذكائه. ; قلت إن
صحت هذه الرواية فإنها لاتدل على ذكاء كافور ولكن على غفلة أبي الطيب، إذ
البيتان واضحا الدلاله على إرادته كافورا إن صح ما ذكره عنه أن كان يضحك إليه
ويبش في وجهه وبعد نحن أبي الطيب أن يكون في مثل هذا الموضع صاحب غِفْلَة.

وفي هذه القصيدة أشياء تعمد بها التعرض بالفرض. وأشياء أفلت منه فيها تعرض
بالهجاز. وبه ما هنا على أن أبي الطيب لم يضمن شيئا من الهجاز في كلياته اللواتي
أرادهن مدحًا لكافور. ومن زعم ذلك له، ونسب في ذلك رواية عنه، فإن ذلك
يتناقض ما في هذا الخبر من إقرار به ذكاء كافور. اللهم إلا أن يزعم زاعم أن أبي الطيب
قد ضمن مدح كافور هجاز في طبه له، ولم يكن يعتذر ببله أن كافورا من أجمل سواده
وأنه مع ذلك خصى له من الذكاء مايفطن به إلى ذلك، فلما تبين له أنه قد فطه له،
عجب لذلك. فإقرار الذي أثره بالعجب لا باعتقاد وجود الذكاء.

هذى القصيدة محكمة اتصال المعاني والأبيات. وهي مع ذلك من الضرب المخص.
شأنها فين: «واحَر قلبه» و«حاتم نحن نساري النجم في الظلم» . وقد قُدِمْتْ أن
أصب نظره في ذلك إلى بان سعاده، في واحر قلبه، ثم سواها من الشعر القديم ونظره
في حاتم نحن نساري النجم، إلى ميما علقة أبي أحمد. ومعنا لا نباع إن زمناً أن من
براعه تأتى أبي الطيب لامية كعب، سابقة تأثره بالتصوف. وفي بعض مداهن صباه
ما هو من سنن كلام المصوتة كقوله:

بِعَيْدَة المَلِك المُصَفِّى جَوْهِرُ-
فُكَّاد تَعْلَم عَلَم مَعَالِن يَعْلَا-
فِي مِكْر فَيْك إذا نَطَقَت فَسَاحْحَة-
أَي النَّور الْلَّاهِوَيِّ-
فِي مَن كَان يَجِلَّ بِالَّالَّـهِ فَأَحْلَى-
صَارَ العَيْان مِن العيَان تَوْهَي

- ٤٣٢ -
ومن سنن المدائين النبوية قوله:

لاقح حسنن بلك الأوقات حتى
أعطيت السديد لم يعط خلقك
وإنها الذي لم يعط خلق ما أعطيه هو الرسول عليه الصلاة وسلم، وأي الطيب يعلم
حديث الشفاعة -في هذه القصيدة قبل هذين البيتين مما معدته دني قولة
تخاذله كأنك سامري - تصافحه يبد فيها جذام
والضمير في ت싸يده يعود على المال. والجذام مبالغة، لأن السامري أمره أن يقول لا
مساس نافراً من كل الناس.

والذين أدينا أبنا الحبر الإسماع
إذا ما العالون عروك قالوا
فلما جعله حيرة وإماماً، قارب به النبوة فزعم أنه أعطى ماله خلقه خلقه
ويجوز في يعتقد لأي الطيب أن يزعم أنه لم يرد مدوحة الجمل، هذا ولكنه التفت إلى
مدح الرسول عليه الصلاة وسلم وجعل ذلك خاتم مسك. وهو جياز ذي بعد.
وقول أبي الطيب: أنا مصبر وأظن أبي نائم؛ يستوقفني منه كسماً اصداً منه في قول
شكسبير.

Is this a dagger I see before me......

أهذا الذي أراه أمامي أخنجر هو... .
(انظر الفصل الثاني - المنظر الأول ص 33- 30 من ماكيت) 
الكلمة التي يزعم بها أنه يرى شيب الخنجر الذي يرد أن يرتكبه جريمة
الغدر «بنتكان» الملك. وهذا بعد باب من البحث لا يصبح له مجال هذه الفصول.
وما أشكل أن أخذ شكسبير من أبي الطيب خاصة ومن أبي تمام وشعراء أخرين كثير
وينبغي أن يدرس ويكتشف عنه.

مثلًا قال أبو الطيب:

كريم نفست الناس لما رأيتهم
كأنهم ماجف من زاد قادم
وقال شكسبير

Time hath, my lord, a wallet at his back
Wherein he puts alms for oblivion,

(الفصل 3 انظر س 145 - نزو يلس وكوسيدا)
«النهار على ظهوره خريطة، يضع فيها أزرواء الصدقة لتسلي م.

ولما يشعر بالأحذى هنا أن المكية الذي يشبه شكسبير الزمان به ها هنا يضع ما يعطاه من صدقات (وإيذاك الآخر الجاف ونحوه) للنساء. والسائل لا ينسى ما تصدق به عليه ولا يدعه للنساء. إنا الذي يظرزه من حقوقه ويتفقد ذلك نفسا وهو القادم الواجد القرى والضيافة. وفي القطعة الشكسبيرية ما يتم بمعنى الضيافة، إذ لرمذصل فيها بعد صاحب الخان وهذا كأنها تقدم باب مجال القول فيه.

سوى هذا الموضع.

القسم الأول من القصيدة فيه، في أول يبت وهو المطلع:

ملامــهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ&n
إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهـة الرجل الحزين
فآهتها يغنمها وهو الرجل الحزين. وأما قول التبريزي: "فرصةً إذا أحتفظت إلى أن أصوت ليسغ ثم الك من قلبي مغتمص، وإنما يقال يغامي على الاستعارة" (شرح البقوقى 4/273 - تصوير بروت). فوجه واضح والتبريزي أقرب إلى زمان أبي الطيب منا، وليس الذي قاله مبتدع معنى الإشارة الذي ذكره، وقد سبق هذا القول إن أبو الطيب كان يخفى إشاراته ولا يظهرها إلا أظهر أبي عم إلا ما قبل من ذلك.

فقد أدرك المياس بغير هاد... يقد ويمى مهجتي زبي وسيفي ولا أمسى بأهل البخل ضيفا... سوري عدى لها برق الغمام إذا احتاج الوحيد إلى الذمام وليس قدرى سوري مع النعام يعني وليس من قرى يلقي إذ الإمام لا مخ له. ومن روى عم الإمام بالحاء يعني بيش النعام فهي رواية عن معنى الصلاقة، إذ ذكرت أن الشفيري وأضراباه كانوا يخبارون الماء في بيش النعام ويعرفون كيف يثبتون إليه فيكون من بسطهم أتباعهم. ومح صحراو البش وأطلاقه هنا على البش كله، وكذلك يقال في ناحية "بحر أبيض" (أي الين الأبيض) عندنا للبض الذي يباع "البح المحر" إلا أنهم يكسرون الميام.

وهذا البيت فيه مواجهة لكافور وتعريض به بالبخال، وقد كشف هذا المعنى في هجائه الصريح له من بعد. ثم يقول:

ولما صار ود الناس خشأ... جزيت على ابتسام بايتسام وصرت أشك فين أصطفى... حب الطائيين على الطائيين أتي أنت بحسن الوسام فأحبك من أجل ذلك، ولكنني إنما أحبك رجاء التصافي بيننا هذا هو المعنى المستنكر، وتعمده أبو الطيب، وأراد به عتاب كافور.

فقرار توبيخه، على شدة ما احترس.

ثم جاء بالدواهي وكان قد تعمد ذلك إذ قال من بعد:...

ولأنف من أختي لأبي وأمي إذا لم أجده من الكرام.

ولم يكن له أخ من أبي وأم، وإنما كان أقرب الناس إليه جدته التي فيها قوله:

لكان أباك الضخم كونك في أما...
وما يخلو قوله هذا من معنى فكيف بك أيها العبد الزنيم
أرى الأجداد تغلبتهم كثيراً...
أي إذا لومت أخلاق الأولاد، وهذا كثير، غلب لومها شرف أجدادهم. لهذا
ظاهرة المعنى. ولكن خطاب كافور به قد تتشم منه رائحة تراجع قول قائل، فكيف
بالأمر إذ ساءت أخلاق الأولاد مع النسب الديني المجهول؟
ولست بقاخان من كل فضل
بأن أعزى إلى جد هما
فأنا لا أهتم بالنسب ولا أفتخر به. وأنت لا نسب لك. وأنا قد اختيرت فاشكر ل
هذا الاختيار
قد اختيرت الأماك فاختير لهم بنا
حديداً وقد حكثت رأيك فاحكم
أيمن كف فيهم كف منعم
وأكبر إقامة على كل معظم
ثم يعود أبو الطيب بعد هذه الحكمة التي طهرا ما ترى من هفوات إلى التعريض
بالفراق:
عجبت من له قد وحد
وينبوب نوبة القضم الكهام
هذا سيف الدولة، لذكر القد ولم يكن كافور من قد، ولذكرى الجد والحدود
للسيف الماضي. والضم الكهام هو السيف الرديء، به تقليد من رداء حديثه،
وهما بأي غير قاطع.
وعم من يجد الطريق إلى المعالي
فلا يذر المطي بل سنام
هذا عنها به نفسه، إذ هو صاحب الأسوار. وفي هذا من قوله ما زعمنا من
التعريض بالفراق والتهديد.
ولم أر في عيوب الناس شيئا
كانت القصدرين على التهام
هذا عنها به كافورا، والدليل على ذلك قوله في عيوب الناس، ومن قبل قد
قال: فولما صار قد الناس خباية والروياية التي رواها سواء أصح أو لم تصح تشهد بأن
المعنى بالناس ثم هو كافور، وذلك ينساق على معناها أيضا في هذا البيت. ودليل أخرى
ما كان يتوجه أبو الطيب في كافور من القدرة على أن يهبه ضياعة أو ولاية وأن يجعله

- 437 -
سيدا على مصر ثم علي الناس جميعاً أليس يقول له:

لك الحيوان الراكب الخيل كله وأن كان بالنيران غير موسم وهذا الذي يرى فرسان كافور أجناده وعظاهم دولته جميعا هم الحيوان الراكب الخيل، ماذا عسي أن يكون رأيه في كافور نفسه؟

هذا آخر القسم الأول.

وبدأ القسم الثاني من عند قوله: "أقمت بأرض مصر". وهو من عزيز الحكمة جاء فيه بوصفه الباهر التأمل للحمي:

أقمت بأرض مصر فلما ورائي تخب في الركاب ولا أسامي هنا وثيقة بيانوية وثبيتا من عند قوله "ولم أرى في عزوب الناس البيت". إذ تقصر كافور عن التهام أنه خام دون الثقبة به وتبليغ ما كان يؤولمه منه أو بعضه من تنويل ضيعة أو ولاية. والذي سأله أبو الطيب ليس ببدع أن يعطاه شاعر فقد ولى أبو تمام بريد الموصل. فكان أبا الطيب بهذه الوثيقة بلفتنا إلى ما آلت إليه حاله من السقم بعد ما كان له من تأمل عند قادر مستطع تحققه، ولكنه عجز عن ذلك - وهذا يا لأسف من عزوب طبيعة البشر.

ولعلك أبا القارئ الكريم قد ترى كيف صار ما كان أوجز أبو الطيب في معايتته سيف الدولة إذ قال:

واحش قلباه من قلبته شيم ومن جسمي وحاله عنده سقم

هذا مفصلا مشروب.

ضعف أبا الطيب وحسرته عند كافور، ذلك الذي أتروحه لي شرحه سقم جسمه.

والله، شرحا مفصلا ي楣در به عطف هذه القلوب القاسية.

ومن الفراش وكأن جنبي يمل لقاءه في كل عظام

قليل عاملي

ولو كان أثير المكان عند دوله كافور لكان عواده قد كثروا

فلم فؤادي

هذا كان تكرار لقوله من قبل "واحش قلباه" كبير حاسدي، صعب مرامي

هنا اتفاضية مما سبق مما كأنه قد استكان به.

ولكن أبت الحمي إلا أن تضرعه:

- 438 -
على الجسم ممنوع القيام
شديد السكر من غير المدام
هذا يدل على أنه هذي. وقد كانت قلة العواد بهذا له رحة، إذ لم يكن هذين مثله
ليس من معاني ما أخذ فيه بعد من مسائل الهجاء المذوع المر. قوله شديد السكر هو
شاهد الهذبان، وهمي الورد وهي التي يقال لها الآن الملاريا - ما يكون معها الهذبان.
وزائري كان بها حييًا — فليس تسير في الأظلال
بذلك هذان المطاف والخسایا
وكذا تفعل حي الورد
يضيق الجلد عن نفس وعنه
فتوسعه بأنواع السقام
من فتر وصداع وانقباض نفس وصنوف أوجاع
إذا ما سافرتني غسلتي
كأنها عاكفان على حرام
انتقد بعضهم بأن الحرام ليس بأخص أن يغسل منه من الخلال وأحسن ابن
الشجري الدفاع عنه إذ قال وإنها خص الحرام لأنها جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة
وللمملكة. [انظر شرح البرقوقي 4-777/277- الهاشم] قلت أسد ابن الشجري
أحسانه شيئاً بذرته الزوجة والمملكة. وقد أعلمنا أبو الطيب أن زائرة هي الحمد بقوله
كأن بها حياء، ولا حياة لها إذ ليست مما يوصى بذلك وما صار إلى ذكر العرق وإنها
غسلته به، رد ذلك إلى معنى الزائرة، ولا يكون الكلام إلا كأ قال: كأنها عاكفان على
حرام "ومفهوم" أنها زائرة جذابة ليست بعاكفة معه على شيء غير هذا الساق الذي
هذه صفته. فذكر الزوجة والمملكة ها لا معنى له، ونقد من نقصه بأن الخلال ليس
بأخص من الخلال. تأبل.
كان الصبح يطردها فنجري
مادةها بأربع سجاح
وذلك تأكيك لمعنى المشيشي المقدم لم يجعلها غامضه له، وذلك لأسناع
قيامها، جعلها باكية لفراقها وذلك لشدة شغفها به، وقد تقدم قوله: "فعفاتها وبانت في
عظامي". ولما جعل لها بقاء المحب الشديد الشرف ومن قبل قال: كأنها عاكفان على
حرام "صح أن يصف نفسه على وجه الشيشي، بحال المشتاق، وإن كان حقا ليس
بمشتاق ولكن متزلف أمر محتوم ليس منه من مفر.
أوافق وقتهما من غير شروق مركزية المشوق المستهتم

- ٤٣٩ -
ويصدق وعدها والصادق شر إذا ألقاكم في الكرب العظـام
وكم ألقى صدقه هو في الكرب العظـام.
وقد ترى كيف مزجت نعه الحمـي بالحكمة، بل نعاه نفسه من الحكمة.
وهذا آخر التخـصـير. وبدا_letter؟_التقسم الثالث من بعد وأوله مخاطبة الحمـي، مع
التزام مذهب الأولاد في جعلهم بداية هذا التقسم بالذكرى، وإتباع ذلك ما يناسبها من
أغراض البيان كما رأيت من قول عقـمة.
قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنـم
وقول أمريء الفقياس:
وقد أعتدي والطير في وكنانـها
بمنجرد قيد الأولاد هـيكل
وما أشبه ذلك.
قال أبو الطيب:
أبت الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام
عندى كل بنت هو موضع الذكرى، وما جعله بمسلمة «قد أشهد».
قد أعتدي» ولهلم جرأ
جـرحت محروـما لم بيق فيـه
مكان للسيوف والسهام.
وهنا موضع تمي الخلاص منها والشفاء والنجاة والانطلاق والحرية والفرقة:
ألا يباليت شعـبر يدي أتمـي
تصرف في عـنـان أو زمنـام
فقد سوى بين الخيل والأبل كـا ترى، ثم عول من بعد على الإبل، خلافا لما زعم
ابن رشيـق من إيثاره الخـيل:
وهل أرمـي حوـاى بـفراصـات
ملحالا المصـناود بـلالغـام
فـشنت في هادء صـدرى
سيـر أو فنـاة أو حسنـام
وخلاص الخـير من نسج الفـدام
وفـئارـقة الحبيب بــلا وداع ووداع.
وـهـبـت الـبـالـاد بــلا سـلام
يجوز أن يكون صراـدا بـالخـير معنى ما درج عليه من الكتـابة عن الممدوح
بالمجـدوب. ويجوزـ ولهـال تعال أعلمـ ـأن يكون له حبيب بـحلب فازـق بلـا وداعـ وقـله
بـلا سـلام، أـي خافـة مـبارا.
هـذا وـفي البائـة «أغـلـب فيك الشوق» ما يفـيد أنه ترك وراه أسرة وأهلـا:
أحن إلي أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب وأستبعد أن يكون يعني هؤلاء فمن زعم أنه أحبو أ مرة بينها بحبل من آل سيف الدولة فربا احتج بهذا البيت وهذا أيضا ما استبده. وعسى بعضه أن يكون مرضه إلى روح "رومنسية" عصرنا الحديث.

يقول في الطبيب أكلت شيئا وداعك في شرابك والطعام عاد إلى معنى "بنت الدهر" التي خاطبه قبل
وما في طبه أغى جواود أضر بجسمه طول الجام ولعل أبا الطبيب لو رأى عصرنا هذا الحديث أن يعجب لغلو الطاب الآن في كرابة طول الجام والسح والربابة البدنية وعجب من كره من يهرولون كل صباح من غير دواعي العجلة خوفا من أن يفاجئهم الموت إن لم يفعلوا ذلك.
وما في طبه أغى جواود أضر بجسمه طول الجام ويدخل من قتام في قتام فأمسك لا يطوال لن فرعى لا هدو في العلي ولا اللجم.

لعل ابن رشاق أن يقول - لو أمكنه ذلك - إنما بدل على إيثار أبي الطيب الخليل تشبه نفسه بالجواود ها هنا ولم يشبهه بكر أو فتيه. ويدع على مثل هذا أن التشبيه بالجواود في باب هذا المعنى الذي قصد إليه أصحاب.

وإذ قد وضحت لأبي الطيب أسباب علته وسقمه فإن ذلك أول سبيل الشفاء:

فإن أمراض فا مرض إصطاري سماست محسن الحام إلى الحام
وإن أحرم فيا لم اعتزماني وإن أسلم فيها أبقى ولكن

الأمل كالأمل في البيت الأول. ومع الأمل انتفاضة العزم والتصميم. ولكن البيت الثاني فيه التأمل ومع التأمل أنى واستشعار مأساة الموت - وقد صدق ما سلم من حام الحام إلا إلى حام مقتله بدير العقول:

تتمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كأري تحت الجرام
ومعني تشبهه الموت بالنوم ما يدور في الشعر - مقال شكسبير على لسان هاملت

(3-س 1 - س 53 - 81)
To die: to sleep
No more; and by a sleep, to say we end

The heart ache....

"إننا الموت كالنوم ليس غير، أليس النوم نتهي أوجاع القلب."
لا يلى من شبه يقول أي الطيب ها هنا، وكذرة التشاغب فيها نوع من الدلالة على أخذ
المتأخر من المتقدم
تستع من سمثاد أو رققاد ولا تأمل كرى تحت الرغام
أي القبر
فإن الثلاث الخلاين معنى سويا معنى انتبه كاهل والمنام
وكونه مختلفة عن المنام هو ما أراده الشاعر الإنجليزي شكسبير بقوله: 45-1-65

To sleep: perchance to dream: ay, there's the rub

"منام وبرها أحلام، أمر ما هنالك."
ومع أن مثل هذه المعاني مشتركت بين البشر، مع ذلك لا شك في أن شكسبير بلغه من
علم أدب العربية في شعرها ونشرها وفي شعر أبي الطيب خاصة ما وصل منه كثيرا من
ماسائه أو أخذه أخذها.
قول أبي الطيب: "فإن لثلث الخلاين معنى، ليس منسآه من فلسفة قلب زنديق أو
نزعة إجاد، ولكنه من باب القنظة والحكمه والتأمل والوعظ الخشنة مع ما يلبسه من
حزن الشك العميق. فقل هذه من قبيل النزغ الذي نزل فيه قول الله تعالى: "وإما
ينزغش من الشيطان نزغ فاستعد بالميطت إله سميع علم"

وقد جاء أبو الطيب بهذا المعنى الموجز جدا هنما أكثر تفصيلاً في قوله:
"خالق الناس حتى لا اتفاق مم إلا على شجاع والخليفة في الشجاع"
أي الهلالك

وقيل تذكر جسم الموت في العطب
أقامه الفكر بين العجز والتعب
ومن تفكك في الدنيا وغايته
وفي هذه الخاتمة أنسب للرثاء. وقوله:

- 442 -
 sağlam صالح الحالين معنى
فإن لشمس في كلامه: ( هاملت ۳ - ۱ س۶۷-۶۲)

Who would fardels bear,
To grunt and sweat under a weary life,
But that the dread of something after death,
The undiscover'd country from whose bourn
No traveller returns, puzzles the will,
And makes us rather bear those ills we have
Than fly to others that we know not of?

من كان سيتحمل الأعباء
ويمر ويعبر تحت نصب العيش
لولا الخوف من شيء يكون بعد الموت
الدار التي لم تكتشف ولا من حدودها
عند مسافر، هي التي تتيح الإراده
وتجعلنا نؤثر ما عدننا من شور.
على أن نفر إلى شور أخر لا نعلم أمرها.
ولا يخفي أن نظام الشعر الإنجليزي المرسل أدنى بإطالة إلى نشر رسائل والمقامات منه
إلى طريقة إيقاع جزالة شعر العرب----و بهذا المعنى قد ذكرنا كمرات من قبل ، وعلى الله
قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء هلداكم أجمعين
فصل ملحق بما يقع من تشابه أشكال القصائد
سبق الحديث عن الرثاء وعن الولوجابا . ولب قائل فلم لا نجد لذلك من مثال بين
السق الطوال والعشر الطوال . وقد يجاب عن هذا بأن العرب اكتفت في هذا الباب بإلا
اشتهر من المراثي مثل كليات الخنساء وجنوب وأعشى باهله وأوس بن حجر
ومتمم . وفي الولوجابا بمتأثر ما جاء من ذلك في شعر ذي الأصباع وعبدا بن الطيب
والحياة عبد قيس بن خفاف الريحاني .
ومع ذلك يحسن أن نبيه هنالك على أن المعلقات قد جاءت فيهن أيات من غرض الرثاء

(1) انظر حديثنا عنه من قبل والله شاباً أيضاً
ومن غرض الوصايا أو مدنية لذلك.

في معلقة فترته ذكر الموت ومعاني الرثاء مصرا، بيت في قوله:

إذا مت فانتعيني بها أنا أدلها
ول لا تتعلَّم من كلامي ليس نهه
بديل عن الجيل سريع إلى الحنى
وله كا تعلم أيَّات في الموت تجرى مجرى عوزات الرثاء

كثير غُلٌّي في البطالة مفسد
صفائح صم من صفح متضاد
stile مال الفاحش المشدّد
ما تنقش الأيام والدهر ينفد
لكالطبول المره وثنياً باليد

أري قبر نحاشام بخيل بالله
تضر جسمين من ضراب عليها
أري الموت بتعام الكرام وبصفي
أري العيش كنا ناقصاً كل ليلة
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

وفي كلمة عبيد عوزات تجرى هذا المجري، وقد ختمها بفترات العقاب الثعلب ومع أن هذا جاء به على مذهب الشعراء في تشييع فرسه بالعاقب، روجه في جملتها روح حزن، إذ إنها جاء به في معرض الذكرى وتوjis دنو الموت.

وكلمة زهير تجرى موضع الحكمة منها تجرى الوصايا. وليست قذاف. في قولنا هذا أن جعلنا الوصايا في جملتها باباً من فعَّاد الموت، وليس ذلك الأصل، إذ الوصية أكثر ما تكون عند الموت. ثم جرت الأسفار وما أشبه من أحوال المفارقة مجرى الموت. ثم صارت الوصية من باب الحكمة ومن باب النصيحة وكأنها أمر مستقل بنفسه. وقد جعل أبو تمام وصية يزيد بن الحكم الكلابي:

بابدر والأشبال يضروها لذي الله الحكيم

في باب الأدب وهو الثالث في ترتيب أبواب كتاب الحياصة.

والحق أن قول زهير

وذيينان هل أقسمتم كل مقسم
ليخفي ولما يكتب الله يعلم
ليوم الحساب أو يعجل فيقم
وما هو عنها بالحديث المرم

لا أبلغ الأحلاف عن رسالة
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخير
وما الحرب إلا ما علمت وذاقتمو

- 444 -
إنهَا هو وصية وإن يك قد سياها رسالة.
وقد ذكر عترة الوصية في قوله:
ولقد حفظت وصية على بالضحك.
إذ تقلص الشفتان عن وضع الفم.
والحرب فيها مقاربة الموت.
و ما يملأ على ملاسسة الموت للوصية قوله تعالى: (وصي بها إبراهيم بنه
ويعقوب يأ بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنت
شهداء إذ حضر يعقوب الموت ...) وقال تعالى: (كتب عليك إذا حضر أحدكم
الموت إن ترك خيرا للوسيلة للوالدين والأقربين بالمعروف ...) وقال تعالى: (وإذ قال
لقيان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله الآيات، وعند الوالد أنه أدني إلى الموت من
ابنه. وقوله تعالى: (وصيكم الله في أولادكم ...) والله حي لا إموت ولكن أمر
الفروض ملابس الموت والعبيرات، وكذلك أمر الإنسان كله عند الله عز وجل:
ووصينا الإنسان بالذريء إحسانا أو ظلما (قراءتان) (ذلك وصاكم به لحكم
تعقلون ... لحكم تذكرون (بتشفيد النذال وتحفيزها) لحكم تتقون ... آيات
الأعمال.
أدب النصايب في العربية كثير. يوصي الآباء الأبناء، وساعدة القوى عشائرهم
والأنهات بناتهم وكذلك الآباء. وفي كتاب الأعمال من ذلك أمثلة جيدا، والتأمل
المسرحيات شكسيرف واجد فيها وصايتة كثيرة، مثل وصية بولينيس لأخيل (تولايس
وكريسيدا 1-3-4) ود. وصية بولونيوس لابنه (1-3-5-7-81) ... وهذه الوصية من مشهور كلامه وما يختار ويفحظ وفيها
مشابه صريحة من بعض ما جاء في كلمة عبد قيس بن خضاف البرجوي وهي في
المفاضبات وأوردها صاحب اللسان كاملة وأحسب أن حبيبلا لم يوردها في حاسمه
لشورتها إذ ليس يتفق عن مثله مكانها:
أجيل إن أباك كارب بومه فإن دعت إلى المكارم فأعجل.
كارب بومه أي دنا، وهذا سبب الوصية. وقال بولونيوس كارب حجاب الملك ومن وزرائه يعظ ابنه ويوصيه وهو يودعه ما معتنه ماذهب مع
مبارك له وهذه الكفاح القليل من وصيتي خطهن في قلب خطأ (انظر هاملت
الفصل الأول المنظر الثالث).
وصيتك إيهام أمري، لك ناصح طين برب الدهر غير مغفل.
فهذا ونحوه مما يقع في كثير من كلام أهل الحكم عند وصيهم البنين ومن

- 445 -
بمنزلتهم من بعدهم أمه. وقول بولونيوس الذي قر بنا تعريه آنفاً

... There my blessing with thee!
And these few precepts in thee:
Look thou character.

وذا حلفت مبارية فتحمل
ذلك ولتاه لعنة للنصير
بميت ليتـه وإن لم يسأل

والضيف أوكرمه فإن ميتـه
واعلم بأن الضيف غير أهلـه

وهذا من صميم أدب العرب، أعني قرى الضيف وميته.

كـيلا يـروك من اللسـام العـزل
والวงศ حبال الخائن المتـبدل

وقد كشف ما تضمته هذـان البيتان من ثمين المعاني صالح بن عبدالقدوس حيث

قال في موضع من بائته الطويلة الزينية:

إن الكـذوب يـسين حـرا يصحـب
تعديـ كـي يـعدي الصـحيح الأجرب
مثل الـرجاجة كـي لا يـشـب
فـاللهـد بـاق في الأصدور مغـب
ويروـغ منك كـي يـروع الثعلـب

وقـل أبو الطـيب:
لا يندهنـك من العـدو دمعـه
لا يسلم الشرف فيـن الأذى
يؤذي القليل من اللـسـام بطبعه

أي أذا للنعد الكثير على مقدار عظم لؤمه وجسامة خسامة قدروه وقلته. أي
كلما كان أقل والأم كان أذا أكثر وأشد.

الظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذاعفـة فـعلـة لا يظلـم

- ٤٤٦ -
فهذا جار مجرى النصيحة والوصية، وقال البرجى، وإن ذكرنا أبيات أبي الطيب:
هذه لما فيها من معنى الصداقة، وتناول أبي الطيب له كثير:
واترك على السوء لا تحمل به، وإذا نسي بك منزل فتحول.
أفراحتها كمن لم يرحل.
فكيف إذ ضرب الهوان بجارانه في كل دار. قال تعالى جل من قال:
"إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا".
وقال عبد القيس:
وإذا همت بأمر خير فافعل، وإذا همت بأمر شر فاتتد.
قال الضبي - أي أبو عكرمة - هذا مأخوذ من قول لبيد:
واکذب النفس إذا حذدتها، إن صدقت النفس بزري بالألم،
غير أن لا تستذنبها في النقي، واخزها بالبر لله الأجل.
قال الشارح: واخذها يعني صحبتهة يقال قد خزاه الله يمزوه، قال الشاعر:
"ولا أنت ديان فتخزوني" - قلت يجوز أن يكون الضبي قال ما قال يريد به بعض
المشابه، وإلا فعبد قيس بن خفاف البرجى من معاصرى نابغة بني ذبيان وحاتم طي
ولبيد بعد زمانها، إلا أن يقال قد طال عمر لبيد، وليس ذلك بدافع ما تقدم.
وقال شكسبير على لسان بولونيوس بعد الفائقة التي مضى ذكرها:
Give thy thoughts no tongue
Nor any unproportion'd thought his act
Be thou familiar; but by no means vulgar;
The friends thou hast and their adoption tried
Grapple them to thy soul with hoops of steel;
But do not dull thy palm with entertainment
Of each new - hatch'd; unsledg'd comrade. Beware,
Of entrance to quarrel, but being in
Bear'd that th' opposed may beware of thee.
Give every man thy ear, but few thy voice;
Take each man's censure, but reserve thy judgement.
ترجمة تقريبية

لا تعط آراءك لسماحهم
ولا رأيك غير محص فعلي
عليك بالalnumة، ولكن إسمك والابتعاد
اصعدواءك السدرين بلسروت مسودتهم
نظهم إلى نفسك بأطراف من حلمي دم
ولكن لا تكلن راحتك بانتسطرها.
كل حديث انفلاقات الصحبة عنه أعز واحيذر
السدنع في السر ولكن متي كنت فيـه
فـتات لمـه لـه، لعل الخصم يشيـك
أعط كل أمرء سمعك، وقبلـلا منهم صـوتكم
ـد من كل حديث خلاصته، واحفظ بحكمك.

لعل القارئ أحس شيئاً بين قول بولونيوس شكسبير (لا رأياً محصاً فعله) وما مر
من كلام عبد قيس (فإذا همت بأمر شر فانتئ) وانظر بعد قوله:
وإذا أنتك من العـدود قـاوارص
فاقتصر كـذاك ولا تقل لـه أفعل
فهذا مشبه لقوله واحذر الدخول في الشر
وإذا افتقرت فـلا تكن متخـشـا
ترجو الفواضل عند غير المفضل
صاحب شكسبير ينهى ابنه أن يسلف أو أن يستدين في قول له مـن بعد

* Neither a borrower, nor a lender be

* لا تكن آخذ دين ولا مسلمه*

وكلام عبد قيس ذو عموم وكلام بولونيوس أشبه بطبيعه الطبقة التي منها هو وابنه على
زمان شكسبير.

وإذا لقيت القـوم فـاضرب فيهم
حتى يروك طلاء أجرد مهمل
هذا أشبه بقول صاحب شكسبير (ولكن متي كنت فيه قاتب لعل الخصم يخشـك)
وإذا ت لكم ما أعنيك ربك بالغني
وإذا تصب خصاصة فتجمل

٤٤٨
أي استغن عن الناس إذا اغتنيت من غير تضيع غير للحقوق. وهذا البيت غير جد بعيد عن معنى النهي عن التسليف وعن الدين واستأنا حلمك في آمركم كلهما وإذا عزمت على الهمي تفوكل وهذا مقارب لما نصح به بولونيوس من الإصغاء وتأجيل الحكم حتى يتبين أمره.

أمراً فاعمد للإعف الأجمل وإذا قلت الباهشين إلى الندى فأعتموا ويسوا بهـا وعلى مدرع في منزله و إذا هم نزلوا بضنك فانزل وهذا من آداب مجتمع العرب. وفي كلمة شكسبير لما لم نذكره ما يقابله من آداب مجتمع الأرتغالي من هيئة الزي وإظهار يتار الحالة من غير تهاب بذلك.

هذا وليس الأب من إبراز كلمة عبد قيس وما استشهدنا به من كلام شكسبير المواجهة في باب الأخذ والسرقات والتوريد وما يجري هذا المجري من تشابه ألوان البيان وعواطفه.

إن كان ذلك ما لا يخرج عن أربنا كل الخروج. ولكننا إذ نحن بضرب الحديث عن أشكال القصيدة أردنا أن نسأل، هل لنا ؛ أن بعد كلام شكسبير على لسان بولونيوس.

هذا قطعة شعر غنائي؟ وظهر أن الجواب نفي إذ هذه قطعة من مسرحية معروفة.

أنسخ كلام بولونيوس هذا من حيث هو نصية وخطاب حكيم مختلف عن سنغ كلام عبد قيس، وما استشهدنا به من كلام صالح بن عبد القدوس وأبي الطبب؟ فلماذا بعد كلام هؤلاء غنائي؟

الفرق في طريقة التناول. الشاعر العربي مكافحة لا يعجب حجاب.

وقد وضحنا القول وفصلنا من قبل أن هذه المكافحة ليست باللغاء (بمعنى التقديم الإستقلاحي الأرتغالي) ولا ينبغي لنا أن بلى أن أحرم أثراً بأمره. الأدب الأرتغالي والرومي واليوناني من قبل كل أولئك يستثمر مستواهم وراء المسرحية وثورة المحلية فلا يكافح مكافحة صارمة وقوفه غنائي (البري ي بالمعلمي الإستقلاحي) لا يعنى به الغناء والتزمن وما هو من هذا الباب من موسيقا. فهذا أبداً ملامح للشعر. وقد كانت مسرحيات يونان فيها ذكر تصبحها الموسيقا والغناء. ومسرحيات شكسبير فيها الخطاب والأسلوب والمرسال المزدوج والقطع الرنانة الوزن من الأغاني. الشعر - كما قال سبيوبيه - وضع
لفناء والترنمن. وهو كما قال الفارابي رئيس الهيئة الموسيقية. من أجل ذلك الشعر موزن. والقياسية عنا نازن طرف.

والإيقاع والبيان وضرب الأشكال كل ذلك مذاهب وأداة والله أعلم وهو الموقف للصراب.

أسلوب المقالة: مهدهم أولاً.

نه الدكتور طه حسين رحمه الله في من حديث الشعر والنثر إلى أثر الشعر على الكتاب. كما قد نبه على أثر أساليب الشعراء من قبل على أساليب الكتابة، حتى صارت كثير من الأغراض التي إنها كانت لشعرية تتناول الكتاب. وقد عرضنا جوانب من هذا كله في معرض الحديث عن الرومي.

وقل ذكرنا أن ابن الرومي قد اتبع في الذي صنعه مذاهب أبي تمام كا اتبع أساليب أهل ضروب البيان من كتاب وخطبة من قبل. وقد ذكرنا أن أشارا أبا المحدنين قد كان خطيا متكلا كما كان شاعراً وراجزاً.

والقابري، أصلح الله، يذكر ما قلت عن أطرار قصيدة المدح وما أشبهها كيف ما كسبت تأثر الشعراء في مسائل من النظام كالنقامات والألفاظ والروضات الزيتية الزخارف، حتى نضبت قصيدة المدح النبوي فكانت هي سيدة مجال الشعر إلى أن أحدثت بها غواصات العصر الحديث من تفوق أروبا الخبر واستعراضها.

ثم جاء رواد النهضة فانصرفوا بها أفاضوه إلى أوزان المداح النبوي إلى نظم جديد نظروا فيه إلى أحوال دنياهم، وجعلوا له نزيل من الشعر القديم يجريها على أساليب بلاغته وبيانه. وكان أبو الطيب المتنى رأس ما حذوا عليه أولئك ظاهر في شعر الطهاوي. ثم صبر من بعد إلى الحذو على غيره: أبي تمام، وأبي عبادة والقديمة من اسلاميين وجاهليين:

كانت المعلقات حينا من النذر لا تدرس ولا تحتفظ لأنها شعر يمر بالقلب ولكن لأنها من متنو العلوم، شأنا في ذلك شأن ألقيفة ابن مالك من حيث رفعا المنزلة العلمية.

وقل أخذت البُردة والهرمية وبانت سعاد بهذا الضرب من الريفة أيضا. إلا أن ثلاثين كان له من ذلك حظ تغَيِّي المداح بين والذاكرين، فقد بهذا في باب ما يراد له الشعر من تحريك القلب أدخل.

كانت ديناجة الشعراء الذين انحرفوا بالقصص المؤثر الملفح من طريقه في المدح النبوي إلى طريق دنيوي، أول الأمر ضعيفة، ثم جعلت تداخلها المانعة. وكان من أسباب ذلك النظر المتذوق للشعر القديم. وقد سبق أن ذكرنا ما كان للشاطئ العلماء
قال الدكتور محمد صبري السورعي رحمه الله في كتاب له اسمه: "أدب وتاريخ" (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1972، ص 19): "نشأ البارودي في بيت معد مؤنث، هو ابن حسن بيك حسني الذي كان من أمراء المدفعية. ثم صار مديرا للنقلة ووبرع على عهد محمد علي باشا، ابن عبدالله بيك الجركسي يتهي نسبه إلى المقام السيفي نوروز الأبكيي أخو برسباي قرا المحمدي، والترك والجركسي هم آخر طبقة من الغرباء ونفدوا إلى مصر وتذكرها وتنالوا فيها فأصبحوا مولد. رويا صاحب الهلال أن البارودي كان شديد الحرص على معرفة نسبه وأنه..."
بذلك نحو 3000 جنيه في سبيل البحث عنه في أنحاء القطر ومراعاة النصوص وغير ذلك. ولد صاحب الترجمة بسراي باب الخلق للثلاث بعين من رجب سنة 1355 هجرية وفي سنة 1224 ه. توفي والده بنائحة دنقلة وكان عمره إذ ذاك سبع سنوات وفي ذلك يقول ما ناهز العشرين:

لافراض اليوم پمجيم السرح بالواذي
مات الذي ترهب الأفقر صوته
مضى وخلفني في سن سبع عشرة
فهناك اليوم فرد بين أصداد

هذا الشعر كا تراه متن معكم النسج نظمته في سن صغيرة، فا شهد هذه القوة التي تجلت قبل الأوان في عمر مقتصر من الشعر الجيد؟ أهو في تربته القومي أم في طبعه واستعداده.

شاعرعمومي سامي في سن الثامنة يتلقى مبادئ العلم على استادته كانت تختر في منزل ودخل سنة 1267 ه آي في سن الثانية عشرة مدارس الحربية وخرج منها بجود
باشراعي سنة 1271 في أوائل توالي سعيد باشا، وكان عمره إذ ذاك سنت عشرين سنة وقيل أنه كان يتعاطى صناعة الشعر في أثناء دراسته. أما تربته الأدبية فليك ما
قاله عنه الشيخ حسين المرفي في الوسيلة الأدبية وكان من أعراف الناس به: "عمومي سامي البارودي، لم يقرأ كتابا في من فنون العربية غير أنه لم يبلغ سن التعقل وجد في طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض
الدوازين، أو يقرأ وهو يحفظه حتى تصويره في يد سيرة هيئة التراكيب العربية
فصار يقرأ ولا يكاد يلحن... ثم استقل قراءة دوازين مشاهير الشعراء من العرب
وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستنبط جميع معانيها ناقحا شريها من
خيبسها ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالآمراء. 14. هـ. قال ابن العلاء المعري في
رسالة الغفرون بمعرض الحديث عن بيت لبيد:

تركك أمكنى إذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفس حامها
على لسان ابن القارئ يسأل لبيد: 5 هل أردت بعض معي؟ فأقول لبيد: كلا
إني أردت نفس. وهنا كأقول للرجل إذا ذهب مالك أعطاك بعض الناس مالا
وأنت تعي نفسك في الحقيقة وظاهرة الكلام وقع على كل إنسان وعلى كل فرد تكون

-402-
بعضًا من الناس. (ص 2/16 من تحقيق ابنة الشاشيإ، مصر، دار المعارف 1952 م).

مقال المصنف الذي نقله السوربوني،(1) رحمه الله في بعض من له دراسة وما أرى المصنف أراد غير نفسه. ولنعم كان حظه من التوجيه إن كان صاحب الوسيلة قد تولى جanela من ذلك من أمره.

قال السوربوني (ص 27 من أدب وتاريخ): لم يكن عصره يساعد على تكوين ملكة البلاغة لأن حامل وزو شعر إذ ذاك محمود صفرت الساعاتي الذي أعقب الدرويش حديثي المرحوم حفني بك نافص مرة أن أجو قد صيدة نظمت في عهد محمد علي هي القصيدة التي مطلوبة:

يا آل طه علّيكم حملتي حسبت إن الضعيف على الأجواد عمول والتي ما زال إلى اليوم بعض سكان الريف يحفظونها، وكان الليثي والتجاري والأباري والتديم ورفعة وأبو النصر وغيرهم من معاصرى الساعاتي مولعين بالدبيع عدوين مثل البيضاء زهير وابن خفاجة وغيرهما من التأخرى الذين ليسوا من حلبة هذا الميدان. أما فيما يتعلق بالوراثة فقد قال البارودى:

أننى في الشعر عريق إن أثبت عن كلامية
كأنى إبراهيم خنالي يطلب الاسم فنظامه
وسة جمالية على
لا أظن أن خال البارودى كان شاعرا يمتاز عن أهل عصره، ولكن لعل البارودى وجد فيه مشجعا على قول الشعر كا وجد في المعالى التي يعكرها، وفي معاهدة العصر والشباب التي درج فيها. ولكن هذا لا يكفي لأن يبرز شاعر غض الإهاب على معاصره، ثم يجري عليه غاربه حتى يلتحي بفصول المتقدمين قبل أن يطير برد الشباب. إذ كان سر قوة هذا الشاعر في طبعه، وكانت في قراءة نفسه عن كلمة ما

(1) لنسبه السوربوني، في نص نسخة الكتاب إلى مؤلفه، ولكن بعد اسمة الحائز للكتوره الإبداعية في الآداب من السوربون، استاذ التاريخ الحديث بدار العلوم 15.��. قلت لي قدمه الله بإسكندرية في مؤتمر ذكرى حافظ إبراهيم سنة 1957 في شهر يوليو، وغير قال إليه الله كأبي وكان مماقال له السوربون. ورويتها في بعض ماكتب أمه الشروخ وخزري الدكتور مكي شبية رحمه الله وكان له معاصرًا أن هذه النسخة كانت نمجه كما كان يقال لأهل العلم الأمري كان رحمه الله، ذي الحبيبة، طيب الحديث حقيق مفيد. ولقد كان لفظيًا كبدًا ومن ثم الله الذي لا تكفر، رحمه الله الرحمن الرحيم الوعاس. 453
لبيت أن وجدت منفذاً ضئيلاً فتفجرت بالسحر البديل ولم ينضب روي الأسناذ
خليل مطران في فصل رايع: فقد تعاونت يليهما بدبالة الود فسأله أية حال من أحوال
حياتها كنت فيها أميل إلى الشعر وأكثر استغاثته به، فاجابني أن خطرات الشعر
صحيحتي في أيامي كلها لم تفارقني إلا في أقلها 11. 1.

قلت، ليت شعري هل حسب مطران البارودي صناعاً مثلاً؟ إذن لكان أجابه،
أخذنا من كلام ابن قتيبة، يوم شرب الدواء، ويومنا المتلف. وصدق مطران لقد تسامح
بأبي داله حين سأل: وصدق البارودي في الجراح، وكان صدوقاً.

قووتم البارودي نسبة إلى محلة بمصر يقال لها أيتآيا البارود، إحدى بلاد مديرية
البحيرة، ذلك أن أحد أجداد الأمير مصطفى البارودي بن يوسف شاوش كان ملزما
لها، وكان كل ملزوم ينسب في ذلك العهد إلى التزرمه ـ كما في مقدمة ديوانه بقلم محمد
حسن هيكيل باشا (طبيعة دار المعارف 1391 ـ 1971 م ص 6).

بلغني أن كتابا صدر رسالة في إحدى جامعات مصر، عن نشأة البارودي فلعله يضيء
لنا بعض السبل عن أواخ تعلمه، فإن في النفس شيئاً من أن يكون بدأ التعليم بعد
موت أبيه كأ هو أول ما يتدارد من ظاهر ترجمة السوروني رحمه الله. وكا في مقدمة
الديوان (ص 1) حيث قال: مات أبيه بدقة وهو في السابعة من عمره فكفله بعض
أهله ومضموه إليه وقدم تلقى في بئتهم دراسته الأولى من الشامنة إلى الثانية عشرة من
العمر ثم التحق بالمدرسة الحربية 1 ـ قلت بعيد جداً أن يكون أباه وهو مدير دقنها
وبربر ومن بيت فضل وسراوة عريق أن يفتعل عن قرأان ابته في السن التي يؤخذ فيها
التلغر بذلك. لعلهم حين يبلغون السابعة ـ وذلك حين يؤمنون بالصلاة ويبرون
عليها ـ يكونون قد حفظوا من الفصل قدراً صاحباً. وقد كانت في دقنلة وببربر
خلاوي (أي كاتب) قرن.

وكان في ببربر فقهاء على المذهب الشافعي وهو مذهب أهل مصر الغالب، وقرأ لهم
علم بالتجويد من طريق الشاطبية وغيرها. فما بعد أن يكون أباه وقد كان حاكماً قادراً
على ذلك، يستطيع منهم إلى داره، أو يبعث بابنه إلى بعضهم في الخلوة مع خادم
جبرت. وهذا الوجه أقرب وأشبه ببداية أحوال تلك البلاد وذلك الزمان. منها يكن من الأمر، فإنه بعد كل البعد أن يكون أباه أهلاً لا يقرأ ولا يكتب حتى السابعة.
ورواية السوروي التي روى عن حفني نصف رحة الله عليها تفيد مثل ما قدمناه من غلبة المديح النبوي على الشعر إذ واضح أن:

"يا آل طه عليك حلمتي حسب إن الضعيف على الأجواد عمول مدحة نبوية على روي بانت سعاد وبهرها. وبجارة البارودي للبردة منبهة بساعته لما، ويكون ذلك منذ أيام الصبا إذ كانت هي المدحة الكبرى المعروفة في جميع أفاق الإسلام. وبردته كأ قدمنا دون شعره. وله جمعة نبوية يشرب نصع الدباجة فيها شربة تكدره شيئاً من أساليب الشعر التي لا تأتي روحانية التعب والتسلل. وهذا ما حذرته منه الباوية رحمها الله. ونظم البارودي المديح النبوي منىء عن تأثره به في زمان باكر. أول الجماع التي أشرنا إليها:"

"يا صام اللحظ من أعراك بالمهج حتى فنكت بها ظلالاً بلا حرج. وما قال في نسيبها:

أبيت أرى نجوم الليل في ظلم كأن أنجمض ولج معتكفر. وهذا ما يقع تحت طائلة نقد الباوية. ثم هذا كان قد استند كل البعد عن القصد بمقدمة إلى المديح النبوي إذ أخذ في بعض مسلك هياج صناعة الشعراء:

ليل غيامه حري وانجمض، حسري وساعاته في الطول كالحجيل. كأنها الصبح خاف الليل حين رأى ظلاته ذات أساساً لائم. فلم يلبج وهذا يذكر بعض أضرب تعب المتنبي - وما أشبه أن يكون نظر في قوله كأنه الصبح إلخ إلى قول أبي الطيب كان الصبح يطردها وليس ما تعبد أبواطبه فيه. ولكن من أمثلة تعب رحمه الله:

فليت من لامني لا تت شكيمته فكعى فضول المنطق السمنج"
ما أحسب البارودي كان يقدم على استعمال السماح لولا ما أنسه بها أبو تمام في
 قوله: (سماحة غنيت البيت) ونحو ذلك.
 يظن بي سفهًا أن على سرف ولا كاد بير ما فيه من عوج فاللموم في الحب معدود من الهوج
 فأعدل عن اللوم إن كنت امرأ فتنة
 في قوله (الوجه) عناء ما. وقد اتبع سبيل النواسي حيث قال:
 لأخطر العنف إن كنت امرأ حرجا
 فإن حظره بالدين إزراه
 ثم صار إلى خروج المدح النبوي.

هيهات يسلك لبر العمازلين إلى قلب بحب رسول الله متنزع
 هو النبي الذي لولا هديته لكان أعلم من في الأرض كالمحم
 وهذا مأخوذ من قول البوصيري وحذو عليه، أعني قوله:
 هو الحبيب الذي ترجي شفاعته
 لكل هوّل من الأحوال مقتحم.
 ولا يعجبني قوله (كالمحم) هننا على استقامة معناه ولا عجز البيت بأسره. تأمله:
 لكان أعلم من في الأرض كالمحم
 تجد منخفض الدرجة عن الديماية العالية. وأتي البارودي من متابعة بيت البوصيري
 المتقدم، وعجز ذلك قوي الارتباط بصدقه. وعجز بيت البارودي كأنه تعليق متمصم
 وهذا يجعل نفسا من أنفس الكلام العامي يوشك أن يفالها. فذلك ما يكون قد قصر
 به. ثم يقول رحم الله:

أنا الذي بيت من وجد بروضته أحن شوقا كتير البانة الهزج
 قوله: (أنا الذي) من أبي الطيب، وهو ظاهر. وقوله كتير البانة الهزج هل على أنه
 كان يغطي وهو ينظم من هذه الجميدة وينشد كإنشاد مدقع الرسول صلى الله عليه
 وسلم؟

وواليلي شعري إذ يشتك البارودي إلى الوضع السريفة ما هنا وجميع، هل كان في صباح
 الأول ابن ست سمع بديقلا أو بربر أو بسواكم إذ يصحب أباه فقرأ تلك البلاد
 ينحدرون المدائح ما كان قد ازدهرأها وخاصة في هذه الأقاليم التي ذكرنا هل سمع
 مثلًا:

-٤٥٩-
فقد طال شوقى يا أمي ملية
أشخاصها طورة وطوراً أنااظر
بمسجدها والفسوه باك وذاكر
تذكرت باختي ليالي ميتيما
ضياء له العقول شامراً وسامر
تشاهده أبصارنا والبصائر
وإن لها توراً إلى العرش سامطاً
صاحب هذه القصيدة نوفي قبل مولد البارودي بسيع سنين أو نحواً، وكان صبه قد طبق الأفاذ الفمادحة تنشد في الأقاليم التي ذكرناها كثيراً، وكان قد صنع للبجامة
بناحية سواكن مداوين بالعربية السهلة على ألغامها في صيد السمك فكانوا يشدونها،
واخذت عنهما فكتلاً بلا ريب تنشد في نواحي برو، والله تعالى أعلم.
كان البارودي مثفاً بثقافة الضباط، وكانت من أعلى ضروب الثقافة الحديثة التي
بُحُصِّل عليها في ذلك الزمان. ومع الثقافة الحربية كانت الإسارسة وأنه من طبيعة الجاه
والرياضة. ثم مع ذلك سعة الأفاظ العلم بالعربية القليل النظر، ثم من الله
عليه من تفتح أفواق النفس تجارب السفر. فأرُأي بلاد الإسلام بلاد الكفر أيضاً،
وقد صحب اسمه باشا الأخيدري الطروح وزار اسطنبول ورفعنه وانجلترا وحاذار
غازر السياسة وتولى أعباء الرؤية. ثم مع هذا كله وفوقه كان شاعراً. شاعرا فارساً
كريبة بن مكد وكمتيرة بن شداد وكعابر بن الطفن وعئبة بن الحارث بن شهاب
واجري القيس وفطيل الغنوي وعمرو بن كلوم جيماً، أم ليس هو القائل:
ولقد هبطت النبر يلمع نوحه
في كل وفاح الأميرة أغية
طابت مواردها وظل أجرد
بمضمار آرن كأن سراته

هذا من قول طفيل:
وجيزة فقهاً واستشرعت لون منبه
وكمنا مدامنة كان متوحنا

وأحصبه قد مر مع الكلمة التي هو منها في باب الأوصاف.
خلصت له اليمنى وعم ثلاثنة
منه البياض إلى وظيف أجرد
سبيلاً وخاض من الضحي في مورد
وكأنه انتهى الأصل رداء
هذا كقول الكلحية ويروى بعضه لسومة بن الخرش وكلاهما مفضلي:
تسلسله بنو جشم بن بكسر
أجمار العماراة أم يبيع
على ها الشيخ كالأسد الكليم
هي الفرس التي كسرت عليهم
أي هو الكليم أو نعت رد على الشيخ ولا إقىاء

- 457 -
إذا غضبهم عـبـادات عليهم
تـعـداد من قـوـائمها ثـلاث
كميت غير مـكـفـرـة ولكن
وأوله تقـصـير الصرف على بـه الأمين
وقد تصرف البارودي فجعل الأصلوم وورد الضحى مكان «غـير مـكـفـرـة إلـخ»؛ ونظر من
طرف خفي إلى قول أبي الطلب: "كأنه من الليل بات إلخ بيت البائدة\nرـفعا كـزمـمة الحبي المـرـعد
زيج يردد في الـلهـاة صـهـيلة
هـذا عجزه من بـيـت كـعـب:

من سـرو ضرب يسمع بعضٍـه
بـعضـا كـمـعـمـة الأـباة المـحرق
وـما خلا أوله من وحي من بـيـت طفـيل: «فإن يلق كـلـب بين لـهـيه ينـذـهـب، وقد ترـى
ذكره الـلـهـاة، فـهـي بـثـت هـأـتـه إـلـا لـشـحوه فـاـه، فـهـي فـوـل طفـيل.
مـتـلفـتـة عن جـلـانـبـهــه يـبـيـظـه
مرـح الصـبـا كـالـشـارـب المتغـرـد
يسـترـعـك كـميـسـد الرـذـهـة المتـنـورد
يـشـير إلى قـول طرـفة وـليـس هــذا بـخـذ ولا تـولـيد، لا سـرـقـة، ولكن تـلذـذ وترـن
وإذا أعـتـط لـه العـنـان، وـأـيـته
يـهـيـفه منــتـنـهـه إـلـى إـحـس بـنـأة
يـشـير لـه بـيـت كـعـب، وـالـحـوـي في الحذو الذي أشـرـن إـلـى من قـبـل لا هـنـا
صـلـب السـنابـك لأـيـمر بـجـلـمـد
في الشـد، إـلـى رـض فـيـه بـجـلـمـد
نـعـم العـتـداد إـلـى الشـفـهاء تـقـلـصت
هـذـا يـشـير به إلـى قـول عـنـتـة: "إذ تقـلـص الشـفـهـاء الـبيـت"
ولـقـد شـهـدت الحـرب بـين غـطـارـف
شـم العـمـات كـالـغـصـون المـيـد
هـنـا نـعـم عـنـتـة إـبـيـقـعه، و إـشـاـرة إلـى إـلـه. رـئة هـذـا الـبيـت مـثل رـنـة بـيـت عـنـتـة:
ولـقـد شـهـدت الـخـيل قـبـل طرـادها
بـسـلـم أوـظـفـة الـقـوـائم هـيـكـل
وأوله كـأول قـوـل: "ولـقـد شـهـدت من المـدـامة الـبيـت"، وـفي أـبيات البارودي من قـبل: "ولـقـد
شـهـدت الحـرب في إـبـيانـه، و سـائر الـبيـت مـن قـبـل حـسن: "ظلـم الأـنفـوـم من الـطراز
الـأـلـلـيأر"،

- 468 -
لعبا يروح الجد فيه ويغتدي
فكلهم كالرموص مصقل ندى
قمر توسط جنح ليل أسود

هنا شريكان من أدب كنوس ضابط الحربية العصرية الأروبية بعض السمت،
ومن أدب "يَا شرته" و"إذا صحت" و"مفتية كسيف الهند" ذلك قد يستفاد من
قوله: "يروح الجد فيه ويغتدي". وفي قوله، "لا يتفون، رئة من إيقاع، لا يستيقون
منها وهي راهنة". وقاله: "ما أمر الهوى، يوقف عنه شيئاً كائن في المجلس نساء أم
هي أنفاس نواسية أم معاذ الله يل لا يعدو أن يكون أراد الغناء من عود ونحوه، فهذا
الذي يأمر به الورى في مثل هذا المجلس. وقوله: "من كل وضح، بحري الصباقة
والرئة - قال أبو عبادة:

قمرا يغير على الرجال بكوكب

وبراه في ظلم الوعي فتخاله

ثم صار بعد مجلس الشراب إلى ذكر مغامرة الغرام، والقصيدة شبه مختصرة.
بداها بخلط ذكر الهم بالرجل من الأحباب وشكو الصباقة وهو قوله:

حيران يكَنَّا مستنير الفرقة
ظلن الظلال فبات غير موسم
تلوى به الذكرات حتى إنه
طروا يهم بأن يعزل بنفسه
سرف ونُوارت يميل على اليد
وكانها افترست بطائر حمته
مشمولة أو سنا سام السود
كالوا غدا يوم الرجل ومن هم
خوف الفراق أن أعيش إلى غد
معمومة إينم؟ مثت فكان قد

هنا تروض الملكة القوية سبب فض مكنون قلب الشاعر إلى ما يرومه من أغرار
البيان الجهر على نمط القصيدة العربية الأصيلة - هنا التابع، يصح صدى إيقاعه في
"غير موسم" "أبدى العرد" "يملس على اليد" "فدا يوم الرجل" - وتحس عنترة في "طرا
يهم" [تذكر طروا مجرد للطعمان] - وتحس نغم الحسابي في "وكانها افترست" ذلك قول
سلمي بن ربيعة

- ٤٥٩ -
وكان في العينين حب قرفل
أو سبلا كحلت به فانبلت
وقوله: "وكان قد" ، نابغي. والمطلع كلله بعضا نابغي وبعضا كالأسود بن يعفر.
ثم إذ مهد سبيل النسيب صار إليه:
يأهل ذا البيت المريفي منياره
أدعوكم بقوم دعوة مقصد
إلى فقدهت اليوم بين يديكم
على أمانتي
أو فاستضيقوني ببعض قيامكم
حتى تسرد إلى نفسي أو تسرى
قول البائوري "يأهل ذا البيت". يشعروننا أنه إزاء المودع. ولا سبيل إليه إلا

بحديث العيون:

بل يا آخا السيف الطويل نجده
إنه لم لم تم النزيل فأغمد
جعل نفسه ضيفا على حي الهبوية ولكن فارس الحي لا يستطيع حمايته من تلك
عيون حسانه، وما هو هواله قد أجمعوا أمرهم للرحيل وارتحوا فقدها عندهن.
هذى لحاظ الغيد بين شعبكم
فكت بناء خلصا في بغير مهند
من كل نعمة الصبا بدؤية.
ريا الشباب سليمة المتجد
ما أرى إلا أن هاها خطا في الطبع أو قراءة من قرأ من خط البارودي، وما أشبه
أن يكون عجز البيت "ريا الشباب سليمة المتجد" أيا لو قد سبب متجردها لألفيت
ريا الشباب. أما سليمة المتجد فضيعه لا تشته أسر القصيده ونغم جزائها. فإن
تكون هي الصوارب، ظرب كبوة من جواد. وإن تكون هي التي قاها البارودي في جزتها
إلى إلا إشعارا بأنه محضري حيث جعلها بدويه، ثم أتبع ذلك ما عند الحضر من توح
سلامة الجسم وصحته في البادية - وللملعن على هذا التأويل بسوع ولكنه يفقده رئة قوة
أسرة. إذ الديني حقًا هو شاعرا لا هذه التي زعمها بدويه. وسليمة في الباء الوحدة
التحية ليست قد بها المعني - وباؤها أشد ملاءمة مما من قبل من الباءات - والله أعلم
هيئة إن خطرت سبت وإذا رنت
سلمت فؤاد العابد المتشدد

سلمت هاها يقود ما زعمنا من "سليمة" قبل وتكون حالا منصوله.
ثم يبنى شيء كالتكصير، أوله نظر في أمر النساء فيه مشابه من مقال علامة
حيث قال: "فإن نسألوني بالنساء ..". ثم بعد ذلك تعود بفرصيته ويتكون ذلك
كالنطاق والتوسيح يصلى به إلى تذكر الخيل والشراب والغمامة الغرامية. وفي هذه
الدالية بعد، لبدتها بالليل، ثم جعل بداية الذكريات اغتضاء بالدرس، كالخدو على
نموذج من دالية الأسود بن يعفر "نام الخلي وما أحس رقادي" وقد بينا من قبل أن هذه الدالية تسارية المعلقة من عند ذكر الليل إلى نهايةه أو قريب من ذلك. قال البارودي:

"يُفضَّن من أبصارهن خُنّالاً
للنفس فعل القاتنات العبد
فَعَلِ القاتنات العبد، يشير إلى قوله تعالى: وَقَالَ لِلَّمِينِ مَنِلتَهُمْ، وَقَولَهُ: يُفضَّن من أبصارهن في صياغتهندورى إيقاعه نظر إلى قول الأسود: "يُصِّفِّن مَعُورَفًا وَهَنَّ نِواعمِمَائِهِ، يُطَفِّقُ مِنْ غَفَوَى الحدِيثِ تَهَاساً"
فَإِذَا أَصْبَحَ أَخَا الشَّيْبِ سَلَبَهُ
وَإِذَا لَمْ يَحْلِي أَخَا الشَّيْبِ قَلْبِهِ
وَرَمَيْنِ مِهْجُونُهُ بَطُرْفٍ أَصْبَد
وَوَسْرُنِ ضَاحِيةٌ مُحَاسِنٌ بَالْيَد
فَهَذَا مَا زْعاَناً مِنْ اتِّبَاعٍ مَّتَالٍ عَلْقُمَةٌ -ْثُمَّ يَجِيَّتْ يَدِهِ عَنْ نَفْسِهِ
فَلَتَنَّ غَدْوَةُ دَرَّيَةُ لْعِبْوَنَاهَا
فَلَقْدَ أَقَلَّ زَعَارةٌ الْبَيْمَرَد
d.

الدرية الهدف وأشار إلى قول قطري:
"فَلَقَّدْ أَرَآئِيِلِلْرِّماحِ دَرَّيَةٌ
فَلَقَّدْ أُرِىَتِلِلْرِّماحِ دَرَّيَةٌ"

وَهَذِهِ الإِسْلَامُ صَارتْ بِهِ إِلَى ذَكَرِ الحَربِ
ولقد شهدت الحرب في إبنها
ولنَّش راى الحَيِ إن لم أشهد

وقد ذكرنا من قبل أخذ البارودي هنالك من إيقاع عنترة وحذا على حذوه حيث:

"فَلَقَّدْ شَهِدَتْ الخَيْلِ يَوْمٍ طَرَادُهَا
فَدَعِّوا نَزَّلَ فَكُنْتَ أَوَّلُ نَازِلٍ"}

"هَذَا العِجْزُ مِنْ بَيْتٍ عَنْتَرَةٍ صَدَاً فِي قُولِ شاهِرِنَا دُولِيَّس راى الحَيِ، وَفِي رُوَى البارودي وَبِحُرو، وَبِعَضِ صِيَاغَتِهِ أَصْدَاءٍ مِنْ كَلِمَةٍ عَامِرِ بِنِ الطَّفِيلِ
وَلَتَسْأَلَنَّ أَسِياءً وَهُوَ حُفَيْيْنَةٌ
نَصَحَهَا اِطْرَدَتْ أَمَّا أَطْرِدُ"}

"وَأَظِرَّ ما فِي دَالِية البارودي مِنْ أَصْدَاءٍ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَامِرَةَ بَعْدَ الْرُوَى وَالْقَافِيَةُ
رَأْيٌ المَضَارِعَ المُثْفِي بَلْمَ - أَطْرِدُ - لَا أَطْرِدُ - لَا يَسَدُّدُ - لَا يُصَدَّقُ - لَا يَتَوْقَدَ. وَجَاءَ بِهِ البارودي مُرْتِينٌ

- 411 -
في القافية - لم أشهد - لم يندم وقاري في قوله: ان لم تحم النزل فأغمد ! وله لم يفضً! 1

تتفنف المزار في حجاتها
ويعود فيها السيف مثل الأدرد

أي ذا فلول

عصفت بها ربع الزهد فقد فتقت
بدم الفوارس كالآي الزبد

عن مثل حاشية الزداء المجسد

قلوها ما زالت تنزل إلى قول عنزة: ما زالت أربيهم بثغرة نحية البيت - وهذا آخر

ما شهناه بختصير المنثبي والقدماء من قبل. ومن بعد ما ذكروا أبيات الذكرى، وختتم ببما توعد الخراب وابيات الحكم على النحو الذي ختمت به دالية الأسود في رواية من روي:

فإذا وذلك لا مهة لما ذكرت، والدهر يعقب صاحبا بفساد

واستهل أبمات المغامرة بنمط جاهل ثم مضى فيه:

بل رب غانمة طرفت خباها
والنجم يطرف عن لواحة أرمد
قالت وقد نظرت إلى فضحتي
فأرجع لشأنك فالرجال بمرصد
وطويتهما إلى الجسر باليد
فخلتهم بالقول حتى رضيتها
أي كما تطوي الباب الناعمة بيد طاويها - أخذ هذا من قول جرير:

طبي التجار بحضرموت برودا*

هذا من حيث ظاهر اللفظ وفي المعنى أنفسا أمراً القبض:

---

1 - جعل موقع الفضاد حيث وقعت ضرذا من التفافية وفي كلام الأخفش ما يصف مثل هذا ثم تشيع الفضاء للردى على طريقة ما يفع في الفراق.
حصرت بفوتى رأسها فتاه....على هضيم الكشح ربا المخليل.

والردة الشافية الجميلة كاللهمة الضامر...طي النجاح بحضرموت برودة.

وفي المعنى أيضاً انفاس صبيحة بدي الحساس: "افرجها فرج القيء....".

قائله الله...زعموا أن عمر قال له أنك مقتل...ولعله ما قتله إلا الأساطير.

ما زالت أمتعتها النام غواه...حتى قدت بنتا بليل الأنفند.

بالذكر أن بليل أنفند وبليل الأنفند أي ساهراً وانفند كأحد (علم غير منون مطلق على الجنس) وقد عرضت اللام...هو القنديل وما اشتهى عندي أن يكون الشاعر قد قال بليلة أنفند: "колؤ العاشم" المغمض عيان ليلة ارميدها لذكره السهر في قوله "انعمها اللام"...الإشارة إلى قول الأعشى موجدة على كل حال...لا أن ليلة انفند اشتد فيها وحدها...

ما إذا انري عنك الغواية تنجلي..وما زالت منها في صياغته حذو على "مازلت أرميه"...بيت عرفة.

روعاء تفعز من عصافير الضحى...

فترفها على هذا أنها عذراء اذ قد زعم أنها بدوية من قبل...حتى إذا نم الصبا وتبات...

زم الكواكب كالرما المتدبر...

الصبا يجوز أنها ريح الصبا وهذا من قوله تعالى: والصيح إذا فتسر...وما استبعد أن يكون أراد الصباح فحذف على مذهب الفصيحاء كقول علامة: "بدبابة الكتان"...وقول ليبد: "درس المنا بمتاع فأي "زم الكواكب" يمي متراعياتها وتشبيه بقطع الموت المتبعد من أمري القيس:

قد بحفر كالميز الفصل بينه...

بجريد على معلم في العشيرة خول...

الأتي يدرس عن بقر الوحش...وفي اللامية قوله: "إذا ما سُرؤى في السماء تعرضت تربع...أثناء الوضاح" وهو وساح التي في جيدها هذا الطريق...والمعاني تندفع فمن هم...

جاء البارودي بشبهه...وقد كان قلب البارودي وخياله معه بصور بيان الشعراء...وأجاب به سؤال مطران يدل على ذلك.

- 463-
قالت دخلت وما إخالك بارحاً، وقد أقيت عار المند
أي عار الدهر فهذا يدل على أنها عذراء، كعذراء أمره، ويسح.
وأما عدا البرودي جزه الله ان أضف لي لونا جاهلاً على مغامرة ما أتيح على التوهم
أو حقاً في بعض دار الحرب أو السلام، وكان قوله: "مثلكاً والسيف يلمع في يدي
كتاب ورمز.
فسمحتها حتى اطمأن فؤادها، وخرجت اختراق الصفوف إلى العدا.
فلمع ذلك العيش لــــلم يقتضي برأي مصدق تنظر إلى قول عتيرة: "أحزن؟ بأمر مرم"، وقوله: "خرجت إلخ، يجمل
ما قال ابن ربيعة: وينظر مذهب جليل.
أما ما رأوين طالعاً من ثيابه:
 يقولون من هذا وقد عرفوني
وقوله: "لأ لم يقتضي"، فيه اشاع كسرة الضاد لشبه التصريح أو هو تصريح على
مذهب من قال:
رأي من زكيه: جفاء وضعه، إذا قام يلبس القلاص ذات
بمهلكة والوقع اغتاد تحدود
لم جل رحــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ&nbs
 ذكره الأخفشى القوافي لــــي الحسن الأخفشى دمشق 1390ـــهـ سـ 47، أو أشبه
 بأقول الآخر [نفسه 53]:

"إذا نزلت فاجعل عملي وسطاً
أني شيخ لا اطبق العمنــدـا
لقرب تفاح الحروف، وعلم البرودي لم يقل، لم ينقضي، ولكن: "لأ لم ينقضي"،
وهو اسمه بأسلوبه، وقد يسبق قلم أو يقع من طابع خطاً في مثل هذه الأشياء، والله
أعلم.
يرجع الفتى في الدهر طول حياته ونعمـه والمرغ غبر خلد.
هذا كا تقدم مدد على قول الاسود بن بعفر، في رواية من رواية ج:"
إذا وذلك لا مهاة لذكراه والدهر يعذب صالحاً بفساد.
وفي أوله نظر إلى كلمة النمر بن تولب:
فكيف ترى طول السلامة الباقية

يود الفتى طول السلامة والبقا

ينود البارودي في هذه الدالية بين الضابط الحربي ابن الطبقة العالية على زمان افندينا الخديوي وبين الشاب المتلاحر المتحمس المفعوم بروح الثورة والقومية وحرارتها وبين الفارس الأمير المصري الجركسي وبين البطل العربي الاستوري الشامي، عنترة بن شداد وريثة بن مکرم وعمر بن الطفیل وعندیة بن الخارث بن شهاب.

شخصية البارودي من فوق صهوة جرايه: جدواضطابط السواريخ العزيز الطموح

وجواز الاسود بن يعفر، جدواجاهلیة ذات الحمیة:

بمضر أن عید شهد قید السوابق والرها جواد

وجواز أمريء القیس، جدواجاة الفتوة والملك الضیبل والاحلام العراض:

على الذي جیاش كان الاهتمام، إذا جاهز فيه حیبه على میرل

شخصیة فنیة نادرة، يتجسد فيها كل ما كانت توهب الرومانسیة في ربعان إبانها

من مثل السهام النشایة. شخصیة هي جوهر الرومانسیة التي يروم الانتهاء إلى

نموذجها "كمالسیة". فهذا تأولی قولنا أن البارودي هو سید "الرومانسیة".

الخیلیة في الشعر العربي وهذا لا يدخله في نطاق ما نطلق عليه الآن اسم "الرومانسیة".

في الشعر العربي ولكن يغیره من ذلك إخراجا.

رغم برتراند رسل في فصله عن الرومانسیة في كتابه عن تأريخ الفلسفة الغربية

الأولین شبان الشعراء الرومانسیين الألمانیين من مات منهم صغریا ومن عمر من بعد.

إذا الضریب الأول قد اختیر قبل استواه ونضجه والضرب الثاني قد زعم ان

الذين اختیروا اسمهم لهم، أي الضریب الذي عمر، قد ماتوا موتا أكبر

باعتناقهم الكثیفة على فرط "روملس". وقسا في ترجیه لفیلسوف الرومانسیة الكبير

جان جاك روسو وليس ذلك لعمرا يضاهیه. وقد كان جسم الفکر شجاعه على لن

وشذوه في الطابع، وفي اعترافاته ما يدل على اطلاعه على بعض ما في احياء علوم الدين

لابی حامد. و مما يذكر في هذا الصدد أنه مرت عليه فتاة وهو ضیف أو صديق لدائم

الفیلسوف الاسکلدنی صاحب انكار السیبیة واصول فلسفة DAVID HUME

هیوم هذه في تهافت أبي حامد. کا ان اصولا من النسبیة في تهافت ابي حامد أيضا. ودل

برتراند رسل اما على جهل أو تجاهل عن تعصب في الفصل القصير له وعن فلسفة

المسلمین وناقض نفسه في كتابه عن روجر بیكون إذ مدحه بمعرفته علوم المسلمين

-465-
وقل العالم أوربي يسلم من روح التعصب العنصري والديني والإنشقاق من نقطة
دموية تسلل الناس له بالتفوق، كالمثلي من قول نيكسون، بحسب مقاييس الدوق
الأوري ببعض حديثه عن أبي الطيب وبعد قوم أثاثها. {
وWordsworth هذا ومن أواخر الشعراء الرومانسيين الأقرن ودروزورت
في نموذج الجيليان الإنجليزي، وتآثر بروس في حيه الطبيعة ودعاه التصور بها، وله
كليات حسان، وربما أدكره الفتور. وشعره من الضرب الغناي الذي يصوغه ذا موضوع
وفكره كالفقدة الإنسانية، وضمته إحساسه الذاتي، ومن أشهر كلياته في هذا المعنى
كلمة له عما تشعر به النفس من معاني الخلد تسعده من ذكريات الطفولة الأولى
(ODE ON INTIMATIONS OF IMMORTALITY FROM RECOLLECTIONS OF
EARLY CHILDHOOD)
وأحسبه كان لها على بعض أواخر الرومانسيين العرب أثر كبير إذ كانت من مقررات
المدارس في مختارات الأدب الإنجليزي، واشترك ودروزورت في أول أمره مع "صمويل
تيور ك ردج" في إصدار الأغاني الشعبية، ديوان شعر دافعاً فيها انشأها وما قدماً عن
قضية التجدد وكردج أقوى اندفاعاً وأحر أنفساً من ورد زورات إلا أنه قد أبدى
بتخدير الأفواه، فقد ذو ذلك بملكة شعره، وشغف بالفلسفة والمدين، وله الترجمة
الأدبية التي تعد من أهمات كتب النقد الحديث، ومن أشهر شعره قصة الملاح
العجوز، وفيها نظم جيد وأضف وأوهم. وقطعه عنها، "قلمي خان" قبل نظمها
دفعة واحدة ثم طرقي عليه الباب فانقطع عنه نفس القطعة عند الموضع الذي اتفق
بأيده إلى طرق ذلك الطارق. وقبل نظمها تحت تأثير الأفواه وآخرها كان مستعار من
ساحرات شعراء الثلاث في مسرحيه ماكيك. ومن كبار شعراء الإنجليز
رومانسيين بعد هذين:
ثلاثة متقاربين السن، اللورد بورون (1784-1824م) وكان من سميه الطبقه العالية
متوسط شعر في نظر النقد الإنجليز وشيله (1792-1824م) وكان جد الذكاء ملحداً
في شعره اندفاع، واشتهرت له خاصة بين العرب كمثلك عن الطائر، وعند الريح
العربية، وتمسح وحوت به بحث ولا يزال من خصائص أساليبه التي انتقل بعض
طابعها إلى مقلدته. وأصغر الثلاثة سنًا وله شعرهم "جون كيتس" (1795-1821م)
وقتله السل وكان طبيباً. وجمع الرومانسيين أذابة الشرق والعربية خاصة أثر بين في ما
نظموه. وذلك في "كيتس" أشند ظهوراً وقديم استهله كلمته عن البلح بطلع نسيبي
الروح وذكر فيه الخمر وتعنيها مع نظير دقيق متددش لخلاصة الألفاظ، وتعجيبي كلمة

-466-
له أسطورية الطابع عندي أن بعض أصلها من ألف ليلة وليلة، من طريق مباشر أو غير مباشر وهي التي عناها فرنسي

La Belle DAME SANS MERCI

أي "المرأة الحسانة بلا رحمة". وقد بين ماريو براز أن لها أصولاً قديمة كثيرة.
وأضع ترجمتها الترجمة بين بدي القاري الكبير، لا لأبفة ترجمة حسنة، فالشعر ما تعسر ترجمته وقد نبّا الحاول لذاك. {أذكر إذا قال الاستاذ غري 7 GURRY بمعدل التربية بجامعة لندن سنة 1946 لأحد الطلبة إذ زعم أنه يستحسن تقديم قطع مبسطة من الشعر الجيد ليتبذّد جودتها الصغرى: "ولكنك لن تستطيع تبسيط الشعر، هل تستطيع ذلك؟"

But you can’t simplify poetry, can you?

فهذا في التبسيط فكيف بالترجمة؟} ولكنني أضع هذه الترجمة لما تتم به هذه الكلمة


فأعلن أن يقع مرايا موقعنا من بعض ماعمي أن يفيد:

يا آيا الفارس في الدرب، ما تأم فذا في شحوب تسير

قد صور النبت الذي في الغدٍ

والطير لا يلفي لـه من هـديـر

يا آي الفارس في الدرب ما

قد ملا الغرفة بالغلة السـأرى على حـجاجكم زنبقاـوقـأرى في خـدكم وردة

رأيت في الروضة إسـمـانـة

طويلة الشعر وحوشـية الـ

ألبستها إكليل غـمار وسـمو

467
أنت حلوة صورتك
فظفحة شمساء أرى
بنت ومششوه اللحن من عبقرا
ممات وحروف إبداء الأكل
الآن يغشوا ندى السلسل
إني أهواك يا ويل تلcheng
سمحور صارت بي إلى كفها
كافأه بالعذبة من جنوفها
أغلقت جفن الوحش من طرفها
لأني نمت في حجرها
فس على ما كان من أمرها
جمانب سفح الجبل البشار
من بعد ذاك السكر الخالد
رأيتهم وأمامهما مثلهم
فرسان حرب أخذوا قبلهم
حسنا بلا قلب رحيم سبتك
يا ويل ما نفسك قد أحترزتك
شفاههم فالقلب مني أسيف
شباشكا فغدا بنذير شفيف
بجنب هذى الجبل البشار
وحضي ألمي في شحوب أسير
والنظر لا يلفني لى من هديبر
ولنظفت في نظائر الهوى
حملها فوق جوى بناء
طوال يومي حين مالت إلى
وجدت لي من عروق شهيء
والعمل البري جمانة به
ثم قالت بلسان غريب
ثم صارت إلى كفها اله
وجدت فجرة المقصورة عند
ندلقت قلبه أربعاء
وسدنتي ساعدتها وغيث
حلمت في نومي وباحرة الليل
أخضر حلم كنان لي ذاك في
أخضر حلم أبعرت مقلتي
ثم ملوكا شهاحي أوجه
وشحوب كشحواود الورد
جميع قالوا معا إنا
والتحادحة الحينها بلا رحة
رأيت في ضوء المكان الضعيف
ضورها الجيو وفغدرن تل
صحوب والآن أنا واجدي
من أجل هذى وفؤاد كسر
من بعد ما جف نبات الغدي
إليك النص الإنجليزى لتصحيح ما قد يكون ما اضطرابه بترة:

What can all thee knight - at - arms,
Alone and palely loitering?
The sedge is wither'd from the lake,
And no birds sing
What can all thee knight - at - arms,
So haggard and woe-begone?
The squirrel's granry is full,
And the harvest's done
I see a lily on they brow
With anguish moist and fever dew;
And on they cheek a fading rose
Fast withereth too.
I met a lady in the meads,
Full beautiful - afaery's child
Her hair was long, her foot was light,
And her eyes were wild
I made a garland for her head,
And bracelets too and fragrant zone
She look'd at me as she did love,
And made a sweet moan
I set her on my pacing steed,
And nothing else saw all day long,
For side ways would she lean, and sing
A faery's Song
She found me roots of relish sweet,
And honey wild, and mana dew;
And sure in language strange she said I love thee true
She took me in her elfin grot,
And there she gazed and sighed full sore,
And there I shut her wild wild eyes
With kisses four.
And there she lulled me asleep,
And there I dream'd-ah! woe betide!
The latest dream I ever dream'd
On the cold hill side.
I saw pale kings and princes too,
Pale warriors, death-pale were they all;
They cried - "la Belle Dame sans merci
Thee hath in thrall!"
I saw their starv'd lips in the gloam,
With horrid warning gaping wide,
And I awoke, and found me here,
On the cold hill side.
وتزمناً الكنيين في هذه القطعة هـ هذا العشق المحروق، وهذه الحسناء
القول التي تشرب دماء مشوقتها.

كانت "رومنيّة" فرنسة كبيرة هي شورتها، وأبطالها الماليون أولو الطموح
والدموية المزدوجة: ميرابو- دانتون- مارا- روسيير- ثم نابليون، الذي أعاد ذكر
الاسكندر، ونهبت مصايد وبيومتارك، وفتح باب هول أوروبا وحروب دمارها وتفوق
باستمرارها وحلم جراً فتحاً كَا لم يتح له من قبل، وخاصة بترحيب الأنظار إلى مصر
والشام كأ عهدت أوروبا أيام الحروب الصليبية. وقد كان من أوراق الرومنية الأبدية في
فرنْسَّة، مدَّمدي شتايل، وأبوها كان وزير لويس السادس عشر شقيق الثورة وكانت امرأة
قوية الشخصية (1766-1817) دمية ومع ذلك ذات فتنة، ومن مقالاتها: "إن
الناوئور المجاري الأنهار كانت ذات كفاءة للشعراء غير المسيحيين، أما قلوب المسيحيين
فإن لابدية ولا نهاية أوها تقتصر من مدى التعبير عنها البحار التي لا ساحل لها
والسياوات الملي بالنجوم والغابات العظيمة الوحشة.

أتت هذه الأصل من
الرومنية مسيحيَّة وروينتها معاً. وقالوا إن بينامين كونستانت
السويسري، صاحب قصة "أدلف" (1)، كان له خليلًا. وقصته هذه تعد من أوراق
"الترنيم" الفرنسي، وهي خدمة دوماس غادته التي مثلتها في زماننا نجمة السينار
عرياناً غارب وصاحب غادة الكاملياً أحدهم عشقاً من أدولف التي كانها رمزًا، يغتنم
المؤلف نفسه إذ سأله حب مدام ديفي شتايل، وجعل صاحبة أدولف تموت من
حبه، كما مات ليل من حب قيس. وقد كانت الرومنية الفرنسية في الأدب أحدث
عهدًا، ودخلت قيمها بعد الثورة، ووجّه ثورات ما بعد الثورة- الثورة الصناعية
مثلاً، ومن أشهر أدباء فرنسة وشعرائها الرومنيين "الفرديد موسية".

(1) أدولف هو في عشق أرض من لا حياً له ولكن زراعته ليزعم لنفسه أنه عاشع متى وقالوا إن القصة كاً،
ترجمة دقيقة عرض فيها بفرماته وضروب من ضعفه.
ولامرين "، وقد تأثر أدباء النهضة وروادها الأولون بعد البَارودي وقبله، في مصر والشام وغيرهما، أول شيء بالثقافة الفرنسية ثم من بعد بالانجليزية وغيرها من آداب أوروبا.

أما البَارودي فقد كان صاحب سيف ورجل دولة ونضال. كان تأثر بأوروبا عاصرًا في الجانب العلمي والسياسي، ولكن الجانب الأدبي لم يتنبه. كان له عنه شغل شاغل لأفته وملك عليه جوانب قليه من أشعار العرب. حتى نشر المسجوع بالنسبة لبعض ما لا تقول به من بعض الأفواه المعاصرة، ينبغي أن يكون هو ضربا من تلك البطولات المثالية التي كانت تعطي إليها رومسية شعراء أوروبا الأولى وأدبانها، بأحلاهم وتراث صنعتها وإلهامها. البَارودي بأنه أصل وملح، لاضعف ولا حدود على مثال ذلك خرجه من زمرة أوروسية الحديثة إخيراً.

قصيدة البَارودي لملاحمة ولا مسرحة ولا غاتية هي عربية صلته صوت مكافح جهير، كصوت زهير وجريج وأي تمام وأي الطيب. الدائرة التي أوردوها منذ حين أغلب عليها روح التجاراة على ما لها من معدن أصالة وقوة. وقد استقام البَارودي حين بلغ أشده في الشعر واستوى نهج القصيدة، كما استقام من قبل لأي تمام وأي عبادة وأي الطيب، ومن بعد هؤلاء للنصرمي والنحاسيري والبرعي وابن الخطيب والبقية الباقية من شعراء مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى بلاد العربية وآفاق الإسلام.

خذ قوله المشهور في موقفه من ثورة عرابي باشا:

"نصحت قومي وقت الحرب منجمة وربيا نباح أمر غير مظنون تأمل تاج هذه في زمان لا يكاد يعرف فيه هذا الفعل إلا رباحا منيا للمجهول. المبني للمعلوم هنا هو المعبر الأصيل.

فخالفي وشعبها مكابرة وكان أول بقريمو لو أطاعوني إذ كان هو الرئيس الأمير العالم الشاعر، ولكن التأثر العسري بأوروبا تخيلي حنكته وتجاري إل مهط من "العفوكاء" كان هو منته جبد بعيد، وما أرى هيكلا على جودة رأيه إلا طلهمه حيث قال: "واندفع الضباب يكررون في خلص توفيق. وقد نازعته نفسه يوشط إلى مكان المجدد وحركت فيها أسباب الاعتداد بمكان أجداده الماليك الذين"
حكموا مصر وقصيدته التي مطلعها:

قلت في الجد ما أغنى عن الهزل
وقلت جيد المعالي حلي الغزل
لا تبهر من هذا التفكير وإن ذكر في الديوان اه متقلت في عهد اسابيل
"أ. ه. "قلت ما قاله الديوان أصدق عند التأمل من ظن هيلك الذي ظنه، رحم الله، وذلك أن هذه اللامية على وضوح جارتها للامية الطغرانى - فارس آخر من معادن

كمعادنه رمط وأذن وأشعرا فيها من حرارة الشبا وطشها ما يبهذ بصدق سبق

تأريخ نظمها لزمان توفيق. وقال هيلك في موضع آخر: "ولكن اندفاعه في حركة

الضباط من بداءها حال بينه وبين التخلص منهم، فلم يكن له بد من أن يسير معهم

وان يبهر حظه بحظه". لو اكتفى هيلك بقوله: "أن يسير معهم" لكان قد أصاب

وصار إلى ما قاله البارودي في أبياته النحوية ولكن قوله: "أن يبهر حظه بحظه" مثير بمعنى "الانهازية" والدهاء الذي زعم من قبل. وشعر البارودي وسمت

صدقة يشهد ببطلان هذه النهضة.

وربوا ناه أمير غير ممنون
nsicحت قومي وقفت الحرب مفجعة
ونكان أول بقومي لوصا مكافحة
فخالقون وشبحها مكابرة
وقصد الأمور على ما ليس في خلد
بتخطى الظل في بعض الأحاليين
حتى إذا لم يعد في الأمر منزعة
وأصبح الشر أمرا غير مكنون
أنجب إذ هتفتوا باسمتي ....
هنا البطولة والأسامة معا ....

صدق للواء وتحقيق الأظانين
ومن شهد

تأمل جودة المقابلة في النظير والمعنى بين قائله: "وبختى الظل إله
وقوله: "صدق اللواء وتحقيق الأظانين" - ومكنونة تحت ذلك مقابلة متعبمعنى الأسف

الروحي وعدم النفس، يكرر أن يكون ندمما على أتباع ما اتبع، ويقارب ذلك

الندم، رحم الله، وسقت قبره شأبيب المغفرة والرضوان.

- ٤٧٢ -
من أحب شعره إلى وأوجد قهله بسرنديب:
لكل دمع جرى من مقلة سبب
وكيف يملك دمع العين مكتسب
المطلع بوصيري الروح. وله رحم الله كان ينشد من البردة، يترك بها ويتوقف
بروحاناتها في منفاه. تأمل «دموع جرى من مقلة»: قال البوصيري:
أمن تذكر جيران بذذي سلم
وزجت تجاو جرى من مقلة بدم
والبحر بحر البردة. وقد رأيت مجاراة أبي الطيب باء السيف أصدق
بعمق "عقيبة اليمين على عقيبة الوعي ندم". وفي بائعة البارودي هذه أيضا نوع من المجازة لمهمة أبي الطيب:
واحُرَ قلباً من قلبه شيم
روح البحر ونظر رويا الباب إلى اليم نسب بين هذه الكلمة وبردة المديح، وجرى الضم
مع ما تقدم نسب بينها وبين "واح قلباً من قلبه شيم". ثم للبارودي بعد ما انفرد به
من بث الشكوى والخطاب الصريح وأمل القومية والملجع والحفاظ الذي ضع.
قال رحم الله:
وكيف يملك دمع العين مكتسب
عين ولايات قلب في الخشايب
على فلاح سلطان لـه الغلب
في ظلمة الشك لم تعَلْ بـه السُوء
لكسان يعلم مـا يأتي ويتجن
بأسمه مـا لها ريش ولاغب
تكاد من مَـه الأحشاء تشعبة
بالأفق معنة بـرق كـاد كلهب
ليكاد أسرها بـالروح يتبشب
كيا استناو وزى القدحة اللهب
وقـد فنعت فهل من رحمة تجب
بين الخساطة في الفن يضطرب
 لكل دمع جرى من مقلة سبب
لولا مكاسبة الأشواك ما دمت
فيا أخا العذل لا تعجل بلائمة
لو كان لمرء عقل يستضيء به
ولو بين مافي الغيب من حديث
لكنه غرض للدهر يرشقه
فكيف أكثر أشـواشي وبي كلف
أم كيف أسلوـو ولي قلب إذا التهبت
أصبحت في الحب مطاوبا على حرق
إذا تنفت فـاضت زفـري شرا
لم يبق في غير نفسي ما أجد به
كأن قلبي وقد هاج الغرام به

- 473 -
صورة الطائر المضطرب تتردد عند البارودي. ولها رائحة قصيرة حسنة ذكر فيها الطائر
الحذر:

يغفو به الغصن أحبانا ويرفعه
دحو الصوالح في الديمومة الأكبر
ما بلال وهو في أم وعافية
لابعث الطرف إلا خائشا حذرا

وذكر طيف غانيه:

حوراء كالريمل أحاذا إذا نظرت
وصورة البدر إشراقا إذا سفر

وكانها هداهنأ على رائحة أبي الحسن التهامي التي يقول فيها ذكر امرأة حسناء
رمى الحجيج فصميهم ويرشقها
رامهم فيو لسهمه هداها (1)

ثم يقول البارودي

كأنها بين قلب لي وهوي نسب
لا يترك الحب قلبي من لواءجها
فحلا تلميني على دمع يقدر في
في صفحة الفكر منى هاجني طرب
والمهد ما لم يصبه الدود من قضب
والظن يعبد أحبانا ويترب

(1) أشارنا إلى هذا في كتابنا النهاسة عزا بين الشعراء ـ طبع بيروت ص. 191. وقد ذكرنا ثم أن أبي العلاء المروي، وذكر في
التهامه أشده شعر، كأنها يغمر اللمحي في نفحه هذه المرأة التي كتبت الحجيج فكاد يفشد حجمها، في قوله في
اللزمات:

أنت خنساء مكهة كألاّ سّرى
لكسان البر أجمعها وعماعمات
ولكن جنانا الجمشات تقرم
وجعلت بالعئوص فزرة قديما
وأما الغناة الذين قدم إليه أخذهم فأنشد ص. 191. والله أعلم.

- 474 -
هذا آخر القسم الأول. وهو من مرحلتين، الأولى تأمل يخلاله شئ من أسى كالندم:
ندم بروم التأسي بالعظمة والأدب والحرفية، والثانية إعلان للشوق والحرب والصبابة.
هبة من المرحلة الأولى طائف من روحانية البصري. يرفع على المرحلة الثانية:
جناح من صوت أي الطيب.
ندم مرت الإشارة إلى «مزج دعما جري من مقيلة بدم». وقوله «الولا مكابدة إلخ» فيه:

أناس:

لا ولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر الباب والعلم.

وقوله: «يا أخا العذل» كقول البصريي «بالاتم أي يا عذليل» أي يا أخا العذل:

يا لائني في الهوى العذري معزرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم

لأن الهوى العذري لا ينتهي أن يعذل عليه صاحبه. وقول البارودي: "فالحب سلطان
له الغلب" يقابل قول البصريي: "معزرة مني إليك" - وفي قول البصريي جناس
معنوي لفظي (العذرى... معزرة) وفي قول البارودي جناسية معنوية «سلطان... له
الغلب» وقول البارودي "لا تجعل علي"... يقابل قول البصريي: "لو أنصفت لم تلم".
قول البارودي من بعد» لو كان للمرء عقل إلخ» يحمل رنة من إيقاع صبغة
ال بصريي:

لو كنت أعلم أي ما أوقوه كتبت سرا بديلي منه بالكتم.

وكتبان البصريي هنا فيه نفحات من كتائبه أي الطيب:

مايا أكتم حبا قد برئ جسدي وتدعى حب سيف الدولة الأمم

وقدر كرر البارودي نظم البصريي حيث قال:

ولو تبين ما في الغيب من حدث كان يعلم ما يأتي ويجتنب

وكان ههنا سريرة ندم... وكان فحصة من قول الإمام شرف الدين:

- 425 -
من لي بد جمح من غوتيها كيا بد يمح الخيل باللمج

وفي قول البارودي: 
"فماله ريش ولاعقب"
لكنه يفرغ للزهر إله معنى غرابة مستكن. وفي قول البارودي
"ألا تعلم الرفيق للزهر إله معنى التسليم للقدر. قوله: "بأهم ما أقر
أخذ لفظه أخذ إشارة من باتية غيلان، والعقب هو العصب تشيد به السهم عند أقواقها
وحيى موضوع النصل وفتيarmed (1)
العقب يفتح العين والقافية العصب في متحتين
عمل منه الأوتار والراد الأوتار نفسها 1. هو المعنى أوضح من هذا تأمله أي بسهام
القدر التي لا تعاين بالريش ولا تشن بالعقب وهو العصب.
واذ هو المسكون غرث الزهر، فلندة الزهر بالباعد ولا يستطيع أن يكم الشوق
ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية: رفقة صوت المتنبي في قوله: "فكيف أكم أشياءي - أبو
الطيب: "ماليك حبا" البصيري:
بعله عدل الدمع والطم
"كيف تنكر حبا بعدما شهدت
قدم كر البارودي: "نعم الايقاع ومعنى الشوق في قوله: "أك كيف أسلو ولقلي قلب
إله" موهنا صدى من البصيري:
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لوها لم تخرج الدنيا ضرورة من

البيت الذي يعبي بعض المشتددين يروان ذلك خليلة في التشدد، ولعل ابن حنبل
رضى الله عنه يسمع هذا البيت ما عابه، وكيف وهو صاحب حديث الشفاعة
وحديث عربى رضى الله عنه؟
والشاهد تشابه النغم في: كيف تدعو... كيف يسلو... في البيت البارودي بعد صورة
تبدو كما يقول عصريو النقاد... مثل: تقليدية: وذلك قوله:

1. إذا التهت بالأطقم لمزة برق كاد يتحب

وأما أري إلا أنها مفتقة من بحر تجرة الشاعر غرفى... ومثلها قوله من بعد:

إذا تنفست فاضت زفري شررا
كيا استنار وراء القدحة اللهوب

عجز البيت وصف دقيق لاستيفاد النار، وقدحه عود الثقاب

---
1- الديوان ص 111 1256هـ

- 476 -
ولكن الصورة الكبيرة الكامنة التي زعمت أنها مغفرة غرف من بحر التجربة هي صورة برق بلاد سندبر. برق ركاب السحب الاستوائية يطاري شره وتروع ألواح منه ما يبتئي ببنسيج يا بيض أبهر وأنصع من غاب المغسيمو، ومنها ما يحمر ومنها ما يطاري شرا وجرم تشبهات البارودي ها هنا أكروات من هذه التجارب. ومن براعته الفائقة أنه جعل جميع ذلك يبدو وكأنه "تقليدي"، ما عدا فيه مذهب ما أمر به ابن قتيبة من نعت المياه الأوان السد واجتناب النفاح والإجاص!!
قول البارودي: "أصبحت في الحب مطويًا إلخ" فإنه نفس أي الطبب:
مالي أكتم حا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم.
وقوله: "لم بيق لي إلخ"، كقوله:
لم يترك الدهر من قلب ولا كبد.
وكانه في قوله "لم بيق لي غير نفسي ما أرويه بآية" أيضاً أروف من قول أي الطبب.
ولكني حصدت على حياة وما طعم الحياة بل سرور.
وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى في دالية هجاء كافور.

إذا أردت كميت اللون صافية
وجدت وحبيب النفس مقفود
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه
وجاء البارودي بنغمة "لم يترك الدهر إلخ" في قول "لا يترك الحب قلبي إلخ".
وقوله: فلا تلمعي على دمع، فيه رجعت إلى نغم "يا لامشي في الموت إلخ". وفي صدى غيلان الذي مر صاده في الرش لعابق، ولكن غيلان في نوع رمز لأب يامل، وفي قول مضيق في سفح أرب، إما سفح العقيق وإما سفح الدمع وكلاهما جيد وينظر إلى:

خليج عوجا من صدور الرواح
بقوم حزري في المنازل من السجد أو يشفى نجي البلاطل.

وقول البارودي: "منزل كم لا منت حياً"، فيه رفقة صوت أي الطبب.
منزل لم يزل منها خيال
ووفقنا أي الطبب ليست إيقاعية ولفظية فحسب، ولكنها مع ذلك فيها حذو.
على المعاني والشكل وطريقة الخطاب، إذ قد جعل أبو الطيب حبه لسيف الدولة في القسم الأول مكان النسب، وحمله معنى لمواجهة الشوق. وكذلك جعل أبو الطيب حبه لقومه وضمه ما مر من تأمل شاكل وأفراح عتاب. وقال له: "عاد علي عيلًا بعد صحته". فيه إحساس ديب من الندم واستشعار لأن القوم قد تناضا عهده «والعهد ما لم يصنعه السد مقتضب» و"والظن بعد أحيانا ويتربى"، هذا يذكره بقوله من قبل: «يغطي الظن في بعض الأحيان» - بعد الظن، سمعة الأمل، واقترابه مواجهته هذا الذي هو إجازته من الواقع المر. وهنا موضع الصحة. وبدأ القسم الثاني من القصيدة:

في سرعة الحمي، ما بال نصركم
اضعتم وبين هما قلبي ثقة
أليس في الحق أن يلقى النزل بكم
فكيف ستلقي قلبي بلا تريرة
مرت علينا تهاند في صواحها
تحمل من فرعها الفينان في سرق
كأن غذرتها من تحت طنبرتها
فهل إلى نظرة يحيى بها سير
أبيت في غريبة لا النفس راضية
فلا رقيق تسبر النفس طلعتنـه

هذا آخر القسم الثاني وهو الأوسط وهو خصر القصيدة. وإنها القصيدة غادة.

كذلك قال أبو تمام:

بكر تورث في الحياة وتغتدى
في السلم وهي كثيرة الأسلاف
وقال أبو عيدة وجعل القصائد عذارى أياً كاراً
كالعذاري غدون في الحلل البه
ففض إذا رح في الخطوط السود.
وهذا ونظائره كثيرة.

وقد ترى هذا التختصر كأوله عند أبي الطيب في "واخر قلبي" حيث قال: "يا أعدل الناس إلإ في معاملتي" - وهنا يقول البارودي: "في سرعة الحمي - ما بال نصركم البيت". وكأنه هنا خلط بين احتجاج أبي الطيب واحتجاج أبي فراس حيث قال:

- ٤٨٩ -
وللموت ظفر قد أطل وناب  
ولا نسب بين السجال قرار
وفي عني فيه حوطه ومناب
وعرض بي تحت الكلام وقبرت
جعلته مما رايبي ملك مفزعًا

ولأبي فراس في هذا الباب كليات من روماته(1). وقد أخذ من أبي الطيب وحذا
على نموذجه. إلا أن البارودي كما تأثر بأبي الطيب تأثر به أيضاً. وزاد من قوة تأثيره
على البارودي، إنه كان أسيراً ولم يخف سيف الدولة إلى نجذته، وكان البارودي بمنفاه
في نواع من الأسر المره، ولم يخف السراة إلى نجذته ورعاية سابقه وقوله "اضعتموني" لا
يخفي أنه من قول العرجي، وكان من فرسان بني أمية من ذرية أمير المؤمنين عثمان رضي
الله عنه:

أضاعوني وأي فني أضعوا
ليوم ملمة وسدا ثغر
وفي هذا القسم بعد رفقة من أبي تمام ومن غيلان ومن أبي الطيب ومن غير هؤلاء
من مؤثر أساليب أهل الجزلة القدماء. فمن نفس أبي الطيب واصدائه:
[مرت علينا تهادي في صواحبها]

فهو كقوله: "مرت بنى بين تربها فقلت لها البيت" وقوله "في صواحبها" فيه شيء
من ابن أبي ربيعة بلا ريب. قوله "كالبدر في هالة إلخ" كثير مثله في الشعر إلا أن
الصياغة فيها نغم بوصري: "كالمزهر في ترف والبدر في شرف" - الشبه قوله: "البدر
في" ثم جاء بقوله "حتت" وقوله "الشهب"، آبت شين الشرف وفاؤه إلا أن تني بأنفسها

(1) مثل قوله: دعوتك للجفن الفريح المهد لدى ولتوف القليل المشرد.
ورجال قوله
أسيف الهدى رقم ربع الحمص ب، إل للفحة، وفيما الغضب

- 479 -
فتاليم. وقوله: "تهتز من فزعها لا يخفى أنه من قول حبيب.
كم أحرزت قضب الحندي مصلحة تهتز من قضم تهتز في كتب
الشبة في الصورة ونغم النشف معا. قوله: "في سرق، مكان قول حبيب" في كتب
عني ثقل الكفاف بإزار ابن القامة واستقامة رشاقتها. والسرق الحرب، واهتزاز الفرع
الفيتاق في مشعر بالصدر والكفر والكفاف، وأخذ من قول أمرئي، القيس: "إذا ما
اسكرت بين درع وموج من قول الآخر "أب الرواد، والثدي لعمصول البيت" وفي
جميع هذا لا يخفى أن أصل أخذ من بوت حبيب، وهذه المعاي والصور الأحبارات
وحي وإشارة. والسمهري الرمح، وجعله غصنا لما جعل له عذبات من السوس،
وذكر السوس لا يخفى معه أن أصل المعنى مأخوذ من قول حبيب: "قضب الحندي".
"قضب تهتز في كتب" والقضب الأولى السروف وفع البارودي مكانها هنا السمهري
والكتب مزدوجة المعنى، إذ القضب في الكتيب هي الأغصان في الكتيب، وهي القامات
ذوات الأرال، وسرق النشف والمعلم على بن العباسي في نوتيه:
أجيت لـك الجمود أغصان وكتاب فين لونان تلاح وراو.
الشاهد قوله: "أغصان وكتاب" فهو قضب حبيب وكتابه.
وقول البارودي: "كان غريبا" هو من غيلان:
فغلست وعمود الفجر منصعد عنها وسائره بالليل معتقب
وليس بمنفيه قوله: فجر بباينة الظلماء معتقب". ثم بقية القهباء من قول غيلان
المشهور:
"كأن عمود الفجر جيد ولبه وراء الدجي من حيرة الوجه حاصر
وقد ذكرنا من قبل ما بين هذا وبين صورة جيوكندا للنوباندو دافنشي من قوة الشبه.
وقوله: "كانت آية لنا في الحسن فاحتفظت إله" يجعل أنفسه قول أبي تمام وله نفس
البحر والروي، وإن كان أصل هذا من جارته لبانية غيلان إذا أسرها في هذا الروي. وهذا
البحر أشهر:
اطعاها الحسن وان biçها الشباب على
بضمتين جمع النسب
للماظرين بقبيح ليس تصب
ألقت نقايا على الشهدان وانصب:
كانت لنا ملعبة نلهو بزخرفه
وقد ينسب عن جد الفتى اللعب

480
ومنذ أنغمس نفسه في الالعابة التي على بحرها وروحي بردة المديح في نسم البصرى ما
يبدل على نظر منه إليها وقد ألمنا بهذا المعنى في كتابنا "السماحة" (1):
كانت لنا صننا نحنو عليه ولم نستجدا سيد الأشمين للصمم
هل حقا سجد الأشمين للصمم، أم كان في سيف بن أيابس ره؟
وقد أفتت البارودي في هذا القسم إذ كن ففيه عن مصر بفترة بارعة الجمال سبت فؤاده
ثم حجته عنه. تفصيل الوصف الغزي الذي فصله ذو مشاهب من الذي صنعه كعب
إذ قال: وما سعاد إلا غرن فرعاء وما ذكره من أوصاف، غير أن سعاد كعب هي
ذات الفجع والربيع وال厭خلا، وسعاد البارودي ليست ذلك، هي بدر حجته عوادي
الزمان كي يحتج البدر بليل من الغرام وبالأحسوة.
كانت لنا آية في الحسن فاحتجبت
عنة بليل النوى والبدر يحتبج
وقد هذا الغزل مع أنه في حب الوطن، يقع موقع الاستراحة والتخفيف من حدة الفعال
لوعة الشروق والوادي وشمور العتاب والنذم اللذين في القسم الأول.
وعلى وضح الرمز والكتابة بالفترة الحسناء عن مصر، فسوف البارودي تفسيرا لايدع ملاع
للشك بقوله:
فهل إلى نظرة يحمسها براقة رمق
أبى في غمرة لا النفس رامية
فلا رقيق تسر النفس طلعته
ذريعة بتغييها النفس أو سب
بها ولا اللتقى من شيوعي كتب
ولا صدقي يرى ما بني فيكتب
وهذه الأبيات الثلاثة التي جاء بها بعد رمز الغزل تفسيرا له، تقابل الأبيات الثلاثة التي
افتح بها هذا القسم صارحا بالشكري صاحبا:
فيها سرا دلما ما بالنصر لكم
مث خفروهم ذمهم العهد ياعرب
أتما إذا خاف أن يتسببه العطب

(1) راجع النسخة علاء ص 226 - 227
ولكنها فيها عودة إلى روح اللوعة والانفعال.
ثم ييجي القسم الثالث، وهو في عادة الشعراء للذكرى، ويخلطها فخر ودفاع عن الماضي، يجعله الشاعر في مقابلة ما يعنيه من نواب الدهر - كقول أمير القيس:
"وقد أعطى والطير في وكناتها، وقال علفقمة: قد أشهد الشرب فيهم مزهً، وقال الأسود بن يعفيف: فلقد اروح على التجارة، وهلم جرأ. وقد جعله البارودي مثالاً لتحرير مواقعه والاعتزاز بها كأن من ماضي أمره:

ومن عجائب ما لاقت من زمني،
أيا مينت بخطبة أمـه، عجب
لم أقترف زلـة تقضي على يا
 قوله ومن عجائب إلخ مر تشيها.
فهذا القول بأن الطيب "ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه".
وفي نفس من قول على بن العباس:

ومن عجائب ما تبنى الرجال به.
ثم يجيء هذا النمط الحر النبيل الجزل:

ذنب أدان بـُتاينه ظلماً وأغترب
فهل دفـاعي عن ديني وعن وطني
فلا يظن بي الحساسة، ممـدة
أشربت مذجر ألم أعبا يا سلب.
أ́يد الحواض، مني فهـو مكتسب
لا يخضع البوس نفسه، وهي عالية.
ثم يجيء الفخر الصريح - كقول أبي الطيب: "أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي" وهو بعد فيه صادق، إذ قوله خالطيه الأسي لا الغضب، الأسي الذي هو أخر الغضب كما قال أبو الطيب:

فحزن كل أخي حزن آخر الغضب.
وذلك قوله:

إن امـرأ لا يبرد الخوف بـادرتي
وصنت عرشي، فلم تعلق بـي السرير
إذا تصرّح، أقـىما وان كـذبوا.
وإذ بير ألباسود موقف وجلب اعتداءه عن نفسه، لَه أن يقول، كنابحة في آخر «يا دارة...»

ها إين الفريدة قد كان باء بها في شوب يوسف من قبل دم كذب

الإشارة إلى قول النابغة: "ها إن ذى عذرة إن لاتكن قبئت" وروى يوسف وجاءه على قميصه بدم كذب

فإن يكن ساءاني دهري وغادرني فسوف تصف الليلان بعد كدرها في غربة ليس لي فيها أخ حدب وكل دور إذا ممّثال يقلب وهكذا تنتهي هذه القصيدة الرائعة بنفس من الألف الذي الصادر عن تسليم العباد إلى قضاء مولاه، وعند أن الموقف الذي وقته لم يك في عينه من مصدقة أو عارد فهل دموعي عن ديني وعن وطني ذنب أدن بسيّه أوله وأغريب

فكرة الدفاع عن الوطن مع الدفاع عن الدين يعني قديم عند العربي المسلم، ومع هذا، لا أحسب قوله: "وعن وطنى" هنا خالياً من معنى روح الوطنية الحديثة التي إنها كانت ثورة عراقية باشا من بعض انفجاراتها وسائر الثورات التي جاءت من بعد.

في كتاب الدكتور محمد صبري السوروني أدب وتاريخ في الفصل الذي جعله للبارودي، قال (ص 72 - 77): روى الكاتب (1): "ومر بقصر الجزيرة بعد عودته من سيلان، فذكر أيام إسحاق ونظم معيماً ومذكراً:

هيئات قب ذهب المبوع والتجيتي به الخوف أو بدنوه به الطمع للملك منها، وفدى العز مرميع ولا سمع إذا نادادتي بسمع بالأمر كادت قلوب الناس تتصدع طه الخوادم في أوكارها، وقعاً به الخوادم ما شادوا ولا رفعوا أيديهم وأتلت نعمهم الشهاب كيد العدو فإنا ضروا وما نفعاً

هل بالمحيي عن سري المملك من ينبع هذى الجزيرة فانظر هل ترى أحداً أضحت خلاء، وكانت قبل منزلة فلا بيب يرد القول عن ناً كانت منزلة أملاك إذا صدعوا عائلاً بها حقبة حتى إذا نهيت لآمن علّموا مقدار ما فغرت دارت عليهم رحي الأيام فانشبوا كأنهم لم عصب يستدعون بها

(1) كاتب في عدد المناير 7 - 1 1905 يرجع السور بونه رحمه الله أن السيد حسين رضا رحمه الله
أين المعاقل بل أين الجحاقل بل
لا شيء يدفع كيد الدهر إن عصفت
زالاً فتا بكت الدنيا لفرقتهم
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
لوكان للمرء فكر في عواقبه
كيف يدرك ما في الغيب من حديث
دهر يغمر وأعمال نمر وأعد
يسعى الفناء لأمور قد تضربه
بأسا السَّبَّاد المرور من صقل
دع ما يريب وخذ في خلقته له
إن الحيياء لزور أنت تخلعه

وقد علق كاتب المنار على القصيدة قائلًا: فهذه القصيدة من آخر ما نظم فيها من
آيات النذر للمغرورين بكثرة المال والدهر (1) - تلك القصيدة من أروع شعر
الباهلي، وهي دعوة وفاء على أيام اساعيل التي كانت أيام صباه، وهي من الشعر
الحي الذي يستمد قوته من الذكرى وهي بكمة على الحال التي ألت إليها البلاد بعد
عودته إليها، ورؤيته المحتل ضاربا بجراحه في نوايحها، ولا ريب أن الألف الصامت كان
في فؤاده كالمجرة تحت الرماد فلم يصرح عنه مقاله، وأشد الألف ما كان مكتوماً. ودل
قصيدته في الجزيرة على أن الرجل كان ثاقب الفكر لا توقعه الظواهر عن رؤية أبعد
البواطن، فلم تغر الرواهية الماديه التي غرت بعض العرابين بعد رجوعهم من المنفى
فدهم أو أن أغراضهم تحققت، ولم تغرى مظاهر العدل الظلم في الظاهر، فأراح السُّتار
عن ذلك الظلم الأجنبي النظم في الباطن الذي يضول بجانبه كل ظلم. من ذلك
نفهم كيف كان الشاعر بالأمس يكفي من إساعيل فأصبح يكفي عليه. وكأنه
بالشاعر أحس دنو الأجل فاستسلم للقضاء في هذه القصيدة، ولم يخفه همته إلى
الفنر ومغالبة الأقدار، ورئي نفسه فين رئي حين قال:

(1) إلى هنا انتهى كلام كاتب المنار ومن قوله تلك كلمات السوروي إلى حيث بينا نزاهه.
Je m'en irai bientôt au milieu de la fête
Sans que rien manque au monde immense et radieux (1)

وقد تكون هذه القصيدة في جملتها أثرا من أثار التأمل الذي يعتري الإنسان عند تقلص الأيام وتقلب الدنيا ويدفعه إلى عرض الماضي في صفحات الفكر فإذا بكى عليه كان بكؤس المؤ عصارة التجارب والألم. في فعل كتبه: «إن هذا الوزير الذي اقتحم زناد تلك الهمة، وثبت بعد استقلاله تلك الفتنة المستمرة لم يكن مع شجاعته وإقدامه اللذين بلغ بها أقصى مبالغها في موانع القتال إلا رجل سكينة ووداعة وحلم، إصابته ب الكريمته هي التي فقرت من كيده وأودت بجسده ثم إن العار بحوادث حياته لا يكاد يصدق أنه هو الرجل الذي كان دينه في سنواته الأخيرة أن يجمع أطفاله وهم غلامان وأربع فتيات فيجعل لهم مكانا خصيصا من البيت لتلقى العلوم واللغات بضربوا على أستاذة يعيشون في مواعيد كأنّهم في مدرسة قانونية فيعيّر صربهم كل يوم ثم يمتحنهم كل أسبوع مرة ثم يمتحنهم آخر كل شهر ويوخ عليهم المكافآت على أن هذا البر إنا كان إحدى شفائه وفضائله فإن أريد بعض التعدد فاجودة مع الجود والكياسة مع لطف الحس، والصحيح من المقدمة والإيذاء مع علم النفس وشرف الطبع» إلى هنا ينتهي نقل السوربوني من مطران وأصبح أباً من قوله ثم إن العار بحوادث حياته لا يكاد يصدق، وأي غرابة في أن يهتم عالم أدب مثقف فطنه بعلم نقده ذريته بأجود ما يقدر عليه، ثم أية غرابة أن يكون حافظ جندي وإدارى مشاهد على ألوى الأوردو ماناً كلهما بالامتثال والتفقيع والمكافآت وأقا رقة القلب فشاهدنا شعره وكذلك الشعراء الفرسان. وأما قوله الدكتور محمد صبري السوربوني رحمه الله أنه رأى نفسه بيبت الاعيان والجمعة، فأرى إلا أنه رأى كل ذرى الإمارة الذين عصف بهم الدهر، وإسباع خاص، إذ الناس ما يحسن مقدم الأمر في العباد والجمعة. وأحسب أن كلام فكتور هوجو الذي خيل له السوربوني أن البارودي لم يعنى كمعناء. وإنها رام البارودي رحمه الله جمع أبي الطيب في قوله:
خليله المرجع منصوبًا بصاحبة الهنامب مشهوداً بها الجمع

(1) سأنصر والعيد في عفونائه ولن يحس فقدانى أحد وسط الزحام الكثيف المثير.
والاعتبار يقول الله عز وجل: «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وتعمه» كانوا فيها فاكهين كذلك وأورشانا قوماً آخرين بما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين.

ثم يقول السوريعون مستمرًا من حيث انتهى نقله من مطران، تنصيف إلى ذلك أن البارودي لمتكن بفضل جدته وكدته من تجديد جزء عظيم من شروته تركه لأهله وذويه، فكان طويل حياته مشاء الهمة العلياء، ولم يمنعه قول الشعر من قيادة المحافظ، ورياسته في أرحال الأوقات والعمل. وكل ما يعب على الرجل أنه لم يوفق في حياته السياسية كما وفق في شعره، ومهم كان من أمر فقد كانت حياة هذا الرجل صحيفة كبرى من التاريخ المصري تشهد له بحسن الطولة وصدق العزيمة وكراهية الظلم، والاعتدال، والروية والأناة وهو مؤسس دولة الشعر التي يحمل لواءها اليوم شوقي ومطران وحافظ وآخرون بعد أن غادروا شيخ الشعراء بعده المرحوم صباح راشا الذي زعى اليوم إلى الشعر كما نعى الجود إلى الجود. ولا ي轨道 رجل كاشفه البدني مثلاً كافحة البارودي، وطاعن خيله من فوافسه الدهر مثلاً طاعته ونهب وقائع الحياة مثلاً خاصها، وقد كان خلق الرجل عظيماً وذكاءه عظيماً وشعره عظيماً فكان الثلاثة في مستوى واحد. وفي اعتقادي أن أكثر شعره ارتباطاً بحياته شعر المنفى، شعر العاطف شعر الوجدان، شعر الأمل. ثم يقول في آخر الفصل: وقد لبي دعوة ربه في شوال سنة 1322 (ديسمبر سنة 1904) (ص 78). هـ، تنقلنا من السوريعون جمع الله من كتابة أدب وتاريخ، في هذا الموضوع قلت وحرص إداع البارودي في شعر مفاه فيه بعض النقص من حقيقة قدراً ولا يفلو من نوع تشبه له بأبي فراس، وكان أبو فراس معاصراً لأبي الطيب بيقاره ويجدوه حذوة وياخد من لفظه وإيقاعه ومعانيه عن قرب زمان ومكان. وما كذلك كان أمر البارودي. كان البارودي شاعراً فحا صاحب نهج من حر القريض وأصبه من قبل المنفى ومن بعده وإقرأ بالله:

سواه بتحنان الأغوار يطرب

وفيها يقول عن غيرة قلب وبيان:

ويحرر من الهيجاء خضت عباه
تظل به حم المنايا وسودها
توضعته والخيل بالخيل تلتقي
فيا زلت حتى بين الكوير موقف
لدن غداً حتى أتى الليل والتقى

- 486 -
ولا ميته: «ردوا علي سواد اللملم البالي» وفيها يقول:

قلبي سليم ونفسي حرة و يبدو
لكني في زمنها غشت مغتربا
بلوتو دهري فإ أحدت سرته
حليت شطرىبه من بسر ومعيرة
فيا أسافت لبؤس بعدد مقدرة
عذافتها نزحت نفسها فا علقت
فاليوم لرسني طعن القياد ولا
لم يبق لي أرب في الدهر أطلبه
وأين أدرك ما أغنيه من وطن
لا في سرديب لي إلغ أجاذبه
أبيت متفردها في ظل شاهقة
إذا تلقت لم أبصر سوى صور
تهفو بي الريح احيانا ويلحمني
ففي السيا سحؤ ذات أروقة
كان قوس السيف الغفر قطرة
إذا الشاعر تراءى خلفها نشرت
فلو تركي وبردي بالندى لتق
فالردي أبوه فهو ملقطع
فماذا لم أظلم وربتها
شوق ورأي وبريح وعبيلة
أصبحت لا تستطيع الثويب أسحبه
ولا نكد بدي تبري شبا قلمي
فإن يكن جف عودي بعد نضره
عالج أحزن والأيام تشهد لي

(1) القطامغي الصفتر المرايا العالى المكان من جيل نحوه بنفس عليه الرأي والصرة من شعر ذي الرومة وزاهر من قبل وقد
مرت في الأوصاف.
(2) برد الأول يفتح الباب والثاني يفتحها وبرد أسالي أي مشرق
(3) هنا نظر إلى بحرية البحر
(4) غياء بالفغ السعامة فياء مثناة تحتية ساكنة فنون موحدة فوقية ألفد المد أين شجرة خضراء

- 487 -
راجعت فهروس أشعاري فا لمحت كيف ينكر قومي فضل بادري
أنا ابن قولي وحسنني في الفخار
ولى من الشعراء آيات مفصلة
ينسي لها الفاقد المحزون لوعته
فانظر لقولي تجد نفسي مصورة
ولنا تغزني في الدنيا مشاكلا
إن ابن أدم لولا عقله شبع

هذه الدية الصافية لا نظير لها في الشعر المعاصر. وقد كان البارودي بحقيقة:
ذلك عليها يدل عليه قوله:
ولنا تغزني في الدنيا مشاكلا
بين الأناهام فليس النبع كالضلال
من النبع والضال تصنع القوس ولكنها لا سواء - إذا الضال ذو شوك وتم والإيجاب
كما قال البكترى:
وعيرتني خلال العدم آونة
والنبع عريان ما غدود ثمر

وقد اهتدى بسنا البارودي من بعده من القوالين جيل تبعه من بعد أجيال. غير أن نهج قصيدته الأصيل لم يسر حقا عليه من كبار من حذوا على رونق دباجه وقصرا عنها أحد. إنما سلكوا نهجا دعاهم إليه التجديد - وهو نهج أسلوب المقالة - ثم تفرعت عنه فروع أصناف الشعر المعاصر وما إليه.

أسلوب المقالة: أولا، ثانياً
جاء في الكتاب النفس أدب وتاريخ للدكتور محمد صبري السورونى في نشرته
لاساعيل صبري (ولد في 1/2/1854 وتوفي في 21/3/1923 رحمه الله) في

(1) فلا عن الكتاب المذكور ص 111 - الفصل الأول من الكتاب الثاني من نفس السفري وفصل الهامش عن حياة صبري، الذي من ذلك أنه درس مصر ثم أرسل إلى فرنسا فلما هاجمها الشكات الإسبانية ثم أطلق في الحقوق، أي القانون ثم عمل في التحية العظمى بمصر وبلغ أكمل علمها من متابعة العمل في وظائف الدولة، فإن خلقاً للفن السكيندري في فبراير 1891 - وكتب في تحرير الحقانية (أي وزارة الخدمة) من بعد وبلغ غاليا ما يبلغه الموظف من مرتبات الدولة سنة 1907 فاستقال وأحسى فرع من حديث كل الضرر للأدب والشعر.
لله يارب، إنها أمور مذهلة ومخيفة، فلن ننسى هذه القصيدة التي تؤيد نظرية خلاف نظرية فندرفون. إن البندواج لم يتم إلا على يد عمال كانوا يطالبون الإنتاج الفني إكراماً للفن، لذا خرجوا ولا طمعاً. والحقيقة أن صبري راعي في نظرية ما يسموها بالوجهة التأرخية الوطنية. أما مطران فقد نظر إلى الوجهة العلمية التي يؤدتها التاريخ فإن بناء الأهرام ما كان إلا سخرة أزهقته الملامين من المصريين وأثارت السخط في البلاد مدة قرنين، ونظر أيضاً إلى الوجهة الاجتياحية القديمة، فإن الظلم من شأنه إسقاط الأخلاق التي لا تبعها الأمة بدونها. على أن شوفي وفق بين النظريتين بطريقة شعرية فلسفية في قوله:

ولن هاكل قد عالا الباني بها
هي من بناء الظلم إلا أنه
لم يهوى الأمهات لبليها
بين الشريعة والشريعة تتنسق
يبض وجه الظلم منه ويشق
فخراً ثم يبقى وذكو برع

وقد نظم مطران رداً على قصيدة صبري نونية أخرى لم بسبق نشرها، وكان ذلك أثر مشاهدته بعض الآثار ورؤية تأمل عفو نوريس الثاني في الأقصر. وفي هذه القصيدة عاد مطران إلى نظرته الأولى لأنه يرى أن المجد لا يمس وأن عظمة مصر باقية سواء أكان أصل البيان الظلم أم غيره، وأن الفراعة نهضوا بمصر وإن كان اعتقاد
الشاعر أن ضرهم كان أكبر من نفعهم في جانب شخصية الأمة وتكوينها الحر، قال:

مطران:
أكبر بسماريس ميتا لا يلم بـه لولا قاثيلاء الأجراء محتمة في مصر عز فراعين فإ بلغوا ولم يتم لها في غير مسندبـه غيب الخطئة المثل لنـه وله ما زال بالقوم حتى صار بينهم ورب سائمة بلاء هائمة يضومها كل خسف وهي صابرة إن بات في حجب باءت إلى نصب فيجلت تحت تاج الملك مدمنها

وجاء السوروني منظمته المطرينية كاملة، وهي خالية كما ترى من رنة إيقاع

جزالة الفصيح أمثال:
ورب سائمة بلاء هائمة تشقى وتواها في سر وإعـلالان صناعة تقسيم كأنها فطن الناظم بها إلى مغسلية ما نظمته وفقدانه كل طعم فألقى بهذا عليه ضرا من ملح وأبرز في سر وإعلان إنها إلى نتمة مضنات.
وجاء في مختارات من صبي باشا بالنونية التي هذه المطرينية ردم عليها(167):

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني ولست إن لم تؤيدني فراعنة لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملنا ردوا المجمرة كـا دون مـورده وابنـوا كـا بنت الأجيال قـلكمـو أمرتكم فأطيعوا أمر ركبـمـو
فمالك الأمر وطاعات تسابقه لا تتركوا مستحيلًا في استحالتهم
مقالة قد هُوت من عرش قايلة
مادته لأرض ودان لها
لو غير فرعون ألقاها على مَلأ
لكن فرعون إن نادى بها جيالا
وأزرتُ جاهز تسيل بها
بينون ما تتقف الأجيال حائرة
من كل مال لم بلد فكر ولا فتحت
ويشهدون إذا طاروا إلى عمل
بأ بنذى الأمر لا خوفا ولا طمع
أهْرامهم تلك خف من الفن متخبذا
قد مر دهر عليها وهي ساخرة
لم يأخذ الليل منها والنهار سوياً
هذا أراد به المبالغة وهو فيه ضعف، ولهي لو قال كمثل أخذها من ركن، كان من
جهة المعنى أحسن، واللفظ متفاوت على كل حال
كأنها والعوادي في جوانبها
جاءت إليها وفود الأرض قاطبة
وصغرت كل موجود ضخامتها
وعاد منكر فضل القوام معتراها
تلك الهياكل في الأصخار شاهدة
وفي القافية ضنى يعني أهل إمعان في السباق والتجويد، وإمعان وحدها لا تفيد هذا
المعنى
وإن فرعون في حول ومقدرة
إذا أقامت عليهم شاهدا حجراً
كأني هي والأقوام خاشعة
تستقبل العين في أثاثها صور

١ - كيون هو زحل

٤٩١
لم أن أعطيت صوتًا لكان لـ

قوله "صم الإنسان والجان" مكلف، إذ.mean صوتًا يسمع الصم فرطاعون له

فاحظ على الطاقة بها بزور، وقد جعل الجن هم صم كي للإنس صم وأمهم مختلف

عن الإنسان. وكان شوي أحقن حيث قال على لسان الجن:

نقتـسل حين نصـطدـم
صم صمم صمم صمم صمم

على أن قوله صم الإنسان والجان - تكلف متحمل شيئا

و صفروا كل ذاك وسلطان

وبادروا وبدأت على أنوارهم دول

واكـفـا بعدهم حربا خلدة

وزحنوا من بقية مصدوم وسطا.

قوله في العلم: "ذاك الجاهل الجاني" إغراب. وإنها عن البحث باسم العلم إذ العلم

لا يجيء - قال تعالى: "إلا يخشى الله من عبادة العلياء..." - العلم المراد هنالك ما يسمى

Science، وهذا نظر وبحث واجتهاد فكر وما يتناول من طريقه ليس بالعلم حقا، ولكن

ما يكون بعضه وسيلة وطريقا إلى العلم. والله أعلم.

و به لـهـنـاك الأستـدـار مقـتـحـا

جيـلال أكـرم آثـار وأعـيان

إذ ها وزنـا يوـمـا بـيمـران

نظام صبري أدنى ألا يكون مغسولا وأسلم من التكلف. خذ مشا قول مطران بذكر

جبرية ونسبة:

من شوـس حرب وصنائع وأعوان

خلالا ذمة العلياء مضطجعا

البيت الأول واضح وفي سلامة معناه نظر. لأن شوس الحرب قد خلد ذكراه وكذا قد

خلد ذكراه. وليس له ولاهم خلود سوى ذلك. والبيت الثاني قوله مالا ذمة

ال العلياء، غير واضح المعنى إلا على تصور أن العلياء هي "لوكريشا" التي خان

مغتصبها دمتها. فإن كان هذا مراده، أو شيء كهذا أراده، فإنا معنى مهد عصمتها، إذ

المهد للطفل وما عنى هذا وما عنى في هذا الموضع إلا فراش عصمتها. واغتصاب
العلياء أمر مجازي لا يجعل صاحبه زانيا ولو على سبيل المجاز. فتأمل، وإنها هي الفتنة بالتعبد والتجديد من طريق نقل الأخيلة الأفريقية بلا تدب.

مما يكن من أمر فاني استوقف القارئ الكريب قليلا عند قول السورويي بعد عرضه كلمة مطران والإشارة إلى نوعية سياح صبي وقد أوردته كاملا كالتقدم: ﴿كلنا الشاعرين في قضيتهم يستبدب عبر التاريخ ويوتص قصص نسائها دراسا ناعمينكم، كلاهما يكتب داعية الوطنية وينصق للحق والعدل وان اختلافت وجهتهما نظرهما، وهما متخفان في جوهر الموضوع، في الإشادة بذكر عظيمة مصر الغابرة، وعظمة الفراعة وتتبهر الخلف للجود السلف (ص 154). ﴾

هنا كا ترى في قوله، موضوع اتفاق الشاعرين في جوهره ووجهتهما نظر اختلافا فيها.

مطران يذكر خلال رمسيس، وأنه أجل رفاعة مصر قدرا، وأن مثاله الحاد ما كان أحد ليتخطى بحاله أنه سيفيني لولا وجود مثال آخر له مهتمة. إنه اختيار الخطة الملكة لتكليبه نفسه وجلب شعبه عليها. وإن كان للجند إلا قدرسوه ولكلهان سيما رفع الظلم يملؤهم، وهذه المرأة البلاء التي جعلها مطران رمز لؤس الشعب وطاعته، لم تزد ذات نصب كاذحة من أجل رمسيس، يدفعها حبيه النبي في حضرها الصادر عن إياها باللهب، هي تندم على الإهاء الذي يكلفها إياها، وهي تبجله وتميل الدمع، الذي يسيل منها على مرير الأمية التي تبنيها له. (لم يذكر لنا مطران ماذا تقبل الموت، إذ هي عبارة أفريقية. خطابية الصيغة راقه، ولو تبتعدنا بالتحليل لاضطرنا ذلك أن نقول بأنها تقبلها دم نفسها كأنها تعلن عن تقبل نفسها ينافض معنى الحب والضحكة والتآليف الذي قد قال به. هذا ويتفهم مطران القسم الأول من كلمته بأن رمسيس عاد بالخيل كله، وإن هو المخلد دون جنوده وصانعه وأعوانه. وهذه سنة دنيا الطفيان، كن تملك الجميع فداء لفرد.

ويتقل مطران في القسم الثاني إلى الشعيب أنهم هم الذين سبوا لطفيان رمسيس السبيل بإدخالهم وأنهم بانحيازهم لأمر وصنعهم التأيييل له، مكروا له كل التمكين. لما إذا رضوا أن نصب له لا فهم النصب، وكتب اسمه هو لا إساهم. ثم يرحم مطران أن الطفيان أحيانا ريا كان منفذا للامن من الابهار الأخلاقية. وقوله:
ليت البلاد التي أخلاقيها رست، يعلو بأخلاقها تيار طغيان.
نوع من الثمني للمنقذ من حال الضعف والانهيار التي كانت عليها أمة مطران
المعاصرة، أن يتح لها رسيسي يغزو بها ويسومها جروته ويصنع لها الفخر وتصنع له
التأليل

يشبه فيهم كإنسانين فنقلاً.
فإذا أنوراً تقع لأوطان
تبتئي جميع فضادات لأحدهما.
وهنا روح استكشف بالمنفعة، غريبة المدن، مثلها كان يقوله أعداء نابللبي عن
مجده، ثم جعل مطران خانقة لكلامه تكبر مرة أخرى لرسيرسي وإشادة بعظمه والتيم.
لهذا من قولها وحنا من الحكمة كونيا يتخطى الأرض إلى الأفلاك.

كم في سنو الكوكب الرهاج مهلكة في كل مع لأسواء وألماً
أي المجد هذا الضياء الرهاج، إنما يتألق به أمثال رسيسي بلهاك آلاف يبنلون كسا
تاليات الأضواء ليتبث منها هذا التألق الباره الذي نراه.

ويلاحظ أن مطران قد ناقض بأخر كلامه أوله، إذ زعم في أوله أن الخالد وحده
هو رسيسي وأن الآخرين هلكوا في سبيل ذلك وشقوا وكذدوا في سبيل ذلك وفي آخره
قد أثبت لهم صورا ووجوهًا عرانيا. والحق أنه لا خلل رسيسي ولا خلذوا هم، وإنها
خلذت الذكرى، وهي ذكرى يبيعها ورسيرسي قد سخر نفسه كما قد سخر شعبه من
أجل هذه الذكرى، وهي المنفعة التي ذكرها مطران في أمرات كلامه وسخر منها
بأسلوب نزوي الذكاء.

ولله رد أبي الطيب إذ قال:...

أين الذي هرمان من بنائه ما توهمه ما يومه ما المصع
تخلاف الآثار عن أصحابها حينا ويردakah الفناء فتتبع
لمما بعد هرمان أنها رمز للتسخير أكثر من كاتدرائيات شاره وكولون ونلتفسر ؟ إن
تلك تلك قد أقامها صدق العقيدة، فذلكم أقام الأهرام صدق العقيدة، فهي آثار قوم
كانوا أهل مج بقية بعدهم، شهد بمجردهم، ثم سيرهم الفناء، وقد كان كثير من
مثلي جبر مطران وصبري وأجال بعدهما إلى زمانه هذا تمسك بعض قضايا السياسة
والاجتماع التي تصدرها أوربا عن واقعها، تمسك أعمى، كأنها تبغى أن تقرب إلى
حضارة أوربا وتنسب أنفسها إليها، فقبل على تجريم مجدها من ماض وذكراه، وحاضر وبقاياه، بأظهار من الدعوى والتقليد كالحات ذات عبس. ولي الله ترجع الأمور.

هذا. وقد افتتح صبري بناء وحث على لسان فرعون، وكأنه داع من دعوة الوطنية الحديثة لأهل مصر، واستجابة من هؤلاء للاهتاف والاطعمة ولكن حيا للإيقان. ويبدو أن هذا المعنى كان دائرًا في أوساط المثقفين. ومن شواهد ذلك مثلًا قوله:

"إذا عمداً لمأثرة أعدوا لها الإيقان والخليق الميتان.
وموضوع الخلق أيضًا، يبدو أنه كان ما يدور في أحاديث الجد والتأمل بين المفكرين.
هو كثير عند شروقي. وقد رأيت منه في قول مطران ليت البلاد التي أخلاقها رست يعلم باخلائها تيار طفيان"

ثم ذكر اسياكل صبري ما تشهد به الأهرام والمياك التي أقامها قدماء الفراعنة وشعوبهم من هذا الإيقان وكيف أنهم سجلوا فيها اخبارهم وسيهم. ثم جاء هذا العلم الحديث فأعتدي على حزمة اسرهم ب단هم فلذ הפلاج جهل وجله الذي هو عدم معرفة كان أرجح من هذا الذي يسيء نفسه عليها ويعتمد باسم العلم، كان أرجح ميزانا من حيث حقيقة الأخير والإنسانية. وهيه احتجاجه بروح غضبة قومية على ظاهر تفوق أوربا المتمثل في هؤلاء الأثأرين الذين ينشون قبر أجاداتنا باسم البحث العلمي.

كتابًا وجهة نظر كما قال السوربون رحمه الله. غير أن اسياكل صبري كان أصدق ولي قولنا أقرب. ثم كلامه أصلى وأسلم.

وبعد فجأ أن الطريق التي سلك مطران وسلكها صبري واحدة - ليست هي طريقا الروث والاقتصاد الذي عند البحراني وقد زعم السوربون أن اسياكل صبري ينسج على موهله. أحسب الذي دعا إلى هذا القول أنه يرى أن شعر صبري غنائي ولا سيما مقطوعاته قال: "وقد الأفرنج نوع من الشعر يدعى (lyrique) نسبة إلى (lyre) وهي القيثارة ولا أدرى ماذا الذي يمنعنا من تسمية بالشعر الغنائي. فإن هذا الضرب من الشعر كان يغني به في القرن الوسطى وهو شبيه بالأغاني في الشعر العربي. وقد تفتتح صبري في هذا الشعر الوجدان ونظم فعلا للغناه أدوارًا خاصة منها: (الفجر) لاح قوموا يأجذر النوم) ومن أدوار المشهورة دور للغناء قديم على نغات العود.
من غير مكرّبات
وبرد خداً سلطان
يا قلب حباً
جُنَّا نخيل
ورجعت تنادي
لك حبدي يرحم
ذلتي
لك كنت تفهم
وأكتب وبعد
واحس بعذاب
يا حبيب همَّون
واحم قلوب العشاق
وهب يا حبيب
وأعلم يا أمير الأسرار
أيها خليفة النصار
لم بيذ عطفتك في السماوات العليا
يا حبيبي أهليت لفضلك وأكون
وأمور السماوات
غضب الله وحزنه
كل يا عالم الأسرار
أيها المطر
أخلي برحلك التسبع السور
هؤلاء العظمى من خير ما قيل في الأوطاف والرجزاء
هذا من أرقى الشعر الغنائي
الذي عليه العاطفة الدينية الحالية إلى السيامة كنهاية
الوصلات لله وما أكثر الشبه
بين قوله:

١سلام الروح والحياة التي في الأ Şimdi ويعتبر شاعر مسيحي عند الفرنسيين.

١الفرنس دي لامارتين (1803-1869)
Et j'ai monté devant sa face
(1) et la nature ma dit passe
Ton sort est sublime. Il t'a vu.

"C'est devant l'homme que le créateur a posé, à l'exterieur, une certaine beauté pour nous faire aimer sa grandeur. "

(1) Heut a la khamis et la khamis.

"Eternité de la nature,
brîevete de l'homme."
الغناء الأدبي في الشعر(Lyrique) شيء جاء به شعراء النهضة، وليس من معدن مذاهب العربية - وتأمل ان تلم بهذا العنى من بعد ان شاء الله تعالى ونعود الى ما قلناه قبل ان كنا هاين القصدتين ذواتا جوهر متقارب في الموضوع ووجه نظر مختلفين في المعالجة وبعض الآراء - ثم فيها ما رأينا من طريقة ترتيب للكلام ليست من سنن:

نعم ونسألها عن بعض أهليها

ثم من بعد:

قد اطرق الغادة البيضاء مفتدرا
عاطيةها غذة الاطراف مرهمة
با من رأى البركة الحسناء رؤيتها
أو من سنن

لو كان يعتب هاجر في راصل

ثم من بعد:

ليبدم لنا المعترض إن بملكه
كملت رويتة وعرزيمية
ولكنها من سنن آخر

ففي شعر ابن الرومي وصاحب الوصف وكثير من القدماء أمثلة من وحدة الموضوع وترتيبه. وقد نص ابن ط바 شاعره بوصف الكلام والتفكير فيه مثورا ثم نظمه من بعد ثم ضم اطرافه بملء الفجوات بينها. ولكن جميع هذا ليس بنهج كنهج المقالة الصحفية العصرية الصادرة عن وحدة فكرة وموضوع وتوابع تبويب وتريبت وربط. قد فطن طه حسين، سقي غيث الرحة ثرى قبره، الى ابن الرومي تأثر باساليب الكتاب - هذا في كتبه من حداث الشعر والثر. ولكنه قد قيد هذا من قبل بأن الكتاب أنفسهم - الجاحظ ورصافه، والراوي الذي هدموا له من قبل - كل أولئك جميعا قد تأثروا بمنهج الشعراء وطرق بابهم. رسائلهم كانت وانا من شعر كتابي، كا قصائد ابن الرومي ألوان من كتابة بالشعر. ولا غرو فقد كان كثير من كتاب ذلك الزمان أيضا شعراء. حتى ابن المفعن قد كان شاعرا. والجاحظ أيضا. وقد كان ابن
الزيات والصوفي مشهرين بالشعر. وكان ابن الرومي كاتبًا كما كان شاعرًا. منذ هاتين القصيدين ليس من مذهب شعراء العصر العباسي والمولد من بعد السالك طريقته الكتاب. لأن مذهب هؤلاء سببهم سنن القصيدة. حتى ما جيء به تعليلياً فلسفياً نحوه.

هبطت إليك من المخل الأرفع
ورقى ذات تعز وزمن
وزينية صالح بن عبد القدوس ولزوميات المعري - كل ذلك قصيدي السنح القصيدة أسسه ومنبه الذي فيه واحة جذوره. أما هاتين القصيدين فإن شكلهما شبيه مختلف سننها كالقناة الصحفية العصرية التي كانت الايضاح قد استطرفهما وأخذت بها أيام النهضة وجعلتها من عدة النصائح والإقبال على تنال حضارة العصر المتولمة في تقوف أوروبا تفوقاً بالنسبة إليها حال جميع العرب وبلاد الإسلام حال رجفة.

لم يكن أسسهم صري ومطران إلا من الطبقة الثانية من شعراء النهضة- أسلوب النكلاة النصفياتية العصرية الذي في هاتين القصيدين من نظمها هو الهيمن على شروط وحافظ وفروعه من شريان النظم الحديث من بعد.

البارودي كلمة نظمها في هرمي الجزة التي مطلعها:
سل الجميز الفيحاء عن هرمي مصر
للك تدري غيب ما لم تكون تدري
فيها وحدة الموضوع، وجودة الترتيب، وكأنه بها كالسابق إلى هذا الأسلوب المقالي، ولكن تغلغل روح القصيدة في ملكة بيان البارودي وشعاره أثبت عليه الا ان يكون هو الهيمن على جملة معدن الأسلوب وسنبه -تأمل قوله:

مصانع فها للعلم غواض
فسايسنوك - السياق والنشر
وينجو بأيدي الجد رجائيه العمر

لا تحس هنا رئة من قول المعري
رآها سليل الطين والشيب شامل

- ٤٩٩ -
وكأنه يرد على قوله:

وقد كان أرباب الفصحاء كلهن
رأوا حسناء عدوه من صنعجة الجن

وقال في آخرها في نهج قصيدي واصحاب:

فيا نساء الفجر أدبي تجتيب
ويا مهات البرق ان جزت بالحري
عليها سلام من فؤاد ميم
ولا برح في الدهر وهي خوئل
مع ذلك لكان البازودي حتى في هذا النهج الجديد من حمل القصيدة على
 طريق المقالة الصحفية نجدها ذا سبق وذا تجديد أصيل رحمه الله رحمته الواسعة وجدت
ثراء شابب الغفران.

لعل القاريء الكرم قد تنبأ لتأثير شعر المديح والإذكار على مساه السوربون
شعر اساعيل صبري الغنائي الصديquant وأما ما تنبأ به وادي بعض ما قال لأمرتين بقا
قائة صبري فقد تأثر الرومسيون الأوروبون بالتصوف تصرف المسلمون وما يخرج
لأمرتين في باب التأثر من هذا النطاق. وقد سبق التنبهي بالأن الرومسيون انها تأثروا في
تقديمهم الطبيعة بالفلاسفة الصوفي الرومسيي جان جاك روسو. وكان
هذا كذا قدمنا واضح التأثر بالصفوفية وعلم المسلمين.

المقالة والقصيدة عند شوقي وحافظ ومن بعد قليلا
المقالة التي قصيدة في ظاهر شكلها والقصيدة التي هي مقالة في باطن أعمها-
توقظ أن تكون هي ماده عليه أكثر الشعر الغنائي عند شوقي وحافظ. وسنرجع إلى
قولنا الغنائي فنوضح مرادنا منه من بعد إن شاء الله.

كان شوقي طول النفس، نظارًا ذا ملكة وكان يرتقي اصابة الرصانة ويتخري
أن يكون له نصير واحد من حسن الدياحة، وكان يعلم مكان البازودي من جميع هذا
فالتلك نموذجا غير أنه عمد إلى مذهب من التجديد اما عن ظن منه ان البازودي مع
ملكته الضخمة قد قصر دونه لغة تقبل القروءة على إسبيه، وتبقيه بحدوده
الضيقة وما عمها تحت منه للات ملكته هو دون البازودي، ولا يستطيع بلوغ مستوى
ديباجته بها يجتهد في سبيل ذلك، وذن فلتلاف هذا النقص بما يعرضه من ضروب

٢٠٠٣
الافتتان، إذ كان البارودي عنه كا هو نموذج، هو ابصاعرا معاصر ينغي عليه أن يتوق عِلى ايس هو القائل:

شباح تقع لا خير فيهم وورك في الشباب الطاعينًا
أم ليس القائل:

شاعر الامير ومما القليل ذا اللقب

وما أقرب شاعر الأمير في نفس صاحبها أن تكون أيضا معنى أمير الشعر وأمير الشعراء وهو كا يعلم القراء الكرم قد صار عليه علما ولك لقب حيلة مستمرة فيها

واعرف لنفسه بأنه دونه في الدبابة والرصانة وصفاء الأسلوب وأصالته وأن حظه من التجديد لر أحسن القيام عليه جابه له المستوى الرفيع الذي لا يقدر على الارتفاع إليه، فمكنه بإدانة قسرا إلى إن يرتفع فوقه ولو على تبان مسافة بين مكان المستويين

وبين نوع حقيقة كل منها.

وقد ممر من شعر شوقي شيء كثير في الجزء الأول من هذا الكتاب وما يصلح للتميل

بها في هذا الموضوع ما نحن بصدده قافته:

من أي عهد في القرى تندفق وآي كف في المدائن تغد يدق

وميعيته:

با أخت أندلس عليك سلام
وبنوتته: فخي با أخت يوش خبرينا

وتوشك أكثر قصائد الديوانين الأول والثاني أن يغلب عليها أسلوب المقالة الصحفية.

ونورد هننا مثالا واحدا نكتفي به وهو قصيدته "ملكة النحل":

ملكة مبكرة بامرأة مؤمرة
تتم في العال والصناع عب السطارة
فسحاعب لعوال يتوليون عليهم قصيرة
تحكمهم راهبة دكشارة مغيرة

أي مردة صوتها وهي كلمة نصدها شوقي من القاموس بلا ريب. سمعت من لا أشك في صدق خبره، وذكر ذلك على أنه من أساليب تزمن الشعراء لانقيص به إلى

٥٠١
طعن فيه، أنه رحمه الله كان يرصد تفويضه عدما قبل النظام

عامة: زاروا
تلمثوا
وانتقلوا
وأتفعلوا
كأنها
ووقع
لم تجد
هذا أول قسم، وقد تدرج فيه من ذكر مملكة النحل وملكة النحل إلى صورة النحلة
العامة. واستعان في الصفة بذباب عنترة وبراع تالية:

تقد السلوقي المضاعف نسخه
وتؤخذ بالصباح نار الحباذ
وفي الأبيات إشارة خفية إلى نزار عدي بن زيد. وكان شوقي رحمه الله أربع من أن يجعل
شعره نزلاً مغشولا كمطران، أو اجتهاديا كاجهادات تلامذة المدارس في موضوعات
الإنشاء – الإشارة والتشبيه والاستعارة وطلب الرصانة في التعبير – كل ذلك مما يرفع
بدراً التعبير:

ثم رجع شوقي إلى موضوع المملكة الذي بدأ به، وجعله تامل. ولا يخفى بعد ما هنأ
من طريقة العودة القصيدية السنية:

قفص
النحل
بأعبل
د
يملك
الأخلاق
وهو...
يقال: العقول جوهرة

هذا من الموضوعات التي كانت دائرة بين المنتمين والمفكرين... وأحسب أنها إنها كانت
مذبوحة من التعبير عن الإعجاب بحضارة أوروبا وتفوقها ومحاولة تأويل ذلك بأن
الأروبيان ما تفوقوا بزيادة ذكاء وحذق ومقدرة أو رفعة عنصرية كزعمهم وأنا بالأخلاق
التي عناوينها ماهم عليه من دقة النظام والمحافظة على المعايير الديموقراطية في الحكم
والحرية في الصحافة إلى آخر قائمة ما صار يسعى لتحقيق الإنسان:

تغنى قوى الأخلاق ما تغنى القوى الفكرية
ويرفع الله بها... حتى الحشرة
وأحد يغنى لنفسه أن يكون حشرة ولو نحلة ولا حشرات ولو نمل ولا الله إلا أن
يكره على ذلك إكراها من طريق التناسخ عند من يصححه.

ثم ينتقل شوقي بعد ذكره الأخلاق في تفصيل ما عاناه بذكراه، وأن في ذلك تبصرة
وذكرى... وهذا المعنى كلا لا يخفى بشيره للآية سورة النحل: لأحوي ربك إلى النحل
أن أخذي من الجبال بيتا ومن الشجر وما يعرضون. ثم كل من كل الثمرات فاسليكي

٥٠٢
سبل زيك ذلًا يخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه في هفء للناس إن في ذلك لأية
لقوم يتفكرون.

أليس في مملكة النحل لقوم تبصة
والحق أن التبصة في النحل لا في مملكة النحل - ولكن شوقى إذا جعل هذا رمزاً لقضية
النظام والأخلاق، وما الإشارة إلى التبصة إلا مذهب من تزويج الأسائل
ملك بناء أهلـه بـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـم~

«من مدة» هذه من لغة دواوين الموظفين

وحكم في قومها موقعة قيصرة في قومها موقعة

جعلها قيصرة لعلبة فكرة تحرير المرأة على الأذان. فهو يشبه المرأة هنا بعاهلة أوروية،
هي هذه المرأة الأوروبية التي شرعت بشارك الرجال وتنافسهم وكان سبيل شوقى إن كان
حقًا يعني التشبيه بعاهلة حاكمة أن يذكر بلقبه أو كليوبتارا أو الزباء، فليس لروم
قيصرة بهذا المستوى - اللهم إلا أن يفعل كاثرين الروسية واليزابيث الإنجليزية بتلك
المملكة. وقد كان يقال مملكة روسيوية القيصرة، وكانت كاثرين ذات جبروت ودهاء.

من الرجال وقعد حكمهم محمرة

لا تورد التموم ولو كانوا البنين البررة

الملك للإناث في الدستور لا للذكر

بكسر الذال وفتحة الكاف بعد وهو جمع نادر الاستعمال من المتضيدات بلا ريب:

نيرة تنثر لـ نيرة

هذا من تزريم شوقى، وهو شيء قضائي المعدن، ولا يوجد به المعنى كبير شيء. ولكنه
دندة حسنة. قولنا لا يزيد به المعنى كبير شيء لأن مراد شوقى من قوله "نيرة" غير
واضح، وإذن هي عبار عن مدع مملكة النحل، سجلها نيرة تلوها على رأسها تاجاً يلمع
أو هو مفرد انتزه شوقى من جمع المؤنث السالمات: نيرات. ولشوقى ولف بالزمين به:
المترعات من التعميم الراويات من السحر

الخواترات من الدلال الناهضات من الغور

003
الأمرات على الولاة الناهبات على الصدور

الناعبات الطبيعات الصرف أمثال الزهور

وأصله من أبي الطيب

بابي الشموع الجانحة غواريا
المتجهات عقوبة ونفوسنا
وجنات الناهبات الناهبات

وهلم جرا

فهل تسرى تخسي الطاع في السرجال والشرة

هذا قافية لا تعجب ابن رشيق، ولا بأس بها على قلق ما

فطننا تلعبة

وعبرنا غفلتها

هنا تعريض - وأنفاس من روح العصر التحريرية الدعوى

وفي السرجال كرم الضعف ولؤم المقدرة

وانتفاعة السرأي ومما وراءه - من أثثرة

وهذه الحكمة كأنها استطرد - ولكنها متحصلة بالموضوع اتصالا غنايا. وذلك أن هذا
المهتج الذي سلكه شوقي من وحدة الموضوع وجودة الصياغة والترتيب، معه تأمل
ذاتي، مستمد من نفس الموضوع، مشع به وعليه - هذا منهج "الريكي". وهنا يصدق
حذاء السوربون إذ فتن ألت أن في طريقة ابتعال صري غناية، وقد رام تفسيرها
بإداء الغناء ذي الدوار. ولكن تفسيرها هو هذا. وهذا المهتج عند شوقي وحافظ
كلها أوضح، وهو وما فارقا به بيئة التصيده القديمة، بنوع من تجديد غربي المعدن.

ثم رفع شوقي من الاستطراد إلى قصته:

أنشي ولكن في جنـ

اللباس أنشى فلمقابلة غير جيدة إلا على توهم نوع من "لكن" "نابغي مثل "غير أن" التي
في قوله.

ولا عيب فيهم غير أن سيروفهم
بين قلـول من قراع الكتبـ
ولا يطلبون البيت على ظاهر صياغته من نوع غير متنقى الصقل. ولاذا خص
الجناحين باللبية. هل أراد أنها على طياراتها لبؤرة؟ كلا - أراد فقط أنها أثنى من صغار
النحل ولها من قوة عظام السباع كمثل قوة اللبيه وشرابتها

- ٥٠٤ -
ذائدة عن حُبَّوضّهَا طَمَمَاردَةً مِن كَحْلَدْهَا
وَأدرعتُ بِبَـٔـحَرَةً
فسارة العقيرة هانئ أتْبِت تَرِفُ مَلاس النُّرجَوَامِةُ، وانجرف شوقي مع التلتيمّ والرِّغْطِيّة في طَول النَّفَس، فَخِلَطَ في كَلَمَهُ بِيْجِهم الإِسْفَاف.
كَأَنَّها تُسْكِنَالْقَفْرَةُ قَُـدُ رَابِطَت بِأَقْطَرَة
ولو رَابِطتُ بازِمِير أو أَفْيْنَ فِرح حُصَائَر أو اصْطِمْبِ، لَكانت أَيْضاً تَرِكْتْهَا وَإِنَّا جَلِبَتْ
"القَفْرَة" العقيرة، وَهَذَا مَا يَقُوِّعَ بِتَحْتِ مَا عَابَهُ قدَمَة حُسَنَهُ بِقَلَة أَخْرَجُ:
فَوَقَّاَكَ الإِلَـهُ من وَآرِهِ وَأَيْقَاكَ صَالَحاً رَبَّ هُوَود
ثَمَّ مَا لَلنساء والرازِبَة؟ تَأمل تَدَايِعِي المَعانيِّ، الإِبَّرَة "والحِرَّة" جاءتُ بِالْتَرِكْيَةِ. أَتْقُرَّة
جاءتُ رَابِطَتُ لِيْمَتِيّ الْبيتِ، وَلَعْبِرُي، إِذْ كَأَنَّبِنَاءِ اَلْبَلَائِيّ اَمْرُ الْقَيِّسْ بَيْنَ الْحَاجِّةِ لِلْإِقَامِ الْرَّوْنِ في تَكَرَّامَةِ الحَدٍّ حيثَ قَالَ "وَوَمَّ دَخِلَ الْحَدَّ عَرِيْثَةٌ " وَأَمْرُ الْقَيِّسِ
مِن لا يَتِمُّهُ، فَإِنْ غِيرَ لَنْ يُجُوَّرَ إنْ اتَّهِمَ شُوقيَّة بِالْحَاجِّةِ لِلْمَثْلِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:
كَأَنَّها تُسْكِنَالْقَفْرَةُ قَُـدُ رَابِطَت بِأَقْطَرَة
وَدَعَتْ "رَابِطَتِيِّ " جَانِ دَارِكُ، كَأَنَّهُ يَرَدَّهُ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّسَاءِ لَا يَرَابِطُنْ، وَأَسْتَطَرَّ
لَيْذَكِّرَ شَيْئَ خَفْيَةً عَنْ جَانِ دَارِكُ.
كَأَنَّها جَانِ دَارِكُ فيٌّ كْتِينةٌ مَعَكْسَرَةٍ
وينبغي أن نُتَنَطِّق "جَنِدَرْكَ " لَكِيلاً يُلْتَقِيّ سَاَكَّيْنَانِ في حُشْوِ الْبَيْتِ
تَلْقَى المِغْرِي بِمَالْجَنِسِ، دَخَّلْنِي المَنْسَكَرَةِ
المِغْرِي هُنَا الأَنْجِليز أَعْدَاءُ شوقيَّةَ وأَعْدَاءُ قَوْمِهِ. فَقَدْ جَعَلَ "جَنِدَرْكَ " رَمَزاً
وُطِنَّا، فَصَرَفَهُ ذَلِكَ عَنَّ النَّحْرَةِ ذَاتِ الْحِرَّةِ;
السَّاَبِعِينَ شَكْكْةً البَـٔـحَرَةُ البَـٔـجَّالَغَمِيَّةُ جَسْرَهَا،
هَذَا الْبَيْتُ تَرْنِيّ وَفِيهِ وَهُنَّ إِذْ مَرَادِهِ الْبَالَغِيَّ غَيْرَ الْحَسَارَةُ، وَلَكِنْهُ حَذَفُ مَعْمُول
البَالَغِيَّ، فَصَارَ فِيهِ مَعْنِي الْبَلْوَغُ وَحُدُدُ، وَلَا يُصْلِحُ وَحُدُدُ إِلَّا أَنْ يَتَمُّ نَقْصُ مَعْنَاهُ قَارِئَهُ. وَجَسْرَةُ حَالَّ أَيْ حَالِ كَأَنَّهُم جَاسِرِينَ، جَعَمُ جَاسِرًا عَلَى جَسْرَةُ، كَأَمَّا فِي بَيْتِ
الْجَمِيعَ
قَطْعَ قَضِيَّةٍ أَلَّا لَفَيْلِةٍ
وَالْعَقَّالِاءِ شَرِّهِ وَمَهِيٌّ
جُمُوعُهُمْ فِي السَّبْعَ والْعَشَرِ اِتْنَهِيٌّ
ثم أطلب في نعت بطلته: جندرك عدوة الاستعار

فقد نشرتهم جوعة وفضحتهم مثيرة
هنا باخ التزم بسبب إسراف شوقنا فيه. فقد صارت: جندرك حجاج أبو
عبدالملك بن مروان الذي في خطة الحجاج: نشر كتابته بين يديه وعجم عديانها. ثم
عادت من حجاجيتها ومراعاتها هانا تركية في: نفستهم مثيرة وترك الشاعر مأساة
"جندرك" المسكنة أن يلم بها. ولو كانت حقا نثرتهم وفضحتهم ما أسلموها للعبدو
والنار ذات الوقود.

ففي القرن العشرين لم يستوعب
ليس الأموات شريرة
فأولئك من من كل الملك إلا في ذرى
هذا المعاني من أبو الطيب ألبيتها شوقنا لغة الصحافة، وهو هؤلاء كنما يفسر
الحفل بها جعلها رمزا له، وهو دولة مصر لو صارت أبطالها نجاحا وخديويهم قصرًا، أو
قيرة جندركية تطرد اللوردة الملائمين

عذبه فمن عذبه كمان لا
رب النسيبون الضر
أحسى على السرقة، زرقة الحديد، كتافه بذلك عن مضى حدهما ثم بعد أن فسر

مصلحة معارضة
لا يتبع أن ينكر أنه
مال في أتباعه، هم
كما في أتباع ملوكنا يا صاحب_ هذا مراده إن شاء الله.

لا يعترفون بينهم
من البَللاء أكشراه
كما عرفنا نحن، وعدهوا رجعة إلى موضوع الأخلاق، وغمزة من غمازات السياسة:

لأنهم مسيحيين وهم مسيح
ملكه وظهره
كامله مخترعه
من مملكة نموذجية
صيارة عن دكة

-506-
بماكورة تستنض عصائب المبكرة
ثم يجيء التنصم بجمع المذكر السالم على طريقة أبي الطيب:
الشَّابِينَ فِي ظَهْرِهَا، وَطَلْعِنَّ فِي لِبَاتِها
والرازيين جَدَدوهُم آمَاتِها
قال شوقي من بعد قياس على هذا النمط:
السَّامِعين الطَّائِفِين
و legislated تحاكي المغزاء، ولكن شوقي كان من محاكاة الشعراء وجاراتهم مغرى
وبذلك أدرَب، فهذا زعمنا أنه أخذ بطرق أبي الطيب
من كل من خَطَّ الْبَنَـا أو أقـَـام أَسْتَـرَـه
أو سَـيِّد أَصِـل عَقَّـده
أو طَـفَـاف بـمالاء على
رحَـد أَرَّاده المـجَدَّرة
ثم اختتم شوقي هذه المقالة القصيدة بعيدة إلى فئة النحلا، وقد كان وصفها
مفردة، فالآن جاء بها في جمعها - في ثوب الذابذ ذي الدوى:
فِي فَـسا وتميَّز مـوقَرة
وتنـهـب النحل خفـا
خَـائِل المـَـنِـقرَـرة
حَـوَـال الشعـِـم من ~
كَـسَـقَـقَـرة الشِـرَـة
ذوـات الشـارة أي الحسن والكلمة متصيحة
مشـددَة جـيـسَـوـها
على الجنى مـضاضةـزرة
هنا عودة إلى ذباب عنتره
وكل خــرطـوم أدأ
وكل أنـف فــقـالـانـى
فيه من الشهد بـرَـة
هل رأى شوقي أنف النحلة؟
ذكر هذا المعنى - طرفا منه - في قوله أول شيء " تلمست بالأرجوان "، وبعد أن
يكون رحم الله قد رفع أنف النحلة كل هذا التنين ولو قد وقع هذا البيت لأي عشاء
لعدة من باب الجسرة - كالذي ذكره عن بعض رواط أنه جسر فزعم أنه رأى أير ذباب
وهو يكون ذبابٌ
حتى إذا جّلَّأت بـهـ جـَـاست خـلال الأدورة
الآيات عن عني، وأخذت هذا من الآية: فنجاسوا خلال الديار وكان وعداً
مقفولاً ظاهر جلي [ آية أول الإسراء].

وغيته كالسلاف في الدنيا المحضرة

هذا التشبه ضعيف، إذ العسل أصل في النعمة، ولا يقال عسل كالخمار، وإنما
يقال عسل ولين وعصر - قال حسان رضي الله عنه

كأن سيناء من بيت رأس
من التفاح هصر اجتتاء.

ومثل هذه الزلة عند شوقي كثير، وهو قصر باغ في صناعة ديباجة الفريض.
فهل رأيت النحل عن أمة مقصورة

رجع هنا كما ترى إلى المعنى الأخلاقي. ولكنهم يوضح أن كل النحل جواس من
بسانات تعش له ورجل الله أمر من مغول في الحضارة، وعلى ذلك أن يكون ما جعل
جلالة باقية القصيدة - وهي بذاة قلب، وروح أول من كل شيء - تعر(pair عليه وتنصص
على محاولة الجهاد منه. وإذا نزل شوقي النحل بسانات فإنها لأنهم
كالمفترض من الناس حين جنت من أهال بساناتهم، ولأنهم يتفقد ما اقتضيه
البسكرة - وهي فضيلة لا تسلم من عناء، قال:

ما اقتضت من بقيلة أو استعمالات زهيدة
أدت إلى النعاس بساحة سكينة.

ولننظر الآن في مقالة حافظة بعد هذه الشوقي، وكان حافظ من تلاميذ
البارودي، يوجد في مذهب له، فشوق عليه من ذلك أحياناً إشارة، وما جعل
البارودي نموذجاً يفيده أن يتفوق عليه بمذاقات كذا فرع شوقي، إذ كان كالمسلم
الباحث ومستأذن ولك منافسته كان شوقي. وقد مر في كلم سابق: حافظ

يراهيم شاعر قرننا هذا الفرد الشوقي، وتعصب بعض الناس، لا كانوا يجدونه في
شعرهم من كلما يناسب روح العصر السياسي المثير على البريطانيين، وشعره في حد
ذلك لا يجوز أن يقاس وقرون مع شوقي، ولعل مسافة ما بينه وبين شوقي، بعد
مسافة ما بينه وبين شوقي، أقول الآن، لن هذا القول أن يكون فيه جوز على
حافظ، إنما أجزاء من أصيل ديباجة من شوقي، وذلماً أن يكون الدكتور يذهب
إليه في بعض مرات الأولى له من الدروس والندوات، ولي الفارض، بعد بانيتيه
التي علوها غادة في البهاء - هي أيضاً مقالة قصيدة فيها عنصر غنائي، وحرص حافظ
على مقاربة روح القصيدة بنفس أصداء من حياة البارودي ومقدمات نايلات
القدماء التي يجعلها تشهد حزين النغم يقوم مقام النسيب، كقول الأعشى مثلا:

لعمراً ما طول هذا الزمان
قل رجل الله:

لأنكم كنتم إذا السيف نصداً
رب سباع مصر في سعيه
مجرحاً بالخبطة يلذون إذا

- 508 -
أوثّق الحسن عفّقت الأدب
إيه ياذنياً عيسى أو فابسي
إنه في الذهاب لي عرّف بكم
أرى بدمّي فحسب لا
المطلع جهير قضي قاع للأولي
ثم هو خطاب وسُفه هذا لل شاعر أن يتخذ سماً من الخطابة الواعظة في البيت الذي
تلاه - غير أن هذا البيت بدأ بحضير جيد ثم انبري إذ كان حافظًا أراده تقوية المعنى
الذي أصابه في المطلع ولكن مراده لم يستتم له. قوله: "الله أربى" أجد وأوّج من
قوله "أخطأ التوفيق فيها طلبا"، "إنه في هذه عناء والتوفيق ليس بالذي يخفّته
طالب، وإنها وهو عون يحي من الله سبحانه وتعالى. قوله "رب ساع مصير في سعيه"
يحتاج إلى تكملة قوية إذ هو بداية وتواجه حسنة، هذه قولاً إن حافظًا بدأ بحضر (أي
جري) جيد ثم أعجز من بعد.
والبيت الثالث أوله حسن، ومنتهى محتمل ولكن فيها عناء، والمعنى في صدر
البيت الرابع واضح ولكن العجز في غموض، مع ما عهد إليه حافظ من القابل.
ولكن حافظًا جعل في هذا النفس الخطيبي بعض كلام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب صلوت الله عليه، حذراً بجانبيه، وذلك مثل قوله عليه السلام: "فيه دنيا غري
غيري" وقوله: "ولكن لا أري لأني لن يعطون"، وقوله "وفهم هبكم فقد رامي بأوق نذل".
وقد تقالا إن زيداً والمحترم عبد اللطيف الكاتب، كل أولئك تعلموا البلاغة من
خطاب أمير المؤمنين كرم الله ووجهه. فأخذ حافظ من بلاغته سير منه على طريق
مهم. وعجز البيت الخامس لا أرى برقك إلا خيلك أضعف من صدره.
على أن التأمل لهذه الأعجاز الممتازات، واجد فيها جميع مشابه غير
الضعيف. نوحا من مسححلة في جواب سؤال: "رب ساع مصير في سعيه... ماذا جرى له؟
يوقف. مرحبا بالخطاب، لماذا ترحبه؟ لأنه طريق إلى العلياء، العلياء هي السبب
الذي جاء به. عقني الدهر ولا أني أثير الحسن - ماذا كنت تفعل؟ كنت سكت
وتلقّت الاستغفار ولم أقل شعرا. إيه يا دنيا أعيبي أو فابسي. ماذا هذه التسوية؟
لأنك كاذبة، عبودك وتنتقم سوء وبرق كحلب.
هذا الأسلوب الذي حاكم جامع الرصانة القصيدة لا يرامبه، يرامبه حق مذهب
الصحافة الشعبية كل الرضا. ويكتب في ضوء هذا الرضا، نوحا من صفاء في
الدياجة. فتم. ثم بعد أن جعل هذه الخطابة العلوية الشكرى مقدمة، صرح بمعنى استراحة
الهمن المقدمة. التي ركودها هو سبب شكاوى. وهذا موضع الأخلاق التي هي النظام
والداب والتدبير المبلغ إلى مثل مستوى حضارة أوربا
- 509 -
فهذا خاتمة لموه أمته التي أحيدها المؤيدة، هي شكره الدهر. البيتان الأولان
ثانيهما مثمن معنى أويلها وأولها محمード ثانهما، تتضمن سؤالا في جوابه إذا السؤال كيف
خذلته؟ والجواب أنني أدعو إلى حب الأهل وبغض الأجانب، وهي لا تطاوعي
على ذلك. وكلمة الغرباء لا تؤدي معنى أجانب، أجانب أوروبا وخاصة البريطانيين
المستعمرين، ولكن حافظا ميجد جدا. وكلمة الأهل أيضا لا تؤدي معنى
المواطنين. ولكن مراد الشاعر مع هذا ظاهر. ثم في الأهل والغرباء، نويع من نفس
بلدي شعبي، يوهمن بأن الشاعر قد قصد إلى هذين اللغتين قصدًا، ولم يلبسه إليها
عجز أو إبراء. قوله "وتفتدي بالنفس الزريبا" إن هي إلا إطاب في معنى صدر البيت
"تغش الألقاب في غير الفعل، وصدر البيت أوفي، وله أراد حافظ لغز الفعل تفسيرا
بقوله "وتفتدي بالنفس الزريبا"؟ فالربت من الفعل. وكان حافظ يسخر من هذا الذي
يتهم طالب الفربك أن فيها الفعل. وتعبر بعد صفحه لأن قوله "وتفتدي بالنفس
إذا أراد به تجلده العظم من أجل الحصول على الركب، فكأنه النفس الذي
يغش بالنفس والنفس، وقوله "تهوي الطريبا" أجد لو قال وتهوي اللعب، لأن اللهو
واللعب مصطحبان، وعلى ذلك وله جاء بيان القرآن. ولكن حافظ احتاج إلى اللعب
ففي البيت التالي، ليحرا من أذناب الاستعار الذين فهم في الدولة مكان، أنهم قد سمحوا
للمقوم أن الإجعلي أن يثبوتوا بمالح مصر، ثم ما كان لهم عند أنفسهم من اعتبار إلا
أن ينتموا ما حل بهم وبأيديهم إلى صروف ليبيا، "وذلك الأيام تبالوا بين الناس".
وإذا تأملنا جانب الخطابة الهازة في "لا تبال لعب الفهم" وسره كله في القوم
الذين هم أيضا صرف الليالي، فإن لنا أن حافظا لعله مصيب في إخبار كلمة
اللعب، ليكون اللهو الذي هو طرف منهم واللعب المصاحب معهم، من القوم ومن
الدهر المهمين عليهم.

ثم أخذ حافظ يقص قصة اليابان على لسان مزى ضمني معنى الحرية متماثلا في
المرأة الجندرية الباسلة، ثم في مشاركتها للرجل في تحمل الخطير والنهوض به تطلبه
510-
واجهت حضارة العصر ودواعي التقدم المشود. ولا يتفق أن الدب الذي هو رمز الاستعمار الروسي بالنسبة لأهل اليابان والشرق الأقصى، هو أيضًا رمز للاستعمار البريطاني الجامع على مصر، إذ اليابانية هي كالكتابة عما في ضمير مصر الناهضة المشرفة إلى تجديد مجدها القديم.

ليتهم تسعمني قصصًا ذات شجاعة وحديثاً عجبًا.... وهب الله لها مما وخصصاً صفرة تبني اليهودية الذهبية.

هل أراد حافظ هذا الإشارة إلى الآية: 77 إن إله يقول إنها بقرة صفراء فاقع لها تسر الناظرين؟ لما وصف اليهود هنا بأن صفرة هذه الفتاة تسبيهم الذهب. ... هذا بلا ريب مقابلة ذات لون من فاكهة شعبية إذ لا ينس اليهود صفرة الذهب مما يبلغ جمال صفرة الجنس اليابانية من البهجة. هذا أسود صحي، وكان شعور حافظ بصفحته هو الذي دعا من بعد قوله:

حلت لي ذات ين يقول با لا رعاك الله ياذاك النبا وإنها تحمل الأبناء الصحف. وفي القافية قلق. ولعلها كانت تكون أقوم لود قال: لا رعاك الله يا ذاك نبا من دون الألف واللام وتحقيق الهزيمة فيه ما فيه، إذ الألفات اللاتى سبقن كلهن ألفات إطلاق إلا أبي ونبا وربت مع ما تلاما مسجمة.

وانت تظاهر والليل فين نظم القدر بعده والخياماً، ثم قالت لي بثغر بجسم.

هذا البيت على سرعته وكثرة تداول الشعراء مثل لفظه ومعناه، سلس الموقع هنذاً قوته نظم الديب، بعد الضمير فيه إلى معنى الانتساب، فاقدر النباه والأنساب اللاتى لهم ومضت الحب هو اللامي، إذ الشفتان خمر، والبيتان احتفلها خديف من مغامرات عمر وأضرباء من شعراء الغزل احتزال إشارة حسنة الموقع.

لا أرى في بعده مغلبة، نبوني برحيل عاجل، ودعانى وطني أن أختبئي. نذبح الدب ونفرى جلده، قلت والآلام تُفَقِّرُ مهجتي ما عهدناه أظهر مرحباً
ليست الحرب نفسها تشترى
أحسب القند من عصدها
فسلينى إنى مساردتهما
وتحمت السردي في غضار
قلت ما بين عينيما لنا
جَال عزازيل في أنحائها
فدعها للذى يعفرها

أعلنت فتى حافظ بينها إعلانًا مفاجأة هي نفسها له. لم تشبه بأمرها كما سبقت أم عمرو الشافعي. وما كانت فتى ح حظت بها القلب ثم ما هو إلا أن تروى المحب حوة أهلها وهي تسف الحب، وركابها قد زمته بليل. إنها فتى عصرية يابانية ضربها مشا يستحثه بمصر وأمنها التي تندش العز والتحرب. وقد أحسن حافظ إذ جعل اليابانية التي تذبح الدب الرومي ومسا ما يأمله من نفحة أنم المصيرية العبرية المسلمة لتنديع الاستعمر البريطاني ونحوه الصليبي، ذلك أن اليابان بدأت تنضخت في وقت مقارب لبداية محمد علي إلا أن محمد علي بدأ بالحرية والأسطول في بلد عيون أعدائه عليه متمة أشذ التفتاع بالرماية والحد، والكراهية الدينية العميقة الجذور. فانتهروا أول فرصة و 모르ها على الأسطول المصري فأغفوها. وعلى تقدم الجيش المصري فصدوه. ثم دخلوا مصر بتأريخ "استعمرهم" المعروف. وقد كان محمد علي يجهل وغوره مطاية من مطالبهم تذرعوا بها إلى الموغل في إفريقية وإدخال التبشير من وراء ظهر الإسلام.

ليطعونه ب. وكان أمر الله قدرا مقدورا.

هذا وقد تصرف حافظ في نهج القصيدية. شاعر قصيدةه يشكو إخفاقه ونبو سيفه وعوائق الدهر له والذين الذي حاقي به في مكان نسب الشعراء، و يأتي نسب رمزي فتنى يابانية فارسة مقاتلة هي التي تعلن العزم على رحل جد، لا رحلة طعينة على هودج، ولكن رحلة عزم كالمؤثر طرفة لنفسه ولناقه حيث قال:

على مثلكي أمضى إذا قال صاحبها
وجاشت إليه النفس يوما وخالد
لا يئتي أفديك منها وأفتحي
مصابا ولو أمسى على غر مرصد

وقد أصطنح حافظ حرارا خطابي الصغيرة، لا يقسم إلى تمثيل ما يقع من حوار غرامي، ولكن جعله مذهبا من مذاهب التحفيض والمؤذنة الحسنة. وقد تلاحظ جانب المغالبة الشعبية الصحفية الفكاهة الروح شينيا في قوله:

قلت والآلام تنفس مهجتى
و يكما تصنع في الحرب الظبا
النفس هنالك مصرى قاهرى خالص. ثم أتبعة حافظ عبارة ذات لون من تفخيم ما عهدناها لظبي مسرحاء، ثم فين من هذا المعنى نوعا كأنا تعريض يا عليه حال النساء المجابات النواعم

أحسب القعد من عدتها أم ظنت اللحظ فيها كالشبا فسليتي إني مارستها...

والآيات التي تل، على أنها مذهب خطاب، لا أكاد أشك أن حافظا انتزعها من ذكرى تجربة حرب حاسها حفوا. أو شهدها مصاعب. أو كان فعل لقرب عهد بخوضها، وذلك أنه كان في جيش كشنر الذي حارب الخليفة رحمه الله. وقد وصف قتالهم بخيلهم وحراتهم الواصفون، إذ هم محضهم نيران المكسيم، وبقدمون، رجاء الشهادة في شأن الله وفي سبيل الله. وما بدل على صدق المشاهدة ذكر الفقع وهو غبار "كريري". ووصف حافظ قرب في جوهرة، والصور الخانقة التي صورها من وصف المستر تشرشل في كتابه "جال The River War عزرائيل في اتحائها، وما كان مشيه الميديب، إذ الميديب من مشي الإبل، وإنها كان يشد شداً. وأحسب أن حافظا قصد إلى التجنس حيث جاء به "هيمبا" من قبل. وقد يكون استشعر في لفظ الميديب نوعا من التهويل، ثم رفع إلى التعريض بحال الحجاب للتبنمر مرة أخرى: "والرمدي باطلية الهان الخبا"، وفي هذا من ريح الفكاهة المصرية بعض الأنفاس. وكذلك في قوله من بعد:

فأجببتني بصوت راعتي وأرني الظبي ليتصوأ غلبًا وحش جما وحق شجاعة وهم جوا.

وقد الزنوم شوقي في مبالغته "جنس النحلة إذ جعلها لبود. وحول حافظ نوع الظبي وجنسها مما فعلها أسد ذكرها. وفي كلنا الخانات مذهب الشاعرين قريب من قريب، إذ تمرادات التصروف في تشبه البسالة المعروفة. وهم هذا التصرف من طبيعة الأسلوب الخطابي أو الكتابة المبسط الصوفي المنحي إذ اللبود والأسد الأغلب ليسا هنا تصويرا ولكن عبارة لفظية بحتة، كما لو قال شجاعة مع صفة تقوية نحو جم جم،

فأجببتني بصوت راعتي وأرني الظبي ليتصوأ غلبًا كيف تدعوني لا أشري من صرادي أو أذوق العلماء لا أنتي

- 513 -
قوله راعني فيه تشبهه لصوتها يثير الأسد الذي شبهها به ثم رجع بها في ساحة الحرب.

في كل ذلك من أربه تنبيه على دور النساء الذي ينبغي أن يقم به في نضال العصر الحضاري الجديد. ولا يخفى أنه بذكاء تضمن الجرحى وحصره عمل مشاكلة المرأة الحربية في هذا الباب، بمراد إلى ما كان يعتقده هو وكثير من مثقفي عصره من ضرورة التوسط في أمر تحرير المرأة والاعتدال الذي فيه إبقاء على كثير من محافظة الحجاب والخشمة التي معه.

أنا إن لم أحسن السكرم ولم تستطيع كفاحي تقليب الزبداء أخذد الجرحى وأقضى حقهم وأواسي في السوغ من نقباء.

وعند هذا التمرين الضار الجديد الذي تنسب أوائله إلى "فلورنس نايتنجيل" وهو أقدم من ذلك بدهور.

هكذا الميكاد قد علمتنا أن نرى الأوطان أما وأبا الميكاد هنا رمز للمستقبل العادل، أو الطاغية المصلح، كا زعم مطران ولا يخفى التناقض. أو رمبس:

ملك يكفيك منه أنه أنضج الشرق فهذ الغرب وإنها أراد الغرب، إذ الغرب لا يعرف علما إلا على بلاد المغرب الإسلامية ولكنها الثقافية. ولا أحسب واحدا غيرها.

وإذا مارست ألفيته حولا في كل أمر قلبا مثل سعادة بني أمية - معاوية وعبد الملك والوليد.

كان والتاج صغيرين معا وجلال الملك في مهد الصبا

المعنى هنا غير واضح واللفظ قريب وكأنه ضمن قوله هذا آخذا من الآية "ويكلم الناس في المهد وكهلا" - "واتيناه الحكم صبيا" وشوقى وله بالمسيح أفاده من تعلقه.

- ٥١٤ -
بالثقافة المصرية وتمثل المسيحية الحضارية وكان رشاشا من آسماج شرقية أصاب
حافظا فمسح من طريق تعبيره هنال.

فغدا هذا سياح للعلا
وغير ذلك فيها كوكبا
ونظم البيت مخبز على قول الخليل بن أحمد المشهور يذكر عيسى بن عمر، وكتابه
الإكicals والجامع
بطل النحو جمعاً كل شهيره.
ما أحدت عيسى بن عمر
ذاك إكال ونجزاً جمعاً
وهما للناس شمس وقمـ.

وطرقة المحاكاة في هذا، وذلك، مع ذكر السياحة والكوكب كيا ترى.

بوعه الأمة من مرقدها ودعاما للعلان أن تداوـبا

وما كانت أمة الميكاد راقدة. فهذا مثل ضربه حافظ وعودة منه إلى ماذكره أولا حيث
قال: «لا تلم كنفي إذا السيف نبا» وحثه قال: «أنا لولا أن لي من أمتي خاذلا الخ»

وهكذا قال: «أمة قد فت في ساعدها» فالأمة هنا هي أمة حافظ، وما تقدم من ذكر
الميكاد إنها هو مثل واستثارة ورمز:

فسمت للملجع تغيي شأوـه وقضت من كل شيء مأربا

من الصناعة والتجارة وذبح الدب جيـعا

ومحافظ كلمات فيهن مثل هذا التصرف بمنهج القصيدة وإشرابه معاني العصر مع
وحدة الموضوع والأسلوب الذي يخاطب جمهور المثقفين - أقرأ مثل حريق ميت غمر

سائلا الليل عنهم والنهار
كيف بانت نسأوهم والعذاري

ورعاية الأطفال:

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال لا بل نفاذ بالعراء حيالي

ومدرسة البنات ببور سعيد وهي في موضوع تعليم المرأة:

- ٥١٥-
في حب مصر كثيرة العشاق

هافاظ شوقي كلاهم قد أخذوا من القصيدة وزنها وفافتها ونصرها في وجه من أساليبها وحروض على سلامية الديباجة ورصانة ماصطاها. وتشبه ديوانة شوقي خشونة صناعة عمل وكدرها وتشور ديباجة حافظ شعبيه تقارب أن تحرف إلى بعض البقليات. كلاهم بعد قصيدته مقالة في التجريب والنزيف والمذهب الياني الصحفى المعدن. إلا أن أسئلة شوقي صحفي كتابي، وأسلوب حافظ صحفي خطابي. شوقي مكب على طرس يكتب لمن سيبقى على طرس. وحافظ يشيد ويبلق أمام جهور ثم تطالله الصحافة من الغد قراءه من سمعه منهم ومن لم يسمعه. وقد يشيد شعر شوقي من يتبث فيه عنو، ولكن سنجمه ما ذكرنا.

هذا شوقي وحافظ بعد بديهان في عنصر من عناصر التجهيز، ذكرنا من قبل أن السوريني رحمه الله، كأنه قد طن له في معرض حديثه عن شاعرية إسلامي صبري، وهو ما اصطلح له النقد لفظ Lyrique - أي الغناء أو الشعر الغنائي. وقد بيتا من قبل أبا تازانا لبناء القصيدة العربية من الشعر الغنائي بما أبي غني عن إعادة ذلك هنذا، ولكن حافظ وشوقيا أخذوا بوحدة الموضوع، يبرزان القصيدة حول قطب ومحور من فكرة. ثان تقتسمان تلك القصيدة وذلك الموضوع تفصيم ذاتية - أعني أنها تتمثلان الفكره والوضوع أن ذلك امتداد من أنفسها ثم يسبغان على الفكرة الموضوع من تقصم أنفسهما لذلك، أو بسبب صحوة ذلك امتدادا لأنفسها، معنى إنسانيه شامل، هذا المعنى الشامل، وهو امتداد ذاتها الآن التي قد صارت إنسانية شاملة، يتوخين به أن نكافأ ما تفعله هذه الإنسانية الشاملة بقولهما. هناعتاثر المحاكاة للطبيعة - مثل شوقي معرفه لأمه من دقة ونظام وتدبير وأمانة وهكذا من الأخلاء التي ينبغي أن تنصف بها حتى لا تذهب وحيداً لا يصرح ببيان قومها خراباً - مثله مملكة النحل، حاكي بلطفه ووصفه وتأمله حال النحل ويعوضها الذي يبرده حالاً يقومه…

إلى نهو من هذا الوجه ذهب مطراً حيث قال:

أكبر برمسيس ميتا ليلم به ما زال بالقوم حتى صار بينهم موت وأكبر به حيا إلى الآن. إله جنود تعباه وكهان تشكي وتواصه وشباه إله إله إله إله إله إله إله إله إله إله إله إله إله إله.

ورب سائنة بلها هائمة يسومها كل خفف وهى صابرة فجلت تحت نجاج الملك مدفوعاً
وقد نبهنا إلى قبح هذا البيت - ولي نحو هذه ذهب اساعيل صبرى حيث قال:

لا القوم قومى ولا الأعوان أعوانى
لأنتموا مستحيلا في استحالتكم
مقلة قد هوت من عرش قائلها
لم ير فرعون ألقاؤها على ملا
لكن فرعون إن نادى بها جيلا
وازرت------ هเจير تسيل بها
بنا بذى الأمر لا خوف ولا طمعا

وازن بين جميع هذا وقول حافظ:

هكذا الميكاد قصد علمنا
بشت الأمة من مروقهــا
فسمت للمجمد تبغي شأوه

وقول شوقي:

ملكة عمارة
المال في أتباعها
أصلا له من شمره

يعني أصل مال له قائمة عليه يئره.
لمو سفره عرفوها
ولأنها نزعة لابية
سبحان من نزعة عند
الهدف في جميع هذه الكلمات واحد. وحافظ وشوقي أجود جرينا وافتتنا وفضل شوقي.
على حافظ لا يخفى، مع ما قدمناه من احتراز,
شاعر القصيدة العربية الأصيلة لا يجاكي الطبيعة ملحمياً أو (درامياً) أو (أميركاً)
إنه يقول مكافحة مواجهة مثلها كان يفعل إنياء بنى إسرائيل. هكذا وصفهم النقاد
العربي القديم.
وتقول، استناداً إلى الموضع، إن النقاد العربي القديم لم يكن بدائيًّا فطريا ساذجاً، هذا
قول بقوله من يقلد به دعاوى الافتراء في التفوق المطلقة كلها أو جلها من نقطة أراكان
"Ethno - centric" عرقية. وكما يقول بعض علماء الاجتماع العلماء في اصطلاح اللغة
الإنجليزية. وقد يحسن أن نتتبع إلى أن كتاب الله العزيز فيه من أمر النقد الممكن
الدقيق ما لو تنبه له أهل الفكر لكان لهم ناهية عن انتهاق قانوناً بالنفطية والساذجة في
النقد... قال تعالى (سورة الدخان) "إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم
نظر ثم عرس وبعد أمر واستكبر فقال إن هذا الإله يؤثر إن هذا الإله هو أبوب".
يعد هذا النقاد البدياني النفطي الموصوف هنا ينظر في قضية من أخطر قضايا النقد. هل
هذا وحي صادق من عند الله أو هو قول أفراده... هذا النقاد الساذج النفطي الموصوف
هيناه بأدغ يوصف به نقاد متورس، كان من ملأ قريش، شيخاً من كبارهم، وما في
الأية إشارة إلى نفطية فيه أو ساذجة، ولكن إلى جبرية ودهاء. وما كان ملأ قريش أهل
ساذجة. ولذين فتحوا الفتح وعلموا الناس العلوم وأيات التحدي والنقد التي
تبني عن حال ما كان عليه القوم من معرفة البيان وتحريصه كثيرين، وليس هننا
موضوع الاستقصاء بل أخبار النقد التي وردت عن التأثيم وطرفة وحسن وعلم جرا.
اعلم أنه القاريء الكريم أن حافظاً وشوقياً (ودى برئ بعض الفضلاء) ألا تنصب
شوقى بفحتة ظاهرة وتبين ونكن تحتك إذ هذا علم ويتكون قوليهم بادي بدأ وأبدى
سيا والسوريون يقول وهذا لاتئامه حالة واحدة في اسم شوقي، وعندى أن هذا
اسم عربي ينفع أو ينبغي أن ينفع مع أنه ليس تعصية لأسس العرب وإنما تصف الحكاية في
نحو شوكي ورعت وصمت وردت لأن هذه حكاية لموقف عناصر وفتح وبعض
القراء في تأثر النظر الذي رسمت في الصحفي متوسط وهو مذهب للعبر حكاه
سيبوي عن أبي الخطب) - رجع الحديث إلى أن شوقياً وحافظاً ما كانا تقيديين
حافظين على عمود القصيدة، ولكنها أدخلا فيه تجديد شكل وطريقة أسلوب هذ
"الليريك"، مع ما أخذه به من أساليب المقالة ووحدة الفكرة والمشروع ما كانت تدور
حوال أحاديث أهل الفكر واصطراز عرائهم ومذاهب التأسيس سيل النهضة والحضارة
الجديدة والتحرر من المستعمرين... ومن المحافظة التي عليها المسلمون إلى ذلك
الحين، مما جرى عند طالب النقد مجرد التخلف والتأخر والرجعية.
كان حافظ شوقي وجيلها في مصر وغيرها من بلاد العرب، والتأثير بينهم أولاً جميعه رواه نهضة. وكان شوقي أكثر تجديدًا وأعظم افتتانًا من حافظ بها نظم من السرحيات والأفاصيل والسيناريو. وكل هذا عارض به أسلوب القصيدة واستحدث به وجهًا جديداً من مسائل العقل والطبيعة وغيرها. إن أول مفاهيمه الخطرة الشأن كان هذا المذهب القلي القصيدي الغنائي - وقد سبق في أوائله مذمومًا ولكنه هو وحافظ خاصته قد جعلاه طريقًا مهيبًا. ولم يخل حافظ من نظم مسرحي في كلمته.

لِبَلَّا مَا أَنْتَ حَيٌّ بِجَرْجِي وَلَا أَنْتَ مَيت,
ولا من نظم قصصي في عرشه:
حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أُنِقَّلُها إلى ساحة الفاروق أهدتها وقد جارى بها ورئ بعض أشهر المداوين النبوية. غير أنه بجعله الفاروق قد مدحته، إن ضرب بذلك مثلًا من أمثال روح عمر، التي كان المديح النموي في أنظار متفقها من طاب المحافظة واحالها وكأن ذكر عمر بين الخطاب بمدينة الروم لم يرغبون فيه من تجديد المج ل الإسلام وفجوة - فكان عمر في نظر رائد النهضة الإسلامية العصرية التي تخصست من بعد عن حركة الخوان المسلمين مثلًا علم البطولة الذي يجرون به القلوب.

هذا وكما كان رأي شوقي وحافظ وجيلها الاعتدال في قضية تحرير المرأة - قال حافظ:

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرة 
وقال شوقي:

يا باتير لا تألوا قبولوا جن قلت تماطل
أنت ابن رأي للطبيعة فيك غير منحدد
ابدا مروح بالإسرار مهدد بالقتل
إن طرقت عن كنت وقعت على النسور الجهل
كذلك كان رأي في قضية تجديد الشعر وتحريره من قيوده القديمة أن يكون ذلك فيه الاعتدال. وقد كان شوقي كثير الابتعاد لشعراء الغرب. حاكي لأفونتين وواسين وشكسبير في الأفاصيل والسياقات، لا بل في بعض القصائد - مثلًا: "ألا أحيق صحبة الكتب" فهي على جذورها مذكورة على كلمة شكسبير (كل الدنيا كخشب السرح) "وقد عرضنا لأشياء من هذا المعنى في غير هذا الكتاب بتفصيل
نخيل القارئ الكريم إليه إن شاء الله".
كان شوقي يعلم من أمر حركات التجديد والتحرر من الأوران التي كانت بأوربا وربما كان يتحدث بها أدباء زمانه في مجالهم. والمنظر الذي في مسرحية مجنون للي تخلق فيه الأموي (شيطان الشعر) عن قيس فينظم هذا كلاما مسجوعا مضطربا غير موزون فيه وحي برأي شوقي في قضية وزن الشعر وقيوده وأن التطرف في طلب التحرر من ذلك غير حسن.

هذا والذي صنعه حافظ وشوقي من التجديد - على ما اعتدلا به فيه - كأن قد أدخل على عنصر دولة القصيدة الأصلية كأقدمها الحميري، جندا دخيلا كان على يديه من بدء انعقاد هيبتها المؤذن بالضعف ثم الهلاك والندمر - كأجاء المعتصم بغياته وجنده الترك فقطاً ابته المشوك من بعد وقوضوا أركان الخلافة، فإلي لبها الضعف من حال إلى حال، حتى أزالها كل الزوال، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإلي المصير.

كان بعد حافظ وشوقي وعلى زمانها شعراء - ولكن ماء ولا كصداء (كصداع يافى هكذا قال أبو العباس) ومروء ولا كالسعدان. وأثر أهل البراعة النثر. كإيثار الجاظ وجيل القادرين على الشعر له، حتى صاروا باغراض رسائلهم إلى مشاهبهم من أغراضهم، وبمز من بين أهل البراعة طه ونافع والعقاد (1) كل تبريز، أما طه فقد خلص نفسه خلوصاً إلى تهويدي المحاضرة والمقولة والقصة والكتاب. وقد رزق الأعلام مع الصفاء ونقاء اللغة وسحر إيقاع البيان. كان رحمه الله في هذا نسبي وحده. وله أدناه الأباء - كان من بعده من مثل طريقه في البقاء الدكتور زيدي مبارك رحمه الله.

ثم قد كان للريبات إيقاع مهدب وأزدواج ذو عذوبة ونغم ورين. وكان الرافعي والعقاد شاعرين نابئين، وحسب أن الرافعي خيل عن نظام الشعر باخرة، غير أن في المقالات التي كان يباني بها الرسالة تتم صدرت معا في كتاب واحد باسم "وحي القلم" ما عسى أن يدل على أنه استمر ينظم الشعر من حين إلى حين، وامنع كلئاته إلى في وحي القلم "بنته الصغيرة" وقد ضمنها قطعة بالدارجة ذات طعم حلوي:

يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ
مَّـاّم تَنْجِي يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ يَنْسَبَ
القلب أهـّمـوـَـْـْـ ـــ راضى
من الهـّـمـّـوـَـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْـْ~

(1) توفي الرافعي سنة 1377 م والمقدمة سنة 1914 م وله حسين 1973 م رحمهم الله تعالى.

ـ٢٠ـ
والرافعي رسائل من الشعر عمّد فيها إلى إغراض الشعر وروحه، على نحو ينظر بسلامة أسلوبه وقوّة أسّر إلى مقامات الشخشيري ورسائل قدماء البلغاء، وأنفاس وجدانه إلى الروموسيّة التي منها أشياء في نظارات المتفلّوتو وعبارتاه، ولكن سائرها من نفس الرافعي ووجدانه وتصوّره. وربّا خلط بين الشعر والشَّر وقعّ رقية القامة الحرمية أو البديعية خذ هذه القطعة مثلا من "زجاجة العطر" في أوراق الورد (الطبعة السابعة 1383 هـ 1963 م ص 42): "أهدي إليها مرة زجاجة من العطر الثمين وكتب معها: يا زجاجة العطر، اذهب إليها، وتغطي بها بس يديها وكوني رسالة قليلي لديها. وهاندًا أتِر القبلات على جوانبك، فبتلست قميصي قليلي على بناتها، وألقيها خفية ظاهرة في مثل حنوب نظرها وحنائها، وألقيها من تلك القبلات معاينة أفرحها في قلب وماعي أشجعها. وهاندًا أصنحك، فبتلست قميصي في يدها فكوني لمسة الأشواق. وهاندًا أضحك الكلى، فبتلست قميصك فحشتك في معاينة العطر لسات العناق. إنها الحبيبة يا زجاجة العطر. وما أنت كسال من كل زجاجة ملئت سائلًا، ولا نفسك من كل أمر ملئت حسنًا، وكما ابتغى الصناعة في إدراك واستخرجك، ابتغى الحياة في جمالها وفننها حتى لأحس الأسرار الحمالة في غيرها من النساء تعمل بطبيعة وقانون، وفيها وحدها تعمل برف وفطر. وأت صبّت عطر كل موضع بتلك بارج وينحو وهي سبكة جال كل موضع فيهما يستن سيتصى... " هنا عناية وكد أهل منه عندي انساب طه وإساح طبعه. ولكن حظه من الإحساس والتأمل وجودة التعبير صحته عظيم. وللرافعي شعر هو فيه أسمح طبعًا، ولكنه على جودته لا يضعه في مكان من التبرز كيا يضعه نظره مثلا قوله في أوراق الورد (08):

إذا شئت يوما أن أمسو حببي ويا أخاذلي في الكربيا نصبيب مريح وقلب بعد ذاك طبيب ألوه ومن ذي لبدتين غضب عجيب على طبع وغير عجيب ووالله إن الحب شر عيبوي وكم حار عشاق ولا مثل حيتها واهل في قلب غير قلب يسوعه ألا ليت في قلبي قلب يحبيه ويا ليت في نفسين من رم روضة وكيف بقلب واحم أهل الهوى فس نحن إن الحب خير محاسني رنة الشعر وأسوه كل ذلك جيد عربي. غير أن هذه المعاني ما قالت له كثير وجبل
وأصبح عمره قتلاً فأحسب أن الرافع قد فطن إلى هذا فانقطع سبيل النشر. وقد كان للرافعسا بأسلوبه الجاذب المثير الإحساس الشاعري الروح، على كده فيه ونصبه، أثر كبير على عدد كبير من الأدباء من بين هؤلاء مشاه الشاعر «ال ромاني» برومانسية شاعر العرب محمود حسن إسماعيل. هذا، وقد كان العقد رحمه الله شاعراً نائزاً، وفي نثره وشعره كلها خشونة، كا فيها جد وصدق وأثر قراءة ونصب. وقد عرف العقد بهجومه على شوقى في الديوان في باب التجديد الشعرى أكثر مما عرف بشعره نفسه.

ومن تأمل شعره لم يجد فيه غير سائر على نفس الطريق الذي ساره شوقى وحافظ. وكان يبلغ على قضايا الفكر بأنشته من الجاحظ في بيرده، وليس بمخططه من يضيعه في مقدمة شعراة الرومانسية العربية ختاناً كبيراً، ولكن أشبه له ما ذكرنا. ومن معانى الرومانسية في شعره أن حديثه عن الحب تخلطه مثلية من تقديس فهم منه خاص للجمال، شديد الأصوات من معاني صوفية الطبيعة وقدرتها، واخلو امتدت الذات بتأثيرها. غير أن أمثال هذه المعاني قديمة في الشعر، وأطلال العقد الواسع، ولا سيما في أدب اللغة الإنجليزية مما جعل تطوير تعبيرات كثيرة ما يرد في كلام شعرائهم من رومنسنين وميتافيزيقين وشكسبير ومعاصريه إلى زمان براونغ وبيتس ووليم هاردي وغيرهم. وكانت له في بلادنا مدرسة من الأدباء شديدة التعلق بشعره مدونة القراءة له. ونثبت أن الشيخ الطيب السراج رحمه الله (توفى سنة 1963 م) كان إذا ذكرنا له العقد:

عقوده هو كاسمه عقد لا بقير ولا نقير

ومن تأثر به من شعراء بلادنا يوسف مصطفى الذي رحمه الله وأثره ظاهر في ديوانه الصدري الأول، مما علق بالذهن من أبياته:

أعبسي لي في الفصوص ابتسام

لجبال منفةٍ رؤى الفسات

وكان يغلب على الظن أنه تأثر فيه بالمقدار، ولكن أحبسه أخذه من كلمة للرافعى

رحمه الله في أوراق الورد يقول فيها (ص 1/4):

يا واصلاً بالعذاني

وهم جرى في الكلام

مصلى في فصوصي

وقد صفحت في هاري.
من ألعبوس كلام معنى معنى اعتساب
ولن يغير جسم الأمين
أدب سوء الخشام
وكان صديقنا الميمن
(توفي 1968م) والدكتور أحمد الطيب
(توفي 1962م) وكانوا واسعي العلاج في العربية والأنجليزية، يقدمان العقد في غير إفراط
ويذكرون له فضائله وبثها في الكتب، منها رأيهم في ديوانه الأول التي
عنوانه: "الحنا العميقة" وما أشك أنه حنانا على راءية الإمام العبير التي من رواها
وبحره ثم أليس مواقع ضرودا من الزي الأفراطجي كما قد جاروا بلا ريب عائشة أني
نواض "أبا بيتنا أبوك غير" رائبة إبراهيم دجاج إلا أن نفس السريعة في رائة العقاد
هذه أظهر وأذن منها عن معاصرة أخيف لمعرفة أكثر الأدباء الأندلسي بأني نواض وابن
دجاج وجلهم السريعة، وما كان مكانه ليختفي على العقد لعمله ولأعماله معا. هذا
وقد قدم لها في الديوان بكلمات معتنقة، مما جاء في قوله: "وقد ترى الرجلين جبلان
في حجرة واحدة أحدهما يروح يروح نفسه لقيتن الدنيا في عينه، والاثنان يروح لو بمر
أبد الأبد ليفتت جملها ويبتتهما، فهل يقال في هذين إن عالمه واحد؟ فمن هذا ساغ
لنا أن نقول إن العالم تتزاحس منه كلما ما إنسان... ثم نهى القصد وليست
ستة وأربعين بينما نوردها هنا كاملا، وقد مضى الاستهداد بأبيات منها في الجزء
الأول، ولعل ما قلناه هناك من تعلق إلا نحتاج إلى مزيد عليه هناء:
أحب حب الشمس فهي مضيئة
وإنها مضيئة بسياج الرماد
أحب حب الزهر فالزهر ناضر
وإنها ضيئة بسياج الرماد
هنا كما ترى تعلق الرومنسية بالطبيعة، والحب لا يحتاج صاحب أن يرحب بل يهرب على
صحبه. وما من محبوه يرحب أن يحب حب الشمس. نعم يرحب أن يقول له
العاشق بلسان المقال أو الحال أنت شمس حياتي أما أن يقول له أحبك لأنك مضيء
كما نصي الشمس، فلعل آخر أن يكون هو أيضا مضيئا كا تضيء الشمس.
واحسب أن العقد إنها أتي من محاكاة كلمة شكسبير:
Shall I compare thee to a summer's day?
Thou art more lovely and more temperate:
Rough winds do shake the darling buds of may.

إلى آخر ما قاله فيها وهي الثامنة عشرة من قطبه التي يقال لها
(آيات)، وقد
انحرس شكسبير حيث ذكر الشمس والزهر ولم يحتضن العقد. وقد صدر شكسبير في

- ٥٢٣ -
كلامه عن حب هو الذي جعله يشبه عبوته بروم شامس وزهر نضير غير أن اليوم الشامس ليس له اعتداءه والزهر قد تطع به وتصوحة الرياح، والعقاد زعم أنه يحب كحبه للشمس، فنزل بمقدار حبه كا ترى، وكأن قد أحس ذلك فاستدرك بقوله:

أحبك حبي للحياة فإنها شعور وكم بالقرب منك شعور
أي أشعر فلذلك أنا موجود. فأنت تعلمني أن حي - هل هذا من كلام الصوفية:

حبني منك حتى ملك أو من أي ضع عمق. ولعل بديع الذي قال:
مكان الروح من جسد الجبان
لخت عليه بدارة الطمعان
أن يكون إلا كثر من القلوب أدنى مأخذا وأقرب متأتي. ثم يقول العقاد:

فهل في البغاء الشمس والزهر سببة تراك وأن الحسن فيك طرير.

هذا بعض الهوى - واستحسان المشتهى قد لا يكون أكثر أو أقل من هذا،
وأنك تسبب الناظرين وأنى بإحجاب ساين الناظرين جدير
إحجاب مصدر أحب الراعي أو غرب به العقاد ليصاحبه بصيغة المحب بضم الميم
وفرح الحاء الذي يقال إنه افرد بها آخر بني عبس.
لنما الحب في اللحظة اليسير يجوز
وتغمض عنه أسى وصمود.

صار الحب مقالة وقصيدة وجدل كا ترى
فأما وإعفاء الناظر مطلب
عسير وقد يهوي الجهال ضريبر
ولو قال وقد يهوي هواي ضريبر لكان أصدق. وقد قال بشار، فقد وصف لنا
بحسن، فنسب معرفة الحسن المرئي إلى غيره
فدع ما يقول الناس وأعلم بأننا على غير ما مسار الأذام نسير

- ٠٢٤ -
لناعالم طلق وللناس عمال
ووا أسفامآ أنت إلا نظيرهم
وحكاكاتهم ظننا فليتك مثلهم

العقاد هنا أوقف بحبه من جيل إذ قال
رمي الله في عيني بيئة بالقذى
ولكن جيلها كان أشد صبابه

في عجبا من نسائط أنفسا إذا سمتلل حارث وليس تخير
بضم التاء وعناء : تخير جوابا وهو ليس بجيد، ولكن جوابا في قول النحاة
معلول فضلة وحذف الفضلة جائز. ومضاعع حارت غبار، وعن ابن جنى أن أبا
الطيب سمع أعرايا أخطأ قال تخير فأصلحه أخر من أصحابه. ونعث ابن جنى أبا
الطيب، إذ ذكر هذا الخبر، بأنه صدق وكان صدقا. وعلى ذكر أي الطيب فآثر
أن أصل تشيده شكسبير فتاته أو غلمانه (على أحد القولين) بالشمس من قوله:
صحنيتي على الفضيلة فثة
عادة لملون عدتها الشديل
مثلها نلت وحذتي وأست
ست زادت آها كي العطبول
ثم يجيء هذا التمر بالجلب وما يصحبه من ضن كل جبل وصده وتهبه :
أشقي بدنيانا لأمن معا
من الناس بسام الثغر غير
كلمة الثغر جيدة معمرة.

أينذي الصبا فينا لأنك نايش
أتعشي مآقينا لأنك أحور

هذا البيت مصنوع مرحق. المآقى لا تعشي. ومن زعم أن ذلك قد يسيغ من
أجل جمارة المآقى للعينين، فإن يسيغ بعده من ومن الملاحة نور، وذلك بأن العينين
نور. وفي أناشيد النبي السنيدي: 
مرحبا يأنور عيني . . مرحبا
مرحبا جد الخسنين . . مرحبا
وتعب الشاعر منشأه من أنه أراد أن يجعل الملاحة بريق ابتسامتها في العين نورا،
فجعل ذلك هو النور الذي في العينين، ولو قال ذلك في عين عمياء بها بقية من ملاحة
بائسة لربما جاز.
لا تعلما الحسنين والمسمى جمة
مطاعن العالللا إلا أن تتسمير

-٠٢٥-
في ضيافة الدنيا إذا لم يكن بها غني عنك للمحتزين حين يغمر من البث والشكوى سواك بغيرها.

لا يخفى أن الشاعر هاهنا تقصص شيئاً من روح «الحساء بلا رحمة» - منظومة كيتس التي تزعمها، وتبنيها القارئ الكبير إلى ما فيها من معاني الرومانسية التي تعزر بيدها إلى ما لا ينال، والحساء التي عناصه دم المحبين، وتعظيمهم الحلم الذي يسلب منهم عن بعد كل منا.

إذا الشمس غابت لا نقبل غيابها وإن غبت آص العيش وهو كدور ناقض الشاعر نفسه في كلمة واحدة، وهذا ما لم يبز قدمه. وقد يعتبر له عازره بأن هذا إضاة أضرب بها تقدم - أي أخيل حب الشمس كلا، بل لا نابل غياب الشمس، وتأمل ضمير الجمع للمتكلم هن. ويقوى هذا الرجاء قوله من بعد:

ولبت الشمس ما فيك مطمع فيبدا قلب بالضلال نفور نفور هاهنا شديدة القلق. كيف يكون القلب نفورا بسبب الضلال أو مع الضلال وهل النفور هو المقابل للهدوء؟

قررت ولم يطأ عطاش تلفنه - وسرت على الأرض التي أنا سائر على جدول في السمع منه خرير، ولم تصرع عليك سترور على الجه كهون بالجلال فخور.

هنا أنفسك «رومانسية» الحالية على مظاهر الطبيعة عنصرًا من الحياة يستحق التقديس لذاته. وهذه الأبيات الثلاثة لعلها غرة القصيدة:

لديك مقاليد السور ودية وما لحاب في سواك سرور يعني ما لحاب لك غني عنك بسواك وسرور به، ولفظ مقرع عن معناه فإن تأذن الدنيا أباح شوارها وغنت عصافير وفاح عبر فسر الشوار في المام ش [دوائر العقاد، المجلد الأول، لبنان ص 120] - فشور العروس جهازها. والشوار المناغ، قال عبادة بن الطيب:

ومرجيات بأكواش محلة شوارهن خلال القوم محول قال الشارح وأصل الشوار متاع البيت. ولا يزال هكذا معناه في بعض الدارجة.

وقد يستعمل استعمالاً محاسباً وفي خبر الزباء: *وشوار عروس ترى* قالته غذية لما

- 546 -
أرادت الغدر به وكانت مضفرة الأسب أي شعر العانة. فقول العقد هنا: "أباحث
شوارها" ليس بجيد.
ولا النجم في الدنيا السماية يدور
ولا النجم في الأرض حظ لناظم-
فيا خازن الأرواح ما لقلوبنا
ومالك ضماناً بالله بذلته.
هذا من كلام المتاجفيين وقد يذكر القارئ الكريم قول إمام العارفين
عبد الرحيم البري رحمه الله:
طيب بـ حـ ثـ مـ عـلاـ مـ اـتـ قـ يـ خـ ير
أحبـ اـ ظـ عـ عـ مـ اـ مـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ إلـ غـ يـ:
فلا مبالاة العقد بغياب الشمس من هاهنا - ثم يقول العقد:
تَضَنُ بِشَيْء لَسْت أَتْلَمُ قَدْرَهُ
أَيِّ الْجَالِلِ إِذْ نَحْنَ لا أَنْتَ، يَا جَيْلَا وَهُوَ جَاهِل
- وَأَتْلَمُ مَا نَسْخُو بِهِ وَنَعِيَّر
تَعِيْر ضَعْفَةَ كَا تُرَى.
نَجْوَد بِحُبَّاتِ الْقُلْبِ وَبِالْنَّهَى
وَلَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَجَادُ الْبَنَّيُّ إِلَّا أنَّ يُكَبَّرَ
وَلَا يَكُونَ
وَلَسْنَا فِي النَّائِلِينَ شَكْرٌ
وَمَا الْشَيْء مَزْهُودٌ وَإِن جَلَّ قَدْرُهُ
لَدَى النَّاسِ كَالْمَلْطَبُ وَهُوَ يَسِير
وَجَلِيلُ الْقَدْرِ لَيْ يَزْدَهُ فِيهِ. وَأَيِّ الْعَقَدِ مِنْ جَهَةٍ طَبِلَ الْجَدِلِ بِالْمَبَالِغَةِ وَفَرْضٌ مَا
لَا يَكُون
عَذْرِي وَهُل لِلتَّناَقِمِ عَذْرٌ
أَيْنَ لِمَخْدُوْلِ الْفُؤَادِ نَصِير
هل جاء بمَخْدُوْلِ الْفُؤَادِ مِنْ قَوْلِ حَافُظَ "أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أَمْيَيْ خَادَمْ إِلَّهِ"؟
لَقَدْ مَاتَ الْدُنْيا وَقَدْمَا رَأِيْتُهَا عَرْضَا حُور
هَذَا شَيْءًا مِنْ الْلِّغَةِ الإنجِلِيَّةِ وَظَلَامٌ مِنْ الحَسَنَةِ بَلا رَحْمَة
نَعْمَ مَاتَ الْدُنْيا بَنَفْسِي وَمِنْ بَعْشٍ وَقَدْ مَاتَ الْدُنْيا فَأَيْنَ يَصِرُّ؟
يَعْنِي الْمُوْتِ المُجَازِيْ - أَمَّا مَرْتِي الحَقِيقِيْ فَهُوَ قِيَامٌ السَّاَعَةِ وَذَلِكَ شَامِل
٥٧٧
أحنو على الدنيا ويا ربي حنت
على الميت الثأري بين قبور
لبيست ضمة القبر حنواً - وهنا شيء من ظلال الحسناء بلا رحمة - وفرسانها
الشاحين فاغه افوههم بالنذر الرهيب.
بكتاه عليها يومن أن كان أفقها يضيء - وكانت باللبنين تثور
لا ريب أن الحسناء بلا رحمة هي الدنيا
وكان يتيح اللب كيف بناها - أقشر قافية قلقة إذ لاتقبل وتبور قوله بناها.
فها كان أساهما مدارا أنجم
وأخص روعي الله في جنباتها
فهذا كي ترى فيه مشابه من قول جون كينس وقد مرت نصه، ما تقرب تعريه ما
تقدم ذكره أيضاً:

وجدت في من عورق شيهات وقوالات وكل
والملح لبنت للنهر السهل
إني أهوى ياها - ياوايح لي
فتمت صارت يلي كهفها المسحور...

وهو القبر بلا شك:
نعم مات الدنيا بما كان فهل لها
فأحز بحليته فأثر قديم
فأتناعى على النفس خير
ومن كل حسن حين يعطف صور
أي الصور الذي يفح فيه إسرائيل فتقبض كل الأرواح - أليس هذا يهنان على
صحة ما يقول به من أثر.
La Belle Dame Sans Merci
لك الحسن فانعمة ولكن من يغل
أي يغتال، فأنا

ولكن من يغل
من الناس ديابهم فذاك مغير

- ٥٢٨ -
مغير هذه مترجمة من كلمة أجنبيّة تدل على العدوان وما أشبه نحوه:
والصواب فذاك متعدٍ أو عادٍ أو عدو، وما كل غارة يلبب ولا سيما ذو الحسن إن يقل له إنه يِن على قلب الناس غارة شهوة فذاك داخل في باب المذد، ولا يُنظى أن العقادات يزيد بمغير هذا ضربًا من خروج عن القانون.
فقد تسنى أن الجنى الغريب الذي كان عند شوقي وحافظ بطريقة أداء ومحاكاة أساساً قد تسنى عند العقادات إلى نفس متن اللغة - وله أن يعتبر معترض للعقود أن هذا نظم ثورة شهابه وأنه أقبل من بعد على تجريد المتن وحرص على نقاء العربية - وعسى بعض ذلك.

كانت بداية النهضة والتجديد البعيدة التأثير بمسر، ولا يدفع قولنا هذا ما كان من بوارد السبق في لبنان وعدها. ولقد كان أحمد فارس الشدياق معاصراً للمبارودي. وعاصر الرضا والكاظمي والزهاوي شوقياً وحافظاً والعقاد. ولن كانت في الرصافي من حافظ مشابه، كذلك كانت في الزهاوي مشابه من العقادات - القالة، واللردية، ونوع من كذ الفثيرة، موسوعة عند العقادات، ذو معركة عند الزهاوي، من غير سلامة الأسر التي للمعري، وبعض الخشونات التي عند العقادات، وقد يضطر به وزن العروض أحياناً.

ودعنا وقينا عند العقادات من أجل الديوان وما زعم وزعموا له من التجديد بناء، وهما - أما الهدم ففهيوج من شوقي وكان عند الناس أمير الشعراء. وأما البلاء فديوان العقادات، وديوان شكري وقد حاول الشعر المسر ونظمه وسط وقد سبقت منها الإشارة إلى عمله في هذا المضمار. والمازني علم أنه ليس بشاعر حقاً، والعاقل من عرف قدر نفسه.

ثم جاءت أبوالله على آثار الديوان، وكل الرومسيه والرومنسيين، يذكر أن أما شادي أخداً أبولو إلى أمير الشعراء شوقي، ولقد كان البارودي في مكان شوقي هو المهدى إليه، لكان الأمر إذن كما قال أبو تمام: وسرت أسكن عون الله الحياة. حتى أخلت الكافر في دار الجهاد على أن اعتدال شوقي وأصحابه قد كان أقرب إلى معي نداً للجهاد، كما كان المعتصم وجنده الدخيل في باب الخلافة والدولة وتدبير السلطان. وترتف أب شادي وأصحابه أقرب إلى إناخة الكفر وسوق عريه، كما كان شأن قيقة المشوكل وسمة عريون الخلافة وزععة هيبتهم من بعده.
وكان الرومسيه - وتأثير الآن استعمال هذا التنفيذ على الترميز الذي إنها جبتا به

---529---
لوضيح رأي في موضوع دعا إلى ذلك - من أربعة أضراب، نذكرها موجودين إذ شاء الله في يلي:

الضرب الأول:

الرومئية الدفاع عن القديم. وهذه يمثلها الرافع هوا انعكاسات في الضرب الرابع وستذكر ذلك في موضوعه إن شاء الله. وقيامها أنها تعقد أن معاني التصوف وقدسية الجبال وحارة الوجدان ورؤاه، كل ذلك لا يحتاج إلى أن تستعمل من أوروبا.

هو أصيل في حضارتنا وفي تصوفنا.

وكان لونا من رفض التفريع، ونزوة إلى إعادة المجد القديم كامن في هذا الموقف. هو موقف قبول عند، وتحذير ودفاع. وهو في جوانب كثيرة منه صادق روح التعبير عن غضبة المجتمعات العربية على عدوان الاستعمار، وغضب المجتمعات الإسلامية على ما عاروه محمد صلى الله عليه وسلم من ضعف واستكانة وخمول.

وإنما ندخل هذا الضرب في عداد الرومئية لنخرجه منها. وفيه من معادن أصلية الباحثي، حب اللغة العربية، وتردق يومن قلبي لأسسها ووصفها وجهه التعبير بها، ثم يفاقها في نوع خفي ملبس له من معاني عدم الثقافة، يَلمعَ أن يبتعد لدى من لا يقبل له عذرًا وأن يُجذب مكانًا لدى من يعلم أنه ليس له بدار. وليس ذلك بضاءه حقًا. إذ قد أصاب قدرا صاحبا من مستوى الجودة والإبداع. إلا أن فيه فرط إغراب وعمل.

الضرب الثاني:

الرومئية المسيحية العربية.

وهذه التي يمثلها جوان وMichelle لعربية والمهاجرين من بعد - وقيامها أوران:

شعور قوي بالانتهاء إلى دينا الحضارة العربية التي إنها هي حضارة مسيحية في غرب أوروبا وشرقها بين رومها ورسولها وصلائها وسماها - وفروع ذلك الباهتة والمسيحية، والسكسونية من زواج البحر الكبير - هذا الشعور بالانتهاء المسيحي المتحضر القوي معه شعور بواقع الانتهاء الم إلى دولة السلطان، وهي في مرحلة الغزارة، والقومية التركية الناشئة إلى العرب بغيضة، وسلمان الإسلام إلى القلب المسيحي أبغض.

وعشور قوي بالانتهاء إلى العرب والقومية العربية الناشئة، التي تبدو أنها هي أقرب بحكم وحدة اللغة ووحدة الجوار وطول المشاركة والتطور من تعز قومية الترك الجديدة، وتعالها وجرىها سلطانها والعرفان في التحرر والتقدير العصبي، الذي إنها يجعله بالأخد من أوروبا ومعاك사를 وأنهم بحكم الصلة المشتركة بينهم وبين مسلمي العرب.
وبينهم وبين مسيحيون أوروبا، سيكونون في ذلك الوسادة الكبرى والمصلحة الأولى.

وهكذا التدخل الشعور قوي بالتماثل مثل أعلى مشترك، يستمد من القومية العربية ومن ساحة الدين الحنيف ومن روحيانية دين عيسى ورقية قلوب رهبانية.

ولقد كان من المسلمين كأ كان من المسيحيين دعاء هذا اللقاء المتسامح المتعدد.

ويعملون شاهداً ما تجده كثيرًا عند شوقي مثالًا. من لين القول ورقته عند معرض لأمر المسيحي والمسيح وهم يسوع أمين السلام. وأحسب إحدى طبعات الدیوان الأول (دار الكتاب، 1945) وقع فيها خطأ في بيت المزمور التي في أوله:

ولد الراق يبوم مولد عيسى والمروات والهـبـدى والحياة.

إذ فيه موسى مكان عيسى وقد مر خبره عليه السلام، فلنظر.

وقد كله أن من مثل الانتهاء المتبادل، الحرية المشرودة، معاني الأنسانية العليا في الحب والجمال واستشعار نزعة إلحادية لا تذكر قدرة الدين ولكن تصور من التعبص والقيود.

مث القدو إلى المجهول، التباس ملأ الروح بين الأزهر والأشجار ووحدة الوجود في شهود أسرار الطبيعة على النحو الذي عند لليم ورد زورث وشيل وكيس والرومانسية الإنجليز أول الأمر، عند أبي العلاء المجري، الذي يقول:

خف الوعود ما أظن أدام الأرض إلا من هذه الأجسم.


من هذا المنطلق أو نحوه، بدأ جيران، ونبلاء مخالفة نبيلة. تبع من بعد المهجرين. وصحب أدب الرومانسية المسيحية العربية جند دخلي جديد كيف.

ضعف في أساليب اللغة إذ لم يكن لجريان المهجرين من علم العربية ما كان لل데이ي، وما كان للعلماء اليهود، إذا كان أكثراً في اللغة كسائر ما كانت عليه ثقافة الأفغانية، ومنهم من كان حظه من اللغات الأفغانية واللغة مطالب، ومنهم من كان ذو حظه من الثقافة الأفغانية، وخلال من العربية أو ضعيفاً. ولم يكن لأكثر هؤلاء وصول من مثل بلاغة العرب الأعلى وهو القرآن ثم ديعاجة الشعر، الرضى والنشر الرسولي، فحسرهوا من استخدام مجان التعبير الدخيل الهجيج على شيء كثير.
And so for God's sake - hock and soda water

وددت بحَتِ السَّياءِ أَنْ لَوُكِنت طَيِّباً بَقِدَرَ
ما آنَ دِم وَعَظِم وَنَقِ وَعَاطِفَة وَشُعْورَ،
لَكِن عَلَ الأَقْلِ يُبْكِنْ المَاضِيْ قد مَضَى وَتُولِ،
أَمَا الَمُستَقِبلِ - (وَلَكِنَّ الَالْآنِ إِذْ أَكْتِب أَتْرَنِحْ
إِفْقَادُ أَرْسَفَتْ فِي الْشَّرَابِ الْيَمِينِ
حَتَّى يَخْيَلُ لَأَنْيِنَ فِى السَّفَقَ وَافِقَ)
أَقُولْ إِنَّ الَمُستَقِبلِ أَمْرَ خَطِيرُ
لَذِكَرْ، بَاللهُ، هَاتْ كَأَنْ مِنَ الصَّهَابَاءَ وَالصُّوُدَاءَ
هَذَا وَأَكْثَرُ شَعْرَاءِ الْمُهْجِرْ تَعَلَّقُونَ بِسَلَاسَةِ الأَسْلَمِ إِبْلِيْلاً أَبُو مَاضِيْ، وَأَقْرِيْمَ إِلَى الْمَلَلِ
الأَعْلَيْ النَّكِيْلِ كَانَ تَرْمَيْ إِلَى طُلَابِ الَاِتْتِبَاذِ الْمَبَادِلِ، وَالَرَقِيَةِ الْمُسَامِحِ الْمَعْثُدِ تَحْت
رَفْقَةِ أَجْنَحَةِ الْمَدِينِ وَالْجَمَاعِ الْعَلَائِيْنِ المَهْدِبِ وَالْتِصْوُفِ التَّعلُّقِ بالْطَّيِّبَةِ وَالْخَرْبِ
المَشْوَدَةِ فِي طَلَالْ عَزْرَةِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ،
(1) مِنْ شَخَصُيَاتِ الْشَّعْرِ الْرُّومَنِيِّ الْعَرَبِيِّ، امْرَأَةَ بَيْنِ مِسَاحَةٍ وَفَتُولٍ.
وطن النجوم أنا هنا 
ألمحت في الماضي البعيد 
جذبان يصيح في حقول 
المتنى المليء 
يتسلق الأشجار 
ويبدو بالأغصان 
ويغوص في وحى الشباب 
لا يقوى شر العين 
ولكن تشطين كي يقين 
أول هذه الكلمة مذكورة بورد زورت - ولكن أولاً فقط، وسائر الوصف من تجربة وذكر.

وصفات صوادي 
أنها ذلك الموسيقى الذي 
فاضت جداول من سناء 
مزجت مسواكب من عنى 
لا يغفي ما هنأ من شعره القومية، وقد مرزه الشاعر بذكرى الطفولة الوردوزي ثم
خلص من ذلك إلى الغناء بحسن الطبيعة: 
حمل الطلاقة والبشرة 
شنة على عواعك للدفين

أي أمريكا والعالم الذي تظن به الحضارة 
ك وصفقتي روى رباحا 
والأزهر بقرأ السرير
ولنعم الأرز لو أُبقت على الأيدي السواط، إذ ما أحسب الذي بقي منه الآن بجمال 
لبنان إلا قليلا 
للبحيرة يشير بنسر
لعله يشير هنا إلى حضارة بني كنعان القدماء في صيدا وصور ومن وراء البحر في أرض 
تونس والأندلس على عهد حنيعل العظيم.
نيل في وضحه مصب ما 
للشمس تطمني في ودا
لم يتضح المعنى هكذا - كأنها عنى أن حمرة الشفقة فيها معنى من حزن، وما أستبعد أن يكون يشير إلى قول أبي الحسن، وكان إلى "الرومنسية" حبيبًا، على بعد كل البعد عن كل جوانبها إلا الوحدان وذلك أمر عن الشعر ما لا ينقصهم:
وعلى المهر من دماء الشهيدين - حق وهجره شاهدان
فها في أوائل الليل فجعلوا - ونجلى شاهدان
فها في آخر الليل فجعلوا - شفقة
أي تبطيء ليكلا تذكرنا بالمأساة التي ذكرها أبو العلاء
لبيد:
لبيد في نسيان يكــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ&n
فقد ترى أنه أوشك أن يفضل حسن لبنان على حسن جميع البلاد، وهو بعد المحب
للليل الفائق في من نفسها الكلمة: إني لأورد ذكرى لعطشني والتليل عند كريمه بنائه وقيل أبو الطيب:

بيني وبين أبي على مثله وجالي لبنان وكيف بقطعها...
فهد جعل رؤوس الجبال عليهم الثلج تبدو كأنها عدد من أمثال أبي علي هيئة وأمثال رجائه هو الضخم في صور بشريه مشرفات، تخفق عليهن عائمة بيش من ثلج الشتاء... ونرجع إلى نوئة أبي ماضي

للمغص أنقله الندي

هذا من بوانية أبي الطيب:

عقابواسحل الجبال شردا...
حتى انكشفت له فألال واستعرض الفن الجبال...
والخطاب لجيل لبنان كأحذى به بعد...

لله سير فيك يا خلق النجوم وخذاك أن...
 فأعامة أزرك جده...

الفكرة بعيدة المتصرد...

أجمعوا سلوكا ليتهم...
فقال قردنسي المسى...
جئ بالفقرى ليتم بها الوزن، إذ المراد كل من، لا المسى الفقرى وحده، لا الذي إسائه أفنى وقد لا يكون أحدا في غير ذلك.

الخمر والحسناء والأ...
ومالكالة الفقيرة...

--- 535 ---
لكنها مهداً سلماً هيا هيئات سلم الوطنا

والمعنى هنا خطابي قومي، شبيه بما كان يصنعه حافظ، وفي القصيدة بعد مواقع
إحسان لا تخفى وعندئذ أن هذه النبوية أنطل بساعرية إيليا أبي ماضي من كلمته
الراجعة الطلاقم؟

جنت لا أعلم مـن أين ولكن أنت
ولقد أبصرت قداداً طرقيا فمشيت
وسأقي مـن أشيـان نشت هـذا أم أبيت
كيف جنت، كيف أبصرت طرـقيـف؟:

لست أدرى
أجديد أم قـديم أنا في هـذا الوجود
هل أنها حــاـط طبيق أم أـــــــسير في قـــــــقود
هل أنا قـــــائد نفسي في حـــــكر أـم مــــــقود
أم أــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~

لست أدرى
وهكذا وهم جرا... نغم لين في عذوبة الترم ووضوح الوزن وحسن اختيار
لكليات... ولكن جملة البيان لا تصل بالقلب حقا إلى كبر شيء. محاولة نزعة معرية
الإلحاح خيامته [نسبة إلى رياضات الخيام التي تزعمها فتجرادل فأحدث ذلك لها شهرة]
- ثم المعان فواقع، وما هو دائر في باب طلب التعمق الفلسفي وليس بعميق... مع
هذا إيليا أبو ماضي من كبار شعراء عصر التجديد وقد حاول بجهد صادق أن يبني
عن دولة الشعر التجديدي كثيرا ما احتشده فيها من الجند الدخيل الرهيب.

الضرب الثالث:
"رومنسية الأندي"

أصل معنى كلمة الأندي فيها بلغنا السيد، وكانت تطلق على السلطان وعلى
خديوي مصر فيقال أنداني وقيل جيش الجنديء "عسكر أنداني". ثم صارت
الكلمة لقبا للسيد الجديد من المثقفين الذين تنسبوا كبار الوظائف، وانعكس في
بائحهم بـ"أنداني" بـ"الميري" (أي السلطان وكأنها الأمير بتخفيف الهمزة)
وجاهه.
كان لواء القيادة الفكرية بيد المشاهير والفقهاء. ثم انتقل من هؤلاء إلى كبار الأفندية، مثل مبارك، سعي مصري، أحمد شرقي، وعالم جرائد. وجاء التعليم النظامي الخالي من أسس القرآن وعلوم الدين والنحو المبتدئين. القرآن واللغة الآن جزء من برامج المدرسة مع اللغات الأفرينجية والحساب والجغرافية. وحظ هؤلاء من الاهتمام بهم أكبر إذ تهيئهم للوظائف ذات الجهة أشد وأوكر. وهم الذين أخذت المدارس النظامية تخرج أجيالا من الأفندية لابسنس زي الشيخ الذي كان يزيدبه به العلماء ولكن السترات والبنطلون والكرتنة - الذي الأفرينجي المظاهر، لا يميزه في كثير من بلاد المسلمين عن زاي الأفرينج إلا الطريوف على الرأس. وقد ترك هذا من بعد، في أكثر البلاد.

كانت حظ الأفندية الجديد من علم العربية أول الأمر لا ي Quânه، إذ كان للدروس تطبيق النحو والإنشاء فيه مكان. ولكن التنافس على الوظائف من بعد زيادة عدد المسابقين عليها جربت إلى ما قدمنا ذكره من تدهور العناية بالعربية وموادها وعلوم الدين ودرس القرآن.

وتصدى الأفندية المتقاتلون بثقافة الأفرينج من أجل الوظائف حمل آلية القيادة الفكرية التي صارت إليها من جيل أوائل التهضة. وعلى رأسها الأدب والشعر إن لم يكن أهم إبراهيم فإنه غيبتهما ما زالت بالغة.

وقد كان للعلماء الغارفين باللغة نحوا وصرفها مرات من سلطانهم القديم. إلا أنه الآن قد زعزعه أمران - حملة أوائل دعاة التجديد المطرفيين على شرقي وأصحابه الذين انتزعوا لواء دولة الشعر من المشاهير، ثم ما جعل يغلب من جهل دقائق اللغة، جهلا جعل يزيد في كثر من جيل الأفندية الجديد التتكسر لقبيهم والشورة على قواعدها. جيل الأفندية الجديد، ولا سيما طبقه التي تغلغلتها في صميم حضارة أوروبا من طريق المهن الكبرى كالطب والهندسة والفيلسوف والتخصصات العالمية المتواجدة في الإدارة والجيش والتدريب المصري، جعل بعد نفس طباعة التقدم، والطريق اللافق بأوروبا من هذا العالم الذي انتهجته، حتى انتهائهما، إليه، ولكنه مختلف يا الأسف.

ومن عند هذين أجاز لنفسه من جدارة التعليدي على أساليب الفصاحة ما لم يكن يجبره جيل من اقتدوا بشريو وحافظ - أجاز ذلك باسم الثورة على القديم، والتجديد

- ٣٢٧ -

أما أحد زيكي أبو شادي، صاحب أبولو، وقائد العبر إلى دار الجهاد، فكان امرًا شديد الطموح، ضعيف الحزن من تذوق دبابة الشعر العربي، ضعيف الإحساس بنزاعات أوزانه القوية ما كان منها جلّا أو ذرّة، ذا حزن من الأفكار الرومانسية كبيرة، ومن الأفكار التي قد تدور بها بعض خواعر مثفي العلم الحديث، ولكنه كان ذا حزن قليل من حاق وجدان القلوب الذي يكون في الشعر.واقبل أن وجدان القلوب الذي يكون في الشعر ليس ضربة لازم هو وجدان القلوب الذي يكون عند الانفعال الذي نحسه ساعة الغضب أو الحزن أو الفرح الطاريء وما أشبه. وقد مر من أمثلة نظم أحمد زيكي أبو شادي شيء ذكرناه في أوائل الجزء الأول وهو قوله:

أهِمَّلَا أَبْنُو قَرْدَانٍ
فَمَتْقَدَّدَ الفَلَح
وَقَدْ سَمَّىَ اللَّهُ حَرْبًا
وَأَسْتَمْضَىَ الأَفْقَارَ

فتحيل القارئ الكريم إلى ما أعلقناه به عليه هناك. وطيب آخر، ضعيف الحزن من العربية، عظيم الحزن من وجدان القلوب الذي يكون في الشعر، لو تعهدت بما تعالى به الشاعر الحق نفسه، لكان بلا ريب سيدٍ لو حرف لما كان سيفع لوقوع غيّر. رحم الله الدكتور إبراهيم ناجي، ورحم الدكتور طه حسين إذ قال فيه إنه من هؤلاء الشعراء الذين يكمن أن تستمعنا بها في شعرهم من الجاهل كما تستمع بجمال الرودة الرفقة النضرة دون أن تستنش علي البديل والتعذيب. هو شاعر هين لين رقيق حلو الصوت، عادب النفس، خفيف الروح، قوي الجناح، شعره أنا ي*piسيمي الفنُّركة موسيقى الغناء منه هذه الموسيقى الكبيرة التي تذهب بك كل مذهب وتقيم بك فيها تعرف وما لا تعرف من الأجوام. ولا ريب أن الوبرة التي كرهه الله تقلّبها وتعذيبها قد قطعت فيها ضعيفة بالقوة كل الضعف.

وشاهد مثالاً من تنظمه الذي هو موسيقى غرفة، ووردة ستدب مع التقليب.

١ - ولد بمصر في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨ وتوفي ٢٣ مارس ١٩٥٣

٥٣٨
٣٣٩

يا غلبة التلهف الصادٍ
ماذا تمرك لدِي من زاد
***
يا للمساء العبقري وما
شفتِك شفآ لوعة وظا
نمشي وقد طال الطريق بنا
ونوهد لمو خلت الحياة لنا
***
بسي علي أنقاض مضيـنا
وشي من الأحلام براجا
من مـورد خلف الظلمون خفي
وتنزحت مـالت علي كنفي
***
حلفت بأنك معـنا مهـا
فمسحت بالقبلات أدمـها
لم يوص بهدف الدكتور ده من التقليل والتعذيب لوقفنا عند مسائل من الصياغة في
هذة الأبيات... مِثـلًا شفتِاك شفا... وأحَسب أن البيت الثاني قد كـان:
زاـدي لقـسـاك عـز من زاد
يما الوري ويعيش بالذكرى
ثم راجعها الشاعر وعلل الوضع الأول كان أجلد.
ولا بد من التنبه على أخذ تاجي من حسناء كيس من قوله وأظل أشيقيه وقوله
مالة على كنفي إلى آخر هذ التسمية قال كينس:
I set her on my pacing steed
And nothing else saw I all day long
For sidelong would she bend and sing
A fairy song
She found me roots of relish sweet
And honey wild and manna-dew,
And sure in language she said
I love the true
She took me to her elfin grot
And there she wept and sigh’d full sore
And there I shut her wild wild eyes
With kisses four
(هذا النص نقلنه من Palgrave's Golden Treasury)

وقد مرت الترجمة وهي (التيّسيرة الموازنة):

حمتة فسوق جوادي بنا
طوال يومي حين سالت إلى
وجدت في من عروق شهي
والعسل البري جماهات بـ
ثمت قالت بلسان غريب
ثمت صارت بي إلى كفيفها
وحدثت ثم مقروحة
عندئذ قالتها أربعًا

ولإبراهيم ناجي كلمة دون السمة التي مرت في سلامة الرصاف ونغم القرى، وفيها
معني حسناء كيس ومعان من فتاة أدولف (بنيامين كنستير) وغادة الكاملي معا.
وها هي ذي، عنوانها الحياة مع كلمات بين قوسين كالنقديم (استعراض للحياة في
شاعر) [ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، ص 32].

وقد مضى يومي بـلا مؤس
وقصد العـالم في مجلـي
في طب الكـون وفي باطـنـه
بنا أظـرـرـقـب في سـاحـلـه

أحسبه أخذ هذا من حيث لا يشعر من قول أخيخ تغلب:

ما ضار تغلب وئل أهجؤتها
أم بلت حيث تنطمع البحران
وقال الآخر:
ما يضر البحر أضحي مزبدًا
أن رمي فيه غلام بحـجر
والمعنى كثير. وأحسب القارئ لم يغب عنه بعض أسفل ناجي هاهنا
سيـنـمانـا أجهل أو أعلم
من غامض الليل ولغز النهار

«أو» بمعنى الواو هنا ضرورة

- 540 -
سيسمـر المسـرح الأعظم 
روايـة طالت وأين الـستار
هـذـا يـشير بـعمداً أو عـن غـير عـمد إلـى 
السـرح أو خشبة مسرح
عـيـت بـالـدـنيـا و أـسراـها 
وـما احتـيالي وـصـمـوـت الرمـال 
أشـنـدـ في راـفع أـنـوارهـا 
المعنى غـير واضح. هـل أرـاد أن الناس لا يهتمون بشعـره.
أغمضـت عينـي دونها خـاتمـاـ 
فـصـاح بـصـانـىـهـا هـاتـنـا 
أنت امـرأـي تـزـزـح تـحق الـضـنـي 
وكل مـن تـصـره من سـنـا 
وكرـل مـن تـصـره من قـنـوى 
يـحــُــر مـن مبـشــت قـندـنـوى
فـهـذـا البـيت وـهو في الحـقـيـقـة أـخر هـذــة المـنظـومة وـبـعـد اثـنـتا عـثـرة رـبـاعـيـة، كـلـهن زـبـداً لا 
طـنـاـئـ لـهـا، وكـاد يـخرج بـها نـاجـي عـن مـوضعـه، إـذ أـخـذـ في مـواـضـع مـن الـقول 
الضرب الباهت المفصول وختم الكلمة بقوله:
بـأـرب غـفـراناـك إـنا صـغـار 
نـسـبـ في الارـض ذـبـول الصـغـار 
وـالخائمة الـتي سبيـت، لـو قد آتـكـف بـها أـجود 
وـفـي الـأـيـات بـعد أـطـيـاف «الحـسناء بـلا رحتـة»، وأـطـيـافـها في شـعر نـاجـي كثـيرة، مـثـلاً في 
كـلـمـتهـا الـتي أـولـها مـشـهور:
هـذـه الكـعبة كـنـاتـائـتـهـا 
المـلـصـين صبـاحـاـ ومساء 
كـم سـجـنـا وعـبـنـا الكـسن فـيـها 
وـفـي الـأـيـات: فـأـغـمـضـت عـينـي دوـنـها إلـخ «شـيء مـن رؤية الفارـس الأـشـبـاح وـمـن 
استـقـاطـتهـ وـمـن بـعـد «كـتـبـنا نـسـر» وـلـيرجـقو الفارـس الأـشـبـاح إلـى مـاترـجاه عـن نـص كـيـس 
أو إلى النـص نفسه. وفارـس الحـسنـاء بـلا رحتـة جدـوته بـلا رـمـاد، وـعـنـاد لـا رـبـ فيـه، إـذ هـو

- ٥٤١ -
To Autumn

Season of mists and mellow fruitfulness,
Close bosom-friend of the maturing sun
Conspiring with him how to load and bless
With fruit the vines that round the thatch-eves run;
To bend with apples the moss'd cottage trees,
And fill all fruit with ripeness to the core,
To swell the gourd, and plump the hazel shells
With a sweet kernel; to set budding more,
And still more, later flowers for the bees,
Until they think warm days will never cease
For summer has o'erbrimm'd their clammy cells.
وفي بعض أبيات "الخريف" على خفية وزن شيء من حلاوة روح إبراهيم ناجي وحارة أنفس وجدانه سبب هذه الحيرة مواجهته لنا بخطاب العاطفة، فشعر القارئ أن له صدقًا و إقامة على القول والإفصاح به من غير تكلف نقيّة أو رياط:

كل مانفيك إنني لمست أدري
خطر بيضاب من منزل تغيّر
زورق يسيح في موجة عطر
واصلا ما بين عينيك وعمرتي

* * *

ذات ليل والسمط يغمرنا
كما روعت من نسمة شج
بيد شفافة مثل الندى المرت
أيها الأسي لسماري هذه

من تأمل كثيرا من شعر نزار قباني وجدت يُستعين بِمثلى هذا من كلام الدكتور ناجي رحم
الله وبَتُو أ على خطابة ناجي عاطفية فيها من روح أسي انفتاح "الأوبرا" - هذا
جانبها "الرومانسي"، أما نزار فقد انصرف من الخطابة بالذكرى الوجدانية، إلى نوع من
ماشاة الشباب وغيابية حساسه بِغزل مشاغب. هننا أيضا "رومنسية" "رومنسية"
تعمد الخروج عن المألوف. ولكنها "رومنسية" لا تخلو من روح الشارع الذي
تجهذ أن ترتضع به إلى مستوى الفن. الحقيقة أنه شعار الصحافة اليومية التي لا يراد لها أن
تعيش الى الغد، ولكن قد تبقى عند من يحرص على ذلك في الأصابرين:

* * *

(1) شعر يرفع برفق مَر ذرو الريح - الصغير يعود على الحَرَف وجعله الشاعر إسماعيل
هذا وعلى وصوّد طه كأنه أسلم من أسلوب من إبراهيم ناجي غير أن أفاسه أبده ذلك بأنه يغاز في الروقة ويغمس عبرهاته بفرط صقل لها، وإلى أنه سمى ديوانه باللماح التائه، نجد حساسة كيس التي أثرت على إبراهيم ناجي، أثرت أيضاً على المهندس. ويني أن تنبيه بعد أن كلا هذين الروسينيين العربين لا يريد تفسيره الملحمة Morte d'un amour الذي عند La Belle Dame Sans Mercи وعند المباحة مصاصة الدمـ يرد فقط موتاً ماجياً(1):

يا جريب الروح يا روح الأماني
وجيني في أتين غير فـرادة
"الأهاضي التذكي أودعته
"أما الشعرـ اللذي كنتـه
"أما القلبـ اللذي مـرتقته
فمن تأثرها، هذه الجنيّة العاشقة القاتلة (ذكر أبو العلاء في غماثة عشق المردة البدن وتقلهن بذلك، قريب السمن من بعض ما يقرأونه في صفح الأشراف الآن، أيماً مثلاً في خير جميّي المعيّر قوله دخلت مرة دار أنس أريد أن أصرع فتاة هم إلخ). في 294 وقوله:

و كنت ألف من أشراب قربتـة
أزور تلك وهـذي غير مكترث
وفي ألفل ليلة وليلة منه كثير

أنا راعي يـأر نفـرقي
مـهاـيى إلا أمـي شقى

هـى نبأ من أهل حساب كيس:

O, what can ail thee knight-at-arms?

وذلك في قوله:

وـعـى في الأرض علىه المقام
عـى يقبي ليلـه في سـلام
أفيق منه مستطـار الجـنان
والشهيد نار والدجى من دخان

(1) ديوان ناجي: (13) (2) نمث: 482

ـ٥٤٤ـ
البحر والندى من فكرة الملاح النائة التي تستعين ملاح كلاً من الياقوت والجبر. ولكن الكفيف والثلج والإفراقة كل ذلك من صورة القارس الكاتب- هذين الذين من كلمة علي عمود أطه *الله والشاعر* [وما يشبه الله عز وجل في الشاعر وملهمه] كما يعلم الفاروق الكريم هو قوله تعالى: *الشعراء يبشعهم الغاون.* آيات آخر سورة الشعراء، فالذي صنع المهندس رحمة الله جهد روميسي أو مرتونس ضائع:...

أما تربى من فئات الشفاء عن آخر الصبحات من رعيها ما زال فيها من معاني الحياة إياء الشكوى إلى ربه بلا رحمة، بلا ريب.

ملاح علي عمود طه طارئ هو أحد هؤلاء الكادحين بقرارهم ونحذيفهم على نهر النيل التي النزهة، وطراز هو الشاعر نفسه، نسي أنه استدير قاربا وصار من بعد هو الملاح والنازح معا، وبذل النيل، وصار بحرا آخر- البحر الملح الكبير هو بحر بلا تعرف واضح، بعد الشاطيء أو الساحل- بيته فيه الملاح: *تأمل قوله:*

أيها الملاح قم واطو الشراعا لم تلبس أنغام في النيل سراحًا ولا أحسب أنه يوجد في الدنيا ملاح عاقل يطير الشراع حين تكون الرياح طائعة رهوا رخاء وب Açık بالمجذاف- ولكن 'الرومنسية' ما تكون أبعد شيء عن حكمة العقل:

فصل الآن بنا في هيئة وجهة الشاطيء سيرا واتباعا وإنها الهيئة واللية مع الشراع فنجد في الأساحب تأكذبنا موجة الأيام تندفعا واندفعا خلت أن البحر واراه ابتداعا...

ِمّلك غير أوقات هَوَى وقفت عن دورة النهر انقطاعاً وهمت أو تطقرب النفس ساكناً فتُهمه تسعَد الريح بما هل صار الملاح هنا هو الخيبة- ثم يقول، ولا يخرج في ذلك عن وصف نزهة واستمتاع وربما عن لقاء حبيب:

(1) ديوانه الملاح النائة، طبع دار المدوحة برلين ص 114، ص 87.
(2) نفسه ص 72 - 34.
أبي الأحياء غنـوا وأطرـبوا
فاض في أرجانها السحر وشاعـا
وأديت القلب صداهما وامتنعـا
ثـم إذا بمعنى آخر يجيء الهاجر والهجران والملاح التائه:

أبيها الهاـجر عـرـض الملقـى
أدرك التائهـة في بحر الهوى
البحر هنا مجازي لفظي وبحر كاردج أيضا مجازي إلا أنه ليس منحصر المجازية في
الفظ

وعار في الدنيا طريدا شاردًا
فقدم صار البحر أرضًا، فقد يتردد تأثر عن هذا بأن البحر في كوكب اسمه
الأرض، والشاعر مهندس علمي عقله - يذكر القارئ الكرم أصلحه الله قول أبي
الطيب:

عـربى لسانـه فلسفـي
رأـى فـارسية أعـداده
نعم الأرض هاهنا هي الكوكب الفلكي الجغرافي لا أرض الشعراء التراب
لا يرى في أفق منه شعاعـا
وعـذاب يشع الرؤى البـياعا
إلى السهل سلاما وليففا
أيـد الرفـق تـحـو الدمـاعا
وانشر الحب على الفلك شراعا
صار البحر غير مجازي وله بـ كـا ترـى - وصار ملاح المهندس التائه بـ منصة، همزية
أمير الشعراء:

إذا شئت فـ الـضـاء مـضـاء
فأجـعل البحـر عـصة وابعـ الراحـ
وهل العصة والرخصة هنا لها لـ لانجلي مسيحي؟ وهـل في كـل المهندس شيء من
نظرة إلى القسيس المدعو فلم تجد روح ملاح كاردج من يصلي لها، وهي في غرفة النزاع؟

I looked to heaven and tried to pray
But or ever a pray had gusht,
A wicked whisper came, and made
My heart as dry as dust

ترجم زميلي الفاضل الأستاذ عمران العاقب منظومة الملاح النائمة كلها، وأكتب
وليس من ذلك بديي شيء فاستشهد منه في هذا الموضوع فحسب القاري الكريم لهذه
الأطرلا اللاتي مضين هذا التقرب، وإنها هو لتوضيح ما يمكن توضيحه من اتجاه
معاني كل رمز:

أنا خائف منك أبا الملاح القديم
أنا خائف من بذك المعرفة
وأنت طويل نخيل أسمر
مثل رمل البحر المضلع

أنا خائف منك ومن عينك ذات البريق
ومن بذك المعرفة الشديدة السمرة
لا تخف لا تخف ياضيف العرس
هذا الجسم لم يسقط

وحدي وحدي لا أحد معني في انفرادي
وحدي في بحر واسع المدى عريض
ولم برق قلب ولو من قدس واحد
على رويتي التي في أم النزاع

الرجال الكثيرون ما كان أجملهم
جميعهم راقدون أموات
وألف ألف شيء لازج
ما زال حيا، وكذلك أنا

(1) يشير إلى قوله من قبل أن أصحابه سقطوا واحدا بعد الآخر هالكين.

- ٥٤٨ -
نظرت إلى البحر المتأسن
ثم صرفت نظري عنه بعيدا
ونظرت إلى سطح السفينة المنغفن
وثم الرجال موتى رقودا

نظرت إلى الساء وحاولت أصلي
ولكن لم تكد تبحث صلالة واحدة
حتى أتي هاجس شرير وجعل قلبي يبسطا مثل التراب

أغمضت أجناني وأبقيته مغمضة
وجعلت الحدقات تدق مثل البض
لأن الساء والبحر والبحر والساه
جثا كالعبء على طري المضني
وعند قدمي جنازة الموتى

وقد ذاب العرق البارد من أعضائهم
ولكنهم لا تنهضوا ولا فاحوا
والنظرة التي كانوا ينظرون بها الي
لم تفارقهم قط.

هذا وقد ضربت الرومتسية التي من هذا الضرب بجران في أكثر البلاد العربية
وينبغي أن ننبه إلى موضع اليمن والمغرب والسودان في جميع هذا وليس هذا موضع

- ٥٤٩ -
لا أنتم الناس دون تقعى
إن يكن مهيبى إلىكم
في آبى النحسوس والمسرات
وهوى عن الشفوف تشف
وغام على الضياء بـ لمـ الـ
وهي بالشياكة الأليم تخف
قد عهدت الجاهل أنفذ سحرا
شوق الناس للبدور غياب
والصور الوادود مطموع نسي
مرحب بالعبوس فهو ضياء
مرحب بالدعاء شابه فيه
أنتى أعطي لكلى أسماء كثيرا
قد جلما من عاسن الفسات
أنثى العقود رئية الكيلات
وأضفني من الأسمى فـ رحـات
فـاعـسي لي فـي العـوس ابـسام
وادفعني فـي الصـداد اقتـراـب
ابـيـه واديـعـي عـلى دون حنان
والذي كأتأثر بالرافعي تأثر أيضا بالعقاد - ثم بسائر روح زمانه "الرومنسي" من
شواهد الرومنية الواضحة هنا هذا الأعجاب بالنفور والعبوس والغضب. هذا اللون

(1) ولد حميه سنة 1909، وتخرج من كلية غردون، ثم التحق بالجيش ثم تركه فعمل في الصحافة
وشارك في الحركة الوطنية وعمل في السياسة وصار سفيرا للسودان في يوغسلافيا ونثق رميه الله
1968.
النمر، [نسبة للنمر]. وقد لاحظ بر تراند رسل "أن" الرومانسيين يعجِّبهم الجمال
الشرس كجمال النمر الذي أعجب ولم يلبك، ولا يقترب للجمال النافع كجمال
حقل القمح. وفي متن هذه الأبيات التي أوردها بعض الويه، وشعر النبي رجح الله
في جلته لا يأس به وله ديوان في المديح النبوي هو آخر نظمه، جرى فيه من
الرومانسي التي من هذا الضرب إلى نوع من التدجين قرب معدنه من الضرب الأول.
وأكثر نشأة رجال الفكر في بلادنا كانت في أوساط دينية - وقد قال الشاعر:

كل أمريء راجع يوما لشيته ولتوغ الخلق أخلاقاً حين
رجه الله ووكفت على جدته شبيب الغفران.
ما صنعه الاستاذ محمد المهدي مجدوب رجه الله في كلمته 'صل يا رب' على
المذوق مختلف عن هذا الذي صنعه النبي رجح الله إذ هو لم يرجع لتفهده قريش
بباحسب الكرام وقيم، الإشارة هنا إلى قوله (2):

فليتي في الزنوج وفي رباب تمبل به خطأ، وتستغي
بباحسب الكرام ولا تعبق
فقوله فليتي شاهد بأن القيد ما زال معه، فليتأمل جوانب منه، وليفصح عن
حافظته وثورة وجدانه وفتناته، افتتان المصور الدقيق عن كل ذلك معا، وليظل بعد
ذلك جامعا بين الرومانسية الثالثة وروح النهضة ثم متزاوا من بعد ليضروب من
النهج الجديد.
ولا يخفى أن جانب النهضة يصحبه كما تقدم وصفنا له تجويده في متن النظم
وحصب على نقاء الدبيجة ومذهب الجزلة وأن ذلك قل يتفق مثله في الرومانسيتين
التانى والثالثة.
واعلم أنها القاري الكرم أصلح الله أن شأن الموجة التجديدية تخرج من
بلاد العرب التي سبقت بالنضضة ومن مصر على الأخص إذ كانت حقا هي الفائدة في
هذا الباب، تتأثر بلاد العربية الأخرى، وسرعان ما تلتحق بها موجة تالية من

2 - من قصيدته، لزريم الجوهر من أسئلي لزريم في ديوانه نار المجذيب.

- 818 -
التجديد فيكون من هم مازالوا تحت غمرة الوجهة الأولى، قد بلغهم فجعل يغمرهم
دفاع الوجهة الثانية وربما خذ بذلك ألسنت رشاش أو غير كامل من موجهة ثالثة وهلهم
جرا. فلقي شاعر نهدي من أوائل المتأثرين بالنهضة قد اصاب رشاش من رومسية
الضرب الثالث كالمشير الدا وشيخ عبدالله عبد الرحمن رحمه الله. ويلي شاعر من
الجيل الذي كان تحرر التعليم الحديث فوي الأثر فيه، نهديا بحبح ما درس من
العربية وما كان فيه مجتمع بلاده من طور التأثير بشعر النهضة وإيثار الجزالة ولا بد له
من موقف إزااب الرومسيز وما جاء بعدها من اطار بحكم ملابسة العاصرة وتعذر
الانفصال عن المشاركة فيها بسب أو إجاب.

محمد المهدى مذود جمع بهنضيته بين المثانة والسلامة ومذهب الجزالة ثم مع
رومسيزه أخذ بوجه من التجديد الحديث. محمد عده غانم حرص من رومسيته على
الصحة والتجديد النهدي وأحر أن يعبر مسائل من مستحدثات الهمس والرومز
والمخرج عن الوزن، أو كما قال في كلمة له قالها في مهرجان شوقي وحافظ:

ما ان عهدنا الهمس من خاطب
ما للجاهز وللشعر
إن فخاذة يمس في أذنها
وتارة بالرغم بسماها
هامت بين استعاراته
وقتاه ليل النجذر في أففسا
وكماسنا في قاعهما قطارة

وفي جيد شعر محمد المهدى، ونموذج من شدة أسره قوله يصف امرأة تتندخ
وهضرب من التزون، ومن الحين الساخن، ت تعد المرأة فوق مكان حفرة خاصة معد
لتوقد في نار من خشب الطلح، ثم تشمل المرأة وتستحم بدخان الطلح الخارجي منها-
قال والكلمة في ديوانه نار المجذاب:

وحفرة بدخان الطلح فافغامة
لمحت فيه وما أمعنت عاربة
مدت بنانها بالخناء بانعة
قد لفها العطر لف الغيم منشرا
يزيد صفرة معا وجدتها

هذا وشعر المغرب العربي الأقصى وبلاد شتقت وشعر الجزيرة العربية بأسرها
نجدها وحجازها وعروضها وتهامتها وينها وأحقافها وعدنها وخلاجها وعانها

_ ٥٥٢_
وهجها وبلاد السودان والأطراف اللاحقة بها من أفريقيا والعربية من بلاد باكستان والهند والشرق الأوسط والأقصي وداغستان وما وراء النهر وما امتد من ذلك بالمجرة إلى ما وراء البحر المحط من هذه البلاد - وهذا سبب ما نقدم ذكره من هجرة مهجري لبنان وسوريا - كل ذلك مما مرت به وفر في شعر العرب خاصة موجات النهضة والتجديد على دفعات متتالية. وكان ذلك مما ينبغي أن يتبث له ويدفع على درسه، ولا يسع المجال ها هنا للاستقصاء والتحليل - وهناك مثلا من ديوان الحرية لابن ثابت أورده الدكتور العربي أحمد غراب في رسالة له للدكتوراه بعنوان الفن والشعر الحديث بالمغرب ومن ثم أخذه:

لا تشتي كيف كان الأمر إن لي لست أعلم كل ماء أعلم أن بيت في جوهر جهنم وقضية الليل والليل سعير يتضرم هائجاً يارب ماذا قد جبت الليل فارحم تقف الاحرف من فيض شوارت تكمل قال لي ربك أدي بك يا صاحب وأحلم أنت منه قد طبيت أنا يوسي أنت أظلم
أول تسمح إليها وتراها بك أكرم فذاق النصار التي أنت إليها وتعلمن فعل النصار تديك وهدى النصار أقوم

أول هذه القطعة مهجري مثلت بطلاس إيليا أبي ماشي، ثم انتقل ابن ثابت، صاحب هذه الأبيات إلى الرمز وأسطورة بوميروس. وهذا في معنى ما قدمناه من تداخل دفعات الأمواس، والأصل رومسي، ثالث لفظ به غيره على نحو ما يقول له إكلانتيكي - أي يأخذ من المذاهب المختلفة ويترجمها بتفاقيه ولا تعجني إذا ليس التلقيف مذهوب في إلى أخذ متعمد باستحسان واختيار من مواضيع شني قد لاتتلاهم، ولكن هو ما لفظ فيه شن من ثوب بشق آخر أو من شربين مختلفين مع حسن الملاءمة للهم إلا أن نزعم أن الإكلانتيكي إنها يريد الملاءمة الحسنة وفيه. والله تعالى أعلم.

هذا وقد مثلنا أكثر مما مثلنا لأخذه على محمود طه وناجية من رومسية كيس وكليدج. وليس القصد إلى استقصاء في «الأدب المقرن»، إلا فغير معتز إلى كبير دليل أن أخذه قد تم تجاوز هذين وغيرهما من رومسي الإنجليز وخاصة شيل، فقد ظل محبوبا مقوما بين عمي الرومسينة من العرب ولا سيما منظومته

Ode to the West

553
الضرب الرابع وهو رومسية الفقير المفقود

أو قال الفقير المفقود أو ما أشبه، وهو الذي أقبل على الثقافة الدينية وأحس بأن فوائد العصر من جاه وحضارة جديدة وما إلى هذامعنى، كل ذلك فإنه إن هو لم يرم (1) مكان الشيخ الفقيه العالم القديم. كان التعليم الديني هو أصل التربية والتأديب في جميع بلاد المسلمين، يبتدأ بالقرآن ثم يصار منه إلى الفقه والتحو وسائر علم اللسان والدين. وكان يقول لعلمي القرآن عندما الفقراء وربما قبلهم "المهاجرين" من قوله تعالى "الفقراء، المهاجرين. . ." وهم الصحابة المهاجرين الأولون العلاج. وهذه التسمية قديمة. وله شرح العلم الشنتيري الملحق به نموذج طبعة ولاج للكتاب:

أثبت مهاجرين فعلمًا، وخلطوا أبا جاد وقالوا
تعليم ثقافت وفيرة وثوابت
ويقال الفقيه، ومنه وجه مختلفة في النطق العام في شتى بلاد العرب: الفقي الديني
الفشي (2) . . .

ثم جاء التعليم الحكومي أو شبه الحكومي المصري باستعراض المباشر وغير المباشر، وكان سبيلا إلى الوظائف ومزايا الدولة، وذلك من السلطة والجاه، وإنحصر أمر الوظائف المالية للفقراء، الدين في إقامة المساجد والقضاء الشرعي والوعظ. ولا يرب

(1) لم يبرز كسر النواة، أي لم يغادر لحم بريم (2) بتصبيح الفصيح، هدف.
أنا هذا كان صاحب غير قليل من الشعر في بيت نبيه عليه السلام. وفي بلادنا، أيام الحكم الثاني، كان للقضاء الشرعي قسم خاص به في كلية غرودن (1) يروى للمخترعين منه إمام باللغة الإنجليزية مع ما تلققوه من علم السيرة على مذهب الإمام أبي حنيفة (2) (رضي الله عنه)، فكان هذا فيه تضييف من الفرص على خريجي التعليم الدیني البشري وبسبب من هذا الوجه الجديد.

حرص كثير من الشبان المخترعين من التعليم المدني على أن يكونوا جادة عمل عصرهم، ويزيدوا على الانتظار أن يكونوا في أولى صدر وقياده، ومن هذا المبدأ نشأ بين أصحاب الملكة من بينهم اتجاه جمع بين الثورة على المحافظة التقليدية، بورا أنهما معدون البؤر، وتطلع إلى الحرية الحرة من قيود هذه المحافظة، والحرية التي يشدونها جميع الوطن العربي من الاستعمار، والحرية التي يشدونها الشباب في الجاهل والأم و فلاطلاة والصعود المجتمعي للأهل.

الخبراء: أحلاج الجاد، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أحلام البحر، أخلاء ما على أهل بلدةنا، وذلك مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

---

(1) أنشئ، هذا القسم سنة 1912م
(2) خلافاً لما عليه أهل بلدنا، وذلك مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.
تمثيلة من المسرحيات. إذن يعني ما ختان روايتكما كلها؟ وتكون في هذه الحالة مثل رواية هاملت التي هي داخل المسرحية الكبيرة

...the play's the thing
Wherein I'll catch the conscience of the King

المسرحية هي الشيء
الذي أمسك فيه ضمير الملك بديء
والبيت الذي يلي فيه ضعف، والحق أن قوة نفس الشاعر بلغت مداها عند قوله:
نحن نتلذ رواية الكون للموت ثم أدركه بعد ذلك إحياء
هكذا قلت للريح فقلت سل ضمير الوجود كيف البداية
والكلمة فيها بعد مع الشك المعرفي الروماني (الجنرال) المنحى نظر إلى بحر المعرى
ورويه في الكلمة التي رئي بها أبا القاسم الغربي الوزير (1824هـ)...

بأ أبا القاسم الوزير تنبين وخلفتي فعال رحابه
يشير إلى قول زهير «فتعرككم عرلك الرحى بفناها» أي معها فناها
إن نحتك المنصرون قبل فاني متحاباه وإنا متحاباه

ولكن في نظم أبي القاسم الشابي من جودة الصياغة ما لا تحت نظيره عند ناجي وعند عن محمود طه، ذلك بأن أساسه في العربية جيد، ولو أخليه له كل ال抜け، ولم تفتحه أضواء مدنية العصر الحديث فخفك لكي تأثره لكان أسلوبه في النظم أمن
وأبعد ما نجد بهو حينا بعد حين من الوهب نحو قوله: ولكن ماذا ختان الرواية؟
ون نحو قوله: هكذا قلت للريح فإنه ليس لها كبر معنى ههنا.
قولنا «تأصروا» أي يكون من هذا العصر، من قولك أعصر تقيسه على أنجد أي صار في نجد وأتهم أي صار في تهامة وأصبح أي صار في الصبح وأضحى أي صار في الضحى وأعصر أي صار في العصر. وربما قبل الآن تقرر وتعقلن ولا يعجبني ذلك
وله وجه بعيد وهو قولك ضيف وضيفن أي ضيف الضيف زيادة نون عليه. وأشهر
شعر الشابي أبوله، أي قصيدته التي ذاعت من طريق جلته أبولو.

٥٥٦
وعنيبة أن كالمطيولنة كالأحـ
السماوء الضحوك كالليلة الفمـ
يـهـاـها من وداعة وجمال
هـذا البيت ضيف بالنسبة إلى تتبع الشهادات من قبل المنشور بقوة الإفعال. وأتبع
الشاعر "يالها" هذه الأولى بالثرين بعدها:
بالها من طهارة تبعث التفتـ ـدـس في مهجة الشفى العينـ
هل الشفى العينـد هو الشاعر نفسه؟ ثم ما هذه "التقيـس" الكلمة المسيحية
الطلال؟ وهـل الشفى أيضا كلمة مسيحية الظلال بمعنى صاحب الخطيئة المذنب؟ أو
هي قراءة الأصل "فمنهم شفى وسعده" تأصرت بإشراف من ظلال مسيحية؟
بالها رقّة يكاد يترف حـــــــوـد منها في الصخرة الجلمود
وهل الصخرة قلب؟ والبلاحةات الثلاث لم يزدن شيئا على قوة البثين الأولين، وكان
الشاعر أحــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~

_82_
عندنا يا معشر العصرين. كأنه نزايا من الملاقاية بين هذا الضرب الرابع المتآصر
والأول المدافع المتحدي:

فيك مافيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبدود
أنت ما أنت فجر من السحاب تجلل لقلي المعمود
وفرض هنا ترف عليها طيف من الصلاة وصوت المؤذن "الصلاة خير من النوم".

والفضير أول بعده الإسثار حتى جميل. وأكثر ما يذكر الفرونة "Dawn"
يعنون به ضوء الصباح، وكذلك Aube الفرنسية، والصلاة عند ذلك ليست بأداء ولكن قضاء أعرى
صلاة الغدادة المفروضة.

ثم تجيء أنواع من التكرار. وقد أدار الشابي معايى قصيدته كلها على خطابة لجامعة
تعطر بيد ولا تستطيع التنزل حقا من نعما ما يقبل إليه أنه هو التفكير المتحضر
الفن الرصري. الخنا بالطبيعة المشبهة بها هذه الحسناء ينقصه التأمل. ليس فيه

حديث المرة بالطبيعة التي يبعث منها الإجاء بالحب لها، والأحات الملقى مع جالها.

هذا واضح عند "كثير". وواضح أيضا في ريح "شبيل" الغربية إذ هو لا يكتفي
بالخطابة اللفظية ولكن يتأمل الطبابة نفسها ويوضع أنامل تأمله على تفاصيلها-
الأوراق المبكرة المتطايرة صفراء وموجبة وأوراق وقائيات، والعباءة المجنحة التي
تستطردها الرياح في مراكبها إلى مراقدها الشتوية المظلمة ...

Thou on whose stream, mid the steep sky's commotion,
Loose clouds like earth's decaying leaves are shed, ...
Shook from the tangled boughs of Heaven and Ocean,
Angels of rain and lightning (1) ...

واضح في شعر "ورديزورث" عن ضروب الأمهار وضروب مناظر الريف - الفتاة الجميلة
مثلًا، لا بل واضح في شعر إيليا أبي ماضي على شح ما فيه بالنسبة إلى هؤلاء- ذكر
النبي والجديل والقطرة والأرز والزنبقي والسوسون وحفل القمح والشمس واليوب
النجمو والجابل والعشب والندي والجني والشجر والبرربع والنوح والشتاء. ولا
يزعم نزاع أن لبنان بحسبهم هي التي أوحهج جميع هذا الشاعر المنشات الآثب،
نعم حسنها لا ريب فيه. ولكن تنوّس الخضرة هي أيضا جلية وفيها ضروب من

(1) أتت يا من في جراحها وسط جرف هيبان الجو السحري - ترى هيئة أهداب السحاب كما يفاقط الورق على الأرض
القلاب - نهر ملاكاة الحياة والبروق هوا من أغصان البناء والبحر المتشابكة. 4 من السعر الغربي للشاعر شيل.
الشجر والشجر والزهر.

لكن شاعرها الرومي بريتناية ابن المسجد المحيط بالصمود
على ألوان من الثورة على المسجد. هو أيضاً ابن مدينة قليل التعلم بما人脸识别
الريف. الطبيعة التي يشعرها هو طبيعة هذا التصور الحضاري الجديد المنبعث من
روح التجديد. وروده وأزهاره على الورق المكتوب. وأنشأه ليست من أغاني عصر
العرب وللليلات تشيد الأذكار الصوفية والمدائين النبوية، ولكن من توهم تراي فئة
في القلب. من العجب أن إيليا أبو مضاي ليس في نوعته من الكنيسيا كما في دالية
الشاعر.

علي أن للشاعر مقدمة الخطابة المسجدية ذات المتزاحفات والمتزاحفات الكثيرة. نروء من
التدفق اللطيف. أما المعاني - بل تأمل هذه الأبيات:

فأراه حياة في مسند الحسن
فيا تقع رائحة صورته
أنت روح البرع تحتال في الدنيا
وتغ فحية سكّرى من العطاء
كلياً أصبرت عيني تمشي
خفق القلب للحياة ورف الٍّد.

في هذا البيت محاولة تعبير عن انفعال صحيح عبر الشاعر بأمر لعه كان يراه ويعزوه
ويجعله حلق المجدود - هذا البيت من التفاصل النادرة في القصيدة ولكن له أصلا
من مادات القريانية لا يخفى وأحسب أن هذا هو أصل التعبير لا مجرد المشاهدة
والله تعالى أعلم.

وابنت روحي الكبيبة بالله
أنت تحيي في فؤادها ما قهد
وتشير السين في خرارص روحي
هذا البيت تكرر للذي قيله.

من طمّوع لي الجال إلى القسم
وتتمين رقية الشوق والأحاسين
في فؤاده وألمت تغربي
معاناة الكابثة لمفروض وإجليها للتغريد فصاحة صبية مجدية الأصول (من أشياء مثلا)
عصرية الفروع. ثم تع Coordinates المعاني المسيحية والأساطير الرومية.
أنت أنشودة الأناشيد غنا
فيك شج الشباب وشحه السح
وتأيّر الجال يرقص رقصا
وتهداد في أفق روحو كأوزا
فتأيلن في الوجود كلهن
خطوات أسكرنه بالاناشيد
هذا من مفضلة الحاري: "نشيد الرعاء المعزين المثاليا" فهذا رجع ناي بعيد كأ

وقوموا Vicka ينطق بالبلاد
كل شيء ممـوقع فيك حتى
تضافل المنظّر الجنسي المتمثّل في مشيق هذه الفتاة الافرنجية، الرومية، قولا
واحدا، وهي كا هي جنس هي أيضا كسر أو رمز لكر قبر المسجد وحجاب البنات
وساوا قلوب غيرة المحافظة العربية المسلمة المتسمكة خلافا لإسلامها بعض روح
الواد الجاهلي المستقّل عنه يوم القيامة... هذه التفاصل هي التي تتم على الشابي الدفعة
بعد الـذفعة، بنفس التعبير الذي ثم يزحم بعده بالنشيد واللحن ونحبي إلى ألفاظ
الأصلي العصرية بملكّة مستفادة من خطابة أمة الدين وبلغاء "الفقراء" ومحفوظ
قدوات الأساليب ذوات البيان. "وشحه السحر" مع وشاح ثريا أمير، القيس وغيره
من الشعراء الأوائل. "سكرى من العطر"... عطر الند والعود وبخور خلفات
السوفية مع فواح عطر فرقية المناهث من "البرونداد" وهو عطر الورد لأن الورد
هما هن الفيتا، بلا ريب. ثم السكر بالحلوات ينظّر عبار، والاناشيد انشاد
الكنيسة التي توحّها الشاعر. ثم جاءه تداعي المعياني يقول عبد يغوث الحاري:

أستأ عباد الله أن لست سامعا
نشيد الرعاء المعزين المثاليا
ولا شك كان رحه الله مجته، "المعزين المناي" أي الذاهبين بها بعيدا في
المراة فاننائي البعيد، كأ تقدمت الإشارة منها إلى ذلك من هنّا. ثم تعودت الحان
الكنيسة المترئة وموضيّنا أوروبا في نظرة عابرة مرة أخرى إلى القوام والجنس - القطع
كتابة عن طلب العزيزة وتختير السورتين بالشيب. ثم أتم الصورة لفترة الجيد واهتزاز
النهود، واحتفظ بتوقع سحر الموسيقا: ناي عبد يغوث الذي في قلبه ترانيهم ثلاثث

- ٥٦٠ -
فالله العظيم لا يرحم العبد ما كان في جلال السجود
هذا المعنى قرآني الأصل: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون [الانفال].
هذى الأبيات من "عذبة أنى السجود" هي خيارات الفصيدة وسائرها بعد إطاب
 وإسهاب، بعضه أقصى اليه اندفاع الشهية وبيضه إثر الفجر المسجد من المباهة
 بطول النفس، وأكثره فرط إلحاح على قرع باب الإنياء إلى نبأ التحديد، وعلم رومسيتها
 المسحور: الطبعة، الزبيبة، اللحم، الأحلاف، تخطيط المفيع، النور، تبديد الظلام، هذا
 الحشو الهوائي كأنه ضرورة للتعبير عن الضياء النهائية والازدواجية المركبة، والخندق
 العربي الذي تغلغل في صميم دولة عرف الإسلام والعرب، والشام، به صيحة حرة
 وطموح وإخفاق.

التجاني يوسف، بشير الله [1912 - 1936 م] ما يقرر اسمه باسم الشاب.
وينقل إليه شعراً، ونشاها، من حيث إنها كليهما لم يلقهما تعليمهما في
مدارس العصر الأفريقي الروم، ولكن في "الخليفة" [أي كتاب القرآن] والجامع
واعالما زمان دعوة التجديد ونحلة أبوول في مصر وحركة شعراء المهجر، وثقفاراً بأدب
التهذب، وشهداً أوها دعوة القومية وتحرر من رتبة الاستعار، وشارك في ذلك بجهد
ما استطاعه من انفعال القلب وبيان العلم.

ثم بينهما هذان الشابان اختلاف كبير: السودان بالنسبة إلى مصر وتونس والشام
بادية وصحراء. "والبيعة (2) التي كانت أكبر مدن السودان على زمان التجاني، لا
تزال، ما كانت حينئذ إلا أحوال وجُرحاً من طين، لولا بقائها أنفاضاً من سور الخليفة

(1) للاستاذ إبني القاسم محمد بدرتي كتبة عنها بعنوان "الشعراء المشابهان" طبعة دار
المعارف، ووالد الأستاذ عبد المجيد عابدين تأليف نبر من هذا المعنى.
(2) "البيعة المباركة" هو الاسم الذي مسماً فيه المكان الذي اعتُرفا عاصمة للبلد في سنة 1885 م. ثم لما غزا
البوروندي الدولة المهيدة باسم الخدود في زعم وضريب الاستعار، غلب اسم أم درمان على اسم البقعة
فصار لا يعرف لها اسم إلا أوم دمرو، وكان اسم البقعة أشهر بين عامة الناس إلى سنوات الثلاثين، وكانوا أكثرهم
أدبنها إلى البدايرة.

- 561 -
عبدالله وجانب من قبة المهدي المهودومة وبعض مبانى الحكومة الرسمية من الآخر وطابق أرضي واحد. وصار مرصوف واحد وسطها يسير عليه الترام وما نبت قنطرة النيل الأبيض إلا وهو ابن خمس عشرة أو ست عشرة سنة.

في شعر التناجني رحه الله تلبن من حضارة ولكن أمر البداوة عليه أغلب. ثم حظه من التفصيل في الوصف والدقة في المعاني أخرى، مثل وصف الساقية وقواديسها.

[أي جزراها عندنا] (1)

وهم صوت النواعيـع-------ر-----وهو في الشجـوـم----------بـالقلب المـمـمـم---ب إن الجرـأ وقـصر ضـماـتن--تكرـت وهـرـدـنـي تبـري فتكـل مـصـوبـة السـرا، وتكـل مـضـرـي وـهــمـهـري

ليت شعرية هل كان يمكنه تجرب «النواعيـع» وهي كلمة مع وضوح دلالتها غير مستعملة في بلده وقد تعرف في بلاد أخرى؟ أو تملك بالساقية، وهو اسمها المعرف في بلده، أما كان ذلك أقوى لأمره وإن اضطرى إلى تشذيب الباء مشاعرا لها صنفا من نسبة. وكذلك الجزار فألبـق يفتح الجيم في عامية فصوه هو حب الماء الكبير (الزرير) وجرة الساقية الصغيرة التي إنها هي دلو اسمها عندنا القادوس وقوادس الساقية جرْئا كا مَر بِيْان ذلك حين قريب على أن استعمال الجزار هنا يشعـع له أنها أوضح لقراء العربية. ثم قد آخى بين قنـف "القلب" وقاف "ضاقت" فاحتاجت راء "المَر" إلى ما يؤخاهما وله هذا ما يعمله يثير "النواعيـع" على "الساقية". وقد يرى القاريء بعد دقة الوصف وقوة ملكة اللغة يعجن قولاه "فتكـل مـصوبـة الرأس" وقاله "تنى ونشر" إذ هكذا ترى كثيرا من قواديس الفخار والساقية بها تدور وله ما يخلص منها من مائها متششلا سراً في قبليها بمقدار ما يناسبه في الجدول أو أكثر وقوله "وذلك مرضي " أراد به عدة قواديس إذ "مرضي" جمع. ويجوز في قوله "فتكـل

(1) سبقت الإشارة إلى مطلع هذه القصيدة:

با د فــحة البــئـل واحــتـواهــ البــر

بمعرض الحدث عن بحر المجتث في الجزء الأول من المنشد وكانت للسألك كلمة عنها في مؤتمر المجتمع بالقاهرة سنة 1984 مـ ـ 562
معصوبة الرأس وقوله: "وهاتيك إلخ" أن يكون اراد به الجمع أو المفرد وإعادة المفرد في المعصوبة أحب إلى وأقوى في التصوير.

ومن علامات الرومتسية والتآثر قوله، والأيات من هذه القصيدة نفسها إذ:

يقول:

كَمَّم مِّنْ عَلَامَة وَسَحَّر
فَجِّئًا تَأَرَّض وَتَنْظَر
وَالَّيْم تَنْصَرَ وَالْمُحِبَّ
تَجَوَّب الْطَّنْحَ وَاللُّحْرَ.

و موضوع الرومتسية مده البداية والتعلق بالطبيعة ها هنا. وجزيرة "توتي" الموصوفة في هذه القصيدة في وسط بحر النيل بين الخرطوم وأم درمان (البقة) كانت بادية محضة البداية إلى زمان قريب. وقوله رحمه الله "تجاب الخنح واللحن" أمر ينبغي أن يشرح وليس مشروحا في الديوان إذ كان -أيام طعب- هذا المعنى معرف، وذلك أن النساء كأن يطحن الذرة على المراحيك، وطحن المرحكة هو الموصوف في قول الحمامي:

تقول وصكت نحرا يمینها أَبِعُ هذَا بِالرَّحِى المتقاعس
اذ الرحى التي تدور لا تقاعس معها ولكن الذي بركة ليطحن بالمرحكة يبرز صدره ويتقاعس.

وكانت البنات حين يطحن بالمراحيك (1) يتغنين بأراجيز لهن وربما شكون فيهن الأسى والعناة.

ومن مواضع الرومتسية قوله الذي مر في جرار الساقية:

وِتَلَك مَسْرِئٌ وَهَوْىٌ فِي نَفْسٍ لِلْخَجاَوَاطٍ قَرْب

(1) الذي في القاموس ركض بابا (باب من)، لكن اناما، مما يصير حاء، كا تصير الخاء، من ذلك قولنا رحط بالحاء لازار السير الذي تلبسه البئر الصغرى وهي المجم بالماء، في المجم بالماء، وهي تبرع للدلاله على كثره الطحون وفي جسمه كثيرما يصير اضطرة عينا كجعل في سأل وجعل في جار.
فقد جسدها كيا ترى، ولا يخلو مراده من غموض، أي تلك الجرار متداعية منهاه وحاتيك لا أمل فيها، وفي صناعة البيت نعم، هذا، وعلو قوله "للخواطر قبر" له ارتباط معنوي بذاته الفلاحين من بعد، أي حال هذه الجرار قبر خواطرهم لقلة المال الذي يجعلون به جرة أخرى في مكانها.

ومن تفصيله مما سبق الاستشهاد به في الحديث عن بحر المجتث في الجزء الأول من هذا المنشد، يذكر شجرة مطلة على الشاطئ:

ورب قنـرةٍ للعصـنـم، وآلذورـق مـقـرـر

وقد سبق مأخذنا ما أخذنا على هذا البيت

أوـيـع~ أـهـمـهـا، وأشـرف جـذـر

هذه صورة غاية في الدقة، ثم زاد في تفصيلها حيث قال:

يقلهـا، المـهدـة عـرـقا، نـمستـطـعـلا، وسـيـر

وهي شمـطـاءـا، بكـسـ رـ

وبعد وصفه الطحن واللحن والجرار التي حاشفة للخواطر قبر، صور الزراع، ولما تستخدم كلمة "الفلاح" والفلاح عندنا، وإذا قيل في الدارة "فلاحة" بفتح الفاء فهؤلاء الفلاح وصاحب "الفلاحة" التي من هذا النوع "فلاح ناجح"

كـمـ في المزارع قـمـعـر، شـم العـراران صـمـر

كـل منهم سيده نفسه

هـبـوا سرـاعـا إليها، وليس منـهـا مـفـرـر

لفرط الشقاوة في السقي والحروف، والأرض صلبة وحر النهار سأعر، ولكن لا بد مما ليس منه بد

ذـيـاك يعـنـق في العشـر، بـجابـها ماـيـقر

وذاـك يعـنـيـهـ حـرـث

-546-
ومـاـهـجـ في اـلـفـيـط نـشـءـ مـلـء اـلـنـوـاظـر فـخـزـر
الفيت كلمة مصرية لا تقال عندنا فأحسبه اضطر ليقمن بها الوزن وهي بعد
الأمة "خزير" فقد جلبتها الفافية، ولا بعد معنى صحيح في هذا الموضع لأنهم
يعملون مع أبائهم ويتظرون من جانب ويتضيق للعين من الغبار، وأراد أمرهم حزارة
هم نشاط، فهم ملء النواظر وهم بشيئتهم خزر العيون

هـنـاك فـيـلـو وـهـذا لـك بـنـ السـنـاـبـل بـبـرـر
وله في صفة الغلام يسير لل"الخلوة" [كتاب القرآني] كارها:

"هـب مـن نوـمـه يـبـدـعـغـ عـينـهـ، مـشـيـحاـ بـوجـهـهـ في السـباـح"

هنا مضغ للكلمات فيه حسن الترمز، ولكن فيه ليتنا، ذلك بأن قوله "هب من
نومه" كلام تام، "يدغع عينيه"، بعده نوع من استدراك ومضغ على ما فيه من زيادة
الوصف، وكذلك قوله من بعده "مشيحا بوجهه" إذ من يدغع عينيه يشيع ضربة لأزمة

ساعدة يلعن الساء وما في البـدر من عـلال ومـن أشـبـاح
هنا مباغطة أشبه بعقول سخط الكبار منها بعقول سخط الصغير والأشباح ليلة لا
نهارية، وغير خاف أن الغلام هذا هو الشاعر، يفكر آنا بالذكرى آنا بالحال والخاضر
فلعن الساء والأرض على لسان هذا الصغير الذي يذكروه، ولهناء الساء من لسان ابن
الجامع أو قلبه أبدها رومنسية ثالثة!

حتى نفسته ومضاقت به الحزنة فماتـهـجاـ به بـغيـض الـرواح
الروح في اللغة الفصيحة يكون مساء وفي الدارجة ما يقع على الغدو والرواح جميعاً،
ولكن في البيت طولا فتمظ لتلك الكلمات، هذا من التلنين، وهذا البيت الذي قبله لو
جاء بها أوجز لكان ذلك أقصى، ولكن الإطابق أدخل فيمعنى التأمل الروماني
والإتجاهات التالية فيه وصف متقن صادر من خيله خصب.

وأهابت به الظلال وقد نشهد رن في جلـوة الـقرـى والبطـحـاـح

- ٥٩٥ -
كأن في كلمة البطاح، قلنا إذا البطاح لا تقابل القرى، إذ القرية قد تكون بالأطباع وغيره. وهل عند بالقرى ما كان "أم درمان" من حلول كالأضراس، بينهن ضروب رواب وفخر وبطاح؟ أم ليت شعرى هل رأي، هل اتفق له أن رأى ديار أصول أهله وعبر النيل من ناحية المحمية حيث المطم وثلج ود��اني على التل والظلاد قد تنثر من ثم إلى الأطباع فعلقت هذه الصورة بذهنها؟ ويبهر من حديثا مع من لقينا من أهله أنه لم يرم أم درمان.

ومشي بارم يدفع رجليه ويكب بقلبته المتلاح.

صورة الرجلين وقد يكل حجرا هنا وحجرا ثم، جيدة باللغة.

ضمخت شويبه الدوامة وروته رأسه من عبيره الفيلاح.

كأنه كان يحمل الدوامة على رأسه أو يسبح رأسه بالقلم. ومداد الدوامة من السكن [بالتحريك] وهو في علامة السراو الذي تترك النار على الأنيقة مع الصمغ ولذلك يفي من تحمير الصمغ. ولعل الغلام كان يلبس خرقة واحدة فوق السراويل، وكانت تلك عادة قومتنا حتى جاء تغيير هذا الزمان. رواه الشيخ الطاهر المجذوب رحمه الله أنه قد "البㅛعة أي أم درمان" أول أيام الاستعمار بالثوب مخالفا بين طرفه، كما جاء في السنة وكذلك كان ليس الناس عندنا عامة والفقراء. [أعني العلماء] خاصة.

ورأى استخدم الشيخ رحمه الله تحت المراقبة لسابقة قتاله الكفرة مع عثيان دفنة رحمها الله تعالى. وكان الشيخ البديوي، رحمه الله، شيخ الجامع وكبير العلماء أنتقد شفع فيه فلم يعدم، وأشار عليه بأن يتخذ زى العلماء وهو الجبهة والقططان والعمة ذات الطربوش الأحمر المغربي فأي ذلك واجتهد فيها ذكرنا بأن الثوب الذي يلبقي به ربه في الصلاة ليس أحد من البشر، حكام أو سواهم، بأكبر من أن يلبق فيه، رحمه الله.

جميعاً:

ورمي نظرة للشيخ الجبيه مستبطن خفي المناحي نظرة فسرت منازع عينين وتمت عبا به من جراح الذي رمي نظرة غلام شيطان ناشيء وهذا الذي جراح هو التجاني الشاب الذي يبرد حطم القيد وقد نقلت عليه قبود الحياة وحس في أغوام صدره ورجع المرض ثم
انظر أيها القارئ الكريم إلى هذه الصورة من قراءة "حيران الخلوة" أي غلايتها المفردة
حوارات تشديد الوأ وتفنيدها وضم الحاء المهملة
وتفسير سجا الكرى في حواشيه ودوب الفاتور في الأرواح

هذه قد تكون نفس ركب مسافرين. وهذا من التجانى في جمع بين إطاب بالكلمات
كأنها هي المرادة لجفوكا دون ما تدل عليه من صور، وبين محاولة التصوير في نفس
الوقت. هذا التنزل والتصنيع هو من باب ما قدمناه أولا من تلبيين في صياغته هو بلا
ريب جزء من نعومة "الرومنية" الإنتهاء للروتين حضارة العصر وأثباتها بتغير اللفظ
الفصيح الخلو المتحضر ذي الظلال

فارجحت مهومات وما تبّ رح بركنوزة على الألواح

"ما يبرخ الإله" عربي قصيح. "فارجحت مهومات الفاظ متغيرات من ظلال. ولو
قد أراد التجانى أو سمحت نفسه لشدة الأمر لكان يثور الخلوص إلى إنجاز الصورة
واضحة على البدء بتزنيتها قبل تمام الإنجاز، تأمل قوله:

كلا لفهمها العناصس وأضيفي فقوحها عالمان ندى الجناح
قصف السعد في الكمان ودوى مرزما صاخبا قوى الصباح
فوهواية فعلا ندمى الجناح
فهذا ما ترى من الاستعارة المرشحة [لفها - أضيفي] والتشبيه المشتمل على إشارة قراءانية
(أضافي فوها عالمان ندى الجناح) من قوله تعالى "واخفض لها جناح الذل من الرمح"
وفي نظر إلى قول ذي الهمة:

طريق الحراخ واقع فوق ريع ظلمين ليله في ربيسه ياقة

وبعد قوله "قصف السعد" إطاب ضخم في قوله: دوى، مرزما صاخبا قوى
الصباح. ثم يقول من بعد:

فاستفاقيت وهينمت بعض أشياء...

وهذا نعت صلت مباشر وصورة حال الصغر إذ ينام منهم في نينام إعفاء وينام من
يتنام عفرة، ثم يزجر الشيخ الجبار - كالحجاج بن يوسف - زجره فيصحو النائم
والتنام ويهينم الحوار إذ يكون قد نسي موضوع ما بدأ به. قوله "هينمت" على حسن
جرسه وجودة تصدّي اختياره، هو النظف الدقيق المعرّف حقاً في هذا الموضع ولكن قام البيت... وعادت وعاد قصف الرياح، جار على ما سبقه من أساليب الاستعارة والروح الروماني للتنسج والتغيير والتصوير، إذ ليس هنا قصف ولا رياح، ولكن هذا تمثل مثل الشاعر لجزر الشيخ وهول واستعان عليه بطبيعات الرومانيين وزيته بها له من عناد ومعبرة بالألفاظ والتملّذذ بشقها وحلوها.

هذه الرؤية التي مزدهرها إلى إيحاء الاستعارة والتشيي والجور الفخذي في عطاء وسماء، متمة يعود بها التجاني من ثروة اللغة اللوبية ليزيد بها إنتاج التجديد العربي وفي ذلك تنبث إلى مكان نفسه ومكان الجامع من هذا العمل.

وهذه المساهمة تأمّل قوله «دوري» بالتدريج، قبل من الرومانيين من بينه. هذا الفعل مضاعفًا وإنها يقال دوري (باب ضرب) بالتدقيق وجعل الفاقي يجهزه ولكنه أي هذا الثلاثي الفخذي ليس هو الفصيح الجيد على الأرجح إذ لم يرد في الفهم. وتأمل قوله «هنّبت بعض أشيائه» إيجازه وفصحته. وتأمل جودة الاستعارة في «الفها النعاس» وينشر التجاني المشهور قوله في النيل:

"أنت بأس نيل يا سليل الفرادين، كم نيل بمجد ماضيك مقتربة، مكان القلوب ما استمدّت من شابك قوله "كم نيل" هل عنى به "شروق". وهل يعرض بأنه لم ير من جمال النيل إلا مجد القراوعة؟ ويكون هو الروماني الساجد على الأشجار، وقد صار النيل معبداً ذا أعتاب؟ قوله يا سليل الفرادين تعتبر عشرة رقية، أهله ديني ذهيوه من حديث المعرج. أصله من الجامع. وقد جعله التجاني بروح عصريته كأنه ليس أصله من الجامع. ومن الجامع، مع اعتدال ذلك خفية، أصله. هذا أمر آخر به التجاني مختلف عن الشابي: اعتزازه بالتحسيل الذي ناله من علم العبرة والمدينة. إن التجاني بهذا الاعتزاز فيه أنسان من الضرب الذي ذكرني أولاً من الرومانيين، ضرب الرافع الذي أدخلها في الرومانيه لتخريجه منها، غير أن التجاني باختلاف نفسه من ثورة على المحافظة ورغبته شديدة في التجديد وإيان بضرورةه مع الإحساس الغوي بروح الحركة الوطنية ومناهضة الاستعارة، ثمّ اخالط ذلك كل نوع من فئة بمعنّي النصارى الذي تمثله الخروف وبورت الحكام البريطانيين ذات البساطة، وصنف الأجانب من تجار وحاشية أخلاقي بينا "البقعة المباركة" أي أم درمان، يسر السائر في نصف
هناك الأزهر الأكبر «وقد خبأ آل الأزهر المزكد» كأ قال طرفة بن عبد في المعلقة. قال التاجلي رحم الله يذكر بروميناد الخرطوم من ضروب نصاراة وأجانبنا ورتبة مظاهر تجاههم وسراها. وقد مر هذين الأبيات في معرض الحديث عن بحر المجتهد في الجزء الأول من المرشد، وكان زميلنا الأستاذ حسن الطاهر زروق رحم الله وجعل الجنة مثوى يسحان التزمن بها بصوت عذب الشجي عميق.

أمتن بالتلاحم بـ نـ، وـالكسـمـة عـدـاـ، ومنـ الصـياـحة وـالقـالـسيـمـة، وـعـيـون النـصـارـي.

وأثبت هذه الأبيات إلا أن تعلن إسلاما... البرد والنار من سورة الأبياء «قلنا يا نار كونى بـدـا وـسـلاماً عـلى إـبـراهـيم»، والطواب بالله الخرطوم والجزر بالخرمات، وركن الجامع رابتة وثب لأتا من إيان ابنه ببداية الحسن في عيون بنات نصارى الخرطوم.

والتجاني رحم الله شعر ذكر فيه وحدة الوجود بشيء بين التأم ولوصوف:

الـمـوجـود الحق، مـ، أو وسـكـرون المـ، مـ، أو في حـسـبـة الأـلــهـ، مـ، تـرـجـع صـصـاده، هـ، وـحـيـيـا في حـوـاـشيـه، وـيـ، إـن إـسـمـتـ الـمـ، وـ.

فهذه أفكار وحدة الوجود التي سهمتها كثير الاستعمال. وللتجاني كا قدمنا أحكام وشغف باختيار اللطف ورئين النغم، فإذا ما تأصهرنه وما يباعه من نوع رومنيسية الدفاع عن أخذه من نصاب. وطبع التجاني جيد. لعله لم كان مده في الأجل، "لكن أجل كتاب"، لكن أسمه بإسحاقاً.

أحسب أن مكان التجاني رحم الله في مقدمة الإجادة الرومنيسية، غير أنه أباح به كونه من أم درمان، بعثة المهدي المبارك، القصيدة جدا عن مراكز التقدم والحضارة العصرية العربية. صدق صاحب معجم البلدان بـ "تـَ، حيث زعم في حديثه عن تلك البلاد أنها أشبه بلاد الله باليمن وأن في عيش أهلها شدة، الله متناها، أن قلنا يفتقد إلى مكان المحسنين من أهلها مؤرخ الأدب وأصحاب التراجع. ولليم، وهي أصل العرب، وهي شجاعة بذخائر الكتب وفطاح العلماء وفصول الشعراء من الإهمال.
قسط وافر. ولعل ذلك كله خير فليس كل الشهرة بسعادة.

هذا، ومن شعراء الرومنسية الذين ينبغي أن ننبه على مكانتهم حسن إساعيل رحمة الله، لا من أجل مجرد أنه من أساليب الرومنسية من هذا الضرائب التي يلقوه الأرجل وناذجها، ولكن لأنه كان هو نموذج لضرب لم كان أصل قائلًا بنفسه لجعله ضرية خامسا. ذلك بأنه شاعر أخاذ فلسف.

أصل التلفيق في الفلسفة ألا يلزم الفيلسوف مذهبا بعينه، ولكن ينافل نفسه مذهبا Eclectic من مذاهب متعددة، ليس واحد منها له. يقول لذلك باللغة الإنجليزية [كل كلك] وشتقها من اليونانية التي من فاسقها أخذ هذا المعنى. ثم قيس على ذلك كل ما يذهب إليه من تلفيق المذاهب مفكرة أو فتائ على وجه الاستحسان فيجعله منهجا أو كالمنهج نفسه. إنهاء حسن إساعيل رحمة الله في صناعة من الشعر تجنب إلى الضرائب. وتسعين ما للرافعي رحمة الله في إغراب، وقد مرت منه أمثلة. وتأمل قوله في "أوراق الورد" [ص 4] "قال تعالى حقلي على فرط رفقة هو لفرط رفقة وحش وحش في عالم الحب، ما منه فكر له فتش إلا فتش عن معيي يفطر، إذ يشعر بالحياة في نفسه لا غداها إلا بمعاني حبيته، فأكلها حتى بالنظير، "ويفرسها حتى بالخطر".

هنا عنصر ما يسميه "ماريو براز" ظلال "المركزي دي صاد"، أي "السادية" التي تلتزد بنوع من افتراس المحبوب وإيجابه. احترس الرافعى رحمة الله فجعل افتراسه بالنظر. وهو للمتمثل افتراس كأفتراس الصياغة. ومكان الإغراب اللغوي لا يغنى وهو المصعد الذي تعمد الرافعى، نضر الله شراء، القصد إليه "يأكل حتى بالنظير ويفتروس حتى بالخطر". وتأمل قوله أيضا في "أوراق الورد" "يا خاطب القمر" [ص 17] "من شريك بوجها أغبر الضوء فيك يزور اللحم ولدمة فيها، فتكاد أشتك تلك تقطف منها القبلة، ويكاد جوك يسقط من نواحي تنهدات خانتها، وتكاد تكون مملاً يا قمر، مغولداً من الزهر والندى وأنفاس الفجر"... هنأ إغراب ناعم كقول الرومنسيين الإنجليز في لغتهم أي "ندى العمل". كمثل عناء الرافعى، رحمة الله، وتصيدته للممعاني وإغرابه تجده عند حسن إساعيل -مثلًا:

عابد النور جاء للنور يشكو
ولله مكرور والتناه سنداته
يبسهما سوءة على لؤلؤه
حتى الأعين الظاءة إلى الحسن — فوجدت دموعه بالبهانة
وتشي الهوى بأهداها السواد فكادت تضيء من كهرباته
"كاتبة تبيء من كهرباته" كأنها جي بيا اختيارا من الرافعي — مصطفى صادق
الرافعي رحمة الله — من طريقة نثره التي قدمنا. ومن معادنتها ضجة الجفن وموت ألقا
الثور فيه وإضاءة اللوحة على اللواء.

على أن الرافعي عناوره الأكبر وتشيده للمعاني والصور في النثر، وطبيعة أسماح بالشعر،
وكان الإغراب في نثره حين يروه شاعرا يفتله من بين يديه ويرجع به إلى مذاهب
الذرّبين أو أصحاب البديع أو ما هو من مألوف طريق النظم مثلها.

─── أفق هيل خفف من شراع تحت الضلوع اسمهم الفؤاد

هذا لو وقع في نثر في صناعة المزاجة وتقييدها لكان إغرابا. و مما جاء في الكلمة التي
منها هذا البيت والبشير في قال يعود على الأفق:

فقال وجه نرى خياله
في قابلـك الحامـل الضرر
ارجع فلم أن ذه الغـزالـة
تفجّرـ وأن من معاني الغزالة الشمس أيضا. وقاله "لا تفجّر" ذو روح عصري علمي أو علماني
والكلام قال "لاكد" لكان ذلك قرأنا أشبه به، وأحسبه لم يرد إلا المعنى العصري
والله تعالى أعلم. قال الهمه زهير (مث ۵۶۵ه).

فضع الغـزالـة والغـزالـة فتلك في
وسط السيا وذاك في وسط الفنـلا
عجبا لقلب ما خلا من لوعة
وـرسوم جسم كاد يرقصه الجوى
لم تداركه الدمع لأشعلا

أحسب أنه لو عاش الهمه زهير في بعض هذا العصر لعد من الرومسيين بنحو قوله:

لإلى بـأعـى إلـى بـأعـى
غاب عن طيف وـقـد كـنـت أرـى مثل طـرف
رحـيي وحـيي ألف ألف

وما ألق محمر حسن إسلام على الاستعانة به شعر أبي تمام، وأمثلة أخرى منه كثيرة.

ليست هذه موضع إختار منها وكتفني أن نشير مثله إلى قوله:
وتشي الهوى بأهداها السواد
فكادت تضيء من كهرباته
وهبـت كـوخي ووهـى سـحره
وعـبـه المـزاهى ونـواره

پ٥٧١
وجبت للقصر أن يانى بَــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ&n
المعبط الذي هو الحبيب أو ما يمت إليه بسبي، والتغفر والسسلام من:

١٠٠

فوقه "تروح روحي إلخ" و "تذكي بخور القلب" كلمات هادئ البصائر مفقة من قول حبيب:

أنبئت من قلبي إلى أكب مشرعًا، ظلت تحوم عليه طير روحي.

القلب هذا مشعر، مورد، ماء، وعند محمود حسن إسياحيل بخور، وعند الرافعي شراة، وتحويم وتروج وتذكي بمعانى المقلوب، كل ذلك قريب من قريب.

هذا والحسانة بلا رحمة فيها وفاسها الكثيب

ياها الفارس في المدرع ماء تأل لفذا في شحوب تسـير

من بعد ما جف نبات الغدير وازن بين هذا من معنى أبيات "الحسانة بلا رحمة لكستن" وبين قول محمود حسن إسياحيل:

هجرت كونها وهم سحر
وجئت للقصر أنايدي بهـ
يقص قـد طال وقوـفي ألا
أجـب تكـلم إن سحـور الموى

هنا أعاد بين فارس كاستن الكثيب ووقفة جازع أي فكم عند الربع الذي هو

مؤر الزمان الفاعـج
ول محمود حسن إسياحيل كلمة عنها "أحزان الغروب" هل هذه ترجمة من شعر

Baudelaire, puscule du soir ـ Harmonie du Soir ـ Les Fleurs du Mal

الـشر

Le ciel est triste et beau comme un grand resposoir

السياح حزينة وجيلة مثل صلوات موكب كندسي كبير وأول كلمة محمود حسن إسياحيل:

ممات النهار وذل الناشفات جازعة عليه تخطـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~

٥٧٣
والعازرون به المتحدثون عنه في مجالهم كثيرون. وما فيه ظلال فارس حساماً كيس.

"La Belle Dame Sans Merci"

أي ما أياً وما أمرها

والأيقتاد المحرمون لا ينزل

ويسأل أي صدى من دروس التحمر:

وأي كا وأعربت ما لم تضف

وقد أدلها وصلها ضمير انخفاذ

وعارض في موصوليها أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب في أفلوا.

وفي "كنز الذهب الأبيض، زهرة القطن" (ص 24 من أغاني الكوخ الطغية

الثانية 1967):

وبدأت صفراً تحتي غادة

فدخلت نضرها يزوج اللوادع

هذا الشبيح غير جيد لأن نوارة القطان "فاقع" لونها تمر الناظرين، وقد رجع هو

نفسه من بعد إلى هذا المعنى:

تتخفف النسمة في أهدائها خفقة العاشق في ليل الزلام

فسر بالسفر، أحبس بنظر إلى كلمة ابن زريق "إذا الزماع أراه في الرجل غنى"

والزماع يفتح الزاي وكرها هو العزم فظن أنه السفر وما ظن أن يعزم على

السفر:

ففردها في الشاحبة رائحة زهور الضياء"، ارتحاو والتاج

فهذا رجوعه إلى "فاقع لونها" لا ذائبة نضرها. ورغم أن تسير بعد إلى خفقة

النسمة، فهل أخذها من إبراهيم ناجي "خفقة المصباح إذ ينبض زيته"، وهي ما عسی

أن يحسب من حسان كليلات ومور في باب الرمل في جزئا الأول.

ولمحمد حسن إسبايل مثل التجاني يوسف بشير ولف بصفة الريف والجار

والساوقي. وعندى أنه، حاكي التجاني، إذ التجاني نشر عدداً من قصائده في مجلة

النجم، وكانت غير مجهولة المكان ببصرة. وقد دار نقاش لم يخل من حدة بين رئيس

تحرير الفجر عرفات محمد عبدالله والأمير عمر طوسون رحمها الله، كان من أسبابه أن

الأمير لم يرض بعض ما جاء في الفجر من الحديث عن تقرير المصابر وما يشهر بروح

الانفصال عن مصر وإننا نشر ديوان حسن إسبايل عام 1935 قريبا من زمان

انتهاء الفجر وموت عمرو محمد عبدالله وفجرة التي ماتت بعيد موعته.

وبلغني ولا أشكي في صحته لتوتره أن التجاني رجم الله كأن قد بعث نسخة من

ديوانه خليفة إلى أحد الأدباء الشعراء بمصر لينتهز نثره والإشراف على ذلك من أمره،

فبدكرا أن الديوان كان يقرأ ولا يجد سبيلًا إلى نشره حتى استردت نسخته بعد عناه

- 574 -
طول. ورب شيء كهذا، كا يقول سيبويه. وذكرنا أن أبا عمر الجرمي لما خشي هو وأخرون معه أن يدعى سعيد بن مسعدة كتاب سيبويه حمله حما على إظهاره للناس. ولعل هذا الخبر باطل لما نصر عليه ابن جني في الخصائص أن صدق أبا المسند يكاد يعلم بالضرورة.

وكاد هنا تتفنى "بالضرورة" لا الصدف نفسه وأبو المسند هو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. وساف هذا الخبر لناسته ما قبله. وقيل إن الأديب الشاعر الذي بعث إليه التجاني ديوانه هو الدكتور إبراهيم ناجي، رحمه الله.

هذا، وقوة الشبه في موضوعات الأرضية بين التجاني وعمون حسن إساعيل أحسبه من تلفيقية عمون حسن إساعيل، أعنى مذهب الأخذاء المتصقل بين المنهب التلفيقي من أصله، أي الأكانتكسي (الإكستريك). يأخذ ويفتي بزيادة صناعة فيبا إيه إيه ولهذا كان له أن يعثر إلى السرقة من إله التوليدي الذي مدد به البرقوقي رحمه الله في صناعة أبي الطيب. وكان عمون حسن إساعيل نحلة تحتاج كل زهرة ثم تعمل لتزيد عفاً عما أخذته وهو ماء نوار ورين ضروب أزهار تصب تصب بها عملا كثيفا وشماً. غير أنه رحمه الله يشارك النحلة في العمل وحده وكدته والإ FileInputStream السنيورة بروهم به، ولا يشاركها فيها تصيبه من الزايطة على ما أخذته إلا جهد العمل المفرط نفسه، وذلك لعمره هو وعنه (1). وكأنه من ذكره النحلة مرارة في شعره صراحا كا في قوله:

وقل: مع النحلة في رحوة منغمات الصوت من غير عود

وقوله:

يهل الفصالة من كونها ريقة النحلة وسلمت الدماء

خفف ميم الدماء والوجه تشيدها بوزن الرمان أي ما يسيل من اللذة.

وقوله: بين تزيل السوادي وقيله: لقدن النحلة في قفرة

وقوله: لها طين النحلة في شمكة

أو مصت الأفام من زهور الهامه، أو مصت الأنواء

(1) وجدت بعد الفراق من كتاب كله د. أس س. د. بانود بذلهم للوجه مقارب ما ذهب إليه في كتابه "شعر عمون حسن

استعلم مصر 1984 ص 294 - إذ يبنى عنه الإجابة، فتأمل. 0765
الألوان هنا كنحلة تمس من زهر ألواف، وكمتلة
أو تكن وردًا في تمس من زهر ألواف، وكمتلتة
جعل نفسه كنحلة وفي البيت قبلا كفراشة وهو قوله:
إنه تكسن نارا فأشربه في خلودي في سماةك
وقوله:
وطفعة بالززهر تنشق عطره وتحيله في الطرس همس ذباب
لا يعني به ذباب البيوت ولكن ذباب عشة المرنم، والطوفة بالززهر عمل النحلة... كأنه رمز بالنحل لنفسه، وهذا البيت الذي مر طفعة بالززهر إلخ مما يشهد ذلك.
أما قولنا إنه لم يشارك هذا الزهر الذي رمز به لنفسه إلا في العبادة، فذلك أنه قل شيء
ذكره التنبؤي إلا أنغمه هو تفصيلاً. وقد أفرد قصائد زهرة القطن، كنز الذهب
الأبيض [ص 21 من أغاني الكوخ طبعة 1935].

حين ذاب الظل في كاساتها
كانت فبناية الضحى وابتسمت
والساقية (ص 5) وسياها الفيتيار الحبيبة
لأتيجر على كف الشعاع
ألقى عقود الظل في جيده
رق له وأورز عين عقوده
والسنين (ص 49 سبعة تغنية):
من لبه في الأرض ملك
مثل ملكي في الكتيب
من شبه النيل الخصيب
ومصرودي النيل وزادي
وحل على باليكتيب ساكنيه من الناس، إذ السين تصلحه الأرض الخصبة والكتيب
فملي:
كلل الفجع جيني
بالنادي الغض الرطب
والأضواء البر أفقى
فطر البر بالله التبر، ولا كان وصف الأصيل بالبر شيئاً فيه غموض:

- 576 -
وشعاع الشمس حيًا في شروق أو غروب
وصحلاً في الغيب
سجداً شوق كثيفًا

وإذن فالكثير للسنبلة، فينبغي أن تكون سنبلة دخن لا قمع ولا ذرة. ولماذا خص الرهبان بالدير؟ أم أن أهل تشبه السنبلة بفتيات كفتاة النابذة الواقفة أصيلانا عند ربع

ใต والقول والطهان في رايتها، حيث قال:

وطاف حملك ركب
وراح ينفق امين
وقاد في العيش دياض
فأج بالي الأك عش

وإذا جاء التجاني بالدلاء لأنه ذكر النواعير. عدل إليها عن السواقي من أجل جرس الراء كما قدما، وأيضا لأن ابن المتز جعل رهبان دير «المطرة ذات الظل والشجر» تعارين بالسحر، والسواقي نغرات بالمصر، ينهض إليها الزروع قبل آذان الفجر:

ر في فجر الربي الساجي
شيئتي رئيزة العصفور
وهي ربي التجاني:

يا دارة حفها النبى
صحا الدجى وتغشى
وصاح بين الربي الغم
ثم يقول محمود حسن إسحاب:

وأد Bibh من شاد
فلمت مع المزمامة
شينت الحقل والشمسة
ولا أرى للراح حسن موضع هنا.

والضاد (١٨٨):

٥٧٧
ماليدا في الليل صمت غمرت
ضفاف غارقات في الكرى
وجدت تصرخ في جوف الدجى
النحو لا يكون مع الدجى، ولكن أراد معي الصيورة
ينا ابنة الطين قد مل الدجى
ابنة الطين مأخوذة من "ابنة النور" التي للشامى على الأرجح
وقت قُل أزعج ضوَّلها النهار من بُنات اليوم صاحب في الوكون
واليوم قصيدة [ص 184]:

وشريكة عابسة في الضحى
النور ضحلاك على وجهها
لكنها وعيّناء في حاليك
وللفراشة وسياها راهية الضحى (ص 212)

وبراهبة في الضحى أوقت
إذا فتح منها العين الندى
وقد ذكر في قصيدة الضفادات العشب والفتى والبطيخ وعباد الشمس وذكر الناعورة
وفرها وسواء سائقة في "فهم الريح":

وكمن ناعورة ناحيت
على مستمع فهنا
له يوما أغانيها
وسعية الشاة تهلب وتسبح (ص 143). وقد بعثر النور وذوبه مراها ولم ينس من النيل
دومه وسديره وزواره ونخيله ولم ينس من الرومنسيه زورقها ونملها - يقر في خصلة
شعر حسناء (148/148/148):

يا غـدـرـيـا ذهبيا
صنبر سلساله للصـرـر
قـرـد تبادي فيك مني
وأيدي الملاح شـجـوا
رق عن نفح الأصـائل
صب غيداء الامل
نور البـنـجـيـنـة
نسمت أنـبنـه
مهما فوق موجه
غـنـوي الحري لكـم طـا
ضل الخلد فجاءة
كليا يممت شطعا
غامت الأجنحة في عيني ضمانتي أميني
ولعله أن يقال إنهذب النار وسكب ونهدهته وذكر الطير والأمان والطبيق بالأدرية
قله وتصيل كل ذلك مادة مشعة للشعراء رومنسيين وغير رومنسيين، وليس بعض الرومانسيين، إن خصصنا الرومانية بهذه المعانى لأول أن تسب إليهم دون بعض محمود
حسن إسأعيل إذ أن يغرف من بحر الرومانية العربية الجذيرة الواسع، ويبقى إن بك كنضلة من زهرها الكبير البائع، وما شاهده فيه التجاني يوسف بشر - على تقدير سبق التجاقي له كا يُمزُم من يدح ذلك مثلًا: نزعمه - فهو من توارد الخواطر على المعاني المشتركة المشاعة.
ليس غريبا أن يفحي هذه الشعراء المعاصرين توارد الخواطر في نظمهما على ذكر
سنبل النيل وفوله وسدره وسواقه. هذه حجة بيئة قاطعة.
ولكن ما رأي الفاروق الكريم أصلحتنا الله جبل جلاله وإياه في قول محمود حسن
إسأعيل في قصة القرية المحطبة في ظل القمر (ص 160)
لفها الليل فاستراحت من الأنين على حضنها الرقيق الهني
ووسطها الأضواء من ملحها الفضي في وساد الطبيعة العمقري
كان ينبغي هنا نصب العبقر لإنها نعت (وساد وهذه منصوبة ولا تصبح نعتا للطبيعة
لا إن مؤمنة - وهل نجعل هذا من باب الابتعاد؟ اللحن عند أظهر
 أمرت في تركاب القمر موريز
هي وفيض من ثغرة العسجدي من طلا جامه الوضيء السني
هُماسات بكل معنى خفني
غض بادي على مهند رضي
فنش فراشا لضمام شقي
في حي كوكبه القناع الابد ساحة الركاب الغني
مت على شت جساد دول ريفي
س كطيف في خاطر الصوفي
ن أصاخوا في معبد قدمي (1)

(1) صناعة بسهى وسعى يسراً أي مال

٥٧٩
كفّ نظره إلى شرف نوره، (2) وهكذا في الديوان
وسيقي الوزن إن قلت "صبا نحو نوره" ولهه كذلك في أصله والله أعلم.

معجود حسن اسباعل كثير الأخذ من شوقي، وقد كان شوقي رحمة الله كثير الأذن كثير التوليد، وكم غريبه من كثير الأخذ والسرق قليل التوليد. وما يستورد إليه في هذا الباب أن له قصيدة اسمها "العذراء الشهيدة" [ص 180] في غريمة مغزولة الساعدان ساحبة ب الفتاه المفتوحة على أكتان الموت صاغها على وزن "هلًا هلًا " [بجوب ليل لأحد شوقي الفصل الثاني، أنوادي الحادي]:

هُنّئت بـالموت وتلقت بالجَلَاي
أناشِدُ اللَّجْلِجةُ فِي صُرُحَتِها تَغْظُـقَ ـُـُـُـُـُـُُُُ
ـَنِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِ~
ساحبات على الكنهور أصبيا
ناسميات شفافات الأفق الزا
ذاب في الأفق رافقا فوق هام ال
يغسل النوم من مضاجع رعبة
عجب للجبل والحسن ماجا
يتسجان الهوى من الفجر بردًا
صاحب من روحه وكبر في أعـ
أهـذا الجبال يا رب هذا السـ
هنا ذروة من ذروة التأمل الفكري- لله في المعير إذ يقول
والذي حاتت البرية فيه حيوان مستحدث من جاد
قصيدة التجاني أصفى دبابة من قصيدة محمود حسن أسياج وأجد تشبيها
واستعار وأكثر معان. والقصيدتان من نفس البحر والروزي، قصيدة محمود أسياج
في الليل المافب على القرية وقصيدة التجاني يرسف بشير في قرية تستيقظ من غرو الـ
الضارة حولها الصحراء بجانـه رأى جبل أم علي وسطادي؟ لا بـل هذه البقعة
المباركة نفسها- أم درمان، يبدأ ذلك على ذلك قوله: "رعيان الصخاري ومضرب الـ
وكلذك كانت أم درمان لا بـظل كذلك قدر منها كبير. وذكره المؤذن حيث جعل
الحسن والجبل يتلاضان في لــن شاعر علوي (أو علوي) هو المؤذن صاحب من روحه
وكبر إله ود عجب أن محمود حسن أسياج قصيدة في أغاني الكوخ اسـمها شاعر
الفجر المؤذن وقدم لها بقوله (ص 121): "في ذلك الصوت العميق الذي يهتف في
ضمت المسحور من القباب والمذان تتدفق روحية الشرق، وبيزة الجو باضحة وطيف
شعرية هفافة" لا يعجبي قوله: "روحية الشرق" في معرض الحديث عن الأذان، ولـ
وقال: "روحية الإسلام أو الدين الخير" لكان أوجه يذكر الشرق كأنه ينظر إلى الأمر من
عين صلبيبة مستشرفة تضع الإسلام والبردية والمندككة معا في رفـر اسمه الشرق وعند
الإسلام أن هؤلاء مع أهل الصليبية كلهم شرك - فــ يقول محمود حسن أسياج:
وشاعر في الفجر يسبى النهى
ومصرح من سـدرة النهى
هذا كأنه ترجمة وشرح لقول التجاني "علوي لــشاعر علوي" ومع هذا فالتجاني
استيعبا لوصف الأذان: (ما جا في إطارين فاتر وقوي) أي نحو صباح المؤذن حي

٥٨١٥
على الصلاة في المرة الأولى بنغ واحده وفي المرة الثانية بنغ خلاف بعضهم بطيه ويعوج وبعضهم يقصرو ويتروح حتى على الصلاة... كي يعلم الفاروق أصلمه الله من آداء الموذن على تركمهم أيها إخوة من وجهة أداء الأذان اتخذهم أبغا في تحكيك التزمن وترجعهم أم غير حكاك في ذلك ولا مبالغ. قول التجاني ساحبات على الكهنور: أي على السحاب الذي في الأفق وهي في راية أبي الطيب (باد هواك صبرت أم لم تصيرا) حيث قال:

الشم نشاف والسحاب كهنورا

وقد سبقنا التنبية على جرى التجاني في هذا على مذهب له في الإشارة، مع أن كلمة التجاني البائصة هذه في الفنجر تراه قد استهلها بيض ضوء القمر، وهذا المعنى واللفظ أيضا كلاهما في قول محمود حسن إسيايل:

لمعات من وجنحة القمر الزا... هي ومن فيض ثغره العسجدي

وكلمة فيض هنها نامه. ومكان «واعمر القلب» عنه آي محمود حسن إسيايل «غرفت في جلاله الروح». وكان قول التجاني «جم الندى» تنتهت منه «من طلا جامه» و«الموضي السني» كأنها ترجمة وتفسير ومحاكاة «جم الندى غجر» وقلو التجاني «يثب الحلم» يقابل عند محمود حسن إسيايل «هله الحلم إلخ» وجاءت كلمة «الرؤى» في هذا البيت وهي في بيت التجاني الذي يليه. كل ظلل الرؤى بها شوارع إلخ: «ولفها الليل» التي في أول كلام محمود حسن إسيايل هي في قول التجاني «بتلفتني في جوانح بضاء» وللفاري. بعد هذا أن يتنع الأيات ويراجع بين ألفاظها ومعانيها فإنه واجد من شدة الشابه عجب. فلا بد من القول بأن أحد الشاعرين أغار على الآخر. ولقد مات التجاني وهو ابن خمس وعشرين ودهائه الذي خله بديه يقرأ عند من أوسع عندها في مدينة القاهرة وبعض شعر التجاني قد كان صدر في الفنجر شيء

منه قبل صدور الطبعة الأولى من أغاني الكوخ، فالأمر يحتاج إلى تدبر ونظر – والله تعالى أعلم. لا يخفى أن كلام التجاني أصل من عنده نفسه ليس بتلفقي. ومع ما يظهر من زيادة محمود حسن إسيايل على التجاني في التفصيل نزمع أن التأمل ربما وجد أن التجاني أكثر استعاباً للنظرة. الصبي تمهذ الحلولو دواته وأدواته غسل النوم ودغدغة العينين أول الاستيقاظ عند الصباح. ثم أخذ الصور البيانية من حياة القرية المسلمة – الدكر مأخوذ من كلام ابن المعتز. وإنها وقنا هذه الوقعة عندما نرى ترجيحه من تلفيقية محمود حسن إسيايل وعمده معاني التجاني وتفصيلها له أن محمود حسن إسيايل، قد أُوشك أن يكون مكانته في

- ٥٨٢ –
الشعر المعاصر معمورا مجهولا بين الكثرة الكائنة من الأسياح هذا مع أنه رحه الله من عصر غير بعيد من زمن أنجحه أبي، ومن أدباء مصر وشعرائها ومصر بلا ريب هي مركز العربة، علومها وأدابها من شعر ونشر. ولعل من أسباب هذا الذي ضرب على اسمه من الخمول أنه قد أغبر على شعره، إفادة أكبر وأشد مما أغبره هو – إن كان حقا قد أغبره – على شعر النبوي. وإذن فعلى النقد أن يتبنا بالأدبيه هذا الشاعر الكافح وألفاظه المنقولة بالاستعارات والأخيلة البعيدة التصص والتفاصيل الدقيقة في نعت الريف وغيره من أحواض الحياة في بيئة الخفيفية والمنحوية وما أشد أنه رحه الله لو كان أنص دقابة وأقل عمل كان بيد من الالتزام به قريبا مما وجد غيره كعلى محمود طه وأبي شايد مثال. أرى محمود حسن إنسايع جره الله، في أحسب، من جهة شعره هناك النفير الجميل الذي بين جنب نفسه ذات الشعر والخط من العربية، فضمن ذلك من ضروب التلفيق مازاد فتره الضائع ضيافة. وهذا بعد لا ينقص من أهميته في باب الدليس الذي نحن بصدده، وقد سبقت الإشارة إلى رأي الجاحظ أن السرقة للشعراء دين، وزمزم الأصمعي أن سعة أعشار الفرديت سرقة، وقال المزبري:

إذ هذا تحمل منه شديد، فإن بعث بالله من خطل القول ومن فوات زيات الفن، ويشجع التعبير عليه في نطاق ما كنا فيه من الحديث عن النبائي أنه واضح صدق الانفعال وحارة الوجدان إذا وصف الريف والقرية، فإذا أخذ في وصف الخطر من نفسها على ما كان يفته من هرج فيها خالط حرارته فإنها، بالرغم من تخبره للغة الحلو، وتجويده للنغم:

مدينة كالزهراء الموفقة ضفافها السحرية المرقحة تحسبها أغنية مطرقة
تهمها إلى أعلاها مطلقة
وهما الخريمية الشرقية

البيت الثاني وحده هو الذي فيه نبأ من روح، وذلك لأنه جرد البيل وضفى منه المدينة الأجنبية التي دونها، البيل وحضره ذلك من صميم طبعة الريف الذي نشأ فيه وما أمال جمال فجره فله

فهو دفق من عالم كله كلب-

تخفق ولوعة شفافة
لوعة الروح هنها واحتراقه-

- ۵٨٣ -
كلمة حمود حسن إسحاق التي ذكرنا أن لها لونا بودليريا (نسبة للشاعر الفرنسي Baudelaire) الغامض بودلير 1821 – 1867 م (ص 52) ما كاد ترك فيها من الريف شبانة، النور والساقية والليل تحكي سفاهته في الليل سائرة عرائس الحلم في مهد الرماثيب القافية فلدة وأحسب أن بعض سبب ذلك كونها صفة لم تعتمد على موصوف قبلها.
والشفاق الباكى ودخان الكوك وكدح الفلاح.
طعامه لفقة عفراء بابسة وملاء من أكدر في النزمرىبو offense ومهما(login) لسی إل لفقة وسین

ثم ضجة الضفدع وإنشاد الرعاة والحداء، والبومة في وحشتة الليل والجدب الذي يصر في الخخاريب (أي شقوق البيت كا فسرا ولذلك وجه وأصل معي التخاريب فتحات شمع الشهدة وفي القاموس النخاريب بوزن فطول بضم أوله الشق في الحجر، فشبه الشعر شقوق الجدار بذلك)...

ثم النوم ذو الأحلام – الصحو إلى الشفاة – صوت الساقة

حاري تدفق من نآي الدواليب يشدو بها العمر في فف وتكريب ورحت نواحة بين المطارةيب وملم الضواء في تلك المخاريب متونه بدلية كلام غريب بينمها، تستقر على أبهث الساقية...

بطالمة في المساطرات مولفة كأنها خفقة من قلب معتصر، وماذا شجاعة، فريلنت الأمي نغا النور حين ذرى في الحق ناضره ونام في حزن رنجة قد أشحت حمود حسن إسحاق وجهد معتمل. ولكن قلها بنيته للملاءة الشبيبة حقيقة لوضوء الوصف أو المعنى المنتصف، كجعله صفرة نوار القطن ذيلا، وكوصفه جناعة البنت برائفة وجائر الغرق يضرب بها الليل في ساحة المطر، وكتشب صوت الساقة بغرفة المحضر وسكائه ولو قد لزم التشبيه بالنادى لكان ذلك أصروب وأدق من الفشارة، وتهد صوت الساقة تهبه، أشبه بالنادي في الشجو وجمال الإيقاع منه بالساقية والغرورة وما فيه من قوة الخيوت يصل إلى أعمق الفصول. وكجعله الليل الذي هو في البديع رنجة أو زنجية ضجيجا للنور مثل زنجية الف ليلة وليلة الضخم المضوارة ومشوقته البيضاء التي خانت أمها وحولت نصفه الأمل حجره سحرا. أم كل هذا نفس بودليرى كتشبيه تساقط أوراق الخريف بإعداد ألواح صدوق جنزة.
الإعدام؟ هذه الكلمة البائية المجارية في الوزن والقافية «من الجآذر في زي الأعاريب» على تسعف أسلوهها مادة لكثر ما نقرأ اليوم من إنتاج الشعراء من أجل ذلك ما لزم التنبه على مكان هذا الشاعر الرومسي التلفيقي الكدوش المفقود.

كثر من الشعراء الذين أخذوا من بعد هذه الأضرب التي ذكرنا بسبيل مزيد من التجديد إنهم في الحقيقة إلا فرع منها. مثلا البيتاني إن هو في كثير من الأحيان والبيان إلا اعتداد للرومسيات الثالثة داخله أخذ من الرومسيات الثانية المسيحية مثل:

الصحف الصفراء
	توزع الألغاب
	تلمد أبدي القاتلين
	تمسح الأثواب
	تمتنع أشباه الرجال العور والأذناب
	صكوك غفران بلا حساب ... إلخ

وما لنا نحن المسلمين ولصكوك غفران بلا حساب

ومثلا:

الشمس والفارس فوق المدخنة

ينازل المنصوص والمتشوين

بالحرف المزمنة

يدير صيف الأزمة

بئار للحقيقة المتهنة

يحمل في ضلوسه صليب ووطنه.

وما صلة الحروف المزمنة والوطن المسلم بحمل الصليب؟

وأي شيء تكون دلالته «يحمل صليب» عند قاريء مسلم لم ينتصر فكره بعد؟

وهل وصل التعبير المجازي عند أهل مله أنه يحمل الصليب على الضلوع أو على الظهر والكتف؟

مثلا قصيدة انتظار من الأباريق المهمشة.

صل لأجل-

وهى إنجليزية والعربية تقول ادع لي وصل على، إلا أنك لو قلت «صل على» جعلت نفسك جنزة تنتظر التكبيرات الأربع، لعل هذا هو

_ 585 _
الذي جعل الشاعر يفر إلى
صلى لأجل
عبير أسوار
وطني الحزين الجائع العماري
ولك أن تكتب هذا البيت كي ينغي أن يكتب، هكذا:
صلى لأجل عبر أسوار
وعلى رصيف المرفأ انتظار قلبي مياءه البحار تملأه
وعبير أسوار آذار
يتلمسون طريق عودتهم وكلبنا الضمار
يعمو وعينا شيخ حارتنا وشجرة السما خين يسرقهما
وكبرات الصبح هامة والموت والضمار
وطني الحزين الجائع العماري وأننا وأطراف وحدي بلا حب وذكار...

وزن هذه الرمزية من الكامل الأخذ المضمار وجزء منه جي به بنوع من دعوى التنموي التجاري. تتفق كأنه ملامح تتفق ما بين النصرانية والأرثوذكسية والإسلام في مصلوبان على لظى النار ومن قبل ما مرت بنا "صلى لأجل" وقوله "وسكوك غفران بلا حساب" - بلا حساب - فيها نفس إسلامي.
وإنها هذه الرمزية رومسية محظ ينظر إلى مذهب حمد حسن إسابيل إن لا إليه مباشرة، نظرا شديدا.

يبدأ شاعر السياح رومسين تشيد لرومنسيته أنشودة المطر:
عيناك غابنا نخيل ساعة السحر
أوشرفتان راح يتأي عنها القمر
عيناك حين تبسان تورق الكروم

- ٥٨٦ -
وترقص الأضواء كالآفقار في نهر
يرجه المجذاف وهنا ساعة السحر
كأنها تنض في غورها التجوم
يوشك الشاعر أن يكون قد أخلى من عند قوه بيرجه المجذاف، وفي الكلمة طويل
والأصيل رومنسي والاقتان في الوزن فرع من التوسيعات التي دعت إليها أبوه.
ومحمد مفتاح القيروى شاعر رومنسي عربي، أقرب إلى الضرب الرابع وداخله ما داخل
أصناف التجديد المعاصر من الروح المسيحي أحيانا. وقد أشرب شعره قضية اضطهاد
الزنج الذي في أمريكا وجنوب إفريقيا وغيرها وهذا من صميم روح الرومانية:
كإفريقيا في ظل العصور
عموج ملمعة بالبحور
وحفرة نار عظيمة
لعل القيروى أخذ هذا من صفة الدخان التي مر وصفها في شعر محمد المهدى مجدوب
وجاء بعده يا يشعر بأن هذا ليس مراده... ولكن السحر:
ونتقر بومة
وقرن ببهمة
وعز أو دمنة من صلاة قديمة
وليل كثير المرايا
ورقصة سود عرانيا
ينغري في فرح أسود
ومينهية من خطايا
الفقري متملك لنصاشية النغم جيد عبارات البيان سليم متن اللغة، ولكن أكثر هذا
من تجربة الأفلام
وسفن معبأة بالجوار
وبالسك والعلاج والزعنفران
هدايا بلا مهراجان
المسك هنا مسك التمساح لا الذي هو "بعض دم الغزال" بدء ذكر
العاج، و"الزعنفران" مع حسن اساسيه مع ما تقدم قافية جليلة لأن تجار الرقيق الذين
كانوا يبني القرن الماضي كانوا يجلبون السك والعلاج وقرن المزبشت مع الوق.
كبد شاكر السياح والبياتي وآخرين ركب القيروى في مركبة تجديد التفعيلة وخلط

- ٠٨٧ -
رومنسيته بألوان من أقوال الواقعية وغضب البسار السياسي، وللفيتوريو إيقاع مطبع وحذق. في تنوع التفاعلات ولكن عمود الوزن المعروف الملوث مركز له يرفع عنه ويدور حوله وربما له وأظهر توزيعا للبيت على أسطرا على نحو نجد مثله عند الباتي وعند
نزار قباني لغلا
كان ليل وكان صبح
وكانت قصة أدبية مختومة
قصة تعيرتها...
فلقد مثلت أدوارها معي با أثيمة
ومضينا أنا وأنت
فقدنا فصول الرواية المرسومة إلخ
فهذا بحر الخريف، وزع الشاعر بيطه على مواقف اختارها جعل لكل موقف منها
سترا، وينبغي أن يتميز في كتابة الشعر ما فين على بنان إيقاعه، على النحو الملوث:
كان ليل وكان صبح وكانت
قصة أدبية مختومة
قصة تعيرتها فلقد مثلت أدوارها معي با أثيمة
ومضينا أنا وأنت فقدنا...
فصول الرواية المرسومة
ومضينا كل إلى حيث ينى
وأقرأ الألفى (ديران، المجلد الأول 92) فهي من بحر المجتهد والشك (101) فهي من
السريع ولقاء (98) فهي من المتقارب والضعيف (127) من الرجز القصير وبعض
هؤلاء وزعت أبائه على أنصار كل منه ففي سطور وما بذلك كبير بأس
وردنيسة "نارك الملائكة" من ضروب الرومنسيات الشائعة، وقد يذكر أنها سابقة إلى
حرير الوزن من قيوم أعبرض الخليل وقوافيه، وأولى هذا النوع من التجديد في عصرنا
هذا يجب أن ترد إلى مسيرة فاتمي وقد مرت الإشارة إلى أصحاب الديوان ولي محمد
فريد أبي أحمد الله وكانت لدبيجته مسحة رونق في كتاب الباقلاني ما يدل على
أن ترك الفقيلة والفأتنا في خلافة مألوف الأرزان أمر قديم، شيء من هذا المعنى في
"الصاهل والشاحج" للمعري وأعاد أوزان المرشحات لا تكاد تحصى.
وفي نفس شعر نارك الملائكة تلفيق من الأشياء الخفيفة وأوصاف الطبيعة - شيء
من "كولورج" وشيء من "وردونث" وإضافات أخرى من حسناه كيتس ومن
إدغار آلر وبهل جرًا:
وعدوي المخفيف
مقتاه تمثل الخريف
فوق روح تردد الربيع
خريف العراق قد وصفه أبو عبادة حيث قال:
لاحت تباثير الخريف وأعرضت قطع الغمام وشرفت أن تهطل
فتو من شعب خيّران إن وراءه شهرًا يانعنا الرحيق السَّلاسل
خريف نازك أوري لأصلة له بخريف العراق. خريف من قراءة الرومنسيين:
"وراء الضباب الشفيف"
ذلك الأفوان الفظيع
ذلك الغول أي اعتناق
من ظلل يليده علي جبهتي الباردة
أين أنجو وأهداه الحاكمة
في طريقي تصب غدا ميتا لا يطاق
أين أمسي

من قبل هذا...

وعددي الخفيف العيد
صادم كجبال الجلاد
في الشبال البعيد
صادم كصمود النجوم
ويجب من بعد:
أسمع الصوت
سيري هذا طريق عميق
يتخطى حدود المكان
لن تعي فيه سوئًا لنغمسها الأفوان
إنه لا بريث سحقيق"

هذا من أساطير يونان من طريق الأدب الإنجليزي أو غيره ومن بعد:
"إنه جاء..." با لضباب رجاء المسر
في دجي الباست بضرير
واحس البولادرة
تضطرب البرد والرعب فوق هدوئي الفجر
باصابها الجامدة

- 589 -
إنه جاء... في المسير
سأعود حلمي القصير
وأعود بجثته الباردة،
القطعة طويلة بعنوان "الأفعوان" وهو كارمز(1):
فأين أمسي مللت الدروب
وسحبت المروج الورد واقع والمرج خيال رومنسي وفي القطعة تلفيق للأخيله والصور. وهذا البرد والضباب، كل ذلك أوري السنن. فيه بديلية: أقرأ مثلاً(2)

CHANT D'Automne

Bientot nous plongerons dans les froides tenebres,
Adieu, vive clarte de nos etes drop courts!
J'entends deja tomber avec des chocs funebres
Le bois rentissant sur le pave des cours.

Tout l'hiver va rentrer dans mon etre: colere,
Haine, frissons, horreur, labeur dur et force,
Et comme le soleil dans son enfer polaire,
Mon coeur me sera plus qu'un bloc rouge at glace.

J'ecoute en fremissant chaque buche qui tombe;
Le'echafaud quon batit na pas d'echo plus sourd.
Mon esprit est pareil a la tour qui succombe
Sous les coups du belier infatigable et lourd.
Il me semble, berce par ce choc monotone,
Qu'on cloue en grande hate un cercueil quelque part.
Pour qui? - C'etait hier l'ete voici l'automne!
Ce bruit mysterieux sonne comme un depart.

هذا الجزء الأول من "نشيد الخريف" ترجمته لو كان الشعر يترجم وإنها يقرب حين نرونه أن يعرب:
عبا قليل سنلقي بأنفسنا في الظلال الباردة

(1) انظر تضيّف
(2) أعجاز الشعر

Le Serpent Qui Danse
Les Fleurs du Mai

1972 ص 193

090 -
وداعاً أيا الإشراق الحي من صيفنا الشديد القصر
هانئاً أسمع السقوط ذا الصوت الجنائزي
من ألواح الخشب المرتبة على بلاط الحوض

الشتاء كل الشتاء سيدخل في كينوتي، المراة
البغضاء، الرجفة، الرعب، المشقة والإكراه
و مثل الشمس في جحيمها القطبي
سيكون قلبي ما هو إلا كتلة حمراء من جليد

أسمع كل خشبة إذ تسقط بارتعاد
الأعواد التي تنصب للإعدام ليس صداها بأصم من ذلك
روحي مثل صومعة تنهار
تحت دقات دكاكنة ثقيلة دائمة بلا لغوب

كأنما أنا على مهد يهددني هذا الدوي الرئي
ومسار يدق على عجل في صندوق جنابة يمضى ما
من أجل من؟ الصيف كان أسى - جاء الشتاء.

هذا الدوي الغامض مؤذن بفرقة.
هذا الجزء الأول من قصيدة غرامية الموضوع بدلبرية السجاقة - رحم الله أبا تمام حيث
قال:

سجاقة غنيت منها العيون بها
عن كل حسن بدأ أو منظر عجب
كأنما قد نظر بعين الكشف والغيب وضرب من أجزاء النيّة الحدديّة إلى هذا الإغباء
ثم يقول بودليئ في الجزء الثاني من القصيدة

J'aime de vos longs yeux le lumiere verdatre
Douce beaute, mais tout aujourd'hui m'est amer,
Etrien ni votre amour, ni le boudoir, ni l'atres,
Ne me vaut le soleil rayonnant sur la mer.
Et pourtant aimez... moi, tendre coeur! soyez mere,
Meme pour un ingrat, meme pour un mechant;

٥٩١
Amante ou soeur, soyez la douceur éphémère
D’un glorieux automne ou d’un soleil couchant

Courte tache! La tombe attend; elle est avide!
Ah! laissez-moi, mon front pose sur vos genoux,
Gouter, en regrettant l’été blanc et torride,
De l’arrière-saison le rayon jaune et doux!

حب من عينيك الطويلين الأهداب ضوءهما المخضر
أيا الجمال الخلو الذي صار اليوم قد أمر
لا حبك ولا الفراش ولا الصلاة، لا شيء من هؤلاء
يعادل تلك الشمس منك المشعة علي الدماء

على أية حال كوني بقلبك الرقيق كأم حتون
على هذا الولد العاق على هذا الخبيث الملعون

كوني لي خليلاة أو أختا مثل بقية الحلاوة الزائطة عيا قليل
من فصل الخريف الجيد أو شمس الأصيل

إيا المسى القصير الأمد القبر وهو نم ينتظرك منذ حين
أوه، دعني أضع عيني ركبتك هذا الجبين
ذوقى بعد الأسف على فوت الصيف ذي النصوع والحر
من الفصل الأخير شعاعه الخلو الأصغر
ما قدمه بودليو من معان قاتمة في الجزء الأول لم يعد فيها بساطة قول من شبه الفراق
بالموت - قال أبو الطيب

بقائى شاء هم ارتحلا
وحسن الصبر زماما لا الجبالا
وما أسرف فيه من ذكر صندوق الجائر والمسامير وسقوط ألاعا الخشب وأعواد
منصة الإعدام كل ذلك ظلام مشوه وكده لاغب.
ويسقح له بعد هذا الجزء الثاني على بعد التصيد في طريقة الربط.
وأحسب أن نزار قباني في قوله:
لا تسنألى أزيني هلال أجها
يوماً فيوماً في اخضراراهما

- 592 -
أُعتبر وَجَّهَ اللَّهُ خَلِيفَهَا
كُوْخَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ هِلْ سَنَة
الشَّمْسِ مَنْ نَزَّتْ رَحْلَتَ مَطْفَأَةٍ

نظرًا نَظارًا شَهِيدًا بَلْ أَخْذٍ وَسُرَقَ مِنْ هَذَا الجَزءِ الثانِي مِنْ نُشَيْرِ خَرْفِ بُودْلِر
قَلْنَا فِي أَخْرَيَاتِ الجَزءِ الثالثِ مِنْ الْمُرَشِّدِ بِمَعْرُوفِ الْبُحْرِ عِنْدَ هَذِهِ اٍلآيَاتِ إِن
فِيهَا أُصْلاٍ جَاهِلِيِّا يَمْكِنُ رَبِّ عِبْضِهَا اٍلَّي مَتَجِرْدَةٍ زِبَادٍ—ثُمَّ أَضْفَناً: [ص 1275 طِبْعَة
1980]

ثمَّ إنْ صُورَةِ العينِينِ وَبَضَعَةٍ حَيْةٍ وَالْإِيَاءِ المَبْعِثِ مِنْهَا قَوْىٰ قُوَىٰ فِي هَذِهِ
الخَيْضَةِ الشَّامِلَةِ ذَاتِ الْعَمَقِ اٍلَّي كَالْبَحْرِ، وَفِي هَذِهِ الْإِشْراقِ الْبَهْقَ الْدَافِعُ، كَالمَأْوَى
عِنْدَ الْبَحْرِ حِينِ تَمِنْ الْرِّيَاحِ، أَوْ كَالْرَّمَلِ عِنْدَ الْبَحْرِ، أَوْ كَالْبَحْرِ نَفْسِهِ حِينِ يَقْبَضُ
ضُوءُ الْشَّمْسِ، وَفِي هَذِهِ الْسَجَوَّ الْأَهْدَابِ، وَأَحْسَنَ أَنْ هَذَا الْبَرَضُوْحُ مِنْ ما
حَوْلِهِ وَما يَنْبُثُ مِنْهُ اٍلَّي إِيَامِ، مَزِيْجٌ مِنْ الاِشْتِهَا اٍلْلَوْعَةِ، يَغَفِرُ هَذِهِ اٍلآيَاتِ بَعْضُ
رُكَائِهَا أَوْ أُزْوَارُهَا. وَلَا رَيْبٌ أَنْ هَذَا الْبَرَضُوْحُ فِي رَجُعَةٍ إِلَى الْمَذْهَبِ الْجَاهِلِ كَأَنَّ
وَعْسَ هَذَا وَنَحْوَهُ مِنْ نُزُورِ وَغَيْرِ اٍلْمَعَاصرِينِ، أَنَّهُ يُنَادِي اٍلَّي نَهْضَةٍ، كَآَنَّ اٍعْمَرَ
بِالْصِّباِيَا اٍلثَّلَاثِ وَالْحَذْوِ عِلْيَهِنِ بِادَرَةٍ النَّهْضَةِ فِي الْقُرْنِ الْأَوْلِيُّ الْوَلَدَهُ عَلَمَ أَعْلَمُ وَبِهِ
الْتَوْفِيقُ. (1 هـ)

فيَضَافِ إِلَى هَذَا اٍلَّي مَعْنَى فَتَتَا العَينِينِ وَسَحْرِهَا قَدِيمٌ، قَالَ: غَيْلَانٌ
وَعْيَانِ قَالَ اللَّهُ كَوْنَا فَكَانَا، فَعَلَانُ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْحَمْرُ
وِتْسَمَّى العَينَ عِيْنَا فِي مَعْنَى المَاءِ الْعَمَقِ. وَقَالَواً فِي تَفْسِيرٍ: "قَلَّ أَرْبَعَاءٌ إِنْ أَصْحَبُ
مَأْوْكَمْ غَرَّا فَنِمْ يَثْقَلَمْ يَا بُعْيَنَ مِنْ أَحَدِ الْزَّادَقَةِ قَالَ تَأْنِئْ يَا بَعْيَنَ فَمَا قَالَ
أَصْلِحُ لَزَنَتْهُ أَعْمَى قَدْ ذَهِبَ مَا عَيْبَهُ."

مع هَذَا قَلِلَ نَجَدَ شَعْرَاءُ الْعَرَبِ الْقَدِيمَاءِ يِشْهَبُونَ العَينِ بِالْبَحْرِ أَوْ يَذِكْرُونَ عَمِقَهَا فِي
ذَلِكَ أَوْ سَبَاحَةٍ، كَانَ قَدْ أَكْتَفَى بِأَنْ هُذَا مَضْمُونٌ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ وَحَاجِرِ الْعِيْنِ كَأَنْ
يَقُولُونَ عِنْدَا الْمَاءِ وَحَاجِرَةُ الْبَحْرِ فَنِزْارٌ قَبَانٍ، فِي الْجَرِيحةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّي رَجَعَهُ إِلَيْهَا، إِنَّا
أَصَابْنَاهُ مِنْ طَرْقٍ يَطْهَرُهُ لِبُودْلِرِ. قَوْلُهُ "عِيْنَاكَ إِنْيْنَا لَهَا" فَتَعَمِّرُ صَحِيفَهُ لَا
طَائِلٍ وَرَأَاهُ وَهُوَ مَا أَرْبَعُهُ إِلَى مِنْ قَبْلِ مِنْ مَعْنَى الرَّكَائِكَةَ. وَقَوْلُهُ "بَوْمَا فِي وُمَا فِي
أَخْضَارَهَا" فَهَذَا قَولُ بُودْلِرِ: "أَحَبَّ مِنْ عَينِكِ الطَّوْلَيْنِ نُورُهَا اٍلْخَضْرٌ" عَنِ
الْطَّوْلَيْنِ طَوْلٍ أَهْدَايْهَا وَلَوْ قَلْنَا مِنْ "عِيْنِكِ السَّلِيمِينِ" كَانَ أَجُودُ فِي الْتَرْجُمَةِ لَبَكْنَ
هذا غريب والترجمة نسر وابن الأثير أجاز الغريب في الشعر لا الشعر. وقال "ومع أخباري صورية، يؤكد ما زعمنا من صحفية التعبير إذ الصحف صناعتها نقل الأخبار. وقال "ولستأتان إذا تحركت فأخذ من طول العينين أي طول أهابها الذي ذكر بودلير وإنها هي أمثال هذه العبارات التي تبين لنا الأذى وبموضعه. و "تحركت" ترميح لقوله "ولستأتان" ولكنه غير مناسب لصفة العينين والهند البلاغ يذكرنا المغاف تنا نشير له إلى قول عبيرة:
"إنه تغفيه دوته الكباع فإني طب بأحده ألفاره المستلم".
و ما ذكر عبيرة إغداف القناع إلا وهو مشربه ظلالا من إغداف العينين أهداهما. وقال:
"أمر القيس:
كما أرآة الصناعى يديرها مهجورة من الصفيف اللقب
في قوله "تخزات" نقل وأنفاس صحفية. وقال "أبرزت وجه الله، فيه نظر - عباءة البخاري حين يزاسب، وقال "خلفها" أيه، وكان وجه الله سبحةها وتعل، على معنى سلفي أو شعري أو صوفي حتى على مذهب من وحدة الوجود، أو على محض التوسع في التعبير والمجاز، لا يمكن أن يوصف فيخلف كذا أو كذا، وإن يعكس عينيه فينوس نفسها التي زعم لها كفارهم أنها ربة. لو قال فيها شعر ما في ذلك من نظر، ولكن القافية لم توات. وقال:
"كوخان عند البحر ه للسنة. إلا قضيت الصيف عند عددها".
فهذا بودلير من بودلير مأخوذ أخذا، بحرب وصيفه وقضاء الصيف عندنا. ألا يقول بودلير ما عني معاينة: "بعد الأسف على فوت الصيف ذي الدفء والتصحر؟" وقاله "كوخان" ليس بمليح. وهل ألقت به "كورت تاش" "Courte tache" بئرة نطقها المقاربة لـ "كون" ثم معاها ليس عن معنى الكوخ بعدين إذا الكوخ وجب قصير، كدح قصير، فسر المعجم "تاش" بأنها العمل المعين الذي يلزم أداها، وما أراد بودلير إلا أن هذه الحياة واجب قصير وفي هذا التعبير غرابة وبراءة إذ الواجب يراد قصر وإليتار طولها ولكن المعرى يقول:
"تتعب هذا المحيطة فأعطى - يجب إلا راغب في إزدياد". 594
ويقول أبو الطيب:

"وأذا الشيخ قُدِّمَ أُل فِي مَلْجَاء وَنَا الْعَطَّف مَعْلَ".

وقد أخذنا على الشاعر من قبل جعله المعين كدوخان وأراد كلا لا يخفى معنى الخصوصية ولكنها خصوصية من نوع سياحي قصير الأمد، عينا الجميلة ولو لحة أبد طويل وله در كذٌّ إقِّ يقول:

A thing of beauty is a joy for ever

الشيء الجميل سرور خالد أبداٌ هذا تقريب وتعريب لمعنى ما قاله ولكن شدة تقصى نزار لانتباع معاني بودليري ألجأ إلى جعل عيني جميلته شيئاً فراضاً عبريا عارباً يكون مع عطلى الصيف كبعض هذه الأكواخ التي تستأجر لتكون سرّة رحلة متعة محدودة الأمد. وقوله: "السمويس منذ رحلت مطافئة" مأخوذ من موضعين من كلمة بودليري، من موضوع ذكر الوداع في الجزء الأول في آخره ومن موضوع ذكر الشمس الألفية في الأربعة الثانية من الجزء الثاني في آخره، "الأرض غير الأرض" من سورة إبراهيم، من آخرها.

أزال نزار العبوس اللاغب البودليري وبدلته صحافة تتجمل بالبالغة، إنها منها لها مروء الانتباش "الأرض غير الأرض"، وانطفاء الشمس وتبديل الأرض غير الأرض، ذلك قائم الساعية واللزج الأكبر، ولا يناسب موضوع الفراق أو الوداع الذي للغرام، فرط البالغة في هذاباب ليس بلميح، وإنها تكون معه الرقة هي المعنى المليح، قال الباحث رجه الله:

دنت عند الوداع - لوشك بين ولا الإسعاف هما على الخيل مشابه وفيك بعينة الشكّول وصوب المزنة في راح شرمول

أين هذا الضر من الذكرى من ذلك الذي يقرن شاعر تساهم أوراق خريفه بخشبات تساهم ليسموها نجار صناديق جنائز الأعدام عذرين من نصفي بلحى على ألا يذري من عذول ثم ماذا؟ كا كان يقول الدكتور زكي مبارك رحمه الله الرحمة الواسعة.

٥٩٠
ثم بعد ذلك اجتاح القصيدة العربية زهرة هولاكو وكا دخل التناز. ليس لنا ولا لغيرنا أن نذكر التجدّد فإنه من سنين التطور واللغة في التغيير من ظواهر الحياة وبراءتها ومكملاتها ونهاها، ولهذا كونتهما موجوده، ومن التجديد صدق وتمه إفك وافتراء، والافتراء زيد بذبح جفاء، والصديق و بكل ما هو صدق يبقى و يبتني عليه قال تعالى: وَأَمَّا مَا يَفْعَلُ الْنَّاسُ فِي مَكْهُ - [سورة الرعد].

واما ما يتفنّى الناس في مكّة في الأرض، وما ليس بافتراى تعثر محاكاته با يكون مثله. ضروب التجديد التي نراه الآن أكثرها غباء وزيد جفاء، مما يدل على أنها افتراى كثرة أمثال الطرسوس والصحيح السيرة بأمثالها، ثمخروجها كل الخروج عن عرف اللغة الفصيحة، وهي لغة مرات لا يجوز التلاعب بها إلا التغريض، إذ ذلك يفسد الطريق إلى معرفة أسراره وفهمه - هي لغة القرآن، وعن عرف اللغة الدارجة، وهذا دليل فساد حجة من يدعى أن هذه الضروب التجديدية تطور وانعكاس خال البيئة وبيان عنها. ذلك بأن طبقات الناس في المدن والوداد في جميع أعوام العربية تعني في أعراسها وأفراحها ومنحاها ومباهاها بين الفلاحين والجند والمعلم، وفي احتفالات سمرها، وإبتهاجها ذات الصبغة الخاصة أو العامة، في جميع ذلك تتغنى بالكلام المزروع المفروض بحسب ما عليه طريقة الزن والتفقه في الكلام الدارج، فإذا إذن هذا التعدى على اللسان الفصيح لم يكن حافظ وشوق، وجيلها جيل تقليدين، كان جيل التقليديين جيل من نظموا في ضروب أصناف الشعر نظم علماء من غير اجتهاد ولا تجريد إيقاع. وكان بعض مرد ذلك ضعف التحصيل وانشغال أكثر أهل العلم بعضون الفقه حتى إن العقول السبع والعشر نفسها كانت تقرأ وتنسخ على أنها تون، لا على أنها من الشعر عيون.

وقد اقتنى عصر كامل بجيل شوقى حافظ وكان كل أثلك أهل تجدّد، إلا أنه كان يخالط عنصر الإبذار والاعتذار إلى الغرب، المبعين عن إقرار بطرق حضارته، فكان التجديد مع صدوره عن رغبة صادقة وعن حسن نية أخذا بسبيل أدت أثر الأمر للتيهاء وخراب وضياع.

كانت حركة الديانة وأكثر الحركة الرومانيكية أو الرومانية حاولة زيادة في التجديد مشتملة على اهتمام جليل شوقى بالتقليد - لم يكن الحسن الخفي للشوقى عن ذلك بالأمر الجديد، والله تعالى أعلم.
تداخلت عناصر التجديد والثورة والصراع المذهبي "الإيديولوجي"، بعد الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) وبعد سنوات الخمسين من هذا القرن الميلادي العشرين.

ظل البارودي رحمة الله هو فارس القصيدة العربية الأصيلة حقا، مشرفًا بأصالتها وجزلالها وقوة أمرها وصفاء ديباجتها على جميع ضروب التجديد وحده الدخيل.

ولكن بلاد العربية لم تخل في الجزيرة العربية ولا في العراق ولا الشام ولا مصر ولا المغرب كله إلى بلاد شنقيط ولا في بلاد سنار والسودان العربية كما ولا في سائر بلاد الإسلام من أنفس فتحولة وحافظة على الجزالة وانتقان. إليك مشاه شعر الشاعر التجدي محمد بن عثمان رحمة الله (1700 - 1363هـ) وفيه من الجزالة وجودة الدباجة وردين القصيدة القديمة أنفس جيدات. قال رحمة الله:

"نعم هـذـه أطلال سلمي فسلم
أقـول لصحفي ومراسل تـرمي
بـنـاسها ترمي الفيافي بـهم
أرك بها سيل الشئـون وأسمع
وأمـر وسبهُن أصـوم
وأنا حوائل لصحفي ولا مراسل ترمي" 

كان هذا قبل السيارات والطائرات، على أن هذه ربا وجدت هي أيضا سهبا.

"فرموا الفياوي بسهم، بطريقة تجيهزات أبي تمام، كراً ترى أبا القاري الكريم:
ألآ عوجة منكم على الربع ربا
فهذا نحو من قول غيلان: "خليل عوجا من صدور الراحل".

فما حرازها ناظر المين عبرة
فهذا الجانب لا أصر بمنزل
 ولا أستيني البرق يفيض ومضى
و جليليب "هالذن من قول حبيب:
بكر وسعنة تأبى أن تفية
وزن البيضة، وفيها من أجل
وقوله "إلا أمزج بالدم، من مقالات الشعر الممزوجة، ولم يظل من أخذ
الرحمة واللفظ من البصير، رحمة الله:
أمن تذكر جيران بدى سلم
مزعج دمها جري، من مقالة بدم
واستم فيه نظر غيلان بلا ريب، وقوله "فلم أتين شاخصة من مهدم".

- 597 -
حذاء على نهج أبي الطيب:
وأجاد غلان كجيدك زرني...
في نتين عاطلا من مطوق
يجوز أن يكون أراد عنى العفة وغض البصر وتجوز أن يكون أراد أنه بره الجمال
حتى حار فلم يتين عاطلا من مطوق. وأحسب أن ابن عشيمين لو قال: "لم أتين
قائها من مهدم." كان أوجد - "جداً برئت أن ينقض فاقمه الآية" - ولا أليس بما قال
وكقوله رحمه الله في قصيدة قافية تقترى ببحر غلان وروه في كلمته: "اداراً
بحزوى إلخ." -
إذا ماهاها ظلبت بالدموع أتالق
أرقت برق ناصب يتألق.
ظلت أي ظللت وهي عربية فصيحة ويلقال ظلت وظلت بكسر النظاء وفتحها
أيضاً وأحسب أن الشاعر فر إلى الليل ليتجنب زحاف القبض في نتين أجزاء العجز ولو
أقدم عليه ما ضره.
إذا فاض لا مالم سوابق عبء
أمده له طرف من دون وضسه
بخبت وأخفاف ولياماء سماق
عزنجر بيلان الذئب منه ويوفر
وجهلة للجن في عرصاتها
هاهنا روح من غلان وهو القائل «للجن بالليل في حافاتها زجل البيت».
وكتوله:
تسمع في تهاته الأفلال
فنين من هاله الأغوار
ولا عجب أن يعجب عشيمين رحمه الله نهج غلان رحمه الله فهي ترجمته التي في
صدور ديوانه أنه ولد بالخرج وفي الخرج قول غلان يصف مية في بعض ما وصفها به في
بعض تشيتهاته: -
مهطولة من خزامي الخرج هيجها
من صوب غادية لوثة تهميم (11)
وقد مرت الأيات. وقال ابن عشيمين رحمه الله من كلمة أخرى:
لشعب قلبا بالفرق تصعدا
فلما تقدم والقفة وتوجها
تناوح في الهوج بدءا ورجعا
خليل مرا بي على الـندر واربعا
إن أنها لم تسعدان على الأسي
بمستوةهم من شبه آرام عينه
أي تناوح في الهوج الهوج
(1) أو خرقها، ويلقال إن خرقها هي مية والله تعالى أعلم.
أما إنه لو يوم جرىء ما لكي
غذاة التفتتا ظاعنا ومشيعا
تبينته عيناه تعبد ربه
ووجودنة توحي بطرف وإصبعا
أي تبينته عيناه وجودنها وإصبعا يشارك به.
أكثر شعر ابن عثمان في مدح رجال من رؤساء العرب على زمانه ورئياثهم. فهما
سلك فيه من ذلك نمطا حبيبا للباحة التي في أول ديوانه:
العز والمجد في الهندية القضب
لا في الرسائل والتنميق والخطب
إن خالق الشك رأى الحاذق الأدب
تقضي المواضي فيمضي حكمها أبداً
وفيها بعد من روح النظر إلى أبي الطيب كقوله:
لكن شمس ملوك الأرض قاتبة
عبد العزيز بلا مين ولا كذب
يعني الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة السعودية رحمه
الله ولا تخفى الأشارة النابغة "أن ذلك شمس وملوك كواكب البيت، ثم يقول
قائد القائم بكسر الجو غريها
سيا مستركم في نقع مستركم
صارت لمواجهة أقرباب من السبب
حتى إذا وردت مسألة الصراة وقد
أي حتى ضمت فلمحت أقربها "جمع قرب" أي جنوب خراصها بظهورها
قال النزال لنا في الحرب شنشنة
نمشي إليها ولو جهاء على الركب
فسار من نفسه في جحفل حرب
وسار من جبهه في عسكر جلب
فقوله "قائد القائم" كقول أبي الطيب من حيث الحذو والإيقاع:
قائد المقاتل أقصى شربه نيل
على الشكيم وأذين سيرها سرع
هذا في الصدر وامتباع عجز البيت من أبي قاسم مثلا قوله:
هيئات زرعت الأرض الوقور به
من غزو مكتسب لا غزو مكتسب
وصدر البيت التالي مخزول على أبي الطيب:
حتى وردن بسمتين بجزرها
تش بالملاء في أشداها اللجم
والعجوز يذكر بفيتان وبيقافية رؤية.
لواحق الأقواب فيها كالمدق
أي كالطويل. والبيت الثالث أوله من الأعشى وعجزه من أبي تمام والبيت الرابع
محدن على قوله:

لو لم يقد جحفلا يوم الولى لغدا
نحو هذا الحذو لما فيه من قصد الإشارة إلى أقوال من سبقه (تأمل قوله) "ولو
جيا على الزغاب" ألا يذكر بقول حبيب: "نحو الكيما به صغراء على الركاب"؟ نحور
هذا الحذو منبه بتلذذ الشاعر بجديد أقوال هؤلاء الفحول يومى إليهم أو بشير، لا
جرد السرق.

وأثر قصيدة اليمى النبوي جدل جلي في صياغة ابن عثمان رحمه الله وديبه.
تأمل هذه الخالصة، قوله:

وخذ شوارد أبادات مثقفة
كأنها درر فضان باللهذيب
"الله أكبر كل الحسن في العرب".

يشير كذا ذكر حقق ديوانه إلى قول ابن النيبه:
الله أكبر ليس الحسن في العرب
كم تحت لما ذا التركى من عجب

إلى هنا نظر شوقي رحمه الله في قوله:

الله أكبر كم في الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

وكان شوقي رحمه الله كثير الأخذ والشعراء من أفعال شيء لذلك كذا تقدم ذكره،
وأحسب أن ابن عثمان أخذ من شوقي في الحذو وطريقة الصياغة ولا يرغب أن تأثر
بديهانه وقروء، وأثر شوقي على شعراء النصف الأول من هذا المائة الميلادية كبير. هذا
ويقول ابن عثمان بعده، وهذا بمعرض ماقدمته من أثر القصيدة النبوية عليه:

فم الصلاة وتسليم الإله على
المصطفى من أروم طاب عصرها
والآن والصحاب ماناحت مطوفة
وعم الطاهر ابن الطاهر النسب
ومن خصه الله بالأيمن من الكتب
وما حدا الرعد بالهامي من السحب

- ٢٠٠ -
وقلت قصيدة لا يُنسى بها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما يصحب من ذلك من مدح يبني على التقوى وصدق روح العبادة والتربة إلى المولى سبحانه وتعالى بالصلاة على نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصبحه وسلم قوله في آخر النونية التي مطلعها "نعى بي على الربع حيث الرشد والبيان إله" ومدح بها الملك عبد العزيز رحمه الله، قال:

في يوم مولده للقاضي نيران
والآلو والصحب مائحت مطرقة
خطباآي خطباء بقصر المدود وهو جائز كثير والخطيئة لون الوقائع أي الخفاءة قال المعري:

ترى كل خطباء الجهاء كأنها
خطيب تنى في الغضيض من البيع
ومن هذا أحد ابن عشيمن. وقال آخر البقية التي أولاها تلالات بك في الإسلام أنوار

إله

ثم الصلاة على الهادي وشييعه

وفي أخرى

وصل إله العماللين على الـذى

بأنواره الأكوان تزهو وتشرق

ومائحة في الدوام الحياح المطروح

وفي أخرى

وصل إله كلما نـاض بـبارك

على السيد السيدات نفسي فداوئه

كذى آله الغر الكرام وصيحه

وفي أخرى

ومطاعم شمس ومـلاحة برز

أصل عليها مـمدتى وأسلم

هم صفوة البرم مناهم هم

-٦٠١-
وصل إلى كلاهما حن راعٍ
على خير مبعوث إلى خير آمَّة
والمشاهين بعد كثيرة. ومن أعجب شعر ابن عثيمين إلى قوله في نسيب نونية مدح بها
الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى:

وقفت دمعي على أطلالنا الجهن
حفظت عهديم لكن أضاعوني
نازرلين إلى الأشجار محرونين
وناززين وذاكراهم تناءبين

وهما حدو على قول الشيخ عبدالرحيم رحمه الله:

ما وللبرق يشجئي تألفه
ولا الصبا بشذاك لا تدويني

وهذا فيه نفس من عمرو غنيم في كلمته التي نشرت في عدد هجرة من رسالة الزيات
ومثلمها "ما وللنجوم برغاني وأرعبا إلخ".

لتي الرياح التي تجري مسرحة
وجد مقيم وصرص ظعان وهوى
من لي عهد وصالة كنت أحبسه
لم بين من حسنـه إلا تذكروه
تلك الليالي التي أعدت من عمرى
أيام أسقي بكئاسات السور على
فهذا شاعر سلس وفيه روح رقيق من عاطفة ومنذكرا. بحر الأيات وروما على قرية: "يامين لقلب طويل البث معزون" وفيه من ألفاظه وضرب صياغتها كقوله \\
\\n"وللصبا بشذاكم لا تداوي" فهذا فيه حذو من قول العدوانى. ولا دماؤكم جمعا تروبيى" وقوله "مشت وحيب لا يباليت" فهذا فيه من قول العدوانى وأصبح الراى منها لأبترى. في القصيدة بعد أنفس ابن زيدون في النوبة ويعض طريقة لفظها كهذه الأديات الأخرى من عند قولة من لي بعهد وصال إلخ" وقوله من بعد:
\\nيتبعك من خده وردا ببنرين
\
وفي هذه القصيدة من المدح الذي قوله:
\\nقبل الإناخة ببالبى يحيى جاءوا لسك على صهب العشانين
يتثابل الناس أفواجا كأنهم يعني الإيل
وتظاهر ابن سبيل ابن مسكت
وذا يحمل فضلا غير ممنون
عبدعالعزرية ثعال المستطيحين

ركس نون الجمع وهي لغة صحيحه ورويا التفاذية بيسقهها هانها كأ قال ذو الأسحع:
\\nإلى أبي أبي ذو محافظة
وأبي أبي من أبيين
ثم يقول ابن عيينة بعد أيات:
\\nفقد سليما قرير العين متهجا
ببالال والخلال في عرز وتمكين
من عنصر السادة الغر المماليكين
واسدبة عرى الدين والدنيا بتمنجب
يعني ابنه الملك سعد وكان آنذ ولي عهده، رحمهم الله جميعا:
\\
ف кры الأئمة والذوا من يمن
سعود أهل التقى نحس المناوين
أهل الباب المطاعيم المطاعين

٢٠٣٢
بتيوين دال سعود ونقل حركة الهزة ولك منع سعود من الصرف وقطع الهزة والأول
أحب إلى وكر نون الجمع كما ترى
تلتلت في خلقت السامي خلائقة
tلو المصل المجل في الميادين
هكذا وأحبيت "تلوج المصل المجل" والمفعلي المستقيم بهذا ومصدر تلا، تلو بضم التاء,
واللام لا بفتح وسكون إلا لن زعم العموم قياسا للثلاثي المتعدد كقول ابن مالك
فعل قياس مصدر المدٌ من ذي ثلاثة كرد ردا
وفي الذي قدمته متدودة عن الضرورة وخلاصة المقول، هذا ثم ختم بقوله:

ثم الصلاة وتسليم الإله على
والله الغفر والأصحاب كلهام
وتأمل بعد هذه الأبيات العينية من حيث رصانة سبكها وزينة حرف الروى
وأخروه بعده وفحوذة النفس:

أحنا له ذكر الخمي ومربعة
فيات بليل الجليب مضطرب الحشي
بمساء للبرق الياباني طرفه
منا ظل خلائل السور بربعها
أرب علها كل علولك الدجي

هذا البيت خاصة قوى الزنة شديد الأذن غليلي المعدن. الرجى الناحية، عنى
أن السحاب المحلول النواحي سراً قد ألح عليها بالغفلة، وجعله أحمر الرجى
لسواد وذو روعة كان ذلك صوت الرجى، وإذا الرعد يدلو المطر والخادع ضرب
من الغناء والغلاء سليل القريض، فقد نسب للرعد مطالع كا للقصيد مطالع وحن
ابتداءات هديه، وجعلهن مطالع مستعجات، وكأنما توليدا خفيا من قول حيد
المشهور:
فلم أرى شاقه صوت مثلها
ولا عربية شاقه صوت أعجباً
وقد مر في صفة الحيامة في الجزء الثالث من المرشد:

إذا ما بتت فيه السحاب جهدها
وقتت بها والصحب شتى سبيلهم
فكانتهم مأي وبالقلب لوعة

وهوذا وهم جراً، والبحر والروى يشعران بمجاراة خفية خبيث وأبي الطيب معاً
في كلما ها:
هن عوادي برسـسـف وصواحة
فعزمًا فقدم ما ادرك النجح طالبه
وفاكم كأربع أشجار طاسمه
أن تسامع والهدم أشفاء ساجه
وكان عين روح صدى من عين روي البحر في:
من النفس من أسيا لم تستطيعها
بها وجدها من غاده ورولاها
وقد تعلم أيما الباري الكرم أصلحك الله كيف سمح التوكل إذا زعم أن عينها تثير
القى والتهوئ في خبر ذكرها وما أحسب خفٍ عن ابن عشيهم رحمه الله فقد كان واسع
الاطلاع ضيماً في علم العربية. ومن جيد شعره في المدح والحكمه قوله للملك
عبد العزيز رحمه الله تعالى:

أنا الملك اليوم طائره
جعل مشارك في أمره حاولته
وقـرـدم الشعث ثم السيف إنها
ها ألقاها لأقوم إذا صعـرت
واستعمل العفو عن لا نصير له
وعقد مع الله عز وجل للجهاد فقد
أكرم العلاء العاملين وكن
واحذر أناساً أثوار العلم مدرجة
هذا وفي علمك المكنون جوهوره

- 605 -
وخذ شوارد البيت، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد كا قد مر.

وذكره لا يجلي ابن عمها رحمه الله مع رصانته وجودة ديباجة من بعض الكتال والسرد أحيانا، وقلت كاتب أو ناظم يسلم لما يعذب عليه، والسرد أهون خطبة من الركاكة واللين، وربا قصد أحيانا قد عزم إلى بعض ما شاهد مثل هذا من مذاهب

العلاء معروف كقوله:

«فقلدا أكرم من فيه شهدكم بكم المسلمون وشدوا به الاضداد، أم لعله لم يقل إلا «يا مسلمون»؟ وها النمون مستقيم وأرجح والله أعلم أنه تعمد، هذا نحن عل ذا الظلمان اللذان فزنا، والخطأ النسخي لا يستبعد.»

وعند أمثلة التداينة الرصينة الشيخ محمد سعيد العبابي رحمه الله، وإليك هذه الدالية من شعره، وكان رحمه الله ما يواتيه طبع سمعه في هذا الضرب والعروض من البسط.

بالتبالت في عذني وتفندي
وقد نضعت الصباعني فما أنا في
سنتمن شرعه المحبانين لهما
ولاتمذليفي فؤالي اليوم منصرف
هنا عاواه في رقة لكافأته صدهن بصد مثله، وقد كره أبو السامى المخزومي.

التخليس في هذا الباب في قول من قال:

وكت إذا حمص زلفي وجروت متفحصا عريضا
وجردت وراي منفحا عريضا.

وهو منذب ليد: فماتقن لبنة من تعرف وصله في الميزة المعلقة، وكان الزباني رحمه الله ربع سفر طويل في بادية غرب السودان وكان السفر إلى حين قريب بالجاهل. وقوله «التبرية» أراد الإبل النجائب ومن أنجب الإبل البجاوية 

الصمب وما أشبه أن يكون الزبايسي كانت له راحة منها.

لم يبق غير السرا ما تسدر له نفسى وغير بنات العيد من عيد

وبنات العيد الإبل النجائب يتضمن إلى العيد فحل مشهور وأصل كلام العبابي

رحمه الله بيت حبيب.

١) وراجع ديوان الشاعر، العقد الثامن من شعر محمد بن عثمان الطبعة الثالثة

الرياض، سنة ١٤٠٠ـ (١٩٨٠م) ص ١٩٧ (راجعه وصحته وأعد معجمه

واشرف على طبعاته السيد أحمد أبو الفضل عوض الله)

٢) ديوان الاستاذ الشيخ محمد سعيد العبابي رحمه الله، ديوان العبابي، الطبعة

الثالثة، الدار السعودية طبعة سنة ١٣٨٨ـ (١٩٦٨م)
حتى أغادر كل يوم بالفلا،
ثم قول العباسي رحمه الله:
المدنيات من رهطوت في نفري
أشرتها وهي بالخوف فانتبنت.
تقوم تلفقة من نحوي وكم قلعت
عدى جابت باللام وأحسبه بذلك فصياح.
في هذا الموضع لما في اللام من مناسبة.
لقول تقوم تلفقة من نحوي فلم يجعل "من" يسلط عليها الفعل "تقوم" من غير حاجز.

نجد برفعنا آل ويفضنا
وشدما علقت بالليل من عق
حتى تراوته دابينا النهود وقد
النهود بلغ السودان كان منها نهود أي نهود القوافل وقاصد الموارد.
والراعي في حر الصيف وهي في اقليم كردوان غرب مدينة الأبيض في طريق دارفور.
معالم قد أشارت في جوانحة،
ثم كأنه استحيا من هذا الغزل فقال:
استغفر الله في شروق يبدد
ذكر الصبا والغناي أي تجدد
طعا علي كبير بارح وتأوي الم

وفي هذا البيت حرارة من عاطفة وجانب من رقة وكبض مذهب الشريف
الرضي بيما. وكان أبوه رحمه الله تعالى، شيخًا معتقدًا وكان هو خليفته من بعده،
تلمذته وتلامذة أيه كرمونه ويتلقاه من بلغاهم بالخلفية البالغة والاحترام
والترحيب. وكان رحمه الله قد درس العربية والقرآن في صباه، ثم نال حظًا من الحياة
العصبية والتدريب العصري في الحرية بمصر حين ألقى بها، ثم تقبل عن ذلك
وانتصرف إلى سبيل آبائه في العلم والتصوف.

مذهب الشريف مع ساحة ذات ظرف ساذج أسهل أظهر في هذه الآيات:
درس العربية والقرآن في صباغ، ثم نال حظاً من الحياة العصرية والتدريب العصري في الحربية بمصر حين ألح به، ثم نغلب على ذلك وانصرف إلى سبيل أبيائه في العلم والتصوف.

مذهب الشريف مع سياحة ذات ظروف سانح سهل أظهر في هذه الآيات:

وكم بزرز إلى لقياى في مريح لو استعن وحن الساحرات دمي يدار هوى على النائى إسلامي وعمى ثم سلا عن هذا إلى غنا الحيمة:

وذات طوق نزننا تحت دوحتها وقد تغنت بأمرزاج على عود

وأحسبه على كثرة ما ورد في غنا الحيمة لم يجعل هنا من نظر إلى قول المغري

إذا لمست عودا ببرجل حسبتها ثقيله حبل تلمس العود ذا الشروع أى تلمس العود ذو الأوتار واحد الشروع بكسر الشين شرعة. وقد أخذ المغري من شاعره الكبير أبي الطيب حيث يقول:

إذا غنى القىمان قىمان فيهما أجابته أغاني القىمان

إذا غنى ونسحاج إلى البيضان ومسوحفاها مباعدان

وقد مرت فيه طول عن هذه الآيات التونية

فقدت حين هل تدرين ما فعلت حتى أجدت لنا هل القريض قرى

وقد باختاري من وجد وتسهيد وما بحثت على ضيف بموجود

هذا مأخوذ من مثل المعرفي في عامة: "الجود من الموجود ولو من قطع الجلود" أنت الجواد على العلل فاتخذى فينا جيالا ومن هذا القرى زبدى وسائر الكلمة جيد.

والعباسي بسيطة أخرى يذكر "مليط" يفتح الميم وتشديد اللام المكسورة، وهي بلدة على واد خصب في غرب السودان غير جد بعيدة بعدة الفاشر، موقعها شمالي.

(1) وعل أراد ابن الغريض بالذين وهو من أهل الإفان في الغنية.
بالنسبة إلى الفاجر:

حياك مليئ صوب السرائع الغادي
فكم جلوت لنا من منظر عجب
시스템تي برح آلام وما أخذت
كبيانك العفر ما أبي مناظروها
وذلك أنها تحافظ بالماء في جوف تربة رمالها فترع وحماها مجدب

فبأصل النخل ملء الطرف يلم من ذيل السحاب فلا كد وإجهاد
هل يعني بلا كد من المزارعين ولا إجهاد؟ المعروف في النخل أنه على شدة حاجته إلى
الماء لا يصلحه كة هطول المطر عليه ورد الكد والإجهاد إلى اللحم يجعل العبارة ذات
ضعف، فالمعنى الأول كأنه هو الوجه الأفضل على ما فيه ما ذكرنا من أمر إفساد المطر
النخل إن كثر عليه.

والخور تتهفت والأطمال وارفما
والريح تدفع ميادا ميادا
سيباق هذا البيت وسلاسته تقوى رد نفي الكد والإجهاد لي لم فروع النخل أذناب
السحاب - عن هذا التأويل قوله: "بلا كد وإجهاد" مع كونه لا يخلو من ضعف لا
يجلو أيضا من وجه يسوعه على تعب ما
لو استطعت لأهديت الخلدود لها

أحسب جمو الإخلاص معنى التقليد وفيه نظر

فقدت أصوات رهبان وعباد
ياقرة العين من عين وحسام

أنت المطرة في ظل وفجسر
أعذ حسنك بالرهم مبدعه

هذا بيت في عذوبة

واضعت رحل منها بالكرامة في
فاقتادات اللب منها قود ذي رسن
هاتي الحديث وراءك الله مسغفة
فحركت فقوى الأوطان أفضدة

- ٦٠٩ -
أجله اليوم عن حصر وتعداد لولا زمانى لولا ضيق أسفادي فجد فدنتك للعافى بتعقابه

هوى إلى النيل يصيبى وسأكون حاجزة ما ينفعه تطلبها ياسع سعديى وهب أرى ثمرا

قوله 'نصو أحشاء وأكاد' وقوله 'عن حصر وتعداد' فيها بعض الهمى وما بعد قوله 'حاجة' ليست للنفسي ولكن للإهاب وهي جيدة والبيت مهد للذى بعده وفية ما ترى من الإشارة إلى قول سيدة عمر 'يا سعد سعد بنى هيب' رضى الله عنها، وجعل الشاعر ذلك رمزًا كى به عن بعض حاجات نفسه وفيه روح من صبابة وعاطفة.

ووجدان وقوله 'بتعقاب' حسن الموقع في هذا الموضع - قال تأبط شرا وأورده أبو العلاء في رسالة العقان.

وقد فوت بمصقول عوارضهما ثم انقضي عصرها عني وأعقبه عصر الشباب فقل في صالح بادا، وفي هذه الدالية أيات خاطب بها الحياة جملها خاتمة لها.

ورقاه إنك قائد أسمعتى حسنًا إننا ندينان في شرع الهوى فخذي فرب جمع الآلام إن نزلت لا تكبرني فحمل كلها كسر

أحسى أراد هنا معنى مجازياً، أي الافتتان في ضروب القول مما يقع فيه التعبير العاطفي المحتوى فربى ظن أن لا لائم وقار الشيوخ. وفي قوله 'فربي تجمع الآلام' نظر إلى قول شوقى:

إن المصائب يجمع المصابيننا

وألى أبي الطيب

وقد يشابه الوصفان جدًا موصوفهما مباعدان ورحم الله العباسي فقد كان رقيق الإحساس فصيحًا يغرف بصاحة طبعه منبحر ولإيقاعه رنين وذووية
هذا وقد كنت جعلت هذا آخر أبوب الكتاب وقلت إنه لا يتعن مجال للموضوع في ضروب تجريد العمر، فأقل ما يقال في ذلك إن المعاصرة حجاب. وكان الفراق من ذلك كله في مدينة فاس حرسها الله تعالى لليلتين بقيتا من شعبان سنة 1403 هـ، وذلك بوافق 9 من شهر يونيه سنة 1983 م.

ثم بدأ في الآن بعد أن حيل دون خروج الكتب كله منشورا مطبوعا أن استدرك شيئا فاتن ذكره. من ذلك الإبلاغ إلى مكان شاعر العراق محمد مهدى الجاهري بين الآخرين بمذهب الجزالة في هذا العمر، وله طول نسج وقوفة آداء ولكن تشقيق الجدل والسياسة ربما كدر من صفاء دياجته. وهو بعد يحسن أن ينتمي ترنا بحثري الإيقاع كقوله:

في قصيدة بعنوان ساعة مع البحثري في سامراء

أكبرت شاعر جفاف وشعره، يستوجب الإكبار والترنيمة، ولست في أبياته دعوة الصبا ولداته والخطائر المجموعا ولا أرى معتن المجموع هنالك أنت تكون ريا مفلها إذ وصف الخاطر بالمجموع يحتاج إلى تأويل كيفك أمر مجموع أي جميع عليه وقد لا يخلو ذلك من تكلف. ولئن تشابيت المتاسب أو حكي مطبوع شعره المطبوعا

فإن قالي: مطبوع نظمي لكان ذلك أصح فلكم تختلف في المسيل جدداً، فاستعجبا وشجعت ينبعا.

وأذكر تم وفلاه من أبي الطبيب في بيته الذي كثر النزول منه، والأخير:

وقد يناديه الوصفان جداً موصوفاهما مبتاعدان، ثم يقول:...

عبث الوليد بشرخ عابث، وشا فنال من الصبا ما استيعبا

يشير هنا كما ذكر في الهامش (ديوانه الطبعة الخامسة ص 41) إلى كتاب العدو عن نقد بعض ما وقع في شعر البحثري الذي سماه "عبث الوليد" واسم البحثري الوليد بن
عبد فهنا تورية

في ظلهم عاش القنبرض رفيعاً
لعن بيوت المال كننا إذا انتهى
يقصى ولا عن بابهم مدفوعاً
أبياتهم وسط البيت شموحاً
قدروا له قدر الشعور وأسروا

وهذا غناء سلس ذو عذوبة، ثم التوى بالجاوهري الطريق إلى مقالة السياسة وشعر
القومية الحديثة الأوروبية المعدن، تعاكيه وتجاربه، وهذا دين قد غلب:

ضيف العراق نعمت من خيراته
وهمد فيه قراءة وهجموعا
إن تعاقد الخلفات كنت مقدما
ضيبيته تبرب بضم التاء وما أحرى هذا أن يكون خطأ مطبعة إذ نبر (باب ضرب) ثلاثي
ويجوز أنه مضاعف من "انبري له" أي اعترض. هذا ولعل قوله التوى بالجاوهري
شعر القومية الحديثة وهو دين قد غلب، حيث قال يخاطب البحترى:

ضيف العراق نعمت من خيراته
وهمد فيه قراءة وهجموعا
أن يكون على خلاف وجه آخر أراده الجواهرى وهو أشباه بمذهبه وعلمه بالشعر وذلك.
أن يكون قصد إلى الإشارة إلى قول البحترى المشهور:

حتى قلصى بالعراق وشاقها
في ناجر برد الشام وريفها
بالضفتين تلاعنه وكهوفه
ومدافع الساجور حيث تقابلت
فهل أراد عتابه على هذا الحنين إلى برش الشام وريفه؟ فإن يكن شيئاً من ذلك أراد فقد
جعل المعرى من قبل عناب البحترى وملامته مركباً قال:

وقال بالويلد النبع ليس بمشمر
وأخذ سرب الوحش من ثمر النبع
وقال:

ذم الوليد ولم أدم دياركم
فقال ما أنسفت بغداد حوشيتا
يوم الزيارة لم أعدمه تكبتنا
ثم رجع الجواهرى إلى معاني الثورة المحدثة في نفسه فقال يخاطب البحترى ويدركه
بأن العراق أحسن ضيافته إذ لم يكن عراقياً مولداً وداراً

- ۶۱۲ -
لا شكوت منه فَرَّك مصداً
و أظن أنك - لو كنت ربعوًـ
كما يشكو الجواهر
ولكن كَالْشَعَراءِ من أبنائه
من تجول قدّرهم فأضيعاً
وهذا من الشعراء ديدن قديم
لك في الله راحت جناحك رفقة
لولا جلادتهم لمأتوا جوعاً
ولا تمنع جلادة صاحبها أن بموت جوعا أو عطشا إن لم يجد من ذلك أدنى حاجته.
وهل عنى بالرفقة أولي الجلد ابن الرومي إذ عاصر البحري ولم يصب من الحظوة كاً
أصاب ؟ أو هل عنى نفسه وفي قوله " في التي راحت جناحك " يعنى العراق ولعل
الكاف هاهنا على بها غير البحري وجعله رمزا ، وما أقرب هذا من مذهب ابن الرومي
إذا حسد الغصون المجازية وذمها في قوله:

نعم ألبستهم نعم اللهـ
إن تلك الغصون تصبح عندي
وفي غضب الجواهر التي قد خال أنهم مدنيات له من يسار مركس وقل شاعر
فحل يكون من يسار مركس قريبًا ، قوله

أم أشتك بك اليٰبِسـٰس
فهل أنت نبنـة النِسـٰس
تشرى أعيناك مقيـس
ومن قيـس ومن قيـسـوا
أين الشّر أكـبـسـٰس
وعند الحسن إفـيـسـٰس
رقـبـويون ونخيـسـٰس
وحوض الغير ينـدـسـٰس

إحبه لن جعل مكان الروحش كلمة أخرى لرِبِّك كان أصح إذ ليس للموحش، إن
أريد بها السبع أطلاف ، وغير السبع يقال فإن الوحش كالرَّجَال والظباء وما أشبه
وقد أراد أمثال الدواب من البشر فهذا مقالنا لو جعل كلمة أخرى وذلك كثير وما جاء
به له وجه وفوق كل ذي علم عليم.
أم الأصنام أرباب معج
أم الأروء أعجاس
جمه عجس بفتح فضم كعجر
فيا في الدار أزهري الحلي
غشي كسع لهجة طيء وما في الدار أحلام أراد به ما في الدار أحد وهو حلس داره
أي لا يعارفها لكبر سن أو نحو ذلك فأحسبه تصرف في استعمال هذا اللفظ وعسى أن
يصلح

أدر كاسح بباخرس فقد صوحت الكناس
في الهمش (ص 37): باخرس إله الخير عند الأغريق وبيرد به الشاعر هنا
نفسه - ولا يتفق أن باخرس هنا من الجند الغريب
واسمع قرعة الغضب واقرأ قوله

خلق بغداد أنباط أعمال
خلق بغداد مفقوخ ومطروح
خلق بغداد مسمع يفيض به
لا الأرجى الذي ضمت ملاعيبها
هذا من مر الهجاء، أن يكون صاحب الملاعب واللهو غير ذي أرجى فيه بل ذو
سياحة وأن يكون مظهر الدين يصلي به في المحاريب غير ذي تقوى ولكن من أهل
التفاق

فراح سيان مهونوك وعجب
لو شئت مزقت أستارا مهللة
أي فراح الشان - سيان خبر مقدم والجملة خبر راح واسمها ضمير الشان
بالخر بلعوه تريغي وتريحي
بالصابر الشهم آدته المطالب
في كل يوم من التغريير أسلوب
إن لأعد أحرازا إذا زمروا
والصابرين على البلوى إذا عصفوا
فيا لعب بدان أهواء واعندهم

- 614 -
وأما هذا الجبان النكس قد هزت
منه ومن صحبه الغيد الرعايب
ثم أبئع أمانجة مصاحبة
منافقون يرون الناس أنهمو
وأنهم قادة صيانة وأنهمو
ما أغرب الجلف متعلق به أدب
هذا، ومن عسى أن يحسن الإملاء إلي حسن ديباجته الأستاذ أحمد عمر رحمه الله. وقد
أورد الأستاذ محمد إبراهيم الجوسي في كتابه عنه، (شاعر العربية والإسلام) اختيارا
حسننا من شعره ما نوردته أن شاء الله هذا منه، مثل قوله

رسالة أسواقي إلىك وأشجاني
فهذا دليل في هواك وبرهاني
تاريح من شوقي إلىك وتحاني
عصارة قلي في هواك ووجدني
شهيد هو مداح يوما بسلوان
إليك دموعي في الصحفة فاقتئري
فان تطلبي مني دليلا على الموى
فيا هند عذرا إن جزعت فإن لي
ولا تكعي هذي الدمعة تذكري
ويا هند إن جئت الشهيد تذكري

زعم الأستاذ الجوسي أن اسم الفتاة «رفقة» ومكانه في نص الديوان فراع أن الوزن
يستقيم بـ «رفق» مناداة مرغبة. وقد وضعنا اسم «هندة» لأن رمزيته واضحة كليل وليبي
وسعدي وسلمي وما أشبه وكهفنا أن نضع «رفق» لما فيه من الظن والقول بما لا نعلم إذ
ما ذكرنا من عشق عزم لرفقة هذه لا دليل عليه. ولقد أحسن أبو الطيب رحمه الله إذ
قال في ثالثه خلوة أخت سيف الدولة رجها الله تعالى:

كأن فعلها لم تملها مكابرها
ديار بكبر ولم تخلو ولم تهب
وقال:
أجل قد كر أن تسمى مؤينة
ومن يصفك فقد سياك للعرب

(1) ديوانه 2/351
(2) شاعر العربية والإسلام، أحمد محصم إبراهيم الجوسي الطبعة الأولى سنة 1381 هـ - 1961 م
ص. 94

- 615 -
فإنه لم يرد "بفعلته" إلا "الخولة" ولم يكتن اسمها لدفع حرج ولكن أدبا وإجلاسا لقردها.

ويستلم من أبيات له في قصة تحرير المرأة (1) أغرٍ كأي أسهم ما قال قاسم دكَّرتُك إن تجلت غيابتي تضيقين ذرعا بالحجاب وما به سلام على الأخلاق في الشرق كله أقاسم لا تقذف بجيشك تبغي لناسا من بناء الأولين بقية أسئل تفني إذ دلفت ترابها ليس جمال هذه الأبيات من قوة الحجة والجدل ولكنه من صدق العاطفة وسلامة الدبيجة ولا يعجبني قوله في الشرق كله إذ فيه كالتسليم بأن أوربا مركز الدنيا تنسب إليها الجهات. ويقولون الآن الشرق الأدنى والشرق الأوسط الأدنى إلى ماذا والأوسط ماذا؟

وذكر صاحب كتاب شاعر العروبة والإسلام أن أحمد محرم رحمه الله كان له رأي حسن في "قاسم أمين" الرجل المصري على ما كان يأخذه عليه من قوله في تحرير المرأة وقد رأاه فذكر من ذلك في رثائه له، قال:

إذا رأى الدريّ لم تنصع عزيمته رمي الحجاب فلولا الله يمسكه لا نشق أخبار اخترته به العمود قوله "فلولا الله يمسكه" كأنه يشير به إلى قول المعري "فلولا الغمد يمسكه لسالا" وذلك أن لولا بعدها غالبا حذف الخبر كذا ذكر ابن مالك.

(1) نسخه ١٧٤
لم يبلغ حينئذ شرا بأمتى
إننا نعيش بسواج غير مروعين
عن السريرة أو أغفي به الرصد
وكله أفيق به الرصد، في وسائر الكلام ذي جزالة سلس.
هذا وما فاتني ذكره، وليس هذا موضوعه، ولكنه لا يحسن أن يترك وقد قال هذا الكتاب في فقع في النسيان والسهم التكرار، كا صنع الجاحظ وكا وفوف أبو الفرج ولم يفهم، وما بعض ما صنعه يقاس هذا الصنع وأين الظلال من الضعيف، التنبيه على ما كان للطهراوي من سبب في مجاله الشعر إذ كان من أوائل من أدخلوا عليه روح المقالة.
وقد تعلم كانت أكثر عيون الشعر في المديح النبوي.
أرسل الشيخ رفاعة إلى السودان مع رفاق له في مهمة تعليمية، وكان ذلك لم يخل من بعض التخفيف لمزلزته ونوع من النفي له ولم تفعه الإقامة في الخزوم، ونظم قصيدة من بحر الواقف دالية على قرى كلمة أبي الطيب:
أحاد في سادات في أحاد
أو على قرى كلمة حبيب:
سقى عهد الحمى سبل العهاد
وروم حاضر منه وبادي.
قال رحمه الله فذكر تأخر السودان وخشونة بعض جوانب الحياة والمجتمع فيه:
رمى الحنان عهد زمان مصر
رحلت بصفقة الغفيون عنها
وما السودان قط مقام مثل
بها ريح السموم يشمنها.
أنثى السودان كاتبًا مصر على الكلمة. ولقد فرض الاستعمار هذا الاسم على
بلادنا فرضنا ثم تسكت به حركة الخروج من الاستعمار باسم الدعوة القومية الحديثة. واسم السودان إنها هو اختصار لقول العرب ومن أولهم بلاد السودان وططق ذلك على البلاد وواكبة جنوب الصحراء من بحر الهند وبحر القلزم إلى المحيط الأطلسي، الكبير، ولقد استقامت بلاد أخرى في إفريقيا، كانت تحت حكم فرنسا وكان اسمها السودان الفرنسي، فسمت نفسها السودان، فحدث من ذلك أيا التباس فقط أهلها ورجعوا إلى اسم قديم وهو مالي كا رجع من قبلهم الرئيس نكروما من ساحل ل
الذهب إلى اسم قديم أدعاه بلده هو "غانا" كما في هيلالاسي من اسم الحبش إلى اسم "اليوبية" وكان هذا يطلقه اليوباني القوماء بكثير منهم، يينزون به سواب القوان، على بلادنا دون بلاده، وقيل إن "اليوبية" اشتقاقها من الطب إذا كان يجلب من بلاد كوش وما وراءها، وفيه نظر، وكان يقال لبلداننا السودان الإنجليزي المصري بعد أن شارك الإنجليز أسرة محمد علي في إدارته وثوب أسره. وإنما كان اسم بلادنا سنارة على اسم عاصمة السلطة التي كانت قائمة على أموها فيها بين 1500 إلى 1821 م. وقيل إن الملك عيارة سلطنة الفنجة لقي فتاة اسمها سنارة فتفل بحسن طلعتها فسمى بلادته باسمها ويجوز أن يكون الاسم اختزل من سنارة "أي القمر" ويجوز غير ذلك وكان قوينة يقال لهم السنارة وعلى ذلك رواج السنارة بالأزهر الشريف هذا ثم أخذ الشيخ رفاعة في ذم الناس والبلد وبعض ما ذكره ملاحظات قيمة تدخل فيه يقال له الآن علم المجاحج أو "المثلولوجيا"، قال: وليس هذا بوضع عتب عليه كما سأذكر من بعد إن شاء الله تعالى:

فلا تتعب إذا طبخوا خليطًا بين العظم مع صافي الرماد

أحسب هذا ما يسمى "ملاح المرس" وكان يصنع فيها بلغني من قصب يمرع وأعظم يترك حينا ثم يطبخ وهو طعام عام مستن ولا يخفى أن الرماد يستعان به على هواء

البطين

وطبخ الدهن في بدنه وشعر كدهن الإبل من جرب القراد

أحسب أصاب في الصدر وأخطأ في عجز البيت وبلاد السودان جنوب مصر حارة جافة ولاهلها بجفافها وعلاج ما يشأ من ذلك من أثر على البشرة درابة وقد كان الصغار في جيل مضى وكبار لأبيت أحدهم إلا بعد أن يمسح بزيت السمسم جسمه وكان البديه يضعون على رؤوسهم السود وكأن للنساء خيرة بصناعة أدنه ذات طب فائق من الوادع بعد أن يسلبه ثم يخلط بالصناد والعطور الهندية ولا أشك أنه عطر النجاشي المحذور في السيرة وتمكن به عمرو بن العاص أن يشي عباره بن الويلد ويرفع فيها الرفاعة رحمه الله نفسه عناء تتبىها، ولا يلموته على ذلك أحد لما كان من غيظه من شبه النفي الذي وقع ثم كان

صادف عام وباء فدخل عليه مع الغيظ خوف شديد.

ويضرب بالنسياب الزوج حتى يقال أحسون بناة في البلاد

-٦١٨-
يضرب مبنى للمعلوم وذلك أنّ «العريس» يقف أمامه صف من الشبان يضرب كل منهم على جلد ظهره سوطاً أو سوطين أو يزيد، حسب ما يتفق عليه أنّه تمس الشبان أولاً أو شرب الشبان (والشاب) أن تدور الفتاة التي ترقص بعد أن شفحت رأسها، ولا تفعل ذلك في هذا الموقف الفارغ المحتمل به، إلا الخرات، من الشاب الذي يحمل أمامه فتشرب شعرها ثم تغطي بجلقة، هذا هو الشبال ولا ترقص البنات إلا بعد أن يحدد شروط الشبان، ولا يدلون الشهد من إبر النحل، وإنّا كان يتقدم للسوط الشبان تنزيراً للعريس» وتأييداً له. ومن أدب الوقوف للسوط أن يكون الفتى ثابتاً كأنه جدار، ولا يختلج من خذ أو طرف أو مايلد على أمر. وقد يداخل الشبان تناسفاً فوفقاً شرب الشبان (والشاب) يقدم على ذلك الباسلون الذين يقول لهم: «أيوان البنات» أي: حماتهن. والسوط مصنوع من جلد فرس البحر (العينيسية) - الكلمة مقاربة لقولهم: عنص في العربية.

وما السوردان قت مقام مثل ولا سلاي فيه ولا سعاد: يداً بزفير السموك يفله من يداً بزفيره وادي. قوله: فلا يطفيه وادي كقوله من قبل: وفضل من سواها في المزاد، ولا يفلو من نفس غامي، فلا تعجب إذا طبخوا خليطاً بمج العظم مع صافي الرماد وسلط الدهون في بند وشعار كدهن الأبل من جرب القراد، فأقولنا من قبل: إن ما ذكره في عجز البيت غير صحيح فقد بينا أمر دهن الجلد، وقال: الشناوي: لاح عبس عاف من الغسل حول من الدهن والثل عهده: فافنخ بصوته وجعل منها ألا يدهن رأسه. وقال يزيد من الثغر وهو إسلامي: فيSELك مدرى الحاج في مدله م إذا لم تخرج مات غا صأبالها، والصواب صفار أولاد القلم وإنهم احتاج إلى تفريج ماته لا بها من دهن وفي خبر كعب، بن عجرة أنّه جهده ترك الدهن من أجل عبادة الحج فيها يبدو حتى جعل القلم يناثر من لهما فأمر بالهدة ونزلت فيه ومن كان متكاز مريضاً أو به أدى من رأسه الآية: 192 من البقرة، والعجب للطهاتي أن يكون خف في عنه مثل هذا مع وافر علمه ونسيبه الشريف.
ويضرب بالسياط الزوجي حتى يقال آخر بنات في الجلد ويترقب ما بزوجته زماناً ويصعب فتى ذلك الإنسداد يشير بهذا إلى عادة خفض النساء وأعى الناس نظرًا فحسب أن الرمق للزوجة وإنها تختين الفتاة وهي صغيرة فقد تبلغ الخانتة فينشأ من ذلك ضرر عظيم لأن تصور الفتاة رقية لا يستطيع جاعلها، و الخانتة قدمة في العرب وفي حديث أم عطية ذكرت ابن الأثير في أخرى مادة خفض إذا خفضت فاشيء قال الخفض للنساء كالخاتان للرجال وفي مادة 846 في حديث الخانتة قال لها أسمى ولاتهكي أي لاتبالغ في استقصاء الختان؟

فاستقصاء الختان كان للعرب عادة قال جرير

والغليظة في ثني عباءتها بظر طويل وفي باع ابنها قصر لأنا من قوم نصارى ذهم جرير بأن نساءهم لا يفضلون فجعله سبة:

وقال الفرزدق:

وما واجعلت أزدت من ختانة ولا شربت في جلد حوب معلب يجعل الختانة الموجهة كثرب اللين من أين الجلد أمرها خصت به العرب، والحرب على به البدير لأنه يجري بحبوب، والختانة الموجهة استقصاء ولكنها لايلغ به من الفساد ما زعم الطهطاوي إلا في حالات تشدد وليس الشذوذ بها يصح تعميمه وما منعت ختانة من افتراض طبيعي ولا منعت من فساد، وليس في هذا تركية لها فالوجه ما أنبية به صاحب الشعري صل الله عليه وسلم وما أمر إلا بالإشادة. وقد يبالغ في بعض البلاد، وليس قطرة ولا أحسب في قطر أفرشي في ختانة الرجال وفي الكتاب المقدس في خبر غيرة أبناء يعقوب على ساء وقع لنفسهم أن ختانة بني إسرائيل لرجالهم كانت يبالغ فيها حتى يلزم المختارة الفارس من وقع الجراح ومن تعب النفس في هذا البيت قطيع همة الانسداد.

واكراه الفتاة على بغاء مع النهى ارتداء باتحاد

هذا باطل، ولكي أن يكون لبعضهم مملوكة وأن يلدي المملكه فهذا قبل أن يتمع الافتح ببع الرقيق وملك المملكه بدعو التحرير، وإنها منعوا ضربا وأبقوا ضرولا لعلها شر مما منهوا، وفي قول الله تعالى "فَرَحَتْ رُقْبَةُ مدحها واضح من كان يرغب في عض العقَي، وما سوى ذلك فإنا يعتذر به بعض من يدعون التفكير من معاصرتنا...

٦-٢٠٢٩
لإلى مطاعن الأفنيجي ليس بكبير شيء. فتأمل. وقال أبو الطيب في مدرحته للملوك:
من كل موهوبة مولولة كاسرة زيرها ومشاهها
فقلل من أهدى مملكة من عمي أن يكون رفاعة شهد ذلك من ما خرج به عن
مذاهب العلية وأهل الشراء. وقد كان أحد الرقيق من مرتبت العوالي أول أيام حكم
محمد علي باشا ثم نفى عنه احتراما لفرنسا وبريطانيا ذكر ذلك الدكتور مكي شبيبة
رحمة الله في تاريخه، وقال الطهطاوي: "ارضوه بالتحاد" لا يخفى ضعف القافية منه.
هم ضغف بتعليم الجواري على شرث مجاذبة السفاد
وعداً أمراً خاصاً بالنساء ومعروف عند العرب منهم شكرى الذي شكا إلى عليه كلما
دمت إلى أمرته قالت قلنتي وما كان أغنى رفاعة عن ذكره. قال أحد المديرين يذكر
الصوفيهم إمامهم الليالي يذكرون الله ويسمحون بسبحات خروئه من ثور اللالوب في
كل سبحة ألف حبة بعد بها المسبحة مثلما 1298 من عدد "بالطيف"، فهذا قد
يفقص في ليلة بأكمالها:

اللبلل النيلم تترمصور

اللبلل اللالولا تكرمصور

النيل اسم الخضراء العلمية الصوفية النبوية، جعل "اللالوب" كالفراش يذين تغنيا
وובילه فافهم حفظك الله.

قلبه رحمة الله "هل شفف" أبدها، إذ كثير من الشبان ريا فاجأهم هذا من تدبير
اللواء، وصفن الكتب المحكم بالكيد العظيم في ليلة الدخيلة ويذكر أن الشيخ
الدرير رضي الله عنه أدرى له بعض مرديه مملكة لقن هذا العلم فنفع من أمرها
أول الأمر ثم أحب جواً قائله أعلم أي ذلك من خبر الرواية.
ولا يلم الشيخ رفاعة على الكبار ما أكر وترمزه بالزعم ان اهداء الجواري من البغاء
المنهع عنه رفاعة بارس "ولا تكرهوا فيتابكم على البغاء إن أردن تخصنا" وكانت
قريش في جاهلتها تعقل. فقد بلغ من نقة لؤلؤا في فهنة من حضارة ملبغا، ولعل ما
أصبه من ذلك في زمانه دون ما أصابنا من ذلك في هذا الزمان.
وقال الحارث بن أبي زعيمة وكان في وجه الحروب عاملا لأبن الزبير رضي الله عنها يزجر
أخاه عمر بإنه يطلب منه جارية:

لم تائهة من بلاد بعيد

- 261 -
ثم يقول الشيخ رفاعة:

وشرح الحال عنه يفيض صدري
ولا يصح الوصي على مدادي
ووضيب القول بالأخبار بدرس
وشر النصوص متشر الجراد
أي هذا قليل من كثير وليس الخبر كالعيان والشر الذي رأيتاه كالأحادي المتشر
ولولا البعض من عرب لكانوا
سوادها في سواده في سواده
أي سواده وجوه وقلوب وعينيون فالعيان بالله من ذلك. وهذا البعض الذي أشار إليه كثير
قويم يرفع زمان أوائله إلى ما قبل الجاهلية والله العالم
وحسي فتكها بنصف صحي
كأن وظيفتي ليس الحداد

وسعته هننا لا تخفي وتداخل ذلك مع الأمس روح النكبة القاهرة

وقد فارقت أطلالا صاغرا
فكم أفنكم فيهم سرا وجهدا
ولا سماً يطيب ولا رقادا
وللأمس لددي سواى الكساس

وهل تجارة أكسد من أن يغادر القاهرة إلى خروج ذلك الزمان

وأمات العجز يبرد ذل
ولا يصغي لأخصام لدداد

فصرح هنا يا كان يسه قلبه من أن بعثه للسودان ضرب من النفسي ومنبه عن سخط
عليه من الخديوي عزيز مصر أو جفوة "وتلك التي يهتم منها وينص،" كما قال النابغة
وفي الآيات التي ذكر فيها أطشانه وأسره صدق حين واسمه أسلوب. وعلى طول
الفصيدة لم تهدع عند العجز. فعدل إلى الاستغاثة فنظم ثميسنا لقصيدة الشيخ
عبدالرحيم البرعي:

خل الغرام لصب دعمه دمه
حيران توجه الذكرى وتعدمه
وعسى أن يكون توسيل بالسيد البدوي حامي طنطا قدس الله سره. فكان ذلك أجد
عليه من:

وما السودان فيه مقابل مثل
ولا سلماي فيه ولا سعادي

فاستجيب له وعاد رحمه الله إلى مصر.
وفي معجم البلدان ليقوت حيث ذكر بلاد النوبة شبهها بلاد اليمن وذكر أني في عيش
أهلها شدة.
وقال العباس رحمه الله: 

أحبتي هذي الدمع صبرت عن كاه قري السـ
ولي بمصر شجـ
فـنارقت مصر ذاكـ
والفيل والجزر مـ
رـب عـ خير طــالما
 مصر وأيـام الشـمـ
للـهـ عليه عـلـوب رأي
أعتيـهــه من جـائر
مـررت بـالخـي ضحـ
مـرتديـا من الشـبـ
ليتـهــه في أربع
شاـبيـن ازهرـ الـريـب

قوله "صبرت عن كاه يأي غير اختبار لا يعني عن بغض، وقد عرضت في "ذكرى صديقين" (المثأر) 엏
ولا أخذ عليه فان قلب الشعر كـ وصفه أبو الطيب - وهذا من آيات الصدق.
وإضافة الإشارة إلى قوله: 
ويما يذد الشعر عن أقوى ولكن قلبي يابنة القوت قلب

(1) ذكرى صديقين، صدر سنة 1408هـ = 1987م، الطليعة، الكويت، انظر ص 14
في درس جامع أم درمان وصديقًا وشاعراً مهووباً مثله مؤثراً للجزالة شديد الأمر وكان عالماً ومعلماً متقناً وجميل الخط ارتجالي النفس كريم الخلق جواداً براكاً بالإقرين والإخوان نزناً محباً عز فقده وقل في الناس نده توفي رحم الله يوم 13 من المحرم سنة 1410 هـ = 15 من أغسطس 1990 م.

كتب إلى منذ تسعة عشر عاماً قصيدة من المقارب إخوانية نونية علائية رنة الروى أثبتها هننا كما جاءي نصها البديع البارع منه إلى الأخ الفذ حامل لواء القصصي وصاحب المرشد الدكتور عبد الله الطيب أقدم هذه القافية العسلية له ولن أحبه وعرف قدره.

وطفت فلم ألق عنك الأعنة وعجت ومن كوعتي مزهر وهشت في القدرة واستبترت واجنتهها خلديتي مذنبًا وكذلكين دفعت إلى ظلمة وهشت الجدر المشرقات وقد أشربت من ضروب اللوزا بادراً ما أوجبته الحقوق ولم نلق إلا الندى عندها أقىُّين على الجد لا ينتهي وشتنان ما واهن عزمه وأغئنا وهندُّ وطلق الجبين ومشندي لك اللود أخلصتُه

(١) بضم الدال وتشديد النون لغة في لدنك بسكونها كما بجوز نسكين الدال وأعراب النون في غير هذا الموضع.

٦٢٤ـ
سبيت الندامي وافرغت دنه
لى جرسه أو يشام وشامه،
وإذ هى فرامل لكهف اجنه
ومن ذى المجازر ومن ذى المجنونة
ولم تت قافيه ذات ظنة.
والى ذلك فضل حبة ومننه
وبروأت من بوار أكنة
كما ترمزم القيامة المرجنة
عليك الشايار فكذببت: تذهه
له فوق هام الأعادي دنة
هوادي الفحول الخاذبة عنه
ودونك من عصمة الله جننة
ربوعا على حبها ممتننة
وأذ دههم في كتب وسننة
فنى المجازيب نار مبنة
اذا أليف النكس لوما وضينة
لهم أرج مستطباب وبنينة
بقفانيه ذات ردد ضفينة
ت واب الثقاب وعلق المضنة
ولم تبق إلا الحجاب السننة
وفي كاهلي فضل جبل وشنة.

(1) بتشديد اللون لفظ
(2) نسبة إلى الدامر بلغنا
(3) بنى تق من قبيلة المجازيب ومنهم الشاعر محمد المهدي مجدوب رحمه الله نصب بيني تق بفعل مذوف أي تركهم
(4) بالآش فوق الشاعر محمد المهدي رحمه الله ديوان شعره الأول نار المجازيب.
(5) سنى بتشديد اليا منموحة أي سنوات عمرني أنا والصبا عطفه بيان وقال أيضا (سنين الصبا) مضف مضاف الله
(6) وذالك نحن ثابتة، كلاما كحكم الله
(7) الرباب بكسر الرا قابل للعرب معرفة ونفع الرباب موضوع والنفع أصله جزء من الجيل.

- ٢٦٥ -
أصـادـي النجـوم فـما خـبت
طلـيق الجـنـاحين أـغـيـر الـوهـاد
والفــتـاك في زـمنـه الأـوـلـن
وتهــتـال ذهاـت البـغــاـم
ونـضـرب في النـيـهــ لا نـرعـوـي
أـي دُو صـوـلـة فـاتـك
ودوني مـن خـعـيـم فـيلـق
فـذرـي والمـقرـفـين العـواـة
عـى الـدهـر بـعـرـ من كـيـدهـم
فأـوجـهم كـالفـات فـعـحـ
وإـيـهم مـن أـصـاـبـوا الحـيـاة
وأـيـهم قــقــذـر لــمـ دـنـت

محمد عبد القادر كرف

العاـشر من ذـي الحـجـة 1391 هـ

السادس والعشرين من يناير 1972 م

هـذـا وـالـعـلاـمـات المـشـروـحـة عـليـها الـهـامـش مـن صـنع مـؤلف هـذـا الكتـاب
وـجيـل وـاضـع مـا في هـذـة القـصـيـدة مـن بـرهـان وـيـاضـع عـلـى ما أوـتي صـاحـبـها مـن الـفصـاحـة
وـقوـة الـشاعـرـة وـسـحـر الـبـيـان
ـقـولـه: "وـقـوـي وـشـتـت الـجـدـر الـمـشـرقـات" يـمـدـح بـهـ لـوـحـات رـسم
ـالـسـيدة قـريـزـلادا زوج المـؤلف، وـقـولـه: "ودوني مـن خـعـيـم فيـلق" يـشـير بـهـ إـلـى أـصـول نـسـبـه
ـفي شـرق السـوـدان بـأـفـاـطر جـبـال الـبـهـر الأـحـمر وـسـوـاـكـا وـما بـين شـاة الـبـهـر الأـحـمر
ـالـغـرـيـب والـشـرـقـي مـن شـواـيـك الأـرجـحـ ونـسـبـه نـهـ عـلـى مـن قـبـل الرـحـالـة اـبـ بـطـوـطـة في
ـصـفـة رـحلـته إـذ زـار ذـاك الأـقـلـام في الـلـامـة الـتـاسـعة. وـصفـة الـشـفـرـي الـتي وـصفـ بها نـفـه
ـفيـها شـبـه شـديدـي بـهـ عـليـه مـظـهر فـيـان البـيـجة أـهل الحـروب، قـال:

وـيـوم مـن الشـعـرـي بـذـوب لـوـيـه
نـصـبـت لـهـ وـجيـل وـلا كـن دوـنـه
وـضاـف إـذـا هـبـت لـهـ الـبيـع طـيرـت
ـعـيـد بـعـم الـدـهن وـالـقـلـ عـهـده

(1) الشـارـف مـن الأـلـلـ كـبـيـرة وـالـهـلـافـصـ شـابة.
(2) الدـوـر: الصـحـارـه.
(3) المـلـجـة بـضـم الـبيـم وـقـح الجـمـيـع، أـي الخـفيـة.
هذا كنت وعدت نفسي أن أجيب الأستاذ كفرًا رحمه الله بكلمة على رؤي كلمته ووزرها. أردت شيئاً شبيهها بما صنعه أبو العلاء حين وافته قصيدة لأحد معاصريه من الشرفاء أهداها إليه مطعمة:

غير مستحسن وداد الخوانى
بعد سبعين حجة وثمان
فاتحاء أبو العلاء بالكلمة السقطية المشهورة.
فانزلت فإن يبض الأماني
فنيت والطحل ليس بفانى
عنى ظلام عنيه وظلم الزمان حوله بالفتين والحروب وقال فيها:
قد أجبنا لفظ الشريف بلفظ
أثينا الحصى من المرجان
أي بذا من المرجان في مكانه. ولعمري لقد كانت أبيات المعري من نفس المرجان لا بدت منه، ولم أكن أشك أن نوينة كفر رحمه الله
عطفت فلم ألو عليك الأعمة
وكم لي من حنة بعد حنة
هي المرجان. وكان قد خشي أن تكون الإجابة عنها بمعارضة لها في البحر والروى إنها ذلك حصى. فأخبرني هذا التهيب عن المسارعة ببجاها. ثم إن السنين تعاقبت وتعرضت للنوبة المذكرة ببلداع وحسن شناء في ذكرى صديقين (1) وتعهدت عنها من مذاع أم درمان وعلمت أن ذلك وقع من الأستاذ كفر رحمه الله موقعاً حسناً وكتبت أزوره من حين لحين تعرضت العزم أن أنظم نوينة حسابه حسي أو مرجاننا وإذا بالمية تبادر إليه. نادأتي أستاذ العربية الدكتور بابكر دشن وأنتم أجياح بعض الطريق فقس على البنا الخزين. لكل أجل كتاب، وإذا بهذه الرويلة تشال على الدعوم:

سقت قبرك المدينة المرجحنة
وأسكنك الله دار القمام
كما لغة للكتاب العزيز
وتصير حتى عقوق التلاميذ
كذبه لهم تلقي إليهم ركونه
معانيه ووضحا شرحنة
والصورة ذو نبات وغنية
وأشجاني عن سواه شجنه (2)

(1) نسخه ص 21
(2) أي أحزان الشعر قد حبيسه عن كل شيء سواء شجنه عنه (من باب نصر)
تكتب مثلك خط ابن مقلط
وللحنو عندانك إتقانه
وتحظى أي الكتباء الحكيم
وقفه الشاعر أحمد شريفه
ومع عزة النفس فيک القناعة
وذاک بالعاصفة منك تأتي
ومن تخذ الكير ستملا فلرب
وکنت أمرًا صدر قد حوى الد
وصنو التجانيان ديباجة
وشفاها قومتانا بالبيان
وخلدتنا معهدا سحده
وبت القصاحة ثم البديع
وأغراس شعر الزمان الحديث
اسبت لفقده كنتم امرأا
وكم من سجينة ببر له
وقندن ذقت في دار الطيبات
وألفت فيک الأدب الليب
ومن قلبه في ضوء البصير
وبرتكب في عفنوان الشبا
إذ الحرب نيران مشاعلات
إذ وضع حرب أهل الصلي
وأعجبني منك حب الأميل
كأن العطشة السحاب بالذـ
كانَكَ بِالنَّعْف نَعْفُ الرَّبَّ،
ولم تُفْتَدٍ رِجْلِكَ يَبِّوِمُ الكِلَابَ
نبذت جَوارُ الدُّنْيَةُ نِيّدَا
وَنَبْذََّـتِ ابْنُ مُطْهَمٍ بْنُ ابْنِ المَغْرِبِ
وجَنَّـاتُ رُوحُ السُّهْيِي رَدِّت
ورَمَتُ السُّوُّجُادَاتُ فِي الخَرِيدِ العَـيْنِ
وَشْيَخُ أَبِي رُفُّ الطَّيِّبِ الْفَـقْهِ
أَجَلُ كَـذِكَرُ كَانَ دَابَّاللهُ
تَذْكَرُتِ لما دَعَانَا مَعَا
تـُحَلُ مِنْبِعًا كَـاَكُ الْغَـيْـامَا
وَكَانَ جِيْلُ المَـيْـيَـا نـِـيـا
وَلَـكَـنَّهُ كَـشْـيَأَ زَانِتَ الْمَـكْـا
وـمَا كَانَ بـعـدَّ بـنِى قَـصِـرٍ
وَكُلُّ الْمَـيْـاَـنِكُ يَـنُـمَا
فَـمَا دَيْرُ أَمِي وَخــوَـالُلَـلَّهِ
كَانَـتِ فِي فَـتَّاتِ حَـمـيْـنَـيْـنَـمَا
وُنبَـلَ دُوْبَاـرَـيْـنِ
وَلَلْمَـيْـاَـنِكُ يَـنُـمَا
وَانْظِرُ القَـصِـيَـدَةُ (٣٢) مِنَ الفَاـضِلَـاتِ الْبَيْـتِ الَّـيْـنِ
وَالْبَيْـتِ الْرَّابِعُ وَخَـبَرُ القَـصِـيَـدَةِ خِيْـرًا
(١٤) هُوَ عَيْـنُ بَـنِ مَـطْهَـمٍ رَـضِيَ اللهُ عَـلَـيْهِ
وَرَـجَـعُ الْوَلِيَّـمُ بِالْمَـيْـرَةِ وَصِبْرٌ لَـلْأَذَى١١
(١٥) الْرِّوْحُ الْأَلْـفِ لِلسُّهْيِي كَـهْـنَـيْـنَـمَا رَـضِيَ اللهُ عَـلَـيْهِ
وَرَـجَـعُ الْوَلِيَّـمُ بِالْمَـيْـرَةِ وَصِبْرٌ لَـلْأَذَى١١
(١٦) الْوَـجَـزَـاتُ الْعِلْـمِيَّـنَـ وَالْفَّـضَـيَـسُ مِنْهَا
الْحَرْمُ الْأَبْيَـضُ الْكِتَـبِ وَلِهْـنَـيْـنَـمَا
مُـيْـرَةٌ مَّـعْـتَيْـنِ 
(١٧) هُوَ الْشَـيْـخُ الطَـيِّـبُ السَـرَّاـحَ رَـضِيَ اللهُ عَـلَـيْهِ
(١٨) مَـتَّـيُوُّ الْمَـغْـرِبِيِّ الْرَّيـِّبِيِّ
(١٩) هُوَ زِيـْـدُ الْيَـتِـارِيِّ الْحَلِيـْـبِيِّ
(٢٠) أيْـنَـمَا دَيْرُ أَمِي وَخـوَـالُلَّهِ
فَـسَـحَ فَـنُـنُ مَـشْـدَّةُ مَـفْـتَّحَةٌ أَيْـ قَـصِـيَةٌ حَـسَنَةٕ.
وفي جانبد الحوش كانت له وسيف له وسنان أسننة
يصر العيون إذا ما شفته
ولن يفيض بها بلال هم
وياض من كلم الأوان
وأمر الخلافة والأمر من بعد
وأنشدته أتاك بجانبة
وعندهم نصر ما قلتته
ويانم ساعات ذاك اللقاء
طلخته نماي سلاف القرية
لدن غودة ذاك حتى دنا
وما زالت الناس عند السذاج
ولم يكن اللغة المجتاهة
وكيان الشعرية المتحدثين

(21)سكنة: قرية بفتح الشين.
(22)كان له فرسان مائان فرماها فقال:

فليس من شأنه أن يغني الجراح
لكنه حصان حميماً متيلا

(23)شفت أين نظرو بطرف العين، ولا، للسكك.
(24)بديع بالتنوين، وبالإضافة أذ كان رحمة الله يحب البديع.
(25)اشارة إلى خبر الآثانيان لطوف، حيث تسعى:

ما بحال هيك ليس ديك بغلبٍ بـ
بـ ـيري سرايق دمعك المحاكـ

(26)دنها: أي ضعفت، دانت.
(27)بنته بابتهام وذهب، وذكر أن أنشدت: هم شرف عالي الذرة والناكب فذكر الشيخ الطيب أن المناكب ضغمة لا
(28)لم تصرف عنا.
(29)ذنها: أي دُفِّع، أي سمعته.
(30)تعكيات: أرجاس وسع ذات صنان.
أولاً، هم المقتربون الغناء، وتلك لقاءات فكك وذكرك.
وكان يزعم في فتى كأن النجوم
نعم، في صديق حبيب رؤ، أبو عبد الرضوان الطريقي
نعم، لفلت إمى لم
لقد كنت أو زيارته أمت
سبيت إليها. فضادة المهم.
وفي عالم الذي كان الكتبا تذكرت إنشاده الشعراً حين
إذا أنشد الشعر أغنيته
لعرفه من يداه بالبيان
أسيت على فقده، إنها
وحدات وعند مقراءته بفأ
وكم من نفسوس وبه التفسير

(31) مهَّبْ بضم اليم أي مستورة غفيرة للالغتال ولها من نصف بيت للفقيده رحمه الله بل أكثر من نصفه وهو قوله:
فـ١(32) كنه وأكده أي أخفاه ونحلة.
(33) الاقتنا أي لم قدم في العودة، وعذب قرث أي قدم العودة ورثه عن أباه.
(34) تكشف: أي يكشف بحذف الناء الأولى.
(35) بنة أي رائحة قاقة والكلمة معروفة في عاميتي واشتقاق لفظ البن الذي يصنع منه القهوة من هذا الأصل لأن
رائحة تنو.
أخي هَاك مني هذى الدموع
لقلق فلتتح البَتكَّاكات
وكم لك عَندي مِن عهْد ود
وَنونية لك طوقتيها
فهذا جَوابي ولكن عَدِدت
سقَت قبر السَّديمة المرجحَة

(31) أي أحباح الله وفِضاها.
(37) الموجَّحة: النقلة المطرة.
• العلامات والشرح من عمل المؤلف.
رحم الله كرفا فقد كان شاعراً نخلاً
ولمحمد المهدي مجدوب رحمة الله تعالى (1918 - 1987) قصيدة بعنوان "اللغة حجاب"
نوردها هنا كاملاً لأي اه تم التساؤل موثقة له بإناه مراعاة ثقافة عصرية من درسه
الإنجليزية والمهمج الحديث في المدارس المصرية إلى كلية غوردون وقد كان والده
الأستاذ محمد جذوب جلال الدين من كبار أساتذة العربية فيها، وبدأ نشأة عليه من
ثقافة دينية عربية فيها في أهل بيته قال:

(2) فهـ بيـاني من حفظ وإملاء
تذاري الدعاء في أطلال أصوات
لا في الجزيرة أو في تـبـه سيناء
طـلـاق نفسي من مسبي وإبـراتي
من صوت غير لي يسري بأثباتي
ولا تـبـال بالفـي وسياح
كـما تـسم وفـي الـبـدر في المنا
مـقـلـدون بـلا وجي وإصغاء
أولانـه الآن مثـل غير أكـفاء
وعـن قـواف تـتاكى على فـئاء
وـكـيف أـفـعـل أـفـاقـا بـإـرشاء
لا أـتـقــر على أـحـضـران ظلاء

(3) ديوانه "تلك الأشياء"، بيروت، 1981، ص 282.
(2) الإعراب بكر المزة في الديوان الممزج فوق الألف وهم خطأ مطبعي.
(3) غرفا بالغين المجمدة وـلـو كانت بالمجموعة كان المنيف أيضاً متـنفـك عـرة بـن حزام.
(4) أنشاها لازم ومعد شنت الشيء والشي.
(5) أكـفأ أي نظرة أهل لا يـكونوا ما لا يقال إلى الأزور وبقاياها وكفاءة الكاف وعينها وقوامها وكفاءة، ذكر
ذلك في هامش القاموس ورغب منه في تفسير سورة الإخلاص عند الطبري.
ناد العبيد عبد الشعر هل حصدوا
بلقي السريع روايات وعنمنة
هوميرينشت مسحورا ملافاة
من غروب الشمس جاء الصبح مطلقا
يجا به الناس أفراحا سواسية
يبرون كا شاؤوا وما عرفاوا
اتصرف الشرق كان الشرق في بلد
خان الحضارة في صفين من بخلوا
أم أنت تسخر مني ليس في و睚
همون عليك جزاكم الله صاحبا
أزيت بالشعر والفصيح مقدسة
أما سمعت بعدان العصا طرموا
أصاب اللوم آحيانا وأغفره
هانوا ابن أحمد ترضيني حكومته
يطوى الموازين في بغداد منجعما
تسبس صيحته في البصر قدها

1) عبد الشعر زهير والتابعة والخطية ومن تبع طريقهم ولهم أيضا دالة عامة.
2) العناقة طائر خراقي، وشيء الشاعر هنا إلى سؤال الشعراء الأطلال، بتأثرهم عن أمرهم مستحيل كالعلاقة.
3) كل أن تجعل والفصيح مقدسة حلة متعففة أو تجعل مقدسة حالا منصفة وأزرت الجسم تأيا الفاعل،
4) أهل على ما المعنى أي أسات إلى الفصيح وكون قد أنتقت لها ولم يقع الإرادة عليها ولكن عليك.
(4) ابن أحمد عن يه الخليل (100 هـ).
لم يخنها بين أطوارل وأضواء 
كالموميات بالألوان وأصداها 
بها يعبدو إلى شوح وإفضاء 
سحر الطبيعة من صمت وإياء 
مع الحياة أجيسي وأبناوي 
في ظلمة الخمر حب غير نساء 
فيها حقيقة ميلادي وإنشائي 
حتى أسالم في جنب أعدائي 
حتى اكتعلت وما فارقت صحرائي 
فيه تحمض معراجي وإسرائي 

بيكاس جرد أشكالة حقته 
يروح ويخرج في عينيه من أبد 
كم شق نشاماه فلذته 
إذ كانت اللغة الفصيح فهل سمعت 
ضحكات متطلق الأسنان متهجا 
سكت حبا على صاحب يلازمني 
أصاع الشعر كي بُدأ حققه 
قيدا بَتي فلذ ما أتى أفراء 
نأت في اللغة الفصيح مقدسة 
اتعرف العرب الأجداد في بلد 

نسيح هذه القصيدة متين محكم، وقال شاعره يطاطب نفسه بثرة العصر على 
قيد اللغة وإعرابها "ولا تبال بفعال وأسيا" وقد بالي هو بذلك فقوله (اشتاق صوتي) 
أدر تعبيرا ما لو قال (شتاق إلى صوتي) وكبا الوحين صحيح والتميز بين 
الساحقين أدخلا في مكانية البيان، ولله التلقؤ الأعلى، جاء بالفعل ممارسا وراضيا 
في سورة الكاف (اسطاع واستطاع) قال تعالى: "ذلك تأويل ما لم تستع عليه صيرا" 
والذي يتضمن معنى إشارة الحضر عليه السلام إلى ما كان من عجلة موسي عليه 
السلام - لم تستع علينا المعجزة عن ترث للصير حتى يتبين ما هناك. وقال 
 تعالى: "فما استطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا له نبأ" فالضدور ومحاولة الصعود، في 
ذلك تعجل يتعليم معنى التعبر يب (استطاعوا) واللهم أعله من أدلة وعمل فيه 
على تعليم معنى التعبر يب (استطاعوا) - والله تعالى أعلم نعوذ به والله بل تعليم 
الأنصار.

وقال شاعرا "عن قوف تحكي عا فاطر" يعترف عن النزاهة القافية وكان تنكر 
الروى يرد عليه فيها فأقاها من غير فصيح اللسان. وهذا النت سحص حين تكون 
القافية مغتصبة متكافئة وإيقاع الشعر غير رنان. وهنا تواضع توافق به كالمعتدر 
لمخلب أن نظامه المحك المحجز عنه الآن وتضاعف عنه. سمي الوزن بحرا لأنه عند 
ذل سعة ممتدة التنغم، إنهن إذا ندركه الآن بتفصيل مجاله في حدود وصفنا له بالأووان

(1) أي ييكياسو الفناء المعرف.
والأسباب والعواصم والأعارض والضرور. ونحن الذين وربنا أوزانه غير أكفاء لهن، ومن شواهد انعدام الكفاءة: بينت وبيتها أننا نصيد القوافل، نزه على المنى وعن أنفسنا في طلب قافية شاردة شرود فأذننا كلاطلناها أمعت في القرار، شرود أي جيدة، إذ ذلك نردها، فلا نظير بها إلا ضعيفة، ذلك بأن إيقاع بحر الشعر واسع كالبحر وأفاهه ونحن نند بحلات تصيدها نريد أن نعقد الأفق البعيد بقافية. الكلمة التي في آخر البيت: "تعقد آفاقاً بإنشاء". كلمة إنشاء، مصدر بكسر أواها الرفاعي أرشي المدلول يرشيها أي جعل لها رشاش بكسر الراء وهو جبل البر والجمع أرشية وفي طبع الديوان خطا، إذ الهمرة تحت الألف دائرة على الكسر وقد طبعت فوق الألف في الديوان.

وزعم شاعراً لنفسه أنه يتبع "إيواء بإنشاء" وقد تم تعريف الإيواء والإنشاء في الجزء الأول من هذا الكتاب، وليس في هذه القصيدة إيواء أو إيواء. قوله "في أطلال أوراها". وبعد بالثلاثية أيات "بأفعال وأوها" ليس بإيواء لاختلاف الكلمات معنى ولفظاً، الأولى علم مؤنث أصله "وراء" أي جبلة قلب واؤها أوراها وألفا والثانية جمع "اسم" وليس في القصيدة إيواء، قوله: "بغير إيواء أوراها ووضوء".

أن عفطت ضوضاء على قولر رفعتها فكان هذا إيواء ولكن ضوضاء معطوفة على أوراها، وتوه الشاعر الإيواء لأن هناف إشارة إلى الحارث بن حنزة حيث قال:

أجعـوا أمـراً عـشاءاً فـلا
من مـنـاد ومن مـيـب ومن تــءـهـال خــلال ذاـك رغـاء

وفي القصيدة بيت الإيواء المشهور الذي آخره "ملك المنذر بن ماء السماء" والروى كله مرفوع.

قول محمد المهدي رحمه الله: "أما سمعت بعدان العصا البيت" - من "عبيد" من الصرف جائز ويجوز أن يكون الشاعر قد نون اسم عبيد [هو عبيد بن الأضر]

(1) أي الشبه والمناظرة والكافأة التي تكون في الزواج مثلا.
أو دقية التحويل في الشئ المشدد تبعا لقراءة أبي عمر في "أهلك عادا الأول" [عهد أولا] ويا قرأ المهدي رحمه الله في صيحة المهدي في هذه القصيدة صاحب ثورة ومحافظة معا، وقد اجتهذ في معاني الثورة ولكنه كان غير مقنع بصحتها كما هو مقنع بالقديم والمحافظة. من أجل هذا في أداء الأجزاء الشاذة من القصيدة نوع من عناية فكرية وغموض مع جهارة المنحى الخطابي ووضوحه. الشعراء مقدم جريء على التعبير الثوري، ولكنه في نفس الوقت فزع الروح.

من هذه الجراءة نفسها غير مقنع حقا بما خذت مثلا قوله:

ناد العبد عبيد الشعر هل حصدوا
بلقى السبيع روايات وعطنيه
وينشدون مدحه ملحمه وملاحمه
هنا شيء من نوع "عاج الشقي على رسم بسانته" وقد بجان أن هذا من مذهب الشعراء فديم ضجر قريب الأمد.

من مغرب الشمس جاء الصحيح منظمة
بمسي مكتسب وما يسعى لمساء
كأسا بكأس وإغضاء بإغضاء
هل هنا إعجاب مفرط بأسلوب الأدب والمنارة الحديثة والحضارة الغريبة؟ نعم
ولكنه إعجاب مشبع بخوف قراء "الدمار" وعلياء الإسلام المغروس في النفوس منذ
النشأة الأولى.

قال الفلكي ودوبليب من علما السودان في القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) (1)

واختلفوا في رابع القرن هل نقص أو كامل التكوين
أي هل تقوم الساعة في أوله وقبل أن يكتمل

(1) عاد الأولى قوم هو عليه السلام، والآخر قوم صاحب عليه السلام ذكره في الجبالين، وهذا مرتضى على أنهم خلفوا عادا كما في سورة الأعراف، والله تعالى أعلم.

(2) قصيدة "ود دوبليب" مشهورة، والذي قرائه منها على أنه هو في الصغر لم يبلغ عشرين بئنا، ثم قد وجدنا منها ما جاز للفنان رى ودخلته نبوءات سياسية، فهل ذلك من الأصل أو زيد فيه؟ بعضه زيد بلا ريب إذ ليست فيه روح لأسلوب الشيخ بسمته رحمه الله تعالى.
ثم خروج الدابة الغربية
من الصنا بحيرة عجيبة
وهي المذكورة في سورة النمل `وإذا وقع الفول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلمهم`
ثم طلَّب الشمسي من مغَرَبها صاعدة قاصدة مشرقها
وقالوا في تفسير قوله تعالى: `هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض ظواهر ربك` [في آخر سورة الأعراف]قيل طلَّب الشمس من غغربها وحين ذلك لا تقبل التوبة من لم يكن تاب من قبل. كانت قصيدة "ود دولب" يعرفها فقراء الدامر وغيرهم ويفحظها من عقل من الصغار وتكتب في الألواح أحياناً. وفي وصف علامات الساعة أن القراء يرفع من السطور ومن الصدر وأن الناس يعيشون كالأندلس يأكلون ويشربون ويسافرون. أم ليس في قول الشاعر:

يجيب به الناس أفراحها سواسية كأسا بكأس وإغراق بإغراق بعض الإشارة إلى هذا المعنى. هذه القبائل العلانية في السيناء. هذه المادية التي لا تهاب يعبرون كأشاروا وما عرفوا منظراً بمعالج أدوات بدواء
داء الأنانية والمادية بخوف المجهول،
ثم خروج الدابة الغربية من الصنا بحيرة عجيبة

هذا أحد المثنى ما كان وما زالت تندوؤ به البقاء البلاقية من ترات القراء.
هاهنا عند شاعراً مع الإعجاب (يعبرون كأشاروا خروف الساعة وعلامات ف تأمل قوله
(وما يسعى لإمساء) لكنفر هذا الغرب لا ينتظر ظلام `إذا الشمس كورث وإذا التجرم
انكذرت` وتأمل قوله `وإغراق بإغراق`. هل الدابة الغربية هي هذا الناس بعد أن
تسمخهم المادية قردة وخبازين ثم يقع بهم الخسفة خسف بالشرق وخشف بالمغرب؟ حتى الغربيون أنفسهم منهم من فزع من مادية حضارة عصره وسياحه الدابة

The Animal
والذي بدأنا على فزع شاعراً من جراءه وثرورته التي كأنها شعوبية بسارية الظاهرة
التجاوي إلى ثرات العقيدة السنية القديمة العميق:
أنفَرَف الشرقي كان الشرقي في بلاد قصد استراح إلى يأس وإرجاء

238
الشرق الأول هي العبارة المعاصرة التي يراد بها دار الإسلام كممر في شعر أحمد محرم والشرق الثانية بمعنى الشروق والضوء. جاء الصبح الآن من الغرب ولكنه من قبل كان هاهنا ونحن صرناه عن دارنا يوم استرحنا إلى اليأس وفرضا التحكيم على عقولنا وهو له كاره، ثم داهنا وأدهنا من بعد وصرنا مرجعين وأطلق العنان للدهاء والملوك واللبارين.

خان الحضارة في صفين إلغ أي صلبين هذا وبين قضبان اللغه والشعر الحديث والثورة الحرية النساني - نعم الشك والفزوع وجدور الأيدي التي في الجنان.

أنت تنسخ مني إلغ

الشاعر يضطه محافظه ثائرته، الذي نسي العصر ودابته وشار مع عبر بن بأسر ومع الحسين بن على رضي الله عنهم - نعم "أنا" المحافظ أسخر من أنا الشائر، والثائر المعروف في بمحافظته يسفر من ذلك أيضا - وترى ما هو إلا تكرار للغناء القديم، قوافل الأورزان الخليلة التي تتف على الأطلال ونساملها.

هل غـادـر الشعـراء من مردم

والعباد العصاهم هذه الشراذم التي تطرب لتهديم الأورزان واضطرابها، هؤلاء هم عبد العصا. "عبد الشيخ" رمز به الشاعر لنفسه حين حاول التحرر من الوزن، مضطرباً به عن عمد، كاضطراب عبد بن الأصر في:

أقرـر من أهلـه ملحوـب

هناك في الثالث الأخير من القصيدة يعرض الشاعر لثلاثة أعراض، أخذها بقية ثورة وتتهب ولا يفلو من عموض وهو قوله:

هاتوا ابن أحمد ترضي حكومته إذا قلأ من نقل وصبهـائي

يتدوى المؤازرين في بغداد متجددون في دفتر ندب الأطلال بـكاء

وبي هذا نفس من مقاربة الشعرية والثورة على قدمي التراب باسم العصر الحديث.

في قوله "حكومته" صدى من صفين وتحكيمها وفي خطب على وردت "الحكومة"

بمعنى التحكيم وأراد شاعراً: "يرضي حكمه" ولكن بشرط أن يتعلموا من فتنة العصر

- ١٣٩ -
الحديث ويضوى موازين عصر بغداد إذ كان الخليل بالبصرة وكانت بغداد قصبة الدنيا آنذاك منتجع باريس فيها من فن وموسيقى وأوبرا وترفي مادي وأدبي. إذن لاسته فتنتها عمل المروض واستمتعت بهما صعيد صيحته في البهر وتقيد ذلك في الأعراض.

فقالاً: بنك من ذكرى حبيب ومنزل ممـاذا وقـوـيـ عـن رـسـم عـفـاـ

وعلم جرا

الغرض الثاني الاستئنال بثورة بيكاسو الفنون وتحديده، وزعم شاعراً أنه كان ينظر ثم لا يجعل فنه بعد ذلك مستعبداً بقوانين الظلات والرؤية والضوء، بل يجرد انفعاله إزاء ما يرى في هيئة أشكال، يبحث فيها أشباه لذاته كي يختار اللومات فهبو بدلاً من أن يرسم الجميلة الظلات وأضواء تبين ملامحها، يخلق هذا المظهر الجميل ببضع تشكيل، فلا بيقه إلا الهيكل العظمى، فيكون هذا الهيكل ل rê موريتانيا معبرًا عن أصاب هو من لذة. عمل وبعبأ تأوله الشاعر الرسام أنه هو مذهب بيكاسو. وعليه أمر ما صنعه بيكاسو لم يكن أكثر من حوارية يائسة للتغيير، إذ مع ما كان له في مهارة، قد سبقة الفنانون الأولون واللاحقون بهم من بعدهم، وكان يعمل في نفسه تقشير ما يستطعاه من إبداع، أنصى ما كان يستطيعه من إبداع، عن مدى غوية (1742 - 1828م) والغربيك من فنانى قطره، بل من سبقه في عصر قريب من التأثيرين ومن إليههم ومن تقدمهم وعلم جرا.

ثم يقول المهدي رحمه الله:

إن كانت اللغة الفصحي فهل سمعت سحر الطبيعة من صمت ولياء
هل هنالك يوازن الفنان المهدى بين مقدرة صاحب الرشية المصورة وصاحب القلم المبين، هل هو ثائر على أن فضيحة الأول من نفسه هو من أجل الإخلاص إلى الثاني - التصور حرام، والبيت الذي فيه الصور لا تدخله الملاكية، إلا أن يكون شيء غير ذي حوية أو بمزينة للطيب للأطفال كأخيل المجنحة التي ذكر بعض رواة الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها عند عائشة رضي الله عنها مرجعه من تبوق
فقالت إنها خيل الملاكية؟
والغرض الثالث وهو ختام القصيدة وزيدة معناها، اعتراف سريع يحرر على ما أحاط به من بيئة محافظة من نفسه ونشأته ولغته وثقافة آبائه الشعراء، قراء الدامر المجذوبين
وجدهم وأورادهم واحتفالهم بالولد:

سلسلة المشتاقين
لقصيدة المشتاقين

경영 العرائس

رفد السلمان
صلح المقام
صاحب المقام
وجهه كالمراق
لبلالة المعلصال

ومن أخباره ناهج وكبرياتها، والده الأستاذ العلامة الحاج الشاعر المثقف أستاذ العربية بكلية غوردون وقد تخرج منها. من قبل في أول دفعة كا تخرج ابنه هذا الشاعر من بعد، بارعا في معارفها، وفي اللغة الإنجليزية وأدائها وأفنديا مبتلا من صميم الجيل.

المتحرر الواعد الحديث.

ومع التمدد انتهاء عميق وقيد بالانتهاء عنبي:

ضحكت منطق الأنساس مبتهمحا
مع الحيدة أتجتى وأهواءئي
سكتت حبا صحو بلازماتي
في ظلامة الخمر حبا غير نساء

في التعبير هنا عن جوبي المعدن. سكر الشعر بحب العصر وفنته ومع هذا السكر صحو ملازم هو الشعر بالانتهاء والقدام)... لأمر ما حين شبه الشاعر افتتنانه بحب التحرير الحديث بسكر الخمر ولذنبه، جعل الخمر والسكر ظلما، ولا يخفى أن الصحو الذي هو نور هذه المحافظة وهذا الانتهاء:

أصنع الشعر كي تبدو حقيقته فيها حقيقه ميلادي وإنشائيات

الرسم ذوبان في فتنة العصر الحديث. الشعر يتبع لي عرض الصراع الذي في نفس بين الثورة والمحافظة. عدوى هذه الثورة وهي أنا. لإبد من القيد لترويضها وتدليلها. أنا ابن اللغة الفصحي وقودها. لغة على هذه الحركات العربية الثورية التي تمرق عن

ثوب جك القدام. مجد فقراء علما السيرة أهل الأوراد والأذكار والإسراء والمراجع

-٢٤١-
قد صرح به تصريح في حمية أهل الجيجلين حيث قال في قصيدة عنوانها "بيوم المهارة":

وقتٍ للاصراف والتبين واقفًا

(كان الناس إلى عهد قرب لا يعرفون الماء عفنيًا إلا من الأبار)

سَلام على الصراف أضحى أصابعًا
تراقص بين الحضر والحرير

كان المهدي محاسا فنُشر الصراف عن مراكز عارفة والخضر أوراق الجنية والحمير

وقد نفّذوا صانعاً حياً في النقد

وأثق فوق في كشف المواهب فليسهم

أي وقد أعطى النقد، والنقد الثاني أي الطعن والوهج والعين في فرض التوقيع

نوعًا من إلالز أقرب أوراقًا وصفًا وفضحة

صكوكاً بلوُرها طويلاً وضيغت

أكل غنى بيات في الناس أمراً

وب جيجهد يستغلى أصوه

البنيان طرازاً إلى الهند

أن صلتهم بعدها البلاد ضارةً وصمة في القدم.

(1) تلك الأشياء ص 118 - 171 - 162
أجَّورَ أَلْفَانَا، وَوَرَدَ مُكَدَّرَ
فَلَتِينَ بَعْتُ الْمَشَى فِي الْخَيْرِ كَأَسْبِبًا
لِأَنَّ الْطِّيْقَ لِهِ حَاِفَةُ نَاشِئَةُ تُظْلِمُ رَأْسِهِ مِنْ يُحِلَّهُ وَبَيْدُ كَاَنُهَا شَرْفَةُ بَالنَّسِبةِ إِلَى جِسْمٍ
حَامِلَهَا، فَلِتِينَيْ بِتَخْفِيفٍ كَرَةُ نَوْنَ الْوَقَاءِ بَلَا إِِتْبَاعُ لَهَا بِيَاءُ التَّمْكِل
إِلَى مَكْتَبِ أَبِي حَيَانَاتِي بَالْجَرْد,
يَزْيِزُ عَلَى طُوْلِ الْتَرْقَبِ وَالْمُوْعَد
كَتَابًا وَأَقْلَامًا حَرْبٍ نَبِلًا حَصِد
وَقَدْ أُحْرَقَ أَبُو حَيَانَ كَتِبَهُ وَأَعْتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ فِي رَسَالَةٍ لَهُ حَزْيِنَة
تَحَرَّدَتْ إِلَى مِنْ خَلَالِ كَرْمَةٍ
خَشَيْتُ عَلَى الْصَّبِرِ فَقَدْ أَلَّى عَلَى فَقَد
يُعْلِمُنِي الإِيْشَارَةُ قَوْمِي ثَكَّرَأَهُم
أَيَّ الْغَزِيرُ الْكَثِيرُ كَعَدِ المَأْلَ الذِّي لَا يَقْطَعُ مَدْرَكَ عَنْهُهَه
وَمَرَتْ ضُحَى سَيَارَةٌ ذَاتِ غَرِيْبَةُ
وَزْهُوْرُ عَلَى الْدُنْيَا مَصْعِرَةُ الْخَد
أَيْ صَاحِبَاهُ يَصُعْرُ خَدَهُ زَهْوًا وَغُرِورًا
مِنْ الْحَلْبِ الْاَشْرَأَرِ فِيهَا مِغْمَأَرُ
رَأَيْتَ حَيَانَاتِي حُريْصًا عَلَى رَدِّي
وَأَعْرَضَ عَنْهُ حَاقَـْا مِنْهُ نُفْخَةُ
الْحَلْبُ أَصِلْ مُعْنَاهَا الأَخْلَاقُ مِنْ النَّاسِ لَا أَصْلُ لَهُمْ وَتَطْلُقُ فِي الْعَامِلَةِ عَلَى الْغُجُرِ
وَأَنْمُ مُكَالَغِرَ مِنْ نَابِتَةِ الْعَصَرِ الْطَّارِئَينَ عَلَى الْبَلَادِ.
هذِهُ الأَيَاتُ مِنْ قَصِيَدَةٍ طَوْبِيْةٍ أَثْرَ الشَّاعِرِ فِي هَذَا كَأَدَّنَا الْبِيَانِ الْصَّارِحِ مِنْ حَرَاءِ
نَفْسِ وَانْفِعَالَةٍ ثُوْرَةً أَصُلَّاهَا لِيَسَ مَعَهَا شَكٌّ وَأَتْرَدُّدٌ مِمَّعَذَّبَ وَأَنْفَاسُ
سَخْرِيَةٌ وَزَكَاهَا.
وَشَعْرُ الْمُهْدِئِ الجَيْدُ كُثُرُ لَا تُسْقَ عَلَى صِفَاتِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُحْدُورِ وَوَدُونُكْ نَمْذِجًا أَخْيَرُ هذَا الْأَيَّاتُ مِنْ قَصِيَدَةٍ لِهِ بِعَنْوَانٍ "غَارَةُ طَلْبِيَّةٌ" يَصِفُ بَعْضَ تَجَابِهِ إِذْ تَطْوِعُ
فِي الْجَنْدِيَةِ الإِضْرَابِيَّةِ بِالْعَاصِمَةِ سَنَةُ ١٩٤١ مِلِّ إِلٍّ لِّهَيْهِنَأْ
بِفَقْـُوْلِ الْبِرْطَانِيَّةِ دَافِعَ وَلَا أَرَى
وَرَأْتُهُ حَيَانَةً وَأَصَغَّتْ مَعْجِبًا
بِفَقْـُوْلِ تَطْعِمُ قَلْتُ لَا تُرَدِّنِي
يَجْوُنِي مُكَرِّرُ المَخَاجِحَةِ حَاقَـْا
دَفْعًا وَمَالًا فِي بَلَادِ مُوْطِن
لِصَوْتِي كَأَنِّي كَافَـرُ مَتَّمَدُن
أَخَ ضِيقُ الْعَيْنِينِ كَأَنْ بَيْنَ أَرْعَانُ
عَلَى وَسَجْنِي إِنْ تَمْرَدَتْ مُكَّـ
ولى إن تعلمت السلاح وسيلة
بها يشفى حقن أعانيه مزمن
وأصبحت جندياً فجأءت مغيرة
الزمرة صفاء الإنذار وأغرتها طائرة طليانية
أُمد حبالاً من شواوين متمينة
وأمسك أقطار السباء وأطعن
هذا وصف جيد وكان المهدي رحمه الله يطلق النار من مدفعه الرشاش بالخرطوم البحرية حين أغررت الطائرات الطليانية ذات عشاء
عجبت لهذا الإنجليزى لابداً
بخدقه والطير فوقه تدنن
لبد يلد من بابى نصر وفرح
وألقت رعوداً قاصفات ولذني
من الخوف موت فيه من خاف بأمن
لذ من باب فرح للذنى الشيء ولذته، وجهان
ومثال إلا موطن ليس حكمه
ولكنى أسير مسجد
ومن فوق رأى خوضة مستدمرة
وكامية بلعوومها ليس بمؤمن
الخوضة بضم الخاء لا تحيا كما ضبط خطأ في الديوان. وكانت الكامية للواقية من الغاز السام ولم يستعمل في معارك الحرب الثانية، وقوله "ليس يؤمن" لأن الكاميات التي صرمت للمطوعة كانت قديمة بخشى ألا تفق أنها جعلت وقافة منه
وأطلق نيرانها تعامى وترتفع
هذا الحرب جاءتنا ونصب أوارها
وما بلدى روما ولا هي لندن
والطائرات المغيرة بأمر روما والمدافع تمها بأمر لندن وضل الباحث مع الألمان غيظاً على الاستعمار البريطاني، وكذلك كان كثير من العرب
سلام على الألمان ذكنا هزيمة
معا وأتى روميل فثالث ممكن
وصف الشاعر لحلف الخضرية حي دقيق.
وتعجب الشاعر من نفسه كيف تطبع ليدافع كما قيل وزعم عن الوطن والوطن ما زال تحت المستعم، وذلك قصر السردار، الحاكم العام البريطاني يشرف على النيل بياضه
من شاطئ الخرطوم المقابل، إذ كان هو عند مدفعه بالخرطوم البحرية على الشاطئ
الشالي من النيل الأزرق، إلا يوجه مدفعه إليه فبدله دكاً نسي الشاعر رحمه الله أنه

(1) ديوان الشفاهة والزارة للشاعر السوداني عبد المهدي المجذوب بيروت 1402 هـ 1982 مـ 18

- ٦٤٤ -
مدفع رشاش لن يصنع في الجدران الضخمة كبر شيء ولكن عسى أن تصيب طلقة
منه السدرار نفسه. وفي الصبح جاء الضابط المسؤول وهو ربتة ميجر (1) فطلب عهدة
الذخيرة وعددا كا يتطلب ذلك نظام الفرآجة الدقيق، فغضب الشاعر على الصاغ
البريطاني غضبة مضربة قال وهو قصص جيد ذو حيوية وروح فكاهة ساخرة مع
النطع العربي الرصين.

عجيت لنفسي في قريب فلادا
ويا مدفعى الصخاب لى دير بودرة
أمم سعت غوردون رأسا بحرية
ويا كاسلا صبرولآ بأم إنا
وقعت كلا في بقية الطبان، فقوله "ولآ فرق" أي كله استعار,

تندك بلاد الانجليز وتتذفن
بعد رصاصي وهو للعدم حسن
أبيع رصاصي وهو صنف مدون
وهذة غضبة وتحجة مدنى إدارى، وما حارب هو عن البريطاني حقا ولكن عن
وطنه.

فصحت به حايرته عند كل ترى
كأن رئيس المصلحة التي كان يعمل فيها الميدى الفرنكفي، فيجوز أن كان الميجر
الذي عد الرصاصات المائة وخمسين رصاصة كا بين الشاعر من بعد، ويجوز أنه يكون
قد جاء ميجر حربي وسعا بحضرة الفرنكفي، ولكن السياق بدل على الذي توي
ذلك سعودى، وكان إداريا حاراما ووصفه الشاعر هنا ببرود وتعال ومظهر تذيب-
حياء، ولكن بقص غليونه من فمها حينا يسيرا

لست ضال، ولا في الحرب هتلته،
فقوموا بني السودان فادعوا وأمنوا
كما كان يدعو فقراء الدامر ويؤمنون كلا حزيمه أمر يخشونه، يقرأون بين أربعين ومائة
وألفا - أمين أمين كل منهم يؤمن بعد ما قرأ ثم إذا اكمل العدد أذن الفكى
ال كبير - أمين

(1) أي صاغ أوراندة كا يقال الآن.
فَكَيْبَدَهُ فِي نَحْرِهِ يَعْمُودُ
وَمِن يُرَدُّ شِرَا لَنْـَـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّـَّ~
المسرحي فإن نسا الله في العمر سبحانه عز وجل، وأعان بمدنه من صبر وصحة
وعمل وتوحوف فلما أن أفرد لذلك بحثا، رحم الله أحمد شوقي فهو أول من جود
المسرحية العربية وورض الأروان والديباجة الناصعة عليها. ونظرت عرضاً في أوائل
مسرحية عجوون ليلي:

وأنت إذا ما ذكرا الحسن تصاعت
بشر هامسا ومتفدنا كأنها يخشى أن يسمعه أحد

لا جاهلالاً موضعه
ولكن أخاف امرأا أن يرى
حذار أميّة أن تقطعه
وهمت النجحاء فكن إمعة

ليل

أبن ذريح هنّ في غرزة
دار النبي كيف خلفههم

أبن ذريح

فهل على مستفه منك بسام
كيف تركت الأمر فيها بسأس

أبن ذريح

تركتها بالي لميل مضبوطة
إذا حديث الناس في يـشب

أبن ذريح

أحلام مروان جبال رواس
والعنف والشدة عند الأساس

نتضاحك الفتيات وتقول إحداهن للأخرى

فتياء

ليل على دمـين قيـس
وكل مـسا سر قيـس

أبن ذريح

ما الذي أضحك من الظلم
الأني أنـى شعيـة
اختثلاف النـرأي لا يفـ

-47-
أحسن أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إذ يقول في الكامل في معرض تقديمه أياته دالة
لا ابن منذر رئي بها عبد المجيد بن عبد الرواه الثقفي قال: فله في شعره شدة كلام
العرب بروايته وأدبها وحلاوة كلام المحدثين بعضه ومشاهدته، ولا يزال قد روته في شعره
بالثائر السائر والمعنى اللطيف واللفظ النافع الجميل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها
امتداد وطول فكذلك مسرحية مجنون ليلي وما جمع شوقى جمع الله من تجديد إلى
حسن صياغة وصفاء دبالة وخاصة على الزمن والفصاحية وتميز عن معان عصرية
روح حضرية - هذا ونفعل ما ألمتنا إليه وما نسأل الله أن يعيننا على أن نفي بعض ما
وعدنا فيه خاتمة لصفحات هذا الكتاب... والمرء مظنة الزلزل ونوعد بالله من شرور أنفسنا وسئات أعاهتنا ونسأله القبول لولي
أولا وأخيرا وكان الفراق منه في الليلة الخامسة عشرة من ربيع الأول سنة 1411 ه (أي
مساء 3 من نوفمبر سنة 1990 م) في مدينة الخرطوم أعني الفراق من الفصل الأخير بعد
مراجعته كما تقدم من ذكر ذلك وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين

مؤلفه عبدالله بن الشيخ الطيب بن عبد الله بن الحبيب بن محمد بن
أحمد بن الفقيه محمد المجذوب
رصي الله عنه

- ۱۴۸ -
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مدح الرسول صلى الله عليه وسلم</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>أطوار المدحة النبوية وبعض أمرها</td>
<td>29</td>
</tr>
<tr>
<td>طرط الدعوة.</td>
<td>34</td>
</tr>
<tr>
<td>طرط السياسة.</td>
<td>42</td>
</tr>
<tr>
<td>طرط الشهر الثالث</td>
<td>76</td>
</tr>
<tr>
<td>طرط التضحية (ابن الخطيب وابن خلدون وغيرهما)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجرسي والبرعي والبوصيري</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجرسي البرعي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>شيء عن ابن الفارض</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>البرصيري</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الشهاب محمود عن شقيق</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الشيخ حزام الكشوازي حاشية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المنصر الرابع وهو نفس الشاعر</td>
<td>220</td>
</tr>
<tr>
<td>أولا النسلسل</td>
<td>222</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانيا التدرج</td>
<td>254</td>
</tr>
<tr>
<td>ثالثا تدعي المعاني</td>
<td>280</td>
</tr>
<tr>
<td>رابعا المقابلة</td>
<td>288</td>
</tr>
<tr>
<td>فصل فيما يقع من تشبيه أشكال القصائد</td>
<td>356</td>
</tr>
<tr>
<td>أسلوب المقالة - تمهيد</td>
<td>400</td>
</tr>
</tbody>
</table>

ثم جاء محمود سامي البازادي
قصيدة جون كينس (النص والترجمة)
شعر البازادي
الموضوع:

أسلوب المقالة أوائله ثانيا.............................................. 488
المقالة والقصيدة عند شوقي وحافظ ومن بعد قليلا.................. 500
الضرب الأول................................................................. 530
الضرب الثاني: الرومنسية المسيحية العربية.......................... 530
الضرب الثالث: رومنساسية الأندلسي.................................. 536
الضرب الرابع: وهو رومنساسية الفقير المفقود....................... 554

أبو القاسم الشابي
النجاني يوسف بشير
سموح حسن اسجاعيل
النبيتي
بدر شاكر السب篡
محمد مفتاح القيوري
نارك الملتهبة
نزار قباني
محمد بن عثمان
العباسي
محمد مهدي الجوهر
أحمد بن نور
رفاعة الطهطاوي
العباسي
محمد عبدالقادر كرف
محمد المهدى مجدوب
الجانب المسحي

648
وزارة الإعلام
مطبعة حكومة الكويت